كوكب الروضة

في تاريخ النيل وجزيرة الروضة

تأليف

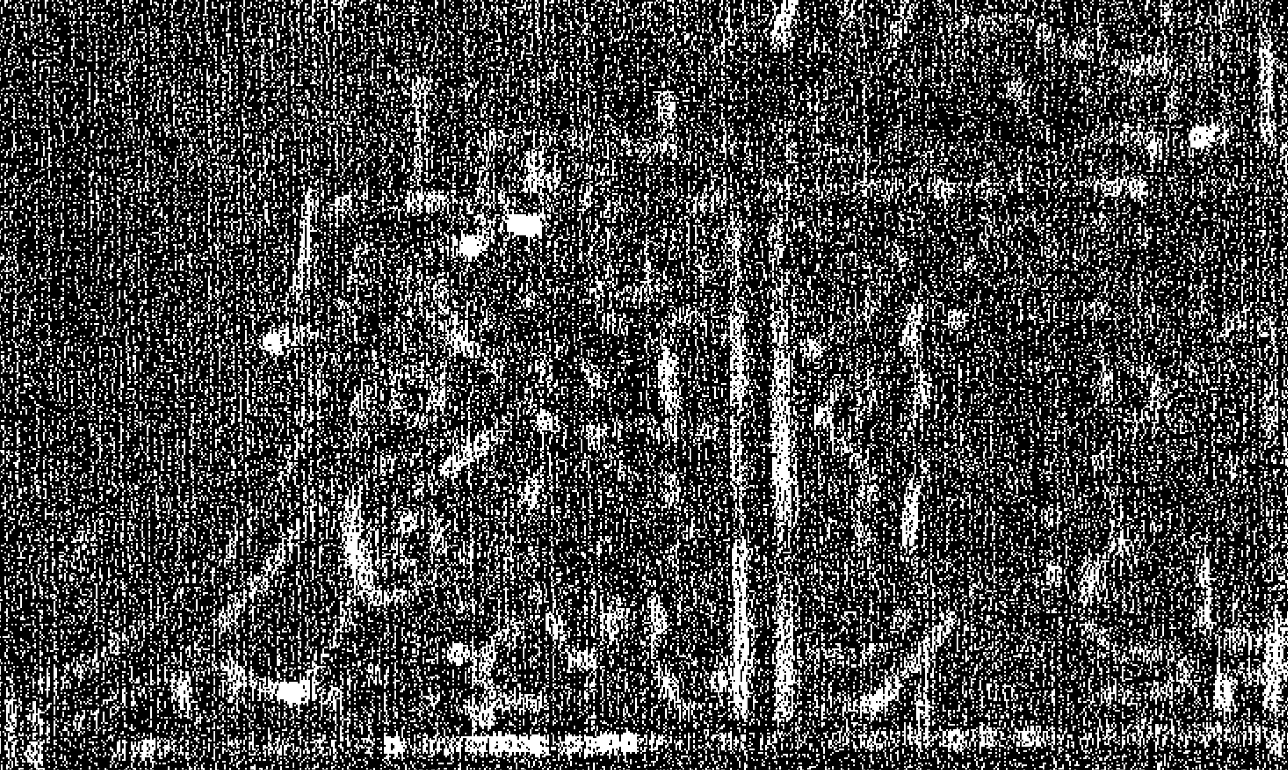
الإمام جلال الدين السيوطي

ت ٩١١هـ - ١٥٠٥م

تحقيق

محمد الششتاوي





كوكب الروضة

في تاريخ النيل وجزيرة الروضة

كوكب الروضة

في تاريخ النيل وجزيرة الروضة

تأليف

الإمام جلال الدين السيوطي

ت ٩١١هـ - ١٥٠٥م

تحقيق

محمد الششتاوي



الطبعة الأولي

١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

جميع الحقوق محفوظة للناشر

رقم الإيداع	١٧٥٧٨/ ٢٠٠١
I. S. B. N الترقيم الدولى	977 - 344 -012 -5



٥٥ شارع محمود طلعت من شارع الطيران - مدينة نصر

القاهرة - ت: ٢٦١١٠١٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

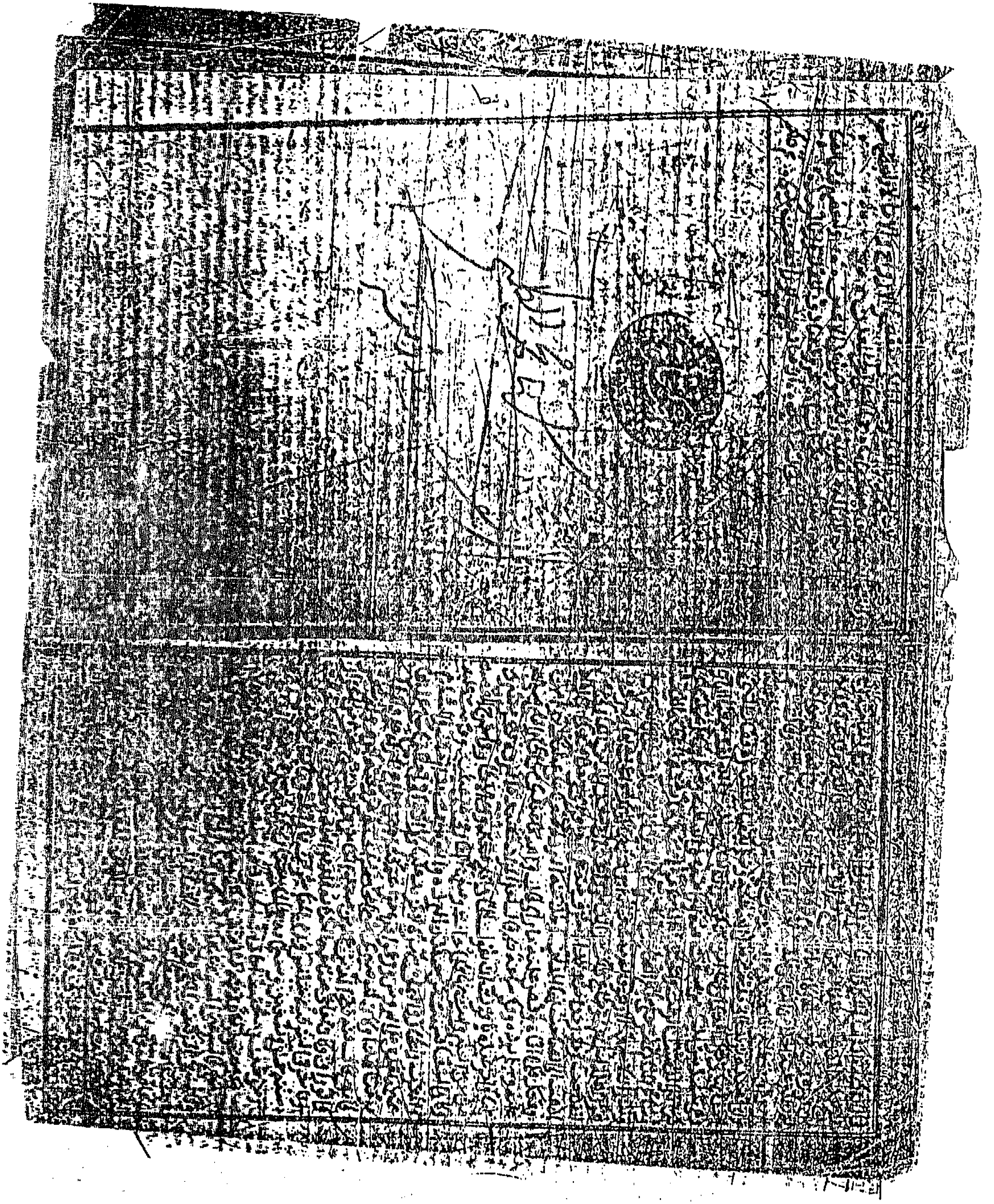
لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به وأعف عنا وأغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

صدق الله العظيم

البقرة آية : ٢٨٦

إهـــداء

إلى أستاذى عربى أمين مبروك



بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد [illegible]

سبحان الله فاتق الانهار وفالق الازهار وخالق الليل والنهار و[illegible]
لكنه [illegible] من الشمس بالورد ومن الكواكب بالبنار والحمد لله الذي انزل
من السماء ماء فاحيى به الارض بعد الممات واخرج به انواع كل شي من النبات
وانزل من الجنة رحمة لاهل الارض ومنافع سيحون وجيحون والنيل
والنيل والفرات وجعل النيل سيد الانهار واطولها [illegible]
والموات ووعد الذين امنوا وعملوا الصالحات بروضات الجنات [illegible]
سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا لقوم يذكرون وايده بالمعجزات [illegible]
القطعية لقوم يعتبرون فاما الذين امنوا به وعملوا الصالحات فهم في
روضة يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا به فاولئك في العذاب محضرون
فصلى الله على هذا النبي الكريم صلاة دائمة حين تمسون وحين تصبحون وعشيا
وحين تظهرون هذا تاريخ حسن في تاريخ جزيرة [illegible] مصر [illegible]
بالروضة تشتمل على روايع الاخبار وبدايع الاشعار والانشاد [illegible]
الروضة اخذا من قول صاحب الصحاح [illegible] الروضة نورها [illegible]
[illegible] الاداب [illegible] ذكر الاحاديث والاثار الواردة في [illegible]
[illegible] تاريخ [illegible] حدثنا محمد [illegible]
حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب [illegible] حدثنا [illegible]
حدثنا [illegible]
[illegible] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible] النظر الى الخضرة والى الماء الجاري والى الوجه الحسن اخرجه الديلمي في
مسند الفردوس وقال الحافظ ابو بكر الخطيب [illegible] محمد بن احمد بن [illegible]
انبانا محمد بن نعيم [illegible] انبانا ابو بكر محمد بن [illegible]
حدثنا احمد بن [illegible] سمعت ابا البختري وهب بن
وهب القرشي يقول حدثنا جعفر بن محمد الصادق [illegible]
[illegible] عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه [illegible] رسول
الله صلى الله عليه وسلم [illegible] النظر الى الخضرة [illegible] الماء الجاري
والى الوجه الحسن اخرجه الديلمي في مسند الفردوس [illegible]
عبد الله بن عباس [illegible] وبريدة وعائشة و[illegible]
ابن عباس قال الحافظ ابو بكر [illegible] في كتاب الطب النبوي حدثنا [illegible]
محمد بن اسماعيل الادمي حدثنا [illegible]
عمرو [illegible] حدثنا القاسم بن مطيب [illegible] منصور [illegible]
[illegible] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible] النظر الى الخضرة والماء الجاري [illegible] ابن عباس [illegible]
[illegible] النظر الى الخضرة [illegible] الماء الجاري [illegible]
[illegible] النبوي [illegible]

الحمد لله تم المجلد [illegible] من العلم المبارك المسمى بكتاب الروضة بتاريخ جزيرة [illegible]
بالقراءة التحقيم والنظر المبارك [illegible] سيدنا [illegible] المفضال [illegible]
[illegible] ٦ شوال ١٣٤١ه [illegible]

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد [illegible]

[illegible] الانهار [illegible] الازهار [illegible]
اخضر من الشمس نوره ومن الكواكب بالنهار الذي انزل
من السما ما فاحيا به الارض بعد الممات واخرج به انواع كل شي من
النبات وانزل من الجنة رحمة لاهل الارض ومنافع يجنون ويجنون
[illegible] والقربات وجعل النيل سيد الانهار واطيبها [illegible]
[illegible] ووعد الذين امنوا وعملوا الصالحات روضات الجنات
وبعث سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم هاديا لهم يذكرون واتاه
بالمعجزات الظاهرة لعلهم يعتبرون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا به فاولئك في العذاب
محضرون على هذا النبي الكريم صلاة دائمة حين تمسون وحين
تصبحون وعشيا وحين تظهرون مجموع حسن في تاريخ جزيرة
مصر المسماة بالروضة تشتمل على روايع الاخبار وبدايع الاشعار والاسجاع
سميته كوكب الروضة اخذا من قول صاحب الصحاح كوكب الروضة نورها
واشرقت فيه الادبا بعقايق الاداب وبلورها ذكر الاحاديث والاثار
الواردة في النزهة الحاكم في تاريخ نيسابور حدثنا محمد بن حمدون
ابو [illegible] حدثنا علي بن محمد القباني حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب الخوارزمي
حدثنا يحيى بن ايوب المقابري حدثنا شعيب بن حرب بن مالك بن
مغول عن طلحة بن مصرف عن نافع عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث يجلين البصر النظر الى الخضرة
والى الما الجاري والى الوجه الحسن اخرجه الديلمي في مسند الفردوس
الحافظ ابو بكر الخطيب اخبرني محمد بن احمد بن يعقوب انبا محمد

ابن نعيم الضبي انبانا ابو بكر محمد بن احمد بن هارون الشافعي حدثنا احمد بن عمر
ابن عبيد الزنجاني ببغداد سمعت ابا البختري وهب بن وهب القرشي يقول
حدثنا جعفر بن محمد الصادق عن ابيه عن جده علي بن الحسين عن ابيه عن
جده علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ثلاث يزدن في قوة البصر النظر الى الخضرة والى الما الجاري والى الوجه الحسن
[illegible]
[illegible]
[illegible] في كتاب الطب النبوي حدثنا احمد بن محمد بن [illegible]
[illegible] حدثنا ابراهيم بن [illegible] الحسن بن عمرو [illegible]
القاسم بن مطيب العجلي عن [illegible]
[illegible] صلى الله عليه وسلم [illegible]
الى الخضرة والما الجاري [illegible]
النظر الى الخضرة والما الجاري والوجه الحسن [illegible]
في الطب النبوي حدثنا علي بن احمد [illegible]
محمد الاعرج الحافظ حدثنا الحسن بن عمرو [illegible]
[illegible] حدثنا عبد الله بن احمد بن [illegible]
[illegible] بن علي البصري حدثنا ابو هلال الراسبي عن عبد الله بن [illegible]
عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظر الى الخضرة يزيد 7
في البصر والنظر الى الما يزيد في البصر والنظر الى الوجه الحسن [illegible]
عن ابن السني بحديث ثابت [illegible] ابو نعيم [illegible]
النبوي حدثنا محمد بن احمد بن اسحق [illegible] ومحمد بن اسحق [illegible]
قالا حدثنا النعمان بن احمد حدثنا محمد بن حرب حدثنا عباد بن [illegible]
ابو ثابت حدثنا سليمان بن عمرو النخعي عن منصور بن عبد الرحمن
الحجبي عن امه صفية بنت شيبة رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثلاث يجلين البصر النظر الى الما الجاري والنظر الى
الخضرة والنظر الى الوجه الحسن صاحب متعة النفوس [illegible]
نظم ذلك الشاعر فقال

ثلاث يجلون عن القلب الحزن الما والخضرة والوجه الحسن

قال ابو نعيم حدثنا ابي رحمه الله حدثنا ابو جعفر احمد
ابن الحسين بن ابي الحسن الانصاري ح وحدثنا محمد بن محمد حدثنا
محمد بن احمد القاضي البوراني قالا حدثنا ابراهيم بن حبيب بن سلام

رقصت براغيث لشتا واجابها . الناموس منذ بالغنا المعلم
ومتواجد البق الكثيف بطبعه . طربا على ترب المدامة من دمي

نت الناموس حاكي لسبعه . شوك العضاه وصوته الناقوسا
تحسن الفرجات عند هبوبه . فاعجب الناموس غدا جاسوسا

وجه التعجب ان المفسر في اللغة ان الناموس صاحب سر الخير والجاسوس صاحب سر الشر وانشد في شاعر العصر شهاب الدين المنصوري لنفسه

ولبلة طولها ات همي جمعا . به وسامي في دجا دلستنا
اذا سرب الناموس غرد ... . وان دخل ... اذى رعينا

وانشدني الشهاب المنصوري ايضا لنفسه

ولبل نحوض براغيثه . لحمي وناموسه اعوض
داسوا من جمادي . ترى دابحي ... ابيض

وانشد ايضا الشهاب المنصوري لنفسه بذكر الجناب العالي سيد خضر بن ... ومنزله بالمشتهى وتعرض برجل في خدمته يعرف بالبدري

سيدنا حضر له مسكن . في مشتهى الروضة والبحر
يبعد في عده حسان مع . حر في سندي خضر
سوى كتان كلما نابه . وكونه اظلم بالبدري

اذا البراغيث قد بانت تشتبي . بادرت الى الدجى بسكا واجابا
لو رايتهم يستخرجون دمي . رايت الكرخي انه عدوا به
صحوا بالخط عنوان السجود به . يقطع الليل تسبيحا وقرانا

من نرى يشفقني . يا قوم او ياخذ حقي
من ذباب وبراغيث . وناموس وبق
كلما قلبت جنبي . الى غرب وشرق
ليسوا من جماني . اخذ كز حلقي
ونشاوا من دمي . كاسا ادار وها برزقي
برقوا الى غريب دنوا . نوب اصطباري اي مزق
وسبوا لما انتشوا . ما بين اكتافي وحلقي
فالبراغيث لها . رقص ولكن تسترق
وكذا الناموس يحكي . صوته مزمار رزق

ومناري مع ذباب . في اذاي لا تبقى
يتراي نحو عيني . والى انفي وشدقي
واذا رمت طعاما . سابقوني اي سبق
ثم قاسوا عرضه كم . فيه من عرض وعمق
انو قاهر ولكن . ليس يجديني التوقي
ليت اني قبل هذا . مت او لم يكن خلقي
كيف احتال وكل . منهم طالب رزقي
وسعا اسه عليهم . في الذي صيود لقي

ما قيل في دار النحاس قال البدر البشتكي اجيد في دار النحاس

يما المولى الذي . اني الاجابي هو نسد
ذا لنا ما مثل حيف . الفتى سال ...

لقد قرظت مصر بمصر . بمسجد هذا الكريم احدب
ودار النحاس به غيرت . فصارت لعمري دار الذهب

لقد اسعد الله راي الذي . ... وصعد فذ وجب
لدار النحاس به حلية . فدار النحاس كدار الذهب

ايراده في هذا الكتاب وقد قلت فيه

كتابي الكوكب الدري . دقت معانيه حروزه
الفاظه المشتهاة تحكي . من حسنها روضة حزونه

مولعه فرغت من تاليفه في جمادي الاخر سنة خمس وتسعين وثمانماية احسن الله خاتمتها وعلقه من خط مولفه العبد الفقير الى ربه محمد بن علي ابن احمد الداوودي المالكي في مجالس اخرها ضحوة يوم السبت من شهر ربيع الثاني سنة عشرين وتسعماية ثم علقه اختصارا واقل الفقراء العبد الحقير الفقير الى الله تعالى من خط الشيخ المرحوم العلامة شمس الدين محمد الداوودي المذكور ... تعالى لناوله وللمولف والمسلمين اجمعين امين محمد بن ابراهيم بن محمد شرف الدين السلمي الحنفي ... غفر الله له ولوالديه ولمشايخه ولجميع المسلمين وكان الفراغ منه في ضحوة يوم خميس سادس شوال سنة تسع بعد الالف من الهجرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة والسلام والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم

الوكيل وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وسلام
على المرسلين والحمد لله رب العالمين لبعضهم

كم من كتاب تعبت في طلبه وكنت من الخال البرية به
حتى إذا امت وانقضى اجلي صار لغيري وعدمت كتبه

لمرحوم الشيخ محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن ابي [illegible]
بن حيان بن عبد الله بن ملاك بن صنهاج و[illegible] محمد بن سعيد بن
حماد بن محسن بن عبد الله بن حيان الحبنوني الصنهاجي ابو عبد الله
شرف الدين الدلاصي المولد المغربي الاصل الابوصيري المنشأ
صاحب القصيدة المعروفة بالبردة اصله من قلعة حماد بلاد المغرب
من قبيل يقال لهم بنو حبنون [illegible] بموحدة بعدها نون وواو
ثم نون [illegible] وكان ابوه من ناحية بوصير وامه من ناحية
دلاص فركب نسبه منهما [illegible] الدلاصيري واشتهر بالبوصيري
ومولده بناحية دلاص في يوم الثلاثاء اول شوال سنة ثمان وست
مائة وقيل سبع وستمائة وبرع في النظم واختص بالوزير
زين الدين يعقوب بن الزبير وانقطع اليه عمره وصار يمدحه [illegible] عليه
[illegible] انه اصابه فالج ابطل نصفه وتعطل منه بحيث يجر شقه
في الفرش من جانب الى آخر فلما امتحنه ذلك عزم على نظم قصيدة في مدح
رسول الله صلى الله عليه وسلم يستشفع بها الى الله تعالى
عساه يلحقه ثوابه فنظم القصيدة التي تعرف بالبردة واولها

امن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

وكرر انشادها مرارا وتشفع الى الله سبحانه وتعالى بنبينا محمد
صلى الله عليه وسلم في ازالة كربه واكثر من البكاء والدعاء ونام
فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في منامه وكأنه مسح بيده
المقدسة على ما به من الوجع ثم القى عليه بردة فانتبه وقد عوفي
فقام من فوره وخرج من منزله وكان ما تقدم ذكره سرا فيما بينه
وبين الله تعالى سبحانه لم يطلع عليه احدا من الناس فلقيه بعض
الفقراء وقد خرج من بيته وقال له اريد ان تعطيني القصيدة التي
مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له اي قصيدة
تريد في مدحه صلى الله عليه وسلم فقصائدي كثيرة فقال
التي انشأتها في مرضك الذي اولها امن تذكر جيران بذي سلم
والله لقد سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي من صنفت [illegible]

ورأيته صلى الله عليه وسلم يتمايل عند سماعها كتمايل القضيب الرطب
واعجبته والقى على من انشدها بردة فاعطاه القصيدة وشاع ذلك [illegible]
عصر حتى بلغ الصاحب الكبير بهاء الدين علي بن محمد بن حنا فاستحضرها
ونذر ان لا يسمعها الا وهو قائم مكشوف الرأس [illegible]
بها وتبرك هو واهله بسماعها [illegible] الناس وانتفع [illegible]
سعد الدين الفارقي موقع الصاحب [illegible]
[illegible] على العمى فرأى في منامه كأن [illegible] الصاحب [illegible]
[illegible] منه البردة فضعها على [illegible]
[illegible] عليه ما رأى فقال والله ما عندي [illegible] صلى الله عليه
وسلم بردة [illegible]
[illegible]
واخرج القصيدة [illegible]
على عينيه [illegible]
واشتهرت بديار مصر والشام والمغرب والحجاز واعتنى [illegible]
[illegible] في تعظيمها حتى [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] محمد بن [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible] ومات [illegible]
سنة خمس وتسعين وستمائة في المارستان المنصوري من القاهرة
ومن شعره [illegible] الحسود [illegible] يقول ويمحق

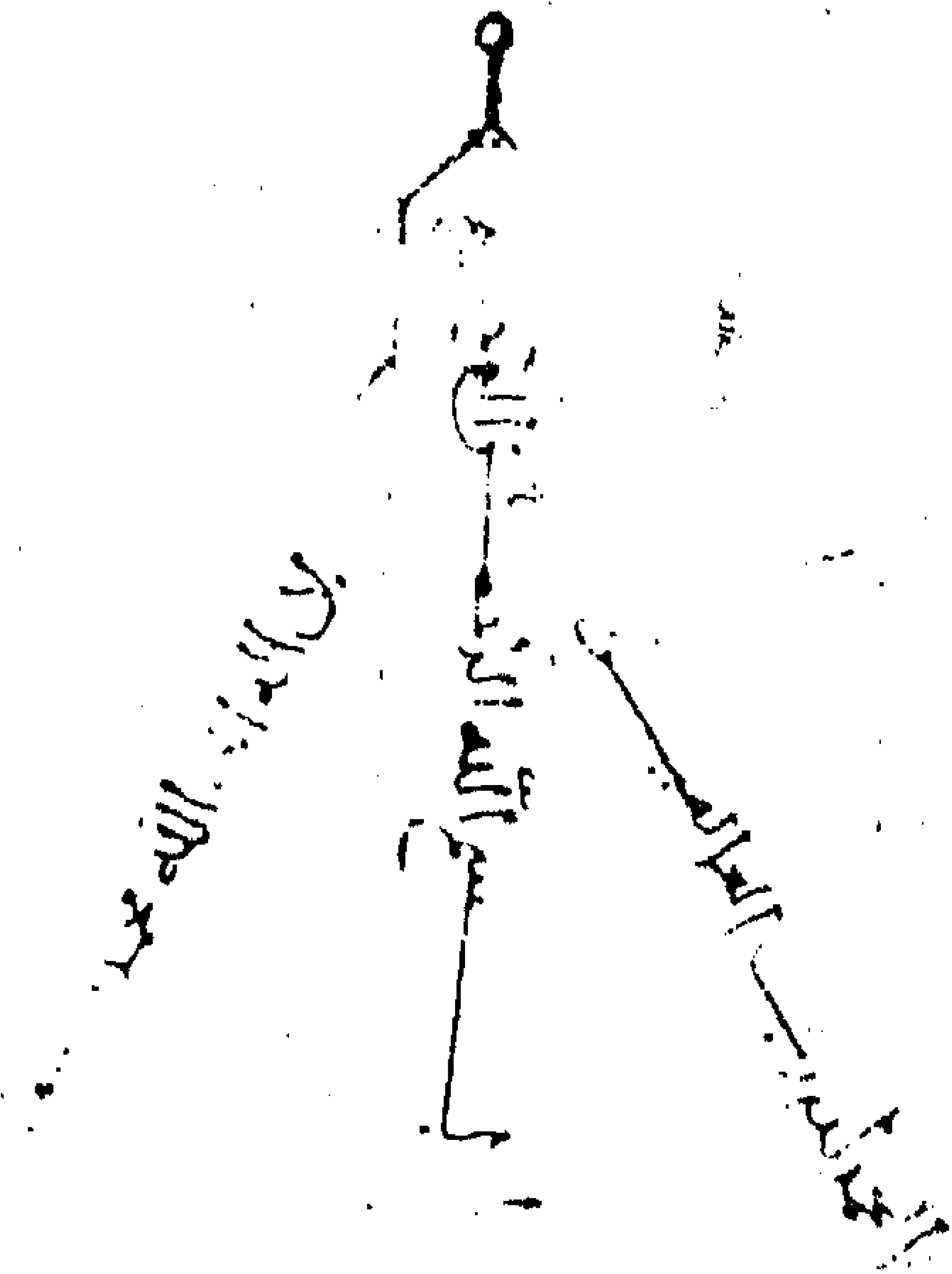
وكم حسود [illegible] ملاحة وكم [illegible] معيب
متى [illegible] السوء عندك [illegible] كذا ان يقول السوء [illegible]

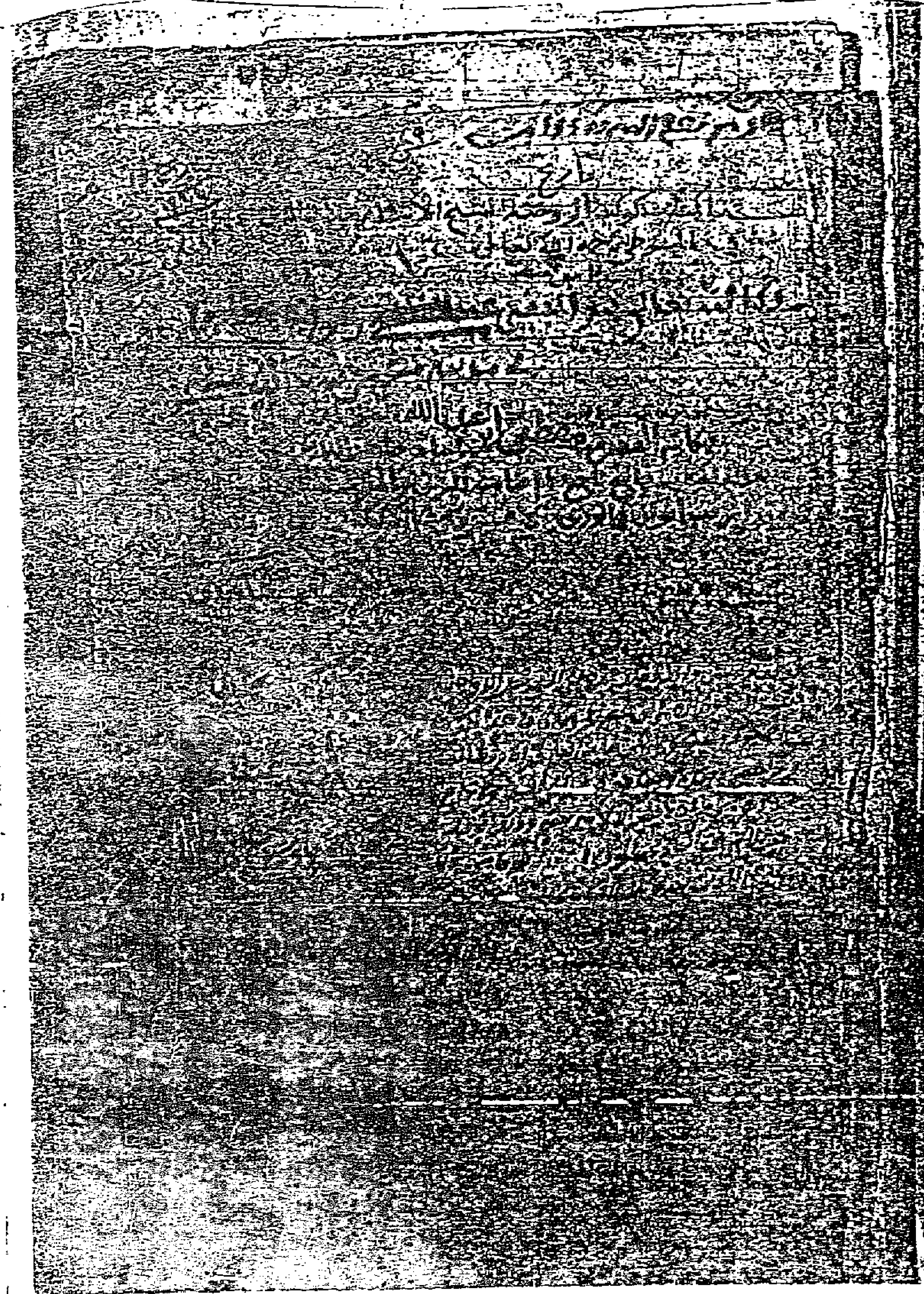
في المركب التي [illegible] الامام الشافعي رحمه الله تعالى
[illegible] الشافعي [illegible]
[illegible]
[illegible]

وكان الفراغ من تخليصه في يوم الاحد [illegible]
[illegible] وعشرين [illegible]
[illegible] الى [illegible]

وحرسه ونولاه ومن كل سوء وقاه وكفاه شر كل من عاداه وحفظ عليه
دينه ودنياه واولاده ومحبيه وجميع من والاه بجاه محمد
خير انبياه امين وذلك على يد افقر العباد
الى ربه تعالى الفقير عمر بن احمد بن عمر
الدمسيسي الخادم بزاوية
الاستاذ الحنفي غفر الله
له ولوالديه ولمن
طالع فيه ودعا له
بالمغفرة ولجميع
المسلمين
امين

الحمد لله [illegible]





النسخة ز

قسم التصوير

١٩٦٣

رقم المصور ٥٧ ف-ق

المكتبة برواق الشوام - الازهر

رقم المخطوط فيها - ٣٠٦

اسم الكتاب وموضوعه كوكب الروضة

اسم المؤلف عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي جلال الدين المتوفى ٩١١ هـ

تاريخ المخطوط ١٠١٦ هـ عدد الأوراق ١٩٧ القياس ١٨×٢٧ سم

الملاحظات مصور

WOMEN OF CHINA NUMBER 1, 1957

الي كما تحدث ان احب الالوان الى النبي صلى الله عليه وسلم الخضر اخرجه
البيهقي في شعب الايمان عن ابي سعيد الماليني عن ابن عدي به وقال
ابن السني اخبرني عمر بن حفص [illegible] تابعه [illegible] بن محمد
زباله حدثنا ابراهيم بن المنذر حدثنا ابن ابي فديك عن كثير بن عبد
الله المزني عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول
يا خضرة فقال لبيك اخرجه الطبراني في معجمه
حدثنا [illegible] سليمان النوفلي قال حدثنا ابراهيم بن
الحزامي به واخرجه ابو نعيم في الطب [illegible] ابو نعيم
محمد بن عبد الرحمن بن الفضل حدثنا محمد بن يحيى الزهري حدثنا
ابن عبد العزيز حدثنا عبد الرحيم حدثنا عمرو بن جميع حدثنا يحيى
سعيد عن محمد بن ابراهيم التيمي عن عائشة رضي الله عنها قالت كان
النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر الى الخضرة وقال الترمذي حدثنا
محمود بن غيلان حدثنا ابو داود حدثنا الحسن بن ابي جعفر عن ابي الزبير
عن ابي الطفيل عن معاذ بن جبل عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستحب
الصلاة في الحيطان قال ابو داود يعني البساتين قال الترمذي حديث
الا من حديث الحسن بن جعفر وقد ضعفه يحيى وغيره وابو الزبير اسمه محمد
وابو الطفيل اسمه عامر بن واثلة قلت وابو الطفيل صحابي ففي
الاسناد رواية صحابي عن صحابي وقال البخاري في الادب المفرد حدثنا
محمد بن الصباح حدثنا شريك عن المقدام بن شريح قال سالت عائشة عن البدو
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدو قالت نعم كان يبدو الى هذه
التلاع وقال البيهقي في شعب الايمان اخبرنا ابو عبد الله الحافظ ومحمد بن
موسى قالا حدثنا ابو العباس محمد بن يعقوب حدثنا [illegible]
حدثنا [illegible] عن هشام عن ابيه عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله
عليه وسلم [illegible] وقال البيهقي في شعب الايمان
اخبرنا ابو عبد الرحمن السلمي انا محمد بن [illegible] حدثنا عبد الرحمن [illegible]
حدثنا ابو يعلى [illegible] حدثنا [illegible] ابن ابي [illegible]
قال [illegible] لا يسعى للعاقل ان [illegible]
سلطان [illegible] عدل [illegible] وقال
الخطيب [illegible] اخبرنا الحسين بن محمد بن الحسن [illegible]

ابراهيم بن عبد الله بن ابراهيم الحلبي بحران قال حدثنا ابو ابراهيم
الحمصي قال بلغني ان المنصور [illegible] واقدم من قبل ملك الروم فقال
يا امير المؤمنين انك [illegible] احد كان من قبلك وفيه ثلاث
عيوب قال وما هي قال اما اول عيب فبعده من الماء ولا للناس من
الماء غنى واما العيب الثاني فان [illegible] الخضرة وليس
في [illegible] الصواب وجه [illegible]
[illegible] الى [illegible]
[illegible] العلاء [illegible] كان يقال لا تسكنوا بلدا ليس فيه [illegible]
[illegible] وطبيب [illegible] ولا [illegible]
[illegible] الى [illegible]
الى الخضرة [illegible] الزهري [illegible]
اخبرنا احمد بن محمد بن الوليد الازرقي حدثنا عطاف [illegible]
عن سعيد بن المسيب [illegible] عينيه [illegible] الى الخضرة
[illegible] الى الخضرة لو [illegible] وقال مالك في الموطا عن نافع
[illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم كان [illegible]
[illegible] وقال ابو بكر بن المقرئ [illegible]
[illegible] حدثنا محمد [illegible]
حدثنا [illegible] عن الزهري عن انس قال [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

النسخة ز

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله
سبحان خالق النضاره وفالق الازهاره وخالق الليل والنهاره ومزين الفضا
من الشمس بالنور وزين الكواكب بالنهار والحمد الذي انزل من السما ما
فاحيى به الارض بعد الموات واخرج به انواع كل شي من النبات وانزل
وانزل من الجنة [illegible] لاهل الارض [illegible] سيحون وجيحون والنيل والفرات
وجعل [illegible] الانهار [illegible] في القران والايات ووعد
الذين امنوا وعملوا الصالحات بروضات الجنات وبعث سيدنا محمد صلى
الله عليه وسلم [illegible] فضلا وشرفا [illegible] لقوم يعقلون واتبع
بالمعجزات الظاهرة لقوم يتفكرون فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات
فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا وكذبوا [illegible] فاولئك في
العذاب محضرون فصلى الله وسلم على هذا النبي الكريم صلاة دائمة
حين تمسون وحين تصبحون وعشيا وحين تظهرون وبعد فهذا مجموع
[illegible] بالروضة [illegible] الازهار وبدائع
الاشجار والاثمار [illegible] كوكب الروض [illegible]
[illegible] للادبا [illegible] الادب [illegible]
ذكر الاحاديث والاثار الواردة في النزهة
باب [illegible] حدثنا محمد بن [illegible] الوراق انبانا علي بن محمد [illegible]
انبانا [illegible] بن عبد الوهاب الخوارزمي انبانا يحيى بن ايوب [illegible]
[illegible] بن حرب عن مالك [illegible] عن طلحة بن مصرف عن نافع عن [illegible]
[illegible] قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث يجلون
البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجاري والى الوجه الحسن اخرجه الديلمي في
مسند الفردوس وقال الحافظ ابو بكر الخطيب اخبرني محمد بن احمد بن
[illegible] انبانا محمد بن [illegible] انبانا ابو بكر بن احمد بن هارون انبانا احمد بن [illegible]
[illegible] الرباني [illegible] يقول حدثنا جعفر بن محمد الصادق
عن ابيه [illegible] علي بن الحسين عن ابيه [illegible] علي بن ابي طالب رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث يزدن في قوة البصر النظر الى الخضرة
والى الماء الجاري والى الوجه الحسن اخرجه الديلمي في مسند الفردوس
[illegible] عبد الله بن [illegible] ابو شعيب وابو سعيد قلت
[illegible] حديث [illegible] الحافظ ابو بكر [illegible] كتاب

٢

الطب النبوي حدثنا احمد بن محمد بن اسماعيل الادمي حدثنا ابراهيم بن [illegible]
حدثنا الحسن بن عمرو السدوسي حدثنا القاسم بن [illegible] عن منصور بن صفية بنت شيبة
عن ابي سعيد عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر
الى الخضرة والى الماء الجاري والوجه الحسن قال وقال ابن عباس ثلاث يجلين
البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجاري والى الوجه الحسن اخرجه الحافظ ابو نعيم
في الطب النبوي قال حدثنا علي بن احمد حدثنا [illegible]
حدثنا [illegible] حديث بريدة [illegible]
حدثنا عبد الله بن احمد بن [illegible] حدثنا اسماعيل بن [illegible]
ابو هلال عن عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم النظر الى الخضرة يزيد في البصر والنظر الى الماء الجاري يزيد في البصر والنظر الى
الوجه الحسن اخرجه ابو نعيم [illegible] حديث عائشة قال الحافظ
ابو نعيم الاصبهاني في الطب النبوي حدثنا محمد بن احمد بن [illegible] حدثنا
[illegible] حدثنا سليمان بن عمرو النخعي عن منصور بن [illegible]
الحجبي عن امه صفية بنت شيبة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم [illegible] النظر الى الماء الجاري والنظر الى الخضرة
والنظر الى الوجه الحسن [illegible]
[illegible] الماء والخضرة والوجه الحسن
حديث جابر قال ابو نعيم حدثنا ابي رحمه الله تعالى حدثنا ابو جعفر احمد
[illegible] الاصبهاني ح وحدثنا [illegible]
[illegible] حدثنا ابراهيم بن حبيب [illegible] حدثنا جعفر بن محمد
عن ابيه عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
كان احب الالوان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم [illegible]
[illegible]
حدثنا عبد الله بن محمد [illegible]
[illegible]
[illegible]

سكان كلنا به • وكونه اطلع البدري

وقال ابن ساته في البراغيث سماها انانا

اذا البراغيث مانت نسبي • بات اخي الدجى تكاوانانا
فلو رأيتهم يجرجون دمي • رأيت الرحلون لهم عدوانا
محوا ابا سط عنوان الصحيفة • بطعم الليل نسيبا وقرانا

وقال البرا ...

من ترى منقذي • يا قوم او من حجى
من ذباب وبراغيث • وناموس و بق
كلما اشكت حسمي • الى غرب وشرق
لسرى من جهاتي • احكك كل حلقي
وتساقوا من دمي كأساه • اذا راوها سترق
مزقوا ان عرسعوا • ثوبا اصطبار لي مزق
وسوا لما انتشوا • ما بين كتفي و عنقي
فالبراغيث لها رقص • ولكن بطرق
وكذا الناموس يحكي • صورته بمزمار يبق
وخصاري مع ذباب • فاذاي لا سيبقي
يترامى نحو جسمي • والى نحوي سدقي
واذا رمت طعاما • سابقوني اي سبق
ثم قاسوا عوضه كم • فيه من عرض وعمق
اتوا اهم و لكن • ليس يجري لي الوفق
ليت اني قبل هذا • مت او لم يك خلقي
كيف احتال و كل • منهم طالب رزقي
وسع الله عليهم • في شيء من خلقي

وكم ما قيل في دار الخراب والبيت المتهدم ...

ايها المولى الذي • في الاجاجي هو ثبته
قل لنا ما شئت نصف • الذي حال سنه

وقال ابن نباته

له بيت طريق مثل عمتصر • يحصد فيه الكرم الغرب
لما الذي سببه • فقارنت لغيري دار الحرب

١٩٧

وقال ابن ناهر

لقد اسعد الله رأي الذي • بني محمد اوصمة فلوحب
لنار النحاس به علمه • بنار الخاص لكن اظل التبت
ومن الاحرق منه الكتاب • ومن قلت قبه
كأني الكوكب المندي • دعت ساكن به عنقر بره
الناطقه المشهد عكي • من مثلها لنقصه وحيره

تمت هذه الرسالة المولية في بيان ... وعليه من خط مولفه ... عفى الله عنه ... وحرمة سادسة من ... بحمد الله ... امين

ثم علقه لنفسه ابن الفانية العبد الفقير الحقير المقصر
المذنب الخطئ المعترف بالعجز والتقصير الراجي عفو ربه القدير
عبد السلام بن الشيخ عمر بن جمال الدين ابن بدر الدين
ابن بدر الدين محمد الشهير بابن الصيرفي المنوفي
الشافعي الازهري غفر الله له ولوالديه
ولجميع المسلمين امين وكان
الفراغ من كتابته يوم
الجمعة المبارك خامس
عشر صفر الخير من
شهور سنة
اثنى وخمسين
بعد الالف
من الهجرة
النبوية على
صاحبها افضل الصلاة
والسلام

وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه
وسلم تسليما دايما ابدا
امين امين امين

ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

وان تجد عيبا فسد الخللا
جل من لا عيب فيه وعلا

تعريف بالمخطوط ومنهج تحقيقه

بالرغم من تعدد نسخ مخطوط كوكب الروضة للسيوطى فى مصر والشام وأوروبا إلا أن هذا هو أول تحقيق ونشر له، وأقول إن إهمال تحقيقه حتى الآن ربما يرجع إلى أن السيوطى قد ملأه بالآداب والأشعار ولهذا جاءت جميع النسخ مليئة بالتحريف والتصحيف حيث أن النسخ المخطوطة بمصر جميعها ليس منها نسخة تنسب إلى السيوطى نفسه أو إلى زمن قرب منه إذ أن أقدم نسخة من النسخ السبعة التى اعتمدت عليها فى التحقيق ترجع إلى سنة ١٠٠٩هـ أى بعد وفاة السيوطى بقرن.

وجميع النسخ تتساوى فى التحريف والتصحيف والأخطاء، والنسخ السبعة التى اعتمدت عليها فى التحقيق هى:

١ ـ النسخة رقم ٢٦٤ (تاريخ) المحفوظة فى دار الكتب المصرية (ميكروفيلم رقم ٣٥٤٠٣)، وهى تقع فى ١٧٤ ورقة بخط نسخ معتاد وتاريخ انتهاء نسخها يوم الخميس ٦ شوال ١٠٠٩هـ، وناسخها هو محمد بن نعيم بن محمد شرف الدين البلبيسى الحنفى، عن نسخة بخط تلميذ السيوطى شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداودى، ونرمز لها بحرف (أ).

٢ ـ النسخة رقم ٢٦٣ تاريخ المحفوظة بدار الكتب المصرية (ميكروفيلم رقم ٣٤٧٢٠) وتقع فى ٢٧١ ورقة، وتاريخ نسخها ١٠٦٦هـ، ونرمز لها بالحرف (ب).

٣ ـ النسخة رقم ٣٠٦ تاريخ المحفوظة برواق الشوام بالأزهر، وناسخها عبدالسلام بن الشيخ عمر بن جمال الدين الشهير بابن الصيرفى المنوفى، نقلها من نسخة محمد بن على الداودى تلميذ السيوطى، وفرغ ابن الصيرفى من نسخها يوم الجمعة ٥ صفر ١٠١٦هـ، وهى فى ١٩٧ ورقة، ومسطراتها ٢٩ سطراً، ونرمز لها بالحرف (جـ).

٤ ـ النسخة رقم ٥٠٣٧ تاريخ المحفوظة بدار الكتب المصرية (ميكروفيلم رقم ١٦٧٤)، وناسخها عمر بن أحمد بن عمر الدمسيسى، وقد فرغ منها سنة ١٠٢٢هـ، وهى تقع فى ١٨٨ ورقة، ومسطرتها ٣١ سطراً ونرمز لها بالحرف (د).

٥ ـ النسخة رقم ٥٥٤ تاريخ تيمور المحفوظة بدار الكتب المصرية (ميكروفيلم رقم ٥٠٩٤٩) وتقع في ١٧٠ ورقة، وقد نسخها عبدالسلام سراج الدين وتاريخها ١٠٢٤هـ، ونرمز لها بالحرف (هـ).

٦ ـ النسخة رقم ٢٦٤ تاريخ المحفوظة بدار الكتب المصرية وتقع في ١٧٤ ورقة، وقد نسخها حسن باشا وفرغ محمد كتابتها في ١١ شوال سنة ١٢٧٢هـ، ونرمز لها بالحرف (ز).

٧ ـ النسخة رقم ١٢٠٥ تاريخ تيمور المحفوظة بدار الكتب المصرية (ميكروفيلم ١٣٣٨٥) وهي ناقصة ورقة من أولها وناقصة ثلثها الأخير ونرمز لها بالحرف (ح).

وقد حاولت أن أثبت في المتن أصح كتابة له بالمقارنة بين النسخ كلها، وعملت في تحقيق ذلك على الرجوع إلى المصادر الأصلية التي استقى منها السيوطي موضوع كتابه، ولما كان المخطوط يحوي العديد من الأشعار فقد أثبت أيضا الألفاظ المختلفة في نسخ المخطوط والتي تتماشى مع الموضوع دون أن يكون هناك خلل في المعنى إذ تتحمل ألفاظ الشعر العديد من القراءات.

موضوع الكتاب

موضوع الكتاب فريد فى نوعه بالنسبة للمؤلفات التاريخية، إذ أنه يتكلم فى موضوع نوعى واحد وهو تاريخ جزيرة الروضة التى تتوسط نيل القاهرة إلى جانب تاريخ نهر النيل كله بصفة عامة، وقد جمع السيوطى فيه كل ما كتبه المؤلفون قبله فى هذا الموضوع ولهذا جاء الكتاب فى هذا الحجم الكبير.

إلا أن ما آخذه على السيوطى فى هذا الكتاب هو قلة ما ابتكره السيوطى نفسه فى موضوع الكتاب، فهو لم يتكلم عن جزيرة الروضة فى زمنه إلا فى مواضع قليلة منها على سبيل المثال عندما تكلم عن جامع السلطان قايتباى بالروضة والذى كان السيوطى معاصراً لإنشائه، وكان من الممكن أن يعطينا السيوطى صورة وافية عن جزيرة الروضة أيامه من حيث الأنشطة الإنسانية ومظاهر التنزه والاحتفالات بها والحالة العمرانية التى كانت عليها الجزيرة أيامه وأهم أعيانها وخصوصا أن السيوطى كان ساكنًا بالجزيرة؛ ولكن ربما نلتمس له العذر فى ذلك من حيث غلبة النشاط الزراعى على جزيرة الروضة وليس أدل على ذلك من انقطاع الجسرين اللذين يصلان الجزيرة بكل من مصر القديمة والجيزة.

ونظراً لأن السيوطى كاتب موسوعى فقد حشد فى موضوع كتابة أجزاء كبيرة لا تمت بصلة كبيرة بموضوع كتابه وكان من الممكن اختصار حجم الكتاب إلى ثلث ما هو عليه، فكمية أدب من شعر ونثر ذات مساحة كبيرة ربما تشتت القارئ عن الموضوع الأصلى للكتاب إلا إن لها بعض الفائدة، إذ تعطينا فكرة عامة عن الأدب ومناخه العام فى العصر المملوكى.

تعريف بالمؤلف:

ترجم السيوطى لنفسه فى كتابه حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة فقال:

ترجمة مؤلف هذا الكتاب عبدالرحمن بن الكمال أبى بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبى الصلاح أيّوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين الهمام الخضيريّ الأسيوطيّ.

وإنّما ذكرتُ ترجمتى فى هذا الكتاب اقتداءً بالمحدِّثين قبلى، فقلّ أن ألف أحد منهم تاريخًا إلا وذكر ترجمته فيه؛ وممن وقع له ذلك الإمام عبدالغافر الفارسى فى تاريخ نيسابور، وياقوت الحموى فى معجم الأدباء، ولسان الدين بن الخطيب فى تاريخ غرناطة، والحافظ تقى الدين الفارسى فى تاريخ مكة، والحافظ أبو الفضل بن حجر فى قضاة مصر، وأبو شامة فى الروضين؛ وهو أروعهم وأزهدهم، فأقول:

أما جدى الأعلى همام الدين؛ فكان من أهل الحقيقة، ومن مشايخ الطريق، وسيأتى ذكره فى قسم الصوفية، ومن دونه كانوا من أهل الوجاهة والرئاسة؛ منهم من ولى الحكم ببلده، ومنهم من ولى الحسبة بها، ومنهم من كان تاجرًا فى صحبة الأمير شيخون، وبنى مدرسة بأسيوط، ووقف عليها أوقافًا، ومنهم من كان متمولا، ولا أعرف منهم من خدم العلم حق الخدمة إلا والدى، وسيأتى ذكره فى قسم الفقهاء الشافعية.

وأما نسبتنا بالخضيرىّ، فلا أعلم ماتكون إليه هذه النسبة إلاّ الخضيريّة، مَحلّة ببغداد؛ وقد حدثنى من أثق به، أنّه سمع والدى رحمه الله تعالى يذكر أن جده الأعلى كانَ أعجميًا أو من الشرق؛ فالظاهر أن النسبة إلى المحلّة المذكورة، وكان مولدى بعد المغرب ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة.

وحملت فى حياة أبى إلى الشيخ محمد المجذوب، رجل كان من كبار الأولياء بجوار المشهد النفيسى، فبرك علىّ، ونشأتُ يتيما، فحفظت القرآن ولى دون ثمانى سنين، ثمّ حفظت العمدة، ومنهاج الفقه والأصول، وألفية ابن مالك؛ وشرعت فى الاشتغال بالعلم، من مستهل سنة أربع وستّين (وثمانمائة)، فأخذت الفقه والنحو عن جماعة من الشيوخ، وأخذت الفرائض عن العلامة فرضى زمانه الشيخ شهاب الدين الشار مساحىّ الذى كان يقال إنّه بلغ السنّ العالية وجاوز المائة بكثير، والله أعلم بذلك؛ قرأت عليه فى شرحه على المجموع، وأُجزتُ بتدريس العربية فى مستهلّ سنة ست وستين وثمانمائة.

وقد ألفت فى هذه السنة، فكان أول شىء ألفته شرح الاستعاذة والبسلمة، وأوقفت عليه شيخنا شيخ الإسلام علم الدين البلقينى، فكتب عليه تقريظًا، ولازمته فى الفقه إلى أن مات؛ فلازمت ولده، فقرأت عليه من أول التدريب لوالده إلى الوكالة، وسمعت عليه من أول الحاوى الصغير إلى العدد، ومن أول المنهاج إلى الزكاة، ومن أوّل التنبيه إلى قريب من باب الزكاة، وقطعة من الرّوضة من باب القضاء، وقطعة من تكملة شرح المنهاج للزركشى؛ ومن إحياء الموات إلى الوصايا أو نحوها. وأجازنى بالتدريس والإفتاء من سنة ست وسبعين (وثمانمائة)، وحضر تصديرى.

فلما توفى سنة ثمان وسبعين (وثمانمائة) لزمت شيخ الإسلام شرف الدين المناوى. فقرأتُ عليه قطعة من المنهاج، وسمعته عليه فى التقسيم إلا مجالس فاتتنى، وسمعت دروسا من شرح البهجة، ومن حاشية عليها، ومن تفسير البيضاوى.

ولزمت فى الحديث والعربية شيخنا الإمام العلامة تقى الدين الشبلى الحنفى، فواظبته أربع سنين، وكتب لى تقريظا على شرح ألفية ابن مالك وعلى جمع الجوامع فى العربية تأليفى، وشهد لى غير مرّة بالتقدّم فى العلوم بلسانه وبنانه، ورجع إلى قولى مجرّدًا فى حديث؛ فإنّه أورد فى حاشيته على الشفاء حديث أبى الجمرا فى الإسراء، وعزاه إلى تخريج ابن ماجة، فاحتجت إلى إيراده بسنده، فكشفت ابن ماجة فى مظنته، فلم أجده، فمررت على الكتاب كله، فلم أجده، فاتهمت نظرى، فمررت مرة ثانية فلم أجده، فعدت ثالثة فلم أجده؛ ورأيته فى معجم الصحابة لابن قانع، فجئت إلى الشيخ وأخبرته، فبمجرد ما سمع منى ذلك أخذ نسخته، وأخذ القلم فضرب على لفظ ابن ماجة، وألحق ابن قانع فى الحاشية؛ فأعظمت ذلك وهبته لعظم منزلة الشيخ فى قلبى، واحتقارى فى نفسى، فقلت: ألا تصبرون، لعلكم تراجعون؟! فقال: لا، إنما قلدت فى قولى ابن ماجة البرهان الحلبى. ولم أنفك عن الشيخ إلى أن مات.

ولزمت شيخنا العلامة أستاذ الوجود محيى الدين الكافيجى أربع عشرة سنة؛ فأخذت عنه الفنون من التفسير والأصول والعربية والمعانى وغير ذلك؛ وكتب لى إجازة عظيمة.

وحضرت عند الشيخ سيف الدين الحنفى دروسًا عديدة فى الكشّاف والتوضيح وحاشيته عليه، وتلخيص المفتاح، والعضد.

وشرعت فى التصنيف فى سنة ست وستين (وثمانمائة)، وبلغت مؤلفاتى إلى الآن ثلاثمائة كتاب سوى ما غسلته ورجعت عنه.

وسافرت بحمد الله تعالى إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب والتّكرور(١)، ولما حججت شربت من ماء زمزم، لأمور؛ منها أن أصل فى الفقه إلى رتبة الشيخ سراج الدين البلقينى، وفى الحديث إلى رتبة الحافظ ابن حجر.

وأفتيت من مستهل سنة إحدى وسبعين وثمانمائة.

وعقدت إملاء الحديث من مستهل سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة.

---

(١) التكرور: بلاد تنسب إلى قبيل من السودان فى أقصى جنوب المغرب [معجم البلدان].

وززقت التبحّر فى سبعة علوم: التفسير، والحديث، والفقه، والنحو، والمعانى، والبيان، والبديع؛ على طريقة العرب والبُلغاء، لا على طريقة العجم وأهل الفلسفة. والذى أعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم السبعة سوى الفقه والنّقول التى اطلعت عليها فيها، لم يصل إليه ولا وقف عليه أحد من أشياخى؛ فضلا عمن هو دونهم، وأما الفقه فلا أقول ذلك فيه؛ بل شيخى فيه أوسع نظرًا، وأطول باعًا؛ ودون هذه السبعة فى المعرفة: أصول الفقه والجدل والتصريف، ودونها الإنشاء والتوسل والفرائض، ودونها القراءات، ولم آخذها عن شيخ، ودونها الطب، وأما علم الحساب فهو أعسر شىء علىّ وأبعده عن ذهنى؛ وإذا نظرت فى مسألة تتعلق به، فكأنما أحاول جبلا أحمله.

وقد كملت عندى الآن آلات الجهاد بحمد الله تعالى؛ أقول ذلك تحدثا بنعمة الله تعالى لا فخرًا؛ وأى شىء فى الدنيا حتى يطلب تحصيلها بالفخر، وقد أزف الرحيل، وبدا الشيب، وذهب أطيب العمر! ولو شئت أن أكتب فى كل مسألة مصنفا بأقوالها وأدلتها النقلية والقياسية، ومداركها ونقوضها وأجوبتها، والموازنة بين اختلاف المذاهب فيها لقدرت على ذلك من فضل الله، لا بحولى ولا بقوتى، فلا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء الله، لا قوة إلا بالله.

وقد كنت فى مبادئ الطلب قرأت شيئا فى علم المنطق، ثم ألقى الله كراهته فى قلبى. وسمعت أن ابن الصلاح أفتى بتحريمه فتركته لذلك، فعوضنى الله تعالى عنه علم الحديث الذى هو أشرف العلوم.

وأما مشايخى فى الرواية سماعًا وإجازة فكثير؛ أوردتهم فى المعجم الذى جمعتهم فيه، وعدّتهم نحو مائة وخمسين؛ ولم أكثر من سماع الرواية لاشتغالى بما هو أهم وهو قراءة الدراية.

وهذه أسماء مصنّفاتى لتستفاد:

فن التفسير وتعلقاته والقراءات: الإتقان فى علوم القرآن، الدرّ المنثور فى التفسير المأثور. ترجمان القرآن فى التفسير. المسند، أسرار التنزيل يسمى قطف الأزهار فى كشف الأسرار، لباب النقول فى أسباب النزول، مفحمات الأقران فى مبهمات القرآن، المهذب فيما وقع فى القرآن من المعَرّب، الإكليل فى استنباط التنزيل، تكملة تفسير الشيخ جلال الدين المحلى، التحبير فى علوم التفسير، حاشية على تفسير البيضاوى، تناسق الدرر فى تناسب السور، مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع، مجمع البحرين ومطلع البدرين فى التفسير، مفاتح الغيب فى التفسير، الأزهار الفائحة على الفاتحة، شرح الاستعاذة والبسملة، الكلام على أوّل

الفتح، وهو تصدير ألفيته لما باشرتُ التدريس بجامع شيخون بحضرة شيخنا البلقينى، شرح الشاطبية، الألفية فى القراءات العشر، خمائل الزهر فى فضائل السور، فتح الجليل للعبد الذليل فى الأنواع البديعية المستخرجة من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [البقرة: ٢٥٧] الآية، وعدّتها مائة وعشرون نوعًا، القول الفصيح فى تعيين الذبيح، اليد البسطى فى الصلاة الوسطى، معترك الأقران فى مشترك القرآن.

فن الحديث وتعلقاته: كشف المغطى فى شرح الموطّأ، إسعاف المبطا برجال الموطا، التوشيح على الجامع الصحيح، الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، مرقاة الصعود إلى سنن أبى داود، شرح ابن ماجة، تدريب الراوى فى شرح تقريب النووى، شرح ألفية العراقى، الألفية وتسمّى نظم الدرر فى علم الأثر وشرحها يسمى قطر الدرر، التهذيب فى الزوائد على التقريب، عين الإصابة فى معرفة الصحابة، كشف التلبيس عن قلب أهل التدليس، توضيح المدرك فى تصحيح المستدرك، اللآلى المصنوعة فى الأحاديث الموضوعة، النكت البديعات على الموضوعات، الذيل على القول المسدد، القول الحسن فى الذبّ عن السنن، لب اللّباب فى تحرير الأنساب، تقريب العزيب، المدرج إلى المدرج، تذكرة المؤتسى بمن حدث ونسى، تحفة النابه بتلخيص المتشابه، الروض المكلل والورد المعلل فى المصطلح، منتهى الآمال فى شرح حديث إنما الأعمال، المعجزات والخصائص النبوية، شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، البدور السافرة عن أمور الآخرة، ما رواه الواعون فى أخبار الطاعون، فضل موت الأولاد، خصائص يوم الجمعة، منهاج السنّة، ومفتاح الجنة، تمهيد الفرش فى الخصال الموجبة لظل العرش، بزوغ الهلال فى الخصال الموجبة للظلال، مفتاح الجنة فى الاعتصام بالسنة، مطلع البدرين فيمن يؤتى أجرين، سهام الإصابة فى الدعوات المجابة، الكلم الطيب، القول المختار فى المأثور من الدعوات والأذكار، أذكار الأذكار، الطبّ النبوىّ، كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة، الفوائد الكامنة فى إيمان السيدة آمنة، ويسمى أيضا التعظيم والمنة فى أن أبوى النبى ﷺ فى الجنة، المسلسلات الكبرى، جياد المسلسلات، أبواب السعادة فى أسباب الشهادة، أخبار الملائكة، الثغور الباسمة فى مناقب السيدة آمنة، مناهج الصفا فى تخريج أحاديث الشفا، الأساس فى مناقب بنى العباس، در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة، زوائد شعب الإيمان للبيهقى، لم الأطراف وضم الأتراف، أطراف الأشراف بالإشراف على الأطراف، جامع المسانيد، الفوائد المتكاثرة فى الأخبار المتواترة، الأزهار المتناثرة فى الأخبار المتواترة، تخريج أحاديث الدرّة الفاخرة، تخريج أحاديث الكفاية يسمى تجربة العناية، الحصر والإشاعة لأشراط الساعة، الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة، زوائد الرجال على تهذيب الكمال،

الدرّ المنظم فى الاسم المعظم، جزء فى الصلاة على النبى ﷺ، من عاش من الصحابة مائة وعشرين، جزء فى أسماء المدلسين، اللمع فى أسماء من وضع، الأربعون المتباينة، درر البحار فى الأحاديث القصار، الرياضة الأنيقة فى شرح أسماء خير الخليقة، المرقاة العلية فى شرح الأسماء النبوية، الآية الكبرى فى شرح قصة الإسراء، أربعون حديثا من رواية مالك عن نافع عن ابن عمر، فهرست المرويات، بغية الرائد فى الذيل على مجمع الزوائد، أزهار الآكام فى أخبار الأحكام، الهبة السنية فى الهيئة السنية، تخريج أحاديث شرح العقائد، فضل الجلد، الكلام على حديث ابن عباس: «احفظ الله يحفظك»، هو تصدير ألقيته لما وليت درس الحديث بالشيخونية، أربعون حديثا فى فضل الجهاد، أربعون حديثا فى رفع اليدين فى الدعاء، التعريف بآداب التأليف، العشاريات، القول الأشبه فى حديث: «من عرف نفسه فقد عرف ربه»، كشف النقاب عن الألقاب، نشر العبير فى تخريج أحاديث الشرح الكبير، من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة، ذم زيارة الأمراء، زوائد نوادر الأصول للحكيم الترمذى، تخريج أحاديث الصحاح يسمى فلق الصباح، ذم المكس، آداب الملوك.

فنّ الفقه وتعلقاته: الأزهار الغضّة فى حواشى الروضة، الحواشى الصغرى، مختصر الروضة يسمى القنية، مختصر التنبيه، يسمى الوافى، شرح التنبيه، الأشباه والنظائر، اللوامع والبوارق فى الجوامع والفوارق، نظم الروضة يسمى الخلاصة، شرحه يسمى رفع الخصاصة، الورقات المقدمة، شرح الروض، حاشية على القطعة للإسنوى، العذب السلسل فى تصحيح الخلاف المرسل، جمع الجوامع، الينبوع فيما زاد على الروضة من الفروع، مختصر الخادم؛ يسمى تحصين الخادم، تشنيف الأسماع بمسائل الإجماع، شرح التدريب، الكافى، زوائد المهذب على الوافى، الجامع فى الفرائض، شرح الرحبيّة فى الفرائض، مختصر الأحكام السلطانية للماوردىّ.

الأجزاء المفردة فى مسائل مخصوصة على تريب الأبواب: الظفر بقلم الظفر، الاقتناص فى مسألة التّماصّى، المستطرفة فى أحكام دخول الحشفة، السلالة فى تحقيق المقر والاستحالة، الروض الأريض فى طهر المحيض، بذل العسجد لسؤال المسجد، الجواب الحزم عن حديث التكبير جزم، القذاذة فى تحقيق محل الاستعاذة، ميزان المعدلة فى شأن البسملة، جزء فى صلاة الضحى، المصابيح فى صلاة التراويح، بسط الكف فى إتمام الصف، اللمعة فى تحقيق الركعة لإدراك الجمعة، وصول الأمانى بأصول التهانى، بلغة المحتاج فى مناسك الحاج، السّلاف فى التفصيل بين الصلاة والطواف، شدّ الأثواب فى سد الأبواب فى المسجد النبوى، قطع المجادلة عند تغيير المعاملة، إزالة الوهن عن مسألة الرهن، بذل الهمة فى طلب براءة الذمة، الإنصاف

فى تمييز الأوقاف، أنموذج اللبيب فى خصائص الحبيب، الزهر الباسم فيما يزوج فيه الحاكم، القول المضى فى الحنث فى المضى، القول المشرق فى تحريم الاشتغال بالمنطق، فصل الكلام فى ذم الكلام، جزيل المواهب فى اختلاف المذاهب، تقرير الإسناد فى تيسير الاجتهاد، رفع منار الدين وهدم بناء المفسدين، تنزيه الأنبياء عن تسفيه الأغبياء، ذم القضاء، فضل الكلام فى حكم السلام، نتيجة الفكر فى الجهر بالذكر، طى اللسان عن ذم الطيلسان، تنوير الحلك فى إمكان رؤية النبى والملك، أدب الفتيا، إلقام الحجر لمن زكى سباب أبى بكر وعمر، الجواب الحاتم عن سؤال الخاتم، الحجج المبينة فى التفضيل بين مكة والمدينة، فتح المغالق من أنت طالق، فصل الخطاب فى قتل الكلاب، سيف النظار فى الفرق بين الثبوت والتكرار.

فن العربية وتعلقاته: شرح ألفية ابن مالك، يسمى البهجة المضية فى شرح الألفية؛ الفريدة فى النحو والتصريف والخط، النكت على الألفية والكافية والشافية والشذور والنزهة، الفتح القريب على مغنى اللبيب، شرح شواهد المغنى، جمع الجوامع، شرحه يسمى همع الهوامع، شرح الملحة، مختصر الملحة، مختصر الألفية ودقائقها، الأخبار المروية فى سبب وضع العربية، المصاعد العلية فى القواعد النحوية، الاقتراح فى أصول النحو وجدله، رفع السنة فى نصب الزنة، الشمعة المضيئة، شرح كافية ابن مالك، در التاج فى إعراب مشكل المنهاج، مسألة ضربى زيدًا قائمًا، السلسلة الموشحة، الشهد، شذا العرف فى إثبات المعنى للحرف، التوشيح على التوضيح، السيف الصقيل فى حواشى ابن عقيل، حاشية على شرح الشذور، شرح القصيدة الكافية فى التصريف، قطر الندا فى ورود الهمزة للندا، شرح تصريف العزى، شرح ضرورى التصريف لابن مالك، تعريف الأعجم بحروف المعجم، نكت على شرح الشواهد للعينى، فجر الثمد فى إعراب أكمل الحمد، الزند الورىّ فى الجواب عن السؤال السكندرى.

فن الأصول والبيان والتصوف: شرح لمعة الإشراق فى الاشتقاق، الكوكب الساطع فى نظم جمع الجوامع، شرحه، شرح الكوكب الوقاد فى الاعتقاد، نكت على التلخيص يسمى الإفصاح، عقود الجمان فى المعانى والبيان، شرحه؛ شرح أبيات تلخيص المفتاح، مختصره؛ نكت على حاشية المطول لابن الفنرى رحمه الله تعالى، حاشية على المختصر، البديعية، شرحها؛ تأييد الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية، تشييد الأركان فى ليس فى الإمكان أبدع مما كان، درج المعالى فى نصرة الغزالى على المنكر المتغالى، الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد والنجباء والأبدال، مختصر الإحياء، المعانى الدقيقة فى إدراك الحقيقة، النقاية فى أربعة عشر علمًا، شرحها؛ شوارد الفوائد، قلائد الفرائد، نظم التذكرة، ويسمى الفلك المشحون. الجمع والتفريق فى الأنواع البديعية.

فن التاريخ والأدب: تاريخ الصحابة وقد مر ذكره، طبقات الحفاظ، طبقات النحاة: الكبرى والوسطى والصغرى، طبقات المفسرين، طبقات الأصوليين، طبقات الكتاب، حلية الأولياء، طبقات شعراء العرب، تاريخ الخلفاء، تاريخ مصر هذا، تاريخ سيوط، معجم شيوخي الكبير يسمى حاطب ليل وجارف سيل، المعجم الصغير يسمى المنتقى؛ ترجمة النووى، ترجمة البلقينى؛ الملتقط من الدرر الكامنة، تاريخ العمر، وهو ذيل على إنباء الغمر؛ رفع الباس عن بنى العباس، النفحة المسكية والتحفة المكية، على نمط عنوان الشرف؛ درر الكلم وغرر الحكم؛ ديوان خطب؛ ديوان شعر؛ المقامات؛ الرحلة الفيومية؛ الرحلة المكية؛ الرحلة الدمياطية، الرسائل إلى معرفة الأوائل، مختصر معجم البلدان، ياقوت الشماريخ فى علم التاريخ، الجمانة، رسالة فى تفسير ألفاظ متداولة، مقاطع الحجاز، نور الحديقة من نظم القول، المجمل فى الردّ على المهمل، المنى فى الكنى، فضل الشتاء، مختصر تهذيب الأسماء للنووى، الأجوبة الزكية عن الألغاز السبكية، رفع شأن الحبشان، أحاسن الأقباس فى محاسن الاقتباس، تحفة المذاكر فى المنتقى من تاريخ ابن عساكر، شرح بانت سعاد، تحفة الظرفاء بأسماء الخلفاء، قصيدة رائية، مختصر شفاء الغليل فى ذم الصاحب والخليل.

* * *

وكانت وفاة السيوطى يوم الخميس ٩ من جمادى الأولى سنة ٩١١هـ ودفن فى قبة مواجهة لجامع الغورى بميدان السيدة عائشة بالقاهرة وعرفت الجبانة هناك من يومئذ باسم جبانة أو قرافة السيوطى جنوبى القلعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

سبحان الله فاتق الأنهار، وفالق الأزهار، وخالق الليل والنهار، ومزين الخضراء[1] من الشمس بالورد ومن الكواكب بالبهار[2]، والحمد لله الذى أنزل من السماء ماء فأحيى به الأرض بعد الممات، وأخرج به أنواع كل شيء من النبات، وأنزل من الجنة رحمة لأهل الأرض ومنافع سيحون وجيحون[3] والنيل والفرات، وجعل النيل سيد الأنهار وأطولها مسافة في العمران والموات، ووعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات بروضات الجنات، وبعث سيدنا محمد ﷺ هاديًا لقوم يذكرون، وأيده بالمعجزات القطعية لقوم يفترون[4]، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ۝١٥ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾[5] فصلى اللّٰه على هذا النبى الكريم والرسول العظيم صلاة دائمة حين تمسون وحين تصبحون وعشيا وحين تظهرون.

وبعد: فهذا مجموع[6] حسن فى تاريخ جزيرة مصر المسماة بالروضة، يشتمل على روائع الأخبار، وبدائع الأسجاع والأشعار، سميته «كوكب الروضة» أخذاً من قول المصنف صاحب الصحاح:[7] كوكب الروضة نورها، وأشرقت فيه للأدباء عقائق الأداب بلورها.

---

(١) الخضراء: السماء.

(٢) النهار في (أ)، (د).

(*) البهار: كل شيء حسن منير.

(٣) سيحون وجيحون نهران يجريان فى جمهورية قرغيزيا حاليا إحدى الجمهوريات السوفيتية السابقة.

(٤) يفترون = يعتبرون فى جـ.

(٥) سورة الروم الآيتان ١٤، ١٥.

(٦) مجموع = تاريخ فى جـ.

(٧) هو محمد بن أبى بكر بن عبد القادر الرازى صاحب مختار الصحاح فى اللغة الذى فرغ من تأليفه ليلة أول رمضان سنة ٦٦٠هـ، وله عدة كتب أخرى منها «شرح المقامات الحريرية»، و«حدائق الحقائق فى التصوف»، و«أنموذج جليل فى أسئلة وأجوبة من غرائب أى التنزيل»، و«الذهب الإبريز فى تفسير كتاب العزيز»، «وروضة الفصاحة فى علم البيان»، مات بعد سنة ٦٦٦ هـ/١٢٦٨م.
انظر الأعلام ٦/ ٢٧٩.

ذكر الأحاديث والآثار الواردة فى النزهة

قال الحاكم فى المستدرك وفى تاريخ نيسابور: حدثنا محمد بن حمدون الوراق. حدثنا على بن محمد القبلى[1] حدثنا عبدالله بن عبدالوهاب الخوارزمى. حدثنا يحيى بن أيوب المقابرى[2]. حدثنا شعيب بن حرب عن مالك بن مغول[3] عن طلحة بن مصرف عن نافع عن عبدالله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث يجلين البصر، النظر إلى الخضرة، وإلى الماء الجارى، وإلى الوجه الحسن». أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس.

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب[4] أخبرنى محمد بن أحمد بن يعقوب. أنبأنا محمد بن نعيم الضبى[5]. أنبأنا أبو بكر محمد بن أحمد بن هارون الشافعى. حدثنا أحمد بن عمر بن عبيد الزنجانى[6] ببغداد. سمعت أبا البخترى وهب بن وهب القرشى[7] يقول: حدثنا جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده على بن الحسين عن أبيه عن جده على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث يزدن فى قوة البصر؛ النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجارى وإلى الوجه الحسن» أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس. وقال: وفى الباب عبدالله ابن عباس وأبو شعيب وأبو سعيد. قلت[8]: وبريده وعائشة.

حديث ابن عباس

قال الحفاظ أبو بكر السنى فى كتاب الطب النبوى: حدثنا أحمد بن محمد بن إسماعيل الأدمى. حدثنا إبراهيم بن راشد. حدثنا الحسن بن عمرو السدوسى. حدثنا القاسم بن مطيب[9] العجلى عن منصور بن صفية بنت شيبة عن أبى معبد[10] عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يعجبه النظر إلى الخضرة والماء الجارى[11].

---

(١) القبلى = القبانى فى ب، د، هـ.
(٢) المعابرى فى (أ).
(٣) معزل فى ب، د، معول فى أ.
(٤) هو الخطيب البغدادى صاحب كتاب «التاريخ»، و«الجامع»، و«الكفاية»، و«السابق واللاحق»، وغيرها كثير، ولد سنة ٣٩٢ هـ ومات سنة ٤٦٣ هـ.
(٥) الضبى مزيدة من جـ.
(٦) الريحانى فى ب.
(٧) وهب بن وهب القرشى ناقصة فى ب، د.
(٨) أى السيوطى صاحب الكتاب.
(٩) القاسم بن مطيب ناقصة فى ب، مطيب = قطب فى د.
(١٠) معبد = سعيد فى هـ.
(١١) والوجه الحسن زيادة فى ب بعد والماء الجارى.

قال: وقال ابن عباس: ثلاث يجلين البصر؛ النظر إلى الخضرة والماء الجارى والوجه الحسن. أخرجه الحافظ أبو نعيم فى الطب النبوى.

قال: حدثنا على بن أحمد عن أبى غسان[1]: حدثنا جعفر بن محمد الأعرج الحافظ. حدثنا الحسن بن عمرو[2] بالبصره به.

حديث بريده

قال ابن السنى: أخبرنى كهمس بن معمر. حدثنا عبدالله ابن أحمد بن أبى مرة[3] حدثنا إسماعيل بن عيسى البصرى. حدثنا أبو هلال الراسبى[4] عن عبدالله بن بريده عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «النظر إلى الخضرة يزيد فى البصر والنظر فى الماء يزيد فى البصر والنظر إلى الوجه الحسن». أخرجه أبو نعيم عن ابن السنى.

حديث عائشة

قال الحفاظ أبو نعيم الأصبهانى فى الطب النبوى: حدثنا محمد بن أحمد بن إسحاق الأنماطى ومحمد بن إسحاق الأهوازى[5]: قالا: حدثنا النعمان بن أحمد. حدثنا محمد بن حرب. حدثنا عباد بن يزيد[6] أبو ثابت. حدثنا سليمان بن عمرو النخعى عن منصور بن عبدالرحمن الحجنى عن أمة صفية بنت شيبة عن عائشة[7] رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث يجلين البصر؛ النظر فى الماء الجارى والنظر إلى الخضرة والنظر إلى الوجه الحسن». قال صاحب متعة النفوس: وقد نظم ذلك الشاعر فقال:

ثلاثة تجلو عن القلب الحزن ∴ الماء والخضرة والوجه الحسن

(١) عن أبى غسان مزيدة من جـ.
(٢) عمرو = عمه فى أ، ب، د.
(٣) مرة = ميسرة فى ب، هـ.
(٤) الراسبى مزيدة من جـ.
(٥) هذان الاسمان ناقصان فى ب، د.
(٦) زيد فى هـ.
(٧) عن عائشة ناقصة فى د.

حديث جابر

قال أبو نعيم: حدثنا أبي رحمه الله تعالى. حدثنا أبو جعفر أحمد بن الحسين بن أبي الحسن الأنصاري. وحدثنا محمد بن حميد[1] حدثنا محمد بن أحمد القاضي البوراني[2]. قالا: حدثنا إبراهيم بن حبيب بن سلام حدثنا ابن أبي فديك[3]. حدثنا جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «النظر في وجه المرأة الحسناء والخضرة يزيدان في البصر».

وقال ابن السني: قرأت على أبي حفص عمر بن عبدالرحمن السلمي. حدثنا سليمان بن داود[4] الشاذكوني[5]. حدثنا سهل بن حسام بن معيك. حدثنا سويد[6] أبو حاتم عن قتادة عن أنس بن مالك قال: كان أحب الألوان إلى رسول الله ﷺ الخضرة. أخرجه أبو نعيم عن أبي حفص به سواء وأخرجه البزار في مسنده.

وقال ابن عدي في الكامل: حدثنا عبدالله بن محمد بن مسلم. حدثنا يوسف بن سعيد. حدثنا الحجاج عن ابن جريج[7]. أخبرني أبوبكر الهذلي عن قتادة قالا: خرجنا مع أنس إلى أرض يقال لها الزاوية، فقال حنظله السدوسي: ما أحسن هذه الخضرة، فقال أنس: كنا نتحدث أن أحب الألوان إلى النبي ﷺ الخضرة. أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعد الماليني[8] عن[9] ابن عدي به.

وقال ابن السني: أخبرني عمرو بن حفص بن عمرو به حدثنا عبدالعزيز بن محمد بن زبالة. حدثنا إبراهيم بن المنذر. حدثنا بن أبي فديك عن كثير بن عبدالله المزني عن أبيه عن جده: أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يقول: يا خضرة، فقال: لبيك، أخذنا[10] فالك من فيك. أخرجه الطبراني في معجمه.

---

(١) حدثنا محمد بن حميد ناقصة في ب، د.
(٢) البوراني في ب، البرواني في أ، البوادني في د، البدراني في هـ.
(٣) فديك ناقصة في أ، ب، د. وهي مثبتة من جـ.
(٤) داود = بلال في هـ.
(٥) الشاذكرني في جـ، والشاكوني هـ.
(٦) أبو = ابن في ب.
(٧) ابن أبي جريج في ب، جريح في د.
(٨) المالييي في د.
(٩) ابن = أبي في د.
(١٠) أخذ في أ، ب، د.

حدثنا مسعده[1] بن سعد، وجعفر بن سليمان النوفلى قالا: حدثنا إبراهيم بن المنذر الخوارزمى[2] وأخرجه أبو نعيم فى الطب النبوى عن الطبرانى به. وقال أبو نعيم: حدثنا محمد بن عبدالرحمن بن الفضل. حدثنا محمد بن أحمد الزهرى. حدثنا إبراهيم بن عبدالعزيز. حدثنا عبدالرحيم بن واقد[3] حدثنا عمرو بن جميع. حدثنا يحيى بن سعيد بن محمد بن إبراهيم اليمنى عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يعجبه أن ينظر إلى الخضرة.

وقال الترمذى: حدثنا محمود بن غيلان[4]. حدثنا أبو داود. حدثنا الحسن بن أبى جعفر عن أبى الزبير عن أبى الطفيل عن معاذ بن جبل رضى الله عنه: أن النبى ﷺ كان يستحب الصلاة فى الحيطان. قال أبو داود: يعنى فى البساتين. قال الترمذى: حديث غريب لانعرفه إلا من حديث الحسن بن أبى[5] جعفر، وقد ضعفه يحيى بن سعيد وغيره، وأبو الزبير اسمه أحمد ابن مسلم بن تدرس[6]، وأبو الطفيل اسمه عامر بن واثلة[7] انتهى. قلت: وأبو الطفيل صحابى ففى الإسناد رواية صحابى عن صحابى.

وقال البخارى فى الأدب المفرد: حدثنا محمد بن الصباح. حدثنا شريك عن المقدام بن شريح عن أبيه قال: سألت عائشة رضى الله عنها عن البدو فقلت: وهل كان النبى ﷺ يبدو؟ قالت: نعم، كان يبدو إلى هؤلاء التلاع[8].

وقال البيهقى فى شعب الإيمان: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ومحمد بن موسى قالا: حدثنا أبو العباس[9] هو الأصم. حدثنا محمد بن إسحق الصغانى[10]. حدثنا أبو[11] نمير. حدثنا عبده عن هشام عن أبيه عن عائشة رضى الله عنها: أن النبى ﷺ مر بأرض تسمى عذره فسماها خضرة.

---

(١) سعيد فى ب، د، سعد فى أ.
(٢) الحزامى فى ب، د، هـ.
(٣) ابن واقد مزيدة من جـ.
(٤) عيلان فى أ، جـ.
(٥) أبى ناقصة فى ب، د.
(٦) مدرس فى أ، مدربس فى د، وناقصة فى ب.
(٧) عامر = على فى هـ، واثلة = فى ب، د.
(٨) التلاع جمع تلعة وهى ما ارتفع عن الأرض.
(٩) أبو إلياس فى أ، د.
(١٠) الصنعانى فى أ، الصفانى فى د، هـ.
(١١) ابن فى د، هـ.

وقال البيهقى فى شعب الإيمان: أخبرنا أبو عبدالرحمن السلمى. أنبأنا محمد بن يعقوب. حدثنا عبدالله[١] بن عبدالرحمن السكرى. حدثنا أبو يعلى عن الأصمعى. حدثنا الفضل بن عبدالملك بن أبى سويد[٢] قال: قال الأحنف بن قيس: لاينبغى للعاقل أن ينزل بلداً ليس فيه خمس خصال، سلطان قاهر، وقاض عادل، وسوق قائمة، ونهر جار، وطبيب عالم.

وقال الخطيب فى تاريخ بغداد: أخبرنا أبو الحسن بن محمد بن الحسن المؤدب[٣] قال: أخبرنى إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم الشطى[٤] بجرجان. قال: حدثنا أبو إسحق الهجيمى[٥] قال: قال أبو العيناء[٦]: بلغنى أن المنصور قدم عليه وافد من قبل ملك الروم فقال: يا أمير المؤمنين، إنك بنيت بناءاً لم يبنه أحد كان قبلك وفيه ثلاثة عيوب. قال: ماهى؟ قال: أما أول عيب فيه فبعده عن الماء ولا للناس عن الماء غنى[٧]، وأما العيب الثانى فإن العين خضرة وتشتاق إلى الخضرة وليس فى بنائك هذا بستان، فعرف المنصور الصواب فوجه بشميس وخلاد، وخلاد هو جد أبى العيناء، فقال: مدا إلىّ قناتين من دجلة واغرسا لى السباسة[٨].

ورأيت بخط العلاء الكندى فى تذكرته: كان يقال: لا تقيموا ببلد ليس فيها نهر جار وسوق قائمة وقاض عدل وطبيب عالم وسلطان قاهر ولابين المدائن إلا على الماء والمرعى والمحتطب[٩]. قال: فأنزه الأماكن ما امتدت فيه مسافة النظر إلى الخضرة ورتعت سوام البصر بين الماء والزهر.

وقال ابن سعد فى الطبقات: أخبرنا أحمد بن محمد بن الوليد الأزرقى. حدثنا عطاف بن خالد عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب: أنه اشتكى عينيه. فقالوا له: لو خرجت يا أبو محمد[١٠] إلى العقيق فنظرت إلى الخضرة لوجدت لذلك خفة.

وقال مالك فى الموطأ عن نافع بن عمر: أن رسول الله ﷺ كان يأتى قباء ماشيًا وراكبًا.

---

(١) عبد الله ناقصة فى ب.
(٢) سوية فى جـ.
(٣) الودى فى ب، د.
(٤) السطى فى أ، د، هـ.
(٥) المجيمى فى هـ.
(٦) أبو الطيب فى أ، جـ.
(٧) ولا بد للناس من الماء فى جـ، هـ.
(٨) العباسية فى أ، ب، د، هـ.
(٩) المحتط فى د، والمنحط في ز، والخضرة فى ب.
(١٠) يا أبو محمد مزيدة من جـ.

قال ابن عبدالبر فى التمهيد: قيل يأتى قباء يتفرج فى حيطانها ويستريح عندهم.

وقال أبو بكر بن المقرى فى فوائده: حدثنا عبدالصمد بن سعيد[١]. حدثنا العباس بن السدى[٢]. حدثنا محمد بن كثير. حدثنا أبو الطاهر. حدثنا الموقدى[٣] عن الزهرى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: روحوا القلوب ساعة فساعة.

وفى ربيع الأبرار[٤] للزمخشرى: قيل لكثير: كيف تصنع إذا عز عليك قول الشعر. قال: أطوف فى الرباع المحلة والرياض المعشبة[٥] فيسهل إلىّ أصعبة[٦] ويسرع إلىّ أحسنه.

قال بعضهم: [٧] ما استدعى شارد الشعر بمثل الماء الجارى والشرف العالى والمكان الخضر الخالى[٨].

وفى الكامل للمبرد: قيل للأوسية وهى امرأة حكيمة من العرب بحضرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أى منظر أحسن؟ فقالت: قصور بيض فى حدائق خضر، فأنشد عمر بن الخطاب لعدى بن زيد:

كرماح العاج فى المحاريب أو ∴ كالبيض فى الروض زهره مستنير[٩]

وفى شرح المقامات لسلامة الأنبارى: قال بعض الحكماء: إن الطبيعة لتمل الشىء الواحد إذا دام عليها، ولذلك أتخذت ألوان الأطعمة، وأصناف الثياب، وأنواع الطيب، وأطلق التزويج[١٠] بأربع نسوة، ووسم التنزه والتحول من مكان إلى مكان، والاستكثار من الإخوان، والتفنن فى الآداب، والجمع بين الجد والهزل، والزهد واللهو.

وفى الحلية لأبى نعيم بسنده إلى سرى السقطى[١١] قال: قال رجل لأبى سليمان الدارانى:

---

(١) معبد فى د.
(٢) المسند فى ب، د، هـ.
(٣) المقرى فى أ، د.
(٤) الأسرار فى هـ.
(٥) المغشية فى ج.
(٦) أرضه فى ج، د.
(٧) ما ناقصة فى أ، ب، د.
(٨) العالى فى أ، د.
(٩) كرماح = كرما فى أ، ب، العاج = العجاج فى هـ، المحاريب = المحارب فى ج.
(١٠) الترويح فى د.
(١١) السفطى فى د، السعطى فى هـ.

ما بالكم يعجبكم الخضرة؟ فقال: لأن القلوب إذا غاصت فى بحار الفكرة[1] غشيت الأبصار فإذا نظرت إلى الخضرة عاد إليها نسيم الحيا.

وفى وصية بزرجهر: فراغ العلماء إنما يكون فى إجمام[2] أنفسهم إذا كلت خواطرهم وضاق بالفكر ذرعهم فى استخراج دقائق الحكمة فحينئذ يروح العالم قلبه بالنزهة حتى يعود نشاطه ويجمع رأيه ويصفو فكره.

وقال الشيخ بدر الدين ابن الصاحب[3]:

أهوى الفواكه والرياض وزهرها ∴ ولطائف المأكول والمشروب
ما ذاك إلا إن كل لطيفة ∴ ألقى بها أثرا من المحبوب

وقال ابن دريد فى أماليه: أخبرنا عبدالرحمن بن عمه الأصمعى قال: تزوج أعرابى فى الحضر فدخل بامرأته فأرخت عليه الستور وأغلقت الأبواب فهلع، فأراد الخروج فلم يقدر فأقبل يدور حول الخيمة[4] ويقول:

أقول وقد أرخت على ستورها ∴ ألا حبذا الأزواج فى البلد القفر
ويا حبذا رحلى وسيفى وناقتى ∴ ولا حبذا ذات الأعاليق والخدر[5]
فلا بارك الرحمن يوم علقتها ∴ من الناس فى ذات القلائد والشذر[6]
ولا فى نساء الحى يوم رزقتها ∴ ولا فى القوارير الملاة الصفر
وتضوع ريح المسك دون فراشها ∴ وإنى لأغنى الناس عن ذلك العطر

فلما فتح له الباب هرب فلحق بالبادية.

وقال ابن المنذر فى تفسيره: أخبرنا على بن[7] الأشرم عن أبى عبيدة قال: ليس شىء أحسن عند العرب من الرياض المعشبة[8] ولا أطيب ريحا.

---

(١) الفكرة = الغفلة فى أ، ب، د.
(٢) أجام فى أ، إجمام بمعنى استراحة.
(٣) هو شاعر من العصر المملوكى.
(٤) الحجلة فى جـ.
(٥) ذات = ذاك فى د، د.
(٦) النذر فى جـ.
(٧) عن فى ب، جـ.
(٨) المعجبة فى أ، ب، د.

قال الأعشى :

ما روضة من رياض الحزن معشبة ∴ خضراء جاد عليها ماطر ميل
ولا بأطيب منها نشر رائحة ولا ∴ بأحسن منها إذ دنا الأصل[(١)]

وقال البيهقى فى شعب الإيمان: أنبأنا أبو طاهر. حدثنا أحمد بن سلمة حدثنا عبدالله بن هاشم بن حيان العبدى[(٢)]. حدثنا عبدالرحمن بن مهدى. حدثنا سفيان بن الأعز عن وهب بن منبه. قال فى حكمة آل داود: حق على العاقل أن لا يشتغل إلا فى أربع ساعات؛ ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يقضى فيها لإخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه[(٣)]، وساعة يخلى بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل[(٤)]، فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات وإجمام للقلوب وفضل يلقاه، وحق على العاقل أن لا يطعن إلا فى إحدى ثلاث: زاد لمعاد، أو مرمة لمعاش، أو لذة فى غير محرم.

الكلام على لفظ الروضة ومعناها ولغاتها وصفاتها وأشعار العرب فى ذكرها

قال ابن المنذر فى تفسيره: حدثنا على بن المبارك. حدثنا زيد. حدثنا ابن ثور عن ابن جريج عن مجاهد فى قوله تعالى ﴿فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ﴾[(٥)] قال: الروضة المكان المؤنق. وقال الجوهرى فى الصحاح: الروضة من البقل فى العشب[(٦)] والجمع روض ورياض، والروض نحو من نصف القربة ماء، وفى الحوض روضة من ماء إذا غطى أسفله.

قال ابن السكيت: أراض هذا المكان وأروض إذا كثرت رياضه، وأراض الوادى واستراض أى استنقع فيه الماء. وما أنشده ابن دريد فى الجمهرة:

فازجر حمارك لا يرتع بروضتنا ∴ إذا يرد وقيد العير مركوب[(٧)]

---

(١) هذان البيتان ناقصان فى ب، د.

(٢) العبدى مزيدة من جـ.

(٣) هذا السطر ناقص فى جـ.

(٤) فيما يحل ويجمل مزيدة من جـ.

(٥) سورة الشورى الآية ٢٢.

(٦) فى العشب مزيدة من جـ.

(٧) إذا = إذن فى أ، د، يرد = يريد فى أ، جـ، هـ، العير = الغير فى أ، د، مركوب = مكروب فى جـ.

وقال أبو جعفر النحاس فى شرح المعلقات: قال ابن حبيب: الروضة القطعة ينبت فيها ضروب من النبت. وقال غيره: الروضة البقعة يصيبها الماء فينبت فيها البقل والعشب. وقال أبو عمرو الشيباني: الروضة من الماء[1] تكون نحوا من نصف الحوض. وقال أبو عبيد الهروى فى كتاب الغريبين[2]: الروضة الموضع الذى يستنقع فيه الماء، يقال راض الحوض إذا استنقع فيه الماء، ويقال للماء نفسه روضة. قال الشاعر:

وروضـة سقـيت منهـا بصـرتى .:. أراد مــا اجــتـمـع فى غــدير[3]

وقال أبو على أحمد بن إسماعيل القمى[4] النحوى فى كتاب جامع الأمثال: قال العلماء: الروضة قاع من الأرض وفيه جراثيم وروابى سهلة صغار. وفى سراير[5] الأرض تصوب وهى أرض طين وحده يستنقع[6] فيه الماء ويتحيز، يقال استراض الماء أى تحيز.

قال واصل: الرياض مائة ذراع، وليست روضة إلا لها احتقان[7] واحتقانها أن جوانبها تشرف على سرارها فينحبس الماء فى سرارها[8] ورب روضة مستوية لا يشرف بعضها على بعض فتلك لا احتقان لها وإنما هى روضة تفرغ إما فى روضة أو فى واد أو فى قيفٍ فتلك الأرض أبدا روضة وفى كل زمان كان فيها عشب أو لم يكن، ولا يقال روضة فى موضع الشجر، وذكر عن الأصمعى أنه قال: لا تكون روضة إلا مستديرة ولايكون بها شجر فإن كان بها شجر فليست بروضة. انتهى.

وقال أبو القاسم الزجاجى فى أماليه فى قوله ﷺ: «إن منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة» فى الترعة ثلاثة أقوال: قال أبو عمرو الشبانى: الترعة الأرجة[9]. وقال غيره: الترعة الباب. وقال أبو عبيده: الترعة الروضة تكون فى الموضع المرتفع خاصة وإذا كانت فى المكان المطمئن[10] فهى روضة.

---

(١) من الامن فى ب، د.

(٢) العونين فى أ، ب.

(٣) سقيت = سقت فى ب، بصرتى = فصيرنى فى ب، بصوتى فى هـ، فصبونى فى د، وبصوى فى و.

(٤) القمى مزيدة من جـ.

(٥) سرار فى جـ.

(٦) وحده = وخلده فى د، ريمة فى هـ، يستنقع = لينتقع فى ب، د.

(٧) احتفان فى د.

(٨) هذا السطر ناقص فى ب، د، هـ.

(٩) الدرجة فى ب، د.

(١٠) المطهر فى ب، د، هـ.

وقال الراغب فى مفردات القرآن : الروض مستنقع الماء، قيل أراض الوادى واستراض أى كثر ماؤه، وأراضهم: أرواهم، والرياضة: كثرة استعمال النفس أو البدن لتسلس المهر[(١)] ومنه رضت الدابة وقولهم إفعل كذا مادامت النفس مستراضة أى قابلة للرياضة أو متسعة ويكون من الروض والإراضة.

وقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾[(٢)] فعبارة عن رياض الجنة ومحاسنها وملاذها. وقوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ﴾[(٣)] فإشارة إلى ما أعد الله لهم فى العقبى من حيث الظاهر، وقيل إشارة إلى ما أهّله لهم[(٤)] من العلوم والأخلاق التى من تخصص بها طاب قلبه. انتهى.

وفى القاموس: الروضة والريضة بالكسر من الرمل والعشب مستنقع الماء لاستراضة الماء فيها، ونحو النصف من القربة، وكل ما يجتمع فى الأخادات[(٥)] والجمع روض ورياض وريضان.

وفى المحكم يقال: روضة غناء وهى أرض تمر بها الريح غير صافية الصوت من كثافة عشبها والتفافه، وواد أغن كذلك. وروضة دفراء[(٦)] صفراء ناعمة.

وفى الجمهرة لابن دريد: روضة طله نديه. وفى المجمل يقال للروضة الغينة[(٧)]، مأخوذة من الغين وهو الشجر الملتف، الواحدة غيناء.

وروى عن الأصمعى: الماله بوزن فعله الروضة والجمع مثال، وقال: الودفة الروضة الخضراء من نبت ليس ببقل وكذا الوديفة[(٨)].

وفى المحكم لابن سيده: الضفيفة الروضة الناضرة.

وفى الجمهرة. مكان خضاخض كثير الماء والشجر. ويقال: ذبح الأرض المطر إذا روضها يذبحها ذبحا.

---

(١) لينس الهم فى هـ، ليتسلس ويهر فى جـ.
(٢) سورة الروم الآية ١٥.
(٣) سورة الشورى الآية ٢٢.
(٤) ما أهله لهم = ما أعد لهم فى أ، د.
(٥) الأخارات فى د، الأحادات فى ب.
(٦) دنراء فى جـ، هـ.
(٧) الغنية فى جـ، والفينة فى هـ، والعينة فى د.
(٨) الودقة والوديقة فى ب، د، والوديعة فى أ.

وقال أبو عمرو الشيبانى فى نوادره: الودفة الروضة الخضراء الممطورة اللينة الكلأ.

وفى الأفعال لابن القرطبية[1]: قرحت الروضة بوسطها النور الأبيض، وفى الصحاح: روضة قرحاء فيها نوارة بيضاء.

وفى الصحاح وغيره: كوكب الروضة نورها. قلت: وبه سميت هذا الكتاب. وعبارة القاموس: الكوكب من الروضة نورها، ومن الحديد بريقه وتوقده، ومن البئر عينها، ومن السماء نجمها، ومن العين بياضها، ومن النبت طويله[2]، ومن القوم سيدهم وفارسهم، ومن الشيء معظمه.

وفى القاموس: حنأ المكان إخضر والتف نبته وإخضر جانبيه[3]. قال: والطنو[4] بالكسر الروضة والنفء رياض مجتمعة الواحدة نفأة ونفء والذنب والذنابة[5] بالضم والكسر مسيل فى الجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها.

وتباهج الروض كثر نوره والثجة[6] الروضة فيها حياض ومساكاة للماء واللديدة بإهمال الدالين الروضة الزهراء والبحرة الروضة العظيمة ومستنقع الماء وكل قرية لها نهر جار.

والدفر والدفرة والدفيرة والدفرى[7]: الروضة الحسناء العميمة النبات، ودفر المكان: صار ذا رياض وندى.

والشعر[8] الروضة الكثيرة الشجر، غمر[9] الروضة المطر: ملأها، والربيع: الروضة، والرتعه[10]: الروضة، والرواصفة[11]: الروضة، وأوقعت الروضة: أمسكت الماء، والمردغة[12]: الروضة البهية، والضغيغة بإعجام الضاد وغينين معجمتين: الروضة من بقل

---

(١) القرطية فى د، هـ، القوطية فى جـ.
(٢) من البنت طولها فى جـ، د.
(٣) جانبيه = ثانى تاكيد ب، جـ، جانبيها فى أ، د.
(٤) الطير فى جـ، الطفو فى ب.
(٥) الذيب والذبابة فى ب، د.
(٦) الشجة فى جـ، البحر فى ب.
(٧) وردت هذه الكلمات بالقاف فى ز.
(٨) التسعر فى د.
(٩) عجير فى ب، عجر فى هـ، عمجز فى د.
(١٠) الرقعة فى د، هـ، والمرنعة فى جـ.
(١١) الموضعة فى د.
(١٢) الردعة فى ب.

وذلك إذا كانت الروضة ناضرة منجلية، وكذا الضغيفة بغين ثم فاء، والضفيفة بفائين، والحديقة: الروضة ذات الشجر، وأحدقت الروضة: صارت حديقة. قال الأعشى فى معلقته المشهورة:

يا روضة من رياض الحزن معشبة ∴ خضراء جاد عليها مسيل هطل
يضاحك الشمس منها كوكب شرق ∴ مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما يطيب منها نشر رائحة ∴ ولا بأحسن منها إذا دنا الأجل

قال ابن النحاس فى شرح المعلقات. قال أبو عبيده: لم يقل فى الروضة أحسن من هذه الأبيات. وقال ابن[1] حبيب: رياض الحزن أحسن من رياض الخفوض وأطيب رائحة، وقوله «يضاحك الشمس» أى يدور معها حيثما دارت، وقيل هو من قولهم ضحك إذا برز.

وقال الأصمعى: كوكب كل شىء معظمه، وقال غيره: يريد بكوكب الروض: الزهر، والشرق: الريان الممتلىء ماء، والمؤزر: مفعّل من الازار، والعميم: التام الحسن، ومكتهل: قد انتهى فى التمام، والأصل: جمع أصيل. قال أبو عبيده: وهو من العصر إلى العشاء، وإنما خص هذا الوقت لأن النبت يكون فيه أحسن ما يكون لتباعد الشمس والقر[2] عنه، وقال أبو حبيب: إنما خص هذا الوقت لأن الحيوان والجوهر يكون فيه حسنا. انتهى.

وفى أمالى أبى القاسم الزجاجى: قال الأصمعى: قال أبو عمرو بن العلاء: لم يقل فى وصف الرياض ولا فى وصف جمال النساء وطيب نشرهن أبلغ من هذا الشعر ولا أحسن.

قال القالى[3] فى باب المقصور والممدود: وأنشد الفراء:

وخبرتمانى إنما الموت فى القرى ∴ فكيف وها تا روضة وكثيب[4]

وقال ابن خالويه فى شرح الدريدية: أنشدنا محمد بن القاسم الأنبارى لمجنون ليلى:

رأيت غزالاً يرتع وسط روضة ∴ فقلت أرى ليلى تلس به زهرا
فيا ظبى كل رغداً هنيئًا ولا تخف ∴ فإنى لكم جار وإن خفتم الدهرا

---

(١) أبو فى ب.
(٢) القر بمعنى البرد أو الثلج.
(٣) القبانى فى جـ.
(٤) كبيب فى أ، وكثيب فى د.

يقال : لسّت البقرة الحشيش والنبات بفيها، كما يقال فى الشاة قصّت ورمت وارتمت وانتمت[1].

وقال كثير عزة :

ما روضة بالحزن ظاهرة الثرى ∴ يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا ∴ وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها[2]

وقال قيس بن الخطيم[3] :

فما روضة من رياض القطا ∴ كأن المصابيح جرذانها[4]
بأحسن منها ولا مزنة ∴ دلوج فكيف أدجانها[5]

ذكر الأمثال فى الروضة

فى الأمثال فى الروضة لابن عبيد : من أمثال العرب قولهم : تجنب روضة وأحال يعدو أى ترك الخصب واختار الشقاء . يضرب للرجل تعرض عليه الكرامة فيختار الهوان عليها .

وفى شرح المقامات للمطرزى فى أمثالهم «أحسن من بيضة فى روضة» قال : وذلك لأنهم يستحسنون نقاء البيضة وبياضها فى نضارة خضرة الروضة .

وفى جامع الأمثال لأبى على القمى[6] : من أمثالهم فى الروضة عن أبى عمرو[7] «أطيب نشرا من روضة» والنشر الريح[8] .

---

(١) وارتمت وانتمت = واذغت واقيمت فى ب، د، هـ.
(٢) هذه أصح قراءة لهذين البيتين فى نسخ المخطوط، وتوجد صيغة أخرى فى كتاب الأغاني لأبى الفرج الأصفهانى هى :

فما روضة زهراء طيبة الثرى ∴ يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أرادان عزة موهنا ∴ إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

(٣) الحكيم فى أ، الحطيم فى هـ.
(٤) فما فى جـ، د، القطات العطا فى أ، د، حردانها = خوذانها فى جـ، حردانها فى أ.
(٥) مزنة = برية فى ب، بربه فى د، دلوج = دلوح فى جـ، فكيف = تكشف فى جـ، بكشف فى هـ، أدجانها = أدحانها فى ب، أرحانها فى د، أوجانها فى هـ.
(٦) لابن العمى فى ب، د.
(٧) أبى عز فى د.
(٨) الأريج فى أ، د.

ومن أمثالهم: «وقع فى روضة وغدير» أى أصاب خصبا، قال بشر بن أبى حازم[1] وقد كان عندى لابن ضناء مقعد نهاء[2] وروض بالصحارى منور، النهاء: الغدران، ومنوّر: قد أخرج نوره.

وعلى ضرب المثل بطيب نشر الروضة قال بعضهم:

ما زلت أسمع فى الأخبار عنك ثنا ∴ أزهى من الروض بل أبهى من القمر[3]
حتى التقينا فلا والله ما سمعت ∴ أذنى بأحسن مما قد رأى بصرى

وقال بشار:

باتت تقبلنى غيداء رابعة ∴ صبت علينا من حسنها فتنا[4]
كأنها روضة منورة ∴ تجمع ظبيا ومنظرا حسنا[5]

ذكر ما عرف اسمه من روضات العرب

قال فى المحكم: دفرى اسم روضة بعينها فى شعر لنمر بن أيوب[6]، وفى القاموس: السهمى[7] روضة ملتين[8] قرب المدينة، وروضة خاخ بين مكة والمدينة، وفى حديث الصحيحين: إن رسول الله ﷺ قال لعلى والزبير والمقداد: «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ»، وفردوس: روضة دون اليمامة.

فائدة: روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "الخيل لثلاثة؛ لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر؛ فأما الذى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال لها فى مرج أو روضة فما أصابت فى طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات.

---

(١) الحكيم فى ب، د.
(٢) بها فى ب، د.
(٣) عنك ثنا= عندنا فى ب، د.
(٤) فتنا= فينا فى ب، د.
(٥) ظبيا= طيبا فى أ.
(٦) أيوب = بواب فى د، تولب فى جـ، تراب فى د، مواب فى أ.
(٧) السهى فى جـ، الشهبا فى هـ.
(٨) ملتد فى جـ.

ذكر الأحاديث التى فيها روض من رياض الجنة

أخرج البخارى ومسلم عن عبدالله بن زيد المازنى[1] قال: قال رسول الله ﷺ «ما بين بيتى[2] ومنبرى، وفى لفظ: ما بين قبرى ومنبرى، روضة من رياض الجنة».

قال ابن قتيبة فى كتاب المختلف: لم يرد بذلك أن ذلك بعينه روضة وإنما أراد أن الصلاة فى هذا الموضع والذكر فيه مؤد إلى روضة من رياض الجنة وهو قطعة منها. كما فى حديث جابر بن عبدالله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ارتعوا فى رياض الجنة. قلنا: وأين رياض الجنة؟ قال: هى مجالس الذكر» أراد أى أنها تؤدى إلى رياض الجنة فهى منها. وقد ذهب بعضهم إلى أن ما بين قبرى ومنبرى روضة أى حذاء روضة من رياض الجنة فجعلها من الجنة إذ كانت فى الأرض حذاء تلك فى السماء. قال والأول أحسن عندى انتهى.

وقال القاضى زين الدين المراغى[3] فى تاريخ المدينة: معنى الحديث إن من لازم الصلاة فى الروضة حصلت له روضة، أو أن هذه البقعة الشريفة تنقل إلى الجنة روضة، أو أن العلم كان يقتبس من النبى ﷺ فى ذلك الموضع فسمى روضة لأن فى الحديث رياض الجنة حلق الذكر.

وقال العارف أبو محمد اليشكرى[4] فى ذلك:

وبهذه ظهرت مزية طيبة ∴ فغدت وكل الفضل فى معناها[5]
حتى لقد خصت بروضة جنة ∴ الله شرفها بها وحباها[6]
ما بين قبر للنبى ومنبر ∴ حيا الإله رسوله وشفاها[7]

وفى شرح البخارى لشيخ الإسلام الحافظ ابن حجر: فى معنى الحديث أقوال: أحدها: أن المعنى أنه كروضة فى نزول الرحمة وحصول السعادة، والثانى: أن العبادة فيه تؤدى إلى الجنة، الثالث: أنه على ظاهره بأن ينقل ذلك الموضع بعينه فى الآخرة إلى الجنة.

---

(١) المارزى فى د، هـ.
(٢) يدى فى أ، ب، د، قبرى فى هـ.
(٣) الراعى فى هـ.
(٤) السكرى فى أ، ب، د.
(٥) فغدت = قعدت فى د، ونفذت فى هـ.
(٦) حياها فى د.
(٧) سقاها فى جـ.

وأخرج الترمذى وحسّنه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار».

قال سفيان الثورى رضى الله عنه: من أكثر من ذكر القبر[1] وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار.

وفى معجم الطبرانى حديث: «إن القبر ليتحول على المؤمن خضراً»، وفى مصنف ابن أبى شيبة عن عبدالله بن عمرو موقوفا: «إن المؤمن يوسع له فى قبره ويجعل منزله أخضر».

ونقل السهيلى فى دلائل النبوة عن بعض الصحابة أنه حفر فى مكان فانفتحت طاقة فإذا شخص على سرير وبين يديه مصحف يقرأ فيه وأمامه روضة خضراء وذلك بأصل[2] وعلم أنه من الشهداء لأنه رأى فى صفحة وجهه جرحًا.

وقال الحافظ أبو نعيم الأصبهانى: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن القاسم بن الريان .. حدثنا أحمد بن إسحق، عن[3] إبراهيم بن نبيط بن شريط الأشجعى. حدثنى أبى عن أبيه عن جده نبيط عن النبى ﷺ قال: «الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزائن الله فى أرضه». أخرجه الخطيب فى تاريخه والحافظ شرف الدين الدمياطى فى معجمه.

قلت: ومعناه إن الجهاد فى الجيزة والمرابطة فيها يؤدى إلى روضة من رياض الجنة، وهذا كان حين كانت دار جهاد ورباط قبل انتشار الإسلام فيما حولها. وهنا نادرة لطيفة وهى إن جزيرة مصر روضة من رياض الدنيا ومقابلها من تلك الجهة الجيزة التى هى روضة من رياض الجنة.

ذكر الكتب التى استقر لها هذا الاسم

وقد قال الجاحظ: الكتاب وعاء ملىء علمًا وظرف حشى طرفا[4] وبستان كمل[5] فى ردن

---

(١) القبر = الموت فى جـ، د.
(٢) بأصل = بأخذ فى أ، ب، د.
(٣) عن = بن فى الأصل والتصحيح من حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٧.
(٤) ظرفا فى ب.
(٥) كمل = يحمل فى ب.

وروضة تقلب(١) فى حجر ينطق عن الموتى ويترجم كلام الأحياء، وفى معنى ذلك قول صاحبنا شاعر عصرنا شهاب الدين المنصورى المعروف بالهايم(٢):

نعم الجليس الكتاب ∴ حديثه مستطاب
يريك بستان روض ∴ ثماره الآداب
يميل معناه معنا ∴ ما لا يميل الشراب

أول كتاب سمى بالروضة فيما أعلم: الروضة للمبرد ولم أقف عليه ولكنه ذكر فى ترجمته، الروضة فى النحو لأبى عبدالله محمد بن على الحلى(٣) مات سنة خمسين وخمسمائة، روضة الحكام لشريح الرويانى(٤)، الروضة فى فقه الشافعية للإمام محيى الدين النووى وعليها الآن مدار المذهب، الروضة فى فقه الحنفية ويسمى روضة العلماء، روضة الناظر ورياض الخواطر لزكى الدين بن أبى الفتح النابلسى الشاعر، كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين للإمام الحافظ أبى شامة، روضة الأذهان فى شعراء مصر للرشيد بن الزبير الأسوانى، روضة الأزهار فى قراءة العشرة الأخيار لتاج الدين بن المبارك الواسطى، روضة المحبين للشيخ شمس الدين بن القيم.

أما الكتب المسماة بالروض والرياض فكثير كالروض الألق(٥) فى شرح السيرة للسهيلى، وروض الأذهان فى المعانى والبيان للبدر بن(٦) مالك، وروض الرياحين لليافعى، والروض المسلوف(٧) فيما له اسمان إلى ألوف للمجد الفيروزابادى، والروض فى اختصار الروضة للشرف بن المقرى، وروض الآداب للشهاب الحجازى، ورياض الصالحين للنووى.

وقد لقب بالروضة رجل من أهل العلم وهو محمد بن عامر المالقى، قال لسان الدين بن الخطيب فى تاريخ غرناطة: كان المشايخ يسمونه الروضة لظرفه وجمع كتابًا سماه لباب اللباب، مات فى حدود سنة عشر وسبعمائة عن سن عالية.

---

(١) تقلب = ثعلب فى ب.
(٢) هو الشهاب المنصورى أبو العباس أحمد بن محمد بن على بن محمد بن أحمد بن عبد الدائم السلمى المعروف بالهائم الأديب البارع، ولد سنة تسع وتسعين وسبعمائة، واشتغل وفهم شيئا من العلم وبرع فى الشعر وفنونه وتفرد به فى آخر عمره، وله ديوان كبير. مات في جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وثمانمائة. انظر: السيوطى، حسن المحاضرة جـ ١ ص ٥٧٤.
(٣) الجبلى فى جـ.
(٤) الروبانى فى د.
(٥) الانف فى أ، د، هـ.
(٦) للمبرد فى جـ.
(٧) السلوف فى أ.

ذكر التعريف بحال الروضة وأسمائها

قال المقريزى[1] «إعلم إن الروضة تطلق فى زماننا على الجزيرة التى بين مدينة مصر وبين مدينة الجيزة، وعرفت فى أول الإسلام بالجزيرة وبجزيرة مصر ثم قيل لها جزيرة الحصن، وعرفت بالروضة من زمن الأفضل بن أمير الجيوش إلى اليوم» انتهى.

والجزيرة كل بقعة فى وسط البحر لا يعلوها البحر[2]، سميت بذلك لأنها جزرت أى قطعت وفصلت عن تخوم الأرض فصارت منقطعة، وفى الصحاح الجزيرة واحدة جزائر البحر سميت بذلك لانقطاعها عن معظم الأرض، وفى القاموس: الجزيرة أرض ينحدر[3] عنها المد، وهى اسم لعدة أماكن منها محلة بالفسطاط إذا زاد النيل أحاط بها واستقلت بنفسها، ومنها جزيرة الذهب موضعان بأرض مصر وجزيرة بنى نصر كورة بمصر وهى عدة بلاد بإقليم المنوفية وجزيرة قويسنا بين مصر والإسكندرية، وجزيرة القط وهى الفاصلة بين إقليم البحيرة وإقليم الجيزة.

وقال المقريزى[4]: «إعلم إن الجزائر التى هى الآن فى بحر النيل كلها حادثة فى الإسلام ماعدا الجزيرة التى تعرف اليوم بالروضة تجاه مدينة مصر فإن العرب لما دخلوا مع عمرو بن العاص إلى أرض مصر وحاصروا الحصن الذى يعرف اليوم بقصر الشمع فى مصر حتى فتحه الله عنوة على المسلمين كانت هذه الجزيرة حينئذ تجاه القصر ولم يبلغنى إلى الآن متى حدثت وأما غيرها من الجزائر فكلها قد تجددت بعد فتح مصر».

وقال ابن رضوان: المدينة الكبرى اليوم بأرض مصر ذات أربعة أجزاء؛ الفسطاط والقاهرة والجزيرة والجيزة[5]، وأعظم أجزائها الفسطاط.

قال تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج فى كتاب إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل: إنما سميت جزيرة مصر بالروضة لأنه لم يكن بالديار المصرية مثلها وبحر النيل حائز لها ودائر عليها وكانت حصينة وفيها من البساتين والثمار مالم يكن فى غيرها، ولما فتح عمرو بن العاص مصر تحصن الروم بها مدة فلما طال حصارها وهرب الروم منها خرب عمرو بن العاص بعض

---

(١) الخطط جـ٢ ص ١٧٧ - ١٧٨.
(٢) البحر = الماء فى ب.
(٣) ينجزر فى ب، د.
(٤) الخطط جـ ٢ ص ١٧٧.
(٥) الجيزة ساقطة من ب.

أبراجها وأسوارها وكانت مستديرة عليها واستمرت إلى أن عمرّ حصنها أحمد بن طولون فى سنة ثلاث وستين ومائتين، ولم يزل هذا الحصن حتى خربه النيل. انتهى.

وقال على بن سعيد فى كتاب المغرب فى حلى المغرب[1] «الروضة أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة وبها مقياس النيل وكانت متنزها لأهل مصر فاختارها الملك الصالح بن الملك الكامل سرير السلطنة وبنى فيها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء عالى السمك لم تر عينى أحسن منه».

وفى هذه الجزيرة كان الهودج[2] الذى بناه الخليفة الآمر لزوجته البدوية التى هام فى حبها[3].

والمختار بستان الإخشيد وقصره وله ذكر فى شعر تميم بن المعز وغيره. ولشعراء مصر فى هذه الجزيرة أشعار منها قول أبى الفتح بن قادوس الدمياطى:

أرى سرح الجزيرة من بعيد ∴ كأحداق تغازل فى المغازل
كأن مجرة الجوزاء خُطت ∴ وأثبتت المنازل فى المنازل[4]

وكنت أشق فى بعض الليالى بالفسطاط على ساحلها فيزدهينى ضحك البدر فى وجه النيل أمام سور هذه الجزيرة الدرى اللون، ولم انفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة، وفى داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت إليه همة بانيها، وهو من أعظم السلاطين همة فى البناء، وأبصرت فى هذه الجزيرة إيوانا لجلوسه لم تر عينى مثاله ولا أقدّر ما أنفق عليه وفيه من صفائح الذهب والرخام الأبنوسى والكافورى والمجزع ما يذهل الأفكار ويستوقف الأبصار، ويفصل عما أحاط به السور أرض طويلة وفى بعضها حاظر حظر به على أصناف الوحوش التى يتفرج عليها السلطان وبعدها مروج ينقطع فيها مياه النيل فينظر بها أحسن منظر، وقد تفرّجت كثيرا

---

(١) انظر المقريزى، الخطط جـ٢ ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٢) يمثل الهودج الآن المنطقة التى تقع مواجهة لكوبرى الملك الصالح وإلى الجنوب منه بقليل لأنه كان مجاوراً لبستان المختار الذى يقع بآخر الجزيرة، وقد خربهما الملك الصالح نجم الدين أيوب عند بناء قلعته التى كانت تمتد من زاوية البسطامى شمالا حتى المقياس جنوبا. هذا ولا تزال زاوية البسطامى قائمة إلى اليوم بعد إعادة بنائها بشارع البسطامى وتقع على بعد ١٢٠ مترا جنوب كوبرى الملك الصالح.
* وقد أخطأت مصلحة التنظيم حين أطلقت اسم الهودج على أحد شوارع مصر القديمة.

(٣) عن هذا الموضوع بالتفصيل انظر: محمد الششتاوى، متنزهات القاهرة فى العصرين المملوكى والعثمانى، دار الآفاق العربية، ط١، ١٩٩٨م.

(٤) خُطت = حُطت فى ب، جـ، د.

فى طرف هذه الجزيرة مما يلى بر القاهرة فقطعت فيه عشيات مذهبات لم تزل لأحزان الغربة مذهبات، وإذا زاد النيل فصل مابينها وبين الفسطاط بالكلية، وفى أيام احتراق النيل يتصل برها ببر الفسطاط من جهة خليج القاهرة ويبقى موضع الجسر فيه مراكب، وركبت مرّة هذا النيل أيام الزيادة مع الصاحب المحسن محيى الدين بن ندا وزير الجزيرة[1] وصعدنا إلى جهة الصعيد ثم انحدرنا واستقبلنا هذه الجزيرة وأبراجها تتلألأ والنيل قد انقسم عنها فقلت:

تأمل لحسن الصالحية إذ بدت ∴ وأبراجها مثل النجوم تلألأ
وللقلعة الغرّاء كالبدر طالعا ∴ تفرّج صدر الماء عنه هلالا
ووافى إليها النيل من بعد غاية ∴ كما زار مشغوف يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق لحسنها ∴ فمد يمينا نحوها وشمالا
جرى قادما بالسعد فاختط حولها ∴ من السعد أعلاما فزاد دلالاً

انتهى كلام ابن سعيد.

وقال الإمام زين الدين عمر بن الوردى فى كتاب خريده العجائب وفريدة الغرائب مانصه[2]: «وقبالة الفسطاط الجزيرة المعروفة بالروضة وهى جزيرة يحيط بها بحر النيل من جميع جهاتها وبها فرج ونزه ومقاصف ودور وقصور وبساتين وتسمى هذه الجزيرة دار المقياس وكانت فى أيام بعض ملوك مصر يجتاز إليها على جسر من السفن فيه ثلاثون سفينة وكان بها قلعة عظيمة تخربت، وبها المقياس يحيط به أبنية دائرة على عمد وفى وسطه فسقية عميقة ينزل إليها بدرج من الرخام دائرة وفى وسطها عمود رخام قائم وفيه رسوم أعداد الأذرع والأصابع يعبر إليه الماء من قناة عريضة» انتهى.

قال الأسعد بن مماتى:

جزيرة مصر لاعدتك مسرة ∴ ولا زالت اللذات فيك اتصالها
فكم فيك من شمس على غصن بانة ∴ يميت ويحيى هجرها ووصالها
مغانيك فوق النيل أضحت هوادجا ∴ ومختلفات الموج فيها جمالها
ومن أعجب الأشياء إنك جنة ∴ يرف على أهل الضلال ظلالها

---

(١) الجيزة فى د، هـ.
(٢) (ص ٣٢ـ٣٣ طبعة الحلبى، الطبعة الثانية).

وقال الأسعد أيضا وقد دخلها السلطان الملك الكامل:

جزيرة مصر أنت أشرف موضع ∴ على الأرض لما حل فيك محمد
يكتنفك البحران لكن كف ذا ∴ على الناس أندى بالعطايا وأجود[1]
وأصبحت الأغصان من فرح به ∴ تمايل والأطيار فيك تغرد
يرق نسيم حين ينساب جدول ∴ ويشدو هزار حين يرقص أملد[2]

وقال ظافر الحداد:

انظر إلى الروضة الغناء والنيل ∴ واسمع بدائع تشبيهى وتمثيلى[3]
وانظر إلى البحر مجموعا ومفترقا ∴ تراه أشبه شىء بالسراويل[4]
والريح يطويه أحيانا وينشره ∴ نسيمها بين تفريك وتعديل[5]

قال ظافر أيضا:

لله يوم أنا له النيل ∴ لحسنه جملة وتفصيل
فى منظر مشرف على خضر ∴ كأنه فى الظلام قنديل
تبدى لنا جانبا جزيرته ∴ أشياء فيها للعين تأميل
كأنما البحر عند مفترق ∴ الماء من رأسها سراويل
وكمه جسره وتفريكه المو ∴ ج وفى تكته للخليج تجميل[6]

وقال على بن سعيد وأورده الصلاح الصفدى فى تذكرته:

انظر إلى سور الجزيرة فى الدجى ∴ والبدر يلثم منه ثغرا أشنبا
تتضاحك الأنوار فى جنباته ∴ فتريك فوق النيل أمرا معجبا[7]

---

(١) يكتنفك = تكنفك فى أ، ب، د، وفى حسن المحاضرة جـ٢ ص ٣٨٦ وردت «وفيك علا الهجران لكن كف ذا . . ∴ . . . .

(٢) فى حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٣٨٦ ورد: يرق نسيم حين سار وجدول ولكن ما ذكر أعلاه يتفق وسياق النص.

(٣) فى حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٣٨٦ وردت كلمة الغراء بدلاً من الغناء.

(٤) فى حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٣٨٦ هناك بدلا من تراه.

(٥) فى حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٣٨٦ تطويه بدلاً من يطويه، تنشرة بدلاً من ينشره.

(٦) وكمه = ورقمه فى حسن المحاضرة جـ ٢ ص ٣٥٨، ولكن كلمة كمه تناسب المعنى.

(٧) جنباته = وجناته فى ب، د.

بينا تراه مفضضا فى جانب ∴ أبصرت منه فى سواه مذهبا
لله مرأىً ما رآه ناظرى ∴ إلا خلعت له المنام تطربا

وقال شهاب الدين بن أبى حجلة(١):

أو ما ترى غيم السماء كأنه ∴ ند يلوح لنا بأفق المجلس
والروضة الفيحاء باكرها الندى ∴ وكسى خمائلها رياض السندس
والسفن تبدو كالعرائس حولها ∴ وقلوعها مثل الجوارى الكنس(٢)

وقال أيضًا:

وكأننا فى روضة المقياس والـ ∴ ـورقاء قد غنت على العيدان
وشدت بلحن معرب فاعجب لها ∴ أرأيت أعجم معرب الألحان
فالظل در قد تناثر عقده ∴ والزهر منه مرصع التيجان
والبحر قد رقت حواشي برده ∴ والريح تصقله بغير توان
والموج كالعتبات كم عثرت به ∴ رجل الفقير لقوة الجريان(٣)
والسفن فى وسط المياه تديرها ∴ الملاح حين تروغ كالسرحان

وقال أيضًا:

حول الجزيرة فى مصر قد اجتمعت ∴ سبع بها المرء مهما عاش ولهان
بر وبحر ونجار وبهطلة ∴ وبغية وبساتين وبنيان

---

(١) هو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يحيى من أبى بكر بن عبد الواحد بن أبى حجلة التلمسانى الحنبلى نزيل دمشق ثم القاهرة، مولده بالمغرب سنة ٧٢٥ هـ بزاوية جده الشيخ الصالح الزاهد أبى حجلة عبد الواحد، له أكثر من ثمانين مصنفًا فى الحديث والفقه والنحو والأدب، وجاء فى المنهل الصافى أن له خمسة دواوين فى المدائح النبوية وسبع أراجيز سبع آلاف بيت وله اليد الطولى فى الشعر، ومن دواوينه الشعرية ديوان الصبابة، وسكردان السلطان ومجتبى الأدباء ومغناطيس الدر النفيس، وقد توفى سنة ٧٦٢ هـ، أو سنة ٧٧٦ هـ.

(٢) وقلوعها = وأقبلوا فى جـ، هـ.

(٣) والموج = والريح فى ب.

وقال آخر:

زر الجزيرة وقت النيل فى السحر ∴ واغنم بها لذة الآصال والبكر
فللجزيرة بالنيل المقيم بها ∴ غنى عن المطر الجانى على الجدر[1]
يا حبذا هى والبحر المحيط بها ∴ كأنها هالة دارت على قمر
وحبذا صفة المقياس بارزة ∴ كمثل ردف له بالماء مؤتزر
وحبذا الروضة الغناء كم شبه ∴ فيها تقوم لجبرى على قدرى

وقال آخر:

ذات وجهين فيها خيم الجسر ∴ فأضحت بها القلوب تهيم
ذا يلى مصر فهو مصر وهذا ∴ يتولى وسيم فهو وسيم
فبلج البحار يسبح نون ∴ ويفج القفار يسبح ريم[2]
قد أعادت عصر التصابى صباها ∴ وأبادت فيها الغموم الغيوم[3]

وقال ناصر الدين أبو بكر عمر بن السلار مما رواه عنه الشيخ تقى الدين السبكى:

لعمرك ما مصر بمصر وإنما ∴ هى الجنة العليا لمن يتفكر
وأولادها الولدان والحور عينها ∴ وروضتها الفردوس والنيل كوثر

وقال العارف بالله تعالى سيدى محمد وفا وكان يسكن الروضة كثيراً وله بيت باق فى ذريته إلى اليوم:

رأيت رياض القدس فى روضة الرضى ∴ على نيل مصر بين تلك المناظر
مناظرها للناظرين مشارق ∴ وفيها وجوه كالبدور البوادر
حكين شموسا فى السحاب وقد بدت ∴ وجوه الأغانى فى ستور الأعاجر
وتشبه آفاق السموات فى الدجى ∴ وفيها مصابيح للنجوم الزواهر

---

(١) الجدر = الخدر فى ب.
(٢) يفج = بسفح فى جـ.
(٣) أعادت = أغادت فى ب، وأعارت فى جـ.
وأبادت = أبارت فى هـ.

وتحكى طيورا عاليات رؤوسها ∴ على النيل فيها سابحات الشخاتر[1]
ويشبه سيب الماء فيها صوارما ∴ بأيدي الهنا سلت لسلب النواظر
عليها جلال الله جل جلاله ∴ وفيها سرير السر بين السرائر

وقال بعضهم[2]:

سقيًا ورعيًا للجزيرة منزلاً ∴ أنواره الخيرى والمنثور[3]
وترى البهار معانقا ببنفسج ∴ فكأن ذلك زائر ومزوز
وكأن نرجسها عيون كحلت ∴ بالزعفران جفونها كافور
تحيى النفوس بشمسها فكأنها ∴ قبل الرضى قد نالها المهجور

وقال المجيز بن تميم:

نظم الهواء بلؤلؤ الأنداء ∴ عقيداً لجيد الروضة الغناء
شق الشقيق هناك جيوبه ∴ وتسلسلت فيه جوارى الماء
ويد الأقاح وثغره مبتسم ∴ لما تباكت أعين الأنواء
وتناشدت أطيارها ما بينها ∴ بلغاتها كتناشد الشعراء
وأتوا بما نظموه فى أشعارهم ∴ بغرائب دقت على البلغاء
القى الهزار عليهم من درسه ∴ فتجادلوا كتجادل الفقهاء
ورقى خطيب العندليب منابرا ∴ لأغضان لابس حلة الخلفاء

وقال صاحبنا الشهاب المنصورى يصف النيل والروضة:

الحمد لله أوفى وعده النيل ∴ إن الوفاءمن المحبوب مأمول
جرى جوادا فمن داراته غرر ∴ حمر ومن زبد الأمواج تحجيل
ينظم الحبب الطافى وينشره ∴ كأنه منهل بالراح مغلول[4]
كأنه والصبا صبحا تجعده ∴ من نسج داود فى الهيجا سراويل[5]

---

(1) الشخاتر هى مراكب النزهة فى النيل والخلجان جمع شختور.
(2) هذه الأبيات ناقصة فى ب، د.
(3) الخيرى والمنثور نبات عطرى طيب الرائحة.
(4) الطافى = الصافى فى ب، د، مغلول = معلول فى ب، د، هـ.
(5) الهيجا = الهجا فى أ، د.

كــأن أمــواجــه والريح تــنشــرها ∴ صــوارم بظبـاها المحل مــقــتـول
كـــأنما السـفن غـادات جـرين به ∴ لهــا المراسى شنوف أو مــراســيل
من كـل جـارية كـــالخــود زائرة ∴ إزارها قــبل أن تلقــاك مــحلول[1]
كــأنمـا الشط والأمـــواج تلطمـــه ∴ دف لهــا وخـرير الماء مــوصـول[2]
كـــأنما الروضــــة الغناء غـــانيــة ∴ بحسنهـا قلـب هذا النيل مـشغـول
أعطافـها من غـصون الدوح مائسة ∴ وريقـهـا من زلال الماء معـسول[3]
من سندس الزهر الـزاهي بهـا حلل ∴ خضـر ومن سروها العـالى أكاليل[4]
ومـدت الدوح من أوراقـهـا خيـمـا ∴ ومن عـناقـــيـــدهـا لاحت قنـاديل
وللنـخيـل إذا مــاست قــلائد من ∴ حمـر اليواقيت حاكـتها العشاكيل[5]
لا غرو إن سـحرت عينى وخيل لى ∴ بأنـهـــا ذهب فـــهى المشــــاتيل
يا من له رغـبـة عـن نيل مـصـر أفق ∴ قلبى على حب هذا النيل مـجبـول[6]

وقال أيضا[7]:

نمّ صـــبــا روضـــتنا بالـشـــذا ∴ ونهـــرهـا باح بســـر القـــــذا
والغــصن ألقى فــيـه أثمــاره ∴ فــمـــال سكرا قــبل أن ينبــذا
فى روضــــة زاد ولـوح الصـبــا ∴ بهـــا فـــإن هب عـليـهـــا هذا
إن صـــدحت ورق بـأوراقـــهـــا ∴ تـغـــــرى الـلـذاذات بطـرد الأذى
نســيــمــهـا رطب لذائى شـفـا ∴ وعـرفـهـا مـسك لروحى غـذا
قــد وعـد المحـبوب فـيـهـا بأن ∴ يزور إن صح فــيـا حــبــذا
غـــصـن إذا مـــيـل أعطـافـــه ∴ فــيـا حــيـاء الغــصن منه إذا[8]
عـــوذته بالـلّه من حـــاســـد ∴ ولـيـــتـــه يرثـى لمن عـــوذا

---

(١) جارية = زائرة فى ب، زائرة = زاهرة فى ب، إزارها = أزرارها فى ب، د.
(٢) د ف = كف فى هـ.
(٣) اعطافها = اعضائها فى ب، د.
(٤) سردها = سورها فى جـ.
(٥) العشاكيل = العناكيل فى د.
(٦) هذا البيت ناقص فى ب.
(٧) فى أ، د قال على بن جمال الدين بن ظافر.
(٨) فيا حياء = فيا حبذا فى أ.

قــد سلبت ألماظه مـــهـــجـــتى ∴ ولم أجـــد لى منه مـــســـتنقـــذا
وروضـــة راضت رشـــا نـافـــرا ∴ عليـه شـيطان القلى اسـتحـوذا[١]
بت بهـــا من دوحــهـــا نـاعـــمـــا ∴ بين شــــذا الطيـب وطيب الـشــــذا
نـزهـت طـرفـى فـى جـنـى هـذه ∴ ونـلت آمـــــالـى من وصـل ذا[٢]

وقال جمال الدين على بن ظافر[٣]:

ألا حـرست من روضة قـد حللتهـا ∴ وقـد رق فـيـهـا مـاؤهـا وهواءها
وقد أسـرعت فيهـا الجداول جـريها ∴ إلى شـــجـــر منهــا يجئ نماؤها
ولاح لهـا زهر الـشـقـائـق يانعـا ∴ كـمـثـل زنوج ضـرجـتـهـا دمـاؤها
فـمن كل قـاع أخـضـر وشـقـيـقـة ∴ كـتـيـبـة جـيش وهـى فـيـهـا لواءها
وغنـت على الأوراق ورق كـــأنما ∴ لإطرابنا قـــد طال منهـــا غنـاؤها
تعـجبـت منها ألبسـت فى سـوادها ∴ حدادا وقـد أشجى القلوب غناؤها[٤]
وأعـجب من رقش الميـاه وقـصـدها ∴ زمـــرد أشـجـــار الربّا وهـو داؤها

وقال القاضى عبدالخالق بن الهوان الإخميمى[٥]:

هل مثل مصـر بظهر الأرض من دار ∴ أعـيش فـيـهـا بمقـيـاس وآثار[٦]
فلم أر قط روضـا مـثل روضـتـهـا ∴ والنهـــر جـــار بأمـــواج وتـيـــار[٧]
وللـغـــصـــون ظـلال من مناظـرها ∴ يفـــيـح ورد وريحــــان وأزهـار
وبين بانـاتهـا والآس من شـــحـــر ∴ مـر النسـيم وتغـريـد لأطيـار[٨]

---

(١) هذا البيت ناقص فى ب، د، شياطين فى جـ.
(٢) جنى = حى فى ب، د.
(٣) فى أ، ب، د قال القاضى عبد الخالق بن العون الاخميمى.
(٤) ألبست = البنت فى جـ.
(٥) وقال جمال الدين بن ابن ظافر فى ب، د.
(٦) المقصود بآثار هو رباط الآثار النبوية على النيل بمصر القديمة.
(٧) تيار = تسيار فى د.
(٨) سحر = شجر فى أ، د.

وقال الشهاب البزاعى :

وإن أردت فشاطئ نيل مصر مصر ∴ فكم من راحته ثم للأرواح والمقل[1]
مقياسه قائم بالقسط بسطته ∴ تقضى بحكم على التيار منفصل
بانت أصابعه عن كل سارية ∴ من السحاب برىّ السهل والجبل[2]
كم من عروس سفين تحت قلعته ∴ تجلى ولكن من الإقلاع فى كلل
تكاد روضته تهتز من طرب ∴ بجانبيها حلول الشمس فى الحمل
لذاتها أبدا موصولة بلذا ∴ ذات مدى بكر الأيام والأصل
واعبر إلى الجيزة الفيحاء واسع إلى ∴ الأهرام وانظر مناشيها ولا تطل[3]
وحز حدود أبى الهول الذى ∴ وضعته القبط على ما فيه من ثقل

وقال الصلاح الصفدى فى كتابه المسمى فض الختام عن التورية والاستخدام : قلت فى وصف دار بالروضة :

فى روضة المقياس ربع أوعيت ∴ عنه محاسنه بلطف ثناء
ألف المقيم به ملاعب نونه ∴ فى النيل إذ يبدو لعين الرائى[4]

وأنشدنى زين الدين عبد الرحمن الشامى الحنبلى لنفسه :

للّه روضة مقياس بمنتزه ∴ كأنها جنة من أعجب العجب
فكل بيت بها زاه بصاحبه ∴ يراه من لذة راق على الرتب

وقال ابن أبى حجلة يمدح الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبا الفتح أبا بكر العباس سنة اثنتى وستين وسبعمائة ويذكر الروضة وصلحه بين الأمراء بدمشق :

هناء فى المساء وفى الصباح ∴ ونصر فى الغدو وفى الرواح
وديك هنا إذا غنى حمام ∴ على عود يصفق بالجناح
وملك بالخليفة ما برحنا ∴ له فى بسط عدل وانشراح
أبو الفتح الخليفة سد لما ∴ غدا بدمشق أبواب الكفاح[5]

(١) ثم = ثم فى جـ، ب، د.
(٢) بانت = نابت فى ب، د، وفى أ ناءت.
(٣) مناشيها = مبانيها فى ب، د.
(٤) نونه = نوبه فى جـ.
(٥) الشطر الثانى من هذا البيت وضع مكانه شطر البيت الذى يليه فى النسخة ب، د.

فــــأمن أهـلهـــا بـالصـلح لما ∴ تشـاجـرت السـيـوف مع الـرمـاح
فلولا صـــفـحــه عـنهم لبــاتت ∴ تصــافـحــهم بهم بيض الصفـاح
فــلا برحت دمــشق به رياضــا ∴ كـروضــة مـصــر تبسم عـن أقـاح

وقال الأديب الفاضل شمس الدين النواجى[1] :

مــصـــر قـــالـت دمـــشق لا ∴ تفــتـــخـــر قط باســمـــهــا
لـو رأت قـــوس روضـــتـي ∴ منه راحت بســهـــمـهـــا[2]

وقال فخر الكتاب أبو الحزم مكى بن خالد المصرى الكاتب المجود بروضة مصر :

وروضــة أظـهـر الـغـروب بـهـا ∴ عـــجـــائـبــا مـن بديع أنوار
كــأنـهــا جنة الـنعـيم وقـد ∴ حــفت بهــا ألـسن من الـنار[3]

وقال البدر البشتكى من قصيدة يمدح فيها قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة :

خليلى من مـصـر أشـيـرا على فـتى ∴ هون عـلـيـه أن يهــون وتـكـرمـا
أأرحل عـنهــا أم أقــيم فــإنـنى ∴ رأيت ربيع الـعـيش منهـا مـحـرمـا
نعـم وأنال النـيل فى مــصـــرانه ∴ إذا ما ظمى يزداد فـيها الفـتى ظما[4]
عـلى إننـى أهـوى هواه ونـاظـرى ∴ إذا مـا جـفـاها ألجم الدمع ألجـمـا[5]
فـلله أيام الــوفـــاء بـروضـــة ∴ وشـملى عـلى منثورها قـد تـنظمـا

---

(١) هو شمس الدين محمد بن حسن بن على بن عثمان النواجى القاهرى الشافعى الأديب البارع النحوى الشاعر المجيد ولد سنة ٧٨٥ أو سنة ٧٨٨ هـ وتوفى فى سنة ٨٥٩ هـ، له مؤلفات منها حاشيته على توضيح ابن هشام ومراتع الغزلان وحلبة الكميت، ينتسب إلى نواج قرية بمصر بمحافظة الغربية، ولد بالقاهرة وقرأ على مشايخ عصره ثم دخل دمياط والإسكندرية وتردد إلى المحلة وغيرها وأمعن النظر فى علوم الأدب حتى فاق أهل عصره وأطال الاعتناء بالأدب فحوى فيه أعلى الرتب، عمل كتابا سماه : الحجة فى سرقات ابن حجة واشتهر ذكره وبعد صيته، وقال الشعر الفائق والنثر الرائق، وجمع المجاميع وطارح الأئمة، وأخذ عنه غير واحد واستقر فى تدريس الحديث بالجمالية والحسينية إلى أن مات.

(٢) المقصود بالقوس هنا عقد لباب كبير تبقى من القلعة الصالحية كانت الناس تتنزه عنده وقد بقى حتى أيام ابن إياس المؤرخ الكبير (ت ٩٢٨ هـ).

(٣) هذان البيتان ناقصان فى ب، د.

(٤) الفتى ناقصة فى ب، د.

(٥) جفاها = جناها فى ب.

إذا المشتهى المعشوق جاد بمنتهى ∴ مرامى وبالمقياس همى تقسما[١]
وكم من حسود سره سوء حالتى ∴ فلما رآنى فى البريم تبرما[٢]
كأن الغصون المايسات رواقص ∴ شربن مداما حل ثم تحرما[٣]
كأن الذى غنى من الورق مطرب ∴ بمدحى فى قاضى القضاة ترنما
وليس الوفا فى نيل مصر سجية ∴ ولكن من ذاك النوال تعلما

وقال أيضا من قصيدة يمدحه بها :

فما روضة فيحاء غناء أزهرت ∴ وعاودها غيث من القطر غائث
ترخص أقدار الغوالى بعرفها ∴ وفيها شذا بالمندل الرطب عابث[٤]
يحف بها النيل الذى ألف الوفا ∴ فعم ولنفع الناس فى الأرض ماكث[٥]
باعبق من أوصافه وثنائه ∴ وزانته أخلاق حسان دمائث[٦]

وقال أيضًا :

وروضة جرر فيها الحيا ∴ ذيلاً فلم يعطش ولم يترع[٧]
كأنما الورد وقطر الندا ∴ محمر خدٍّ رش بالأدمع
يعشقه النرجس من أجل ذا ∴ لم يغمض العين ولم يهجع
كأنما النارنج نفط وقد ∴ فرقه الأفق عن المدفع
كأنما ذابل أزهارها ∴ زيد عن النيل فلم يشرع

---

(١) المشتهى والمنتهى منظرتين فاطميتين كانتا بالروضة ، والمعشوق بستان يتنزه به الناس وموضعه فى منطقة أثر النبى الآن .
(٢) البريم كان مكانًا على النيل يصطاد فيه السمك ومحاط بالحدائق وتتنزه عنده الناس أيام الربيع والنيل، وموضعه الآن فى المنطقة المحاطة بجامع أثر النبى بمصر القديمة .
(٣) حل = حلى فى ب، تحرما = محرما فى أ .
(٤) هذا البيت ساقط فى جـ، هـ .
(٥) فعم = نعم فى جـ .
(٦) أخلاق ساقطة فى جـ .
(٧) الحيا = الماء فى ب، ويترع = ينزغ فى جـ .

وقال أيضًا:

أنظر إلى مقياس مصر وغن لى ∴ من روضة المعشوق فى عشاق
وافخر بمصر على البلاد فنيلها ∴ يقضى على الأوصاف باستغراق
وتخلخلت منه الغصون وقد علا ∴ دارت دوائره على الأسواق
لله فى أفق الجزيرة ملعب ∴ كانت لنجوم السعد فيه رفاقى
حيث الصبا تصبى اللبيب لأنها ∴ تملى عليه مصارع العشاق
تتعانق الأغصان مع إصغائها ∴ لسماع نوح الورق فى الأوراق[1]
فترى بإذن العارفين تجاهلاً ∴ أمقام وصل أم مقام فراق

(١) إصغائها = أغصانها فى ب، د.

ذكر تحصن المقوقس بها وتردد الصحابة إليها

قال المقريزى[1] : «وإلى هذه الجزيرة إلتجأ المقوقس لما فتح الله على المسلمين القصر وصار بها هو ومن معه من جموع الروم والقبط».

وقال ابن عبدالحكم فى فتوح مصر[2] : «حدثنا عثمان بن صالح أنبأنا خالد بن نجيح عن يحيى بن أيوب وخالد بن حميد قالاً: حدثنا خالد بن يزيد عن جماعة من التابعين بعضهم يزيد على بعض أن المسلمين لما حاصروا باب اليون[3] وكان به جماعة من الروم وأكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فقاتلوهم بها شهراً فلما رأى القوم منهم الجد على فتحه والحرص ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم فتنحى المقوقس وجماعة من أكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلى ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة وأمروا بقطع الجسر وذلك فى جرى النيل وتخلف الأعيرج فى الحصن بعد المقوقس فلما خاف، فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن[4] ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة فأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص إنكم قوم قد ولجتم فى بلادنا وألحتم على قتالنا وطال مقامكم فى أرضنا وإنما أنتم عصبة يسيرة وقد أظلتكم الروم وجهزوا إليكم ومعهم من العدة والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل وإنما أنتم أسارى فى أيدينا فابعثوا إلينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله أن يأتى الأمر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم هذا القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه، فلما أتت عمرو بن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين حتى خاف عليهم المقوقس وإنما أراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين فرد عليهم عمرو أنه ليس بيننا وبينكم إلا إحدى ثلاث خصال: إما إن دخلتم فى ديننا الإسلام فكنتم أخواننا وكان لكم مالنا، وإن أبيتم فأعطيتم الجزية عن يد وأنتم صاغرون، وإما أن جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين، فلما جاءت رسل المقوقس إليه قال: كيف رأيتموهم؟ قالوا: رأينا قوما الموت أحب إلى أحدهم من الحياة والتواضع أحب إلى أحدهم من الرفعة، ليس لأحدهم فى الدنيا رغبة ولا

---

(١) الخطط جـ ٢ ص ١٧٨ .

(٢) حققنا هذا النص بمراجعة الأصل الذى ورد فى كتاب فتوح مصر وأخبارها لابن عبد الحكم (ص ٦٤ ـ ٧٠) وفى خطط المقريزى (جـ ١ ص ٢٩٠ ـ ٢٩٢)، بالإضافة إلى قلة أخطاء هذا النص فى معظم النسخ المخطوطة.

(٣) أى حصن بابليون الذى ما زالت بعض أبراجه وأسواره موجودة حتى الآن بمصر القديمة حول المتحف القبطى، والذى على أحد أبراجه أقيمت الكنيسة المعلقة، وعلى برج آخر أقيمت كنيسة سان جورج.

(٤)ما زال الرصيف الذى كانت ترسو به السفن باقيا إلي الآن ويظهر للعيان فى حال انخفاض المياه حول المدخل الجنوبى للحصن.

نهمة، إنما جلوسهم على التراب وأكلهم على ركبهم وأميرهم كواحد منهم، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء ويتخشعون فى صلاتهم. فقال المقوقس عند ذلك: والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها وما يقوى على قتال هؤلاء أحد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبونا بعد اليوم إذا أمكنتهم الأرض وقووا على الخروج من موضعهم.

فرد إليهم المقوقس رسله، إبعثوا إلينا رسلاً منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم إلى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم، فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة أشبار وأمره أن يكون متكلم القوم ولا يجيبهم إلى شىء دعوه إليه إلا إلى إحدى هذه الثلاث خصال، وكان عبادة بن الصامت أسوداً، فلما ركبوا السفن إلى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة فهابه المقوقس وقال: نحّوا عنى هذا الأسود وقدموا غيره يكلمنى، فقالوا: إن هذا الأسود أفضلنا رأيًا وعلمًا وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وإنما نرجع جميعا إلى قوله ورأيه وقد أمّره الأمير دوننا بما أمره به.

فقال المقوقس لعبادة: تقدم يا أسود وكلمنى برفق فإنى أهاب سوادك وإن اشتد كلامك علىّ ازددت لذلك هيبة، فتقدم إليه عبادة فقال: قد سمعت مقالتك وإن فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل أسود كلهم أشد سوادا منى وأفظع منظرا ولو رأيتهم لكنت أهيب لهم منك لى وأنا قد وليت وأدبر شبابى وإنى مع ذلك بحمد الله ما أهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعا وكذلك أصحابى وذلك إنما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا من حارب الله لرغبة فى دنيا ولا طلب للاستكثار منها إلا أن الله عز وجل قد أحل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا وما يبالى أحدنا إن كان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهما لأن غاية أحدنا من الدنيا أكلة يأكلها يسد بها جوعته لليله ونهاره وشملة يلتحفها، فإن كان أحدنا لا يملك إلا ذلك كفاه، وإن كان له قنطار من ذهب أنفقه فى طاعة الله واقتصر على هذا لأن نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء إنما النعيم والرخاء فى الآخرة وبذلك أمرنا الله وأمرنا به نبينا وعهد إلينا أن لا تكون همة أحدنا من الدنيا إلا ما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله فى رضى ربه وجهاد عدوه.

فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله: هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وإن قوله لأهيب عندى من منظره وإن هذا وأصحابه أخرجهم الله لخراب الأرض ما أظن ملكهم إلا سيغلب على الأرض كلها. ثم أقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له: أيها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن أصحابك ولعمرى ما بلغتم ما بلغتم

إلا بما ذكرت وما ظهرتم على من ظهرتم عليه إلا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها، وقد توجه إلينا لقتالكم من جمع الروم مالا يحصى عدده، قوم معروفون بالنجدة والشدة ما يبالى أحدهم من لقى ولا من قاتل، وإنا لنعلم أنكم لن تقدروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد أقمتم بين أظهرنا أشهرا وأنتم فى ضيق وشدة من معاشكم وحالكم، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بين أيديكم ونحن تطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولأميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون إلى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوام لكم به.

فقال عبادة بن الصامت: يا هذا لا تغرّنّ نفسك ولا أصحابك، أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وإنا لا نقوى عليهم فلعمرى ما هذا بالذى تخوفنا به ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه، وإن كان ما قلتم حقا فذلك والله أرغب ما يكون فى قتالهم وأشد لحرصنا عليهم لأن ذلك أعذر لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه إن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا فى رضوانه وجنته وما شىء أقرّ لأعيننا ولا أحب لنا من ذلك، وإنا منكم حينئذ لعلى إحدى الحسنيين: إما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا إن ظفرنا بكم أو غنيمة الآخرة إن ظفرتم بنا، ولأنها أحب الخصلتين إلينا بعد الاجتهاد منا وإن الله عز وجل قال لنا فى كتابه ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ وما منا رجل إلا وهو يدعو ربه صباحًا ومساءًا أن يرزقه الشهادة وأن لا يرده إلى بلده ولا إلى أرضه ولا إلى أهله وولده وليس لأحد منا همّ فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وإنما همنا ما أمامنا، وأما قولك إنا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن فى أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما أردنا منها لأنفسنا أكثر مما نحن عليه، فانظر الذى تريد فبينه لنا فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك إليها إلا خصلة من ثلاث فاختر أيتها شئت، ولا تطمع نفسك فى الباطل، بذلك أمرنى الأمير وبها أمره أمير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل إلينا، إما إن أجبتم إلى الإسلام الذى هو الدين القيم الذى لا يقبل الله غيره وهو دين أنبيائه ورسله وملائكته أمرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فإن فعل كان له ما لنا وعليه ما علينا وكان أخانا فى دين الله، فإن قبلت ذلك أنت وأصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل أذاكم ولا التعرض لكم، وإن أبيتم إلا الجزية فأدوا إلينا الجزية عن يد وأنتم صاغرون وأن نعاملكم على شىء نرضى به نحن وأنتم فى كل عام أبدا ما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناوأكم وعرض لكم فى شىء من أرضكم ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم إذ كنتم في ذمتنا وكان لكم به عهد الله علينا، وإن أبيتم فليس بيننا وبينكم إلا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا أو نصيب ما نريد منكم. هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظروا لأنفسكم.

فقال له المقوقس: هذا ما لا يكون أبدًا ما تريدون إلا أن تتخذونا عبيدًا ما كانت الدنيا.

فقال له عبادة: هو ذاك فاختر لنفسك ما شئت.

فقال المقوقس: أفلا تجيبونا إلى خصلة غير هذه الثلاث خصال؟

فرفع عبادة يديه إلى السماء فقال: لا ورب هذه السماء ورب هذه الأرض ورب كل شيء ما لكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لأنفسكم.

فالتفت المقوقس عند ذلك إلى أصحابه فقال: قد فرغ القوم فما ترون؟ فقالوا: أو يرضى أحد بهذا الذل. أما ما أرادوا من دخولنا فى دينهم فهذا ما لا يكون أبدا أن نترك دين المسيح ابن مريم وندخل فى دين غيره لا نعرفه، وأما ما أرادوا من أن يسبونا ويجعلونا عبيدًا فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا أن نضعف لهم ما أعطيناهم مرارًا كان أهون علينا.

فقال المقوقس لعبادة: قد أبى القوم فما ترى فراجع صاحبك على أن نعطيكم فى مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون.

فقال عبادة وأصحابه: لا[1].

فقال المقوقس عند ذلك: أطيعونى وأجيبوا القوم إلى خصلة من هذه الثلاث، فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم تجيبوا إليها طائعين لتجيبنهم إلى ما هو أعظم كارهين.

فقالوا: وأى خصلة نجيبهم إليها؟

قال: إذًا أخبركم، أما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به، وأما قتالهم فأنا أعلم أنكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا صبرهم، ولا بد من الثالثة.

فقالوا: فنكون لهم عبيدا أبدًا.

قال: نعم، تكونون عبيدًا مسلطين فى بلادكم آمنين على أنفسكم وأموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا من آخركم وتكونوا عبيدا تباعوا وتمزقوا فى البلاد مستعبدين أبدًا أنتم وأهليكم وذراريكم.

قالوا: فالموت أهون علينا، وأمروا بقطع الجسر من الفسطاط وبالجزيرة والتجا[2] بالقصر من جمع القبط والروم جمع كثير، فألح عليهم المسلمون عند ذلك بالقتال على من فى القصر

---

(١) فى الأصول وفى فتوح مصر وردت العبارة (فقام عباده وأصحابه) والعبارة المذكورة أعلاه من خطط المقريزى جـ١ ص٢٩٢.

(٢) التأجوا فى المخطوط، وهذه الكلمة لم ترد فى فتوح مصر ولا فى الخطط.

حتى ظفروا بهم وأمكن الله منهم فقتل منهم خلق كثير وأسر من أسر وانحازت السفن كلها إلى الجزيرة فقال المقوقس لأصحابه: ألم أعلمكم هذا وأخافه عليكم فأطيعونى من قبل أن تندموا فأذعنوا عند ذلك بالجزية ورضوا على صلح يكون بينهم، فأرسل المقوقس إلى عمرو بن العاص: إن القوم قد رجعوا إلى قولى فاعطنى أمانًا اجتمع أنا وأنت فى نفر من أصحابى ونفر من أصحابك فأجابه إلى ذلك فاجتمعوا على عهد بينهم.

ذكر شرف هذه البقعة

بكون طائفة من أصحاب رسول الله ﷺ ورضى عنهم حلوا بها ومشوا فيها بأقدامهم المباركة

أعلم أن مصر دخلها فى الفتح وبعد الفتح ألف من الصحابة، وقد ورد من طرق أن الجيش الذين كانوا مع عمرو بن العاص فى فتح مصر اثنى عشر ألفا، ورأيت فى بعض الكتب إنه كان منهم أربعة آلاف من الصحابة والباقون من التابعين، وقال محمد بن الربيع الجيزى فى كتاب من دخل مصر من الصحابة: ذكر وزير[١] أنه دخل مصر مع عمرو بن العاص من بلى[٢] ممن بايع تحت الشجرة مائة رجل والمقلل يقول سبعون رجلا انتهى.

قلت: فإذا كان من قبيلة بلى وحدها مائة فكم يكون من سائر القبائل من المهاجرين والأنصار؟ وأخرج ابن عبد الحكم فى فتوح مصر[٣] عن سليمان بن يسار قال: «غزونا إفريقية مع ابن حُديج ومعنا بشر كثير من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين والأنصار» والذين حضروا الفتح انقسموا فرقا منهم من رجع إلى الحجاز ومنهم من اختط دوراً ومساكن بمصر ومنهم من اختط بالجزيرة وهى الروضة أخذا مما سيأتى عن القضاعى. وكان الذين سكنوا الجيزة يحضرون الجمعة مع عمرو بن العاص فى جامع الفسطاط فيعبرون إليه من طريق الروضة على الجسر إلى الجزيرة ومن الجزيرة إلى مصر. وقد ورد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما بلغه أن جماعة سكنوا بالجيزة سأل: أيحول بينهم وبين عمرو بن العاص ومن معه بحر؟ فقيل له: نعم. فكتب إلى عمرو ينهاه عن ذلك ويأمره بأن لا يجعل بينه وبين أحد من جماعته بحرا.

---

(١) فى النسخة هـ (ابن وزير) وهذا السطر ناقص فى ب، د.

(٢) بلى هى إحدى القبائل العربية الكبرى فى الجزيرة العربية ولها فروع عديدة فى مصر فى وسط وجنوب سيناء وغيرها.

(٣) (ص ١٩٣، طبعة مدبولى ١٩٩١م).

وذكر القضاعي في خططه إن أبا عثيم ولاّه عبد العزيز بن مروان في إمارته بمصر نائبًا عنه بالجزيرة . وهذا يدل على كثرة من كان ساكنا بها حينئذ بحيث يحتا.ـون إلى وال عليهم ، وولاية عبد العزيز بمصر كانت بعد فتحها بنيف وخمسين سنة وأقامت مصر بعد فتحها تسعين سنة إلى سنة عشر ومائة وهي آخر قرن الصحابة ، والصحابة ترد إليها فوجًا بعد فوج خصوصًا من حين قتل عثمان وهلم جرًا فحينئذ لا يحصى عدة من دخل مصر من الصحابة ولا من سكن بهذه الجزيرة منم وأكثرهم لم يوقف على تسميته ، وقد تتبعت من سمى منهم فوقفت على ثلاثمائة وأربعين صحابيا وقد أفردتهم بتأليف مستقل سميته در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة[1] ، وهذه جملة من مشاهيرهم ، أبرهة بن الصباح الحميرى[2] ، أبيض بن حمال المأربى[3] ، أبيض بن هنى[4] ، أبى بن عمارة أحد من صلى القبلتين[5] ، أجمد بالجيم بن عجيان الهمذانى[6] كان ساكنا بالجزيرة[7] ، أحمد بن قطن[8] ، الأرقم بن حفيته التجيبى[9] ،

---

(١) نشر هذا الكتاب كاملا ومحققا ضمن كتاب حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة للمؤلف نفسه ، ونحن نعتمد عليه فى تحقيقنا لكتاب كوكب الروضة خصوصا وأن محققه الأستاذ الكبير محمد أبو الفضل إبراهيم .

(٢) هو أبرهة بن شرحبيل بن أبرهة بن الصباح الحميرى ، صحابى ، قال الرشاطى فى الأنساب وفد على النبى ﷺ ففرش له رداءه ، وكان بالشام ، وكان يعد من الحكماء ، وله رواية انظر حسن المحاضرة جـ١ ص١٦٧ .

(٣) هو أبيض بن حمّال بن مَرْثد بن ذى لُحيان المأربى السبئى . قال ابن الربيع الجيزى : أخبرنى يحيى بن عثمان أنه شهد فتح مصر قال البخارى وابن السكن : له صحبة وأحاديث تعدّ فى أهل اليمن ، وروي الطبرانى أنه وفد على أبى بكر رضي الله عنه لما انتقض عليه عمال اليمن ، وروى حديثه أصحاب السنن الأربعة وابن حبّان ، وروى أن أبيض بن حمال كان بوجهه حزازة وهى القوباء فالتقمت أنفه فمسح النبى ﷺ على وجهه فلم يمس ذلك اليوم وبه أثر . حسن المحاضرة جـ١ ص ١٦٧ .

(٤) هو أبيض بن هنّى بن معاوية أبو هبيرة . قال في الإصابة : أدرك النبي ﷺ وشهد فتح مصر ، ذكره ابن منده فى تاريخه ، واستدركه أبو موسى وذكره ابن الكلبى فى الجمهرة . حسن المحاضرة جـ١ ص١٦٨ .

(٥) هو أبىّ بن عمارة ـ بكسر العين ، وقيل بضمها . أحد من صلى القبلتين . ذكره ابن عبد الحكم فيمن دخل مصر من الصحابة ، وقال : لأهل مصر عنه حديث واحد ، ذكر ابن الكلبى أن أباه عمارة أدرك خالد بن سنان الذى يقال إنه كان نبيا ، وقال المزّىّ فى التهذيب : مدنى ، سكن مصر ، له صحبة وحديث فى المسح على الخفين . حسن المحاضرة جـ١ ص١٦٨ .

(٦) هو أجمد بن عُجْيَان ، همذانىّ وفد على النبى ﷺ وشهد فتح مصر ؛ ذكره ابن يونس وقال : لا أعلم له رواية . وخطته معروفة بجيزة مصر . قال فى الإصابة ؛ وضبطه ابن العربى بالحاء المهملة فوهم . حسن المحاضرة جـ١ ص ١٦٨٨ .

(٧) ورد فى الحاشية السابقة «وخطته معروفة بجيزة مصر ، وهذا خطأ والصحيح جزيرة مصر أى الروضة» .

(٨) هو أحمر بن قطن الهمذانى . قال فى الإصابة : شهد فتح مصر ؛ يقال له صحبة ، ذكره ابن ماكولا عن ابن يونس . حسن المحاضرة جـ ص١٦٩ .

(٩) هو الأرقم بن حفيته التُجُيبىّ . من بنى نصر بن معاوية ، قال ابن منده : سمعت ابن يونس يقول : إنه شهد فتح مصر ، وعداده فى الصحابة . حسن المحاضرة جـ١ ص١٦٩ .

أسعد بن عطية البلوى(١)، أمرؤ القيس بن الفاخر الخولانى(٢)، أوس بن عمر القارى(٣)، إياس بن البكير(٤)، إياس بن عبد الأسد(٥)، أيمن بن خزيم الأسدى(٦)، بحر بن ضُبُع الرعينى(٧)، برتا بن الأسود القضاعى(٨)، برح بن عسكر(٩)، بُسْر بن أبى

---

(١) هو أسعد بن عطية بن عبيدة القُضاعى البلوى. ذكره ابن يونس وقال: بايع تحت الشجرة، وشهد فتح مصر. له ذكر، وليست له رواية. حسن المحاضرة جـ١ ص١٦٩.

(٢) هو امرؤ القيس بن الفاخر بن الطماح الخولانى أبو شرحبيل. شهد فتح مصر، وله ذكر فى الصحابة. قاله ابن منده. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٦٩ ـ ١٧٠.

(٣) هو أوس بن عمرو بن عبد القارى. نزيل مصر. قال االقضاعى فى الخطط: له صحبة، ذكره فى الإصابة. حسن المحاضرة جـ١ ص١٧٠.

(٤) هو إياس بن البكير ـ ويقال ابن أبى البكير ـ بن عبد يا ليل بن ثابت الليثى. قال ابن الربيع: بدرى شهد فتح مصر ولأهل مصر عنه حديث واحد، أخبرنيه مقدم بن داود؛ حدثنا أبو الأسود نصر بن عبد الجبار، عن ابن لهيعة، عن عباس بن عباس، عن عيسى بن موسى، عن إياس بن البكير، أن رسول الله ﷺ، قال: «من مات يوم الجمعة، كتب الله له أجر شهيد، ووقي فتنة القبر». وقال ابن يونس: شهد فتح مصر، ومات سنة أربع وثلاثين. واستشهد أخوه عاقل ببدر، وأخوهم خالد يوم الرجيع، وأخوهم عامر باليمامة. قال ابن إسحاق: لا يُعلم أربعة إخوة شهدوا بدرا غير إياس وإخوته وهاجروا جميعا. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٠.

(٥) هو إياس بن عبد الأسد القارى، حليف بنى زُهرة، ذكره سعيد بن عفير، فيمن شهد فتح مصر من الصحابة، واختط بها دارا. أخرجه ابن منده، وذكره أيضا ابن عبد الحكم. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٠.

(٦) هو أيمن بن خريم ـ بالمعجمة ثم الراء ـ بن الأخرم بن شداد بن عمرو بن فاتك الأسدى. قال المبرِّد فى الكامل: له صحبة، وقال المرزبانى: يقال له صحبة. وقال ابن عبد البر: أسلم يوم الفتح وهو غلام يفعة، وقال ابن السكن. يقال له صحبة. وأخرج له الترمذى حديثا عن النبى ﷺ، واستغربه، وقال: لا نعرف لأيمن سماعا عن النبى ﷺ. وقال الصولى: كان أيمن يسمى خليل الخلفاء، لإعجابهم به وبحديثه لفصاحته وعلمه. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٠ ـ ١٧١.

(٧) هو بُحُر بن ضُبُع ابن يحمد الرعينى. قال ابن يونس: وفد على رسول الله ﷺ، وشهد فتح مصر. وقال فى ترجمة حفيده مروان بن جعفر بن خليفة بن بحر: كان شاعرا وهو القائل:

وجدى الذى عاطى الرسول يمينه ∴ وحنت إليه من بعيد رواحله

قال: وحفيده الآخر أبو بكر بن محمد بن بحر، وفى مراكب دمياط فى خلافة عمر بن عبدالعزيز. ذكره ابن يونس. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٣.

(٨) هو برتا بن الأسود بن عبد شمس القضاعى. قال ابن يونس: له صحبة، شهد فتح مصر وقتل يوم فتح الإسكندرية. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٤.

(٩) هو برْح بن عُسْكُرْ كذا ضبطه ابن ماكولا، ونسبه إلى قضاعة. وقال المنذرى: كان السلفى يقول: عُسْكُلُ بلامَ. وقال ابن عبد الحكم: يقال: ابن حُسْكل، والصواب عسكل قال ابن يونس: له وفادة على النبى ﷺ، وشهد فتح مصر واختط بها، وسكنها وهو معروف من أهل البصرة. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٤.

أرطـــأة[١]، بشر بن ربيعـة الخثعمى[٢]، بشـر بن جـابر العبسـى[٣]، بصرة بن أبى بصرة الغـــفـــارى[٤]، بلال بن الحـــارث المزنى[٥]، تميم بن أوس الـدارى[٦]، ثابت بن رويفع

---

(١) هو بسر بن أرطأة، أو ابن أبى أرطأة. قال ابن حبّان: وهو الصواب. وقال فى الإصابة: وهو الأصح. قال ابن يونس: كان من أصحاب رسول الله ﷺ، شهد فتح مصر واختط بها، وكان من شيعة معاوية، شهد صفين معه، وولى البحرين له، ووسوس فى آخر أيامه، وقال ابن السكن: مات وهو خَرِف. وقال ابن الربيع: ولأهل مصر عنه حديث واحد وحكاية ثم روى من طريق ابن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب، قال: كان بُسر إذا ركب البحر قال: أنت بحر وأنا بسر، علىّ وعليك الطاعة لله، سيروا على بركة الله. وقال المزى فى التهذيب لم يرو عن النبى ﷺ سوى حديثين: حديث «لا تقطعوا الأيدى فى الغزو» أخرجه أبو داود والترمذى والنسائى، وحديث فى الدعاء، أن رسول الله ﷺ كان يقول: «اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها، وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة» حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

(٢) هو بشر بن ربيعة الخثعمى، ويقال الغنوى. قال أبو حاتم: مصرى له صحبة، وقال ابن السكن: عداده فى أهل الشام. وقال ابن الربيع: دخل مصر: روى حديثه أحمد والبخارى فى التاريخ والطبرانى وابن السكن وغيرهم، من طريق المنذر بن المغيرة المغافرى. عن عبيد الله بن بشر بن ربيعة الغنوى عن أبيه، أنه سمع النبى ﷺ يقول: «لتفتحن القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك جيشها» قال عبيد الله: فدعانى مسلمة بن عبد الملك، فسألنى، فحدثته بهذا الحديث. فغزا القسطنطينية. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٣) هو بشر بن جابر بن عُراب العبسى. قال ابن يونس: وفد على النبى ﷺ، وشهد فتح مصر ولا تعرف له رواية. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٦.

(٤) هو بَصْرة الغفاري قال فى الإصابة: ولأبيه صحبة معدودة فيمن نزل مصر. أخرج حديث مالك والأربعة بسند صحيح. وقال ابن حبان: يقال إن له صحبة. وقال المزى فى التهذيب: له عن النبى ﷺ حديث واحد، رواه عنه أبو هريرة، وهو حديث «لا تُعْمَل المطىّ إلا إلى ثلاثة مساجد» قلت: قد ذكره ابن سعد أيضا فيمن نزل مصر من الصحابة، وقال: هو وأبوه وابنه صحبوا النبى ﷺ ورووا عنه. وقال الذهبى فى التجريد: هو وأبوه صحابيان نزلا بمصر. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٦.

(٥) هو بلال بن حارث بن عصم بن سعيد بن قرة المزنى، أبو عبد الرحمن. من أهل المدينة، أقطعه النبى ﷺ العقيق، وكان صاحب لواء مُزينة يوم الفتح، وكان يسكن وراء المدينة، ثم تحول إلى البصرة، ذكره ابن سعد فى الطبقة الثالثة من المهاجرين وقال ابن الربيع: شهد فتح مصر، وتوفي سنة ستين. وهو ابن ثمانين سنة حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٦) هو تميم بن أوس بن حارثة الدارى، أبو رقية. من مشاهير الصحابة، أسلم سنة تسع، هو أخوه نعيم، وذكر للنبى ﷺ قصة الجسّاسة والدجال؛ فحدّث عنه النبى ﷺ بذلك على المنبر، وعدّ ذلك من مناقبه؛ وأورده أهل الحديث أهلا لرواية الأكابر عن الأصاغر؛ وكان نصرانيا من علماء أهل الكتاب قال أبو نعيم: وكان راهب أهل عصره، وعابد فلسطين، وغزا مع النبى ﷺ. وهو أول من أسرج السراج فى المسجد، وأول من قص، وذلك فى خلافة عمر. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر؛ ولأهل مصر عنه حديث واحد، وسكن فلسطين بعد قتل عثمان، وكان النبى ﷺ أقطعه بها قرية عينون. مات سنة أربعين. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٧.

الأنصارى(١)، ثابت بن طريف المرادى(٢)، ثابت بن النعمان(٣)، ثابت مولى الأخنس بن شريق(٤)، ثعلبة بن أبى رقية اللخمى(٥)، ثعلبة أبو عبد الرحمن الأنصارى(٦)، جابر بن أسامة الجهنى(٧)، جابر بن ماجد الصدفى(٨) وهو الذى قرأ كتاب عمر على النيل، ، جابر بن ياسر القتبانى(٩)، جبَارة بن زرارة البلوى(١٠)، جبر بن عبد الله القبطى(١١) وهو رسول المقوقس

---

(١) هو ثابت بن رويفع ـ ويقال رفيع ـ الأنصارى، شاميى، نزل مصر، قال البخارى فى كتاب الصحابة: ثابت بن رويفع الأنصارى المصرى، وكان يؤمر على السرايا؛ سمع من النبى ﷺ حديث: «إياكم والغلول فى المصريين». حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٨.

(٢) هو ثابت بن طريف المرادى. قال فى الإصابة: شهد فتح مصر، وله صحبة. ذكره ابن منده عن ابن يونس. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٨.

(٣) هو ثابت بن النعمان بن أمية بن امرئ القيس أبو حية. شهد فتح مصر. قاله ابن البرقى وابن يونس: وليس هو البدرى، ووهم ابن منده فوحدهما.

(٤) هو ثابت مولى الأخنس بن شريق. قال فى الإصابة: ذكر عبدان أنه شهد بدرا، ولا تُعرف له رواية، وقد شهد فتح مصر. أخرجه أبو موسى. وقال الذهبى فى التجريد: مهاجر شهد فتح مصر. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٥) هو ثابت بن أبى رقية اللخمى. شهد فتح مصر. ذكره ابن يونس، وأخرجه ابن منده. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٠.

(٦) هو ثعلبة الأنصارى، والد عبد الرحمن. نزيل مصرىّ، روى عنه ابنه عبد الرحمن حديثا فى السرقة. أخرجه ابن ماجه. قاله فى الإصابة. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٠.

(٧) هو جابر بن أسامة الجهنى. يكنى أبا سعاد. نزل مصر، ومات بها، قاله ابن يونس. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨١.

(٨) هو جابر بن ماجد الصدفى. قال ابن يونس: وفد على النبى ﷺ، وشهد فتح مصر، وروى ابن لهيعة، عن عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفى، عن أبيه، عن جده مرفوعا، قال «سيكون بعدى خلفاء، وبعد الخلفاء أمراء، وبعد الأمراء ملوك، وبعد الملوك جبابرة، وبعد الجبابرة يخرج رجل من أهل بيتى، يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا؛ ثم يكون من بعده القحطانى؛ والذى نفس محمد بيده ما هو بدونه». قال فى الإصابة: وقد خالف فيه الأوزاعى، فرواه عن قيس بن جابر، عن أبيه، عن جده؛ فعلي هذا فالرواية لماجد، والد جابر، ويكون الضمير فى رواية ابن لهيعة فى قوله: «عن جده» يعود إلى قيس. انتهى. قلت: قال ابن الربيع: جابر الصدفى، ويقال: قيس الصدفى، وأورد الحديث من طريق ابن لهيعة، عن عبد الرحمن بن جابر بن قيس، عن أبيه عن جده، ثم قال: روى عبد الرحمن بن قيس بن جابر. والله أعلم. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٣.

(٩) هو جابر بن ياسر بن عَوَيص الرعينى القتبانى. قال ابن منده: له ذكر فى الصحابة. وقال ابن يونس: شهد فتح مصر، وهو جد عبّاس بن جابر، لا يعرف له حديث. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٣.

(١٠) هو جبَارة بن زرارة البلوى. قال ابن يونس: صحب النبى ﷺ، وشهد مصر، وكان اسمه حبارة، فسماه النبى جَبارة. حسن المحاضرة جـ١ ص١٨٤.

(١١) هو جبر بن عبد الله القبطى، مولى بنى غفار، ويقال مولى أبى بصرة الغفارى، قال فى الإصابة: حكى ابن يونس عن الحسن بن على بن خلف بن قديد، أنه كان رسول المقوقس بمارية إلى رسول الله ﷺ. قال الحسن: وقد رأيت بعض ولده بمصر. قال فى التجريد: قال سعيد بن عفير: والقبط تفتخر بأن منهم من صحب النبى ﷺ، وقال هانئ بن المنذر: مات سنة ثلاث وستين. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٤ ـ ١٨٥.

بمارية وأختها والهدية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس فى القبط صحابى غيره، جبلة بن عمرو أخو أبى مسعود الأنصارى البدرى[1]، جدرة بن سبرة الثقفى[2]، جرهد بن خويلد الأسلمى[3]، جعثم الخير الصدفى[4]، جميل بن معمر الجمحى[5]، جنادح بن ميمون[6]، جُنادة بن أمية الأزدى[7]، جنادة بن مالك[8]، جناب بن مرثد الرعينى[9]، حابس بن

---

(١) هو جبلة بن عمرو بن ثعلبة بن أسيد الأنصارى، أخو أبى مسعود البدرى، ذكره الطبرانى فيمن شهد صفين مع على فى الصحابة. وروى البخارى فى تاريخه وابن السكن عن طريق بكير بن الأشج، عن سليمان بن يسار، أنهم كانوا فى غزوة بالمغرب مع معاوية بن حديج، فنقل الناس ومعه أصحاب النبى ﷺ، فلم يرد ذلك غير جبلة بن عمرو الأنصارى. ورواه ابن منده وابن الربيع من طريق خالد بن أبى عمران، عن سليمان بن يسار، أنه سئل عن النفل فى الغزو، فقال: لم أر أحدا يعطيه، غير ابن جريج، نفّلنا فى إفريقيا الثلث بعد الخمس، ومعنا من أصحاب رسول الله ﷺ من المهاجرين الأولين ناس كثير، فأبى جبلة بن عمرو الأنصارى أن يأخذ منه شيئا. وقال فى التجريد: شهد أحدا، وشهد فتح مصر، وشهد صفين، وغزا إفريقية مع معاوية بن حديج سنة خمسين. وكان فاضلا من فقهاء الصحابة. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٥ ـ ١٨٦.

(٢) هو جُدْرة بن سبرة الثقفى. قال ابن يونس: له صحبة، وشهد فتح مصر. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٦.

(٣) هو جرهد بن خويلد بن بحرة الأسلمى أبو عبد الرحمن. كان من أهل الصفة. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، روى الطبرانى عن جرهد أنه أكل بيده الشمال، فقال له النبى ﷺ «كل باليمين» فقال: إنها مصابة، فنفث عليها فما شكا حتى مات. قال الواقدى. كانت له صحبة وله دار بالمدينة، ومات بها فى اخر خلافة يزيد، وقال غيره: مات سنة إحدى وستين. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٦.

(٤) هو جعثم الخير بن خليبة بن ساجى بن موهب الصدفى. بايع تحت الشجرة، وكساه النبى ﷺ قميصه ونعليه، وأعطاه من شعره. قال ابن يونس شهد فتح مصر. ووهم ابن عبد البر حيث قال: إنه قتل فى الردة لتصحيف وقع له؛ نبه عليه فى الإصابة. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٦ ـ ١٨٧.

(٥) هو جميل بن مَعْمر بن حبيب الجُمحىّ، قال المبرد فى الكامل له صحبة، وكان قاضيا لعمر بن الخطاب، ولا نسب بينه وبين جميل العذري الشاعر المشهور صاحب بثينة، وهو الذى أخبر قريشا بإسلام عمر حين أخبره، واستكتمه، ثم أسلم، وشهد فتح مكة وحنينا. قال ابن يونس: وشهد فتح مصر، ومات فى أيام عمر، وحزن عليه حزنًا شديدًا، وقارب المائة، فإنه شهد فتح الفجّار وهو رجل، وكان أبوه من كبار الصحابة. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٧.

(٦) هو جنادح بن ميمون. قال ابن منده عن ابن يونس: يُعد في الصحابة، وشهد فتح مصر. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٧.

(٧) هو جنادة بن أمية الأزدى، أبو عبد الله الشامى، مختلف فى صحبته، قال فى الإصابة: وقد روى حديثين صحيحين دالين على صحة صحبته، قال: ولم يصح عند اسم أبيه. وقال ابن يونس: كان من الصحابة، شهد فتح مصر، وروى عنه أهلها، وولى البحرين لمعاوية، وكذا قال ابن الربيع. قال خليفة: مات سنة ثمانين، وقال فى التجريد: له صحبه، شهد فتح مصر واسم أبيه كثير. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٧.

(٨) هو جنادة بن مالك الأزدى. قال فى التجريد: نزل مصر. قال: وقد قال ابن سعد إنه غير جُنادة بن أبى أمية، وتابعه على ذلك ابن عبد البر، زاد فى الإصابة: وفرق بينهما أيضا أبو حاتم وغير واحد. وأنكر عبد الغنى بن سرور المقدسى على أبى نعيم الجمع بينهما، قال: وجمع بينهما أيضا ابن السكن وابن منده، والذى يظهر أنه وهم. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٨.

(٩) هو جنـاب بن مَرْثد أبو هانئ الرعينى. أسلم فى عهد النبى ﷺ وبايع معاذا باليمن ثم شهد فتح مصر. ذكره ابن يونس وغيره. وأورده فى الإصابة فى قسم المخضرمين. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٨.

ربيعة(١)، حابس بن سعيد(٢)، الحارث بن تُبَيْع(٣)، الحارث بن حبيب(٤)، الحارث بن العباس(٥) بن عبد المطلب الهاشمي ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، حاطب بن أبي بلتعه(٦) وهو رسول النبي صلى الله عليه وسلم إلى المقوقس ورسول أبي بكر اليه، حبان بن بح(٧)، حبيب بن أوس(٨)، حذيفة بن عبيد المرادي(٩)، حزام بن عوف(١٠)، حسان بن أسد(١١)، الحكم بن الصلت(١٢)، حمزة بن عمرو الأسلمي(١٣)،

---

(١) هو حابس بن ربيعة التميمي. قال ابن حيان: له صحبة. وقال ابن السكن: يعد في المصريين، وروى عنه ابنه حيّة أنه سمع النبي ﷺ يقول: «العين حق». رواه أحمد والبخاري في تاريخه، والترمذي، وابن خزيمة. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٨.

(٢) هو حابس بن سعيد الثمالي، ذكره عبد الصمد بن سعيد الحمصي في تسمية من نزل بحمص من الصحابة، قال: كان بحمص، ثم ارتحل إلى مصر. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٨.

(٣) هو الحارث بن تبيع الرعيني. ذكر عبد الغني بن سعيد، عن ابن يونس أنه وفد على رسول الله ﷺ، ثم شهد فتح مصر وأبوه، ضبطه عبد الغني بضم الفوقية، وابن ماكولا بفتحها. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٤) هو الحارث حبيب بن خزيمة بن مالك بن جبل بن عامر بن لؤى القرشي العامري. ذكره خليفة بن خياط فيمن نزل مصر من الصحابة، قال: وقتل بإفريقية مع معبد بن العباس بن عبد المطلب. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٩.

(٥) هو الحارث بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، ابن عم رسول الله ﷺ. قال ابن عبد البر: له رواية. وأمه حجيلة بنت جندب الهلالية، وقيل أم ولد، غضب أبوه عليه العباس، فطرده إلى الشام، فسار إلى الزبير بمصر، فقدم به الزبير على العباس، وشفع له. قاله ابن الكلبي وغيره. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٩.

(٦) هو حاطب بن أبي بلتعة ابن عمرو بن عمير اللخمي. شهد بدرا، ودخل مصر رسولاً من النبي ﷺ إلى المقوقس، ثم ورد عليه أيضا رسولاً من أبي بكر، روى مسلم عن جابر، أن عبدا لحاطب بن أبي بلتعة، جاء يشكو حاطبا، فقال: يا رسول الله، ليدخلن حاطب النار، فقال: لا، إنه شهد بدرا والحديبية» مات سنة ثلاثين، وله خمس وستون سنة. قال ابن عبد البر: لا أعلم له غير حديث واحد: «من زارني بعد موتي. . » الحديث، ووجد له ثلاثة أحاديث غيره. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٩.

(٧) هو حبّان بن بُحّ. أنصاري. ذكره ابن الربيع وقال: لأهل مصر عنه حديث واحد. وله عند الطبراني حديثان. وقال في التجريد: له وفادة، وشهد فتح مصر. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٨٩ ـ ١٩٠.

(٨) هو حبيب بن أوس ـ الثقفي، ذكره ابن يونس فيمن شهد فتح مصر. قال في الإصابة: فدل على أن له إدراكا، ولم يبق من ثقيف في حجة الوداع أحد إلا وقد أسلم، وشهدها فيكون صحابيا. وقد ذكره ابن حبان في ثقات التابعين. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٩٠.

(٩) هو حذيفة بن عُبيد المرادي. قال في التجريد: أدرك الجاهلية، وشهد فتح مصر. زاد في الإصابة: ولا تعرف له رواية فيما ذكره ابن منده، عن ابن يونس. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٩٠.

(١٠) هو حزام بن عوف البَلَوي. من بني جُعَل، قال في الإصابة: بكسر أوله وزاي. ذكره ابن الربيع فيمن نزل مصر مَن الصحابة، وحكى عن سعيد بن عُفير أنه ممن بايع تحت الشجرة في رهط من قومه. وقال في التجريد بالراء، له صحبة، وشهد فتح مصر. قاله ابن يونس. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٩٠.

(١١) هو حسان بن أسد ـ وفي التجريد: ابن سعيد ـ الحجري. ذكر ابن يونس أنه له صحبه، وأنه شهد فتح مصر. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٩١.

(١٢) هو الحكم بن الصلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف القرشي. قال في التجريد: شهد فتح مصر، وشهد خيبر، وكان من رجال قريش، استخلفه محمد بن أبي حذيفة على مصر لما سار إلى عمرو بن العاص بالعريش وله حديث «لا تقدموا بين أيديكم في صلاتكم وفي جنائزكم سفهاءكم» حسن المحاضرة جـ١ ص ١٩١.

(١٣) هو حمزة بن عمرو الأسلمي المدني أبو صالح. وقيل: أبو محمد. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر. وفي التهذيب للمزي أنه الذي بشر كعب بن مالك بتوبة الله عليه. مات سنة إحدى وسبعين، وله إحدى وسبعون سنة. حديثه في الصحيحين. حسن المحاضرة جـ١ ص ١٩١.

حُمرة بن عبدكلال(١) ، حميل بن بصره(٢)، حيان بن كرز(٣)، حيي بن حرام الليثي(٤)، خارجة بن حذاقة(٥)، خالد بن ثابت الفهمي(٦)، خالد بن العنبس(٧)، خرشة بن الحارث(٨)، دحية بن خليفة الكلبي(٩)، ديلم بن هوشع

---

(١) هو حمزة بن عبد كلال بن عريب الرعيني. أدرك الجاهلية، وسمع من عمر، وذكره أبو زرعة في الطبقة العليا التي تلي الصحابة. وقال ابن يونس: شهد فتح مصر، وروى عنه رشدان بن سعد وغيره، ووثقه ابن حبان. حسن المحاظرة حـ١ ص ١٩١.

(٢) هو حُمَيْل بن بصرة بن أبي بصوة الغفاري. ذكره ابن سعد فيمن نزل من الصحابة، وقال صحب النبي ﷺ مع أبيه وجده. وروى عنه. وذكره البخاري في تاريخ الصحابة، وقال: حديثه في المصريين. قال: ويقال جميل، وهو وهم. حسن المحاضرة حـ١ ص١٩٢.

(٣) هو حيان بن كرز البلوي. شهد فتح مصر، وله صحبته. قال ابن يونس. حسن المحاضرة حـ١ ص ١٩٢.

(٤) هو حُيَيّ بن حرام الليثي. قال ابن الربيع: لأهل مصر عنه حديث واحد، وذكره ابن يونس في تاريخ مصر، وقال: له صحبة. وقال ابن السكن: له صحبة، عداده في المصريين. وقال القضاعي في الخطط: يقال إن له صحبة. وقال في التجريد: نزل بالشام. حسن المحاضرة حـ١ ص ١٩٢ - ١٩٣.

(٥) هو خارجة بن حذافة بن غانم بن عامر العدوي. أحد الفرسان؛ قيل: كان يعد بألف فارس؛ وهو من مسلمة الفتح، وأمد به عمر عمرو بن العاص، فشهد معه فتح مصر، واختط بها. وكان على شروط عمرو بن العاص، فحصل لعمرو ليلة مغص، فاستخلفه على الصلاة، فقتله الخارجي الذي انتدب لقتل عمرو، وهو يظنه عمرا، وقال: أردت عمراً وأراد الله خارجة؛ وذلك ليلة قتل علي بن أبي طالب، وفيه يقول الشاعر:

فليتها إذ فدت عمراً بخارجة ∴ فدت علياً بمن شاءت من البشر

له حديث واحد في الوتر. قال ابن الربيع: لم يرو عنه غير المصريين. قال في المرآة، وله من الولد: عبد الرحمن وأبان. حسن المحاضرة حـ١ ص ١٩٣.

(٦) هو خالد بن ثابت بن ظاعن العجلاني الفهمي. قال ابن يونس: شهد فتح مصر، وولي بحر مصر سنة إحدى وخمسين، وأغزاه مسلمة بن مخلد إفريقية سنة أربع وخمسين. قال في الإصابة: ذكرته اعتماداً على أنهم لا يؤمرون في الفتح إلا الصحابة. حسن المحاضرة حـ١ ص١٩٤.

(٧) هو خالد بن العنبس، صحابي دخل مصر، ولا تعرف له رواية، كذا قاله ابن الربيع. وذكر سعيد بن عفير أنه من بلي، وأنه بايع تحت الشجرة، وشهد فتح مصر حسن المحاضرة حـ١ ص ١٩٤.

(٨) هو خرشة بن الحارث. ويقال له: ابن الحر. المحاربي الأزدي. قال ابن السكن له صحبة، نزل مصر. وذكره ابن سعد فيمن نزل مصر من الصحابة، وذكره ابن الربيع وقال: لأهل مصر عنه حديث واحد. وقال في التجريد: له وفادة وشهد فتح مصر، وقال في الإصابة: الراجح ابن الحارث، أما خرشة بن الحر فرجل آخر تابعي، وقد فرق بينهما البخاري وابن حبان. حسن المحاضرة حـ١ ص١٩٤.

(٩) هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي. من مشاهير الصحابة، أول مشاهدة الخندق، وقيل أحد. وكان يضرب به المثل في حسن الصورة، وكان جبريل عليه الصلاة والسلام ينزل على صورته. روى العجلي في تاريخه، عن عوانة بن الحكم قال: أجمل الناس من كان جبريل ينزل على صورته. وعن ابن عباس: كان دحية إذا قدم المدينة لم يبق معصر (المعصر: المرأة بلغت شبابها وأدركت) إلا خرجت تنظر إليه. ذكره ابن قتيبة في الغريب. وهو رسول النبي ﷺ إلى قيصر. قال ابن البرقي: له حديث عن النبي ﷺ. قال في الإصابة: أجتمع لنا عنه نحو ستة أحاديث. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، وقد نزل دمشق وسكن المزة، وعاش إلى خلافة معاوية. حسن المحاضرة حـ١ ص ١٩٥ - ١٩٦.

الحميرى[(١)]، ربيعة بن زرعة الحضرمى[(٢)]، ربيعة بن شرحبيل بن حسنة[(٣)]، ربيعة بن عباد[(٤)]، ربيعة بن الفراس[(٥)]، رشيد بن مالك[(٦)]، رويفع بن ثابت بن السكن[(٧)]، الزبير بن العوام[(٨)]، زهير بن قيس البلوى[(٩)]، زياد بن الحارث

---

(١) هو ديلم بن هوشع الجيشانى الحميرى ـ ويقال: هو ابن أبى ديلم، ويقال: ابن فيروز ـ قال فى الاصابة: صحابى سأل النبى ﷺ عن الأشربة وغير ذلك، ونزل مصر، فروى عنه أهلها. قال ابن يونس: كان أول وافد وفد على النبى ﷺ من عند معاذ بن جبل من اليمن، وشهد فتح مصر ـ وروى عنه أبو الخير مرثد. وقد ذكر جماعة أنه يكنى أبا وهب، ورده ابن يونس بأن تلك كنية رجل آخر، جيشانى تابعى، وصوبه فى الإصابة. وصوب أن اسم أبى الصحابى هو شع. وقال: إن أبا الخير مرثد المصرى تفرد بالرواية عنه. وذكر ابن الربيع أنه من موالى بنى هاشم، وقال: إن أبا الخير مرثد المصرى تفرد بالرواية عنه. وذكر ابن الربيع أنه من موالى بنى هاشم، وقال: ولأهل مصر عنه حديث واحد. وقال بعضهم فى اسمه: وليم، قال فى الإصابة: والصواب ديلم. حسن المحاضرة حـ١ ص١٩٦.

(٢) هو ربيعة بن زرعة الحضرمى. من أصحاب النبى ﷺ. شهد فتح مصر، قال له ابن يونس؛ ذكره فى التجريد والاصابة. حسن المحاضرة حـ١ ص ١٩٧.

(٣) هو ربيعة بن شرحبيل بن حسنة. قال ابن الربيع: صحابى شهد فتح مصر، ولا يعرف له حديث. وقال فى التجريد: له رواية، شهد فتح مصر، وروى عنه ابنه جعفر. وقال ابن يونس: يقال إن عمرو بن العاص استعمله على بعض العمل. حسن المحاضرة حـ١ ص ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٤) هو ربيعة بن عباد الدبلى. قال ابن الربيع: ذكره الواقدى فيمن دخل مصر من الصحابة لغزو العرب. قال فى الإصابة: وأبوه بكسر المهملة وتخفيف الموحدة على الصواب؛ ويقال بالفتح والتشديد. قال ابن عبد البر: عمر ربيعة طويلا. وذكر خليفة وابن سعد أنه مات فى خلافة الوليد. حسن المحاضرة حـ١ ص١٩٨.

(٥) هو ربيعة بن الفراس ـ ويقال: الفارسى. قال فى التجريد والإصابة: يعد فى المصريين، روى عنه زياد بن نعيم، وذكره ابن يونس. حسن المحاضرة حـ١ ص١٩٨.

(٦) هو رشيد بن مالك أبو عميرة المزنى. من أصحاب النبى ﷺ، وذكر فى أهل مصر، ولأهل مصر عنه حديث. قاله ابن الربيع وابن يونس، وكذا فى التجريد والاصابة. حسن المحاضرة حـ١ ص١٩٨.

(٧) هو رويفع بن ثابت بن السكن البخارى الأنصارى. نزل مصر، وولاه معاوية على طرابلس سنة ست وأربعين، فغزا إفريقية. قال ابن يونس: توفى ببرقة، وهو أمير عليها من قبل مسلمة بن مخلد سنة ست وخمسين. وقال فى التجريد: يعد فى المصريين، له صحبة ورواية، روى عنه جماعة. وقال ابن الربيع: شهد فتح مصر، واختط بها، ولأهل مصر عنه نحو عشرة أحاديث. حسن المحاضرة حـ١ ص١٩٩.

(٨) هو الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد عبد العزى الأسدى أبو عبد الله. حوارى رسول الله ﷺ وابن عمته صفية، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وأحد أعلام السادة السالفين البدريين، أسلم وله اثنتا عشرة سنة ـ وقيل ثمانى سنين ـ وهاجر الهجرتين. قال عروة: وكان الزبير طويلا، تخط رجلاه الأرض إذا ركب. أخرجه الزبير بن بكار. وكان له ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، وكان لا يدخل بيته منها شيئا، يتصدق به كله. أخرجه يعقوب بن سفيان. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، واختط بها، ولأهل مصر عنه حديث واحد، قتل راجعا من وقعة الجمل بوادى السباع فى جمادى الأولى سنة ست وثلاثين، وله ست أو سبع وستون سنة. حسن المحاضرة حـ١ ص١٩٩ ـ ٢٠٠.

(٩) هو زهير بن قيس البلوى أبو شداد: قال ابن يونس: يقال له صحبة، شهد فتح مصر، وندبه عبد العزيز بن مروان وهو أمير على مصر إلى برقة، فخاطبه بشئ يكرهه، فأجابه زهير: تقول لرجل جمع ما أنزل الله على نبيه قبل أن يجتمع أبواك هذا! ونهض إلى برقة فلقى الروم فى عدد قليل، فقاتل حتى قتل، وذلك سنة ست وسبعين. قال فى التجريد: روى عنه سويد بن قيس التجيبى فقط. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٠.

الصدائى[1]، زياد الغفارى[2]، زياد بن جهور[3]، السائب بن خلاد[4]، السائب بن هشام[5]، سخدور بن مالك[6]، سعد بن أبى وقاص[7]، سعد بن مالك الأزدى[8]، سفيان بن هانئ[9]، سفيان بن وهب[10]،

---

(١) هو زياد بن الحارث الصدائى. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولأهل مصر عنه حديث واحد. وقال فى التجريد: بايع، وحديثه في الأذان في جامع الترمذى، نزل مصر. ، وقال البخارى: قال بعضهم: زياد بن حارثة، وزياد بن الحارث أصح. وقال ابن سعد: نزل مصر، وروى له المصريون. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٠.

(٢) هو زياد الغفارى. قال فى التجريد تبعا لابن عبد البر: مصرى له صحبته، روى عنه يزيد بن نعيم. وقال فى الإصابة: يعد فى أهل مصر، أخرج حديثه ابن أبى خيثمة وابن السكن من طريق زيد بن عمرو، عن يزيد بن نعيم: سمعت زيادا الغفارى على المنبر فى الفسطاط، يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تقرب إلى الله شبرا تقرب الله إليه ذراعا. . » الحديث. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٠-٢٠١.

(٣) هو زيادة بن جهور اللخمى. قال في التهذيب: شهد فتح مصر، ونزل فلسطين، روى عنه ابناه. حسن المحاضرة جـ١ ص ٢٠١.

(٤) هو السائب بن خلاد بن سويد الأنصارى. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، وقدم على عقبة، فاستذكره حديث: «من ستر عورة. . »، الذى رحل فيه السائب بن خلاد إلى مصر. قال ابن عبد الحكم: ذكر يحيى بن حسان، عن ابن لهيعة، عن يزيد بن أبى حبيب قال: إن السائب بن خلاد الأنصارى قدم على عقبة بن عامر الجهنى، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يذكر فى الستر شيئا؟ فقال عقبة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر مسلما ستره الله»، فقال: أنت سمعته من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم، قال: فراح. ولم يقدم من المدينة إلا لذلك. أخرج محمد بن الربيع الجيزى. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٢-٢٠٣.

(٥) هو السائب بن هشام بن عمرو العامرى. قال في التجريد: يقال أنه رأى النبى ﷺ، وشهد فتح مصر، وولى القضاء بها لمسلمة بن مخلد، وكان جبانا وأبوه صحابى. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٣.

(٦) هو سخدور - بسين مهملة ثم خاء معجمة، وقيل: بشين معجمة ثم حاء مهملة - بن مالك الحضرمى أبو علقمة. قال فى التجريد: له صحبة، شهد فتح مصر. ذكره ابن يونس. وهو الذى حضهم على حرب مروان لما قصد مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٤.

(٧) هو سعد بن أبى وقاص، واسمه مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشى أبو إسحاق الزهرى. أحد العشرة. فارس الاسلام، وسابع سبعة فى الإسلام وصاحب الدعوة المجابة، بدعاء النبى ﷺ له بذلك. قال الربيع: شهد فتح مصر، ووردها رسولا من قبل عثمان. ولأهل مصر عنه حديث واحد. مات بالعقيق وحمل إلى المدينة، فدفن بالبقيع سنة خمس وخمسين. وقيل: سنة ست، وقيل سبع، وله بضع وسبعون سنة؛ وهو آخر العشرة وفاة. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٥.

(٨) هو سعد بن مالك بن الأقيصر بن مالك بن قريع، أبو الكنود الأزدى. قال ابن يونس: له وفادة على النبى ﷺ، وشهد فتح مصر. ومن ولده اليوم بقية بمصر، وروى عنه ابنه الأشيم. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٥.

(٩) هو سفيان بن هانئ بن جبر، أبو سالم الجيشانى. قال فى التجريد: مصرى، وله رواية. قال ابن يونس: شهد فتح مصر، ومات بالإسكندرية، زمن عمر بن عبد العزيز بن مروان. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٥-٢٠٦.

(١٠) هو سفيان بن وهب الخولانى، أبو أيمن. وله صحبة ورواية ووفادة. شهد حجة الوداع وفتح مصر وافريقية، وسكن المغرب، قال ابن الربيع: لم يرد عنه غير أهل مصر فيما أعلم. ولهم عنده حديثان. مات سنة إحدى وتسعين. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٦.

سلامـــة بن قيصـــر[1]، سلكان بن مالك[2]، سلم بن نذير[3]، سلمة بن الأكوع[4]، سندر الجذامى[5]، سهل بن سعد الساعدى[6]، شبث بن سعد[7]، شرحبيل بن حسنة[8]، شريح بن أبرهة[9]، شريح اليافعى[10]، شريك التجيبى[11]، شريك بن

---

(١) هو سلامة بن قيصر الحضرمي - وقيل: سلمة. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولأهلها عنه حديث واحد. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٦.

(٢) هو سلكان بن مالك. قال ابن الربيع. ذكره الواقدى فيمن دخل مصر من الصحابة لغزو الغرب. قال فى التجريد: هو من الصحابة الذين دخلوا مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٠٦.

(٣) هو سلم بن نذير: قال فى التجريد: مصرى، روى عنه يزيد بن أبى حبيب. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٦.

(٤) هو سلمة بن الأكوع - وهو سلمة بن عمرو، ويقال ابن وهب - بن الأكوع، واسم الأكوع سنان بن عبد الله بن قشير الأسلمى أبو مسلم إياس. بايع تحت الشجرة. قال ابن الربيع: ذكره الواقدى فيمن دخل مصر لغزو المغرب. مات بالمدينة سنة سبع وسبعين، وهو ابن ثمانين سنة، وكان شجاعا راميا، وكان يسبق الفرس شداً على قدميه. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٦.

(٥) هو سندر أبو عبد الله - وقيل أبو الأسود - مولى زنباع الجذامى. وجده مولاه يقبل جارية له، فخصاه وجدعه، فأتى النبى ﷺ، فأعتقه. سكن مصر فى خلافة عمر، وأقطع بها منية الأصبغ. قال ابن عبد الحكم: يقال سندر بن سندر، والله أعلم بالصواب. قال ابن أبى الربيع: لأهل مصر عنه حديثان، ثم أوردهما، وأحدهما من طريق يزيد ابن أبى حبيب، عن ربيعة بن لقيط عن عبد الله بن سندر، عن أبيه؛ أنه كان عبداً لزنباع . . الحديث؛ وهذا تصريح بأن له أبناء؛ فالظاهر أنه ولد له قبل الخصى؛ فيكون صحابيا أيضا. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٧.

(٦) هو سهل بن سعد بن مالك بن خالد الأنصارى الساعدى المدنى أبو العباس، وقيل: أبو يحيى. قال ابن الربيعك قدم مصر بعد الفتح على مسلمة بن مخلد؛ ولأهل مصر عنه أحاديث؛ مات سنة إحدى وتسعين، وقيل: سنة ثمان وثمانين؛ وهو ابن مائة سنة؛ وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٧.

(٧) هو شبث بن سعد بن مالك البلوى. شهد فتح مصر، وله صحبة، روى عنه أبان؛ قاله فى التجريد. وذكره ابن الربيع، عن سعيد بن عفير. ويقال فيه: شعث، ويقال: شبيه. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٨.

(٨) هو شرحبيل بن حسنة - وهى أمه - واسم أبيه عبد الله بن المطاع الكندى. وقيل التميمى. أبو عبد الله. حليف بنى زهرة، أحد أمراء أجناد الشام؛ وهو من مهاجرة الحبشة؛ ذكره ابن عبد الحكم فيمن شهد فتح مصر، ولأهلها عنه حديث واحد؛ لكن فى تهذيب المزى أنه مات بالشام سنة ثمانى عشرة، وهو ابن سبع وستين سنة؛ وهذا يقدح فيما قاله ابن عبد الحكم. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٨.

(٩) هو شريح بن أبرهة. قال فى التجريد: له صحبة، قدم مصر، روى عنه محمد بن وداعة اليمامى، وذكره ابن قانع. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٨.

(١٠) هو شريح اليافعى. قال فى التجريد: له صحبة، قدم مصر، وشهد فتحها. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٨.

(١١) هو شريك بن أبى الأعقل التجيبى الشاعر. قال فى التجريد: قال ابن يونس: وفد على رسول الله ﷺ، وشهد فتح مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٨-٢٠٩.

سمى المرادى(١)، شهاب، سار اليه جابر بن عبد الله إلى مصر لسؤاله عن حديث(٢)، صالح القبطى ؛ قال الذهبى : سار من مصر مع مارية(٣)، صحار بن صخر(٤)، صلة بن الحارث(٥)، ضمرة بن الحصين(٦)، عامر بن الحارث الأصبحى(٧)، عامر بن عبد الله الخولانى(٨)، عامر بن عمرو بن حذافة(٩)، عايد بن ثعلبة(١٠)، عبادة بن الصامت(١١)،

---

(١) هو شريك بن سمى الغطيفى المرادى. قال فى التجريد : له وفادة، وكان على مقدمة عمرو بن العاص ليوم فتح مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٩.

(٢) ذكره البخارى فى الصحابة فقال: رجل من أصحاب رسول الله ﷺ، سكن مصر، سمع جابر بن عبد الله يحدث عن شهاب: رجل من أصحاب النبى ﷺ كان ينزل مصر، أنه سمع النبى ﷺ يقول: «من ستر على مؤمن عورة فكأنما أحيا ميتًا». حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٩.

(٣) حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٩.

(٤) هو صحار بن صخر - وقيل ابن عياش، وقيل ابن عباس - العبدى. قال ابن الربيع : شهد فتح مصر، روى عنه ابناه: عبد الرحمن وجعفر. نزل البصرة، وكان من الفصحاء، سأله معاوية عن البلاغة فقال. لا تخطئ ولا تبطئ. قال فى التهذيب: وكان فيمن طلب بدم عثمان. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠٩.

(٥) هو صلة بن الحارث الغفارى. قال فى التجريد : مصرى له صحبة. وذكره ابن الربيع، وأورد له أثرا. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٠١.

(٦) هو ضمرة بن الحصين بن ثعلبة البلوى. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، وبايع تحت الشجرة. وقيل فى التجريد: صحابى نزل مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٠.

(٧) هو عامر بن الحارث. قال فى التجريد: شهد فتح مصر، وله صحبة، وهو أصبحى. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٠.

(٨) هو عامر بن عبد الله بن جهيزة الخولانى. قال فى التجريد: له صحبة، شهد فتح مصر. قاله ابن يونس. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٠.

(٩) هو عامر بن عمرو بن حذافة أبو بلال التجيبى. قال فى التجريد: صحابى شهد فتح مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٠.

(١٠) هو عايد بن ثعلبة بن وبرة البلوى، قال ابن الربيع : بايع تحت الشجرة، واختط بمصر واستشهد بالبرلس. وقال فى التجريد: شهد فتح مصر، واستشهد سنة ثلاث وخمسين. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٠-٢١١.

(١١) هو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصارى الخزرجى أبو الوليد: شهد العقبتين، وكان أحد النقباء، وشهد بدراً وسائر المشاهد، وكان من سادات الصحابة. وقال ابن الربيع : شهد فتح مصر، ولأهلها عنه عشرة أحاديث. قال: ومات بفلسطين سنة أربع وثلاثين، وله اثنتان وسبعون سنة. قال فى التهذيب: مات بالشام فى خلافة معاوية، وأمه أسلمت أيضا، وبايعت واسمها قرة العين بنت عباد بن فضلة الخزرجية، وليس فى الصحابيات من يسمى بهذا الإسم سواها. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١١.

عبد الله بن أنيس الجهني[١]، عبد الله بن الحارث بن جزء[٢]، عبد الله بن حوالة الأزدي[٣] عبد الله بن الزبير بن العوام[٤]، عبد الله بن سعد بن أبي سرح[٥]، عبد الله بن سعد الخولاني[٦]، عبد الله بن سندر[٧]،

---

(١) هو عبد الله بن أنيس الجهني - قال ابن الربيع؛ ويقال ابن أنيسة - أبو يحيى المدني. حليف الأنصار، شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وأحدًا وما بعدها من المشاهد، ولقبه النبي ﷺ سرية وحدة. نزل مصر، ورحل إليه جابر بن عبد الله في حديث القصاص. مات في خلافة معاوية سنة أربع وخمسين. وفرق الذهبي في التجريد بين الثلاثة، فذكر عبد الله بن أنيسة الجهني حليف الأنصار، وعبد الله بن أنيس السليمي، وعبد الله بن أبي أنيس، رحل إليه جابر في حديث القصاص، فجعلهم ثلاثة. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١١.

(٢) هو عبد الله بن الحارث بن جزء بن عبد الله بن معد يكرب الزبيدي المذحجي. شهد فتح مصر واختط بها، وسكنها، وعمر بها دهرا. مات سنة ست - أو سبع، أو ثمان - وثمانين، بعد أن عمي، وهو آخر صحابي مات بها. قال ابن الربيع: لأهل مصر عنه عشرون حديثًا. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٢.

(٣) هو عبد الله بن حوالة الأزدي، أبو حوالة. له صحبة ورواية. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولأهلها عنه حديث واحد؛ نزل الأردن سنة ثمان وخمسين، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٢.

(٤) هو عبد الله بن الزبير بن العوام؛ أمير المؤمنين. أبو بكر وأبو خبيب. أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق. هاجرت به حملا، فولدته بعد الهجرة بعشرين يوما، وهو أول مولود ولد في الإسلام بالمدينة. وكان فصيحًا ذا لسانه وشجاعة، وكان أطلس لا لحية له. قال ابن الربيع: قدم مصر في خلافة عثمان، وشهد إفريقية، ولأهل مصر عنه حديث واحد، بويع بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية سنة أربع وستين، وغلب على أهل الحجاز واليمن والعراق ومصر وأكثر الشام، فأقام في الخلافة تسع سنين؛ إلى أن قتله الحجاج سنة ثلاث وسبعين. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٢-٢١٣.

(٥) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح - واسمه حسام، وقيل: عريف - بن الحارث القرشي العامري أبو يحيى. قال ابن سعد: أسلم قديما، وكتب لرسول الله ﷺ الوحي، ثم افتتن، وخرج من المدينة يريد مكة مرتدا، فأهدر رسول الله ﷺ دمه يوم الفتح، فجاء عثمان بن عفان إلى النبي ﷺ فأستأمنه فأمنه، وكان أخاه من الرضاعة، وسأل منه المبايعة، فبايعه رسول الله ﷺ يومئذ على الإسلام، وقال: الإسلام يجب ما قبله، ولاه عثمان بن عفان مصر بعد عمرو بن العاص، فنزلها وابتنى بها دارا، فلم يزل واليًا بها حتى قتل عثمان. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٣.

(٦) هو عبد الله بن سعد الخولاني. قال ابن سعد في الطبقات: رجل من أصحاب النبي ﷺ. سكن مصر؛ له حديث في مؤاكلة الحائض والحديث في طبقات ابن سعد «سألت رسول الله عن مواكلة الحائض، فقال: واكلها». حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٣.

(٧) هو عبد الله بن سندر، أبو الأسود الجذامي صحابي، ولأبيه صحبة أيضًا، روى عنه المصريون. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٣.

عبد الله بن عباس[١]، عبد الله بن عمر[٢]، عبد الله بن عمرو بن العاص[٣]، عبد الله بن عديس[٤]، عبد الله بن عنمة[٥]، عبد الله بن قيس القينى[٦]، عبد الله بن المستورد[٧]، عبد الله بن هشام بن زهرة[٨]، عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق[٩]، عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة[١٠] عبد الرحمن بن العباس بن

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، أبو العباس، ابن عم النبى ﷺ. كان يسمى البحر لسعة علمه. قال ابن الربيع: دخل مصر فى خلافة عثمان، وشهد فتح المغرب، ولأهل مصر عنه أحاديث. مات بالطائف، سنة ثمان وستين، وهو ابن إحدى ـ أو اثنتين ـ وسبعين. قال مسلم: ما رأيت مثل بنى أم واحدة أشرافا ولدوا فى دار واحدة، أبعد قبورا من بنى العباس: عبد الله بالطائف، وعبيد الله بالشام، والفضل بالمدينة، ومعبد عبد الرحمن بإفريقية، وقثم بسمرقند، وكثير بالينبع. وقيل: إن الفضل بأجنادين، وعبد الله باليمن. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٤.

(٢) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر واختط بها دار البركة، ولهم عنه أحاديث. مات بمكة سنة ثلاث وسبعين ـ وقيل سنة أربع ـ وله من العمر أربع وثمانون سنة، وقيل: سبعة وثمانون سنة. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٤.

(٣) هو عبد الله بن عمرو بن العاص، أبو محمد. أسلم قبل أبيه، وكان أصغر منه بإحدى عشرة. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، واختط بها، ولأهلها عنه أكثر من مائة حديث. قال: ومات ـ فيما ذكره ابن عبد الحكم ـ بمصر، وقيل: بالشام، وقيل: بعسقلان، ويقال: بمكة ـ سنة خمس وستين، وله اثنتان وسبعون سنة. وحكى ابن سعد أنه توفى بمصر، ودفن بداره سنة سبع وسبعين فى خلافة عبد الملك. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٥.

(٤) هو عبد الله بن عديس البلوى، أخو عبد الرحمن. قال فى التجريد: نزل مصر، يقال: إنه بايع تحت الشجرة. وذكره ابن الربيع، وقال: لا يعرف له رواية عن النبى ﷺ. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٤.

(٥) هو عبد الله بن عنمة ـ بفتح المهملة والنون، وقيل بإسكانها ـ المزنى. قال فى التجريد: شهد فتح مصر، وله صحبة. أخرجه ابن يونس. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٥.

(٦) هو عبد الله بن قيس القينى. قال فى التجريد: له صحبة، وشهد فتح مصر، وتوفى سنة تسع وأربعين. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٥.

(٧) هو عبد الله بن المستورد الأسدى. قال فى التجريد: مصرى؛ جاء ذكره فى حديث لا يصح. روى عنه موسى بن وردان: «أصحابى أمان لأمتى» حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٥.

(٨) هو عبد الله بن هشام بن زهرة التيمى. جد زهرة بن سعيد. شهد فتح مصر وله خطة، ولأهل مصر عنه حديث واحد، وهو قول عمر: «لأنت أحب إلى يا رسول الله من نفسى..» الحديث، وله عنه حكايات. قال فى التجريد: ولد سنة أربع، وله رواية. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٦.

(٩) هو عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق أبو محمد. شقيق عائشة أم المؤمنين. هاجر قبل الفتح. قال ابن الربيع: دخل مصر فى سبب أخيه محمد، ولأهل مصر عنه حديث واحد، مات بمكة سنة ثلاث وخمسين. وقيل سنة خمس أو ست. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٦.

(١٠) هو عبد الرحمن بن شرحبيل بن حسنة، أخو ربيعة. قال فى التجريد: له رواية. وشهد فتح مصر. وكذا قاله ابن الربيع. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٦.

عبد المطلب[1]، عبد الرحمن بن عديس[2]، عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب[3]، عبد الرحمن بن غنم الاشعرى[4]، عبد رضا الخولانى[5]، عبد العزيز بن سخبره[6]، عبيد بين قشير[7]، عبيد بن محمد[8]، عبيد بن عمر[9]، عبيد بن الندر[10]، عثمان بن قيس السهمى[11]، عدى بن عميرة وأخوه العرس[12]،

---

(١) هو عبد الرحمن بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد على عهد النبى ﷺ، وقتل بإفريقية. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٦.

(٢) هو عبد الرحمن بن عديس بن عمرو البلوى. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم عنه حديث واحد. متنه «يخرج أناس من أمتى يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فيقتلون بجبل لبنان ـ أو الخليل». لم يرو عنه غير أهل مصر. توفى بالشام سنة ست وثلاثين. وقال فى التجريد: بايع تحت الشجرة، روى عنه جماعة. وكان أحد الجيش القادم من مصر لحصار عثمان. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٦.

(٣) هو عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، شقيق عبد الله وحفصه. قال فى التجريد: أدرك النبوة. وفى طبقات ابن سعد: أنه كان بمصر غازيا. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٧.

(٤) هو عبد الرحمن بن غنم الأشعرى. قال ابن الربيع: له صحبة، دخل مصر فى زمن مروان، ولأهلها عنه حديث واحد. وقال فى التجريد: أسلم فى زمن النبى ﷺ، وصحب معاذا. وقال بعضهم: وفد مع جعفر إذ هاجر إلى الحبشة. وقال فى التهذيب: مختلف فى صحبته. مات سنة ثمان وسبعين. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٧.

(٥) هو عبد رضا الخولانى، بضم الراء وفتح الضاد، ضبطه ابن ماكولا. يكنى أبا مكنف. قال فى التجريد: له وفادة. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٧.

(٦) هو عبد العزيز بن سخبرة الغافقى. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، هو وابنه شفعة، وكان اسمه عبد العزى، فسماه النبى ﷺ عبد العزيز. قاله الذهبى فى تجريده. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٧.

(٧) هو عبيد بن قشير ـ قال فى التجريد: مصرى، روى عنه لهيعة بن عقبة. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٨.

(٨) هو عبيد بن محمد، أبو أمية المعافرى. قال فى التجريد: شهد فتح مصر، له صحبة؛ ويقال: إنه أول من قرأ القرآن بمصر. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٨.

(٩) هو عبيد بن عمر بن صالح الرعينى. قال فى التجريد: صحابى، شهد فتح مصر. قاله ابن يونس. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٨.

(١٠) هو عبيد بن الندر ـ بضم النون وفتح الدال المهملة ـ السلمى. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولأهلها عنه حديث واحد. قال فى التهذيب: شامى، له صحبة ورواية. مات سنة أربع وثمانين؛ حديثه فى سنن ابن ماجه. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٨.

(١١) هو عثمان بن قيس بن العاص السهمى. قال فى التجريد. شهد فتح مصر مع أبيه، وهو أول من قضى بمصر، وكان شريفًا سريا. قيل: له صحبة، قاله ابن يونس. وقال فى مرآة الزمان: هو أول من بنى بمصر دار للضيافة للناس. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٨.

(١٢) هو عدى بن عميرة ـ بفتح أوله ـ الكندى، أبو زرارة. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم عنه حديث. روى عنه ابنه عدى. قال الواقدى: مات بالكوفة سنة أربعين.
والعرس ـ بضم أوله وسكون الراء ـ ابن عميرة الكندى. أخو الذى قبله. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولأهل مصر عنه حديثان. روى عنه ابن أخيه عدى وغيره. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٩.

عقبة بن الحارث[١]، عقبة بن عامر الجهني[٢]، عقبة بن كريم[٣]، عقبة بن نافع[٤]، عكرمة بن عبيد[٥]، علقمة بن جنادة[٦]، علقمة بن رمثة[٧]، علقمة بن سمي[٨]، علقمة بن يزيد[٩]، عمار بن ياسر[١٠]،

---

(١) هو عقبة بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف المكي. أبو سروعة من مسلمة الفتح. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، وهو الذى شرب بها مع عبد الرحمن بن عمر الخمر. وله رواية عن النبي ﷺ، وليس لأهل مصر عنه شيء. قلت: حديثه في البخاري والسنن. حسن المحاضرة حـ١ ص٢١٩.

(٢) هو عقبة بن عامر بن عبس الجهني. أبو عمرو؛ أحد مشاهير الصحابة. قال في التجريد: كان من أحسن الناس صوتًا بالقرآن. وقال في العبر: كان مقرئًا فصيحًا مفوها من فقهاء الصحابة. قال الذهبي: صحابي شهد فتح مصر، ويقال: فتح أحدًا. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢٠.

(٣) هو عقبة بن كريم الانصارى. ذكره ابن عبد الحكم فيمن دخل مصر من الصحابة، قال ابن الربيع: لأهل مصر عنه نحو مائة حديث؛ مات بمصر سنة ثمان وخمسين. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢٠.

(٤) هو عقبة بن نافع الفهري. أمير المغرب، قال في التجريد: ولد على عهد رسول الله ﷺ، لا تصح له صحبة وقد ذكره ابن الربيع فيمن شهد مصر من الصحابة، ولا يعرف له حديث. وقال الذهبي أيضًا: عقبة بن رافع، وقيل: ابن نافع - بن عبد القيس بن لقيط القرشي الفهري الأمير، شهد فتح مصر، وولي إمرة المغرب، استشهد بإفريقية. قال ابن كثير: اختط القيروان، ولم يزل بها إلى سنة اثنتين وستين، فغزا قوما من البربر، فقتل شهيدًا. قال ابن عبد الحكم: حدثنا عبد الملك بن مسلمة، حدثنا الليث بن سعد، أن عقبة بن نافع غزا إفريقية، فأتى وادى القيروان، فبات عليه هو وأصحابه، حتى إذا أصبح وقف على رأس الوادى، فقال: يا أهل الوادى، اظعنوا فإنا نازلون، قال ذلك ثلاث مرات، فجعلت الحيات تنساب والعقارب وغيرها، مما لا يعرف من الدواب، تخرج ذاهبة، وهم قيام ينظرون إليها من حين أصبحوا حتى أوجعتهم الشمس؛ وحتى لم يروا منها شيئا، فنزلوا الوادى عند ذلك. قال الليث: فحدثني زياد بن عجلان أن أهل إفريقية أقاموا بعد ذلك أربعين سنة، ولو التمست حية أو عقربا بألف دينار ما وجدت. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢٠-٢٢١.

(٥) هو عكرمة بن عبيد الخولاني. قال في التجريد: له ذكر في الصحابة، شهد فتح مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢١.

(٦) علقمة بن جنادة الأزدي الحجري. قال الذهبي: صحابي شهد فتح مصر، وولي البحر لمعاوية. توفي سنة تسع وخمسين. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢١.

(٧) هو علقمة بن رمثة البلوي. قال البخاري: حديثه في المصريين. وقال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولأهلها عنه حديث واحد. قال الذهبي: بايع تحت الشجرة. وقال الحسيني في رجال السند: مصري له صحبة ورواية، روى عنه زهير بن قيس البلوي. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢١-٢٢٢.

(٨) هو علقمة بن سمي الخولاني. قال الذهبي: صحابي، شهد فتح مصر، ولا يعرف له رواية. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢٢.

(٩) هو علقمة بن يزيد المرادي ثم الغطيفي. قال الذهبي: وله وفادة، وشهد فتح مصر، وولي الإسكندرية زمن معاوية. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢٢.

(١٠) هو عمار بن ياسر العبسي أبو اليقظان. أحد السابقين الأولين. قال ابن الربيع: دخل مصر رسولا من قبل عثمان بن عفان وصار إلى صقلية، ولأهل مصر عنه حديث واحد. قتل بصفين سنة سبع وثلاثين، وهو ابن ثلاث وتسعين سنة. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢٢.

عمرو بن الحمق[1]، عمرو بن شغو[2]، عمرو بن العاص[3]، عمرو بن مرة[4]، عمير بن وهب[5]، عنبسة بن عدى[6]، عنبس بن ثعلبة[7]، عوف بن نجوة[8]، عياض بن سعيد[9]، غرفة بن الحارث[10]، غنى بن قطيب[11]،

---

(1) هو عمرو بن الحمق بن كاهن بن حبيب الخزاعى. قال البخارى: حديثه فى المصريين. وقال ابن الربيع: دخل مصر فى خلافة عثمان، ولهم عنه حديث فى الجند الغربى، وقال فى التهذيب: بايع فى حجة الوداع، وصحب بعد ذلك، وقتل بالحرة. وقال ابن سعد: كان فيمن سار إلى عثمان، وأعان على قتله، ثم قتله عبد الرحمن بن أم الحكم. وعن الشعبى قال: أول رأس حمل فى الإسلام رأس عمرو بن الحمق. وقال ابن كثير: أسلم قبل الفتح وهاجر، وكان من جملة من أعان حجر بن عدى فتطلبه زياد، فهرب إلى الموصل، فبعث معاوية إلى نائبها، فوجدوه قد اختفى فى غار فنهشته حية، فمات، فقطع رأسه، وبعث به إلى معاوية، فطيف به فى الشام وغيرها، فكان أول رأس طيف به قال: وورد فى حديث أن رسول الله ﷺ دعا له أن يمتعه بشبابه، فبقى ثمانين سنة لا ترى فى لحيته شعره بيضاء. حسن المحاضرة جـ١ ص٢٢٣.

(2) هو عمرو بن شغو اليافعى. قال الذهبى: شهد فتح مصر، وعد فى الصحابة. حسن المحاضرة جـ١ ص٢٢٤.

(3) هو عمرو بن العاص بن وائل السهمى أبو عبد الله، وقيل أبو محمد. أمير مصر وصاحب فتحها، أسلم بأرض الحبشة عند النجاشى، ثم قدم فى صفر سنة ثمان، ومات بمصر ليلة عيد الفطر سنة ثلاث وأربعين وهو ابن تسعين سنة. وقال ابن الجوزى. قال ابن الربيع: لأهل مصر عنه نحو عشرة أحاديث، وقد روى الترمذى عن طلحة بن عبيد الله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن عمرو بن العاص من صالحى قريش». حسن المحاضرة جـ١ ص٢٢٤.

(4) هو عمرو بن مرة الجهنى: قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم عنه حديث روى عنه عيسى بن طلحة. وقال فى التهذيب: يكنى أبا طلحة، أسلم قديما، وشهد المشاهد، وكان قوالا بالحق. مات فى خلافة عبد الملك. حسن المحاضرة جـ١ ص٢٢٤.

(5) هو عمير بن وهب الجمحى أبو أمية. ذكره ابن عبد الحكم فيمن شهد فتح مصر. قال الذهبى: من أبطال قريش قدم المدينة ليغدر برسول الله ﷺ. حسن المحاضرة جـ١ ص٢٢٥.

(6) هو عنبسة بن عدى أبو الوليد البلوى. بايع تحت الشجرة، وشهد فتح مصر، ورجع إلى الحجاز. قاله ابن الربيع وابن يونس والذهبى. حسن المحاضرة جـ١ ص٢٢٥.

(7) هو عنبس بن ثعلبة بن هلال بن عنبس البلوى. له صحبة، بايع تحت الشجرة، وشهد فتح مصر. ذكره ابن الربيع وابن يونس. حسن المحاضرة جـ١ ص٢٢٥.

(8) هو عوف بن نجوة - قال فى التجريد: شهد فتح مصر ولا رواية له. حسن المحاضرة جـ١ ص٢٢٥.

(9) هو عياض بن سعيد الأزدى الحجرى. قال فى التجريد: شهد فتح مصر، ولم يرو شيئا. حسن المحاضرة جـ١ ص٢٢٥.

(10) هو غرفة بن الحارث الكندى، أبو الحارث اليمانى. شهد فتح مصر ولهم عنه حديث. وقال الذهبى: سكن مصر، وهو نقل حديثه فى سنن أبى داود. وقال المزى: له صحبة ووفادة ورواية. وقال البخارى فى كتاب الصحابة: كندى حديثه فى المصريين. حسن المحاضرة جـ١ ص٢٢٦.

(11) هو غنى بن قطيب. قال فى التجريد: شهد فتح مصر، وذكر فى الصحابة، ولا تعرف له رواية. قاله ابن يونس. حسن المحاضرة جـ١ ص٢٢٦.

فضالة بن عبيد[١]، فضالة الليثى[٢]، قتادة بن قيس[٣]، قدامة بن مالك[٤]، قيس بن سعد بن عبادة[٥]، قيس بن أبى العاص السهمى[٦]، قيسبة بن كلثوم[٧]، كثير الأزدى[٨]، كعب بن عدى[٩]، كعب بن يسار[١٠]، لبيد بن عقبة[١١]، نصيب بن

---

(١) هو فضالة بن عبيد الله بن نافذ بن قيس الأنصارى الأوسى أبو محمد. شهد أحدا والحديبية، وولى قضاء دمشق لمعاوية. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر ولأهلها عنه نحو عشرين حديثا. مات سنة ثلاث وخمسين، وقيل سنة خمس وخمسين. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢٦.

(٢) هو فضالة الليثى. قال البخارى فى كتاب الصحابة: حديثه فى المصريين. وقال فى التهذيب: له صحبة ورواية، وفى اسم أبيه خلاف؛ روى عنه ابنه عبد الملك، وأبو حرب بن أبى الأسود. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢٦.

(٣) هو قتادة بن قيس الصدفى. قال الذهبى: له صحبة، شهد فتح مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢٧.

(٤) هو قدامة بن مالك، ومن ولد سعد العشيرة. قال الذهبى: له وفادة، وشهد فتح مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢٧.

(٥) هو قيس بن سعد بن عبادة الأنصارى أبو عبد الله، صحابى من زهاد الصحابة وكرمائهم. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، واختط بها، ولهم عنه أحاديث. قال أنس: كان قيس بن سعد بن عبادة من النبى ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير. أخرجه البخارى. ولى إمرة مصر فى خلافة على بن أبى طالب، ومات بالمدينة سنة تسع وخمسين، وكان سيداً كريمًا ممدوحًا شجاعًا مطاعًا. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢٧.

(٦) هو قيس بن أبى العاص بن قيس بن عدى السهمى. قال الذهبى: ولى قضاء مصر لعمر بن الخطاب، وهو من مسلمة الفتح. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢٨.

(٧) هو قيسبة بن كلثوم. ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة. وقال الذهبى: له وفادة، وشهد فتح مصر، عداده فى كندة، وكان شريفًا مطاعًا فى قومه. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢٨-٢٢٩.

(٨) هو كثير بن أبى كثير الأزدى. قال الذهبى: له صحبة، نزل مصر، وروى عنه عقبة بن مسلم. وقال ابن الربيع: لهم عنه حديث. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢٩.

(٩) هو كعب بن عدى بن حنظلة التنوخى؛ من أهل الحيرة، قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم عنه حديث، وقال الذهبى: كان شريك عمر فى الجاهلية، فأرسله سنة خمس عشرة إلى المقوقس، ثم روى عنه، قدم على النبى ﷺ، وسمع كلامه وقراءته وصلاته، ومات قبل أن يسلم، فأسلم بعده. قال: فهو على هذا من التابعين الذين حديثهم موصول. قلت: الأثر أخرجه ابن الربيع من وجه آخر، وفيه التصريح بأنه أسلم فى حياة النبى ﷺ، وقد سقته فى قصة المقوقس. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٢٩-٢٣٠.

(١٠) هو كعب بن يسار بن ضنة العبسى المخزومى. قال ابن الربيع: لأهل مصر عنه حديث. وقال الذهبى: شهد فتح مصر، وولى القضاء. وقال سعيد بن عفير: وهو أول قاض بمصر، وكان قاضيا فى الجاهلية: وأما عمار بن سعد التجيبى، فروى أن عمر كتب إلى عمرو بن العاص ليوليه القضاء، فقال كعب: لا والله، لا ينجينى الله من ذلك فى الجاهلية ثم أعود إليه، وأبى أن يقبل. حسن المحاضرة حـ١ ص٢٣٠.

(١١) هو لبيد بن عقبة التجيبى، قال الذهبى: نزل مصر، وشهد فتحها، عداده فى الصحابة، ولم يرو. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣١.

جـشم[1]، لقـيط بن عـدى[2]، ليـشـرح بن لحى[3] الرعـينى، مـالك بن أبى سلسلة الأزدى[4]، مـالك بن عـتاهية[5]، مالك بن قـدامة[6]، مالك بن هـبيرة[7]، مبرح بن شهاب[8]، محمد بن بشير الأنصارى[9]، محمد بن أبى بكر الصديق[10]، محمد بن جابر بن غـراب[11]، مـحمية بن جـزء[12]، المستورد بن سلامـة[13]، المسـتورد بن

---

(١) هو نصيب بن جشم بن حرملة. قال الذهبى: ذكر فى الصحابة، وشهد فتح مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣١.

(٢) هو لقيط بن عدى اللخمى. قال الذهبى: من الصحابة المعدودين بمصر، كان على كمين جيش عمرو بن العاص وقت فتح مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣١.

(٣) هو ليشرح بن لحى، أبو محمد الرعينى. قال الذهبى: مكتوب فى الصحابة، شهد فتح مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣١.

(٤) هو مالك بن أبى سلسلة الأزدى. قال فى التجريد: أحد الأبطال، شهد فتح مصر مع عمرو بن العاص، فكان أول الناس صعوداً للحصن. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣١.

(٥) هو مالك بن عتاهية بن حرب الكندى التجيبى. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر ولهم عنه حديث. قال الذهبى: مصرى له حديث واحد فى مسند أحمد. وقال الحسينى: له صحبة ورواية، عداده فى أهل مصر، وبها كان سكناه. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٢.

(٦) هو مالك بن قدامة. ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة، وقال: بايع النبى ﷺ. وذكر ابن وزير أنه من أهل مصر. انتهى. وهو أنصارى أوسى بدرى، اسم أمه عرفجة. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٢.

(٧) هو مالك بن هبيرة بن خالد الكندى السكونى التجيبى. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم عنه حديث. قال فى التهذيب: له صحبة ورواية. وقال الذهبى: عداده فى المصريين، روى عنه مرثد اليزنى، وولى حمص سنة اثنتين وخمسين، وكان من أمرائها. مات زمن مروان بن الحكم. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٢.

(٨) هو مبرح بن شهاب بن الحارث اليافعى ـ ويقال الرعينى ـ أحد وفد رعين. قال فى التجريد: نزل مصر، وكان على ميسرة عمرو بن العاص يوم دخل مصر، وخطته بالجيزة معروفة. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٣.

(٩) هو محمد بن بشير الأنصارى. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر. وقال فى التجريد: له حديث فى ذم البناء، روى عنه ابن يحيى. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٣.

(١٠) ولد فى حجة الوداع فى حياة النبى ﷺ، وولى إمرة مصر من قبل على، وقتل بها سنة ثمان وثلاثين.

(١١) قال الذهبى: يعد فى الصحابة، شهد فتح مصر. قاله ابن يونس. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٣.

(١٢) هو محمية بن جزء الزبيدى. حليف بنى جمح، وهو ابن عم عبد الله بن الحارث بن جزء من مهاجرة الحبشة. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر. وقال ابن سعد: تحول إلى مصر فنزلها. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٤.

(١٣) هو المستورد بن سلامة بن عمرو الفهرى. قال ابن يونس: هو صحابى، شهد فتح مصر، واختط بها، وتوفى بالإسكندرية سنة خمس وأربعين، روى عنه على بن رباح وأبو عبد الرحمن الجبلى. ذكره فى التجريد. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٥.

شداد[١]، مسعود بن الأسود[٢]، مسلمة بن مخلد[٣]، المسور بن مخرمه[٤]، المسيب ابن حزن[٥]، مطعم بن عبيد[٦]، المطلب بن أبى وداعة[٧]، معاذ بن أنس[٨]، معاوية ابن حديج[٩]، معاوية بن أبى سفيان[١٠]، معبد بن العباس[١١]، معيقيب بن أبى فاطمة

---

(١) هو المستورد بن شداد بن عمرو القرشى الفهرى. صحابى نزل الكوفة ثم مصر، روى عنه جماعة. كذا ذكره فى التجريد بعد ذكره الذى قبله. وذكر ابن الربيع هذا فقط، وقال: شهد فتح مصر، واختط بها، ولهم عنه أحاديث. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٥.

(٢) هو مسعود بن الأسود البلوى. وقيل العدوى. قال الذهبى: بايع تحت الشجرة، يعد فى المصريين، وغزا إفريقية.

(٣) هو مسلمة بن مخلد (بوزن محمد) بن الصامت الأنصارى الزرقى أبو معمر. ولد عام الهجرة. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، واختط بها، ولهم عنه حديثان، مات بمصر سنة اثنتين وستين، وقيل مات بالإسكندرية. وقال ابن سعد: مات بالمدينة، تحول من مصر إليها، وقد ولى إمرة مصر زمن معاوية. قال الذهبى: له صحبة ورواية يسيرة. وقال ابن كثير: مات بمصر فى ذى القعدة. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٦.

(٤) هو المسور بن مخرمة بن نوفل الزهرى أبو عبد الرحمن. له ولأبيه صحبة، وأمه عاتكة أخت عبد الرحمن بن عوف. قال ابن الربيع: دخل مصر لغزو المغرب. مات سنة أربع وستين. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٦.

(٥) هو المسيب بن حزن بن أبى وهب المخزومى. والد سعيد بن المسيب، وله ولأبيه صحبة ورواية، ذكره الواقدى فيمن دخل مصر لغزو المغرب. قاله ابن عبد الحكم. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٦.

(٦) هو مطعم بن عبيد البلوى. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر. وقال الذهبى: مصرى له صحبة، وروى عنه ربيعة بن لقيط. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٦.

(٧) هو المطلب بن أبى وداعة الحارث بن ضبيرة القرشى، أبو عبد الله السهمى. له ولأبيه صحبة، وهما من مسلمة الفتح. قال ابن الربيع: دخل مصر لغزو المغرب. فيما ذكره الواقدى. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٦.

(٨) هو معاذ بن انس الجهنى. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم عنه ستة وأربعون حديثا. قال المزى: له صحبة ورواية، لم يرو عنه سوى ابنه سهل فقط. وقال ابن سعد والذهبى: سكن مصر، روى عنه ابنه أحاديث كثيرة. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٧.

(٩) هو معاوية بن حديج السكونى التجيبى، وقيل الكندى، وقيل الخولانى. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، وهو الوافد على عمر بفتح الإسكندرية. وقال البخارى: نزل مصر، ومات قبل عبد الله بن عمر. وقال الذهبى: يعد فى المصريين، مشهور، وهو قاتل محمد بن أبى بكر. وقال المزى: ذكر البخارى وأبو حاتم، وغير واحد. له صحبة ووفادة ورواية. وقال ابن كثير: مات بمصر سنة اثنتين وخمسين. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٧.

(١٠) هو معاوية بن أبى سفيان صخر بن حرب الأموى أمير المؤمنين أبو يزيد. قال ابن الربيع: دخل مصر، وبلغ إلى سلمنت من كور عين شمس، ورجع من ثم. ولهم عنه حديثان. مات بدمشق فى رجب سنة ست وستين، وله اثنتان وثمانون سنة. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٧.

(١١) هو معبد بن العباس بن عبد المطلب، ابن عم النبى ﷺ ذكره ابن عبد الحكم فيمن دخل مصر لغزو المغرب. قال الذهبى: ولد على عهد النبى ﷺ، واستشهد بإفريقية فى زمن عثمان شابًا. حسن المحاضرة جـ١ ص ٢٣٧.

الـــدوسى[1]، المقداد بـــن الأســـود[2]، منيـــذر الأسلمـــى[3]، نبيه بن صـــواب[4]، النعـــمـــان بـن جـزء[5]، هانى بن جـزء[6]، هبـيب بـن مـغـــفـل[7]، هـــوذة بـن عرفطـــة[8]، واقـد بـــن الحـــارث[9]، لاحـــب بن مالـــك[10]، يزيد بن أنيـــس[11]،

---

(١) هو معيقيب بن أبى فاطمة الدوسى. أسلم قديمًا، وهاجر الهجرتين، وشهد بدرًا، وكان على خاتم النبى ﷺ، وأستعمله أبو بكر وعمر على بيت المال، نزل به الجذام، فعالجه بأمر عمر بالحنظل، فوقف. قال العجلى: لم يبتل أحد من الصحابة إلا رجلان؛ هذا بالجذام، وأنس بن مالك بالوضح. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، مات سنة أربعين فى خلافة عثمان. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٨.

(٢) هو المقداد بن الأسود- وليس الأسود أباه، وإنما تبناه الأسود بن عبد يغوث وهو صغير، فعرف به، واسم أبيه عمرو بن ثعلبة الكندى- أبو معبد. أحد السابقين، شهد أحدا وبدرا والمشاهد كلها، ولم يثبت أنه شهد بدرًا فارس غيره. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، لهم عنه حديثان، مات بالمدينة سنة ثلاث وثلاثين، وله نحو سبعين سنة. أخرج ابن الربيع، عن يزيد بن أبى حبيب، أن المقداد بن الأسود غزا مع عبد الله ابن سعد إفريقية، فلما رجعوا قال عبد الله بن سعد للمقداد فى دار بناها: كيف ترى بنيان هذه الدار؟ فقال له المقداد: إن كان من مال الله فقد أفسدت، وإن كان من مالك فقد أسرفت، فقال عبد الله: لولا أن يقول قائل: أفسدت مرتين، لهدمتها. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٩.

(٣) هو المنيذر الأسلمى- ويقال المنذر- قال ابن الربيع: دخل مصر، ولهم عنه حديث، وسكن إفريقية. وقال ابن يونس: كان بإفريقية روى عنه أبو عبد الرحمن الجبلى قال عبد الملك بن حبيب: دخل الأندلس من الصحابة منذر الإفريقى. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٣٩.

(٤) هو نبيه بن صواب المهرى، ذكره ابن يونس فيمن دخل مصر من الصحابة، وقال: إنه أحد من أسس الجامع. وقال الذهبى: له وفادة، وكان أحد الأربعة الذين أقاموا قبلة مصر، وقد شهد فتحها، روى عنه عبد الملك بن أبى رابطة، ويزيد بن أبى حبيب، وعبد العزيز بن مليك، وداود عبد الله الحضرمى. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٠.

(٥) هو النعمان بن جزء بن النعمان بن قيس الغطيفى. قال فى التجريد: له وفادة، وشهد فتح مصر. ذكره ابن يونس. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٠.

(٦) هو هانئ بن جزء بن النعمان المرادى. قال الذهبى: له وفادة، وشهد فتح مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٠.

(٧) هو هبيب بن مغفل. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، واختط بها، ولهم عنه حديث، وإليه ينسب وادى هبيب، لأنه كان اعتزل فى فتنة عثمان هناك، وتوفى به. وقال الحسينى فى رجال المسند: كان بالحبشة ثم أسلم، وهاجر وشهد فتح مصر، ثم سكنها، وحديثه عندهم فى جر الإزار. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤١.

(٨) هو هوذة بن عرفطة. قال فى التجريد: له وفادة، وشهد فتح مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤١.

(٩) هو واقد بن الحارث الأنصارى. قال الذهبى: له صحبة، عداده فى أهل مصر، روى عنه قيس بن وكيع. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤١.

(١٠) هو لاحب بن مالك بن سعد الله البلوى. صحابى، بايع تحت الشجرة، وشهد فتح مصر، ولا رواية له. قاله ابن الربيع وابن يونس والذهبى. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤١.

(١١) هو يزيد بن أنيس بن عبد الله أبو عبد الرحمن الفهرى. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، واختط بها، ولم يرو إلا حديثًا واحدًا فى غزوة حنين، رواه عنه غير أهل مصر. وقال الذهبى: شهد فتح مصر، وشهد حنينا، وله حديث. مات بالشام. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٢.

يزيد بن الجراح[1]، أخو أبي عبيدة، يزيد بن أبي زياد الأسلمي[2]، أبو أمامة الباهلي[3]، أبو أيوب الأنصاري[4]، أبو بردة الظفري[5]، أبو بصرة الغفاري[6]، أبو ثور الفهمي[7]، أبو جمعة الأنصاري[8]، أبو جندب العتقي[9]، أبو خراش السلمي[10]، أبو الدرداء[11]، أبو درة البلوي[12]،

---

(١) هو يزيد بن عبد الله بن الجراح. أخو أبي عبيدة. قال الذهبي: له صحبة ورواية، تزوج بمصر نصرانية. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٢.

(٢) هو يزيد بن أبي زياد - أو ابن زياد - الأسلمي. قال الذهبي: نزل مصر، وروى عنه أبو قبيل. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٢.

(٣) هو أبو أمامة الباهلي صدى بن عجلان. من مشاهير الصحابة. قال الذهبي: ثم سكن مصر، سكن حمص. قال ابن عيينة: كان آخر من مات بالشام من الصحابة، وكانت وفاته سنة ست وثمانين، وهو ابن إحدى وتسعين سنة. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٣.

(٤) هو أبو أيوب الأنصاري، خالد بن زيد بن كليب: حضر العقبة وبدراً والمشاهد كلها. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، وغزا بحرها، ولهم عنه نحو عشرين حديثًا. مات بالقسطنطينية غازيًا مع يزيد بن معاوية في سنة اثنتين وخمسين، وقبره هناك يستسقى به الروم إذا قحطوا. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٣.

(٥) هو أبو بردة الأنصاري الأوسي الظفري. روى عنه ابنه معتب. كذا في التجريد. وقال ابن سعد في الطبقات: صحابي نزل مصر. ثم روى له حديثا من رواية ابنه معتب أو مغيث، عنه. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٣.

(٦) هو أبو بصرة الغفاري. اسمه حميل - بالحاء المهملة مصغر - بن بصرة بن وقاص. له صحبة ورواية. قال ابن الربيع: شد فتح مصر، واختط بها، ولهم عنه عشرة أحاديث، وكانت وفاته بمصر، ودفن بالمقطم. قاله ابن سعد. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٣.

(٧) هو أبو ثور الفهمي - قال ابن عبد البر: صحابي لا يعرف أحد اسمه، حديثه عند أهل مصر. وقال ابن أبي حاتم: سئل أبو زرعة عن أبي ثور الفهمي: ما اسمه؟ فقال: لا أعرف اسمه. وله صحبة. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم عنه حديث. وقال الذهبي: له صحبة، وحديثه عند المصريين، روى عنه يزيد بن عمرو. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٤.

(٨) هو أبو جمعة الأنصاري السباعي - وقيل الكناني - حبيب بن سباع، وقيل ابن وهب، وقيل: جنيد بن سبع. له صحبة ورواية. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم عنه حديث. وقال ابن سعد: كان بالشام، ثم تحول إلى مصر فنزلها. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٤.

(٩) هو أبو جندب العتقي. قال الذهبي: صحابي نزل مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٤.

(١٠) هو أبو خراش السلمي. ذكره ابن سعد فيمن نزل مصر من الصحابة، وأورد له حديثا من حديث عمران ابن أبي أنس عنه مرفوعا: «من هجر أخاه سنة فهو كسفك دمه». وقال الذهبي في التجريد: أبو خراش السلمي أو الأسلمي، له حديث، واسمه حدرد. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٤.

(١١) هو أبو الدرداء عويمر بن عامر - ويقال: ابن مالك - الأنصاري الخزرجي، أسلم يوم بدر، وشهد أحداً، فأبلى يومئذ، وقد ألحقه عمر رضي الله تعالى عنه بالبدريين في العطاء. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم عنه خمسة أحاديث، مات سنة اثنتين وثلاثين. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٥.

(١٢) هو أبو درة البلوي. له صحبة، ذكره ابن يونس. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٥.

أبو ذر(١)، أبو رافع(٢) مولى رسول الله ﷺ ، أبو رمثة(٣)، أبو الرمداء(٤)، أبو ريحانة الأزدى(٥)، أبو الزعراء(٦)، أبو زمعة(٧)، أبو الزهراء(٨)، أبو سعد الخير(٩)، أبو الشموس(١٠)، أبو صرمة(١١)، أبو ضبين(١٢)، أبو عبد الرحمن الجهنى(١)،

---

(١) هو أبو ذر الغفارى جندب بن جنادة. وقيل يزيد بن عبدالله، وقيل بربر بن جنادة، وقيل جندب بن سكن وقيل: خلف بن عبد الله. أسلم قديما بمكة، وكان من فضلاء الصحابة ونبلائهم وقرائهم. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، واختط بها، ولهم عنه نحو عشرون حديثا. وقد سكن مصر مدة، ثم خرج منها لما رأى اثنين يتنازعان فى موضع لبنة، كما أمره رسول الله ﷺ بذلك. مات بالربذة فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٥.

(٢) هو أبو رافع القبطى مولى النبى ﷺ ، اسمه أسلم، وقيل: إبراهيم، وقيل صالح، شهد أحدا والخندق وما بعدهما. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر، واختط بها، ولهم عنه حديث. مات بالمدينة بعد عثمان بيسير. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٦.

(٣) هو أبو رمثة البلوى. قال الذهبى: سكن مصر، ومات بإفريقية، وحديثه عند المصريين. وقال فى التهذيب: قيل اسمه رفاعه بن يثربى، وقيل بالعكس له صحبة ورواية. حديثه فى السند والسنن. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٦.

(٤) هو أبو الرمداء البلوى. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر. ولهم عنه حديث وقال الذهبى: له صحبه اسمه ياسر. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٦.

(٥) هو أبو ريحانة الأزدى. اسمه شمغون - بالغين المعجمة، وقيل بالمهملة - ابن زيد، حليف الأنصار. له صحبة ورواية، شهد فتح مصر، ولهم عنه حديثان أو ثلاثة. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٦.

(٦) هو أبو الزعراء. قال الذهبى: مصرى له صحبة، روى عنه أبو عبد الرحمن الجبلى فى الأئمة الفاضلين، وذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة. ولهم عنه حديث. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٦.

(٧) هو أبو زمعة البلوى. قال الذهبى: اسمه عبد - وقيل عبيد - بن أرقم. بايع تحت الشجرة، ونزل مصر، وغزا إفريقية مع معاوية بن حديج. وقال ابن الربيع: شهد فتح مصر، ولهم عنه حديث فى الذى قتل تسعة وتسعين نفسا وسأل: هل لى من توبة؟ ولم يرو عن النبى ﷺ غيره، ومات بإفريقية. قال: ويقال: اسمه مسعود بن الأسود. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٧.

(٨) هو الزهراء البلوى. قال الذهبى: صحابى، شهد فتح مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٧.

(٩) هو أبو سعد الخير الأغارى. ذكره ابن سعد فى الصحابة الذين نزلوا مصر، وأورد له حديثا من رواية قيس بن الحارث العامرى عنه. وقال الذهبى: اسمه عامر بن سعد، ويقال أبو سعيد الخير، شامى، له حديث فى الشفاعة وفى الضوء، روى عنه قيس بن الحارث وعبادة بن نسىء. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٧.

(١٠) هو أبو الشموس البلوى. قال ابن سعد: صحب النبى ﷺ ونزل مصر. وقال فى التجريد: شهد تبوكا، وله حديث أورده البخارى فى تاريخه. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٨.

(١١) هو أبو صرمة الأنصارى، اسمه مالك بن قيس بن مالك، ويقال لبابة بن قيس: وقيل قيس بن مالك. قال ابن عبد البر: لم يختلفوا فى شهوده بدراً وما بعدها، وكان شاعراً محسنًا. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٨.

(١٢) هو أبو ضبين البلوى. قال الذهبى: مصرى له صحبة. وقال ابن الربيع: دخل مصر لغزو المغرب. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٨.

أبو عطية المزنى[٢]، أبو فاطمة الدوسى[٣]، أبو مالك الأشعرى[٤]، أبو مسلم الغافقى[٥]، أبو مكنف[٦]، أبو ملكية[٧]، أبو موسى الغافقى[٨]، أبو هريرة[٩]، أبو هند الدارى[١٠].

هؤلاء نقاوة من عرف اسمه من الصحابة المشار إليهم رضى الله عنهم وبقيت جماعة أخر مسمون ذكرتهم فى كتابى الذى قدمت ذكره، وأما تعيين من سكن منهم بهذه الجزيرة بخصوص اسمه فلا سبيل إلى الوقوف عليه وإن ظفرت بشئ بعد ذلك ألحقته.

---

(١) هو أبو عبد الرحمن الجهنى. قال الذهبى: يعد فى المصريين، روى عنه مرثد بن عبد الله اليزنى حديثين حسنين. وذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة، وقال: لهم عنه حديثان. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٨.

(٢) هو أبو عطية المزنى. قال فى التجريد. عداده فى المصريين، تفرد بحديثه بكر بن سوادة. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٩.

(٣) هو أبو فاطمة الدوسى الأزدى. قال ابن الربيع: شهد فتح مصر واختط بها، ولهم عنه حديث. وقال فى التهذيب: اسمه أنيس، وقيل عبد الله بن أنيس، نزل الشام، وشهد فتح مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٩.

(٤) هو أبو مالك الأشعرى. نزل مصر روى عنه سنان بن سعد، والصحيح عن أنس بن مالك. كذا فى التجريد. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٤٩.

(٥) هو أبو مسلم الغافقى. ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة، قال: ولهم عنه حديث. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٥٠.

(٦) هو أبو مكنف. قال فى التجريد: له وفادة، وشهد فتح مصر. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٥٠.

(٧) هو أبو ملكية البلوى. ذكره ابن الربيع فيمن دخل مصر من الصحابة، وقال: لهم عنه ثلاثة أحاديث. وقال الذهبى: نزل مصر له صحبة، روى عنه ابن رباح. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٥٠.

(٨) هو أبو موسى الغافقى مالك بن عبادة - ويقال ابن عبد الله - من حلفاء بنى عبد الدار، قال ابن الربيع: خدم النبى ﷺ، وشهد فتح مصر، ولهم عنه ثلاثة أحاديث. وقال الحسينى فى رجال السند: صحابى، عداده فى المصريين. وقال الذهبى فى التجريد: مصرى، له صحبة. توفى سنة ثمان وخمسين. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٥٠.

(٩) هو أبو هريرة الدوسى - فى اسمه واسم أبيه أقوال كثيرة، قال ابن الربيع: قدم مصر على مسلمة بن مخلد فى خلافة معاوية، ولهم عنه ثلاثة وثلاثون حديثا. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٥٠.

(١٠) هو أبو هند الدارى. اسمه بدير - ويقال بدير بن عبد الله بن بدير. وهو ابن عم تميم الدارى وأخوه لأمه. قال ابن الربيع: دخل مصر، ولهم عنه حديث. حسن المحاضرة حـ١ ص ٢٥١.

ذكر بناء الصناعة بالروضة

قال الكندى: بنيت بالجزيرة[1] الصناعة فى سنة أربع وخمسين (هـ) والصناعة اسم لمكان قد أعد لإنشاء المراكب البحرية، وأول صناعة عملت بأرض مصر التى عملت بالروضة فى سنة أربع وخمسين من الهجرة فاستمرت إلى أيام الإخشيد فأنشأ صناعة بساحل فسطاط مصر وجعل موضع الصناعة التى بالروضة بستانًا سماه المختار[2].

قال المقريزى[3]: وكان نقل الصناعة من الجزيرة إلى ساحل مصر فى شعبان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة.

وقال ابن ميسر: «فى سنة ست عشرة وخمسمائة نقل المأمون البطائحى الوزير عمارة المراكب الحربية من الصناعة التى بجزيرة مصر إلى الصناعة القديمة بساحل مصر وبنى عليها منظرة كانت باقية إلى آخر أيام الدولة العلوية» إنتهى.

وهذا يدل على أن الصناعة أعيدت إلى الروضة بعد أن أبطلها الإخشيد إلى ساحل مصر حتى نقلت ثانيًا فى السنة التى ذكرها ابن ميسر.

وقال ابن المأمون: كانت جميع مراكب الأساطيل ما تنشأ إلا بالصناعة التى بالجزيرة فأنكر الوزير المأمون[4] ذلك وأمر بأن يكون إنشاء الشوانى وغيرها من المراكب النيلية الديوانية بالصناعة بمصر وأضاف إليها دار الزبيب وأنشأ المنظرة بها، واسمه إلى الآن باق عليها، وقصد بذلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدمه الأساطيل ورميها بالمنظرة المذكورة وأن يكون ما ينشأ من الحرابى والشلنديات[5] فى الصناعة بالجزيرة.

وذكر ابن أبى طى[6] أن المعز لدين الله[7] أنشأ ستمائة مركب لم ير مثلها فى البحر[8] فى مدينة وعمل دار صناعة بالمقس[9].

---

(١) (بالجيزة) فى أ، د.

(٢) المختار كان يقع فى الجزء الجنوبى من جزيرة الروضة.

(٣) الخطط حـ٢ ص ١٧٨.

(٤) هو المأمون البطائحى الذى تولى الوزارة فى أيام خلافة الآمر الفاطمى (٤٩٥-٥٢٤هـ = ١١٠٢-١١٣٠م)، حيث تولى المأمون الوزارة بين شوال ٥١٥هـ وحتى ٤ رمضان سنة ٥١٩هـ.

(٥) الحرابى والشلنديات مراكب حربية كبيرة كانت مخصصة لنقل المقاتلة والأسلحة.

(٦) ابن أبى يحيى فى ب، د.

(٧) الآمر لدين الله فى ب.

(٨) فى البحر ساقطة فى ب، د.

(٩) المقس أو المقسم هو المكان الذى كانت تؤخذ فيه المكوس والضرائب وسمى المقسم لأن الفاتحين العرب المسلمين قسموا الغنائم هناك، والمقس يمثله الآن المنطقة المحيطة بجامع الفتح وأولاد عنان بميدان رمـ [illegible] ـاليًا.

وقال القضاعي في الخطط : كانت الصناعة بالجزيرة فنقلها الإخشيد إلى ساحل مصر في شعبان سنة خمس وعشرين وثلاثمائة وبنى مكانها البستان المعروف بالمختار، وكان السبب في تحويل الصناعة من الجزيرة أن بجكم التركي وعلي بن بدر ولطيف غلام النوشري لما خالفوا على الإخشيد انحدروا في مراكبهم فنزلوا الجزيرة وملكوا الصناعة، فركب الإخشيد في جيشه[1] حتى وقف على الساحل فنظر إليهم فقال : صناعة يحال بينها وبين صاحبها ما هذه صناعة. اعملو الصناعة ها هنا، فلما انكشفوا ورجع الإخشيد أمر بالصناعة فحولت إلى موضعها [2]هذا.

ذكر ما كان بالروضة في أيام عبد العزيز بن مروان

قال ابن عبد الحكم[3] : وكان بالجزيرة في أيام عبد العزيز بن مروان أمير مصر خمسمائة فاعل أعدت لحريق إن كان في البلاد أو هدم.

ذكر من تولى الروضة نيابة عن عبد العزيز بن مروان

قال القضاعي في الخطط : يقال أن ابا عتيم[4] كان قد ولي الجزيرة بمصر من قبل عبد العزيز بن مروان ثم عزله عنها، وكان يجلس في علو داره التي تسمى دار النيل[5] وهو ينظر إلى الجزيرة.

ذكر الحصن الذي بناه أحمد بن طولون بالروضة

قال القضاعي : حصّن الجزيرة أحمد بن طولون في سنة ثلاث وستين ومائتين ليحرز فيه حريمه[6] وماله، وكان سبب ذلك مسير موسى بن بغا من العراق واليًا على مصر وجميع أعمال ابن طولون وذلك في خلافة المعتمد على الله[7]، فلما بلغ أحمد بن

---

(١) جيشه = حديث في ب، د.
(٢) موضعها = يومنا في جـ.
(٣) فتوح مصر والمغرب ص ٩٦.
(٤) غنيم في أ، عيثم في ب، د.
(٥) النيل = القبلة في ب، د.
(٦) حرمه في ب، د.
(٧) تولى الخلافة من سنة ٢٥٦ حتى ٢٧٩هـ.

طولون مسيره تأمل مدينة فسطاط مصر فوجدها لا تؤخذ إلا من جهة النيل فبنى الحصن[1] بالجزيرة التى بين الفسطاط والجيزة[2] ليكون معقلاً[3] لحرمه وذخائره، واتخذ مائة مركب حربية سوى ما يضاف إليها من العشاريات[4] وغيرها، فلما وصل موسى بن بغا إلى الرقة تثاقل عن المسير لعظم شأن ابن طولون وقوته، ثم لم يلبث موسى أن مات وكفى ابن طولون أمره. وقال فى ذلك محمد بن داود[5]:

لما ثوى ابن بغا بالرقتين ملا ∴ ساقيه زرقا إلى الكعبين والعقب[6]
بنى الجزيرة حصنا يستجن به ∴ بالعسف والضرب والصناع فى تعب[7]
وراقب الجيزة القصوى فخندقها ∴ وكاد يصعق من خوف ومن رعب[8]
له مراكب فوق النيل راكدة ∴ فما سوى القار للنظار والخشب[9]
ترى عليها لباس الذل مذ بنيت ∴ بالشط ممنوعة من عزة الطلب[10]
فما بناها لغزو الروم محتسبا ∴ لكن بناها غداة الروع والعطب[11]

وما زال حصن الجزيرة عامرًا أيام ابن طولون حتى أخذه[12] النيل شيئًا فشيئًا[13]، وقد بقيت منه بقايا متقطعة إلى الآن. وقد ألف القاضى أبو عمرو عثمان النابلسى كتابًا

---

(١) الخضرة فى ب، د.
(٢) الجزيرة فى ب، حـ.
(٣) مغلقًا فى أ، د، مغلا فى ب.
(٤) العشاريات نوع من المراكب يسير فى النيل ويجر بعشرين مجدافًا لنقل البضائع. سعاد ماهر، البحرية ص ٢٥٣.
(٥) عقب المقريزى فى الخطط حـ٢ ص١٨٠ على ذلك بقوله «وفيه تحامل» أى أن هذا الشاعر كان متحاملاً على ابن طولون الذى لا يستحق هذا النقد لما له من مآثر وسيرته الحسنة، وقد ذكر الكندى فى كتابه تاريخ مصر وولاتها مقطوعات عديدة لمحمد بن داود يهجو فيها ابن طولون.
(٦) درقا فى أ، دركا فى ب، د.
(٧) بنى - ملا فى أ.
(٨) الجيزة = الجزيرة فى أ، ب، د. ، القصوى = القوص فى أ، والقوس فى د. ، يصعق = يصفق فى أ، يسقف فى د. ، ومن رعب = ومن رهب فى ب، د.
(٩) راكدة = راكبة فى جـ، هـ. ، فما سوى القار = لما سرى النار فى ب، د، للنظار = للقنطار فى جـ.
(١٠) هذا البيت غير موجود فى أ.
(١١) والعطب = للهرب فى حـ، والطلب فى ب، د.
(١٢) أجره فى د.
(١٣) يشغل مكان الحصن الجزء الجنوبى من جزيرة الروضة.

سماه «حسن السريرة فى اتخاذ الحصن بالجزيرة[1]» ولم أقف عليه ولكن المقريزى ينقل عنه كثيراً، ومما نقله عنه أنه قال فيه: «رأيت كتابًا قدر اثنتى عشرة كراسة مضمونة فهرست شعراء الميدان الذى لأحمد بن طولون. قال: فاذا كانت أسماء الشعراء فى اثنتى عشرة كراسة كم يكون شعرهم مع أنه لم يوجد من ذلك الآن ديوان واحد[2]».

وذكر أبو الخطاب بن دحية أن قطائع[3] أحمد بن طولون كان بها أكثر من مائة ألف دار خربت وهلك من فيها من الغلاء العظيم الذى كان أيام المستنصر[4]. وحدث محمد بن أبى يعقوب قال: لما كانت ليلة عيد الفطر سنة اثنتين وتسعين ومائتين تذكرت ما كان فيه آل طولون فى مثل هذه الليلة من الزىّ الحسن بالسلاح وملونات البنود والأعلام وشهرة[5] الثياب وكثرة الكراع[6] وأصوات الأبواق والطبول فاعترانى لذلك فكرة ونمت فى ليلتى فسمعت هاتفًا يقول: ذهب الملك والتملك والزينة[7] لما مضى بنو طولون.

وقال سعيد بن القاضى[8] يرثى آل طولون ويذكر الحصن الذى بالجزيرة:

جرى دمعه ما بين سحر إلى نحر ∴ ولم يجر حتى أسلمته يد الصبر[9]
وبات وقيذا للذى خامر الحشا ∴ يئن كما أنّ الأسير من الأسر
وهل يستطيع الصبر من كان ذا أسى ∴ يبيت علي جمر ويضحى علي جمر
تتابع أحداث يضيعن صبره ∴ وغدر من الأيام والدهر ذو غدر[10]
أصاب على رغم الأنوف وجدعها ∴ ذوى الدين والدنيا بقاصمة الظهر[11]

---

(١) (حسن السيرة) فى المقريزى: الخطط حـ١ ص ٣٢٦، كلمة بناء بدلاً من اتخاذ فى ب، حـ، د.
(٢) الخطط حـ١ ص ٣٢٦.
(٣) موقع القطائع اليوم المنطقة المحيطة بجامع ابن طولون المعروفة بقلعة الكبش.
(٤) حدثت الشدة العظمى أيام المستنصر بالله الفاطمى واستمرت سبع سنوات من سنة ٤٥٧ إلى سنة ٤٦٤ هـ وكان سببها انخفاض فيضان النيل وعدم وفائه وواكب ذلك فتن ومعارك بين طوائف الجند إلى جانب الأمراض والأوبئة التى حدثت خلال تلك السنوات.
(٥) شهرة مزيدة من الخطط حـ١ ص٣٢٦. ، والمقصود بشهرة الثياب هى ألوانها.
(٦) الكراع = الخيل.
(٧) الملك والسمان والرتبة فى أ، ب، د. والتصحيح من الخطط حـ١ ص٣٢٣ ومن باقى النسخ.
(٨) سعيد بن القاضى فى الخطط حـ٢ ص١٨١، سعيد القاص فى الخطط حـ١ ص٣٢٣، سهل بن العامرى فى النسخة د، وسهيل بن العامر فى ب، سعيد القاضى فى أ.
(٩) ما بين بحر إلى بحر فى أ، بحر إلى نحر فى ب، الصبر = النصر فى أ، ب، د.
(١٠) يتابع أحداثًا يخفض فى أ، فتابع أحداثا يخفض فى حـ.
(١١) أصاب = أضاف فى أ، ب، د.

طوى زينة الدنيا ومصباح أهلها ∴ بفقد بنى طولون والأنجم الزهر[1]
وفقد بنى طولون فى كل موطن ∴ أمرّ علي الإسلام فقدا من القطر[2]
فبادوا وأضحوا بعد عز ومنعة ∴ أحاديث لا تخفي على كل ذى حجر
وكان أبو العباس أحمد ماجدا ∴ جميل المحيا لا يبيت على وتر
كأن ليالى الدهر كانت لحسنها ∴ وإشراقها فى عصره ليلة القدر
يدل على فضل ابن طولون همة ∴ محلقة بين السماكين والغفر[3]
فإن كنت تبغى شاهدا ذا عدالة ∴ يخبر عنه بالجليّ من الأمر
فبالجبل الغربى خطة يشكر ∴ له مسجد يغنى عن المنطق الهذر[4]
يدل ذو الألباب أن بناءه ∴ وبانيه لا بالضنين ولا الغمر[5]
بناه بآجر وساج وعرعر ∴ وبالمرمر المسنون والجص والصخر[6]
بعيد مدى الأقطار سام بناؤه ∴ وثيق المبانى من عقود ومن جدر
فسيح رحاب يحصر الطرف دونه ∴ رقيق نسيم طيب العرف والنشر
وتنور فرعون الذى فوق قلة ∴ على جبل عال على شاهق وعر[7]
بنى مسجدا فيه يروق بناؤه ∴ ويهدى به فى الليل إن ضلّ من يسرى[8]
تخال سنا قنديله وضياءه ∴ سهيلا إذا ما لاح فى الليل للسفر[9]

---

(١) أهلها = ألفها فى حـ.
(٢) أمر = أضر فى جـ، هـ.
(٣) والغفر = والقصر فى جـ، هـ. ، والمقصود بالسماكين والغفر هى أماكن بالقرافة الكبرى سكنتها بعض القبائل جنوبى الفسطاط .
(٤) الجبل العربى المقصود به الهضبة التى أقام عليها ابن طولون جامعه ومدينة القطائع وأطلق عليه الغربى لأن الشرقى هو الجبل المقابل له وهو المقطم، وقد سكنت قبيلة يشكر الجبل الغربى عند الفتح .
(٥) بالضنين = بالغبى فى جـ.
(٦) من الجدير بالذكر هنا أن نقول ان ابن طولون تحرى المثالية فى أفعاله إذ إنه عندما أراد أن يبنى جامعه كره أن يستعمل فيه أعمدة الآثار القديمة والكنائس فى بنائه لذا اقترح عليه أحد المهندسين أن تكون أعمدته كلها فيما عدا عمودى المحراب مبنية من الآجر أى الطوب الأحمر .
(٧) تنور فرعون اسم أطلق على مرصد فوق هضبة يشكر يوقد بالنيران للتنبيه فى حال حلول خطر بالبلاد، وكان مكانه مكان الجامع وما حوله .
(٨) ان ضل= من ضل فى جـ.
(٩) للسفر = المسفر فى جـ، هـ.
* وسهيل نجم يهتدى به .

وعين معين الشرب عين زكية ∴ وعين أجاج للرواة وللطهر[1]
كأن وفود النيل فى جنباتها ∴ تروح وتغدو بين مدّ إلى جزر
فأرجائها مستنبطا لمعينها ∴ من الأرض من بطن عميق إلى ظهر[2]
بناء لو أن الجن جاءت بمثله ∴ لقيل لقد جاءت بمستفظع نكر[3]
يمر على أرض المغافر كلها ∴ وشعبان والأحمور والحى من بشر[4]
قبائل لا نوء السحاب يمدها ∴ ولا النيل يرويها ولا جدول يجرى[5]
ولا تنس مارستانه واتساعه ∴ وتوسعة الأرزاق للحول والشهر[6]
وما فيه من قوّامة وكفاته ∴ ورفقتهم بالمعتفين ذوى الفقر[7]
فللميت المقبور حسن جهازه ∴ وللحى رفق فى علاج وفي جبر[8]
وإن جئت رأس الجسر فانظر تأملاً ∴ إلى الحصن أو فاعبر إليه على الجسر[9]
ترى أثراً لم يبق من يستطيعه ∴ من الناس فى بدو البلاد ولا حضر[10]
مآثر لا تبلى وإن باد أهلها ∴ ومجد يؤدى وارثيه إلى الفخر

---

(١) هى العين التى استنبطها أحمد ابن طولون وتبدأ من عندها قناطر أحمد بن طولون وهى تقع بمنطقة البساتين جنوب القاهرة وتعرف خطأ باسم بيرأم السلطان.

(٢) فأرجائها = فأرك بها الخطط حـ١ ص٣٢٤، لمعينها = لحسنها فى أ، ب.

(٣) يقصد الشاعر هنا قناطر أحمد بن طولون التى تقع بالبساتين ولا تزال أجزاء كثير منها موجودة تدل على عظمة شأنها وهندستها الفائقة.

(٤) وشعبان = سفيان فى جـ، هـ. ، بشر = بسر فى جـ، نسر فى أ.

* وهذا البيت فى منتهى الأهمية إذ يبين أن أحمد بن طولون قد أنشأ قناطره العظيمة هذه لتمد القبائل التى كانت تسكن القرافة الكبرى بالماء وهم المغافر وغيرها. لا كما يدعى بعض الدارسين المحدثين من أن القناطر انشأت فقط لتمد ميدان أحمد بن طولون بالماء.

(٥) هذا البيت يؤيد ما ذكرناه بالحاشية السابقة من أن القناطر كانت تخدم القبائل الكثيرة العدد التى سكنت القرافة الكبرى والتى تشغل المساحة من البساتين ودار السلام جنوبًا حتى الإمام الليث وأثر النبى شمالاً.

(٦) واتساعه = وارتفاعه فى أ، ب.

* والمارستان هو المستشفى التى أنشأها ابن طولون لعلاج المرضى وهى أول مستشفى بمصر الإسلامية.

(٧) وكفاه = وكفاية فى حـ، بالمعتفين = بالمعتفر فى جـ.

(٨) حسن = حصن فى جـ، رفق = وفق فى جـ، هـ.

* وهذا البيت يبين الدور الحضارى لمارستان أحمد بن طولون الذى يعتبر من أوائل المؤسسين لمنشآت للرعاية الاجتماعية فى الإسلام.

(٩) رأس = إلى فى أ، ب.

(١٠) ترى = تجد فى ب، جـ، هـ.

لقد ضمن القبر المقدّر ذرعه ∴ أجلّ إذا ما قيس من قبتى حجر
وقام أبو الجيش ابنه بعد موته ∴ كما قام ليث الغاب في الأسل السمر(١)
أتته المنايا وهو فى أمن داره ∴ فأصبح مسلوبا من النهى والأمر
كذاك الليالى من أعارته بهجة ∴ فيالك من ناب حديد ومن ظفر
وورث هارون ابنه تاج ملكه ∴ كذاك أبو الأشبال ذو الناب والهصر(٢)
وقد كان جيش قبله فى محله ∴ ولكن جيشا كان مستقصر العمر
فقام بأمر الملك هارون مدة ∴ علي كظظ من ضيق باع ومن حصر
وما زال حتى زال والدهر كاشح ∴ عقاربه من كل ناحية تسرى
تذكرتهم لما مضوا فتتابعوا ∴ كما أرفض سلك من جمان ومن شذر(٣)
فمن يبك شيئًا ضاع من بعد أهله ∴ لفقدهم فليبك حزنا على مصر
ليبك بنى طولون أذبان عصرهم ∴ فبورك من دهر وبورك من عصر(٤)

ذكر ما بنى بالروضة من المتنزهات

ذكر المختار:

قال المقريزى: «نقل الإخشيد الصناعة من الجزيرة إلى ساحل مصر فى شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة وبنى مكانها البستان المختار(٥) وصرف على بنائه خمسة آلاف دينار واتخذه متنزها(٦) له وصار يفاخر به أهل العراق ولم يزل متنزها إلى أن زالت الدولة الاخشيدية والكافورية وقدمت الدولة العبيدية(٧) فكان يتنزه فيه المعز والعزيز

---

(١) أبو الجيش هو خمارويه وتولى من سنة ٢٦٩ حتى سنة ٢٨٢هـ.
(٢) تولى هارون بن خمارويه من سنة ٢٨٣ حتى ٢٩٢هـ.
أما جيش بن خمارويه فقد تولى قبله لمدة ستة شهور فيما بين ٢٨٢ و٢٨٣هـ.
(٣) أرفض = أرقص فى أ، جـ، هـ.
(٤) أذبان = إذباد فى ب، حـ، و، هـ.
(٥) يمثل موقع المختار الآن الجزء الجنوبى من جزيرة الروضة ويمتد من شارع البسطامى الذى يقع جنوبى كوبرى الملك الصالح بحوالى ١٢٠ مترا. ويمتد حتى مقياس النيل فى الطرف الجنوبى لجزيرة الروضة.
(٦) متنزلا فى جـ، هـ.
(٧) أى الدولة الفاطمية التى استولت على مصر سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٩م وتنسب إلى عبيد الله المهدى الذى أسس الدولة فى إفريقيا (تونس) أولاً سنة ٢٩٧هـ.

وصارت الجزيرة مدينة عامرة بالناس بها وال وقاض وكان يقال القاهرة ومصر والجزيرة[1]». وقال على بن سعيد فى المغرب: للمختار هذا ذكر فى شعر تميم بن المعز وغيره.

ذكر الروضة التى سميت بها الجزيرة

قال المقريزى: «لما استولى الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى[2] أنشأ بحرى الجزيرة مكانًا نزها سماه الروضة[3] وتردد إليه ترددات كثيرة ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة[4]».

وقال ابن ميسر فى تاريخ مصر: أنشأ الأفضل الروضة بحرى الجزيرة وكان يمضى كل يوم إليها فى العشاريات الموكبية إلى أن قتل وكان قتله فى سنة خمس عشرة وخمسمائة[5].

ذكر الهودج

قال ابن ميسر: لما استبد الخليفة الآمر بأحكام الله بالأمر أنشأ بجوار البستان المختار من جزيرة الروضة مكانًا لمحبوبته البدوية عرف بالهودج[6] وذلك لما صعب عليها السكنى فى المقصور ومفارقة ما اعتادته من الفضاء وكان الهودج على شاطئ النيل فى شكل غريب ولم يزل الآمر يتردد إليه للتنزه فيه إلى أن ركب إليه يومًا، فلما كان برأس الجسر وثب إليه قوم كانوا قد كمنوا له بالروضة فضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه بالجراحة وذلك

---

(١) الخطط جـ٢ ص١٨١.

(٢) تولى بدر الجمالى الوزارة للخليفة المستنصر من ٢٨ جمادى الأولى ٤٦٦هـ حتى ربيع الآخر ٤٨٧هـ، ثم تولى ابنه بعده مباشرة حتى قتل فى آخر رمضان ٥١٥هـ.

(٣) يمثل موقع بستان الروضة الآن مستشفى وكلية طب القصر العينى وكلية طب الأسنان.

(٤) الخطط جـ٢ ص١٨١.

(٥) المنتقى من أخبار مصر ص٨٧.

(٦) يمثل موقع الهودج الآن المنطقة التى تقع مواجهة لكوبرى الملك الصالح وإلى الجنوب منه بقليل لأنه كان مجاوراً لبستان المختار وكان المختار يقع فى آخر الجزيرة وقد خربهما الملك الصالح نجم الدين أيوب عند بناء قلعته التى كانت تمتد من زاوية البسطامى شمالاً حتى المقياس جنوبًا. هذا ولا تزال زاوية البسطامى قائمة إلى اليوم بعد إعادة بنائها بشارع البسطامى وتقع على بعد ١٢٠ متراً جنوب كوبرى الملك الصالح.

يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة ونهب سوق الجزيرة ذلك اليوم(١).

وقال المقريزى: «كان من متنزهات الخلفاء الفاطميين العجيبة البناء البديعة الزى بناء فى جزيرة الفسطاط التى تعرف اليوم بالروضة يقال له الهودج بناه الخليفة الآمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية التى غلب عليه حبها بجوار البستان المعروف بالمختار وكان يتردد إليه كثيراً وقتل وهو متوجه إليه وما زال متنزها للخلفاء من بعده(٢)».

وقال ابن سعيد فى كتاب الحلى: قال القرطبى فى تاريخه: قد أكثر الناس فى حديث البدوية وابن مياح من بنى عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الآمر حتى صارت رواياتهم فى هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك، والاختصار منه أن يقال إن الآمر كان قد بُلى بحب الجوارى العربيات وصارت له عيون فى البوادى، فبلغه أن جاء بالصعيد جارية من أكمل العرب وأظرفهم، شاعرة جميلة، فيقال أنه تزيا بزى بداة الأعراب وكان يجول فى الأحياء إلى أن انتهى إلى حيها وبات هناك وتحيل حتى عاينها فما ملك صبره ورجع إلى مقر ملكه وأرسل إلى أهلها فخطبها وتزوجها، فلما وصلت إليه صعب عليها مفارقة ما اعتادت وأحبت أن يسرح طرفها فى الفضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة، فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج، وكان غريب الشكل على شط النيل، وبقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها رُبّيت معه يعرف بابن مياح فكتبت إليه:

يا بن مياح إليك المشتكى ∴ مالك من بعدكم قد ملكا
كنت فى حيى مراً مطلقاً ∴ نائلاً ما شئت منكم مدركا(٣)
فأنا الآن بقصر مؤصد ∴ لا أرى إلا حبيسا ممسكا(٤)
كم تثنينا بأغصان اللوا ∴ حيث لا نخشى علينا دركا
وتلاعبنا برملات الحمى ∴ حيثما شاء طليق سلكا (٥)

---

(١) المنتقى من أخبار مصر ص١١٠، المقريزى: الخطط حـ٢ ص١٨١.
(٢) الخطط حـ١ ص٤٨٥.
(٣) مراً مطلقًا = مطاعًا آمراً فى الخطط حـ١ ص٤٨٥، طلقًا امراً فى ب، د، نائلاً = ناقلاً فى ب، د.
(٤) مؤصد = مرصد فى الخطط حـ١ ص٤٨٥، وفى ب، د.، حبيسًا = خبيئًا فى الخطط حـ١ ص٤٨٥، وفى ب، جـ، د والمثبت من الخطط حـ٢ ص١٨٢.
(٥) هذا البيت مزيد من الخطط حـ٢ ص١٨٢.

فأجابها:

بنت عمي والتي غذيتها ∴ بالهوى حتى علا واحتنكا
بحت بالشكوى وعندي ضعفها ∴ لو غدا ينفع منها المشتكى[1]
مالك الأمر إليه يشتكى ∴ هالك وهو الذى قد هلكا[2]
شأن داود غدا في عصرنا ∴ مبديا بالتيه ما قد ملكا[3]

قال: وللناس فى طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول، وكان فى عصر الآمر من عرب طئ طراد بن مهلهل، فلما بلغته هذه القصة قال:

ألا ابلغوا الآمر المصطفى ∴ مقال طراد ونعم المقال
قطعت الأليفين عن ألفة ∴ بيهما سمر الحيّ بين الرجال
كذا كان آباؤك الأقدمون ∴ سألت فقل لى جواب السؤال[4]

فقال الخليفة الآمر لما بلغته الأبيات: جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله، وطلب فى أحياء العرب فلم يوجد. فقالت العرب: ما أخسر صفقة طراد! باع عدة أبيات[5] بثلاثة أبيات.

وكان بالإسكندرية قاضيها مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن أحمد بن الحسن بن حديد ذو ثروة[6] عظيمة ويحتذى أفعال البرامكة[7] وللشعراء فيه أمداح كثيرة كظافر الحداد وأمية الأندلسي وغيرهما، وكان له بستان يتنزه فيه به جرن كبير من رخام قدر البركة وهو قطعة واحدة ينحدر فيه الماء وكان يلذ برؤيته، فوشى به إلى البدوية محبوبة الآمر، فسألت الآمر فى حمل الجرن إليها فأرسل إلى ابن حديد بإحضاره فلم يجد بداً من إجابته، فلما صار إلى الآمر أمر بعمله فى الهودج، فقلق ابن حديد من ذلك

(١) منها = منا فى الخطط حـ١ ص ٤٨٥، وفى ب، جـ، د.
(٢) هالك = مالك، هالك = ملكا فى الخطط حـ١ ص٤٨٥، وفى ب، جـ، د.
(٣) هذا البيت مزيد من الخطط حـ٢ ص١٨٢.
(٤) الأقدمون = الأكرمون فى الخطط حـ١ ص٤٨٥.
(٥) أبيات الحى فى الخطط حـ٢ ص١٨٢.
(٦) مروءة فى الخطط حـ٢ ص١٨٢.
(٧) البرامكة يرجعون إلى أصل فارسى تولوا الوزارة أيام هارون الرشيد حتى نكبهم، وكانوا يتمتعون بمكانة سامية وسيرة طيبة ولهم دور كبير فى تنظيم شئون الدولة العباسية.

فأخذ يخدم البدوية وجميع من يلوذ بها بأنواع الهدايا الخارجة عن الحد فى الكثرة حتى قالت: هذا الرجل أخجلنا من كثرة تحفه لعل له حاجة عند الخليفة. فلما بلغه قولها قال: مالى حاجة غير رد الجرن، فعجبت من ذلك وردته، فعوتب فى ذلك وقيل له: وصلت إلى حد أن خيرتك البدوية فى جميع المطالب فنزلت همتك إلى قطعة حجر. فقال: أنا أعرف بنفسى ما كان لنفسى أمل سوى أن لا تغلب فى أخذ ذلك الجرن من مكانه وقد بلغ الله نفسى أملها[1].

قال المقريزى: «وما زال الآمر يتردد إلى الهودج المذكور إلى أن ركب يوم الثلاثاء رابع ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة يريد الهودج وقد كمن له قوم فى فرن عند رأس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه وأثخنوه بالجراحة فحمل فى العشارى إلى اللؤلؤة[2] فمات بها وقيل مات قبل أن يصل إليها. قال: وقد خرب هذا الهودج وجهل مكانه من الروضة[3].

المشتهى

قال المقريزى: كان من مواضع الخلفاء الفاطميين التى أعدت للنزهة المشتهى بالروضة وكانوا يركبون إليه يوم السبت والثلاثاء فيعم الناس من الصدقات أنواع وهب مأكل وحلوى وغير ذلك[4]. وقال الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض[5] يذكر المشتهى وكان يتردد إليه كثيراً.

---

(١) الخطط حـ١ ص٤٨٥ـ٤٨٦، حـ٢ ص١٨٢.

(٢) اللؤلؤة هى إحدى المناظر الفاطمية وهى عبارة عن قصر فخم يطل على الشاطئ الشرقى للخليج بالقرب من باب القنطرة، وكان من أحسن القصور وأعظمها زخرفة وهو أحد متنزهات الدنيا المذكورة فإنه كان يشرف من شرقيه على البستان الكافورى ويطل من غربيه على الخليج، وكان غرب الخليج بركة بطن البقرة وبساتين عظيمة وراءها النيل، وهذا القصر بناه الخليفة الفاطمى العزيز بالله ثم أمر الخليفة الحاكم بأمر الله بهدمه ونهب ما فيه ثم بناه بعد ذلك ابنه الظاهر لإعزاز دين الله. انظر المسبحى، تاريخ مصر ص١٦٧، المقريزى، الخطط حـ١ ص٤٦٧ـ٤٦٨.، على مبارك، الخطط التوفيقية حـ٣ ص٦٠.

* وحل محل قصر اللؤلؤة الآن الدور والأبنية المجاورة لضريح الشعرانى (اثر رقم ٥٩) بشارع الخليج المصرى (بور سعيد) بالقاهرة.

(٣) الخطط حـ١ ص٤٨٦، حـ٢ ص١٨٢.

(٤) الخطط حـ١ ص٤٩٠.

(٥) عمر بن الفارض من كبار الصوفية فى عصره توفى سنة ٦٣٢هـ وقبره للآن مزار أثرى بسفح المقطم بطريق الأوتوستراد.

جلّق جنة من تاه وباها ∴ ورباها منيتي لولا وباها[1]
قال غال بَرَدَى كوثرها ∴ قلت غال برداها برداها
وطني مصر وفيها وطري ∴ ولعيني مشتهاها مشتهاها[2]
ولنفسي غيرها إن سكنت ∴ يا خليلي سلاها ما سلاها[3]

وقال تقى الدين السروجى فى تفضيل المشتهى على السبع وجوه[4]، أورده الصلاح الصفدى فى تذكرته :

أرى المشتهى فى روضة الحسن قد بدا ∴ على رصد المعشوق فالقلب واحد[5]
لعمرك ما السبع وجوه إذا بدت ∴ بمغنية عن وجهه وهو واحد

---

(١) ورد هذا البيت فى نسخ المخطوط هكذا «خلق جنة من تاه وباها . . برباها غير لولا وباهى» والتصحيح من ديوان ابن الفارض. * وجلق هى دمشق أو غوطتها.

(٢) ولعينى = ولنفسى فى نسخ المخطوط، والتصحيح من بدائع الزهور حـ١ ق١ ص٤٩.

(٣) ولنفسى = ولعينى فى بعض نسخ المخطوط، والتصحيح من بدائع الزهور حـ١ ق١ ص٤٩.

(٤) السبع وجوه هى منظرة أى قصر أعد لنزهة الخلفاء والوزراء الفاطميين فى شمال القاهرة، وكانت تتوسط المسافة بين منظرة البعل جنوباً وقبة الهواء شمالاً، وكانت تلك المناظر محاطة بالبساتين الجليلة، وقد أنشأها الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش، وقد أعاد بناءها فى العصر المملوكى السلطان المؤيد شيخ سنة ٨٢٣هـ، ويمثل موقعها الآن المنطقة المحصورة بين شارع الآلايلى وشارع الشرابية فى حى الشرابية شمال القاهرة. وتسميه السبع وجوه تسمية خاطئة إذ كانت تسمى فى العصر الفاطمى منظرة الخمس وجوه لأنها أقيمت على بئر متسعة كان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التى تنقل الماء لسقى البستان حولها، وأطلق عليها العامة فى العصر المملوكى السبع وجوه وربما تيمنا بالرقم سبعة الذى له اعتبار فى التراث الشعبى.

(٥) الرصد كان مكانًا عاليًا بشرف على المعشوق وهو بستان أسفل الرصد.

والرصد سمى بهذا الاسم لأن الأفضل شاهنشاه ابن أمير الجيوش بدر الجمالى أقام فوقه كرة لرصد الكواكب فعرف من حينئذ بالرصد. ويمثل موقعه اليوم الشرف العالى المعروف باسطبل عنتر وأسفله منطقة أثر النبى جنوبى مصر القديمة بالقاهرة.

والمعشوق هو بستان كبير كان مغروسًا بالأشجار جنوبى الفسطاط من جملة خطة راشدة وقد آلت ملكيته عبر الزمن إلى عدد من الوزراء والأمراء منذ زمن الدولة الفاطمية حتى دولة المماليك، ففى زمن الطولونيين عرف بجنان كهمس بن معمر المتوفى سنة ٣١١هـ ثم عرف بجنان المادرائى المتوفى سنة ٣٤٥هـ ثم عرف باسم الأمير تميم بن المعز أخو الخليفة العزيز بالله الفاطمى المتوفى سنة ٣٧٤هـ، ثم جدده الوزير الفاطمى الأفضل ابن أمير الجيوش فعرف به، وفى زمن الدولة الأيوبية صار من وقف الشيخ الصابوتى على بنيه وعلى رباطه الذى كان مجاوراً لقبة الإمام الشافعى، ثم فى زمن الدولة المملوكية حكر أرضه الصاحب تاج الدين محمد بن حنا وعمر به مناظر ووقفه على رباط الآثار. ويمثل أرض المعشوق الآن حى أثر النبى. انظر الخطط حـ٢ ص١٥٩-١٦٠.

وقال آخر :

يا ليلة عاش سروري بها ∴ ومات من يحسدنا بالكمد
بت مع المعشوق في المشتهى ∴ وبات من يرقبنا بالرصد[1]

ولله در العلامة شمس الدين بن الصايغ[2] الحنفى النحوى الأديب حيث يقول موجهًا :

يا ليلة مرت بنا حلوة ∴ إن رمت تشبيهها لها عبتها
لا يبلغ الواصف فى وصفها ∴ حداً ولا يلقى لها منتهها[3]
وبت مع المعشوق في روضه ∴ ونلت من خرطومه المشتهى[4]

وقال عمر بن الفارض موجها أيضًا :

لقد بسطت فى بحر جسمك بسطة ∴ أشارت إليها بالوفاء أصابع
فيا مشتهاها أنت مقياس قدسها ∴ وأنت بها فى روضة الحسن يانع[5]

وقال القيراطى[6] :

رشق الصب بالسهام رشيق ∴ مشتهى حسنه هو المعشوق[7]
هو فى مصر روضة ومحيّا ∴ ووسيم يصبو إليها المشوق[8]

---

(١) مع = فى فى ب ، حـ، د وفى هذه الحالة يقصد الشاعر بستان المعشوق الذى كان يحيط برباط الآثار بمصر القديمة (عنه بالتفصيل انظر الخطط حـ١ ص١٥٩) وورد فى بدائع الزهور لابن اياس حـ١ ق١ ص٥٣ (بت مع المحبوب فى روضة) وفى النسخة د جاء (وبت بالمعشوق فى المنتهى)

(٢) ابن الصايغ هو موفق الدين أبو البقاء يعيش بن على المتوفى سنة ٦٤٣هـ، شهد أدباء دمشق له برسوخ القدم فى فنون الأدب .

(٣) لها = له فى الخطط حـ٢ ص٤٢٩ .

(٤) بالمعشوق فى ب .

* الخرطوم يطلق على الطرف الشمالى بجزيرة الروضة الذى يمثله الآن موقع فندق ميرديان .

(٥) قدسها = نيلها فى بدائع الزهور حـ١ ق١ س٥٤ . ، يانع = رابع فى أ، ب، د .

(٦) القيراطى برهان الدين إبراهيم بن شرف الدين بن عبد الله بن محمد البارع المفنن، ولد فى صفر سنة ٧٢٦ هـ ولازم علماء عصره وبرع فى الفنون ودرس بعدة أماكن وفاق فى النظم والشعر وله ديوان مشهور مات بمكة فى ربيع الأول سنة ٧٨١هـ. السيوطى حسن المحاضرة حـ١ ص٥٧٣ .

(٧) الصب = القلب فى بدائع الزهور حـ١ ق١ ص٥٥ .

(٨) إليها = إليه فى بدائع الزهور حـ١ ق١ ص٥٥ . ووسيم هنا هى بلدة أوسيم بمحافظة الجيزة .

وقال أيضًا:

زربيــة أضـحى لهــا المنتـــهى ∴ وحسنهــا المعشـوق والمشـتــهى[1]
وهى لمن يدخلهـــا روضـــة ∴ وجنة فـيـهـا الذى يُشـتـهى[2]

وقال أيضًا[3]:

أقسمت مـالك فى الملاحـة شبـهـا ∴ فدع العـذول يقول عنى ما اشتهى[4]
لو لم تكن فى مصر روضـة ناظرى ∴ ما كـان ذاك الوجه عندى المشتهى[5]

وقال الصلاح الصفدى مجيبا:

وقــفت على نظمك المشتــهى ∴ وعـاينت روضتــه اليــانعــة
فكم الف مـثل غـصن النقــا ∴ وهمـزتها فـوقـهـا ساجـعـة

وقال أيضًا مضمنًا:

قل للرقـيب يستـرح من رصـدى ∴ مـا أصبح المعشـوق عندى مـشتـهى
وارتد قلبى عن سـيـوف جــفنه ∴ وكل شىء بلغ الحـد انتـهى[6]

وقال القاضى صدر الدين سليمان بن عبد الحق الحنفى أورده الصلاح الصفدى فى تذكرته والحافظ ابن حجر فى الدرر الكامنة:

---

(١) أضحى = الضحى فى أ، ب، د. ، لها = بها فى أ، ب، حسنها = حسبها فى ب، د.
* والزربية كانت خطة على النيل سميت زربية قوصون فى العصر المملوكى لإنشائه العمائر بها وكان لها خليج يمدها بالنيل يسمى خليج الزربية. ويمثل موضعها اليوم ميدان التحرير بالقاهرة.
* وقد أورد ابن اياس فى بدائع الزهور حـ١ ق١ ص٥٥ كلمة وروضة بدلاً من كلمة زربية وهى أنسب.
(٢) يدخلها = قد حلها فى بدائع الزهور حـ١ ق١ ص٥٥.
(٣) وقال بعضهم فى أ، ب.
(٤) شبها = مشبها فى جـ.
(٥) تكن = يكن فى ب، د.
(٦) جفنة = جعبته فى أ، جعبه فى د.

بدا شعر الخد الذى كان مشتهى ∴ فأخفى عن المعشوق حالي وما يخفى
لو كانت الأرداف بالأمس روضة ∴ من الأرض وهى الآن موردة الحلفا(١)

كذا أورده وزينه فى بعض المجاميع بلفظ «وقد كانت الوجنات وهو امس» بالبيت الذى قبله.

وقال الجمال ابن نباته(٢):

يا مذكرى بندي يديه وبابه ∴ شهوات مصر لنا وطيب حماها
إن يحل عندى مشتهى أبوابه ∴ فلقد حلا من سكر هو ماءها

وقال أيضًا:

شكرًا لها يا سيدى من نعمة ∴ بلغت من التأميل فوق المنتهى
لا زال مدحك كل سطر روضة ∴ تعزى لمصر وكل بيت مشتهى(٣)

وقال(٤) الصاحب فخر الدين بن مكانس(٥):

وجنات المعشوق يا روضة الحسن ∴ ويا مشتهى للكئيب العانى
إن دمعى ماء السما وبقلبى ∴ حرقة يا شقائق النعمانى

---

(١) الأرض = الورد فى ب وقد أورد ابن إياس فى بدائع الزهور حـ١ ق١ ص٥٦ هذين البيتين بالصيغة التالية:
بدا الشعر فى الخد الذي كان يشتهى ∴ يبين للمحبوب حالى وما يخفى
وقد كانت الوجنات بالأمس روضة ∴ من الورد وهى الآن موردة الحلفا
* وموردة الحلفا كانت هى المنطقة المواجهة للروضة والتى تحد الآن بنفق الملك الصالح جنوبًا حتى فم الخليج وسور مجرى العيون شمالاً.
(٢) ابن نباتة الأديب المشهور جمال الدين أبو بكر محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن الجذامى المصرى، ولد بمصر سنة ٦٨٦هـ، وفاق أهل زمانه فى النظم والنثر، وهو أحد من حذا بحذو القاضى الفاضل وسلك طريقه، مات بالقاهرة فى صفر سنة ٧٦٨هـ. السيوطى، حسن المحاضرة حـ١ ص٥٧١.
(٣) مدحك = روحك فى د.
(٤) فى أ وقال أيضًا (أى ابن نباته).
(٥) ابن مكانس الوزير فخر الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن عبد الرزاق القبطى وزير دمشق وناظر الدولة بمصر. الشاعر المشهور، أحد فحول الشعراء، وله ديوان إنشاء. مات فى ذى الحجة سنة ٨٦٤هـ. السيوطى حسن المحاضرة حـ١ ص٥٧٣.

وقال آخر مطلع قصيدة:

يا مقلتي إن شئت أن تتنزهي ∴ في حسنه عما سواه تنزهي
هذا وروضة وجهه لك مشتهي ∴ فالعذر لم يقبل إذا لم تشتهي[1]

وقال الصاحب فخر الدين بن مكانس[2]:

مهما مربي وجهه روضةٌ ∴ وخده المعشوق لي مشتهي[3]
يا طرفه الساجي وألحاظه ∴ لله ما أحلى عيون المها

وقال صاحبنا الشهاب المنصوري أول قصيدة يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم:

شيخ اشتياقي له بالباب تطفيل ∴ ودمعه سائل عنكم ومسئول[5]
والقلب مصركم والحسن روضته ∴ وأنتم المشتهى والمدمع النيل

وقال أيضاً[6]:

اسفر وجهها ورنا مقلة ∴ يا خجلة البدر وظبي الصريم
في مشتهى وجنته روضة ∴ تزهو بوجه قمري وسيم

وقال المنصوري يمدح بها النبي صلى الله عليه وسلم[7]:

يا سيدا ألفاظه جواهر ∴ مجلوبة بفكره الغطاس
وروضة تخصنا بالمشتهى ∴ من بحرها الجاري بلا مقياس[8]
أكرم بها من روضة وجزيرة ∴ لكيسها يا ضيعة الأكياس[9]

---

(١) وجهه لك مشتهي = حسنه للمشتهى أ، د. ، = وجهه للمشتهى في ب.
(٢) في ب، جـ قال شمس الدين النواجي.
(٣) مهامزي في جه.
(٤) وقال آخر مطلع قصيدة في جـ.
* الشهاب المنصوري هو أبو العباس أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الدائم السلمي المعروف بالهائم. الأديب البارع. ولد سنة ٧٩٩هـ واشتغل وفهم شيئًا من العلم وبرع في الشعر وفنونه وتفرد به في آخر عمره وله ديوان كبير، مات في جمادى الآخرة سنة ٨٨٧هـ. السيوطي، حسن المحاضرة حـ١ ص٥٧٤.
(٥) مسئول = منقول في أ، ب، د.
(٦) وقال شمس الدين النواجي في أ، د.
(٧) وقال ايضاً في ب، جـ.
(٨) بحرها = نحوها في ب، د.
(٩) جزيرة = جيزة في ب، د.

وقال أيضًا:

ملأ العيون ملاحة وصباحة ∴ بدر سبا بدر الدجي وصباحه[1]
السكر من خرطومه لى مشتهى ∴ من ررضه فى خده فياحه[2]

وقال أيضًا مطلع قصيدة:

أقاضى بدر الدين يا طيب العرس ∴ ويا روضة فى حسنها مشتهى النفس[3]

ذكر استيلاء العبيد على الروضة

ذكر المؤرخون أن فى سنة ست وخمسين وأربعمائة وقعت فتنة عظيمة بين عبيد مصر والترك واقتتلوا وغلب العبيد على الجزيرة التى فى وسط النيل بين مصر والجيزة، واتصلت الحرب بين الفريقين.

ذكر شراء الروضة من بيت المال ووقفها على المدرسة التقوية

قال المقريزى فى الخطط[4]: اشترى الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه ابن نجم الدين أيوب بن شادى منازل العز[5] وجعلها مدرسة للفقهاء الشافعية واشترى الروضة وجعلها وقفًا على المدرسة المذكورة.

---

(٤) سبا = سنا فى ب.
(٥) من = فى فى ب.
(٦) نفس فى جـ، هـ.
(١) حـ٢ ص١٨٤.
(٢) منازل العز بنتها السيدة تغريد أم الخليفة العزيز بالله من المعز، ولم يكن بمصر أحسن منها وكانت مطلة على النيل ولا يحجبها شئ عن منظره، ثم صارت معدة لنزهة الخلفاء، فلما زالت الدولة الفاطمية نزلها الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه مدة ثم اشتراها والحمام والإصطبل المجاور لها من بيت المال سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م كما أشترى جزيرة الروضة، فلما أراد الخروج من مصر أوقف منازل العز على فقهاء الشافعية ووقف عليها الحمام وما حولها، وعرفت منازل العز حينئذ بالمدرسة التقوية نسبة إلى تقى الدين عمر. وقد كانت عامرة أيام المقريزى. انظر الخطط حـ١ ص٤٨٤، حـ٢ ص٣٦٤. ، ابن دقماق، الانتصار حـ٤ ص١٩٣.
* وموقع منازل العز الآن شارع كورنيش النيل ومن الجنوب والشرق شارع المرحومى ومن الشمال شارع القبوة. أما المدرسة التقوية فقد أقيم موضعها اليوم جامع شهاب الدين أحمد المرحومى الذى يتوسط هذه المنطقة بشارع المرحومى بمصر القديمة.

وقال ابن المتوج فى كتاب إيقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل: اشترى الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب جزيرة مصر المشهورة بالروضة من عامل بيت المال المعمور فى شعبان سنة ست وستين وخمسمائة وبقيت على ملكه إلى أن سير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده الملك العزيز عثمان إلى مصر ومعه عمه الملك العادل وكتب إلى الملك المظفر بأن يسلم لهما البلاد ويقوم عليه إلى الشام فتحقق الملك المظفر أنه لا عود له إلى الديار المصرية أبدًا فوقف مدرسته التى تعرف فى مصر بالمدرسة التقوية وكانت تعرف قديمًا بمنازل العز على فقهاء الشافعية ووقف عليها جزيرة الروضة بكمالها ووقف أيضًا مدرسة بالفيوم وسافر إلى عمه السلطان صلاح الدين إلى دمشق فملكه حماه، ولم يزل الحال كذلك إلى أن ولى الملك الصالح نجم الدين أيوب فاستأجر الجزيرة من القاضى فخر الدين أبى محمد عبد العزيز بن قاضى القضاة عماد الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن السكرى مدرس المدرسة المذكورة لمدة ستين سنة فى دفعتين كل دفعة قطعة والقطعة الأولى من جامع غبن إلى المناظر طولاً وعرضًا من البحر إلى البحر وأستأجر القطعة الثانية وهى باقى أرض الجزيرة الداير عليها بحر النيل حين ذاك واستولى على ما كان بالجزيرة من النخل والجميز والغروس بيد الجور، فإنه لما عمر الملك الصالح مناظر قلعة الجزيرة قطعت النخل ودخلت فى العمائر. وأما الجميز فإنه كان بشاطئ النيل صف جميز يزيد على أربعين شجرة وكان أهل مصر فرجهم تحتها فى زمن النيل والربيع قطعت جميعها فى الدولة الظاهرية وعمر بها شوانى عوض الشوانى[1] التى كانت سيرها إلى جزائر قبرص وتكسرت هناك، واستمر تدريس المدرسة بيد القاضى فخر الدين إلى حين وفاته ثم وليها بعده ولده القاضى عماد الدين أبو الحسن على، وفى أيامه سلم له القطعة المستأجرة من الجزيرة أولاً وبقى بيد السلطنة القطعة الثانية إلى الآن وكان الإفراج عنها فى شهور سنة ثمان وتسعين وستمائة فى الدولة الناصرية، ولم يزل القاضى عماد الدين مدرسها إلى حين وفاته فوليها ولده وهو مدرسها إلى الآن فى شعبان سنة أربع عشرة وسبعمائة.

هذا كله كلام ابن المتوج. قلت: استمرار القطعة الثانية بيد السلطنة أدى بعد ابن المتوج وتطاول عصره[2] إلى ضرر عظيم حيث خرجت عن وقف المدرسة بالكلية للجهل

---

(١) الشوانى جمع شينى أو شينيه، وكانت سفينة من أكبر السفن الحربية فى مصر وأكثرها استعمالاً. (انظر: الخطط حـ٢ ص١٩٤ ـ ١٩٥).

(٢) أمره فى حـ، هـ.

بالحال وتطاول الزمان واندراس شرط الواقف وضياع كتاب الوقف وفقد من له اطلاع واسع وكانت القطعة المذكورة أولاً بيد السلطنة بإجازة صحيحة ثم صارت بيدهم على جهة وضع اليد المنسحبة على أجازة كما تؤخذ الأوقاف الآن لجهة الذخيرة ويدفع من مال الذخيرة للمستحقين عوضًا عن أجرتها، ثم لما تطاول الزمان فكأنه نسى ذلك فظنت من أراضى بيت المال فوقفت على الجامع الصلاحى المعروف بجامع ابن المغربى على شاطئ الخليج الناصرى[1] بقرب باب اللوق واستمرت جارية فى وقفه إلى الآن تؤخذ أجرتها وحكرها له وهو مبنى على غير أصل ثم حدث فى هذه الأيام ما هو أسوء من ذلك وهو أن القاضى علاء الدين بن أقبرس[2] أنهى فى قطعة تسمى الميدان من القطعة الأولى التى من جامع غبن إلى المناظر وهى مستمرة بيد نظار التقوية من أول الأمر إلى الآن أنها جارية فى أراضى بيت المال فاشتراها الملك الظاهر جقمق من وكيل بيت المال ووقفها على ابن أقبرس وذريته . وثبت هذا الوقف على قاضى الحنفية سعد الدين بن الديرى ونفذه قاضى القضاة فى عصره فتحرك ولده فى هذه السنة وهى سنة خمس وتسعين وثمانمائة إلى طلب ذلك ونزع هذه القطعة من أيدى نظار التقوية واستفتى أهل العصر فأفتوه وأراد منى الكتابة فاعتذرت إليه بترك الإفتاء من مدة[3] وقلت لمن كان حاضراً عندى لو أفتيته ضربته وأوضحت لهم القضية[4] مفصلة، ثم إنه رفع الأمر إلى سلطان العصر[5] وأمر بعقد مجلس لذلك فى الروضة فحضر قضاة القضاة ومن معهم

---

(١) جامع ابن المغربى قال عنه المقريزى فى الخطط حـ٢ ص٣٢٨ (هذا الجامع بالقرب من بركة قرموط مطل على الخليج الناصرى أنشأه صلاح الدين يوسف بن المغربى رئيس الأطباء بديار مصر وبنى بجانبه قبة دفن فيها وعمل بها درسًا وقراء ومنبراً يخطب عليه فى يوم الجمعة وكان عامراً بعمارة ما حوله فلما خرب خط بركة قرموط تعطل وهو آيل إلى ان ينقض ويباع كما بيعت أنقاض غيره).

* وقد توفى ابن المغربى سنة ٧٧٦هـ.

* وبتحقيقنا لموضعه وجدنا أن قبة المغربى المجاورة للجامع موضعها الآن زاوية صغيرة تسمى زاوية المغربى بها ضريح المغربى وهى تقع فى مدخل العمارة رقم ٣٠ بشارع عدلى (المغربى سابقًا) على يسار المتجه إلى شارع سليمان باشا فيما بينه وبين شارع شريف بالقاهرة.

* والخليج الناصرى أنشأه الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥هـ وكان يخرج من موضع على النيل بجاردن سيتى عند أول شارع عائشة التيمورية ثم شارع القصر العينى فشارع يوسف الجندى فشارع سليمان باشا فشارع رمسيس فشارع الظاهر إلى أن يصب فى الخليج الكبير (نقطة التقاء شارع الظاهر بشارع بور سعيد).

(٢) قيرس فى ب.

(٣) ألف السيوطى رسالة فى تركه للإفتاء بعنوان المقامة اللؤلؤية فى الاعتذار عن ترك الإفتاء والتدريس.

(٤) القصة فى حـ.

(٥) هو السلطان قايتباى.

ثم قدر الله أنه لم يتم له شيء مما أراد واستمرت فى وقف التقوية، ثم رأيت بعد ذلك فى تاريخ المقريزى المسمى بالسلوك بمعرفة دول الملوك[1] كانت أراضى الروضة تجاه مدينة مصر رزقا أحباسية بيد اولاد الملوك ويستأجرها منهم الدواوين وأنشأوا بها سواقى ونحوها ومنها ما باعه أولاد الملوك بأبخس الأثمان فقرر النشو ناظر الخاص مع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أخذ أراضى الروضة للخاص وأن يقاس ما بيع منها ويؤخذ ممن هو فى يده تفاوت قيمتها فوافقه السلطان على ذلك وندب جماعة لقياس الروضة جميعًا مزدرعها وأراضى دورها وألزم من هى فى يده بتفاوت قيمتها فقومت يوم شرائها واستخرج منهم القدر الزائد على ما كانوا أعطوه حالة الشراء وفرغ من ذلك فى سنة أربعين وسبعمائة ثم أخذ يعمل بمثل ذلك فى سائر الرزق الأحباسية فضجت الناس وكتبوا للسلطان أوراقًا ورموها من غير أن يعرف رافعها، منها رقعة فيها:

أمعنت فى الظلم وأكثرته ∴ وزدت يانشو على العالم
ترى من الظالم فيكم لنا ∴ فلعنة الله على الظالم

ووجد أخرى منها

يا ملكا أصبح فى نشوة ∴ من نشوة الظالم فى نشه[2]
أنشيته فلتنشئن ضغائنا ∴ سترى غباوتها بصحه غشه[3]
حكمته فحكمت أمراً فاسدا ∴ وتوحشت كل القلوب بفحشه [4]
سترى بوارقها إذا ما أظلمت ∴ وتحكمت أيدى الزمان ببطشه
ولتندمنَّ ندامة كُسَعِيَّةً* ∴ يومًا إذا ذبح الخروف بكبشه[5]

فتغير خاطر السلطان على النشو وقبض على أخيه من فوره، وقام صلاح الدين يوسف بن المغربى الحكيم فادعى على أولاد الملوك بمبلغ عشرة آلاف درهم تعجلوها منه عن أرض الروضة وكان النشو قد أخذها منهم وأدخلها فى ديوان الخاص وألزموا بالقدر حتى أدوه لابن المغربى والله أعلم بالصواب. .

---

(١) حـ٢ ص٤٧٤، ٤٧٥.
(٢) نشه = نشيه فى السلوك حـ٢ ص٤٧٦.
(٣) بصحة غشه= بصحبة غيه فى السلوك حـ٢ ص٤٧٦.
(٤) بفحشه = لفحشه فى السلوك حـ٢ ص٤٧٦.
(٥) بكبشه = بكرشه فى ب، د.
* وجاء فى السلوك (كسعية) الإشارة هنا إلى الكسعى الوارد اسمه فى البيت المشهور للفرزدق الشاعر.

ذكر القلعة التى بناها الصالح بالروضة

قال المقريزى[(١)]: «ولم تزل الروضة متنزها ملوكيًا ومسكنًا للناس إلى أن تسلطن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل[(٢)] وأنشأ بالروضة قلعة واتخذها سرير ملكه فعرفت بقلعة المقياس وبقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة وبالقلعة الصالحية، وكان الشروع فى حفر أساسها يوم الأربعاء خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائة وابتدئ ببنائها فى آخر الساعة الثالثة[(٣)] من يوم الجمعة سادس عشره، وفى عاشر ذى القعدة وقع الهدم فى الدور والقصور والمساجد التى كانت بجزيرة الروضة وتحول الناس من مساكنهم التى كانت بها وهدمت كنيسة كانت لليعاقبة[(٤)] بجانب المقياس وأدخلها فى القلعة وأنفق فى عمارتها أموالاً جمة من غنيمة غنمها من الفرنج وبنى فيها الدور والقصور وعمل لها ستين برجًا وبنى فيها جامعًا وغرس بها جميع الأشجار ونقل إليها من البرابى العمد الصوان والعمد الرخام وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج إليه من الغلال والأقوات خشية من محاصرة الفرنج فإنهم كانوا حينئذ على عزم قصد

---

(١) الخطط حـ٢ ص١٨٣ .

(٢) العادل فى ب .

(٣) الثامنة فى أ، ب، د، والتصحيح من الخطط والسلوك حـ١ ص ٣٠١ .

(٤) اليعاقبة هم أتباع المذهب المسيحى الغالب فى مصر والذى كان على خلاف مع المذهب الملكى وهو مذهب الدولة البيزنطية .

* وكانت تلك الكنيسة بآخر جزيرة الروضة وكان بابها يقع أمام باب مسجد المستنصر بالله الفاطمى بجوار المقياس وهى قديمة وترجع إلى ما قبل الإسلام وقد ذكر المؤرخون أنها تنسب إلى ابن لقلق بطرك اليعاقبة وكان بها بئر مالحة وقد كان من عجائب مصر أن فى وسط النيل جزيرة يتوسطها بئر مالحة، وقد كان الرهبان المقيمين بالكنيسة يتولون أمر قياس النيل حتى بنى المتوكل المقياس الحالى فأمر بأن يكون مقياس النيل بأيدى المسلمين وأسند تلك المهمة لابن أبى الرداد ثم توارثها أبناءه من بعده .

وقد تعرضت الكنيسة للهدم أثر زلزال عنيف أيام البطرك مقار الذى عين بطريركا على اليعاقبة فى سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م، ثم رممت الكنيسة بعد ذلك، وقد جعل البطريرك كيرلس الثانى مقر البطريركية فى هذه الكنيسة فترة من الزمن، وكان لهذه الكنيسة بستان وقاعات وجواسق مطلة على النيل، وقد عرفت باسم كنيسة ميخائيل المختارة أو كنيسة المختار نسبة لبستان المختار، وكانت متنزها كبيراً فى زمن الدولتين الفاطمية والأيوبية وكان الأهتمام بها كبيراً، وقد ظلت قائمة حتى هدمها الملك الصالح وأدخل أرضها فى داخل القلعة .

* وموقع هذه الكنيسة الآن المنطقة التى تقع أمام مدخل قصر المناسترلى بجوار المقياس . أنظر ابن المقفع، تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية حـ٢ ص٢١٠، ٢٢٠، حـ٣ ص٥، ٦ ، ، حـ٤ ص٧٧ . ، المقريزى، الخطط حـ٢ ص١٨٣ ، ٤٩٦، ابن اياس، بدائع الزهور حـ١ ق١ ص٢٧٠ .

بلاد مصر، وبالغ فى إتقانها مبالغة عظيمة حتى قيل أنه استقام كل حجر فيها بدينار وكل طوبة بدرهم، وكان الملك الصالح يقف بنفسه ويرتب ما يعمل فصارت تدهش من كثرة زخارفها وتحير الناظر إليها بحسن سقوفها المقرنصة وبديع رخامها، ولما كملت تحول إليها بأهله وحرسه واتخذها دار ملك وأسكن معه فيها مماليكه البحرية وعدتهم نحو الألف، ويقال انه قطع من الموضع الذى أنشأ فيه هذه القلعة ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى إلى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه، وأخرب البستان المختار والهودج وهدم ثلاثة وثلاثين مسجدًا كانت بالروضة وأدخلت فى القلعة، واتفق له فى بعض هذه المساجد خبر غريب. قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليغمورى: سمعت الأمير الكبير جمال الدين موسى بن يغمور بن جلدك يقول: من عجيب ما شاهدته من الملك الصالح إنه أمرنى أن أهدم مسجداً بجزيرة مصر فأخرت ذلك وكرهت أن يكون هدمه على يدى فأعاد الأمر وأنا أكاسر عنه فكأنه فهم منى ذلك فاستدعى بعض خدمه وأنا غائب وأمره أن يهدم ذلك المسجد وأن يبنى فى مكانه قاعة وقدر له صفتها فهدم ذلك المسجد وعمر تلك القاعة مكانه وكملت وقدم الفرنج على الديار المصرية وخرج الملك الصالح مع عساكره إليهم ولم يدخل تلك القاعة التى بنيت فى مكان المسجد، وتوفى السلطان بالمنصورة وجعل فى مركب وأتى به إلى الروضة فجعل فى تلك القاعة[1] التى بنيت مكان المسجد مدة إلى أن بنيت له التربة التى فى جنب مدارسه بالقاهرة[2].

---

(١) بقيت من القلعة الصالحية عدة قاعات وعمائر سجلتها الحملة الفرنسية منها قاعة رئيسية أبعادها ١٤,٦٠ X ١٢,٧٠ مترا يتوسطها قبة كانت مقامة على أربعة اكتاف وحول القاعة أبنية مختلفة الأحجام أغلبها كان متخربا.

انظر Discription de L'Egypte Vol xv pp 502 - 506.

على مبارك، الخطط التوفيقية حـ١٨ ص٢٥.

(٢) تقع قبة الصالح نجم الدين فى منطقة النحاسين بالقاهرة فى شارع المعز وهو القصبة الرئيسية للقاهرة ومسجلة أثر رقم ٣٨، وخلفها المدارس الصالحية وهى عبارة عن أربع مدارس للمذاهب الإسلامية الأربعة بمصر وهى أول مدرسة تخصص لدراسة المذاهب الأربعة، وتخطيطها يتكون من جزءين متماثلين كل جزء يمثله صحن مكشوف يحيط بها إيوانان وعلى الأجناب خلاوى للطلبة وبينها حارة تسمى حارة الصالحية فوق بوابتها مئذنة المدارس، وقد تبقى من المدارس الصالحية إيوان واحد يمثل أحد المذاهب، وتاريخ المدارس الصالحية من سنة ٦٤١ إلى ٦٤٨هـ.

قال المقريزى: «ولم تزل هذه القلعة عامرة حتى زالت دولة بنى أيوب فلما ملك السلطان الملك المعز أيبك التركمانى أول ملوك الترك بمصر أمر بهدمها وعمر منها مدرسته المعروفة بالمعزية[1] فى رحبة الحناء بمدينة مصر وطمع فى القلعة من له جاه فأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك وغير ذلك من أخشابها ورخامها، فلما صارت مملكة مصر للسلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى اهتم بعمارة قلعة الروضة ورسم للأمير جمال الدين موسى بن يغمور أن يتولى إعادتها كما كانت فأصلح بعض ما تهدم فيها ورتب فيها الجاندارية[2] وأعادها إلى ما كانت عليه من الحرمة[3] وأمر بأبراجها ففرقت على الأمراء وأعطى برج الزاوية للأمير سيف الدين قلاوون الألفى والبرج الذى يليه للأمير عز الدين الحلى والبرج الثالث من بروج الزاوية للأمير عز الدين أرغان وأعطى برج الزاوية الغربى للأمير بدر الدين الشمسى وفرقت بقية الأبراج على سائر الأمراء ورسم أن تكون بيوتات جميع الأمراء واصطبلاتهم فيها وسلم المفاتيح لهم.

فلما تسلطن الملك المنصور قلاوون وشرع فى بناء المارستان والقبة والمدرسة المنصورية[4] نقل من قلعة الروضة هذه ما يحتاج إليه من عمد الصوان وعمد الرخام التى كانت قبل عمارة القلعة فى البرابى وأخذ منها رخامًا كثيراً وأعتابًا جليلة مما كان فى البرابى وغير ذلك.

ثم أخذ منها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ما احتاج إليه من عمد الصوان فى بناء الإيوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل[5] وفى

---

(١) المدرسة المعزية أنشأها المعز أيبك سنة ٦٥٤هـ وكان متولى عمارتها الصاحب شرف الدين الفائزى وأول من درس بها الصاحب بهاء الدين السنجارى، وكان لها أوقاف عديدة منها حمامين وربع وعدة قاعات.
انظر الانتصار حـ٤ ص ٩٢ - ٩٣.
* وموقع المدرسة المعزية الآن جامع عابدى بك (أثر رقم ٥٢٤) بكورنيش مصر القديمة.

(٢) الخازندارية فى ب، ولكن الصحيح الجاندارية وهم الذين يتولون الحراسة.

(٣) الخدمة فى نسخ المخطوط والتصحيح من المقريزى.

(٤) المارستان والقبة والمدرسة المنصورية أنشأها السلطان قلاوون سنة ٦٨٣ - ٦٨٤هـ، وهى تقع بالنحاسين فى شارع المعز بالقاهرة وتحمل رقم ٤٣ فى فهرس آثار القاهرة الإسلامية.

(٥) دار العدل بقلعة الجبل أقامها الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٣٠هـ وأنشأ بها قبة جليلة وجعل بها إيوانًا كبيراً نصب به الأعمدة التى أخذها من القلعة الصالحية ونصب فى صدر الإيوان سرير الملك وعمل أمام الإيوان رحبة فسيحة، فجاءت من أعظم المبانى، وكان الملوك يجلسون فيها لنظر المظالم ولذلك سميت دار العدل.
* وقد اندثرت دار العدل وحل محلها الآن جامع محمد على.

الجامــع الناصــرى الجديــد بمــوردة الحلفــا[1] وأخــذ غيــر ذلك حتى ذهبت كأن لـم تكن.

قال المقريزى[2]: «وتأخر منها عقد جليل تسميه العامة القوس[3] كان مما يلى جانبها الغربى أدركناه باقيًا إلى نحو سنة عشرين وثمانمائة، ويقى من أبراجها عدة قد انقلب أكثرها وبنى الناس فوقها دورهم المطلة على النيل».

قال[4]: «وعادت الروضة بعد هدم القلعة منها متنزهات تشتمل على دور كثيرة وبساتين عدة وجوامع تقام فيها الجمع والأعياد ومساجد» إنتهى.

قال ابن سعيد فى كتاب الكمائم: النيل بساحل مصر ضيق لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية قلعته قد توسطت الماء ومالت إلى جهة الفسطاط ويجتبى[5] سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل.

وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون ممتداً من الفسطاط إلى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر إلى البر الغربى المعروف ببر الجيزة جسر آخر من الجزيرة إليه وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب لأن هذين الجسرين قد احترما بحصولهما فى

---

(١) الجامع الناصرى الجديد أنشأه السلطان الناصر محمد سنة ٧١٢هـ/ ١٣١٢م، وقد وصفه المؤرخون بأنه من أحسن متنزهات مصر، وربما جاءت تسميته الجديد من التعمير الجديد الذى طرأ على المنطقة فى ذلك الوقت، وكان هذا الجامع مبنيا على نسق المساجد الجامعة إذ يتكون من صحن أوسط مكشوف تحيط به الأروقة، وقد ألحق بهذا الجامع جماعة كبيرة من المتصوفة، وقد عمر حوله الدور والبساتين، وظل الجامع عامراً فترة من الزمن حتى خرب ما حوله وكان فيه بقية أيام المقريزى (ت٨٤٥هـ).

* ويمثل موقعه الآن بعد اندثاره المنطقة التى يخترقها شارع السكر والليمون جنوبى فم الخليج من شارع كورنيش النيل بمصر القديمة.

* ويمثل موردة الحلفا التى كان يقع بها هذا الجامع المنطقة الممتدة على النيل من عند نفق الملك الصالح جنوبًا حتى فم الخليج وسور مجرى العيون شمالا.

(٢) الخطط حـ٢ ١٨٤.

(٣) قال الشاعر شمس الدين النواجى فى القوس:

مصر قالت دمشق لا ∴ تفتخر قط باسمها
لو رات قوس روضتى ∴ منه راحت بسهمها

ابن إياس، بدائع الزهور حـ١ ق١ ص٥٥.

(٤) الخطط حـ٢ ص١٨٥.

(٥) تحصين فى ب، جـ، د، هـ.

حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الفسطاط والجزيرة راكبًا احترامًا لموضع السلطان قال: وبتنا تلك الليلة فى طيارة[1] مرتفعة فقلت:

نزلنا من الفسطاط أحسن منزل ∴ بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جمعت فيه المراكب بحرة ∴ كسرب قطا أضحى يرف على ورد[2]
وأصبح يطفو الموج فيه ويرتمى ∴ ويطفو أحيانا ويلعب بالنرد
غدا ماؤه كالريق ممن أحبه ∴ فمدت عليه حلة من حلى الخد
وقد كان مثل الزهر من قبل مدة ∴ فأصبح لما زاده المد كالورد

قال: قلت هذا لأنى لم أذق فى المياه أحلى من مائه ولأنه يكون قبل المد الذى يزيد به ويفيض على أقطاره أبيض فإذا كان عباب النيل صار أحمر. قال: وأنشدنى علم الدين فخر الترك أيدمر عتيق وزير الجزيرة:

حبذا الفسطاط من والدة ∴ جنبت أولادها در الجفا[3]
يرد إليها النيل كدرا ∴ فإذا مازج أهليها صفا
لطفوا فالمزن لا يألفهم ∴ خجلا لما رآهم ألطفا[4]

وقال ابن سعيد أيضًا فى كتاب المغرب فى حلى المغرب: القاهرة أكثر عمارة واحترامًا وحشمة[5] من الفسطاط إلا أنه فى هذا الوقت لما اعتنى سلطان مصر الآن ببناء قلعة الجزيرة التى هى أمام الفسطاط وسيرها سرير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل إليها كثير من الأمراء وضخمت أسواقها وبنى فيها السلطان أمام الجسر الذى للجزيرة قيسارية عظيمة يباع فيها الفراء والجوخ وما أشبهه.

---

(١) الطيارة نوع من السفن النيلية.
(٢) القطا طائر يشبه الحمام.
(٣) جنبت = حبيت فى نسخ المخطوط والتصحيح من الانتصار لابن دقماق حـ٤ ص١٠٩.
(٤) المزن: السحاب يحمل الماء. الواحدة مزنة، وحب المزن: البرد.
(٥) حرمة فى ب، هـ.

ذكر ما قيل فى هذه القلعة

قال الأديب علم الدين أيدمر التركى يصف هذه القلعة

الروض مقتبل الشبيبة مونق ∴ خضل يكاد غضاره يتدفق[1]
نشر الندى فيه لآلئ عقده ∴ فالزهر منه متوج وممنطق
وارتاع من مر النسيم به ضحى ∴ فغدت كمائم زهره تتفتق
وسرى شعاع الشمس فيه فالتقى ∴ منها ومنه سنا شموس تشرق
والغصن مياس القوام كأنه ∴ نشوان يصبح بالنعيم ويغبق[2]
والطير ينطق معربا عن شجوه ∴ فيكاد يفهم عنه ذاك المنطق
غرد يغنى للغصون فتنثنى ∴ طربا جيوب الظل منه تشقق[3]
والنهر لما راح وهو مسلسل ∴ لا يستطيع الرقص ظل يصفق
فتمل أيام الربيع فإنها ∴ ريحانة الزمن التى تستنشق
ايه مديحى لا خطاك قصيرة ∴ يوم الرهان ولا مجالك ضيق[4]
هذا مقام الملك حيث نقول ما ∴ تهوى وتطنب كيف شئت فتصدق
فى حيث لا شرف الصفات بمعوز ∴ فيه ولا باب المديح مغلق
ملك يلوذ الدين منه بمعقل ∴ أشب سطاه سوره والخندق[5]

ذكر الأوقات التى زينت فيها قلعة الروضة

قال المقريزى: «فى سنة اثنتين وأربعين وستمائة قدمت البشارة إلى الملك الصالح أيوب بنصر عسكره على الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق فأمر بزينة القاهرة ومصر وقلعتى الجبل والروضة، فبالغوا فى الزينة وضربت البشاير عدة أيام»[6].

---

(١) غضارة = نضارة فى المخطوط والتصحيح من الانتصار حـ٤ ص١١٠.
(٢) بالنعيم = بالنسيم فى المخطوط والتصحيح من الانتصار حـ٤ ص١١٠.
(٣) غرد = فرد فى المخطوط والتصحيح من الانتصار حـ٤ ص١١٠.
(٤) ايه = انه فى د، لا خطاك = لا خطاط فى جـ.
(٥) القصيدة كلها فى كتاب الانتصار لابن دقماق من ص١١٠ ـ ١١٤.
(٦) السلوك حـ١ ص٣١٧.

وفى سنة أربع وأربعين وستمائه وردت البشارى إلى الملك الصالح بهزيمة الخوارزمية وكانت مضرتهم عظمت ببلاد الشام فزينت القاهرة ومصر والقلعتان[1].

وفى سنة خمس وأربعين (وستمائة) قدم الملك الصالح من دمشق إلى مصر وكان حصل له فى عوده مرض فى حلقه أشرف منه على التلف والموت ثم عوفى ودخل إلى قلعته سالما فزينت البلدان والقلعتان[2].

وفى سنة سبع وأربعين (وستمائة) أخذ الصالح بلاد الكرك وسر بها سروراً عظيمًا وأمر فزينت البلدان والقلعتان وضربت البشارة بهما[3].

وفى سنة ثمان وأربعين وستمائة انتصر الملك المعز على الناصر صاحب دمشق فزينت البلدان والقلعتان وأقامت الزينة عدة أيام[4].

ذكر المماليك البحرية

قال المقريزى[5]: الملك الصالح هو الذى أنشأ المماليك البحرية بديار مصر وذلك أنه وقع له قبل ملكه مصر أن الأكراد وسائر عسكره تفرقوا عنه ولم يثبت معه سوى مماليكه فرعى لهم ذلك، فلما استولى على مملكة مصر أكثر من شراء المماليك وجعلهم معظم عسكره وقبض على الأمراء وأمر مماليكه فصاروا بطانته والمحيطين بدهليزه وسماهم بالبحرية لسكناهم معه فى قلعة الروضة على بحر النيل، وكان رأس المماليك البحرية يوم مات الصالح الفارس أقطاى.

ذكر مدة كون الملك الصالح بالروضة وهو ميت إلى أن نقل منها إلى مدفنه

قال المقريزى[6]: توفى الملك الصالح بالمنصورة ليلة الاثنين نصف شعبان سنة سبع وأربعين وحمل فى تابوت إلى قلعة الروضة فأقام بها مدة إلى أن نقل إلى تربته بالقاهرة

(١) السلوك حـ١ ص٣٢٤.
(٢) السلوك حـ١ ص٣٢٨.
(٣) السلوك حـ١ ص٣٣٨.
(٤) السلوك حـ١ ص٣٧٨.
(٥) السلوك حـ١ ص٣٣٩-٣٤٠.
(٦) السلوك حـ١ ص٣٣٩.

بجوار مدارسه الأربع وكان نقله منها يوم الجمعة لأربع بقين من رجب سنة ثمان وأربعين وستمائة وخرج الناس إلى قلعة الروضة وحملوه منها وصلوا عليه بعد صلاة الجمعة وجميع العسكر قد لبسوا البياض وقطع المماليك شعورهم ودفن ليلاً وغلقت الأسواق بالقاهرة ومصر وأقيم المأتم بالدفوف بين القصرين وحضر الملكان الأشرف والمعز ومعهما سائر المماليك البحرية والجمدارية والأمراء والقضاة والأعيان وجعل عند قبره سناجقه وبقجه وقوسه وتركاشه ورتبت القراء يقرأون عند قبره.

ذكر أمر الملك المعز بإخلاء قلعة الروضة

قال المقريزى[1]: في سنة تسع وأربعين وستمائة أمر الملك المعز أيبك بإخلاء قلعة الروضة فتحول من كان فيها من المماليك والحرسية وغيرهم[2]».

ذكر ركوب الخليفة المستنصر العباسى والسلطان الملك الظاهر بيبرس إلى قلعة الروضة

فى سنة تسع وخمسين وستمائة قدم الأمير أبو القاسم أحمد بن الخليفة الظاهر بن الناصر لدين الله بن المستضئ[3] العباسى مع جماعة من العرب وكان قد فر من بغداد لما قتل هولاكو الخليفة المستعصم[4] بالله، ونزل عند عرب العراق فخرج السلطان من قلعة الجبل يوم الخميس تاسع رجب إلى لقائه ومعه الصاحب بهاء الدين بن حنًا (بكسر الحاء) وقاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز وسائر الأمراء وجميع العسكر وجمهور أعيان القاهرة ومصر ومعظم الناس من الشهود والمؤذنين وخرجت اليهود بالتوراه والنصارى بالأناجيل، ودخل إلى القاهرة من باب النصر وخرج الناس إلى رؤيته وكان من أعظم أيام القاهرة وصعد إلى قلعة الجبل وهو راكب فأنزل فى مكان جليل قد هيئ له وبالغ

---

(١) السلوك جـ١ ص٣٨١.

(٢) الحرسية جمع حرس وهو الجندى الموكل بحراسة مكان من الأمكنة.

(٣) المستنصر فى نسخ المخطوط والتصحيح من النجوم الزاهره جـ٧ ص١١٠، السلوك جـ١ ص٤٤٨.

(٤) المعتصم فى جـ.

السلطان فى إكرامه وإقامة ناموسه فلما كان يوم الاثنين ثالث عشرة حضر قاضى القضاة ونواب الحكم وعلماء البلد وفقهاؤها وأكابر المشايخ وأعيان الصوفية والأمراء ومقدموا العساكر والتجار ووجوه الناس وحضر شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام فمثلوا كلهم بحضرة الأمير أحمد وجلس السلطان متأدبًا معه بلا طراحة[1] ولا مسند، وشهد العربان وخادم من البغاددة بأن الأمير أحمد هو بن الإمام الظاهر أمير المؤمنين وشهد بالاستفاضة القاضى جمال الدين يحيى بن عبد المنعم المعروف بالجمال يحيى والقاضى صدر الدين موهوب الجزرى وسديد الدين عمر بن عبد الكريم التزمنتى[2] وعلم الدين محمد بن الحسين بن عيسى ونجيب الدين الحرانى[3] أنه الإمام أحمد بن الإمام الظاهر فقبل قاضى القضاة تاج الدين شهادة القوم وأسجل على نفسه بالثبوت، فلما تم الحكم والإسجال كان أول من بايعه القاضى تاج الدين ثم قام السلطان بعده وبايعه على العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والجهاد فى سبيل الله وأخذ أموال الله بحقها وصرفها فى مستحقها ثم بايعه بعد السلطان الشيخ عز الدين بن عبد السلام ثم الأمراء وكبار الدولة ولقب المستنصر بالله بلقب أخيه صاحب المدرسة المستنصرية ببغداد ولم يلقب أحد بلقب أخيه سواه ولا ولى عم بعد ابن أخيه الخلافة غيره فلما تمت البيعة أقبل هو على السلطان وقلده البلاد ثم كتب فى الوقت إلى الملوك والنواب بسائر الممالك أن يأخذوا البيعة على من قبلهم للخليفة المستنصر وأن يدعى له على المنابر ثم يدعى للسلطان بعده وتنقش السكة باسمهما، فلما كان يوم الجمعة سابع عشرة خطب الخليفة فى جامع القلعة ونثر عليه السلطان جملة من الذهب والفضة ثم نزل فصلى بالناس، وفى يوم الأحد تاسع عشرة ركب الخليفة والسلطان من قلعة الجبل إلى مصر وركبا فى الحراريق[4] وسارا فى النيل إلى قلعة الروضة وجلسا فيها وأحضرت الشوانى الحربية فلعبت فى النيل على هيئة محاربتها للعدو فى البحر ثم ركبا إلى البر وسارا إلى قلعة الجبل وقد خرج الناس لمشاهدتهما فكان من الأيام المشهودة.

---

(١) الطراحة هى مرتبة يفترشها السلطان إذا جلس.

(٢) الزمينى فى د، والترمينى فى ب والتصحيح من السلوك حـ١ ص٤٥٠.

* وتزمنت قرية من قرى محافظة بنى سويف.

(٣) الحرابى فى ب والصحيح من السلوك حـ١ ص٤٤٩.

(٤) الحراريق هى نوع من السفن الحربية كانت تستخدم لحمل الأسلحة النارية كالنار الإغريقية وكان بها مرام تلقى منها النار على العدو، وكان فى مصر نوع آخر من الحراريق استخدم فى النيل لحمل الأمراء ورجال الدولة فى الاستعراضات البحرية والحفلات الرسمية. انظر الخطط حـ٢ ص١٩٤-١٩٥.

ذكر الجسر الذى كان من بر الفسطاط إلى بر الروضة ومن بر الروضة الى بر الجيزة

قال المقريزى(١) : كان النيل فى الزمن القديم محيطًا بالروضة طول السنة وكان فيما بين ساحل مصر والروضة جسر من خشب وكذلك فيما بين الروضة والجيزة جسر من خشب يمر عليها الناس والدواب من مصر إلى الروضة ومن الروضة إلى الجيزة، وكان هذان الجسران من مراكب مرصوصة(٢) بعضها بحذاء بعض وهى موثوقة ومن فوق المراكب أخشاب ممتدة فوقها تراب وكان عرض الجسر ثلاث قصبات، ولم يزل هذا الجسر قائما إلى أن قدم المأمون مصر فأحدث جسراً جديداً، فاستمر الناس يمرون عليه، وكان عبور العساكر التى قدمت من المغرب مع جوهر القائد على هذين الجسرين، وكان الجسر المتصل بالروضة كرسيه حيث المدرسة الخروبية(٣) قبلى دار النحاس، وكان النيل عندما عزم الصالح على عمارة قلعة الروضة قد انطرد عن بر مصر ولا يحيط بالروضة إلا فى أيام الزيادة، فلم تزل تغرق السفن فى بر الجيزة ويحفر فيما بين الروضة ومصر وما كان هناك من الرمال حتى عاد ماء النيل إلى بر مصر واستمر هناك، فأنشأ جسراً عظيمًا ممتداً من بر مصر إلى الروضة وجعل عرضه ثلاث قصبات وكان كرسيه حيث المدرسة الخروبية قبلى دار النحاس، وصار أكثر مرور الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب لأن الجسرين قد احترما بحصولهما فى حيز قلعة السلطان، وكان الأمراء إذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة السلطانية بقلعة الروضة يترجلون عن خيولهم ويمشون فى طول هذا الجسر إلى الروضة ولا يمكن أحد من العبور عليه راكبًا سوى السلطان فقط، وما برح الجسر قائمًا إلى أن أخرب الملك المعز أيبك قلعة الروضة بعد سنة ثمان وأربعين وستمائة فأهمل ثم عمره الظاهر بيبرس على المراكب وعمله من ساحل مصر إلى الروضة ومن الروضة الى الجيزة لأجل عبور العسكر عليه لما بلغه حركة الفرنج ثم بطل ذلك، ولم يبق للجسر أثر بالكلية.

---

(١) الخطط جـ٢ ص١٧٠.

(٢) مصطغة فى ب، د.

(٣) المدرسة الخروبية أنشأها كبير أسرة الخرابية بدر الدين محمد بن محمد الخروبى التاجر بعد سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م على ساحل مصر قبلى خط دار النحاس، وقد عرفت هذه المدرسة بعد ذلك باسم جامع القبوة لأنه كان معلقًا على قبو فى مدخل شارع القبوة الحالى بمصر القديمة، وقد وقعت بقايا هذا الجامع برقم ٥٣٢ على خريطة القاهرة للآثار الإسلامية لوحة ٢ مربع ١٣ برأس شارع القبوة بمصر القديمة، وقد أزيلت تلك البقايا عند توسيع شارع كورنيش النيل.

وقال القضاعى فى رسالته التى عملها فى عجائب مصر : ولم يزل الجسر قائمًا إلى أن قدم المأمون وكان غريبا ثم أحدث المأمون هذا الجسر الباقى اليوم تمر عليه المارة وترجع من الجسر القديم وبعد أن خرج المأمون أتت ريح عاصف ليلاً فقطعت الجسر الغربى وهدمت بشقته الجسر المحدث وذهبا جميعا فتعطل الجسر القديم وأثبت الجديد .

ذكر حفر بحر الروضة

قال المقريزى في الخطط[١] : «أول ما حفر فى سنة ست وثلاثين ثلاثمائة وذلك أنه جف النيل عن بر مصر حتى احتاج الناس إلى أن يستقوا من بحر الجيزة الذى هو بينها وبين الروضة وصار الناس يمشون هم والدواب إلى الجيزة فحفره كافور الإخشيدى وهو يومئذ مدبر دولة أونوجور بن الإخشيد ودخل الماء إلى ساحل مصر ، ثم لما كان قبل سنة ستمائة تقلص الماء عن ساحل مصر وصار الطريق إلى المقياس يبسا واستمر ذلك فى كل سنة فى أيام الإحتراق ، فلما كان فى سنة ثمان وعشرين وستمائة خاف الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبى بكر بن أيوب من تباعد البحر عن العمران بمصر فاهتم بحفر البحر من دار الوكالة[٢] بمصر إلى صناعة التمر الفاضلية[٣] وعمل فيه بنفسه فوافقه على ذلك الجم الغفير واستوى فى المساعدة السوقة والأمراء وقسط مكان الحفر على الدور التى بالقاهرة ومصر والروضة بالقياس واستمر العمل فيه من مستهل شعبان إلى سلخ

---

(١) حـ١ ص٣٤٤-٣٤٥.

(٢) دار الوكالة هذه كان أصلها دار الملك التى كانت عبارة عن منظرة (قصر) بناها الوزير الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ٥٠١هـ/١١٠٧م، وسكنها وحول إليها الدواوين من القصر فصارت بها، فلما قتل الأفضل صارت دار الملك هذه من جملة متنزهات الخليفة وكان بها بستان عظيم، ومازالت عظيمة إلى أن انقرضت الدولة الفاطمية فجعلها الملك الكامل محمد دار متجر، ثم عملت فى أيام الملك الظاهر بيبرس دار وكالة .

وقد ذكر المقريزى أن موضعها كان ما وراء رحبة الخروب بجوار المدرسة المعزية ويقى منها جدار يجلس تحتها بياعو الحناء . (الخطط حـ١ ص٤٨٣) .

* ويمثل موقع دار الوكالة الآن المنطقة الواقع بها قسم شرطة مصر القديمة بجوار جامع عابدى بك (اثر رقم ٥٢٤) الذى حل محل المدرسة المعزية .

(٣) صناعة التمر الفاضلية كان أصلها دار وقف على فكاك الأسرى، بناها القاضى الفاضل وعرفت بعد ذلك بصناعة التمر الفاضلية (ابن دقماق، الانتصار حـ٢ ص١٢).

* ويمثل موقع صناعة التمر الآن منطقة فم الخليج .

شوال حتى صار الماء يحيط بالمقياس وجزيرة الروضة دائمًا بعد ما كان قبل الزيادة يصير جدولاً رقيقًا فى ذيل الروضة فإذا اتصل ببحر بولاق فى شهر أبيب كان ذلك من الأيام المشهورة بمصر .

فلما كانت أيام الملك الصالح وعمر قلعة الروضة أراد أن يكون الماء طول السنة كثيراً فيما دار بالروضة فأخذ بالاهتمام فى ذلك وغرق عدة مراكب مملوءة بالحجارة فى بر الجيزة ومن قبلى جزيرة الروضة فانعكس[1] الماء وجعل البحر حينئذ يمر قليلاً قليلاً وتكاثر أولاً فأولاً» .

قال ابن المتوج : لما عمر السلطان الملك الصالح قلعة الجزيرة صار فى كل سنة يحفر هذا البحر بنفسه وجنده ويطرح بعض رمله فى البقعة التى عمر فيها الناصر الجامع الجديد، وشرع خواص السلطان فى العمارة على شاطئ هذا البحر من موضع الجامع الجديد الآن إلى المدرسة المعزية .

قال : وأخبرنى من أثق بنقله أنه أخبر عمن رأى الأسطال التى كانت معلقة بالطاقات المطلات على النيل وكان عددها ستة عشر ألف سطل مؤبدة ببكر وأطناب بها ترخى وتملأ .

وقال ابن المتوج أيضًا : فى سنة أربع وستين وستمائة حفر السلطان الملك الظاهر بيبرس بحر مصر بنفسه وعسكره ما بين الروضة والمنشأة .

ذكر ركوب الملك الظاهر بيبرس إلى الروضة وعومه فى النيل

قال المقريزى[2] : فى سنة إحدى وسبعين وستمائة نزل السلطان الظاهر يعوم فى النيل وهو لابس زردية وعمل مطارد [3] وأركب فوقها الأمير حسام الدين الدوادار والأمير علم الدين أيدغدى الأستادار وجرها وجر فرسين وهو يعوم لابس الزردية من البر إلى البر .

---

(١) فانغطس فى المخطوط .
(٢) السلوك حـ٢ ص٦٠٨ .
(٣) بطارد فى ب، د. وفى السلوك وعمل بسطًا كبيرة .

ذكر ركوب الملك الناصر محمد بن قلاوون إلى الروضة

قال المقريزى[1] : فى محرم سنة اثنتين وسبعمائة نجزت عمارة الشوانى وجهزت للمقاتلة والآلات مع الأمير جمال الدين أقوش واجتمع الناس إلى مشاهدة لعبهم ونزل السلطان والأمراء فركب الأمراء الحراريق إلى الروضة ووقف العسكر على بر بستان الخشاب[2] واجتمع من العالم ما لم يحصيهم إلا الله، وامتلأ البران من بولاق إلى الصناعة حتى لم يوجد موضع قدم خال، وبلغ كراء المركب الذى يحمل عشرة أنفس مائة درهم فضة، وبرزت الشوانى للعب كأنها فى الحرب فلعب الأول والثانى والثالث وأعجب الناس بذلك إعجابًا زائدًا لكثرة ما كان فيها من المقاتلة والنفوط وآلات الحرب ثم تقدم الرابع وفيه أقوش فما هو إلا أن خرج من مينة[3] الصناعة بمصر وتوسط النيل إذا بالريح حركة فمال به ميلة واحدة وصار أعلاه أسفله فصرخ الناس صرخة واحدة كادت تسقط منها ذات الأحمال، وتكدر ما كان فيه من الصفو وتلاحق الناس بالشينى وأخرجوا ما سقط منه فى الماء فلم يعدم منه سوى أقوش وسلم الجميع، وعاد السلطان والأمراء إلى القلعة وانفض الجمع.

وفى هذه السنة (٧٠٢هـ) فى يوم الخميس ثالث عشرى ذى الحجة حصلت الزلزلة الكبرى بالديار المصرية التى لم يعهد مثلها فهدمت أكثر بيوت القاهرة وانهدمت موادن الجوامع والمدارس وخرب جامع عمرو وجامع الأزهر وجامع الحاكم وجامع الصالح (طلائع)، وفاض ماء النيل حتى ألقى المراكب التى كانت بالشاطئ قد رميت بهم وخرجت الناس من البيوت ونصبوا الخيام من بولاق إلى الروضة وأقاموا فيها.

قال المقريزى: لم تكد دار بالقاهرة ومصر تسلم من الهدم أو تشعث بعضها وسقطت الزروب[4] ولم يبق دار إلا وعلى بابها التراب والطوب حتى صارت القاهرة ومصر بحيث إذا رآها تخيل له أن العدو جاء إليها وخربها. قال: وأقامت الأرض عشرين يومًا ترجف وهلك تحت الردم خلائق لا تحصى.

---

(١) السلوك حـ١ ص٩٢٨. ، الخطط حـ٢ ص١٩٥.
(٢) بستان الخشاب يمثل موقعه اليوم منطقة القصر العينى وجنوبى جاردن سيتى بموازاة النيل.
(٣) أى ميناء.
(٤) الزروب هى المزاريب أو مساقط المياه التى توضع فوق أسطح المنازل حتى لا يتجمع ماء المطر فوق الأسطح.

وذكر غيره أن هذه الزلزلة أقامت أربعين يومًا. وذكر صاحب الطالع السعيد[1] أن الشريف تقى الدين محمد بن الشيخ ضياء الدين جعفر بن محمد بن الشيخ عبد الرحيم القنائى قال فى هذه الزلزلة.

مجاز حقيقتها فاعبروا ∴ ولا تعمروا هونوها تهن
وما حسن بيت له زخرف ∴ تراه إذا زلزلت لم يكن

ذكر المعركة[2] التى كانت بالنيل بين الروضة والجزيرة الوسطى

قال المقريزى فى حوادث سنة ثمان وستين وسبعمائة[3]: فى شهر ربيع الأول كملت عمارة الشوانى البحرية وعدتها مائة قطعة، فشحنت بالعدد الحربية والآت السلاح وزينت وأقيم فيها الطبول والأبواق وأنزلوا بها عدة مماليك لابسة آلات الحرب، ثم ركب السلطان الأشرف شعبان بن حسين والأمير يلبغا وسائر الأمراء والأعيان لرؤية الشوانى وخرج الناس من أقطار المدينة فى يوم السبت رابع عشرى ربيع الأول فسار السلطان بعسكره إلى الجزيرة الوسطى وركب الحراقة وقد امتلأت تلك الأراضى بالناس فقدمت الشوانى ولعبت رجالها بالآلات الحربية كما يفعل عند لقاء العدو ودقت الكوسات ونفخت البوقات وأطلقت النفوط[4] وكان منظرًا جميلاً وأمرًا حسنًا لو تم. فلما انتهى ذلك توجه السلطان فى الحراقة إلى بر الجيزة وأقام يلبغا حاجب الحجاب بالجزيرة عند الشوانى، ثم مضى السلطان يريد الصيد بالبحيرة، ومضى يلبغا إلى جزيرة القط[5]، فلما كان يوم الأربعاء خامس ربيع الأول قدم يلبغا من جزيرة القط وسار فى حفل كبير إلى القلعة فمنعهم نائب الغيبة من دخولها فعاد إلى منزله بالكبش ثم ركب يوم الخميس فى عسكر موفور إلى بر الجيزة فبرزت إليه الشوانى حتى صارت فى وسط النيل ورمته المماليك السلطانية منها بالسهام والنفط، فما زال القوم يترامون نهارهم ثم أمر يلبغا فجمع

---

(١) هو أبو الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب الأدفوى. المتوفى سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م مؤلف كتاب الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد، تحقيق سعد محمد حسن، القاهرة ١٩٦٦م.

(٢) المعركة = الحركة فى د.

(٣) السلوك جـ٣ ص١٢٩.

(٤) وأفلتت النفوط فى ب، د. وكذلك فى السلوك جـ٣ ص١٣٠.

(٥) ذكر المرحوم محمد رمزى أن جزيرة القط هى التى تعرف اليوم باسم جزيرة البدرشين بمركز الجيزة محافظة الجيزة. انظر: القاموس الجغرافى القسم الأول ص ٢١١.

بالخليفة وأنوك بن حسين بن محمد بن قلاوون، وطلب من الخليفة أن يفوض إليه السلطنة عوضا عن أخيه شعبان فامتنع من ذلك وقال: إن الشوكة للأشرف شعبان، فأمر بالكوسات فدقت وأقام شعار السلطنة وقال: أنا أعينه وأؤيده ومن الشوكة غيرى؟ فلم يجد الخليفة بدًا من سلطنة أنوك فأقاموه سلطانًا ولقبوه الملك المنصور وأركبوه بالشعار السلطانى وذلك بالجزيرة الوسطى[1]، واشتدت الحرب بين الفريقين وجلس المنصور أنوك بكرة وبين يديه وجوه الدولة من الأمراء وأرباب الأقلام على العادة، فلما انفضت الخدمة ركب بالعساكر مع الأمير يلبغا للحرب واستمر الرمى من الشوانى إلى نصف نهار يوم السبت فنزل عدة من الأشرفية فى أربعة شوانى يريدون الروضة، هذا وأسواق القاهرة طول هذه الأيام مغلقة وليس للناس شغل سوى التفرج فى شاطئ النيل على المقاتلين من السلطانية واليلبغاوية وصاروا يلهجون[2] كثيرا بقولهم:

«سلطان الجزيرة ما يساوى شعيرة»

وتعصب العامة للسلطان الأشرف وسبحوا النيل إليه وقد وصل إلى بر الجيزة فانحل أمر يلبغا وتسلل من معه وصعد الأشرف إلى القلعة وأمسك يلبغا وحبس وقتل.

ذكر ركوب السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن الناصر محمد بن قلاوون إلى الروضة

قال المقريزى[3] فى حوادث سنة أربع وسبعين وسبعمائة[4]: ركب السلطان فى يوم الثلاثاء سادس[5] عشر ذى القعدة وتوجه لعيادة أمه بالروضة فأقام عندها على شاطئ النيل حتى عاد إلى القلعة يوم الخميس ثامن عشرة، فلما كان يوم الثلاثاء آخر ذى القعدة

---

(١) الجزيرة الوسطى هى جزيرة الزمالك حاليًا.

* وعن سبب انقلاب مماليك يلبغا عليه وقيامه بالانقلاب على السلطان الأشرف شعبان. أنظر: السلوك حـ٣ ص ١٣٠ - ١٣٨

(٢) يلحون فى جـ، د.

(٣) الخطط حـ٣ ص٢٠٧.

(٤) وستين فى جـ.

(٥) ثالث فى جـ.

توفيت أم السلطان بالروضة وهى خوند بركة وهى التى بنت المدرسة المعروفة بأم السلطان بخط التبانة[1]. وقال الأديب شهاب الدين أحمد السعدى فى موتها :

فى مستهل العشر من ذى القعدة ∴ كانت صبيحة موت أم الأشرف[2]
فالله يرحمها ويعظم أجره ∴ ويكون فى عاشورا موت اليوسفى

يعنى الأمير ألجاى اليوسفى الأتابك زوجها، ومن الاتفاق الغريب أن الأمر وقع كذلك فمات ألجاى اليوسفى يوم عاشوراء بعد أربعين يومًا من موت زوجته غريقًا ثم أخرج ودفن بمدرسته[3] بخط سويقة العزى.

ذكر ركوب السلطان الملك المؤيد شيخ إلى الروضة

قال المقريزى فى حوادث سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة[4]: فى يوم الجمعة حادى عشرى رجب ركب السلطان النيل للنزهة به فزار الآثار النبوية[5] وبر من هناك من الفقراء ثم توجه إلى المقياس بالروضة فصلى الجمعة بجامع المقياس ورسم بهدمه وبنائه وتوسعته ففعل ما أمر به السلطان على الفور انتهى والله اعلم.

ذكر ركوب سلطان الإسلام والمسلمين الملك الاشرف أبو النصر قايتباى سلطان هذا العصر نصره الله تعالى وأطال بقاءه إلى الروضة

فى يوم الأحد سادس عشرى ربيع الأول سنة ست وثمانين (وثمانمائة) ركب السلطان الملك الأشرف إلى الروضة للكشف على جامع الفخر المعروف بالمقسى ورسم بعمارته

---

(١) مدرسة أم السلطان شعبان تقع بشارع التبانة بباب الوزير بالقاهرة وقد أنشأتها سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، وهى تحمل رقم ١٢٥ فى فهرس الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة.

(٢) فى معظم نسخ المخطوط ذى الحجة ولكن الصحيح هو ذى القعدة.

(٣) مدرسة أولجاى اليوسفى انشأها سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م وتحمل رقم ١٣١ فى فهرس الآثار الإسلامية بالقاهرة وهى تقع بسوق السلاح بالقاهرة.

(٤) السلوك حـ٤ ص٥٣٤.

(٥) الآثار النبوية هى بعض الآثار التى تنسب إلى الرسول ﷺ مثل المرود وملقط ومخصف ومكحلة ومشط وغيرها، وقد اشتراها الوزير الصاحب تاج الدين بن حنا من بنى إبراهيم بينبع بالحجاز، وأنشأ رباطًا ليحفظ تلك الآثار به فى بستان المعشوق جنوبى مصر القديمة سنة ٧٠٧هـ، وقد جدد الرباط مرات عديدة وحل محله الآن جامع أثر النبى الذى أمر ببناءه السلطان العثمانى محمد الرابع فتم ذلك على يد والى مصر إبراهيم باشا الدفتردار (١٠٧١ـ١٠٧٤هـ) (١٦٦١ـ١٦٦٤م).

وتجديده ونصب مخيمه الشريف بالكوادى[1] وبات بها، وفى يوم الثلاثاء رابع عشر ربيع الأول من السنة ركب إليها وقد وقع الشروع فى حفر أساس الجامع فرأى ذلك، وفى يوم الاثنين حادى عشرى جمادى الأولى من السنة ركب إليها، وفى ذى الحجة منها ركب إليها مرة أخرى وكشف على العمارة، وفى ليلة الأحد خامس عشرى شعبان سنة سبع وثمانين وثمانمائة حضر إليها[2] ليلاً فى مركب من الوجه البحرى وطلع إلى الجامع وبات بقية الليلة بالرواق الذى جعل على بابه إلى أن طلع النهار ومضى منه أربع ساعات فركب إلى القلعة، وفى يوم السبت سابع المحرم سنة ثمان وثمانين وثمانمائة حضر إليها ليلاً وأشرف على العمارة وعاد، وفى يوم الأحد[3] سنة إحدى وتسعين ركب إليها وتوجه إلى الخرطوم[4] وكشف على الطين المستجد الذى أشتراه ووقفه على الجامع، ورسم بأن يقاس ويعمل عليه جسر يحوزه وأقام بالجامع طول نهاره، وفى يوم الأحد رابع عشرى رجب من السنة ركب إليها وكشف على الزيادة المستجدة.

ذكر ما بنى بالروضة من الجوامع

جامع غبن قال ابن المتوج: المسجد الجامع بروضة مصر يعرف بجامع غبن وهو القديم وغبن أحد خدام الخليفة الحاكم بأمر الله كان يلقبه قائد القواد وقلد الشرطتين والحسبة بالقاهرة ومصر والجزيرة والنظر فى أمور الجميع وأموالهم وأحوالهم وذلك فى سنة اثنتين وأربعمائة[5]، ولم تزل الخطبة قائمة فيه إلى أن عمر جامع المقياس فبطلت الخطبة

---

(١) الكوادى هى قطع من الأرض مليئة بالرمال كانت محاطة بالماء على هيئة جزر صغيرة وكانت تقع فى منطقة فم الخليج وقصر العينى وما يقابلها من جزيرة الروضة.

(٢) ركب إليها فى (جـ).

(٣) نسى السيوطى ذكر الشهر.

(٤) الخرطوم هو الطرف الشمالى لجزيرة الروضة المقام به حاليًا فندق ميريديان.

(٥) لم يسلم غبن من شطحات الحاكم بأمر الله إذ أمر بقطع يده ولسانه سنة ٤٠٤هـ وحملت يده فى طبق إلى الحاكم، ثم أمر الحاكم بقتله سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م. انظر بالتفصيل ابن دقماق، الانتصار حـ٤ ص١١٥.، المقريزى، الخطط حـ٢ ص٣٩٧-٣٩٨.

* ومن الطريف أنه قد عثر فى حفائر الفسطاط على جزء كبير من طبق خزفى كبير يحمل اسم غبن وألقابه، وصار لهذا الطبق شأن كبير فى تاريخ القاهرة الأثرى والفنى كما كان لغبن شأن فى تاريخها السياسى. انظر بالتفصيل حسن الباشا، طبق غبن بحث فى كتاب القاهرة تاريخها وفنونها وآثارها، نشر الأهرام، ١٩٧٠م. ص٥٢١.

منه، ولم تزل بطالة منه إلى الدولة الظاهرية وكثرت عمائر الناس حوله فى الروضة وعمر الصاحب محيى الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حنا داره قبالة هذا الجامع فحسن له إقامة الجمعة فيه لقربه منه فشاور الظاهر بيبرس فرسم بإقامة الخطبة فيه مع بقائها بجامع المقياس فأقيمت فى سنة ستين وستمائة، وولى خطابته القاضى جمال الدين بن الغفارى وكان إمامه فى حالة تعطله من الخطبة وكان نائب الحكم بمصر والجيزة فأضيف إليه الخطابة مع الإمامة ثم وليه ولده قطب الدين وهو مستمر إلى الآن. هذا كله كلام ابن المتوج[1].

وقد صار هذا الجامع يسمى الآن جامع الآبار بقى بولى مدفون بجواره يسمى الشيخ أحمد الأباريقى[2] ونسى اسم غبن ولا يعرفه الآن أحد إلا من له نظر فى التاريخ.

جامع المقياس

قال ابن المتوج: هذا الجامع عمره الملك الصالح نجم الدين أيوب بقلعة الروضة وكان قبالة بابه كنيسة وكان بها بئر مالحة وذلك مما عد من عجائب مصر أن فى وسط النيل جزيرة بوسطها بئر مالحة، قال: ولم يزل هذا الجامع بيد بنى الرداد ولهم نواب عنهم فيه، وكان أخيراً بيد القاضى السعيد بن أبى الرداد وكان ابن الحلال ينوب عنه فيه، ولما توفى القاضى السعيد ولى ولده المقياس خاصة وولى نور الدين بن الفقيه تقى الدين بن الشيخ محيى الدين بن القسطلانى الخطابة بالجامع المذكور وذلك بعد سنة سبعمائة.

---

(١) المقريزى، الخطط حـ٢ ص ٢٩٧.

(٢) جامع الأباريقى الآن عبارة عن زاوية صغيرة بشارع محمد ذو الفقار بالمنيل شمال غرب كوبرى الملك الصالح بحوالى ١٥٠ مترا.

* والأباريقى من أهل القرن السابع الهجرى وكان قد اتخذ من جامع غبن بالروضة خلوة له فدفن فيه فعرف بزاوية الأباريقى.

* وفى سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م بنى الأمير على باشا شريف أحد أمراء أسرة محمد على زاوية صغيرة بها ضريح الأباريقى، وقد ذكر «على مبارك» أنه حين حفرت الأرض بقرب الزاوية لأخذ التراب منها ليرفع به شريف باشا بستان وجد كثيراً من قطع الرخام وأحواضًا ومجارى وغير ذلك من الأشياء القديمة لجامع غبن» انظر: الخطط التوفيقية حـ١٨ ص١٢، سعاد ماهر، مساجد مصر حـ٢ ص٩٧-١٠٠.

* ويتكون جامع أو زاوية الأباريقى حاليًا من مسجد بسيط مستطيل يتوسط جداره الجنوبى الشرقى محراب، وفى الجانب الشمالى الغربى منه باب يدخل منه إلى حجرة مستطيلة المساحة اقتطع منها جزء مربع على المستوى العلوى بأركانها أربع حنايا ركنية بسيطة أقيمت فوقها قبة، ويتوسط الحجرة مقام الشيخ الأباريقى، وكان الجامع والقبة مزخرفتين بالزخارف النباتية بالألوان الزيتية إلا أنها حجبت الآن بفعل طلاء حديث.

قال المقريزى : ثم لما كان أيام الملك المؤيد شيخ هدم هذا الجامع فى رجب سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة ووسعه بدور إلى جنبه وشرع فى عمارته فمات قبل فراغه منه . انتهى .

وقد جدده بعده الملك الظاهر جقمق ووقف عليه وقفًا(١) .

جامع السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى سلطان هذا العصر

هذا الجامع ثالث جامع أنشئ بالروضة وكان يقال له فى القرن الماضى جامع الفخر . قال المقريزى : جامع الفخر بالروضة تقام فيه الجمعة والجماعات بناه القاضى فخر الدين ناظر الجيش فى أيام الناصر محمد بن قلاوون وهو الذى تنسب إليه قنطرة الفخر وذلك فى حدود سنة ثلاثين وسبعمائة ، ثم جدده الصاحب شمس الدين المقسى فصار يسمى جامع المقسى ونسى إسم الفخر ثم جدده سلطان عصرنا وزماننا الملك الأشرف أبو النصر قايتباى(٢) أدام الله أيامه وأقام على عمارته الجناب العالى البدرى سيدى حسن الطولونى فزاد فيه ووسعه وبالغ فى إتقانه وزخرفته بحيث قل أن يرى فى الجوامع مثله فى حسن بهجته ، وكان إبتداء ذلك فى ربيع الأول سنة ست وثمانين وثمانمائة ، وعمل فيه

---

(١) أول من بنى هذا الجامع الوزير بدر الجمالى سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م بعد ترميمه للمقياس وآخر من عمره فى العصر المملوكى السلطان الأشرف قانصوه الغورى.

وقد قام علماء الحملة الفرنسية برفع الجامع هندسيًا فكان مسقطه الأفقى مستطيل الشكل ويتكون من صحن أوسط مكشوف محيط به ٤ إيوانات ، الأيوان الجنوبى الشرقى يتكون من ثلاثة أروقة والإيوان الشمالى الغربى من رواقين وكل من الإيوانين الجانبيين من رواق واحد ، وتلك الأروقة مقامة على ٣٤ عمودًا وأربعة أكتاف بأركان الصحن ، ومدخل الجامع بالجانب الشمالى الشرقى ، وله شبابيك مطلة على النيل ، وكان له مئذنة ارتفاعها وقت الحملة ٢٤ مترًا ، وقد سجلت الحملة بعض النصوص الكتابية التى كانت بالجامع وكانت تحمل دعاء للخليفة المستنصر والوزير بدر الجمالى وتاريخ سنة ٤٨٥هـ.

وفى زمن محمد على أقام المهندس باسكال كوست فى عام ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م مصنعًا للبارود بالقرب من المقياس وقد أدى انفجار المصنع فى عام ١٢٤٥هـ/ ١٨٣٠م إلى تدمير الجامع ، وفى سنة ١٨٥٠م أزال حسن باشا المناسترلى الجامع ليقيم مكانه كوشكا المعروف الآن بقصر المناسترلى بجوار المقياس .

(٢) مازال جامع قايتباى عامرًا بذكر الله تعالى وهو مسجل أثر رقم ٥١٩ وهو يقع بشارع جامع قايتباى بالروضة وهو مصمم على نسق النظام المدرسى الذى يتكون من دور قاعة وسطى وإيوانين وسدلتين وكان ملحق به إضافات معمارية خلفه اندثرت الآن .

وعن الجامع بالتفصيل انظر .

حسن نويصر ، عمائر قايتباى الدينية بمدينة القاهرة ، مخطوط دكتوراه ، كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٥م.

(٣) ناعورة = ساقية .

ناعورة[٣] على وضع غريب بحيث تدور بحمار ينقل قدمه وهو واقف من غير أن يمشى ولا يدور وركب عليها طاحونة تدور بدورانها وصار يسمى جامع السلطان ونسى به اسم المقسى كما نسى المقسى اسم الفخر، ثم أمر السلطان نصره الله أن يزاد فى هذا الجامع زيادة أخرى فزيدت وذلك فى سنة إحدى وتسعين، وأنشئ حول الجامع الغراس والعمائر الحسنة فعمرت تلك البقعة وأحييت الروضة بعدما كادت تدرس محاسنها.

جامع الريس

هذا رابع جامع أحدث بالروضة وأول إنشائه زاوية أنشأها الشيخ محمد بن أصيل بن مهدى الهمدانى من ذرية الشيخ أبى يزيد البسطامى[١] بعد أن أخذ بمكانها توقيعًا بالأرض والبرج من السلطنة فى سنة ست وتسعين وستمائة ثم جدد لذلك توقيعًا من الملك المظفر بيبرس فى ذى الحجة سنة ثمان وسبعمائة، وفى هذه السنة وقفها ونص التوقيع الثانى فيما وقفت عليه «رسم بالأمر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى المظفرى الركنى لا زالت مواهبه الشريفة تهيئ للأولياء مشربا، وتبلغ الصالحين من عباد الله تعالى مقصداً ومأربًا، وتنجح لهم فى أيامه الزاهرة مسعى ومطلبا، أن يستمر الشيخ الصالح العابد الورع الزاهد الناسك السالك محمد البسطامى نفع الله ببركاته على ما بيده من الزاوية التى له ببرج الطراز بقلعة الروضة ويجمل فى ذلك على حكم التوقيع الشريف الذى بيده المستمر الحكم إلى آخر وقت الشاهد بالزاوية المستجدة المذكورة ببرج الطراز وكذلك الأرض اللطيفة التى أنشأها لما زرعه من البقولات وغيرها من الأشجار برسم الفقراء وهى القطعة المجاورة لسور القلعة، وأن يكون ذلك من بعده لأولاده صدقة مستمرة وموهبة مستقرة، لا يعارض فيها ولا ينازع، ولا ينقض حكمها ولا يمحى رسمها، رغبة فيما عند الله تعالى من الأجر والثواب، وذخيرة لنا نجدها يوم العرض والحساب، واستجلابًا لأدعيته الصالحة لدولتنا القاهرة، وعملاً على تحصيل الأجور والقربات فى أيامنا الزاهرة، فلتستقر الزاوية المذكورة والطين المذكور المجاور لسور قلعة الروضة بيد الشيخ محمد المذكور نفع الله به استقراراً لا يعارض فيه ولا يتأول عليه فيه فى اليوم ولا فيما بعده، والخط الشريف أعلاه حجه به إن شاء الله تعالى فى سابع عشرين ذى الحجة سنة ثمان وسبعمائة بالإشارة العالية الأميرية السيفية نائب السلطنة الشريفة أعلاها الله تعالى».

---

(١) أبى اليزيد البسطامى من أعيان المتصوفة وقد توفى سنة ٢٦١هـ/ ٦٧٥م.

قلت: هذا الإنهاء[1] وقع وأرض الروضة فى أيدى الملوك[2]، استئجارها من شيخ المدرسة التقوية وقبل الإفراج عنها للمدرسة المذكورة فظن أنها من أراضى بيت المال لتطاول المدة والجهل بالحال فأنهى ذلك فى سنة ست وتسعين وستمائة وسمح له بها، ثم لما أقام شيخ المدرسة فى تخليصها وأفرج له عنها فى سنة ثمان وتسعين وستمائة كما تقدم، وكان صاحب الزاوية نوزع فى هذه القطعة من الأرض فتوسل إلى أخذ توقيع ثانى بها من الملك المظفر بيبرس الجاشنكير فأنعم له بذلك على خلاف ما هو الشرع ولم يقدر شيخ التقوية على رفعه إما لقوة جاهه وإما لكونه رأى إن فى ذلك مشقة مع كونها قطعة لطيفة لا تحتمل المنازعة، ومع كونه ما حصل له الإفراج عن بقية الأرض إلا بسعى كبير خصوصًا وقد أخذ منه نصف الروضة بكماله ولم يفرج له عنه كما تقدم فرأى السكوت أروح له، ثم لما كان فى حدود سنة سبعين وسبعمائة جعلت هذه الزاوية جامعًا وكان الجاعل لذلك فتح الدين صدقة بن ناصر الدين بن زين الدين أبى بكر ريس الخلافة[3] وكان البسطامى أولا لما بنى الزاوية ووقفها جعل النظر فيها لنفسه أيام حياته ثم من بعده للأمير سيف الدين ثم للحاكم الحنفى بنفسه وبتوليه من شاء من الأجناد الأخبار. قال: ولا ينظر فيه الحاكم الحنفى بنفسه أكثر من مدة شهر واحد فمادونه انتهى. لخصت ذلك من كتاب وقفه وتاريخه فى مستهل ربيع الآخر سنة ثمان وسبعمائة.

ذكر حكم هذه الجزيرة من حيث إقامة الجمعة فيها وهل هى بلد مستقلة أولا

قد سئلت عن ذلك قديمًا فأجبت بجواب مختصر إنها بلد مستقلة تقام فيها جمعة مستقلة عن الجمعة التى تقام بمصر ولا يقال إنها منضمة إلى الفسطاط حتى تمتنع إقامة الجمعة فيها بناء على مانص عليه الإمام الشافعى رضى الله عنه فى الأم من إنه يمتنع تعدد الجمعة فى البلد الواحد ولا يجتمع فى بلد وإن عظم وضاق الجامع إلا فى مكان واحد

---

(1) الإنتهاء فى ب.

(2) المملوك فى جـ.

(3) هدم جامع الريس مع الزمن وعاد زاوية تعرف باسم صاحبها الأصلى الأول البسطامى، وهى لا تزال موجودة حتى الآن وبها ضريح البسطامى وتقع بشارع صغير يسمى شارع البسطامى متفرع من شارع الملك الصالح على بعد حوالى ١٢٠ متراً جنوب كوبرى الملك الصالح، وهى عبارة عن مسجد صغير بنى حديثاً مساحته ١٢x٦ متر وبالركن العربى منه مقام البسطامى.

وأقول هنا زيادة على ذلك وجه كونها بلد مستقلة أمور منها تأخر فتحها عن فتح الحصن مدة أشهر، ومنها ما تقدم نقله عن أرباب التواريخ أنها صارت فى زمن العبيدية[1] مدينة عامرة بها وال وقاض وإنه كان يقال: «مصر والقاهرة والجزيرة»، وهذا صريح فى إنها بلد مستقلة، كما إن كلا من مصر والقاهرة بلد مستقلة وانفرادها بوالى وقاضى أقوى دليل فى كونها بلداً مستقلاً تقام به الجمعة.

أخرج البيهقى فى سننه عن عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه سئل عن القرى التى بين مكة والمدينة ما ترى فى الجمعة فيها. قال: نعم إذا كان فيهم أمير فليجمعوا. وأخرج البيهقى أيضًا عن جعفر بن برقان قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن عدى الكندى انظر محل قرية أهل قرار ليسوا بأهل عمره ينتقلوا فأمر عليهم أميراً ثم مره فليجمع بهم.

وأخرج البيهقى أيضًا عن الوليد بن مسلم قال: سألت الليث بن سعد فقال: كل مدينة أو قرية منها جماعة وعليهم أمير أمروا بالجمعة فليجمع بهم فإن أهل الإسكندرية ومدائن مصر ومدائن سواحلها كانوا يجمعون الجمعة على عهد عمر بن الخطاب وعثمان ابن عفان بأمرهما وفيها رجال من الصحابة.

وأخرج عبد الرزاق فى مصنفه عن نافع قال: كان ابن عمر يرى أهل المياه بين مكة والمدينة يجمعون فلا يعيب[2] عليهم.

وأخرج عن ابن جريج قال: قلت لعطاء ما القرية الجامعة؟ قال: ذات الجماعة والأثر والقصاص والدور المجتمعة غير المتفرقة والأخذ بعضها ببعض كهيئة جدة. قلت: فجدة جامعة؟ قال: والطائف. قال: وإذا كنت فى قرية جامعة فنودى للصلاة من يوم الجمعة فحق عليك أن تشهدها.

وأخرج الدارقطنى والبيهقى فى سننهما عن جابر بن عبد الله قال: مضت السنة أن فى كل ثلاثة إمامًا وفى كل أربعين فما فوق ذلك جمعة وفطر وأضحى وذلك إنهم جماعة.

وأخرج الطبرانى فى الكبير والدارقطنى فى سننه عن أبى أمامه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: على الخمسين جمعة ليس فيما دون ذلك، ولفظ الطبرانى الجمعة

---

(١) أى زمن الدولة الفاطمية من ٣٥٨ هـ إلى سنة ٥٦٧هـ.

(٢) يجيب فى جـ.

على الخمسين رجلاً وليس على ما دون الخمسين جمعة، فتقرر بهذا كله أن الروضة بلد مستقل تقام بها الجمعة، وأول ما أقيمت بها فى زمن الحاكم بأمر الله بعد أن صارت مدينة عامرة ولم تكن فيما تقدم كذلك فلذا لم تقم بها فى الصدر الأول مع رغبة الناس إذ ذاك فى الصلاة خلف الأمير أو الخليفة فإنه الذى كان يقيم الجمعة بنفسه، وكان عبورهم من الروضة إلى الفسطاط على الجسر سهلاً عليهم فكانوا يصلون خلف الأمير أو الخليفة بجامع عمرو.

فائدة: قال السبكى: الأماكن أربعة أحدها مصر جامع وحكمة واضح، والثانى القرى المتباعدة لا يجوز إقامة الجمعة فيها عند أبى حنيفة لا واحدة ولا كثيرة وعندنا تجوز واحدة، الثالث ربض المصر وهو الأبنية المتصلة بالمصر وحكمه حكم المصر على قول الرافعى والأكثرين أن المسافر إذا جاوز السور لا يقصر فيه الصلاة حتى يفارق العمران فمتى يفارق أقيمت فيه الجمعة مع إقامتها فى المصر كان كالتعدد فى المصر، وأما على قول النووى إنه يقصر إذا جاوز البيوت قبل تجاوزه العمران فقياسه أن يكون الخارج عن السور كقرية متصلة لا تجوز فيها الجمعة عند أبى حنيفة وتجوز عندنا. قال وإذا جوزناها فهل يكون ما حول السور كله قرية واحدة يقتصر فيها على جمعة واحدة أو نقول ما كان متصلاً بعضه ببعض فى حكم قرية واحدة لا يجوز التعدد، وما كان منفصلاً فحكمه حكم القرية، وإذا تفاصلت أبنية خارج السور فكل أبنية اجتمعت وانفصلت عن الأخرى لم يلزمها حكم الأخرى فيجوز التعدد فيهما بهذا الطريق، وهذا على قول النووى محتمل وهو فى مذهبنا، وأما على مذهب أبى حنيفة فلا يأتى أصلاً. قال: ثم هذا الاحتمال المذكور مشروط بالانفصال مع عدم اسم جامع بين الأبنية المتفاصلة وإلا فالتفاصل قد يحصل فى المصر أو فى القرية ولا أثر له فإن الاسم الجامع بجميعها يجعلها شيئًا واحدًا، فالتفاصل مع عدم اسم جامع على هذا الاحتمال يجعلها كالقرى فهى شبه قرية. قلت: وهذا من السبكى تقرير نفيس يستدل به على أن الروضة بلد مستقل حيث كان يقال فى القديم مصر والقاهرة والجزيرة فأفردت الروضة باسم مستقل، ويؤخذ منه أيضًا أن جزيرة أروى وهى الجزيرة الوسطى قرية مستقلة تقام فيها جمعة على انفرادها ولا تضم لمصر ولا للقاهرة وكذا حكم بولاق، ولذا قال السبكى: الرابع قرية متصلة بالمصر قريبة من السور أو المصر الذى ليس عليه سور مستقلة فيحتمل أن يقال أنها تابعة للمصر فى حكمه لقربها فهى كالربض ويحتمل أن يقال أنها مستقلة كالمنفصلة عن المصر وعن غيرها من القرى انفصالاً ظاهراً بحيث تعد مستقلة بعدها غير تابعة. وقال الشافعى فى الأم: فى القريات الصغار المتصلة لا أحب إقامة الجمعة فيها وظاهر ذلك يقتضى

الجواز، وقد صرح بالكراهة لاتصالها لا سيما إذا كان أهلها يسمعون النداء من المصر، وعند مالك لا تقام الجمعة فيها بل يجب على أهلها أن يأتوا إلى المصر إلا أن يكون بينها وبين المصر ثلاثة أميال. هذا كله كلام السبكى.

قلت: للروضة شبه بهذا الموضع الرابع من حيث القرب من الفسطاط وسماع النداء منه، لكن يبعدها الفصل بينهما بالنيل خصوصًا فى أيام زيادته، فيبعد أن يقال بكراهة إقامة الجمعة فيها وتكليف السعى إلى الفسطاط لما فيه من المشقة الظاهرة فجعلها من القسم الثانى أقرب، وقد كان أهل الجيزة فى زمن عمرو بن العاص يحضرون الجمعة معه فى جامع الفسطاط وكان ذلك سهلاً عليهم بعبور الجسر ثم إن عقبة بن عامر الصحابى رضى الله عنه أمرهم فى زمن إمارته على مصر أن يجمعوا فى مسجد همدان وهذا دليل قوى على أن الجيزة تفرد بإقامة الجمعة عن مصر لانفصالها بالنيل والروضة مثلها فى ذلك. ثم قال السبكى تقسيم آخر: الأماكن خمسة: المصر، والربض المتصل به لا منفصلاً ولا منفردًا فليس بمصر ولا قرية ولا شبه قرية ولكنه فى حكم المصر فهو جزء من البلد وليس ببلد، الثالث قرية بعيدة عن المصر تجوز إقامة الجمعة فيها عندنا وعند المالكية ولا تجوز عند أبى حنيفة، الرابع قرية قريبة من المصر دون ثلاثة أميال تجوز إقامة الجمعة فيها عندنا ولا تجوز عند المالكية ولا الحنفية، الخامس شبه قرية وهو ما كان بناءًا مفصولا خارجًا عن مصر أو قرية ولم ينفرد باسم خاص فلا نقل فيه ولكن على الاحتمال الذى قدمناه تجوز فيه الجمعة.

قلت: الروضة ليست من القسم الثانى ولا الخامس قطعًا بل هى إما من الثالث أو الرابع ووجه كونها من الثالث تنزل انفصالها بالنيل منزله بعد ثلاثة أميال.

فرع هل يشترط فى الذين تقام بهم الجمعة فى الروضة أن يكونوا قاطنين بها حتى لا تنعقد ممن يأتى إليها متنزها من أهل مصر والقاهرة؟ فيه نظر، والأقرب أن لا يشترط ذلك وإن الشرط أن يكون المكان الذى تقام فيه الجمعة مكان إقامة لقوم فى الجملة حتى تسمى بلدًا أو قرية، وإنه إذا حضر أهل المصر الذى هو بقرية انعقدت بهم الجمعة لأنهم لا يسمون مسافرين عرفا بالمضى إلى مثل هذا المكان، ومرادى بذلك غير القرى البعيدة عن المصر بعدًا ظاهرًا أو المنفصلة عنه انفصالاً بعيدًا، ثم ظهر لى أن يقال بمثل ذلك أيضًا فى البعيدة بعدًا يمكن الآتى منه إلى الجمعة أن يرجع إلى أهله ويبيت عندهم أحدًا من كون الصحابة رضى الله عنهم والتابعين كانوا يأتون الجمعة فى مثل هذا المكان.

روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الجمعة على من أواه الليل» وروى ابن أبى شيبة عن أبى هريرة أنه كان يأتى الجمعة من ميلين، وعن الزهرى قال: كانوا يشهدون الجمعة مع النبى صلى الله عليه وسلم من ذى الحليفة. وعن أبى هريرة قال: تؤتى الجمعة من فرسخين، وعن ابن عمر أنه كان يأتى الجمعة من ثلاثة أميال، وعن أنس أنه قال: أشهد الجمعة من فرسخين. وعن مجاهد قال: كانت العصبة من الرجال والنساء يخرجون مع النبى صلى الله عليه وسلم فما يأتون رجالهم إلا من الغد، وروى عبد الرزاق عن معاذ بن جبل أنه كان يقول على منبره: يا أهل فرد، يا أهل دايرة، قريتين من دمشق إحداهما على أربعة فراسخ والأخرى على خمسة: إن الجمعة لزمتكم وإن لا جمعة إلا معنا.

وروى عن معاوية أنه كان يدعو أهل فاتن فيقول: اشهدوا الجمعة، وأهل فاتن حينئذ من دمشق على أربعة وعشرين ميلاً، وفى الترمذى حديث «أمرنا النبى صلى الله عليه وسلم أن نشهد الجمعة من قباء» فهذه كلها تدل على انعقاد الجمعة بمن يأتى من بعض القرى والبلاد المتقاربة إلى بعضها ولو ضبط ذلك بما لم يصل إلى مسافة القصر لم يكن بعيداً.

ذكر رباط المشتهى

قال المقريزى[1]: «هذا الرباط[2] بروضة مصر[3] وكان به الشيخ المسلك بهاء الدين

---

(١) الخطط حـ٢ ص٤٢٩.

(٢) الرباط هو نوع من الأبنية العسكرية كان يسكنه المجاهدون المرابطون الذين يدافعون عن الإسلام بحد السيف، وكانت الأربطة منتشرة فى صدر الإسلام فى الثغور على الحدود وقد اتخذت شكل التحصينات فى تصميمها فهى عبارة عن أبنية مستطيلة الشكل وفى أركانها أبراج للمراقبة والدفاع، ولما زالت عن تلك الأربطة صفتها الحربية أصبحت بيوتًا للتقشف والعبادة تسكنها الصوفية وأصبحت تبنى داخل المدن ومنها ما خصص للنساء، وهى هنا لجهاد النفس.

(٣) بنى رباط المشتهى فى العصر المملوكى مكان منظرة المشتهى التى تعود للعصر الفاطمى، وقد سمى زاوية الكازرونى نسبة للشيخ الولى الكازرونى المتوفى ليلة الأحد ٥ ذى الحجة ٧٧٤هـ، وكان يقيم فيه هو وجماعة من الصوفية، ثم دفن به، وظلت زاوية الكازرونى قائمة حتى أزيلت فى الأربعينات من هذا القرن لإنفاذ بشارع جامع قايتباى وكان موضعها فى نهاية شارع عبده بدران المتفرع من شارع المنيل بالقرب من محطة أتوبيس الباشا حاليًا.

محمد الكازرونى . قال : ولله در شيخنا العارف شهاب الدين أحمد الشاطر الدمنهورى حيث يقول :

بروضة المقياس صوفية ∴ هم منية الخاطر والمشتهى
لهم على البحر أياد علت ∴ وشيخهم ذاك له المنتهى»

وحكى سبط الشيخ عمر بن الفارض فى أول ديوانه قال : حكى لى ولد الشيخ قال : كان الشيخ يتردد إلى المسجد المعروف بالمشتهى فى أيام النيل ويحب مشاهدة البحر وفيه قال من أبيات :

وطنى مصر وفيها وطرى ∴ ولعينى مشتهاها مشتهاها

فتوجه إليه يومًا فوجد قصَّاراً يضرب مقطعًا على حجر وهو يقول :

قطع قلبى ذا المقطع ∴ فلبنا يصفو أو يتقطع(1)

قال : فلم يزل يكرر هذا السجع كل يوم ويضرب ويضطرب اضطرابًا شديداً ويتواجد وجداً عظيمًا ويتقلب على الأرض ويسكن اضطرابه حتى يظن أنه قد مات ثم يستفيق ويتكلم معنا بكلام ما سمعنا مثله قط ثم يعود إلى حالة وجده ، ولم يزل على هذا الحال من حين سمع قول القصار حتى توفى رضى الله عنه .

ترجمة الشيخ عبد الرحمن الجذامى : قال شيخ الإسلام سراج الدين بن الملقن ومن خطه نقلت من كراريس فيها تراجم الأولياء : الشيخ عبد الرحمن بن موسى بن خلف الجذامى الصالح الخير ذو الكرامات ، عرف بالروضى لسكناه بها ، أخذ عنه شيخنا على الدميرى وغيره ، وكان مقصوداً بالزيارة والتبرك ، مات بروضة مصر فى منتصف رجب سنة سبع وعشرين وسبعمائة .

وفى تاريخ المقريزى : فى سنة ست عشرة وسبعمائة مات الشيخ نور الدين الكنانى المقرى ليلة الأربعاء العشرين من جمادى الأولى بروضة مصر ، وفيه فى سنة أربع وسبعين وسبعمائة توفى الشيخ العارف المسلك بهاء الدين الكازرونى ليلة الأحد خامس ذى الحجة بزاويته التى يقال لها المشتهى بالروضة ، أخذ عن أحمد الحريرى خادم ياقوت العرش خادم أبى العباس المرسى عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى وصحبته زمانًا .

---

(1) فلبنا = طالما فى ب .

وفى إنباء الغمر لشيخ الإسلام والحفاظ أبى الفضل بن حجر[1]: «محمد بن عبد الله الكازرونى، الشيخ بهاء الدين، قدم مصر صحب الشيخ أحمد الحريرى صاحب الشيخ ياقوت العرش[2] تلميذ الشيخ أبى العباس المرسى وانقطع بعده فى المشتهى من الروضة وكان الناس يترددون إليه ويعتقدونه وكان الشيخ اكمل الدين كثير التعظيم له، وانقطع إليه البدر البشتكى وكتب له أشياءاً كثيرة من تصانيف الشيخ محيى الدين بن عربى، وكان يكثر الثناء عليه، وكانت وفاته فى ذى الحجة وأرخه بن دقماق ليلة الأحد خامس ذى القعدة».

ذكــر المنتهــى

ذكره المقريزى فى الخطط وبيض له فلم يذكر فيه شيئًا وقد سكن به من الصوفية السادة الوفائية.

ترجمة سيدى محمد وفا الأكبر والد أهل البيت الوفائى: قال الحافظ ابن حجر فى كتابه «الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة[3]»: «محمد بن محمد أبو الوفا الشاذلى أخذ عن الشيخ ياقوت العرش وغيره ونبغ فى النظم وأنشأ قصائد على طريقة ابن القارض واشتهر. مات فى ربيع سنة خمس وستين وسبعمائة».

وفى إنباء الغمر[4]: «أبى الحسن على بن محمد بن أبى الوفا محمد الشاذلى الصوفى، ولد بالقاهرة سنة تسع وخمسين وسبعمائة، وكان يقظًا حاد الذهن، اشتغل بالوعظ والأدب، وكان أبوه معجبًا به، وأذن له فى الكلام على الناس وهو دون العشرين، وكان أكثر إقامته[5] بالروضة قرب المشتهى، وله من التصانيف «الباعث على الخلاص من سوء الظن بالخواص»[6] رد فيه على الحافظ زين الدين العراقى فى كتابه الذى سماه «الباعث على الخلاص من حوادث القصاص» وله كتاب «الكوثر المترع فى

---

(١) إنباء الغمر بأنباء العمر، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية حـ١ هى ٤٩-٥٠.

(٢) الحبشى فى النسخة ب، د، هـ.

(٣) ط حيدر آباد ١٣٤٨هـ/ ١٣٥٠هـ، حـ١ ص ٤٩-٥٠.

(٤) حـ٢ ص ٣٠٨-٣٠٩.

(٥) أوقاته فى المخطوط.

(٦) فى إنباء الغمر ورد أسمه «الباعث على الخلاص فى أحوال الخواص».

الأبحر الأربع»، وديوان شعر وموشحات وفصول مواعظ، وكان مالكى المذهب، مات بالروضة فى ذى الحجة سنة سبع وثمانمائة»، وأخوه شهاب الدين أحمد صاحب أحوال وهو أسن من على وعلى هو الأشهر مات فى شوال سنة اثنتى عشرة وثمانمائة وله ست وخمسون[1] ونبغ له ولد وهو أبو الفضل عبد الرحمن بن الشيخ شهاب الدين، كان ذكيًا حسن الأخلاق لطيف الطباع له الشعر الفائق، غرق فى بحر النيل هو ومحمد بن عبيد البشكالسى وقاضى المالكية جمال الدين عبد الله بن التنسى[2] وذلك فى سنة أربع عشرة وثمانمائة، وقال العينى: كانوا اجتمعوا فى منظرة بالروضة وأرادوا الركوب فى مركب إلى الآثار فامتنع أبو الفضل أشد الامتناع فلم يزالوا به حتى ركب، وحكى أنه لما ركب قال لرفقته عجبًا إن نجونا من الغرق فلم يتم كلامه حتى انقلب المركب بهم[3].

ورأيت بخط بعض أصحابنا المؤرخين قال: حكى لى من أثق به أن أبا الفضل المذكور جاء يومًا إلى الروضة ليعدى إليها فوقف ينتظر المعدية فإذا بها انقلبت وغرق منها رجل من أصحابه ولم يطلع به ولا وجد فتمنى أبو الفضل أن يموت غريقًا يستره البحر من الغاسل ويستريح من هول الموت والقبر فحصل له ما تمنى، غرق وفتش عليه فلم يوجد مع الفحص عنه أيامًا، قلت: الغرق وإن كان شهادة فقد استعاذ منه النبى صلى الله عليه وسلم فقال فى دعائه «وأعوذ بك أن أموت غريقًا» وأنا أحب ما يحبه النبى صلى الله عليه وسلم وأكره ما كرهه وأسأل ما سأله وأستعيذ مما استعاذ منه حبًا فيه واتباعًا لسنته واقتداءً به فى كل شئ، ووالله إنى لأود لو لدغتنى عقرب فى عمرى مرة لأكون قد اقتضيت به فى ذلك فإنه صلى الله عليه وسلم قد لدغ بها مرة أو أكثر فأتمنى لو وقع لى ذلك فإنى لم ألدغ بها فى عمرى قط، وأحب الموتات إلىّ الموته التى مات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادة بالسم وبذلك مات أبو بكر الصديق والحسن سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلق لا يحصون من أكابر العلماء، وفى كتاب صلة التكملة لوفيات النقلة تأليف الحافظ عز الدين الحسينى، مجد الدين محمد بن الأمير أبى العلا ابن أبى بكر بن مبارك بن أبى طالب النجمى الموصلى الأصل المصرى المولد والدار المعروف بابن أخى المهتر بكسر الميم وسكون الهاء وفتح التاء ثالث الحروف وأخره راء، ولد فى ذى الحجة سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة، وسمع من أبى الفضل بن كرم بن محمد بن أبى الصقر،

---

(١) إنباء الغمر حـ٢ ٤٣٨.

(٢) النشى فى جـ، المعتبى فى د.

(٣) إنباء الغمر حـ٢ ص٤٩٨.

وأبى على الحسن بن عبد الرحمن الأنصارى، وأبى محمد عبد القادر بن عبد الله البغدادى، وأبى المكارم عبد الله بن الحسن السعدى وغيرهم، وحدث، سمعت منه، وكان فاضلا نبيلا وجيهًا، وتولى عدة ولايات وهو من بيت رئاسة وتقدم، مات فى ثانى جمادى الآخر سنة اثنتين وثمانين وستمائة ودفن بالروضة حضرت الصلاة عليه ودفنه.

الكلام على النيل

ذكر وروده فى القرآن: قال التيفاشى فى كتاب سجع الهديل: لم يسم نهر من الأنهار فى القرآن سوى النيل فى قوله تعالى ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم﴾[1] قال المفسرون على أن المراد باليم هنا نيل مصر انتهى.

وقال الإمام الجليل الحافظ أبو محمد بن أبى حاتم الرازى فى تفسير قوله تعالى ﴿فألقيه فى اليم﴾ قال: هو النيل، وقال تعالى حكاية عن فرعون ﴿أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى﴾[2] وقال تعالى ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم﴾[3] قال أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم فى فتوح مصر[4] حديثًا عن عبد الرحمن بن شماسه المهرى عن أبى رهم السماعى الصحابى رضى الله عنه قال: كانت مصر قناطر وجسوراً بتدبير وتقدير حتى أن الماء ليجرى تحت منازلها وأفنيتها فيحسبونه كيف شاءوا ويرسلونه حيث شاءوا، فذلك قوله تعالى فيما حكى فى قول فرعون ﴿أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى أفلا تبصرون﴾، ولم يكن فى الأرض يومئذ ملك أعظم من ملك مصر، وكانت الجنان بحافتى النيل من أوله إلى آخره فى الجانبين جميعا ما بين أسوان إلى رشيد، وسبعة خلج (هى) خليج الإسكندرية، وخليج سخا، وخليج دمياط، وخليج منف، وخليج الفيوم، وخليج المنهى، وخليج سردوس، جنات متصلة لا ينقطع أبدًا منها شئ عن شئ والزرع ما بين الجبلين من أول مصر إلى آخرها مما يبلغه الماء، وكان جميع أرض مصر

---

(١) سورة القصص آية ٧.

(٢) سورة الزخرف أيه ٥١.

(٣) سورة الشعراء آية ٥٧، آية ٥٨.

(٤) ص٦.

كلها تروى من ستة عشر ذراعًا لما قدروا ودبروا من قناطرها وخلجها وجسورها فذلك قوله تعالى ﴿كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾، قال: والمقام الكريم: المنابر؛ كان بها ألف منبر»، وقال تعالى ﴿وجعلنا بن مريم وأمه آية وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾[1] قال ابن أبى حاتم فى تفسيره: أخبرنا أبو يزيد القراطيسى فيما كتب إلىّ: انبأنا أصبغ قال: سمعت عبد الرحمن بن زيد بن أسلم يقول فى قوله تعالى ﴿وأويناهما إلى ربوة﴾ قال: هى مصر، وليس الربا إلا بمصر، والماء حين يرسل يكون الربا عليها القرى ولولا الربا لغرقت القرى.

قال الإمام أبو بكر بن المنذر فى تفسيره: حدثنا حاتم. حدثنا يحيى بن عبد الحميد. حدثنا عبد الله بن المبارك عن محمد بن زياد. قال: سمعت وهب بن منبه يقول فى قوله تعالى ﴿إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ قال: مصر. وقال حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى. حدثنا بشار بن موسى. حدثنا شريك عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير فى الآية قال: الربوة النشز[2] من الارض، والقرار المستوى، والمعين الماء الجارى.

وقال جويبر فى تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما: أن عيسى عليه السلام كان يرى العجائب فى صباه إلهامًا من الله تعالى ففشى ذلك فى اليهود، وترعرع عيسى فهمت به بنو إسرائيل فخافت أمه عليه فأوحى الله إليها أن تنطلق به إلى أرض مصر فذلك قوله تعالى ﴿وأويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ أخرجه الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر فى ترجمة عيسى عليه السلام فى تاريخ دمشق.

وقال تعالى ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها﴾[3]. قال الليث بن سعد: هى مصر بارك فيها بالنيل، حكاه أبو حيان فى تفسير[4] البحر.

وقال القرطبى فى هذه الآية: الظاهر إنهم ورثوا أرض القبط وقيل أرض الشام ومصر. قاله الحسن وقتادة وغيرهما.

---

(١) سورة المؤمنون آية ٥٠.
(٢) المنشر فى ج.
(٣) سورة الأعراف الآية ١٣٧.
(٤) تسير فى ح.

وقال تعالى ﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فتخرج به زرعا تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾[1] هى أرض مصر لا مطر لها فيسوق الله إليها النيل، وقواه الحافظ عماد الدين ابن كثير فى تفسيره.

ذكر أسمائه

قال الدارانى[2] فى ديوان الأدب: النيل فيض مصر، وقال التيفاشى قد ذكرت العرب النيل فى أشعارها وضربت به الأمثال. قال قيس بن معدى كرب فيما أورده الجاحظ فى كتاب الأمصار:

ما النيل أصبح زاخرا بمدوده ∴ وجرت له الصبا فجرى لها[3]

وقال ابن دريد فى الجمهرة: اليم فسروه فى التنزيل البحر وزعم قوم أنها لغة سريانية والله أعلم.

وقال المسعودى[4]: نهر النيل من سادات الأنهار وأشراف البحار لأنه يخرج من الجنة على ما ورد به خير صاحب الشريعة وقد ذكر الحكماء أنه إذا زاد غاضت له الأنهار والأعين والآبار، وإذا غاض زادت، فزيادته من غيضها وغيضه من زيادتها، وليس فى أنهار الدنيا نهر يسمى بحراً غير نيل مصر لكبره واستبحاره.

وفى الخطط للمقريزى قال فى كتاب هردسوس[5]: نهر النيل هو الذى يسمى باون[6] مخرجه خفى لكن ظاهر إقباله من أرض الحبشة.

ذكر الأحاديث الواردة فى النيل

قال الإمام أحمد فى مسنده: حدثنا ابن نمير. حدثنا عبيد الله بن حبيب بن عبد الرحمن بن حفص بن عاصم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

---

(١) سورة السجدة الآية ٢٧.
(٢) الفارابى فى جـ، الدارقطنى فى د.
(٣) لها = بها فى حـ.
(٤) السعودى فى ب، حـ.
(٥) هرد سقوس فى المخطوط وهيردسوس فى الخطط حـ١ ص٥٣.
(٦) بادون فى المخطوط وباون فى الخطط حـ١ ص٥٣.

وسلم قال: «إن سيحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة» أخرجه مسلم في صحيحه[1].

وقال الإمام أحمد في مسنده أيضًا: حدثنا عفان. حدثنا همام. سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك أن مالك بن صعصعة حدثه أن نبي الله صلى الله عليه وسلم حدثهم عن ليلة أسرى به قال: «ثم رفعت إلى سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات» أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما.

وقال ابن السني في الطب النبوي: حدثنا أبو محمد بن صاعد. حدثنا العباس بن يزيد الرملي. حدثنا مروان بن معاوية الفزاري. حدثنا إدريس بن يزيد الأودي عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أربعة أنهار من الجنة، النيل والفرات وسيحان وجيحان».

وقال الحافظ أبو بكر بن مزدويه في تفسيره المسند: حدثنا محمد بن عبد الله بن إبراهيم. حدثنا اسماعيل الترمذي. حدثنا سعيد بن سابق. حدثني مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار: سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجله والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم فذلك قوله تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾[2] فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الأرض القرآن والفهم كله والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم الخليل وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة، فيرفع كل ذلك إلى السماء، فذلك قوله ﴿وإنا على ذهابه لقادرون﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أرضها خيرها. أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد، والحافظ ضياء الدين المقدسي في صفة الجنة، وشاهده ما أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه عن طريق السعودي عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن تطلبوا في قراكم هذه طستا من ماء فلا تجدونه»[3] يروى كل ماء إلى عنصره فيكون بالشام بقية المؤمنين والماء.

---

(١) انظر النجوم الزاهرة حـ١ ص٣٤.

(٢) سورة المؤمنون الآية ١٨.

(٣) رواه ابن ماجة والترمذي.

وفي غريب الحديث لابن قتيبة في حديثه عليه الصلاة والسلام «نهران مؤمنان ونهران كافران، أما المؤمنان فالنيل والفرات وأما الكافران فدجله ونهر بلخ». قال ابن قتيبة: إنما جعل النيل والفرات مؤمنين على التشبيه لأنهما يفيضان على الأرض ويسقيان الحرث والشجر بلا تعب في ذلك ولا مؤونة وجعل دجله ونهر بلخ كافرين لأنهما لا يفيضان على الأرض ولا يسقيان شيئًا إلا قليلاً وذلك القليل بتعب ومؤونه، فهذين في الخير والنفع كالمؤمنين وهذان في قلة الخير والنفع كالكافرين[1].

وأخرج بن مزدويه في تفسيره عن الكلبي في قوله تعالى: ﴿مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن﴾[2] الآية. حدثني أبو صالح عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما أسري بي فانطلق بي الملك فانتهى بي إلى نهر الخمر فإذا عليه إبراهيم عليه السلام فقلت للملك: أي نهر هذا؟ قال: هذا نهر دجلة. فقلت: إنه ماء. فقال: إنه ماء في الدنيا يسقي الله به من يشاء وهي في الآخرة خمر لأهل الجنة. قال: ثم انطلقت مع الملك إلى نهر الرب فقلت للملك: أي نهر هذا؟ قال: هذا جيحون وهو الماء غير آسن وهو في الدنيا ماء يسقي به من يشاء وهو في الآخرة ماء غير آسن ثم انطلق فأبلغني نهر اللبن الذي يلي القبلة فقلت للملك: أي نهر هذا؟ فقال: هذا نهر الفرات. فقلت: هو ماء. فقال: هو ماء يسقي الله به من يشاء في الدنيا وهو لبن في الآخرة لذرية المؤمنين الذين رضي الله عنهم وعن آبائهم. ثم انطلق بي الملك فابلغني نهر العسل الذي يخرج من جانب المدينة فقلت للملك الذي أرسل معي: أي نهر هذا؟ قال: هذا نهر مصر. قلت: ما هو؟ قال: هو ماء يسقي الله به من يشاء في الدنيا وهو في الآخرة عسل لأهل الجنة»[3].

وأخرج الديلمي في مسند الفردوس من حديث حذيفة مرفوعًا: «خراب مصر من جفاف النيل».

وفي الميزان للذهبي عن طريق سفيان ابن وكيع. حدثنا يونس بن بكير عن أبي إسحق عن عبيد الله بن يزيد عن عبد الله بن معتب عن أبي هريرة مرفوعًا: لو التمستم النيل لوجدتم فيه من ورق الجنة قال الأزدي: ليس بذاك.

وأورده ابن الوردي في كتاب خريدة العجائب بلفظ: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم فيه من ورقها».

---

(١) الخطط جـ١ ص٥١.   (٢) سورة الرعد الآية ٣٥.

(٣) رواه الترمذي والدارقطني.

ذكر الآثار الموقوفة

قال ابن عبد الحكم فى فتوح مصر[1]: حدثنا عبد الله بن صالح. حدثنا الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن كعب الأحبار إنه كان يقول: أربعة أنهار من الجنة وضعها الله فى الدنيا، فالنيل نهر العسل فى الجنة والفرات نهر الخمر فى الجنة وسيحان نهر الماء فى الجنة وجيحان نهر اللبن فى الجنة.

وقال الحارث بن أبى أسامة فى مسنده: حدثنا سعيد بن شرحبيل عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير قال: قال نهر النيل نهر العسل فى الجنة، ونهر دجلة نهر اللبن فى الجنة، ونهر الفرات نهر الخمر فى الجنة، ونهر سيحان نهر الماء فى الجنة. قال: فأطفأ الله نورهن إلى الجنة. أخرجه البيهقى فى البعث والنشور والخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد.

وقال الخطيب فى تاريخه: أخبرنا الحسن بن أبى بكر. أنبأنا أبو على عيسى بن محمد الطومارى. حدثنا أحمد بن محمد البراء. حدثنا عبد المنعم بن إدريس. حدثنى أبى. قال: ذكر وهب بن منبه إن فى ربض الجنة نهرا من أنهار الجنة فهو أصل أنهار الأرض كلها التى أظهرها الله سبحانه حيثما أراد أن يظهرها وإن النيل نهر العسل فى الجنة ودجلة نهر اللبن فى الجنة والفرات نهر الخمر فى الجنة وسيحان وجيحان نهران بأرض الهند وهما نهرا الماء فى الجنة.

وقال ابن عبد الحكم[٢]: حدثنا عثمان بن صالح. حدثنا ابن ربيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن معاوية بن أبى سفيان سأل كعب الأحبار: هل تجد لهذا النيل فى كتاب الله خبرا؟ قال: أى والذى فلق البحر لموسى أنى لأجده فى كتاب الله يوحى إليه فى كل عام مرتين، يوحى إليه عند جريه إن الله يأمرك أن تجرى فيجرى ما كتب الله له، ثم يوحى إليه بعد ذلك يا نيل عد حميدا. أخرجه القضاعى فى كتاب عجائب مصر من وجه آخر عن ابن لهيعة.

وقال ابن عبد الحكم[٣]: حدثنا عثمان بن صالح. حدثنا ابن لهيعة عن وهب بن عبد الله المعافرى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: نيل مصر سيد

---

(١) ص ١٤٠-١٤١.

(١) فتوح مصر والمغرب ص١٤٩، النجوم حـ١ ص٣٣-٣٤.

(٢) نفسه.

الأنهار، سخر الله له كل نهر بين المشرق والمغرب، فإذا أراد الله أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فأمدته الأنهار بمائها، وفجر الله له الأرض عيونا فإذا انتهت جريته إلى ما أراد الله أوحى الله إلى كل ماء أن يرجع الى عنصره. أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره عند قوله تعالى ﴿كم تركوا من جنات وعيون﴾.

وأخرجه القضاعى فى عجائب مصر من وجه آخر عن ابن لهيعة.

وأورد ابن زولاق وغيره عن عبد الله بن عمر قال: لما خلق الله آدم مثل له الدنيا مشرقها ومغربها وسهلها وجبلها وأنهارها وبحارها وبناها وخرابها ومن يسكنها من الأمم ومن يملكها من الملوك، فلما رأى مصر رأى أرضًا سهلة ذات نهر جار مادته من الجنة تنحدر فيه البركة وتمزجه الرحمة ورأى جبلاً من جبالها مكسوا نورًا لا يخلو من نظر الرب إليه بالرحمة فى سفحه أشجار مثمرة فروعها فى الجنة تسقى بماء الرحمة، فدعى آدم فى النيل بالبركة ودعى فى أرض مصر بالرحمة وبارك على سهلها وجبلها.

وأورد غيره عن عبد الله بن سلام قال: مصر أم البركات تعم بركتها من حج بيت الله الحرام من أهل المشرق والمغرب وإن الله يوحى إلى نيلها فى كل عام مرتين مرة عند جريانه فيوحى الله إليه إن الله يأمرك أن تجرى كما تؤمر، ثم يوحى إليه ثانية إن الله يأمرك أن تغيض حميدا فيغيض وأن بلد مصر معافاة وأهلها أهل عافية، وهى آمنة مما يقصدها بسوء، ومن أرادها بسوء كبه الله على وجهه، ونهرها نهر العسل ومادته من الجنة وكفى بالعسل طعامًا وشرابًا.

وأورد عن حيوة بن شريح عن عقبة بن مسلم يرفعه إن الله يقول يوم القيامة لساكنى مصر يعدد عليهم «ألم أسكنكم مصر فكنتم تشبعون من خبزها وتروون من مائها».

وقال ابن عبد الحكم(١): «حدثنا عثمان بن صالح. حدثنا ابن لهيعة عن عياش القتبانى عن حنبش(٢) بن عبد الله الصنعانى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه قال: كان مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام نائما إلى جنب حام، فنادى نوح ولده وهم نيام عند السحر فأجابه سام ولم يجبه حام، فدعى عليه أن يجعل ولده أذلاء وأن يجعلهم عبيدًا لولد سام، فلما سمع مصر دعاء نوح على جده وولده قام يسعى إلى نوح وقال: يا جدى قد أجبتك إذا لم يجبك أبى ولا أحد من ولده فاجعل لى دعوة من

---

(١) فتوح مصر والمغرب ص ٧-٨.

(٢) عنبس فى د.

دعوتك، ففرح نوح ووضع يده على رأسه وقال: اللهم إنه قد أجاب دعوتى فبارك فيه وفى ذريته وأسكنه الأرض المباركة التى هى أم البلاد وغوث العباد التى نهرها أفضل أنهار الدنيا واجعل فيها أفضل البركات وسخر له ولولده الأرض وذللها لهم وقوهم عليها».

وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبى حبيب عن سالم بن أبى سالم عن عبد الله بن عمرو قال: إنى لأعلم السنة التى تخرجون فيها من مصر قال: فقلت له: ما يخرجنا منها يا أبا محمد أعدو؟ قال: لا ولكن يخرجكم منها نيلكم هذا، يغور فلا يبقى منه قطرة حتى يكون فيه الكثبان من الرمل وتأكل سباع الأرض حيتانه.

وعن وهب بن منبه قال: خراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها.

وعن عبد الله بن الصامت قال: إن اسرع الأرضين خرابا البصرة ومصر قيل: وما يخربهما وفيهما عيون الرجال والأموال؟ فقال: يخربهما القتل الأحمر والجوع الأغبر، كأنى بالبصرة كأنها نعامة جاثمة، وأما مصر فإن نيلها ينضب أو قال ييبس فيكون ذلك خرابها.

وقال قاسم بن أصبغ: حدثنا أحمد بن زهير. حدثنا هارون بن معروف. حدثنا حمزة[1] عن الشيبانى أنه قال: تهلك مصر غرقًا أو حرقًا.

وقال أبو[2] الحسن بن الخير بن الموصلى الفراء فى فوائده: أخبرنا الحسين بن الصميدع الإنطاكى. حدثنا محمد بن المبارك. حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد الله ابن دينار أن كعب كان يقول خراب الجزيرة اختلاف الجيوش فيها، وخراب أرمينية الصواعق وخراب مصر انقطاع نيلها.

ذكر كلام الناس فى منبع النيل ومخرجه وزيادته

قال صاحب مباهج الفكر: ذكر أبو الفضل قدامة بن جعفر فى كتاب الخراج إن مجموع ما فى العمور من الأنهار مائتان وثمانية وعشرون نهرًا منها ما يجرى من المشرق إلى المغرب ومنها ما يجرى من الشمال إلى الجنوب ومنها ما جريانه كنهر النيل من الجنوب إلى الشمال ومنها ما هو مركب من هذه الجهات كالفرات وجيحون. قال: فأما

---

(١) صخرة فى جـ، هـ، و.

(٢) أبو ساقطة فى جـ، هـ.

النيل فذكر قدامه أن انبعاثه من جبل القمر وراء خط الإستواء من عين تجرى منها عشرة أنهار كل خمسة منها تصب إلى بطيحة، ثم يخرج من كل بطيحة نهران، وتجرى الأربعة أنهار إلى بطيحة كبيرة فى الإقليم الأول، ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل[١].

وذكر صاحب نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق: إن هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها متوحشين يأكلون من وقع إليهم من الناس، ومن هذه البحيرة يخرج نهر غانه وبحر الحبشة فإذا خرج النيل منها شق بلاد كورى ثم بلاد تند[٢] طائفة من السودان بين كانم والنوبة، فإذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربيها إلى المغرب وانحدر إلى الإقليم الثانى فيكون على شطيه عمارة النوبة وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى، ثم يشرف إلى الجنادل[٣] وإليها تنتهى مراكب النوبة انحداراً ومراكب الصعيد الأعلى صعوداً، وهناك أحجار مضرسة لا مرور للمراكب عليها إلا فى وقت زيادة النيل، ثم يأخذ إلى الشمال فيكون على شرقيه مدينة أسوان من الصعيد الأعلى ثم يمر بين جبلين مكتنفين لأعمال مصر شرقى وغربى إلى الفسطاط فإذا تجاوزها مسافة يوم انقسم قسمين أحدهما يمر حتى يصب فى بحر الروم عند دمياط ويسمى بحر الشرق والآخر وهو عمود النيل ومعظمه يمر حتى يصب فى بحر الروم عند رشيد ويسمى بحر الغرب، ومسافة النيل من منبعه إلى أن يصب فى رشيد سبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخًا، وقيل إنه يجرى فى الخراب أربعة أشهر، وفى بلاد السودان شهرين وفى بلاد الإسلام شهراً،[٤] وليس فى الأرض نهر يزيد حين تنقص الأنهار غيره، وذلك إن زيادته تكون فى القيظ الشديد فى شمس السرطان والأسد والسنبلة، وروى أن الأنهار تمده بمائها. وقال قوم: إن زيادته من ثلوج يذيبها الصيف وعلى حسب مددها تكون كثرته وقلته، وذهب آخرون إلى أن زيادته بسبب أمطار كثيرة تكون ببلاد الحبشة، وذهب آخرون إلى أن زيادته عن اختلاف الرياح وذلك أن الشمال إذا هبت عاصفة تهيج البحر الرومى فيدفع إليه ما فيه منه فيفيض على وجه الأرض فإذا هبت الجنوب سكن هيجان البحر فيسترجع منه ما رده إليه فينقص.

---

(١) المقريزى، الخطط حـ١ ص٥٣.

(٢) نته ص هـ، متد فى ب، د، ينه فى الخطط حـ١ ص٥٣.

(٣) الجداول فى ب.

(٤) المقريزى، الخطوط حـ١ ص٥٣-٥٤.

وزعم اخرون إلى أن زيادته من عيون على شاطئيه يرأها من سافر ولحق بأعاليه. وقال آخرون إن مجراه من جبال الثلج وهي بجبل قاف وإنه يخرق البحر الأخضر ويمر على معادن الذهب والياقوت والزمرد والمرجان فيسير ما شاء الله إلى أن يأتي إلى بحيرة الزنج. قالوا: ولولا دخوله في البحر المالح وما يختلط به منه لم يستطع شربه لشدة حلاوته.

وزيادته بتدريج وترتيب في زمان مخصوص ومدة معلومة، وكذلك نقصه، وانتهاء زيادته التي يحصل بها الري لأرض مصر ستة عشر ذراعًا والذراع أربعة وعشرون إصبعا فإن زاد على الستة عشر ذراعًا واحدًا ازداد في الخراج مائة ألف دينار لما يروى من الأراضي[1] العالية، والغاية القصوى في الزيادة ثمانية عشر ذراعًا، هذا في مقياس مصر فإذا انتهى فيه إلى ذلك كان في الصعيد الأعلى اثنين وعشرين ذراعًا لارتفاع البقاع التي يمر عليها ويسوق الري إليها، فإذا انتهت زيادته فتحت خلجانًا وترع يجري الماء فيها يمينًا وشمالاً إلى البلاد البعيدة، عن مجرى النيل حكمة دبرت بالعقول السليمة وقدرت، ومنافع مهدت من الزمن القديم وقررت، ويحصل لأهل مصر يوم وفائه الستة عشر التي هي قانون الري سرور شديد بحيث يركب الملك في خواص دولته الحراريق المزينة إلى المقياس ويمد فيه سماطًا ويخلق العمود الذي يقاس فيه ويخلع على القياس ويعطيه صلة مقررة له. وقد ذكر بعض المفسرين أنه يوم الزينة الذي وعد فرعون موسى عليه السلام بالاجتماع فيه. هذا كله كلام مباهج الفكر.

وفي الخطط للمقريزي[2]: ذهب قوم إلى أن زيادة النيل إنما تكون بسبب المد الذي يكون في البحر المالح فإذا فاض ماؤه تراجع النيل وفاض على الأراضي، فإذا حصل الجزر تراجع البحر ونقص النيل ووضع في ذلك كتابًا انتهى. قلت: وقد ورد في المد والجزر حديث مرفوع وقد اختلف في ضبط جبل القمر فقيل إنه بفتح القاف والميم بلفظ القمر رفيق الشمس. قال التيفاشي: وإنما سمي بذلك لأن العين تقمر فيه إذا نظرت إليه لشدة بياضه. قال: وبذلك أيضًا سمي القمر قمرًا. قال: وهذا الجبل مستطيل من المشرق للمغرب، نهايته في ناحية المغرب إلى حد الخراب، ونهايته في المشرق إلى مثل ذلك، وهو نفسه بجملته في الخراب من ناحية الجنوب، وله أعراق في الهوى منها طوال

(١) البلاد في ب، جـ، د.
(٢) حـ١ ص ٥٥.

ومنها دونها، وذكر بعضهم إن أناسًا انتهوا إلى هذا الجبل وصعدوه فرأوا وراءه بحرًا عجاجا ماؤه أسود كالليل يشقه نهر أبيض كالنهار يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من شماله ويتشعب على قبة هرمس المبنية هناك، وزعموا أن هرمس الهرامسة وهو إدريس عليه السلام فيما يقال بلغ ذلك الموضع وبنى به قبة. وذكر بعضهم أن أناسًا صعدوا الجبل فصار الواحد منهم يضحك ويصفق بيديه وألقى نفسه إلى وراء الجبل فخاف البقية أن يصيبهم مثل ذلك فرجعوا، وقيل إن أولئك إنما رأوا حجر الباهت[1] وهى أحجار براقة كالفضة البيضاء تتلألأ، كل من نظرها ضحك والتصق بها حتى يموت وتسمى مغناطيس الناس.

وذكر بعضهم أن ملكًا من ملوك مصر الأول جهز أناسًا للوقوف على أول النيل فانتهوا إلى جبال من نحاس، فلما طلعت عليها الشمس انعكست عليهم الأشعة الواقعة عليها فأحرقتهم، وقيل إنهم انتهوا إلى جبال براقة لماعة كالبلور فلما انعكست عليهم أشعة الشمس الواقعة عليها أحرقتهم.

وقال بعضهم جبل القُمر بضم القاف وسكون الميم وراءمهملة جبل جزيرة تسمى جزيرة القمر بهذا الضبط تحاذى جزيرة سرنديب طولها أربعة أشهر فى عرض عشرين يومًا، وإليها ينسب الطائر القمرى، وممن ضبطه كذلك ياقوت الحموى فى كتاب المشترك وضعا المختلف صقعا[2]، وعلى بن سعيد المغربى وغيرهما ونقله الملك المؤيد إسماعيل فى تقويم البلدان، وقال صاحب مرآة الزمان: ذكر أحمد بن بختيار أن العين التى فى أصل النيل هى أول العيون من جبل القمر ثم ينبعث منها عشرة أنهار نيل مصر أحدها. قال: والنيل يقطع الإقليم الأول ثم يجاوزه إلى الثانى، ومن ابتدائه من جبل القمر إلى إنتهائه إلى البحر الرومى ثلاثة آلاف فرسخ، ويبتدئ بالزيادة فى نصف حزيران وينتهى فى أيلول. قال: واختلفوا فى سبب زيادته فقال قوم لا يعلم ذلك إلا الله تعالى وقال آخرون سببه زيادة عيونه وقال آخرون وهو الظاهر سببه كثرة المطر والسيول ببلاد الحبشة والنوبة وإنما يتأخر وصوله إلى الصيف لبعد المسافة، ورد ذلك قوم بأن عيونه التى تحت جبل القمر تتكدر فى أيام زيادته فدل على أنه فعل الله من غير المطر قال: وجميع الأنهار تجرى إلى القبلة سواه فإنه يجرى إلى ناحية الشمال وكذا العاصى بحماه، قال: ومتى

---

(١) الباهب فى ب، د.

(٢) وقعا فى ب، جـ، ء.

بلغ ستة عشر ذراعًا استحق السلطان الخراج وإذا بلغ ثمانية عشر ذراعًا قالوا يحدث بمصر وباء عظيم انتهى.

وقال التيفاشي في سجع الهديل: وذكر جماعة من المنجمين وأرباب الهيئة أن النيل يجيء من خلف خط الاستواء بإحدى عشرة درجة ونصف ويأخذ نحو الجنوب إلى أن ينتهي إلى دمياط والإسكندرية وغيرهما عند عرض ثلاثين في الشمال. قالوا فمن بدايته إلى نهايته اثنان وأربعون ومائة درجة كل درجة ستون ميلاً وثلث بالتقريب فيكون طوله من الموضع الذى يبتدئ منه إلى الوضع الذى يصب فيه إلى البحر المالح ثمانية آلاف ميل وستمائة وأربعة وعشرون ميلاً[1] وثلث ميل على القصد والإستواء وله تعريجات شرقًا وغربًا يطول ذكرها ويزيد على ما ذكرناه.

قال التيفاشي: وسبب زيادة النيل هبوب ريح تسمى ريح الملتن وذلك لسببين: احدهما إنها تحمل السحاب الماطر خلف خط الاستواء فيمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة، والثاني: إنها تأتي وجه البحر المالح فيقف ماؤه في وجه النيل فيتراجع حتى يروى البلاد، وفي ذلك يقول الشاعر:

اشفع فللشافع أعلا يد ∴ عندي وأسنى من يد المحسن[2]
فالنيل ذو فضل ولكنه ∴ الشكر في ذلك للملتن

وقال المسعودي: قالت الهند: زيادة النيل ونقصانه بالسيول وكثرة الأمطار، وقالت الروم: زيادته ونقصانه من عيون كثرت واتصلت، قال القبط: هي من عيون في شاطئيه يراها من سافر ولحق بأعاليه، وقال قوم: زيادته بريح الشمال إذا كثرت واتصلت تحبسه فيفيض على وجه الأرض. وقال قوم: سبب زيادته هبوب ريح تسمى الملتن وذلك إنها تحبس[3] السحاب الماطر خلف خط الإستواء فتمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة فيصل مدده إلى مصر بزيادة النيل، ومع ذلك فإن البحر المالح يقف ماؤه في وجه النيل فيتوقف حتى يروى البلاد، ويبتدئ النيل بالزيادة بقية بؤونة وهو حزيران وأبيب وهو

---

(١) في حـ ستمائة واربعون، وفي هـ ستمائة وأربعة عشر.

(٢) ورد هذا البيت في الخطط حـ١ ص٥٩:

فاسمع فللسامع أعلى يدا ∴ عندي وأسمى من يد المحسن

(٣) تحمل في هـ، و.

تموز ومسرى وهو آب[1] فإذا كان الماء زائدًا زاد شهر توت كله وهو أيلول إلى انقضائه فإذا انتهت الزيادة إلى ثمانية عشر ذراعًا ففيه تمام الخراج وخصب الأرض، وفى سبعة عشر ذراعًا كفايتها فإذا زاد على ثمانية عشر ذراعًا عقبه حدوث وباء، وأكثر الزيادات ثمانية عشر، وقد بلغ فى خلافة عمر بن عبدالعزيز تسعة عشر ذراعًا، ومساحة الذراع إلى أن يبلغ اثنى عشر ذراعًا ثمانية وعشرون إصبعا ثم يكون أربعة وعشرون إصبعا إلى نهايته[2]، وأقل ما يبقى فى قاع المقياس من الماء ثلاثة أذرع وفى تلك السنة يكون الماء قليلا والأذرع التى يستسقى عليها بمصر ذراعان يسميان منكرًا ونكيرًا وهما الذراع الثالث عشر والرابع عشر إذا تخلفت الزيادة عنهما استسقى الناس بمصر وكان الضرر الشامل لكل البلدان، وإذا تم خمسة عشر ودخل فى ستة عشر كان فيه صلاح لبعض الناس ولا استسقاء فيه وكان ذلك نقصًا من خراج السلطان، وقد كانت مصر كلها تروى من ستة عشر ذراعًا عامرها وغامرها لما أحكموا من جسورها وبناءقناطرها وتنقية خلجانها، وقد تغير ذلك المعمول عليه فى وقتنا هذا وهو سنة خمس وأربعين وثلاثمائة إنه إن زاد على الستة عشر ذراعا أو نقص عنها نقص من خراج السلطان. قال: وقد كانت مصر فى أول الزمان يركب أرضها ماء النيل بأسرها ولم يزل الماء ينضب عن أرضها قليلاً قليلاً حتى امتلأت أرض مصر من المدن والعمائر وطرقوا للماء وحفروا له الخلجان وعقدوا فى وجهه المسنيات.

وذكر أرسطاطاليس فى كتاب الآثار العلوية: إن النيل كان يطيف[3] على أرض مصر فيملأ ما بين الجبلين وكان الناس يسكنون بالمغائر فى جبل المقطم وكان فيه مغائر متسعة[4] تنفذ إلى القلزم[5] كل مغارة تسع أهل مدينة.

وقال أحمد بن يوسف التيفاشى فى كتابه سجع الهديل فى أوصاف النيل: ذكر أئمة التاريخ أن آدم عليه السلام أوصى لابنه شيث فكان فيه وفى بنيه النبوة والدين وأنه جاء إلى أرض مصر وكانت تدعى بابليون فنزلها وسكن فوق الجبل، ثم استخلف من بعده

---

(١) حزيران هو شهر يونية وهو يقابل شهر بؤونه القبطى، وتموز هو يوليو وهو يقابل شهر أبيب القبطى، وأيلول هو أغسطس ويقابل شهر توت القبطى، وآب شهر سبتمبر وهو يقابل شهر مسرى القبطى.

(٢) يتكلم هنا عن عمود مقياس النيل بالروضة.

(٣) يطبق فى هـ.

(٤) ممتدة فى هـ.

(٥) القلزم هى مدينة السويس الآن.

ابنه أنوش ثم ابنه قينان ثم ابنه مهلاييل ثم ابنه يَرْد ثم ابنه خنوخ وهو هرمس وهو إدريس النبى عليه السلام فنظر فى تدبير أمر مصر، وكان النيل يأتيهم سيحا فينحازون عن مسيله إلى أعالى الجبال والأرض العالية حتى ينقص فينزلون فيزرعون حيث ما وجدوا الأرض بريه، وكان يأتى فى وقت الزراعة وغير وقتها فجمع إدريس عليه السلام أهل مصر وصعد بهم إلى أول مسيل النيل إليها ودبر وزن الأرض ووزن الماء على الأرض وأمرهم بإصلاح ما أراد من خفض المرتفع ورفع المنخفض وغير ذلك مما رآه فى علم النجوم والهندسة والهيئة، وكان أول من تكلم فى هذه العلوم ووضع منها الكتب ورسم فيها التعليم، ثم سار إلى بلاد الحبشة والنوبة وغيرها وجمع أهلها وزاد فى مسافة جرى النيل ونقص بحسب بطؤه[1] وسرعته فى طريقه حتى عمل حساب جريه ووصوله إلى أرض مصر فى زمن الزراعة على ما هو عليه الآن فهو أول من دبر جرى النيل إلى مصر.

وقال الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه الكاتب فى كتاب أخبار مصر وعجائبها: عمقام أحد ملوك مصر يقال إن إدريس عليه السلام رفع فى أيامه، وإنه رأى فى علمه كون الطوفان فبنى خلف خط الإستواء قصراً فى سفح جبل القمر من نحاس وجعل فيه خمسة وثمانين تمثالاً من نحاس يخرج ماء النيل من حلوقها ويصب فى بطحاء تنتهى إلى مصر، وفى هذا القصر عجائب.

وقال ابن الوردى فى كتاب خريدة العجائب وفريدة الغرائب نهر النيل ليس فى الدنيا أطول منه لأنه مسيرة شهرين فى الإسلام وشهرين فى الكفر وشهرين فى البرية وأربعة أشهر فى الخراب ومخرجه من جبل القمر خلف خط الاستواء، سمى جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه أصلا لخروجه من خط الاستواء وميله عن نوره وضوئه يخرج من بحر الظلمة ويدخل تحت جبل القمر.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم من ورقها».

وكان عمقام وهو هرمس الأول قد حملته الشياطين إلى هذا الجبل المعروف بالقمر ورأى النيل كيف يخرج من البحر الأسود ويدخل تحت جبل القمر، وبنى فى سفح ذلك الجبل قصراً فيه خمس وثمانون تمثالاً من نحاس جعلها جامعةً لما يخرج من الماء من هذا

---

(١) عبره فى ج.

الجبل بمعاقد ومصاب وأحكام مدبرة يجرى الماء منه إلى تلك الصور والتماثيل فيخرج من حلوقها على قياس معلوم وأذرع معلومة فينصب إلى أنهار كثيرة فيتصل بالبطيحتين ويخرج منهما حتى يصل إلى البطيحة الجامعة وعلى هذه البطيحة بلاد السودان ومدينتها العظمى طرمى، وبالبطيحة جبل معترض يشقها، ويخرج نحو الشمال مغربًا فيخرج النيل منه نهراً واحداً ويفترق فى أرض النوبة ففرقة إلى أقصى المغرب وعلى هذه الفرقة غالب السودان، والفرقة التى تصب إلى مصر منحدراً من أرض أسوان تنقسم من بحرى البلاد على أربع فرق كل فرقة إلى ناحية، ثم تصب فى بحر الإسكندرية، ويقال أن ثلاثة منها تصب فى البحر الشامى وفرقة تصب فى البحيرة الملحة التى تنتهى إلى الإسكندرية، والأذرع التى صنعها عمقام هى ثمانية عشر ذراعًا كل ذراع إثنان وثلاثون إصبعا وما زاد على ذلك فهو صائر إلى رمال لا منفعة فيها ولولا ذلك لغرقت البلاد. وذكروا أن سيحون وجيحون والنيل والفرات كلها تخرج من قبة من زبرجدة خضراء من جبل عال هناك وتسلك على البحر المظلم وهى أحلى من العسل وأزكى رائحة من المسك ولكنها تتغير بتغير المجارى، وليس فى الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال ويمد فى شدة الحر حتى تنقص له الأنهار كلها وتزيد بترتيب وتنقص بترتيب غير النيل، وسبب مده أن الله تعالى يبعث عليه الريح الشمال فيتغير عليه البحر المالح فيصير كالسكن له فيزيد حتى يعم البلاد فإذا بلغ حد الرى بعث الله تعالى عليه ريح الجنوب فأخرجته إلى البحر.

وقال ابن المتوج فى كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل: من عجائب مصر النيل الذى يأتى من غامض علم الله تعالى فى زمن القيظ فيعم البلاد سهلا وعسرا، يبعث الله فى أيام مدده الريح الشمالى فيصدر له البحر المالح ويصير له كالجسر ويزيد وإذا بلغ الحد الذى هو تمام الرى وأوان الزراعة بعث الله ريح الجنوب فكنسته وأخرجته إلى البحر المالح وانتفع الناس بالزراعة.

وقال العلامة شيخ شيوخنا عز الدين ابن جماعة فى كتاب له فى الطب ومن خطه نقلت: منبع النيل من جبل القُمُر وراء خط الإستواء بإحدى عشرة درجة ونصف، وامتداد هذا الجبل خمس عشرة درجة وعشرين دقيقة، يخرج منه عشرة أنهار من أعين فيه ترمى كل خمسة إلى بحيرة عظيمة مدورة بعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة، والبعد عن خط الإستواء فى الجنوب سبع درجات وإحدى وثلاثين دقيقة، وهاتان البحيرتان متساويتان وقطر كل واحدة خمس درجات ويخرج من كل واحدة أربعة أنهار ترمى إلى بحيرة صغيرة مدورة فى الاقليم الأول بعد مركزها عن أول

العمارة بالمغرب ثلاث وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعن خط الاستواء من الشمال درجتان من الإقليم الأول وقطرها درجتان ومصب كل واحدة من الأنهار الثمانية فى هذه البحيرة غير مصب الآخر ثم يخرج من هذه البحيرة نهر واحد وهو نيل مصر ويمر ببلاد النوبة ويصب إليه نهرا حين ابتداؤه من غير مركزها على خط الإستواء فى بحيرة كبيرة مستديرة قطرها ثلاث درجات وبعد مركزها عن أول العمارة بالعربى إحدى وسبعون درجة ، فإذا تعدى النيل مدينة مصر إلى مدينة يقال لها شطانوف تفرق هناك إلى نهرين يرميان إلى البحر المالح أحدهما يعرف ببحر رشيد والآخر بحر دمياط وهذا البحر إذا وصل إلى المنصورة تفرع منه نهر يعرف ببحر أشمون يرمى إلى بحيرة هناك وباقيه يرمى إلى البحر المالح عند دمياط .

وذكر الجاحظ فى كتاب الأمصار أن مخرج نهر السند والنيل من موضع واحد، واستدل على ذلك باتفاق زيادتهما وكون التمساح فيهما وأن سبيل زراعتهم فى البلدين واحد .

وقال المسبحى فى تاريخ مصر : فى بلاد تكنه أمة من السودان أرضهم تنبت الذهب يفترق النيل فيصير نهرين أحدهما أبيض

وهو نيل مصر والآخر أخضر يأخذ إلى المشرق فيقطع البحر المالح إلى بلاد السند وهو نهر مهران .

وقال المسعودى : رأيت فى كتاب جغرافيا[1] النيل مصوراً ظاهراً من تحت جبل القمر ومنبعه مبدأ ظهوره من اثنتى عشرة عينا فتصب تلك المياه إلى بحرتين هناك كالبطائح ثم يجتمع الماء منها جاريًا فيمر برمال هناك وجبال ويخرق أرض السودان مما يلى بلاد الزنج فيتشعب منه خليج ويصب فى بحر الزنج، ويجرى على وجه الأرض تسعمائه فرسخ وقيل ألف فرسخ فى عمران وخراب حتى يأتى أسوان من صعيد مصر .

وقال القزوينى فى عجائب المخلوقات : ليس فى الدنيا نهر أطول من النيل لأنه يسير شهر فى بلاد الإسلام وشهرين فى بلاد النوبة وأربعة أشهر فى الخراب إلى أن يخرج بجبال القمر[2] خلف خط الأستواء ، وليس فى الدنيا نهر يصب من الجنوب إلى الشمال ويمتد فى شدة الحر حين تنقص الأنهار كلها ويزيد بترتيب وينقص بترتيب غيره ، وسبب

---

(١) جعفر أى كتاب الخراج لقدامة بن جعفر ، وقد وردت فى النسخة (و) جغرافيا وفى النسخة ب،ج. هيراقيا.
(٢) بجبال القمر = ببلاد النمر فى (جـ)، (د).

مدَّة أن الله تعالى يبعث الريح الشمال فيقلب عليه البحر المالح[1] فيصير كالسد له فيرتد فيعم[2] البر والتلال ويجرى فى الخلجان يملؤها وإذا بلغ الحد الذى هو تمام الرى أخرج الله الريح الجنوب فأخرجته من البحر وانتفع الناس بما أروى من الأرض.

ولما كان زمان يوسف عليه السلام عمل مقياسًا يعرف به قدر الزيادة والنقصان يزرعون عليه، وإذا زاد على قدر كفايتهم يستبشرون بخصب السنة وسعة الرزق، وذلك المقياس عمود قائم فى وسط بركة على شاطئ النيل لها طريق إلى النيل يدخلها إذا زاد، وعلى ذلك العمود خطوط معروفة عندهم يعرفون بوصول الماء إليه مقدار زيادته، وأقل ما يكفى أهل مصر سنتهم أن يزيد أربعة عشر ذراعًا فإن زاد ستة عشر ذراعًا زرعوا ما يفضل عن عامهم، وأكثر ما يزيد ثمانية عشر ذراعًا، والذراع أربعة وعشرون إصبعا، فإذا استوى الماء كما ذكرنا عند المقياس كسرت الخلجان حتى تملأ جميع أرض مصر وتبقى التلال والرمال والقرى عليها، وسائر الأرض تغمر بالماء فإذا استوفت الأرض ورويت زرعت بأصناف الزرع وحينئذ يبرد الجو[3] ولا تنشف الأرض فإلى أن يدرك الزرع عاد الوقت يأخذ فى الحر حتى ينضج الزرع ويؤخذ فى حصاده، وفى ذلك عبرة. إنتهى.

وقال المقريزى فى الخطط[4]: يقال أن النيل ينصب من عشرة أنهار من جبل القمر المتقدم ذكره كل خمسة أنهار من شعبة، ثم تتبحر تلك الأنهار العشرة فى بحرين كل خمسة أنهار تتبحر بحيرة بذاتها، ثم يخرج من البحيرة الشرقية بحر لطيف يأخذ شرقا على جبل قاقولى ويمتد إلى مدن هناك ثم يصب فى البحر الهندى ويخرج من البحيرتين ستة أنهار من كل بحيرة ثلاثة أنهار، وتجتمع الأنهار الستة فى بحيرة متسعة تسمى البطيحة وفيها جبل يفرق الماء نصفين يخرج أحدهما من غرب البطيحة وهو نيل السودان ويصير نهرًا يسمى بحر الدمادم، ويأخذ مغربا ما بين سمغرة وغانة على جنوبى سمغرة[5] وشمالىّ غانة ثم ينعطف هناك منه فرقة ترجع جنوبًا إلى غانة ثم تمر على مدينة برنسه وتأخذ تحت جبل فى جنوبها خارج خط الأستواء إلى زفيلة ثم تتبحر فى بحيرة

---

(١) البحر المالح = الريح السماك فى (هـ).
(٢) فيرتد فيعم = فيزيد فيه فى. (هـ)، (و).
(٣) الجو = الحر فى أ، د.
(٤) حـ١ ص٥٧.
(٥) سمتره فى هـ، شمقره فى و.

هناك وتستمر الفرقة الثانية مغرّبة إلى بلاد مالى والتكرور حتى تنصب فى البحر المحيط شمالى مدينة قلبتو ويخرج النصف الآخر متشاملا أخذا على الشمال إلى شرقى مدينة حيما ثم يتشعب منه هناك شعبة تأخذ شرقًا إلى مدينة سحرت ثم ترجع جنوبًا ثم تعطف شرقا بجنوب إلى مدينة سحرته ثم إلى مدينة مركة وينتهى إلى خط الأستواء حيث الطول خمس وستون درجة ويتبحر هناك بحيرة ويسمى عمود النيل من قبالة تلك الشعبة شرقى مدينة شيمى متشاملا أخذا على أطراف بلاد الحبشة ثم يتشامل على بلاد السودان إلى مدينة دنقلة حتى يرمى على الجنادل إلى أسوان وينحدر وهو يشق بلاد الصعيد إلى مدينة فسطاط مصر ويمر حتى يصب فى البحر الشامى وقد استفيض ببلاد السودان أن النيل ينحدر من جبال سود يبين على بعد كأن عليها الغمام ثم يتفرق نهرين يصب أحدهما فى البحر المحيط إلى جهة بحر الظلمة الجنوبى والآخر يتصل إلى مصر حتى يصب فى البحر الشامى، ويقال إنه فى الجنوب يتفرق سبعة أنهار تدخل فى صحراء منقطعة ثم تجتمع الأنهار السبعة وتخرج من تلك الصحراء نهراً واحداً فى بلاد السودان» انتهى.

وقال الشيخ تقى الدين المقريزى فى الخطط(١) : «ومن جبل القمر يخرج نهر النيل وقد كان يتبدد على وجه الأرض، فلما قدم نقراوش الجدار بن مصريم الأول بن مركابيل ابن دوابيل بن عرباب بن آدم عليه السلام إلى أرض مصر ومعه عدّة من بنى عرباب واستوطنوها وبنوا بها مدينة إمسوس وغيرها من المدائن حفروا النيل حتى أجروا ماءه إليهم ولم يكن قبل ذلك معتدل الجرى بل ينبطح ويتفرق فى الأرض حتى وجه إلى النوبة الملك نقراوش فهندسوه وساقوا منه أنهاراً إلى مواضع كثيرة من مدنهم التى بنوها وساقوا منه نهراً إلى مدينة إمسوس، ثم لما خربت أرض مصر بالطوفان وكانت أيام البود شير بن قفط بن مصر بن بيصر بن حام بن نوح عليه السلام عدل جانبى النيل تعديلا ثانيًا بعدما أتلفه الطوفان.

قال الأستاذ إبراهيم بن وصيف شاه(٢) : فملك البودشير وتجبر وهو أول من تكهن وعمل بالسحر واحتجب عن العيون وقد كانت أعمامه أشمن وأتريب وصا ملوكا على احيازهم إلا أنه قهرهم بجبروته وقوته فكان الذكر له كما تجبر أبوه على من قبله لأنه كان أكبرهم وكذلك أغضوا عنه فيقال إنه أرسل هرمس الكاهن المصرى إلى جبل القمر الذى

---

(١) جـ١ ص٥٢.
(٢) نفسه.

يخرج النيل من تحته حتى عمل هناك التماثيل النحاس وعدل البطيحة التى ينصب فيها ماء النيل ويقال أنه الذى عدل جانبى النيل وقد كان يفيض وربما انقطع فى مواضع ، وهذا القصر الذى فيه تماثيل النحاس يشتمل على خمس وثمانين صورة جعلها هرمس جامعة لما يخرج من ماء النيل بمعاقد ومصاب مدورة وقنوات يجرى فيها الماء وينصب إليها إذا خرج من تحت جبل القمر حتى يدخل من تلك الصور ويخرج من حلوقها وجعل لها قياسا معلوما بمقاطع وأذرع مقدرة وجعل ما يخرج من هذه الصور من الماء ينصب إلى الأنهار ثم يصير منها إلى بطيحتين ويخرج منهما حتى ينتهى إلى البطيحة الجامعة للماء الذى يخرج من تحت الجبل وعمل لتلك الصور مقادير من الماء الذى يكون معه الصلاح بأرض مصر وينتفع به أهلها دون الفساد وذلك الانتهاء المصلح ثمانية عشر ذراعا بالذراع الذى مقداره اثنان وثلاثون إصبعا وما فضل عن ذلك عدل عن يمين تلك الصور وشمالها إلى مسارب يخرج ويصب فى رمال وغياض لا ينتفع بها من خلف خط الأستواء ولولا ذلك لغرّق ماء النيل البلدان التى يمر عليها .

قال: وكان الوليد بن درمع العمليقى قد خرج فى جيش كثيف يتنقل فى البلدان ويقهر ملوكها ليسكن ما يوافقه منها فلما صار إلى الشام انتهى إليه خبر مصروعظم قدرها وإن أمرها قد صار إلى النساء وباد ملوكها ، فوجه غلامًا له يقال له عون إلى مصر ، وسار إليها بعده واستباح أهلها وأخذ الأموال وقتل جماعة من كهنتها ، ثم سنح له أن يخرج ليقف على مصب النيل فيعرف ما بحافتيه من الأمم فأقام ثلاث سنين يستعد لخروجه وخرج فى جيش عظيم فلم يمر بأمة إلا أبادها ، ومرعلى أمم السودان وجاوزهم ، ومر على أرض الذهب فرأى فيها قضبانا نابتة من ذهب ، ولم يزل يسير حتى بلغ البطيحة التى ينصب ماء النيل فيها من الأنهار التى تخرج من تحت جبل القمر وسار حتى بلغ هيكل الشمس وتجاوزه حتى بلغ جبل القمر وهو جبل عال وإنما سمى جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه لأنه خارج من تحت خط الإستواء ونظر إلى النيل يخرج من تحته فيمر فى طرايق وأنهار دقاق حتى ينتهى إلى حظيرتين ثم يخرج منهما فى نهرين حتى ينتهى إلى حظيرة أخرى فإذا جاوز خط الاستواء مدته عين تخرج من ناحية نهر مكران بالهند وتلك العين أيضًا تخرج من تحت جبل القمر إلى ذلك الوجه ، ويقال أن نهر مكران مثل النيل يزيد وينقص وفيه التماسيح والأسماك التى مثل أسماك النيل ، ووجد الوليد بن دومع القصر الذى فيه التماثيل النحاس التى عملها هرمس الأول فى وقت البودشير بن قنطريم ابن قبطيم ابن مصرايم .

قالوا [1] ولما بلغ الوليد جبل القمر فرآه عاليا أعمل الحيلة إلى أن صعد إليه ليرى ما خلفه فأشرف على البحر الأسود الزفتى المنتن ونظر إلى النيل يجرى عليه كالأنهار الدقاق فأتته من ذلك البحر روائح منتنة هلك بها كثير من أصحابه فأسرع النزول بعد أن كاد يهلك .

وذكر قوم أنهم لم يروا هناك شمسًا ولا قمرًا إلا نورًا أحمر كنور الشمس عند غيابها .

وقد ذكر قوم من أهل الأثر [2] أن الأنهار الأربعة سيحون وجيحون والفرات والنيل تخرج من أصل واحد من قبة فى أرض الذهب التى وراء البحر المظلم وأن تلك الأرض من أرض الجنة وأن تلك القبة من زبرجد، وأن حايدًا من ولد العيص سأل الله تعالى أن يريه منتهى النيل فأعطاه قوة على ذلك وأنه قطع البحر المظلم ماشيًا عليه لا يلصق بقدميه منه شئ إلى أن وصل إلى تلك القبة . هكذا نقله المقريزى .

وذكر بعض الأخباريين أن حايدًا لم يتنبأ وأنه أوتى الحكمة وأنه سأل الله تعالى أن يريه منتهى النيل فأعطى قوة على ذلك فوصل إلى جبل القمر وقصد أن يطلع إلى أعلاه فلم يقدر فسأل الله فيسره عليه فصعد فرأى خلفه البحر الزفتى وهو بحر أسود منتن الريح مظلم فرأى النيل يجرى فى وسطه كأنه السبيكة الفضية ، وقد روينا قصة حايد هذا بأبسط من ذلك بالإسناد فى جزء النيل المشهور . أخبرنى شيخنا قاضى القضاة علم الدين صالح بن شيخ الإسلام سراج الدين أبى حفص عمر بن رسلان البلقينى وشيخنا الإمام تقى الدين أحمد بن محمد الشمنى وشيخنا قاضى القضاة عز الدين أحمد بن قاضى القضاة برهان الدين إبراهيم الكنانى الحنبلى وحافظ الحجاز تقى الدين أبو الفضل محمد بن محمد بن فهد الهاشمى والشيخ جلال الدين أبو هريرة عبد الرحمن بن أبى الحسن ابن شيخ الإسلام سراج الدين أبى حفص عمر بن الملقن أجازه منهم قالوا كلهم : أخبرنا حافظ العصر أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقى أجازه عن أبى الفتح محمد بن محمد الميدومى قال : أخبرتنا أمة الحق شامية بنت الحافظ صدر الدين الحسن بن محمد البكرى سماعًا قالت . أنبأنا أبو حفص عمر بن طبرزد سماعًا وأنبانى عاليًا أبو عبد الله محمد بن مقبل الحلبى مكاتبة من ذلك عن الصلاح محمد بن أبى عمر المقدسى عن أبى الحسن بن البخارى عن ابن طبرزد قال : أنبأنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد السمرقندى

---

(١) الخطط حـ١ ص٥٣ .

(٢) نفسه .

وغيره قالوا: أنبأنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور أنبأنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحيم المخلص أنبأنا عبيد الله بن عبد الرحيم بن عيسى السكرى قال: حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي وأبو بكر محمد بن صالح بن عبد الرحمن الأنماطي قالا: حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث قال: حدثني الليث بن سعد: قال: بلغني أنه كان رجل من بني العيص يقال له حايد بن أبي شالوم بن العيص ابن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام خرج هاربًا من ملك من ملوكهم حتى دخل أرض مصر فأقام بها سنين فلما رأى أعاجيب نيلها وما يأتي به جعل الله تعالى عليه أن لا يفارق ساحلها حتى يبلغ منتهاه ومن حيث يخرج أو يموت قبل ذلك، فسار عليه ثلاثين سنة في الناس وثلاثين سنة في غير الناس، وقال بعضهم: خمسة عشر كذا وخمسة عشر كذا حتى انتهى إلى بحر أخضر، فنظر إلى النيل ينشق مقبلاً فصعد على البحر فإذا رجل قائم يصلي تحت شجرة من تفاح فلما رآه استأنس به وسلم عليه فسأله الرجل: من أنت؟ قال: أنا حايد بن أبي شالوم بن العيص بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام فمن أنت؟ قال: أنا عمران بن فلان بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم. قال: فما الذي جاء بك يا حايد؟ قال: جئت من أجل هذا النيل فما جاء بك ههنا يا عمران؟ قال: الذي جاء بك حتى انتهيت إلى هذا الوضع فأوحى إلى أن أقف في هذا الموضع حتى يأتيني أمره، قال له حايد: أخبرني يا عمران ما انتهى إليك من أمر هذا النيل، وهل بلغك في الكتب أن أحدا من بني آدم يبلغه؟ قال له عمران: نعم بلغني أن رجلاً من بني العيص يبلغه ولا أظنه غيرك. قال له حايد: يا عمران أخبرني كيف الطريق إليه قال له عمران: لست أخبرك بشيء إلا أن تجعل لي ما أسألك قال: وما ذاك يا عمران؟ قال: إذا رجعت إلى وأنت حي أقمت عندي حتى يوحي الله تعالى إلى بأمره ويتوفاني فتدفنني فإن وجدتني ميتا دفنتني وذهبت. قال: ذلك لك عليّ. قال له: سر كما أنت على هذا البحر فأنك سترى دابة ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يهولنك أمرها إركبها فإنها دابة معادية للشمس إذا طلعت أهوت إليها لتلتقمها حتى يحول بينها وبينها حجبتها، وإذا غربت أهوت إليها لتلتقمها فتذهب بك إلى جانب البحر فسر عليها راجعًا حتى ينتهي إلى النيل فسر عليه فإنك ستبلغ أرضا من حديد، جبالها وأشجارها وسهولها من حديد، فإن أنت جزتها وقعت في أرض من نحاس، جبالها وأشجارها وسهولها من نحاس، فإن أنت جزتها وقعت في أرض من فضة، جبالها وأشجارها وسهولها من فضة، فإن أنت جزتها وقعت في أرض من ذهب، جبالها وأشجارها وسهولها من ذهب، ففيها إليك ينتهي علم النيل، فسار حتى انتهى إلى أرض الذهب فسار فيها حتى انتهى إلى سور من ذهب

وشرفة من ذهب وقبة من ذهب لها أربعة أبواب، فنظر إلى ما ينحدر من فوق ذلك السور حتى تستقر فى القبة، ثم ينصرف فى الأبواب الأربعة، فأما ثلاثة فتغيض فى الأرض وأما واحد فيسير على وجه الأرض وهو النيل فشرب منه واستراح وأهوى إلى السور ليصعد فأتاه ملك فقال له يا حايد قف مكانك فقد انتهى إليك علم هذا النيل وهذه الجنة وإنما ينزل من الجنة. فقال: أريد أن أنظر إلى ما فى الجنة فقال: إنك لن تستطيع دخولها اليوم يا حايد قال: فأى شئ هذا الذى أرى؟ قال: هذا الفلك الذى تدور فيه الشمس والقمر وهو شبه الرحى قال: أنى أريد أن أركبه فأدور فيه فقالا: بعض الملأ إنه قد ركبه حتى دار الدنيا وقال بعضهم لم يركبه، فقال له: يا حايد إنه سيأتيك من الجنة رزق فلا تؤثر عليه شيئا من الدنيا فإنه لا ينبغى لشئ من الجنة أن يؤثر عليه شئ من الدنيا، إن لم تؤثر عليه شئ من الدنيا بقى مابقيت. قال: فبينما هو كذلك واقف إذ نزل عليه عنقود من عنب فيه ثلاثة أصناف لون كالزبرجد الأخضر ولون كالياقوت الأحمر ولون كاللؤلؤ الأبيض ثم قال: يا حايد إن هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها فارجع يا حايد فقد انتهى إليك علم النيل. فقال: هذه الثلاثة التى تغيض فى الأرض ما هى؟ قال: أحدها الفرات والآخر دجلة والأخر جيحان فارجع فرجع حتى انتهى إلى الدابة التى ركبها فركبها فلما أهوت الشمس لتغرب قذفت به من جانب البحر فاقبل حتى انتهى إلى عمران فوجده ميتا حين مات فدفنه وأقام على قبره ثلاثا، فأقبل شيخ تشبه بالناس أغرّ من السجود ثم أقبل إلى حايد فسلم عليه ثم قال له: يا حايد ما انتهى إليك من علم هذا النيل؟ فأخبره، فلما أخبره قال له: هكذا نجده فى الكتب، ثم طرى تلك التفاحة فى عينه وقال: ألا تأكل منه؟ قال: معى رزق أعطيته من الجنة ونهيت أن أوثر عليه شيئا من الدنيا. قال له: صدقت يا حايد ما ينبغى لشئ من الجنة أن يؤثر عليه شئ من الدنيا، وهل رأيت فى الدنيا مثل هذا التفاح إنما أنبتت له فى الأرض ليست من الدنيا وإنما هذه الشجرة من الجنة أخرجها الله لعمران يأكل منها وما تركها إلا لك ولو قد وليت عنها. لرفعت فلم يزل يطريها فى عينه حتى أخذ منها تفاحة فعضها فلما عضها عض يده ثم قال: أتعرفه هو الذى أخرج أباك من الجنة أما أنك لو سلمت بهذا الذى معك لأكل منه أهل الدنيا قبل أن ينفذ وهو مجهودك أن يبلغك فكان مجهوده أن بلغه.

وأقبل حايد حتى دخل أرض مصر فأخبرهم بهذا فمات حايد بأرض مصر. وبهذا الإسناد إلى عبد الله بن صالح قال: حدثنى ابن لهيعة عن وهب بن عبد الله المعافرى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿فأخرجناهم من جنات وعيون وزروع ومقام كريم﴾ قال: كانت الجنات بحافتى هذا النيل من أوله إلى آخره فى الشقين جميعا من أسوان إلى رشيد، وكان له سبعة خليج: خليج الإسكندرية وخليج دمياط وخليج

سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهى متصلة لا ينقطع منها شئ عن شئ وتزرع ما بين الجبلين كله من أول مصر إلى آخرها ما يبلغه الماء، وكانت جميع مصر كلها يومئذ تروى عن ستة عشر ذراعا، وبهذا الإسناد إلى أبى لهيعة عن يزيد ابن أبى حبيب: إنه كان على نيل مصر فرضة لحفر خلجها وإقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة الف وعشرين ألف فاعل معهم الطور والمساحى والاداة يتعقبون ذلك لا يدعون ذلك شتاءاً ولا صيفًا.

ذكر مزايا النيل

قال التيفاشي: اتفق العلماء على أن النيل أشرف الأنهار فى الأرض لأسباب منها عموم نفعه، فإنه لا يعلم نهر من الأنهار فى حميع الأرض المعمورة يسقى ما يسقيه النيل، ومنها الإكتفاء بسقيه فإنه يزرع عليه بغير نضوبه، ثم لا يسقى الزرع حتى يبلغ منتهاه ولا يعلم ذلك فى نهر سواه، ومنها أن ماءه أصح المياه وأعدلها وأعذبها وأفضلها، ومنها مخالفته لجميع أنهار الأرض فى خصال هى منافع فيه ومضار فى غيره، ومنها أنه يزيد عند نقص سائر الأنهار وينقص عند زيادتها وذلك أوان الحاجة اليه، ومنها أنه يأتى أرض مصر فى أوان اشتداد القيظ والحر ويبس الهواء وجفاف الأرض فيبل الأرض ويرطب الهواء ويعدل الفصل تعديلا زائدا. ومنها إن كل نهر من الأنهار العظام وإن كانت فيه منافع فلابد أن يتبعها مضار فى أوان طغيانه بإفساد لما يليه ونقص لما يجاوزه، والنيل موزون على ديار مصر بوزن معلوم وتقدير مرسوم لا يزيد عليها ولا يخرج عن حده ذلك تقدير العزيز العليم، ومنها إن المعهود فى سائر الأنهار أن يأتى من جهة المشرق إلى جهة المغرب وهو يأتى من جهة الغرب إلى الشمال فيكون فعل الشمس فيه دائما وأثرها فى إصلاحه[1] متصلا متلازما. وفى ذلك يقول الشاعر.

مصر ومصر ماؤها عجيب ∴ ونهرها يجرى به الجنوب

ومنها أن كل الأنهار يوقف على منبعه وأصله والنيل لا يوقف له على أصل منبع، وليس فى الدنيا نهر يصب فى بحر الصين والهند والروم غيره، وليس فى الدنيا نهر يزيد ثم يقف ثم ينقص ثم ينضب على الترتيب والتدريج غيره، وليس فى الدنيا نهر يزرع عليه ما يزرع على النيل ولا يجيى من خراج غلة زرعه ما يجبى من غلة زرع النيل.

---

(١) اصلاحه = امتداده فى هـ.

وقال صاحب مباهج الفكر : النيل أخف المياه وأحلاها وأرواها وأمراها وأعمها نفعا واكثرها خراجا قال : يحكى أنه جبى فى أيام كيغاوس أحد ملوك القبط الأولى مائه ألف ألف وثلاثون ألف الف دينار، ويقال أن كل دينار عشرة مثاقيل من مثاقيلنا الإسلامية، وجباه مصر مائة ألف ألف دينار، وجباه عمرو بن العاص اثنى عشر ألف ألف دينار، وجباه عبد الله بن أبى سرح أربعة عشر ألف ألف دينار، ثم رزل إلى جبى أيام جوهر القائد ثلاثة آلاف ألف ومائتى ألف دينار، وسبب تقهقره إن الملوك لن تسمح نفوسهم بما كان فى الرجال الموكلين بحفر خلجه وإصلاح جسوره ورم قناطره وسد ترعه وقطع القصب وإزالة الحلفا وكانوا مائة ألف وعشرين ألف رجل مرتبين على كور مصر سبعين ألفا للصعيد وخمسين ألفا لأسفل الأرض. ويحكى أنها مسحت أيام هشام بن عبد الملك فكان ما يركبه الماء مائه ألف ألف فدان والفدان أربعمائة قصبة والقصبة عشرة أذرع، وأما أحمد بن المدبر فإنه اعتبر ما يصلح للزرع بمصر فى وقت ولايته فوجده أربعة وعشرين ألف ألف فدان والباقى قد استبحر وتلف واعتبر مدة الحرث فوجده ستين يوما والحراث الواحد يحرث خمسين فدانا فكانت محتاجة إلى أربعمائة ألف وأربعين الف حراث.

وقال بن دحية : جبيت مصر فى أيام الفراعنة تسعين ألف ألف دينار بالدينار الفرعونى وهو ثلاث مثاقيل من مثاقيلنا الآن، وقال بن زولاق : قال أبو حازم عبد الحميد بن عبد العزيز قاضى العراق : سألت محمد بن المدبر عن مصر قال : كشفتها فوجدت غامرها أضعاف عامرها ولو عمرها السلطان لوفت له بخراج الدنيا. قال : وقلت لبعض ولاة مصر : متى عقدت مصر تسعين ألف ألف دينار؟ قال : فى الوقت الذى أرسل فرعون بوية قمح إلى أسفل الأرض والصعيد فلم يوجد لها موضع تبذر فيه لشغل سائر البلدان بالزرع.

قال أهل التاريخ : كان فرعون إذا كمل التحضير فى كل سنة ينفذ مع قائدين من قواده أردب قمح فيذهب أحدهما إلى أعلا مصر والآخر إلى أسفلها فيتأمل القائد أرض كل قرية فإن وجد موضعا بائراً عطلا قد أغفل بذره كتب إلى فرعون بذلك وأعلمه اسم العامل على تلك الجهة، فإذا بلغ فرعون ذلك أمر بضرب عنق ذلك العامل وأخذ ماله، فربما عاد القائدان ولم يجدا موضعا لهذا الأردب لتكامل العمارة واستظهار الزراع.

قال بن عبد الحكم : وزعم بعض مشايخ أهل مصر أن الذى كان يعمل به على عهد ملوكها إنهم كانوا يقرون القرى فى أيدى أهلها كل قرية بكراء معلوم لا ينقص عليهم إلا

فى كل أربع سنين من أجل الظمأ وتنقل اليسار، فإذا مضت أربع سنين نقص ذلك وعدل تعديلا جديداً فيرفق بمن أستحق الرفق ويزاد على من احتمل الزيادة ولا يحمل عليهم من ذلك ما يشق عليهم، فإذا جبى الخراج وجمع كان للملك من ذلك الربع خالصا لنفسه يصنع منه ما يريد، والربع الثانى لجنده ومن يقوى به على حربه وجباية خراجه ودفع عدوه، والربع الثالث فى مصلحة الأرض وما يحتاج إليها من جسورها وحفر خلجها وبناء قناطرها والقوة للمزارعين على زرعهم وعمارة أرضهم، والربع الرابع يخرج منه ربع ما يصيب كل قرية من خراجها فيدفن ذلك فيها لنائبة تنزل أو حائجة[1] بأهل القرية فكانوا على ذلك، وهذا الربع الذى يدفن فى كل قرية من خراجها هى كنوز فرعون التى يتحدث الناس أنها ستظهر فيطلبها الذين يبتغون الكنوز.

وقال القاضى الفاضل الذى استقر عليه خراج البلاد من إسكندرية إلى عيذاب إلى آخر الرابع والعشرين من شعبان سنة خمس وثمانين وخمسمائة أربعة الآف ألف وستمائة ألف وثلاثة وخمسون ألف دينار، من ذلك رزق القضاة ومشايخ العلم سبعة آلاف دينار وأربعمائة دينار والأمراء والأجناد والمقطعون مائة ألف وخمسون ألف دينار والكتابية خمسة وعشرون ألفا وأربعمائة دينار.

عود وانعطاف إلى مزايا النيل

قال الرئيس أبو على بن سينا: أفرط قوم فى مدح النيل إفراطًا شديداً وأجمعوا على محامده فى أربعة: بعد منبعه وطيب مسلكه وغمورته وأخذه من الجنوب إلى الشمال، فأخذه عن الجنوب إلى الشمال ملطف لما يجرى فيه من المياه، وأما غمورته فيشاركه فيها غيره، وأما مسلكه فالمياه التى تكون طينية المسيل خير من المياه التى تجرى على الأحجار فإن الطين ينقى الماء ويأخذ منه المزوجات الغريبة ويروقه والحجارة لا تفعل ذلك لكنه يجب أن يكون طين مسيلة حرا لا حمأه ولاسبخة ولا غير ذلك، فإن اتفق أن يكون هذا الماء غمرا شديد الجرية يستحيل بكثرته ما يخالطه فى طبيعته مكشوفا للشمس والرياح، وكان يأخذ إلى الشمس فى جريانه فيجرى إلى المشرق كان أفضل لا سيما إذا بعد جدا من مبدأه ويليه ما يتوجه إلى الشمال والمتوجه إلى المغرب والجنوب ردئ خصوصا عند هبوب ريح الجنوب والذى ينحدر من مواضيع عالية أفضل لا سيما إن كان خفيف الوزن

---

(١) جائحة فى الخطط حـ١ ص٧٤.

سريع البرودة والسخونة، وبعد المنبع يوجب لطافة الماء كثرة حركته، هذا خلاصة ما ذكره ابن سينا فى صفات المياه الفاضلة.

قال المقريزى[1]: وكلها قد اجتمعت فى ماء النيل، أولا فإنه بعيد المنبع على ما تقدم ذكره ويمر على أراضى حرة ولا يغلب على تربه ما يمر به شئ من الأحوال والكيفيات الردية كمعادن النفط والشب والكباريت ونحوها بل يمر على الأرض التى تنبت الذهب بدليل ما يظهر فى الشطوط من قراضات الذهب، وقد عانى جماعة تصويل الذهب من الرمل المأخوذ من شطوط النيل فربحوا منه مالا، وفضيلة كون الذهب فى الماء لا تنكر، الثانى إن النيل فى جريانه أبدا مكشوف للشمس والرياح، الثالث أن طينه من طين مسيل مياه مجتمعة من أمطار تمر على أراضى جرة ويظهر لك ذلك من عطرية روائح الطين إذا نديته بالماء، الرابع غمورة ماء النيل وشدة جريته التى تكاد تقصف العمد إذا اعترضتها وتدفع الأثقال العظمة إذا عارضتها، الخامس بعد مبدأ خروجه من مصبيه فى البحر المالح وقد تقدم من طول مسافته مالا نجده فى نهر غيره من أنهار المعمور، السادس إنحداره من علو فإن الجنوب مرتفع عن الشمال لا سيما إذا صار إلى الجنادل انحط من أعلى جبل مرتفع إلى وادى مصر، السابع أنه يمر من الجنوب إلى الشمال فتستقبله ريح الشمال الطيبة دائما، الثامن خفته فى الوزن وقد اعتبر ذلك غير مرة مع غيره من المياه فخف عنها فى الوزن، التاسع عذوبته طعمه وحسن أثره فى هضم الغذاء واحداره عن المعدة بحيث أنه يحدث بعد شربه جشاء، وهذه صفات إن كنت ممن مارس العلم الطبيعى وعرف الطب فإنه يعظم عندك قدر ماء النيل وتبين لك غزارة نفعه وكثرة محاسنه، ويقال أن ذا القرنين كتب كتابًا فيه ما شاهده من عجائب الدنيا فضمنه كل أعجوبة ثم قال فى آخره: وليس ذلك بعجب بل العجب نيل مصر، وقال بعض الحكماء لولا ما جعل الله فى نيل مصر من حكمة الزيادة فى زمن الصيف على التدريج حتى يتكامل رى البلاد وهبوط الماء عنها عند بدء الزراعة لفسد إقليم مصر وتعذر سكناه لأنه ليس فيه أمطار كافية ولا عيون جارية تعم أرضه إلا بعض إقليم الفيوم».

وفى تقويم البلدان للملك المؤيد اسماعيل والأفضل على المظفر تقى الدين محمود بن المنصور محمد بن المعظم عمر بن شاهنشاه ابن أيوب: نيل مصر ليس له نظير فى الوجود. وقد وصفه ابن سينا فقال: قد انفرد بثلاث صفات عن سائر أنهار الأرض

(١) الخطط حـ١ ص٦٢.

أحدها أنه أطول أنهار الأرض وذلك يستلزم لطافته بسبب كثرة الجريان، والثانى أنه يجرى بين رمال وصخور فيسلم عن الحمأة ونحوها الذى لا يكاد يخلو منه نهر، الثالث أن الحجر فيه لا يخضر كما يخضر فى غيره. وفى كتاب ابقراط فإن قيل كيف صار ماء النيل يسيل من موضع بعيد ويحفظ جودته ولا يتغير قلت: إن العين التى يخرج منها فى سمت ناحية المشرق، وآخرون يقولون أن الأرض التى يمر عليها ذلك الماء طيبة ذكية عذبة فصار لذلك أكثر ثباتا للأشياء وأخصب وأغذى من المياه كلها.

وقال الصلاح الصفدى فى كتاب فض الختام عن التورية والاستخدام: أما أهل مصر فقد شربوا ماء النيل وهو أحد أنهار الجنة وترشفوا منه حلاوة لا تكون فى حشا البطن مستجنة. كما قال فيه بعض واصفيه كأنه طحينة وماؤه مثل العسل ومن غذيت قطرات مياهم لطفت كلمات شفاهم، وإذا كانوا قد نشبوا فى حلبة الحلاوة سرا فى المجاورة طلية الطلاوة، كما قال فيهم على بن سعيد المغربى:

أيا ساكنى مصر غدا النيل جاركم ∴ فأكسبكم تلك الحلاوة فى الشعر
وكان بتلك الأرض سحر وما بقى ∴ سوى أثر يبدو على النظم والنثر

قال: والأوصاف المحمودة التى شرطها ابن سينا وغيره من الحكماء لا تجتمع إلا فى النيل وزعم أهل التجارب أنه من أقام بمصر سنة وجد فى طباعه وأخلاقه رقة وحسنا، قال: وإذا سلكت محجة الإنصاف وظهرت حجة الحق التى هى أكمل الأوصاف وجدت شعراء الديار المصرية فى هذا النوع المخصوص أحد وأجود، ومتكلمهم إذا قام بالتورية أقعد، ومقاصدهم أسعف وأسعد. انتهى.

ذكر عجائب النيل

التمساح قال صاحب مرآه الزمان[1]: ذكر أحمد بن بختيار أن بالنيل عجائب منها التمساح ولا يوجد إلا فيه ويسمى فى مصر التمساح وفى بلاد النوبة الورل ووراء النوبة الشوشار. قال: والتمساح لا دبر له وما أكله يتكون فى بطنه دوداً فإذا أذاه خرج الى البرية فينقض عليه طائر فيأكل ما بين أسنانه وما يظهر من الدود وربما يطبق عليه التمساح فيبلعه.

---

(١) صاحب مرآة الزمان هو ابن الجوزى.

وذكر ابن حوقل[1] أن بنيل مصر أماكن لا يضر التمساح فيها كعدوة بوصير والفسطاط.

وقال القزوينى فى عجائب المخلوقات: التمساح حيوان على صورة الضب من أعجب حيوان الماء له فم واسع له ستون نابا فى فكه الأعلى وأربعين نابا فى فكه الأسفل، وبين كل نابين سن صغيرة مربع يدخل بعضها فى بعض عند الإنطباق، ولسان طويل، وظهر كظهر السلحفاة، ولا يعمل فيه الحديد، وله أربعة أرجل، وذنب طويل، رأسه ذراعان، وغاية طوله ثمانية أذرع، يحرك فكه الأعلى عند المضغ بخلاف سائر الحيوانات، ولا يقدر على أن يلتوى ولا أن ينقلب لأنه ليس لظهره خرزات بل ظهره قطعه واحدة، وهو كريه المنظر جداً، كثير العدوان يلتقم الأدمى والشاه ويقتل الخيل والجمال، ولا يوجد إلا فى النيل ونهر الهند، وإذا رأى إنسانا على طرف الماء يمشى تحت الماء حتى يقرب منه ثم يثب وثبة واحدة، ويبيض كالطيور ويشم من بيضة رائحة المسك، وذبله يخرج من فيه إذ لا منفذ له فإذا أكل يبقى فى خلال أسنانه يتولد فيه الدود فيخرج من الماء ويفتح فاه مستقبل الشمس فيأتيه طائر مثل الطيوطرى ويدخل فيه ويلتقط مافى خلال أسنانه فإذا التمساح علم أنه نقى خلل أسنانه أطبق فاه على الطائر ليأكله وقد خلق الله سبحانه وتعالى على رأس ذلك الطائر عظما أحد من الإبرة فيضرب به حنك التمساح فيرفع حنكه فيطير الطائر.

وإذا انقلب التمساح لم يستطع أن يتحرك وإذا أراد السفاد خرج من النيل وأنثاه معه فألقى الأنثى على ظهرها فإذا قضى وطره قلبها فإن تركها صيدلت فإنها لا تقدر أن تنقلب.

قال: ومن خواصه زعموا أن عينه تشد على صاحب الرمد يسكن وجعه فى الحال، اليمنى على اليمنى واليسرى على اليسرى، وسنه الأيمن يعلق على صاحب القشعريرة يذهب فى الحال، ومرارته يكتحل بها تزيل بياض العين، وشحمه يجعل ضمادا على عضته فإنه نافع فى الحال، وكبده يدخن بها على المصروع يزول ما به، وزبله يزيل بياض العين إكتحالا، وجلده يشد على جبهة الكبش يغلب فى النطاح أنتهى.

قال المسعودى: آفته تكون من دويبة فى سواحل النيل وجزائره وهو أن التمساح لا دبر له وما يأكله يتكون فى بطنه دودا فإذا خاف أذاه خرج إلى البر فاستلقى على قفاه

---

(1) كتاب المسالك والممالك.

فينقض عليه طير الماء وقد اعتاد منه ذلك فيأكل ما يظهر من جوفه من ذلك الدود العظيم وتكون تلك الدويبة على جسر جوفه ثم يغرق جوفه ويخرج[1] وربما قتل نفسه قبل أن تخرج فتخرج بعد موته وهذه الدويبة تكون نحو الذراع على صورة بن عرس ذات قوائم شتى ومخالب.

«ويقال أنه كان بجبال فسطاط مصر طلسم معمول بها وكان التمساح لا يستطيع المرور حوله بل كان إذا بلغ حدوده انقلب واستلقى على ظهره فتعبث به الصبيان إلى أن يجاوز المدينة ثم يعود فيستوى ويرد إلى طباعه ثم إن هذا الطلسم كسر وبطل عمله. ويقال إن التمساح يبيض كبيض الأوز وربما تولد منه جرادين صغار ثم تكبر حتى يبلغ طولها عشرة أذرع وتزداد طولا كلما عمرت»[2].

والتمساح يجامع[3] ستين مرة فى حركة واحدة ومحل واحد، وسنه اليسرى مانعة للنافض.

وقال ابن البيطار: التمساح فى النيل كثير ووجد فى نهر مهران، وقال ابن زهير كل حيوان يحرك فكه الأسفل إذا أكل إلا التمساح فإنه يحرك فكه الأعلى دون الأسفل، وإذا عض[4] التمساح إنسانا فوضع على العضة شحم التمساح برئ من ساعته، وشحمه إذا عجن بسمن وجعل منه فتيلة فأسرج فى نهر أو أجمة لم تنق ضفادعها ما دامت تقد، وإن لطخ بشحمه جبهة كبش قهر كل كبش يناطحه وهرب منه، وكبده ينحر به المصروع يبرأ، وإن قلعت عيناه وهو حى وعلقت على من به جذام أوقفه ولم يزد، وإذا حملت بيضته اليمنى على رجل من الجانب الأيمن زاد فى جماعه، وعينه اليمنى لمن يشتكى عينه اليمنى واليسرى لليسرى وشحمه إذا أذيب فى دهن ورد نفع من وجع الصلب والكليتين وزاد فى الباه، وإذا أخذ دم التمساح وخلط به هليلج واملج وطلا (طلى) به على الوضح أذهبه وغير لونه، وإذا طلى به على الجبهة والصدغين نفع من وجع الشقيقة، وإذا أكل لحمه اسفيد باجا سمن البدن النحيف، وإذا قطر شحمه بعد أن يذاب فى الأذن الوجعة نفعها، وان أدمن تقطيره فى الأذن نفع من الصمم، وإذا أدهن به صاحب حمى الربع

---

(١) فى الخطط حـ١ ص٦٧ «وتكون تلك الدويبة قد كمنت فى الرمل فتثبت إلى حلقه وتصير إلى جوفه ثم تخرق جوفه وتخرج».

(٢) المقريزى، الخطط حـ١ ص٦٧.

(٣) يجامع = يرتعش فى الخطط حـ١ ص ٦٧.

(٤) عض = عقر فى د، هـ.

سكنت عنه، ولحمه ردى الكيموس، وإذا طيف بجلده حول قرية ثم علق على سطح دهليز لم يقع البرد فى تلك القرية.

قال صاحب سجع الهديل: دخل أبو نواس مصر فركب ذات يوم النيل متنزها فأراد السباحة فى موضع منه فحذر من التمساح فقال:

أضمرت للنيل هجرانا وتقليه ∴ إذ قيل التمساح فى النيل
فمن رأى النيل رأى العين عن كثب ∴ فلا أرى أن ألاقى التواثيل[1]

السقنقور:

وقال صاحب مرآه الزمان: فى النيل السقنقور[2] وقيل إنه من نسل التمساح، إذا وضعه خارج الماء فما قصد الماء صار تمساحا وما قصد البر صار سقنقورا، وله قضيبان كالضب.

وقال صاحب عجائب المخلوقات: السقنقور[3]

قال ابن سينا: إنه ورل[4] مائى يصاد فى نيل مصر، وقال غيره: إنه من نسل التمساح، وذكروا أنه إذا عض إنسانا فغسل الإنسان معضه بريقه قبل عوده إلى الماء مات العاض وإن كان بعد عوده إلى الماء مات الإنسان، وله قضيبان كالضب، وشحمه إذا أكل هيج قوة الباه، وشحمه يهيج الباه تهيجا لا يسكن إلا بحسر[5] مرق الخس وخرزته الوسطى التى فى صلبه إذا علقها الإنسان على صلبه هيج الباه.

وقال ابن البيطار: للذكر من السقنقور إحليلان وللأنثى فرجان، والسقنقور يعض الانسان ويطلب الماء فإن وجده دخل فيه وان لم يجده بال وتمرغ فى بوله فإذا فعل ذلك مات المعضوض لوقته وسلم السقنقور فإن اتفق أن سبق المعضوض إلى الماء فدخله قبل دخول السقنقور الماء ويتمرغ فى بوله قبله يموت السقنقور لوقته ويسلم المعضوض.

---

(١) النواثيل فى جـ، السواسيل فى هـ، النواثيل فى د.

(٢) السنقور فى ب، د.

(٣) لم ينقل السيوطى بالمخطوطة ما قاله القزوينى صاحب عجائب المخلوقات.

(٤) ورن فى الخطط حـ١ ص٦٦.

(٥) بحشو فى ب، حـ.

والسقنقور يهيج للسفاد[1] فى الربيع، ولحمه يهيج شهوة الجماع ويزيد فى الانعاظ، ولا يوافق استعماله من مزاجه حار يابس وإنما يوافق ذوى الأمزجة الباردة الرطبة، والقدر الذى يستعمل منه من مثقال إلى ثلاثة[2] مثاقيل بحسب السن والمزاج والبلد والوقت، ولا يوجد السقنقور إلا فى بلد الفيوم خاصة.

وقال صاحب مرآة الزمان: إنه يكون فى أسوان وفى حدودها، وفى الخطط للمقريزى[3] إنه يتولد من السمك والتمساح، ولا يشاكل السمك لأن له يدين ورجلين، ولا يشاكل التمساح لأن له ذنبا أجردا أملس عريض غير مضرس، وذنب التمساح مسيف[4] مضرس.

الرعاد

قال المسعودى[5]: فى نيل مصر عجائب كثيرة من الحيوانات من ذلك السمك المعروف بالرعاد وهى نحو الذراع إذا وقعت فى شبكة الصياد أرعدت يده وعضده فيعلم بوقوعها فيبادر إلى إخراجها ولو أمسكها بخشب أو قصب فعلت ذلك، وقد ذكرها جالينوس وقال: إن جعلت على رأس من به الصداع أو الشقيقة وهى فى الحياة برئ من ساعته، واذا أذيب بين مقعده من انقلبت مقعدته إلى خارج أصلحها بشرط كونه حيا فى الصورتين.

قال ابن البيطار: إنما تنفع مادام حيا، وقال بعضهم: الزيت الذى يطبخ به يسكن أوجاع المفاصل إذا دهنت به، وإذا علقت المرأة شيئا من الرعاد عليها لم يطلق زوجها الصبر عنها، وكذلك إن علق منها الرجل عليه لم تكد المرأة تفارقه.

وقال المقريزى فى الخطط[6]: نفعها فى البرء من الحمى إذا علقت على المحموم عجيب.

---

(١) الفساد فى جـ، و.
(٢) ثمانية فى حـ، هـ.
(٣) حـ١ خاص ٦٦.
(٤) مسيف = سخيف فى الخطط حـ١ ص٦٦، سيف فى هـ.
(٥) وانظر ايضا: الخطط حـ١ ص٦٦.
(٦) حـ١ ص٦٦.

وفى عجائب المخلوقات: الرعاد إذا قربت من رأس المصروع وهى حية أخدرته عن الحس، وإذا علقت المرأة منها شيئا على نفسها لم يقدر زوجها على فراقها.

وقال ابن المتوج: بمصر بقلة من مسها بيده ثم مس الرعاد لم يرعد، ومن اللطائف قول الأديب شرف الدين البوصيرى صاحب البردة فى زين الدين المحلى المعروف بالرعاد.

لقد عاب شعرى فى البرية شاعر ∴ ومن عاب أشعارى فلا بد أن يهجى
فشعرى بحر لا يرى فيه ضفدع ∴ ولا يسلك الرعاد يوما له لجّا

فرس البحر

قال صاحب مرآة الزمان: فى النيل سمكة على صورة الفرس، والمكان الذى تكون فيه لا يقربه[1] تمساح، وقال القزوينى فى عجائب المخلوقات: فرس الماء هو كفرس البر إلا أنه أكبر عرفًا وذنبًا وأحسن منه لونًا، وحافره مشقوق كحافر بقر الوحش، وجثته دون فرس البر وفوق الحمار، وربما خرج هذا الفرس من الماء ونزا على فرس البر فيتولد منها ولد فى غاية الجودة والحسن.

حكى أن الشيخ أبا القاسم عركان نزل على ماء ومعه حجرة[2] فخرج من الماء فرس أدهم عليه نقط بيض كالدراهم ونزا على حجرته فولدت مهراً شبيهًا بالذكر عجيب الصورة، فلما كان ذلك الوقت عاد إلى ذلك المكان والحجرة والمهر معه طمعا فى مهر آخر فخرج الفحل وشم مهره ثم وثب فى الماء ووثب المهر بعده فكان الشيخ يعاود المكان بالحجرة (فلم يعد الفرس ولا المهر إليه)[3].

وقال عمر بن سعد: فرس الماء يؤذن بطلوع النيل فإنهم حيث وجدوا أثر رجله عرفوا أن ماء النيل يصل إلى ذلك الموضع، وسنه نافع لوجع البطن، وذكروا أن السودان الساكنين بشاطئ النيل إذا أخذهم المغص يشدون السن على هذا العليل فيزول فى الحال، وعظامه تحرق وتخلط بشحمه ويضمد بها السرطان يردعه ويزيل أثره فى الحال،

---

(١) لا يضره فى هـ، و.
(٢) الحجرة هى أنثى الفرس.
(٣) ما بين القوسين من الخطط حـ١ ص٦٦.

وخصيتيه تجفف وتحرق وتسحق وتشرب لنهش الهوام، وجلده إن دفن وسط قرية لم يقع بها شئ من الآفات، ويحرق ويجعل على الورم فيسكن انتهى.

وقال عبد الله بن أحمد بن سليم الأسوانى فى كتاب أخبار النوبة: ومسافة ما بين دنقلة إلى أول بلد علوة أكثر مما بين دنقلة وأسوان وفى ذلك من القرى والضياع والجزائر والمواشى والنخل والشجر والمقل والزرع والكرم أضعاف مافى الجانب الذى يلى أرض الإسلام. وفى هذه الأماكن جزائر عظام مسيرة أيام فيها الحيات[1] والوحوش والسباع ومفاوز يخاف فيها العطش، والنيل ينعطف من هذه النواحى إلى مطلع الشمس وإلى مغربها مسافة أيام حتى يصير المصعد كالمنحدر وفرس البحر يكثر فى هذا الموضع. حدثنى ميمون صاحب عهد علوة أنه أحصى فى جزيرة سبعين دابة منها وهى من دواب[2] الشطوط، فى خلق الفرس، وفى غلظ الجاموس، قصيرة القوائم لها خف، وهى فى ألوان الخيل بأعراف وآذان صغار كآذان الخيل، وأعناقها كذلك وأذنابها مثل أذناب الجواميس، ولها مخطم[3] عريض يظن الناظر أن عليها مخلاة، لها صهيل، وأنياب لا يقوم حذاءها تمساح، وتعترض المراكب عند الغضب فتغرقها، ورعيها فى البر العشب، وجلدها فيه متانة عظيمة يتخذ منه أتراس[4] أنتهى.

وفى الخطط للمقريزى[5]: أنه يأكل التمساح أكلاً ذريعًا ويقوى عليه قوة ظاهرة.

وقال المسعودى: الفرس الذى يكون فى نيل مصر إذا خرج من الماء وانتهى وطئه إلى بعض المواضع من الأرض علم أهل مصر أن النيل يزيد إلى ذلك الموضع بعينه غير زائد عليه ولا مقصر عنه ولا يتخلف ذلك عندهم بطول العادات والتجارب، وفى ظهوره من الماء ضرر بأرباب الزرع فإنه يرعاه ويرعى فى الليلة الواحدة شيئًا كثيراً، فإذا رعى وشرب الماء قذف مافى جوفه فى مواضع شتى فينبت ذلك مرة ثانية، وإذا اتصل ضرره بأرباب الزرع طرحوا له الترمس كثيراً جداً مفرقًا فيأكله ثم يعود إلى الماء فإذا شرب ربى (ربا) الترمس فى جوفه وانتفخ فيموت ويطفو على الماء.

---

(١) الجبال فى المخطوط والتصحيح من الخطط حـ١ ص٦٥.
(٢) ذوات فى المخطوط.
(٣) خرطوم فى الخطط حـ١ ص٦٥.
(٤) دبابيس فى الخطط حـ١ ص٦٥.
(٥) حـ١ ص٦٥.

والموضع الذى يرى فيه لا يرى فيه تمساح وهو على صورة الفرس إلا إن حوافره وذنبه بخلاف ذلك وجبهته واسعة انتهى.

قلت[1]: قد ظهرت فرس البحر بالنيل فى سنة أربع وتسعين[2] وثمانمائة ورأيناها فى بحر الروضة وأقامت أياما تظهر فاستبشروا بعلو النيل فى هذه السنة وكان الأمر كذلك فزاد النيل أصابع من عشرين وثبت ثباتًا جيدا.

كلب البحر (الماء)

قال من عجائب المخلوقات هو حيوان مشهور يداه أقصر من رجليه ذكروا أنه يلطخ بدنه بالطين ليحسبه التمساح طينا ثم يدخل جوفه ويقطع أحشاءه[3] فيأكلها ثم يمزق بطنه ويخرج منه، وكذلك من كان معه شحم كلب الماء يأمن من التمساح، وذكروا أنه جندييه[4] ستر خصية هذا الحيوان وإن الصيادين إذا ظفروا به سلوا خصيته وسيبوه فإن وقع فى الشبكة مرة أخرى استلقى ورفع رجليه يعلمهم أن خصيتيه ذهبت ليخلصه الصياد من الشبكة. ودماغه ينفع من ظلمة العين اكتحالاً ومرارته قدر عدسة منها سم قاتل، وخصيته تنفع من نهش الهوام، وجلده يتخذ منه جورب يلبسه المنقرس[5] يزول عنه. انتهى.

شيخ البحر

قال صاحب مرآة الزمان: فى النيل شيخ البحر سمكة على صورة آدمى وله لحية طويلة، ويكون بناحية دمياط، وهو مشئوم[6]، فإذا رأى فى مكان دل على القحط والموت والفتن، ويقال أن دمياط ما تنكب حتى يظهر عندها.

---

(١) الكلام للسيوطى المؤلف.
(٢) فى حـ، هـ (وستين).
(٣) امعاءه فى جـ، هـ.
(٤) كلمة غير مقروءه.
(٥) المتقرس فى حـ، النقرس فى د.
(٦) شؤم فى ب، د.

ذكر المقياس

قال المقريزى فى الخطط[1] : وبطرف الروضة المقياس الذى يقاس فيه ماء النيل الآن ويقال له المقياس الهاشمى وهو آخر مقياس بنى بديار مصر .

قال أبو عمرو الكندى : ورد كتاب الخليفة المتوكل على الله بابتناء المقياس الهاشمى للنيل ويعزل النصارى عن قياسه، فجعل يزيد بن عبد الله أمير مصر أبا الرداد المعلم وأجرى عليه سليمان ابن وهب صاحب الخراج سبعة دنانير وذلك فى سنة سبع وأربعين ومائتين .

وعلامة وفاء النيل ستة عشر ذراعا أن يسبل ابن أبى الرداد قاضى البحر الستر الأسود الخليفتى على شباك المقياس، فإذا شاهد الناس الستر قد أسبل تباشروا بالوفاء واجتمعوا على العادة للفرجة من كل ناحية، وما أحسن قول الأديب شهاب الدين أحمد بن العطار فى تهتك الناس يوم تخليق المقياس عند اجتماعهم :

تهتك الخلق للتخليق قلت لهم ∴ ما أحسن الستر قالوا الستر مأمول
ستر الإله علينا لا يزال فما ∴ أحلى تهتكنا والستر مسبول

وقال ابن عبد الحكم : أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام ووضع مقياسا بمنف ثم وضعت العجوز دلوكة ابنة زبا وهى صاحبة حائط العجوز مقياسا بأنصنا وهو صغير الذرع ومقياسا بإخميم، ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وهو صغير ووضع أسامة بن زيد التنوخى فى خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وهو أكبرها . حدثنا يحيى بن بكير : أدركت القياس يقيس فى مقياس منف ويدخل بزيادته إلى الفسطاط، وهذا ما ذكره ابن عبد الحكم .

قال التيفاشى : ثم هدم المأمون مقياس الجزيرة وأسسه ولم يتمه فأتم المتوكل بناءه وهو الموجود الآن .

وقال المسعودى : أول من عمل مقياسا لزيادة النيل حصليم ملك مصر وكان قبل وجود نوح عليه السلام وإنما بعث نوح فى زمن الملك برصال[2] الذى ولى مصر بعد موت حصليم، وذلك أنه جمع أصحاب العلوم والهندسة فعملوا له بيتا من رخام على

---

(١) حـ١ ص ٥٨ .
(٢) هرصال فى جـ.

حافة النيل وجعل فى وسطه بركة (فسقية) من نحاس صغيرة فيها ماء موزون وعلى حافة الفسقية عقابان من نحاس ذكر وانثى فإذا كان أول الشهر الذى يزيد فيه النيل فتح البيت وجمع الكهان فيه بين يديه وتكلموا بكلام لهم حتى يصفر أحد العقابين فإن صفر الذكر كان الماء تاما وان صفر الأنثى كان الماء ناقصا فيستعدون لذلك، وهو الذى بنى القنطرة ببلاد النوبة على النيل.

وقال القضاعى: كان أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام وضع مقياسا بمنف وقيل ان النيل كان يقاس بمصر بأرض علوة إلى أن بنى مقياس منف فكانت القبط تقيس عليه إلى أن بطل، وبنيت العجوز مقياسا بأنصنا وهو صغير الذرع ومقياسا آخر باخميم، وقيل أنهم كانوا يقيسون الماء قبل أن يوضع المقياس بالرصاصة[1]، ولم يزل المقياس فيما مضى قبل الفتح بقيسارية الأكسية ومعالمه هناك إلى أن ابتنى المسلمون بين الحصن والبحر أبنيتهم الباقية الآن، وكان للروم أيضا مقياس بالقصر خلف الباب يمنة من دخل منه فى داخل الزقاق أثره قائم إلى اليوم وقد بنى عليه وحواليه. ثم بنى عمرو بن العاص عند فتحه مصر مقياسا بأسوان ثم بنى بموضع يقال له دندرة ثم بنى فى أيام معاوية مقياس بأنصنا فلم يزل يقاس عليه إلى أن بنى عبد العزيز ابن مروان مقياسا بحلوان وكانت منزله وكان هذا المقياس صغير الذرع، فأما المقياس القديم الذى بنى فى الجزيرة فالذى وضعه أسامه بن زيد وقيل أنه كسر فيه ألفى أوقية[2] وهو الذى بنى بيت المال بمصر، ثم كتب أسامة بن زيد التنوخى عامل خراج مصر لسليمان بن عبد الملك ببطلانه فكتب إليه سليمان بأن يبنى مقياسا فى الجزيرة فبناه فى سنة سبع وتسعين، ثم بنى المتوكل فيها مقياسا فى أول سنة سبع وأربعين ومائتين.

وقدم من العراق محمد بن كثير الفرغانى المهندس فتولى بناءه وذلك فى ولاية يزيد بن عبد الله فجعل يزيد على المقياس أبا الرداد المعلم واسمه عبد الله بن عبد السلام بن عبد الله بن أبى الرداد المؤذن[3]، أصله من البصرة، وقدم مصر وحدث بها، فجعل على مقياس النيل، وأجرى عليه سليمان بن وهب صاحب خراج يومئذ سبعة دنانير فى كل شهر، فلم يزل المقياس من ذلك الوقت فى يد أبى الرداد وولده إلى اليوم، وتوفى أبو الرداد سنة ست وستين ومائتين. ثم ركب أحمد بن طولون سنة تسع وخمسين ومائتين

(١) الرصافة فى أصل المخطوط، والتصحيح من الخطط حـ١ ص٥٧.

(٢) اقنير فى نسخ المخطوط، والتصحيح من الخطط حـ١ ص٥٧.

(٣) المؤدب فى نسخ المخطوط والتصحيح من الخطط حـ١ ص٥٨.

ومعه أبو أيوب صاحب خراجه وبكار بن قتيبة القاضى فنظر إلى المقياس وأمر بإصلاحه وقدر له ألف دينار فعمر وبنى الخازن[1] فى الصناعة مقياسا وأثره باق. انتهى.

وقال صاحب مرآة الزمان: المقياس الظاهر الآن بناه المأمون وقيل إنما بناه أسامة بن زيد التنوخى فى خلافة سليمان بن عبد الملك ودثر فجدده المأمون وبنى أحمد بن طولون مقياسين أحدهما بقوص وهو قائم إلى اليوم والآخر بالجزيرة وقد انهدم.

وقال غيره: كتب الخليفة جعفر المتوكل إلى مصر يأمر ببناء الجديد الهاشمى فى الجزيرة سنة سبع وأربعين ومائتين، وكان الذى يتولى أمر المقياس النصارى، فورد كتاب المتوكل على قاضى مصر بكار بن قتيبة بأن لا يتولى ذلك إلا مسلم يختاره، فاختار القاضى بكار لذلك أبا الرداد عبد الله[2] بن عبد السلام المؤذن[3] فأقامه لمراعاة المقياس وأجرى عليه الرزق وبقى ذلك فى ولده إلى اليوم.

وقال ابن يونس فى تاريخ مصر. كان أصل أبن الرداد من البصرة وقدم مصر وحدث بها ومات سنة ست وستين ومائتين.

وقال القضاعى[4]: وجدت فى رسالة منسوبة إلى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال: لما فتحت العرب مصر عرف عمر بن الخطاب ما يلقى أهلها من الغلاء عند وقوف النيل عن مده فى مقياس لهم فضلا عن تقاصره وإن فرط الإستسعار يدعوهم إلى الاحتكار ويدعو الاحتكار إلى تصاعد الأسعار بغير قحط، فكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص يسأله عن شرح الحال فأجابه عمرو: إنى وجدت ما تروى به مصر حتى لا يقحط أهلها أربعة عشر ذراعا، والحد الذى يروى منه سائرها حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة أخرى ستة عشر ذراعا، والنهايتين المخوفتين فى الزيادة والنقصان وهما الظمأ والاستبحار اثنتا عشر ذراعا فى النقصان وثمانية عشر ذراعا فى الزيادة. هذا والبلد فى ذلك الوقت محفور الأنهار معقود الجسور عندما تسلموه من القبط وخمير العمارة فيه، فاستشار عمر بن الخطاب على أبن أبى طالب فى ذلك فأمره

(١) الحارث فى الخطط حـ١ ص ٥٨.
(٢) عبد الملك فى ب، جـ، د.
(٣) المودب فى الأصل.
(٤) الخطط حـ١ ص ٥٨.

أن يكتب إليه بأن يبنى مقياسا وأن يضف[١] ذراعين على اثنى عشر ذراعا وأن يقر ما بعدها على الأصل وأن ينقص من كل ذراع بعد الستة عشر ذراعا أصبعين، ففعل ذلك وبناه بحلوان فاجتمع له بذلك كل ما أراد من جل الارجاف وزال ما منه كان يخاف بأن جعل الاثنى عشر ذراعا أربعة عشر ذراعا لان كل ذراع أربعة وعشرون إصبعًا فجعلها ثمانية وعشرين من أولها إلى الإثنى عشر يكون مبلغ الزيادة على الإثنى عشر ثمانية وأربعين إصبعا وهى الذراعان وجعل الأربعة عشر ستة عشر والستة عشر ثمانية عشر والثمانية عشر عشرين ذراعا وهى المستقرة الآن.

وقال القضاعى: وقد فسد هذا فى وقتنا هذا لفساد الأنهار وانتقاض الأحوال وشاهد ذلك أن المقاييس القديمة الصعيدية من أولها إلى آخرها أربعة وعشرون إصبعًا لكل ذراع والمقاييس الإسلامية على ما ذكر منها المقياس الذى بناه أسامه بن زيد بالجزيرة وهو الذى هدمه الماء وبنى المأمون آخر بأسفل الأرض بالسرودات[٢] وبنى المتوكل آخر بالجزيرة وهو الذى يقاس عليه الماء الآن.

وقال ابن عفير عن القبط المتقدمين: إذا كان الماء فى اثنى عشر يوما من مسرى اثنى عشر[٣] ذراعا فهى سنة ماء وإلا فالماء ناقص، وإذاتم ستة عشر ذراعا قبل النوروز فالماء يتم.

وقال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى: يبتدئ النيل بالزيادة فى شهر أبيب والمصريون يقولون إذا دخل ابيب كان للماء دبيب، وعند ابتدائه فى الزيادة يتغير جميع كيفياته ويفسد والسبب فى ذلك مروره بنقائع مياه أجنة يخالطها فيجتلبها معه إلى غير ذلك مما يحتمله، فإذا بلغ الماء خمسة عشر ذراعا وزاد من السادس عشر إصبعا واحدا كسر الخليج، ولكسره يوم معدود ومقام مشهود ومجتمع خاص يحضره العام والخاص، فإذا كسر فتحت الترع وهى فوهات الخلجان ففاض الماء وساح وغمر القيعان والبطاح وانضم الناس إلى أعالى مساكنهم من الضياع والمنازل وهى على آكام وربا لا ينتهى الماء اليها ولا يتسلط السيل[٤] عليها فتعود أرض مصر بأسرها عند ذلك بحرًا غامرًا لما بين جبليها ريثما[٥] يبلغ الحد المحدود فى مشيئة الله عز وجل له، وأكثر ذلك يحوم

---

(١) ينقص فى الخطط حـ١ ص٥٨.
(٢) بالرودات فى ب، د، البروذات فى الخطط حـ١ ص٥٩.
(٣) يوما من مسرى اثنى عشر ساقطه فى ب، جـ، د.
(٤) السيل مزيدة من الخطط حـ١ ص٥٦.
(٥) وربما فى المخطوط.

حول ثماني عشر ذراعًا ثم يأخذ عائدًا في صبه إلى مجرى النيل ومسربه فينضب أولا عما كان من الأرض عاليا ويصير فيما كان منها متطأمنا فيترك كل قراره كالدرهم ويغادر كل ملقة كالبرد المسهم.

وقال ابن ميسر في تاريخ مصر: نقلت من كتاب الديارات[1] المصرية أن الخليفة الأمر بأحكام الله رتب في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة قاضي[2] القضاة أبا عبد الله محمد بن ميسر مشارفا على ثقة الدولة ابن ابي الرداد في قياس الماء وعمارة المقياس ومصالحه فبقى مستمرا فيها إلى أن قتل ابن ميسر فلم ينظر بعده أحد على هذه الجهة، واستمر ابن أبي الرداد بمفردته وأطلق له في كل سنة مائة قنطار جير لعمارة المكان.

وقال المقريزي في الخطط[3] كان للمقياس في الدولة الفاطمية رسوم منها لكنس مجاري الماء خمسون دينارا في كل سنة تطلق لابن أبي الرداد قال[4]: والمقياس عمود رخام أبيض مثمن في موضع ينحصر فيه الماء عند انسيابه إليه، وهذا العمود مفصل على اثنين وعشرين ذراعا كل ذراع مفصل على أربعة وعشرين قسمًا متساوية تعرف بالأصابع ماعدا الإثنى عشر ذراعا الأولى فإنها مفصلة على ثمانية وعشرين إصبعا كل ذراع. قال: واكثر ما يبقى في قاع المقياس تسعة أذرع وإحدى وعشرين إصبعا وأقل ما وجد ذراع وعشرة أصابع وذلك في سنة خمس وستين ومائة، وأكثر ما بلغ في الزيادة سنة تسع وتسعين ومائة فإنه بلغ ثمانية عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا وأقل ما كان سنة ست[5] وخمسين وثلاثمائة في أيام كافور بلغ اثنى عشر ذراعاوتسعة عشر إصبع. قال[6]: وذكر بن ميسر في حوادث سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة وفيها بلغت زيادة ماء النيل تسعة عشر ذراعا وأربعة أصابع، وبلغ الماء الباب الجديد أول الشارع خارج القاهرة، وكان الناس يتوجهون إلى القاهرة من سصر من ناحية المقابر، فلما بلغ الخليفة الحافظ لدين الله أبا الميمون عبد المجيد بن محمد أن الماء وصل إلى الباب الجديد أظهر الحزن والانقطاع فدخل إليه بعض خواصه وسأله عن السبب فأخرج له كتابًا فإذا فيه إذا وصل الماء الباب

---

(١) الديار في ب، د.
(٢) العبارة ناقصة في ب، د.
(٣) جـ١ ص٦٠.
(٤) جـ١ ص٥٩.
(٥) تسع في ب، د، سبع في جـ.
(٦) جـ١ ص٦٠.

الجديد انتقل الإمام عبد المجيد، ثم قال هذا الكتاب الذى تعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا وما يأتى بعدها، فمرض الحافظ فى آخر هذه السنة ومات فى أول سنة أربع وأربعين وخمسمائة».

قال: وذكر القاضى الفاضل فى متجددات سنة ست وسبعين وخمسمائة فى يوم الاثنين السادس والعشرين من شهر ربيع الأول وهو السادس عشر من مسرى وفى النيل على ستة عشر ذراعا وهو الوفاء ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ فى زمن متقدم قال المقريزى[1] وهذا أيضًا مما تغير فيه قانون النيل فى زماننا فإنه صار يوفى فى أوائل مسرى، ولقد كان الوفاء فى سنة اثنتى عشر وثمانمائة فى اليوم التاسع والعشرين من أبيب قبل مسرى بيوم وهذا من أعجب ما يؤرخ فى زيادات النيل. قال: واتفق أن فى الحادى عشر من جمادى الأولى سنة تسع وسبعمائة وفى النيل وكان ذلك اليوم التاسع عشر من بابه بعد النوروز بتسعة وأربعين يوما. قال وذكر القاضى الفاضل فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فى أيام الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح بن أيوب أنه باشر كسر بحر أبى المنجا بنفسه، وأن النيل زاد فيها ثمانية عشر إصبعا من ثمانية عشر ذراعا. قال: وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى. قال المقريزى: فانظر كيف سمى القاضى الفاضل هذا القدر اللجة الكبرى ولو بلغ فى زماننا هذا القدر فقط لحل بالبلاد غلاء[2] عظيم وذلك لما أهمل من عمل الجسور. قال: وقانون النيل اليوم أنه يزيد فى القيظ إذا حلت الشمس برج السرطان والأسد والسنبلة حتى تنقص عامة الأنهار التى فى المعمور، وتبتدئ الزيادة من خامس بؤونه وتظهر فى ثانى عشره وأول دفعه فى ثانى أبيب وتنتهى زيادته فى ثامن بابه، ويأخذ فى النقصان فى العشرين منها، ومن العادة أن ينادى عليه فى اليوم السابع والعشرين من بؤونه بعد ما يؤخذ قاعه وهو ما بقى من الماء القديم، ويفتح الخليج الكبير إذا وفى الماء ستة عشر ذراعا. قال: وأدركت الناس يقولون نعوذ بالله من إصبع من عشرين. قال: وكنا نعهد الماء إذا بلغ أصابع من عشرين فاض ماء النيل وغرق الضياع والبساتين وفارت البلاليع، فمن سنة ست وثمانمائة إذا بلغ الماء إصبعا من عشرين لا يعم الأرض كلها لما فسد من الجسور، وكان إلى بعد الخمسمائة من الهجرة قانون النيل ستة عشر ذراعا فى مقياس الجزيرة وهى فى الحقيقة ثمانية عشر، وكانوا يقولون إذا زاد على ذلك ذراعا واحدا زاد خراج مصر مائة الف دينار لما يروى من

---

(١) الخطط حـ١ ص٦٠.

(٢) بلاء فى حـ، هـ.

البلاد العالية وإن بلغ ثمانية عشر ذراعا كانت الغاية القصوى فإن الثمانية عشر فى مقياس الجزيرة اثنان وعشرون ذراعا فى الصعيد الأعلى، فإن زاد على الثمانية عشر ذراعًا واحدًا نقص من الخراج مائة ألف دينار لما يستبحر من الأراضى المنخفضة.

ذكر ذراع النيل كيف وضع

قال الإمام أبو الحسن الماوردى صاحب الحادى الكبير أحد أئمة أصحابنا فى كتاب الأحكام السلطانية: وأما الذراع السوداء[1] فهى أطول من ذراع الدور بإصبع وثلثى إصبع وأول من وضعها أمير المؤمنين هارون الرشيد قدرها بذراع خادم أسود كان على رأسه قائمًا، وهى التى يتعامل الناس بها فى ذرع البز والتجارة والأبنية وقياس نيل مصر.

ذكر المناداة بزيادة النيل

قال المسبحى فى تاريخه: خرج أمر صاحب القصر إلى ابن حران[2] بتحرير ما يستفتح به القياسون كلامهم إذا نادوا على النيل فقال: نعم لا تحصى من خزائن لا تفنى، زاد الله فى النيل المبارك كذا.

وذكر ابن زولاق فى سيرة المعز لدين الله إنه منع فى شوال سنة اثنتين وستين وثلاثمائة من النداء بزيادة النيل وأن لا يكتب بذلك إلا إليه وإلى جوهر القائد، فإذا تم ستة عشر ذراعا وكسر الخليج أباح النداء وذلك لما يحصل عند الناس إذا توقفت الزيادة يومًا أو أيامًا من القلق والإنزعاج وحبس الغلات عن البيع وارتفاع السعر.

وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى العود[3] الذى يطلع به قياس النيل فى كل يوم بزيادة النيل.

قد قلت لما أتى المقسى وفى يده ∴ عود به النيل قد عودى وقد نودى
أيام سلطاننا سعد السعود وقد ∴ صح القياس يجرى الماء فى العودى

---

(١) السودانى فى هـ، و.
(٢) هران فى هـ، حيران فى الخطط حـ١ ص٦١.
(٣) العمود فى هـ.

وقال المعمار فى أصابع الزيادة:

إن يسأل الخزّان عن ∴ حال الزيادة فض فاه
وقل وبك خمس أصابع ∴ وانزل بكفك فى قفاه

وقال أيضًا:

قد زاد بحر النيل بعد الوفاء ∴ منه اصبعين أصابت ذاك عينْ
وامرض الخزان فانظر وجهه ∴ كيف غدا من سقمه على إصبعين[1]

وقال أيضًا:

جاء الوفاء ووافى النيل وانفرجت ∴ عنّا الهموم وهان القمح ثم رمى
وارخ خزانه للنيل ينظره ∴ فاستكثر الماء فى عينيه ثم عمى

وقال القيراطى:

البحر زاد ولم يدع ∴ خزان مصر قرير عين
أبصرته من إصبع ∴ والوجه منه على إصبعين

وقال أيضًا فى إسبال الستر:

قلت له لما وفى موعدى ∴ مختفيا عن حاسد ومعتدى
رب كما فرحتنى بالوفا ∴ اسبل عليه الستر يا سيدى

وقال غيره:

توقف البحر حين جارى ∴ جودك ذا العام باحتباس
وكان من قبل فى ازدياد ∴ لو لم يجاريك باختلاس
إنْ فى الورى جواد قاسوا ∴ أنت جواد بلا قياس[2]

---

(١) كيف ناقصة فى ب، د.

(٢) «ان فى الورى جوادا قاسوا» ناقصة فى ب، جـ، د.

ونظير هذا قول ابن أبى حجلة :

البحر بالقياس يجرى جوده ∴ ويداك جارية بغير قياس
الموج صفق فرحة بقدومه ∴ والنيل قبل العرس فى أعراس

وقال الصلاح الصفدى :

سقيا لمصر وما حوت ∴ من أنسها وأناسها
ومحاسن فى مقسها ∴ تبدو أو فى مقياسها
ومسرة كاساتها ∴ تجلى على أكياسها[1]
وسطور در خطها ∴ البارى على قرطاسها[2]
ورمى كنايسها ولا ∴ تنسى ظباء كناسها[3]
ولطافة بجلالة ∴ تبدو على جلاسها
ونواسم كل المنى ∴ للنفس فى أنفاسها
ومراكب لعبت بها ∴ الأمواج فى وسواسها

وقال بدر الدين بن الحاجب مضمنا

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا ∴ كالروض تطفو على نهر أزاهره
وللوفا عمود من أصابعه ∴ مخلق تملأ الدنيا بشائره

وقال الصاحب فخر الدين بن مكانس :

انظر إلى النيل ما أحلى رواه وقد ∴ فاضت غزاليه وانهلت بوادره
كان مقياسه يوم الوفا علم ∴ مخلق تملأ الدنيا بشايره[4]

وقال الطنبدى :

إن مصرا لأطيب الأرض عندى ∴ ليس فى حسنها البديع إلتباس
وإذا قستها بأرض سواها ∴ كان بينى وبينك المقياس

---

(١) اكناسها فى هـ، و.
(٢) در = قرط فى جـ.
(٣) كتابها = كبايسها فى جـ.
(٤) علم = سلم فى هـ، و.

وقال الصلاح الصفدى مضمنا:

يقــول لنا المقـيــاس والنيـل هابط ∴ يـقطـع آمـــــال المنى والمطامع
ومن يأمن الدنـيـا يكن مـثل قـابض ∴ على الماء خـانتـه فـروج الأصـابع(١)

وقال أيضا مواليا:

أصبـحت مفرد ونيـل الدمع قد غلق ∴ حـتى لمقـيـاس خـدى بالمهـا خلق(٢)
وأصفر جسمى وستر السقم قد علق ∴ وسدد معى الكسر والأرض قد ملق(٣)

وقال صاحبنا الشهاب المنصورى:

تقـول لنـا مـصـر أنا خيــر مـوطن ∴ ولا ناس فى الأمصـار أظرف من ناسى
فـإن تلك أوقـات السـرور قـصيـرة ∴ فـلا تقـطعــوها فى إلا بمقــيــاسى

وقال البدر البشتكى:

وقــاس الورى بـالنيل نائـلك الذى ∴ حـلا ووفـا الـنيل يبـدو مـرفـقـا(٤)
فقلت وهـل ينقاس من خلفه الوفا ∴ بمن بالوفـا فى العـام يومـا تخلقـا

وقال أيضًا يمدح قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة:

إذا مـــا قـــيـل نـائـله كـنيـل ∴ فـقل هل يسـتـوى مـال ومـاء(٥)
فلولا جـوده فى مـصـر غـارت ∴ عـيــون النيل وانقطع الوفــاء

وقال المعمار:

تقـول مـصـر حـين قـاسـوا القـرى ∴ بهـا أيـا من ضـيـعـوا حـرمـتى
بأى شـىء قـســتـمـونـى بـه ∴ وبسطـة المقـيـاس فى قـبـضـتى

---

(١) فروج = قروح فى ب، د.
(٢) حتى = هنى فى هـ، بالمها = بالهنا فى هـ، و.
(٣) الكسر = الكبير فى جـ، انكسر فى هـ.
(٤) نائلك = ياملك فى جـ، ب، د.
(٥) نائله = بايله فى ب، يابلة فى ء، بابلة فى فى حـ.

وقال الحسن بن عمر بن حبيب :

لم أنس قول النيل فى مقياسه ∴ بلسان شهم للعداة مدافع[1]
لو رام نهر أن يجارينى على ∴ فخر سددت عيونه بأصابعى[2]

ومن أعيان أولاد أبى الرداد قال الحافظ شرف الدين الدمياطى فى معجمه : صدقة بن أبى المكارم بن صدقة المصرى شرف الدين ابن أبى الرداد صاحب المقياس ، سمع ثلاثيات البخارى على الشريف أبى محمد بن يونس بن يحيى الهاشمى فى ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة بسماعه من أبى الوقت سمعت عليه . انتهى

وقال الامام الحافظ المجتهد المؤرخ أبو شامة فى كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين : قال العماد الكاتب فى حوادث سنة أربع وسبعين وخمسمائة : فى شعبان من هذه السنة توفى متولى المقياس بمصر ففوض السلطان منصبه إلى أخيه ، قال : وهذا المقياس موضع بنى من عهد خلفاء بنى العباس لتعرف زيادة الماء ونقصانه بالمقياس ، وهناك عمود فى الماء مقسوم بالأذرع ، والأذرع مقسومة بالأصابع ، فى مسجد ينوب فى الجزيرة عن الجامع تصلى فيه الجمع والجماعات والأعياد[3] ، ويتولاه من العهد القديم متولى من بنى أبى الرداد ممن هو معروف بالنزاهة والعلم والسداد وله راتب دار ورسم وقرار .

وقال الإمام ضياء الدين نصر الله بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير من رسالة : هذا والنفس معلقة بمصر فإنى لم أقم بها شيئا يمنع نظرى ، ولا يذهب وعثاء سفرى[4] ، كأنها شوقتنى وما ذوقتنى ، وطالعتنى ثم قاطعتنى ، ولقد شاهدت منها بلدا يشهد بفضله على البلاد ، ووجدته على الحقيقة هو المصر وماعداه فهو السواد ، فما رآه راء إلا ملأ عينه وصدره ، ولا وصفه واصف إلا علم أنه لا[5] يقدر قدره ، وبه من عجائب الآثار مالا يضبط بالعيان ، فضلا عن الأخبار ، فمن ذلك الهرمان اللذان هرم الدهر وهما لا يهرمان ، وقد اختص كل منهما بعظم البناء ، وسعة الفناء ، وبلغ من الارتفاع غاية لا يبلغها الطير فى تحليقه ، ولا يدركها الطرف على شدة تحديقه ، فإذا أضرم برأسه قبس[6]

---

(١) بلسان = بلساة فى ب ، حـ.
(٢) فخر = مجد فى ب ، لمجد فى د .
(٣) والأعياد مزيدة من ب ، د.
(٤) سفرى = صغرى فى جـ.
(٥) لا = لم فى هـ.
(٦) قبس مزيدة من ب .

ظن المتأمل نجما، وإذا استدار به قوس الغمام كان له سهما، والناس مختلفون فى وضع هذين الهرمين فالأكثر يزعم انهما وضعا عصمة من الطوفان، وعلى الحقيقة فإنها بالإنكار لشأنهما أولى من العرفان، ولقد صدق المتنبى فى قوله:

أين الذى الهرمان من بنيانه ∴ ما قومه ما يومه ما المصرع

ومن عجائبها أيضًا موضع يقال له المقياس، وهو بناء وضعه تجاه الفسطاط يعلم منه ميزان النيل والارتفاع والانحطاط، وبوسط هذا البناء عمود قسم أذرعا وقسم كل ذراع فيه إصبعا إصبعا فإذا بلغ الماء ستة عشر ذراعًا عند الإزدياد يستحق حينئذ الخراج على جميع البلاد.

وبظاهر مصر متنزهات كثيرة كبركة الحبش وبركة الفيل ومستنقعات(١) لا يغادرها الماء(٢) تسمى مقطعات(٣) النيل، ولأهل مصر بهذه المستنقعات غرام واشتهار(٤) ومفاخرة فى تفضيلها على غيرها من الديار، وهى لعمرى حسنة المنظر شبيهة بدراهم مبثوثة على فراش أخضر، وقال ابن نباتة وهو بدمشق يتشوق إلى المقياس والنيل:

أرق له بالشام نيل مدامعى ∴ يجريه ذكر منازل المقياس
سقيا لمصر منازلا معمورة ∴ بنجوم أفق أو ظباء كناس
وطنى سهرت له وشابت لمتى ∴ ويعم على عينى هواه وراسى(٥)
من لى به والحال ليس بأسن ∴ كدر وعطف الدهر ليس بقاسى
والطرف يستجلى غزالا أنسا ∴ بالنيل لا يوثر على باناس(٦)

وقال أيضًا:

خليلى من مصر قفانبك فى النيل ∴ على عيشنا بالنيل فى ذلك الفلك(٧)
على مصر وا لهفى على مصر لهفة ∴ يصح بها قلبى المشوق على السبك(٨)

---

(١) متقطعان فى أ، منقطعات فى هـ.
(٢) الماء = المد فى و.
(٣) متقطعات فى جـ، مستنقعات فى د.
(٤) استهتار فى هـ.
(٥) يعم = نعم فى جـ، يغم فى ب، هواه = براه فى هـ.
(٦) انسا = انساه فى جـ، انشا فى د، على = اعلى فى د، باناس = بناس فى جـ.
(٧) فى النيل = فالنبك فى ب، ذلك = فلك فى ب، هـ.
(٨) يصح = يصيح فى حـ، الشوق = النبوق فى د، السبك = الشبك فى هـ.

وقال الإمام زين الدين عمر بن الوردى فى أحجية فى مقياس :

يا من لثغر العلا ∴ والعلم أضحى يحوط
إن كنت ذا فطنة ما ∴ مثل أحيط قنوط[1]

ذكر يوم الوفاء وكسر الخليج

قال المقريزى : وكان للخلفاء الفاطميين فى طول السنة أعياد ومواسم وهى موسم رأس السنة أول ليلة من ليالى المحرم، وموسم أول العام أول يوم منه، ويوم عاشوراء، ومولد النبى صلى الله عليه وسلم، ومولد على بن أبى طالب، ومولد الحسن، ومولد الحسين، ومولد فاطمة الزهراء، رضى الله عنهم، ومولد الخليفة الحاضر، وليلة أول رجب، وليلة نصفه، وليلة أول شعبان، وليلة نصفه، وليلة أول رمضان، وغرة[2] رمضان، وسماط رمضان، وليلة الختم، ويوم عيد الفطر، ويوم عيد النحر، وعيد الغدير، وكسوة الشتاء، وكسوة الصيف، وموسم فتح الخليج، ويوم النيروز، ويوم الغطاس، ويوم الميلاد، وهو مولد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وخميس العدس، وأيام الركوب.

قال : وقد ذكر بعض المفسرين أن يوم وفاء النيل هو اليوم الذى تواعد موسى عليه السلام وفرعون بالاجتماع فى قوله تعالى «قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى» وقد جرت العادة إن اجتماع الناس للتخليق[3] يكون فى هذا الوقت.

قال : وكان للخلفاء الفاطميين فى موسم فتح الخليج وجوه من البر، والركوب لتخليق المقياس ومبيت القراء بجامع المقياس وتشريف ابن أبى الرداد بالخلع وغيرها، وركوب الخليفة إلى فتح الخليج، وتفرقة الرسوم على أرباب الدولة من العين والكسوة والمأكل والتحف.

وقال ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز لدين الله. فى ذى القعدة سنة اثنتين[4] وستين وثلثمائة وهى السنة التى قدم فيها الخليفة المعز إلى القاهرة من بلاد المغرب، ركب المعز

---

(١) أحيط : أحيث فى ب، أحبب فى أ.

(٢) غرة = عشرة فى ب.

(٣) أى تخليق المقياس.

(٤) اثنين فى الأصل وفى الخطط حـ١ ص٤٧٠.

لكسر خليج القنطرة فكسر بين يديه ثم سار إلى شاطئ النيل حتى بلغ إلى بنى وائل فى موكب[1] عظيم وخلفه وجوه أهل الدولة، ثم عاد إلى قصره وذكر المسبحى فى تاريخه الكبير ركوب العزيز بن المعز وركوب الحاكم بن العزيز وركوب الظاهر بن الحاكم فى كل سنة لفتح الخليج.

وقال ابن المأمون: فى سنة ست عشرة وخمسمائة وعندما بلغ النيل ستة عشر ذراعا أمر بإخراج الخيم وأن يضرب الثوب[2] الكبير الأفضلى المعروف بالقاتول وهو أعظم ما فى الحاصل بأربعة دهاليز وأربع قاعات خارجا عن القاعة الكبيرة ومساحته على ما ذكر مائة الف ذراع بالذراع الكبير خارجا عن سرادقه، وعموده ارتفاعه خمسون ذراعا، وكان أول ما نصب فى أيام الأفضل تأذى منه جماعة ومات رجلان فسمى بالقاتول لذلك، وما صار يضرب إلا بحضور المهندسين ونصب عدة أساقيل بأخشاب كثيرة.

قال: ووصلت كسوة موسم فتح الخليج برسم الخليفة وأخيه والوزير وبعض جهاته، وفى صبيحة هذا اليوم خلع على ابن أبى الرداد ورؤساء المراكب وغيرهم وحمل إلى المقياس برسم المبيت والركوب ما يطول ذكره. وقال فى سنة سبع عشرة وخمسمائة: ولما بلغ النيل خمسة عشر ذراعا أمر بإخراج الخيام والمضارب الدبيقى والديباج، وتحول الخليفة إلى منظرة اللؤلؤة بحاشيته، ووصلت كسوة الموسم المذكور برسم الخليفة وأخوته والوزير وأولاده وأربعة من خواص الدولة وابن أبى الرداد، فلما وفى النيل ستة عشر ذراعا ركب الخليفة والوزير إلى الصناعة بمصر ورصت[3] العشاريات بين أيديهما ثم عديا فى أحدها إلى المقياس وصليا فيه، ونزل الثقة صدقة بن أبى الرداد منزلته وخلق العمود، وعاد الخليفة من فوره وركب العشارى الفضى والوزير صحبته والعساكر طول البر قبالته والرهجية تخدم برا وبحرا والصدقات والرسوم تفرق، وخلع على بن أبى الرداد خلعه مذهبة وثوب ديبقى حريرى وطيلسان مقور وبياض مذهب وشقة سقلاطونى وشقة تحتانى وشقة خز وشقة دبيقى[4] وأربعة أكياس دراهم ونشرت قدامه

---

(١) مركب فى ب، جـ، د.

* وبنى وائل كانوا ينزلون جنوبى الفسطاط وإليهم ينسب خليج بنى وائل الذى يغذى بركة الحبش بالماء من النيل، وكان هذا الخليج يخرج فمه من نقطة على النيل بالقرب من منطقة البوابة جنوبى مصر القديمة حاليا.

(٢) النوب فى ب.

(٣) رصت = رميت فى هـ.

(٤) هذا السطر تكملة من الخطط.

الأعلام الملونة، وأطلق له برسم المبيت من البخور والشموع والأغنام والحلاوات شئ كثير، وهيئت المقصورة فى منظرة السكرة برسم راحة الخليفة وتغيير ثيابه وقد وقعت المبالغة فى فرشها وتزيينها، وفرق ماجرت العادة به، ثم عاد إلى قصره والوزير مترجل فى ركابه.

وقال: وفى سنة ثمان عشرة وخمسمائة وصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة بدلتان وبرسم أخويه[1] بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة، وبرسم الوزير بدله موكبية مذهبة، وبرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة، وبرسم بن أبى الرداد وغيره عدة بدلات، وبرسم الغلمان الخاص سبعمائة قباء، وبرسم رؤساء العشاريات والنوتية من الشقق الدمياطى والفوط الحرير والمناديل شئ كثير، وما هو برسم الهبات والصدقات من الذهب أربعة آلاف دينار وخمسمائة دينار، ومن الورق[2] خمسة عشر ألف درهم، وما هو برسم المائدة والأسمطة من الضان والبقر وسائر الأصناف شئ كثير، ومن الأزهار والبخور والشموع كذلك.

وفى عاشر رجب (٥١٨هـ) بلغ النيل ستة عشر ذراعا فزينت العشاريات كلها بالستور الدبيقى الملونة والأهلة الذهب والفضة، وبات القراء تلك الليلة فى المقياس ولهم من الدراهم التى تفرق أوفى نصيب، وعدى الوزير إلى المقياس وخلق العمود بما جرت العادة به من الطيب، وفى ثانى يوم خرج الخليفة بزى الخلافة وناموسها بالثياب الطميم التى تذهل الأبصار وبالمنديل وبالشدة العربية[3] التى ينفرد بلباسها فى الأعياد والمواسم خاصة وكانت تسمى عندهم شدة الوقار مرصعة بنفيس الياقوت والزمرد والجوهر وعند لباسها يجتنب الكلام ويهاب ولا يكون سلام من أحد إلا بتقبيل الأرض من بعيد من غير دنو، وركب والدولة كلها بين يديه ونشرت عليه المظلة والمقرئون يقرءون القرآن عن يمينه والمنشدون عن يساره والديادب والبوقات بين يديه والعساكر كلها بالعدة المذهبة الحربية والآلات اللامعة المضيئة، وقد زين جميع ما بالطرق من الحوانيت والدور والمساكن وأبواب الحارث بأنواع الستور والديباج وأصناف السلاح وملأت النظارة[4] الفجاج بالصدقات والرسوم على الفقراء والمساكين وأرباب الجوامع والمساجد من طول الطريق

---

(١) أخيه فى هـ، ب.

(٢) الورق أى الفضة.

(٣) الغربية فى ب، حـ، المغربية فى هـ، والتصحيح من الخطط ص٤٧٣.

(٤) الحضرة فى المخطوط والتصحيح من الخطط حـ١ ص٤٧٤.

إلى أن وصل إلى الخيام المنصوبة فوقف راكبا وترجل كل من بين يديه وقبل الأرض وأخذ الوزير شكيمة الفرس وشق به الخيام إلى أن وصل إلى القاعة الكبرى فجلس على سرير الخلافة واصطفت الأمراء بين يديه وختم المقرئون القرآن وأنشد شعراء المجلس على طبقاتهم، فلما فرغ آخرهم صعد إلى منظرة السكرة التى بالسد[1] وهى من جنات الدنيا المزخرفة، وصعد معه أخويه ووزيره وأولاد الوزير، فجلس فيها وفتحت الطاقات التى فى المنظرة، فساعة مشاهدته قبّل الناس الأرض، والجند كلهم على السد، والقرآن والتكبير من الجانب الغربى حيث الخليفة والرهج واللعب من الجانب الشرقى، ثم أمرهم الوزير أن يكسروه فكسروه، وقبلوا الأرض كلهم وانصرفوا، وانحدرت العشاريات وهى مزينة بالذهب والفضة والستور، وغلقت الطاقات ودخل الخليفة المقصورة التى لراحته وكذلك الوزير والأمراء والخواص، واستدعى للوقت والى مصر من البر الشرقى وخلع عليه ثم خلع على رؤساء بقية المراكب ومن جرت العادة له وفرقت الرسوم على أربابها ومدت الأسمطة، ولما استحق العود عاد الموكب بجملته وسار كما جاء أولا والقراء يقرأون والصدقات تفرق بطول الطريق.

قال صاحب الذخائر: كان فى قيمة العشارى الذى يعدى فيه الخليفة مائة الف درهم وسبعة وستون ألف وسبعمائة درهم فضة نقرة وإن المطلق لصناع الصاغة عن أجرة ذلك وفى ثمن ذهب لطلائه خاصة ألفان وتسعمائة[2] دينار.

وقال ابن الطوير: إذا أذن الله تعالى بزيادة النيل طالع ابن أبى الرداد مما استقر عليه أذرع القاعدة فى اليوم الخامس والعشرين من بؤونة وأرخه بما يوافقه من أيام الشهر العربى فعلم ذلك من مطالعته وأخرجت إلى ديوان المكاتبات فنزلت فى السير[3] المرتب بأصل القاع والزيادة كل يوم مؤرخا بيومه من الشهر العربى وما وافقه من أيام الشهر القبطى لا يزال كذلك وهو محافظ على كتمان ذلك لا يعلم به أحداً قبل الخليفة وبعده الوزير، فإذا بقى من الوفاء إصبع أو إصبعان وعلم ذلك من مطالعته أمر أن يحمل إلى المقياس فى تلك الليلة الخبز السميد والخراف المشوية والحلوى والشموع، ويؤمر بالمبيت

---

(١) منظرة السكرة كانت تقع غربى الخليج فى الموضع الذى يشغله الآن مدرسة السنية الثانوية بالمبتديان بالسيدة زينب.

(٢) سبعمائة فى هـ.

(٣) المسير فى جـ.

فى تلك الليلة بالمقياس فيحضر إليه قراء الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم فيقرءون فيه تلك الليلة وتوقد الشموع عليهم إلى الصباح .

ولوفاء النيل عندهم قدرعظيم ويبتهجون به ابتهاجًا زائدًا ويهتمون بأمره اهتمامًا عظيمًا أكثر من كل موسم، فإذا أصبح الصباح من هذا اليوم وحضرت مطالعة بن أبى الرداد إليه بالوفاء ركب إلى المقياس لتخليقه فيحضر الوزير إلى القصر ويركب الخليفة بزى أيام الركوب فى الجمع الهائل على ترتيب الموكب ويخرج شاقا من باب زويلة سالكا إلى جامع بن طولون والجسر الأعظم بين البركتين[1] إلى الساحل بمصر إلى الصناعة فينزل بمنظرتها ويركب فى العشارى وعليه قبة ملبسة بصفائح الفضة المذهبة، ويركب الوزير وبعض خواصه وليس فى العشارى من هو جالس سوى الخليفة باطنا والوزير ظاهرا، ويطلع إلى المقياس من بابه العالى على الدرج التى يعلوها النيل فيدخل إلى الفسقية فيصلى هو والوزير ركعتان[2] فإذا فرغ من صلاته أحضرت الآله التى فيها الزعفران والمسك فيذيبها بيده[3] ويناولها صاحب بيت المال فيناولها لابن أبى الرداد فيلقى نفسه فى الفسقية ويخلق العمود، وقراء الحضرة من الجانب الآخر يقرءون القرآن نوبة نوبة، ثم يخرج من فوره راكبًا فى العشارى المذكور، ثم هو بالخيار إما أن يعود إلى ساحل مصر ويركب منه عائدًا إلى القاهرة أو ينحدر فى العشارى إلى المقس فيتبعه الموكب إلى القاهرة، ويكون فى البحر فى ذلك اليوم ألف قرقورة مشحونة بالعالم فرحا بوفاء النيل، ويشرف ابن أبى الرداد ثانى يوم وهو من العدول المحنكين[4] بخلعه مذهبة وطيلسان مقور يلبسه فى القصر ويخرج من باب العيد ويشق من بين القصرين ويحمل أمامه على أربعة بغال مع أربعة من خدم بيت المال أربعة اكياس فى كل كيس خمسمائة درهم ظاهرة فى أكفهم، ويركب معه أقاربه وبنو عمه وأصدقاؤه وبين يديه الطبل والبوق ويجئ إلى كل باب من أبواب القصر ويقعد عليه ويقبله ويركب وكذا عادة كل من يخلع عليه من الدولة، ويخرج من باب زويلة إلى مصر فيعدى إلى المقياس، وهذه الأكياس معدة له ولبنى عمه بتقرير من أول الزمان، فإذا انقضى هذا الشأن شرع فى الركوب إلى فتح الخليج ثانى يوم وقد كان وقع الاهتمام به منذ دخلت زيادة النيل ذراع الوفا اهتمامًا

---

(١) أى بركة الفيل على اليمين وبركة قارون على اليسار.

(٢) ركعات فى ب، جـ، د.

(٣) فيديفها فى الخطط حـ١ ص٤٧٦ .

(٤) المحتكمين فى ب، جـ، د.

عظيمًا فتخرج الخيمة التى يقال لها القاتول لأن فراشًا سقط من أعلى عمودها فمات فسميت بذلك وطوله سبعون ذراعا وبأعلاه صفرية[1] فضة تسع راوية ماء، وسعة الخيمة يزيد على فدانين مستديرة، وتنصب فى بر الخليج الغربى على حافته مكان بستان المحلى اليوم، وكانت ثَمَّ منظرة يقال لها السكرة برسم حلوس الخليفة بها لفتح الخليج فى مثل هذا اليوم، وتنصب أرباب الرتب من الأمراء من بحرى تلك الخيمة الكبرى خياما كثيرًا، فإذا تم ذلك وعزم الخليفة على الركوب ثالث يوم التحليق أو رابعه حضر الوزير إلى باب القصر وخرج الخليفة فى هيئة عظيمة وهمة عالية وحضر جميع العسكر فى ذلك اليوم فارسها وراجلها وخرج زى الخليفة من المظلة والسيف والرمح والألوية والدواة وغير ذلك، ويزاد على سائر المواكب أربعين بوقًا عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة ويكون أربابها ركبانا وأرباب البوقات النحاس مشاة، ومن الطبول الكبار التى مكان خشبها فضة عشرة، ومن التماثيل فى شكل الوحوش من الغزلان والسباع والفيلة والزرافات عدة وافرة منها ما هو ملبس بالعنبر وما هو ملبس بالصندل ثم شكل التفاح والأترج وغير ذلك، ويركب فى ذلك اليوم من أقارب الخليفة المقيمين بالقصر عشرون أو ثلاثون وهم بالنوبة فى كل سنة، فيتقدمون إلى المنظرة فى مكان لهم، ويكون قد لف عمود الخيمة الكبرى المشار إليها إما بديباج أحمر أو أصفر أو أبيض من أعلاه إلى اسفله، ويركب الخليفة من باب القصر وعليه ثوب يقال له البدنة وهو كله ذهب وحرير مرقوم والمظلة من شكله ولا يلبس هذا الثوب غير هذا اليوم.

ويسير بالموكب الهائل شاقا من القاهرة من الطريق التى ركب منها لتخليق المقياس إلا أنه لا يدخل طريق مصر من الخشابين بل خارجها من طريق الساحل فإذا جاز على جامع ابن طولون وجد قد ربط من رأس المنارة فى مكان العشارى النحاس حبلا طويلاً قويًا[2] موضوع آخره فى الطريق وفيه قوم يقال لهم السحارية[3] واحد فى زى فارس على شكل فرس وفى يده رمح وبكتفه درقه فينحدر على بكرة وفى رجليه آخر يمسكها وهو يتقلب فى الهوى بطنا وظهرا حتى يصل إلى الأرض، ويكون قاضى القضاة وأعيان الشهود جلوسا فى باب الجامع من هذه الجهة فإذا رآهم[4] الخليفة وقف لهم وقفة فيسلم على

---

(١) قبة فى ب، د.

(٢) قوى فى الأصل.

(٣) البختارية فى الخطط، المخسارية فى ب، والنحسارية فى هـ.

(٤) وازاهم فى الخطط حـ١ صر ٤٧٧.

القاضى ثم يركب القاضى ومن معه ويكون قد نصب لهم بالقرب من الخيمة الكبرى خيمتان إحداهما ديباج أحمر والأخرى دبيقى أبيض بصفارى فضة لكل واحدة، فيتم الخليفة بهيئته إلى أن يدخل من باب الخيمة ويجلس على المرتبة المنصوبة له ويحوط به الأمراء ويجلس الوزير على كرسيه الجارى به العادة ورجلاه تحك[1] الأرض ويقف أرباب المراتب والقراء يقرأون القرآن ساعة زمانية فإذا ختموا قراءتهم دخل الشعراء فأنشدوا ما يناسب هذا اليوم واحداً فواحداً، وتقدم مرة شاعر يقال له بن خبر فأنشد قصيدة منها:

فتح الخليج فسال منه الماء .·. وعلت عليه الراية البيضاء
وصفت موارده انا فكأنه .·. كف الإمام فعرفها الإعطاء

فانتقد الناس عليه في قوله فسال منه الماء وقالوا: أى شئ يجرى من البحر غير الماء فضيع ما قاله بعد هذا المطلع، وتقدم شاعر يقال له مسعود الدولة وأنشد.

ما زال هذا السد ينظر فتحه .·. إذن الخليفة بالنوال المرسل[2]
حتى إذا برز الإمام بوجهه .·. وسطا عليه كل حامل معول
فجرى كأن أذيب فيه عنبر .·. يعلوه كافور كطيب المندل[3]

فانتقدوا عليه أيضا في قوله فى البيت الثانى وقالوا: أهلك وجه الإمام بسطوات المعاول عليه وإن كان قصد فتح السد بالمعاول لكنه ما نظمه إلا قلقا، ثم تقدم شاعر يقال له كافى الدولة أحمد وأنشد قصيدة شهد له جماعة أنه عملها بديها بحضورهم:

لمن اجتماع الخلق فى ذا المشهد .·. للنيل أم لك يا بن بنت محمد
أم لاجتماعكما معا فى موطن .·. وافيتما فيه لأصدق موعد
ليس اجتماع الخلق إلا للذى .·. حاز الفضيلة منكما فى المولد
شكروا لكل منكما بوفائه .·. للسعى لكن ميلهم للأجود[4]

---

(١) تحت فى ب، د، تحد فى هـ.
(٢) هذا = هو فى جـ.
(٣) أذيب = قد ديف فى هـ، كطيب = بطيب فى الخطط حـ١ ص٤٧٨.
(٤) للسعد فى المخطوط والتصحيح من الخطط حـ١ ص٤٧٨.

ولمن إذا اعـتـمـد الوفـاء فـفـعله ∴ بالقـصـد ليس لـه كم لم يقـصـد
هـذا يفـى ويعـود ينـقص تـارة ∴ وتسـد أنت الـنقص إن لـم يزدد[1]
وقـواه إن بلغ الـنهـاية قـصـرت ∴ وإذا بلـغت إلى النهـاية تبـتـدى
فـالآن قد ضـاقت مسـالك سـعيـه ∴ بالسـد فـهـو به بحـال مـقـيـد
فـإذا أردت صـلاحـه فـافـتح له ∴ ليرى جنابا مـخصـبـا وترى ندى[2]
وأمـر بفـصـد العـرق منه شكا ∴ جـسم فـصح الجسم إن لم يـفصـد[3]
واسلـم إلى أمـثـال يومك هـكذا ∴ فى عـيش مـغبـوط وعـز مـخلد[4]

فأمر له على الفور بخمسين ديناراً وخلع عليه وزيد فى جائزته، ثم يقوم الخليفة عن السرير راكبا والوزير بين يديه حتى يطلع إلى المنظرة المعروفة بالسكرة وقد فرشت بالفرش المعدة لها ويفتح إحدى طاقات المنظرة ويطل منها الخليفة على الخليج ويشير بالفتح فيفتح بأيدي عمال البساتين بالمعاول، ويخدم بالطبل والبوقات، فإذا اعتدل الماء فى الخليج دخلت العشاريات اللطاف ثم العشاريات الخاص الكبار وهى ستة[5] : الذهبى والفضى والأحمر واللازوردى والصقلى وساروا فى الخليج وعلى بيت كل منها الستور والحرير وعلى رؤوسها وأعناقها الأهلة والقلائد فتسند الى البر الذى فيه المنظرة الجالس فيها الخليفة فإذا استقر جلوس الخليفة والوزير بالمنظرة ودخل قاضى القضاة والشهود الخيمة الدبيقى البيضاء وصلت المائدة من القصر فى الجانب الغربى من الخليج على رؤوس الفراشين صحبة صاحب المائدة فتوضع فى خيمة معدة لذلك ولها رواء عظيم ومسك فائح وعليها القوارات[6] الحرير، ويحمل للوزير عادته من الطعام فى صوانى التماثيل، وكذا سائر الأمراء، ويحمل إلى قاضى القضاة من غير تماثيل توقيراً للشرع، ويصل من ذلك إلى الناس شئ كثير، ولا يزالون كذلك إلى أن يؤذن بالعصر فإذا صلوا ركب الموكب كله لانتظار ركوب الخليفة فيركب لابسًا غير[7] البدلة بدلة

(١) تزدد فى ب، ويردد فى الخطط.
(٢) لترى جنانا فى جـ، اترى حنانا فى ب، ترى = ثرى فى هـ.
(٣) منه شكا = فما امتلأ فى ب، جـ.
(٤) هكذا = هذا فى ب، جـ.
(٥) سبعة فى ب، جـ، د، والتصحيح من الخطط.
(٦) القورات فى المخطوطة، والقوارات فى الخطط جـ١ ص٤٧٩.
(٧) البدنة فى جـ، هـ.

أخرى والمظلة مناسبة لثيابه التى عليه والترتيب بأجمعه على حاله، ويسير فى البر الغربى من الخليج شاقا البساتين هناك حتى يدخل من باب القنطرة[1] إلى القصر ويمضى الوزير إلى داره.

وقال المقريزى[2]: منظرة السكرة بناها العزيز بالله ابن المعز، كان الخليفة يجلس فيها يوم كسر الخليج، وكانت من جنات الدنيا المزخرفة وكان لها بستان عظيم وفيها عدة أماكن معدة لنزول الوزير وغيره من الأكابر وقد دثرت. قال: ويشبه أن يكون موضعها فى الموضع الذى يقال له اليوم المريس قرب قنطرة السد، وقد أشار الفقيه عمارة اليمنى إلى ذكر هذا الموسم فى قصيدته التى رثى بها الخلافة الفاطمية وهى القصيدة التى قال فيها أبو سعيد: لم يسمع فيما يكتب به دولة بعد انقراضها أحسن منها وهى هذه:

رميت يا دهر كف المجد بالشلل ∴ وجيده بعد حسن الحلى بالعطل
سعيت فى منهج الرأى العثور فإن ∴ قدرت من عثرات الدهر فاستقل
جدعت مارنك الأقنى فأنفى لا ∴ ينفك ما بين قرع السن والخجل[3]
هدمت قاعدة المعروف عن عجل ∴ سقيت مُهلا أما تمشى على مهل[4]
لهفى ولهف بنى الآمال قاطبة ∴ على فجيعتها فى أكرم الدول
قدمت مصر فأولتنى خلائفها ∴ من المكارم ما أربى على الأمل[5]
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن ∴ كمالها أنها جاءت ولم أسل
وكنت من وزراء الدست حين سما ∴ رأس الحصان يهاديه على الكفل
ونلت من عظماء الجيش مكرمة ∴ وخلة حرست من عارض الخلل[6]

---

(١) باب القنطرة كان أحد أبواب القاهرة فى سورها الغربى الذى أقامه جوهر الصقلى سنة ٣٦٠هـ، ثم لما أقام صلاح الدين أسوار جديدة للقاهرة سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٥م عمل السور الغربى للقاهرة غرب السور الأول لمسافة ٢٥ متر وأقام به بابًا جديدًا باسم باب القنطرة أيضًا فى مواجهة الباب القديم على بعد ٢٥ مترًا منه، وكان هذا الباب يقع على رأس شارع أمير الجيوش الجوانى بجوار سبيل سليمان جاويش (أثر رقم ١٦٨) وقد هدم الباب قاسم باشا الذى كان محافظًا للقاهرة أيام على باشا مبارك. انظر على مبارك، الخطط التوفيقية جـ٢ ص٦٥.

(٢) الخطط جـ١ ص٤٧٠.

(٣) مارنك = ماربك فى د، ماريك فى هـ.

(٤) سقيت = سعيت فى هـ وفى الخطط جـ١ ص٤٩٤.

(٥) على الأمل = عن الأول فى ب، حـ.

(٦) مكرمة = تكرمة فى جـ، خلة = حلة في ب، جـ.

يا عـاذلي في هوى أبناء فـاطمـة ∴ لك الملامـة إن قـصرت في عـذلي
بالله در ساحة القصرين وابك معي ∴ عليهـما لا على صفين والجمل(١)
وقل لأهليهـما والله مـا التحمت ∴ فـيكم جـراحي ولا قرحي بمندمل
مـاذا عسى كـانت الإفرنج فـاعلة ∴ في نسل آل أمـير المؤمنين علي
هل كان في الأمر شيء غير قسمة ما ∴ ملكتـموا بين حكم السبي والنفل(٢)
وقد حصلتم عليها واسم جدكم ∴ محمد وأبوكم غير منتقل
مررت بالقصر والأركان خالية ∴ من الوفود وكانت قبلة القبل
فملت عنها بوجهي خوف منتقد ∴ من الأعادي ووجه الود لم يمل
أسلت من أسفي غداة خلت ∴ رحابكم وغدت مهجورة السبل(٣)
أبكي على ما تراءت من مكارمكم ∴ حال الزمان عليهـما وهي لم تحل
دار الضيافة كانت أنس وافدكم ∴ واليوم أوحش من رسم ومن طلل(٤)
وفطرة الصوم إذا أضحت مكارمكم ∴ تشكو من الدهر حيفا غير محتمل
وكسوة الناس في الفصلين قد درست ∴ ورث منها جديد عندهم وبلي(٥)
وأول العام والعيدين كم لكم ∴ يأتي تجملكم فيه على الجمل
وموسم كان في يوم الخليج لكم ∴ فيهن من وبل جود ليس بالوشل(٦)
والأرض تهتز في يوم الغدير كما ∴ يهتز ما بين قصريكم من الأسل
والخيل تعرض في وشي وفي شية ∴ مثل العرائس في حلي وفي حلل
ولا حملتم قرى الأضياف من سعة ∴ الأطباق إلا على الأكتاف والعجل
وما خصصتم ببرّ أهل ملتكم ∴ حتى عممتم به الأقصى من الملل
كانت رواتبكم للذمتين وللضيف ∴ المقيم وللطاري من الرسل
ثم الطراز بتنبس الذي عظمت ∴ منه الصلاة لأهل الأرض والدول
وللجوامع من إحسانكم نعم ∴ لمن تصدّر في علم وفي عمل

---

(١) در = رد في جـ، ب.
(٢) النفل = النقل في جـ.
(٣) أسلت = أسبلت في جـ، ب.
(٤) الشطر الثاني من هذا البيت والأشطر الأول من البيت الذي يليه محذوفة في المخطوطة.
(٥) عندهم = عنهم في جـ، ب، د.
(٦) ويل = نيل في جـ، ب، د.

وربما عــادت الدنيـا فــمـعـقـلـهـا ∴ منك وأضـحـت بكم مـحلولة العـقل
والله لا فـاز يوم الحشـر مـبـغـضكـم ∴ ولا نجـا مـن عـذاب الله غـيــر ولى
ولا سـقـى الماء من حـرّ ومن ظـمـأ ∴ من كـف خـيـر البــرايا خـاتم الرسل
ولا رأى جـنـة الله الـتـى خـلـقـت ∴ من خان عـهد الإمام العـاضد ابن على
ائمـتـى وهداتى والذخــيـرة لى ∴ إذا ارتهـنـت بما قــدّمت من عـــملى
تالله لم أو فـهم فى المدح حـقـهم ∴ لأن فــضلهـم كــالـوابل الهـطل
ولو تضـاعـفت الأقـوال واتسعت ∴ ما كنت فـيهم بحـمد الله بالخجل[1]
باب الـنجـــاة هم دنيـــا وآخــرة ∴ وحـــبـهم هـو أصل الدين والعـــمل
نور الهدى ومصابيح الدجى ومحل ∴ الغــيــث إن ربت الأنواء فـى المحل
أئمــــة خلـقـــوا نـوراً فـنـورهم ∴ من محض خالص نور الله لم يقل[2]
والله مـا زلت عن حـبى لـهم أبدا ∴ مـا أخّـرا الله لى فى مـدة الأجل

فصل

لما انقرضت دولة الخلفاء الفاطميين صار ملوك بنى أيوب يركبون إلى المقياس يوم الوفاء. قال القاضى الفاضل فى سنة سبع وسبعين وخمسمائة وصل الفرد فى حادى عشر[3] ربيع أول بالوفاء فى سابع عشرة فأوفى بمصر فى سابع[4] عشرينه يوم السادس عشر من مسرى.

قال: ولا يعرف وفاؤه بهذا التاريخ فى زمن متقدم، فركب السلطان صلاح الدين لتخليق المقياس فى غد، وخلع على ابن أبى الرداد فى سلخه، وفتح الخليج فى رابع ربيع الآخر والماء على خمسة عشر إصبعا من سبعة عشر ذراعا بمحضر والى القاهرة، ثم ركب السلطان فى أول جمادى الأول لفتح بحر أبى المنجا وعاد.

وفى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة فى ثامن[5] عشر رمضان ركب العزيز إلى المقياس وخلقه، وفى العشرين منه فتح سد الخليج فركب العزيز لذلك وكثر المتفرجون والعزيز

---

(١) واتسعت = واستبقت فى ب، جـ، د.
(٢) محض ناقصة فى المخطوط.
(٣) عشرين فى و.
(٤) سادس فى ب، ٥.
(٥) ثانى فى جـ، هـ.

هو ثانى ملوك بنى أيوب وهو ولد السلطان صلاح الدين واسمه عثمان وهو من خيار ملوك مصر وهو صاحب وقف الخشابية بجامع عمرو وهو مدفون داخل قبة الإمام الشافعى رضى الله عنه.

قال المقريزى: وفى سنة تسع وستين(٥) وستمائة فى سادس عشر(٦) ربيع الآخر أوفى النيل أول أيام النسىء فركب السلطان إلى المقياس وخلق العمود ثم ركب فى الحراقة وكسر الخليج الكبير فكان يوما مشهوداً، وكتبت البشائر بالوفاء على العادة.

وقال المقريزى: فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة ركب السلطان الملك الظاهر برقوق حتى خلق المقياس وفتح الخليج بحضرته على العادة ولم يعهد بعد الملك الظاهر بيبرس ملك ركب حتى خلق المقياس وفتح الخليج سوى الظاهر برقوق وكذا قال الحافظ ابن حجر فى إنباء الغمر(٣).

واستمر الظاهر برقوق يركب إلى المقياس وكسر الخليج كل سنة مدة ولايته، وركب ولده الملك الناصر فرج كذلك فى سنة سبع وثمانمائة وفى سنة إحدى عشرة (وثمانمائة).

وركب الملك المؤيد شيخ لذلك فى سنة ست عشرة (وثمانمائة) أول ما تسلطن ثم استمر يركب إلى أن مات، ثم لم يركب له سلطان إلى سنة ثلاث وثلاثين (وثمانمائة) فركب الملك الأشرف برسباى لذلك، ثم لم يركب له إلى أن مات، ولا أحد من السلاطين بعده إلى أيام الملك الظاهر خشقدم فركب له فى ولايته بعض سنين، ولم يركب له سلطان عصرنا (الملك الاشرف قايتباى عز نصره).

وقال بعضهم فى كسر الخليج وكتابة البشائر:

سد الخليج بكسره جبر الورى ∴ طرا فكل قد غدا مسرورا
الماء سلطان فكيف تواترت ∴ عنه البشائر إذا غدا مكسورا

---

(١) سبعين فى جـ، هـ.
(٢) عشرين فى و.
(٣) هذا الرأى خطأ، إذ باطلاعنا على كتاب ابن عبد الظاهر «تشريف الأيام والعصور» وجدنا السلطان قلاوون قد قام بتخليق المقياس وكسر سد الخليج.

وقال شمس الدين[1] محمد بن داود بن قزل سبط الملك الظاهر [2]

لـــلــه در الخـــلــيـــج إن لـــه ∴ تـفـــضـــلا لا نـزال نـشكـره
حـــســبك منه بأن عـــادته ∴ يجـــبـــر مـن لا يزال يـكســره

وقال ابن إياس الذهبى :

كـســر الخليج وكـان ذلك نعـمـة ∴ ســرت قلوب المسـلمين بســره[3]
ومن العــجـائب والغــرائب إنه ∴ جـبــرت قلوب العـالمين بكســره

وقال تقى الدين بن أبى بكر بن حجة يهنئ الملك المؤيد شيخ عام ست عشرة وثمانمائة وهو عازم على السفر لقتال نوروز لما عصى :

أيا مـلكا بـالله أضـــحى مـــؤيدا ∴ ومنتــصـبــا فى ملكه نـصب تمييــز
كسـرت بمسرى نيل مصـر وتنقضى ∴ وحـقك بعـد الكسـر أيام نوروز[4]

وانشد الشهاب الحجازى لنفسه .

أيا ملكا كـالبـحـر شـيـمـتـه الوفـا ∴ ليـهنيك كـسر النيـل إذ أنت معـزوز
وفـيت إلى نوروز والـغـدر طبـعـه ∴ وبعـــد وفـاء البـــحـر يكســـر نوروز

وقال البدر البشتكى :

رعى الله مـصـر كم بها من مـسـرة ∴ فى منزل أسد لاح كالطالع السعدى[5]
رويت الهنا عن سـدها يوم كـسـره ∴ فها أنا مهـما عشت أروى عن السدى

---

(١) الدين = الأئمة فى ب .
(٢) الظاهر = الحافظ فى هـ.
(٣) بسره = بكسره فى ب ، د .
(٤) كسر = كسرت فى جـ.
(٥) فى منزل أسد = ومنزل أنس فى جـ.

وقال الصفى عبد العزيز بن سرايا الحلى[1] يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون عند كسر الخليج :

خلع الربيع على غصون البان ∴ حللا فواضلها على الكثبان
ونمت فروع الدوح حتى صافحت ∴ كفل الكثيب ذوايب الأغصان[2]
وتوّجت هام الغصون فضرجت ∴ خد الرياض شقائق النعمان[3]
وتنوعت بسط الرياض فزهرها ∴ متباين الأشكال والألوان
من أبيض يقق وأصفر فاقع ∴ أو أزرق صاف وأحمر قان
والظل يسرق فى الخمائل خطوة ∴ والغصن يخطر خطوة النشوان[4]
وكأنما الأغصان سوق رواقص ∴ قد قيدت بسلاسل الريحان
والشمس تنظر من خلال فروعها ∴ نحو الحدائق نظرة الغيران
والطلع فى حلل الكمام كأنه ∴ حلل تفتق عن نحور غوانى
والأرض تعجب كيف تضحك والحيا ∴ يبكى بدمع هائم الهملانى
حتى إذا افترت مباسم زهرها ∴ وبكا السحاب بمدمع هتان
ظلت حدائقها تعاتب جوها ∴ فأجاب معتذرا بغير لسان[5]
طفح السرور على حتى أنه ∴ من عظم ما قد سرى أبكانى
فاصرف همومك بالربيع وفضله ∴ إن الربيع هو الشباب الثانى
إنى وقد صفت المياه وزخرفت ∴ جنات مصر وأشرف الهرمان
واخضر واديها واحدق زهره ∴ والنيل فيه ككوثر عنان[6]
وبه الجوارى المنشآت كأنها ∴ أعلام بيد أو فروع قنان[7]
نهضت بأجنحة القلوع كأنها ∴ عند المسير تهم بالطيران
والماء يسرع بالتدفق كلما ∴ عجلت عليه يد النسيم الوانى

(١) المحلى فى ب، د.
(٢) الدوح = الروح فى هـ، المدح فى جـ، الكثيب = الكييب فى ب.
(٣) توجت = تتوجت فى جـ، توجهت فى د.
(٤) يسرق = يسرف فى و، خطو= خطرة فى د،
(٥)جوها = جونه فى جـ، جره فى د.
(٦) عنان = بجنان فى هـ، غسان فى د.
(٧) بيد = تبلد فى د.

طورا كـأسنمـة القـلاص وتارة ∴ مـتـفـتـل كـأكـارع الغـزلان[1]
حتى إذا كسـر الخليج وقسمت ∴ أمـواه لجـتـه على الخلـجـان
ساوى البـلاد كما تساوى فى الندا ∴ بين العـبـاد مـواهب السلطان[2]
الناصـر الملك الذى فى عصـره ∴ شكر الظبـاء صنيعـة السرحـان
ملك إذا اكـتـحل الملوك بنوره ∴ خـروا لهـيـبـتـه إلى الأذقـان
وإذا جـرى بين البـرية ذكـره ∴ تغنيـه شـهـرته عن بن فـلان[3]
من معـشـر خزنوا الثناء وقطعوا ∴ بفنا النضـار جـوائز الخـزان
قـوم يرون المن عند عطائهم ∴ شـركـا بوصف الواحـد الديان[4]
استـوقـدوا تحت المراجل للقرى ∴ فـضـلات مـا حظـوا من المزّان[5]
إن أخرست فلذا العقير كلابهم ∴ نادوا الضـيـوف بألسن النيـران
أسد روت يوم الهيـاج أكـفـهم ∴ بدم الأسـود ثعالب الخـرصان[6]
وضعوا القنا فى صدر كل مدرع ∴ والبـيـض فى الأبدان والإيدان[7]
قد عـز دين محـمـد بسمّيه ∴ وسـمـا بنصـرته على الأديان
ملك تقـيـدت الملوك لأمـره ∴ وكـذاك دولة كل رب قـرآن[8]
وافى وقـد عاد السـمـاح وأهله ∴ رمما فكان له المسيح الثـانى
فـالطير تلجأ بالحصون لأنـهـا ∴ بنداه لم تأمن من الطوفـان
لا عـيـب فى نعـمـاه إلا أنهـا ∴ يسلو الغريب بهـا عن الأوطان
شاهدته فشهـدت لقمان الحجى ∴ ونظرت كسـرى العدل فى الإيوان
رأيت منه سمـاحـة وفصـاحـة ∴ أعد بفيضهـمـا يدى ولسانى
يا ذا الذى شغل الزمان بنفسه ∴ وأصم سـمـع طوارق الحـدثان

---

(١) متفتل = منفتك فى د، تمتعك فى ب.
(٢) ساوى = سوى فى ب، مواهب= مواهى فى د.
(٣) بين البرية ذكره= بين الورى ذكر اسمه فى هـ.
(٤) الديان = المنان فى ب.
(٥) خطوا = خطو فى ب، خطوا فى د.
(٦) روت= نوت فى ب.
(٧) وضعوا = قصفوا فى جـ.
(٨) تقيدت = تعبدت فى جـ، قران = فران فى ب.

لو يكتب اسمك بالصوارم والقنا ∴ أغنى عن التضراب والقطعان[(١)]
وكتيبة ضرب العجاج رواتها ∴ من فوق أغمدة القنا المران
نسج الغبار على الجياد مدارعا ∴ موصولة بمدارع الفرسان[(٢)]
ودم بأذيال الدروع كأنه ∴ حول الغدير شقائق النعمان
حتى إذا استعر الوغى وتتبعت ∴ بيض الصفاح مكامن الأضغان
فعلت دروعك عندها بسيوفهم ∴ فعل السراب بمهجة الظمآن[(٣)]
وبرزت تلقطك السيوف إليهم ∴ لقط الزناد سواطع النيران[(٤)]
باقبب يعصي الكف ثم يطيعه ∴ فتراه بين تسرح وتوان
قد أكسبته رياضه سُوّاسه ∴ فتكاد تركضه بغير عنان[(٥)]
كالصقر في الطيران والطاووس في ∴ الخطران والخطاف في الروغان
يرنو إلى حُبُك السماء توهما ∴ إن المجرة حلبة الميدان
لو قيل عج نحو السماء تبادرا ∴ وطئت يداه دوائر الديران[(٦)]
لو قيل جز فوق السراط مسارعا ∴ لمشى عليه مشية السرطان
وفللت جدّ جدوعهم بصوارم ∴ ككراك نافرة عن الأجفان
غلت فظنت في مقارعة العدا ∴ إن الغموه معاقد التيجان[(٧)]
صيرت هامات الكماة صوامعا ∴ وكواسر العقبان كالرهبان
يا ذا الذى خطب المديح سماحه ∴ فنداه قبل نداى قد لبّانى
اقصيتنى بالجود ثم دعوتنى ∴ فنداك أبعدنى وإن أدنانى
ضاعفت برك لى ولو لم يولنى ∴ إلا القبول عطية لكفانى
فنأيتُ عنك ولست أول حازم ∴ خاف النزول بمهبط الطوفان
علمى بصرف الدهر أخلى معهدى ∴ منى وصرف فى البلاد عنانى

---

(١) بالصوارم = بالطورق فى جـ، التضراب= التصراب فى ب والنضراب فى جـ.
(٢) نسج = نصب فى جـ.
(٣) عندها= عندهم فى جـ.
(٤) السيوف = الصفوف فى جـ، تلقطك= تلفظك فى جـ، لقط = لفظ .
(٥) رياضه سواسه = رياض سياسته .
(٦) عج= لج فى و، الديران = الدبران فى جـ.
(٧) الغموه= الغموم فى هـ.

ولربما طلب الحريص زيادة ∴ فغدت مودته إلى النقصان
فلئن رحلت فقد تركت بدائعا ∴ عصبت فصول الحكم من لقمان[1]
وخريدة هى فى الجمال فريدة ∴ فهى الغريبة وهى فى الأوطان
معتادة تهب الخليل صداقها ∴ فخرا على الأكفاء والأقران
لا عيب فيها وهو شاهد حسنها ∴ إلا تبرجها بكل مكان
قلّت وإن جلت صنائع لفظها ∴ لكم وإن نطقت بسحر بيان
فجميل صنعكم أجل صنائعا ∴ وبديع فضلكم أدق معان

وقال شهاب[2] الدين أبو نصر محمد بن إبراهيم الحلبى المعروف بالبرهان النجم يخاطب زين الدين يوم تخليق المقياس :

أمقياس مصر أنت فى مصر كعبة ∴ تحج لك الأملاك والخلفاء
وللخلق إن خلقت يوم مسرة ∴ يكون به للعالمين ضياء[3]
وما النيل إلا من مواهب ربنا ∴ يصرّفه فى الأرض كيف يشاء
دع الكبر وأعلم أن راحة أحمد ∴ بنيل الورى ما لأ ونيلك ماء
وإنك تبدى الستر فى العام مرة ∴ وكم عمنا ستر له ووفاء

وقال شهاب الدين بن أبى حجلة يمدح الأمير يلبغا يوم كسر الخليج :

أتانى من نحو الحبيب بشير ∴ فكدت إليه بالسرور أطير
حبيب إذا ما لاح دينار خده ∴ فإنى إليه ما حييت فقير[4]
أقول لمن أمسى عليه يلومنى ∴ ملامك فى الظبى الغرير غرور[5]
أيخفى إشتهارى فى هواه ولحظه ∴ إذا ما رنى سيف علىّ شهير
لئن بات دمعى من تجنيه مطلقا ∴ فقلبى المعنّى فى هواه أسير
وبى من له من ورد خديه دائما ∴ ودمعى بمصر روضة وغدير
كسرت دموعى كالخليج الذى به ∴ جبرت وقلب الماء فيه كسير

---

(١) عصبت = غصبت فى جـ.
(٢) شهاب = مهذب فى جـ.
(٣) يوم ناقصة فى هـ، و.
(٤) حييت = جبيت فى جـ.
(٥) الغرير = العزيز فى د، الغدير فى ب.

أرى الراية البيضاء على النيل بالوفا ∴ إذا لاح لى قلع عليه كبير
وحصن مصرا فى علا السعد عندما ∴ غدا وله حول المنازل سور[1]
وبات به نحو البلاد مفرقا ∴ وبات لميت القلع فيه نشور[2]
ودارت سواقى مصر فى كل روضة ∴ على مثلها كان الخصيب يدور
وبشر طير الماء فيه غرابة ∴ فكاد بأرياش القلاع يطير
نعم طار فوق الماء وهو محلق ∴ وعم البرايا فرحة وسرور[3]
أرى النيل سلطان المياه ويلبغا ∴ عليه بمصر حاكم وأمير
كأن جناحى جيشه عندما سرى ∴ إليه بزاة حوله وصقور[4]
كأن حباب النيل فيه كواكب ∴ تضئ فتبدو تارة وتغور[5]
كأن لزحف الماء فيه كتائب ∴ لعسكرها الجرار فيه عبور
كأن شقيق الروض حول أقاحه ∴ خدود على وجه الربا وثغور
كأن قدود الغيد فى الروض حوله ∴ غصون ومن فوق الغصون بدور
كأن محيا يلبغا عندما سرى ∴ به الفلك بدر فى السما منير
عجبت لفلك حل فيه بجوده ∴ وقد صار تحت البحر كيف يسير[6]
هو البر إلا أن يمناه بالندا ∴ أصابعها للواردين بحور
تلقته بالمقياس عند حلوله ∴ أصابع تومى بالدعا وتشير[7]
وعاد إلى كسر الخليج فبادرت ∴ لرؤياه ولدان هناك وحور
وصفقت الأمواج حتى تراقصت ∴ مراكب فيها الصدور صدور[8]
وغنت على العيدان ورق حمائم ∴ لأصواتها مثل الغدير هدير
ولاح حباب الماء فيه كأنه ∴ نجوم على قطب السرور تدور

---

(١) وحصن مصرا فى علا السعد= رخص مصرا فى غلاء السعر فى ب، د.
(٢) ومات به نحو البلاد مفرقا فى ب، وبات به محل البلاد مفرقا فى هـ.
(٣) محلق = مخلق فى ب، د، هـ.
(٤) جيشه = عينه فى ب، جـ.
(٥) النيل = الماء فى ب، جـ، د، هـ، تاره = طاره فى جـ.
(٦) بحوده = بجوده فى هـ، بحوره فى و، صار = سار فى ب، تحت = تحته فى و.
(٧) حلوله = دخوله فى جـ.
(٨) الصدو = للصدور فى أ، صفقت = خفضت فى هـ.

ونفّـر عنى الهـم صـوت نـفـيـره ∴ فــمــا راعنـى ممن هويـت نفــور
ولا ملت فى مدح الأمير إلى الهوى ∴ لأنى بما يـهـوى الأمـيــر خــبـيــر
لئن كـان يهوى العـدل فينا فـجوده ∴ على مـــاله للـمــادحين يـجــور[1]
وإن قل فى حــسـن الوفـا نظيـره ∴ فـإحــسـانه فـى العــالمين كـثـيــر
وإن طال فى يـوم الكريهــة باعــه ∴ فـعــمـر عـدو الدين منه قـصـيـر
أحـرر مـدحى فـى عـلاه وقـصـره ∴ من الفــرش فــيــه جنة وحــريـر
فـلا زال فى دور الهنا ومـديحــه ∴ لأبيــاته فـوق الســمـاء قــصـور[2]

وقال ابن أبى حجلة ايضًا :

لما تـزايد نيـل مــصــر واتـرعت ∴ منه الحـيــاض وللـروابى طفــفــا
نشــروا الـقلوع وبشــروا بـوفــائه ∴ فــالراية الـبـيـضــا عـليـه بالوفــا

وقال البدر البشتكى :

جرى النيل يحكى ناظر الخاص فى الوفا ∴ وأطراه بعض الناس والفـرق لن يخـفى
فــقلت لقـلبى دع لهـم وصف نيلـهم ∴ وحــسـبـك إبراهيم فــهــو الذى وفى

وقال البدر البشتكى أيضًا يمدح قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة عند كسر الخليج سنة ثمانى[3] وسبعين وسبعمائة :

رعى الله الليــالى الـذاهبـــات ∴ ودهرا قــد تـقـضـى ذاهبــات
نعم وســقى وحــيّـا لى نـدامى ∴ تروّع بـالكـؤوس المتـــرعـــات
وشـمـس الراح بالراحــات تجلو ∴ حــبـاب كــالنجــوم النيــرات
ومن شــعــرى أهيم بـكل واد ∴ فـتـتـبـعنـى الأحـبـة كـالغــوات
ليــالى مـن بدور مـقــمــراتٌ ∴ وأيام بـشــمـس مـشــرقــات[4]
وفــضّـى الســوالف حين غـنّى ∴ غنينا بـالخــدود المذهبــــات

(١) يجور = بحور فى هـ، د.
(٢) الهنا = الهوى فى جـ.
(٣) ثمانية فى المخطوط .
(٤) بدور = بدورى فى جـ، أيام = أيامى فى د.

تكلمنا لواحظنا بما لا ∴ نراه فى الصحاح من اللغات[1]
تحاكيه الغزالة فى سناها ∴ فيخجلها بحسن الإلتفات
إذا ما قال لى خد شمس كاسى ∴ أقول مبادرا يا بدرُ هات[2]
قطعناها بوصل من حبيب ∴ على رغم العواذل والوشاة
ليال كاللآلئ فى اتساق ∴ فسقى عصرها ابن المعصرات[3]
وإلا مرسلات من دموعى ∴ فروحى بعدها فى النازعات
ليالى مصر قد طالت وكانت ∴ قصارا بالحسان القاصرات
ألا يا حبذا مصر وطرفى ∴ بها قد جال فى مستنزهات
وصحبى بالمراكب فى نعيم ∴ بمنحدراتها والمصعدات
وخضنا فى حديث النيل لكن ∴ مزجناه بأوصاف الفرات
فقلت وقد سرت عنى همومى ∴ بأيام الوفا الوافيات
عجبت لنيل مصر حين وفى ∴ على بخل الليالى الغاردات
وزاد تعجبى فيه إلى أن ∴ رأيت جواره قاضى القضاة
إمام قد تواتر من قديم ∴ حديث عطائه عند الثقاة
نسرد فى عبادات وأضحت ∴ صلات البر منه كالصلاة
فإن قربت جنايزنا بفقر ∴ يرينا باب إحياء الموات
وإن عظمت جنايات الليالى ∴ يقابلها بأبواب الديات
له نحو العلا أبواب عطف ∴ وبذل فيه تأكيد الصلات
وذو خُطَب أزالت كل خَطْبٍ ∴ وكانت للمدائح خاطبات
نعم ومصنفات فى علومٍ ∴ علت وحوت جميع الواقعات
تصانيف سمت وهدت وضاءت ∴ فقلنا كالنجوم الزاهرات
له قلم إذا ضعفت نفوس ∴ أتاها بالدواء من الدواة
وإن نامت حظوظ المدح يوما ∴ ينبهها بهبّات الهبات
وذو همم إذا الأيام جنت ∴ تراها فى المعالى راقيات[4]

(١) هذا البيت ساقط من ب.
(٢) خد شمس كاس= خد الحسن كاسى
(٣) ابن = من فى هـ.
(٤) راقيات = واقعات فى جـ.

وأحـلام بحـسـن الوصف سـارت ∴ نقل فى الـراسـيـات السـاريات(1)
آل جـمـاعـة جـمـعت لـديكم ∴ مـعـان للـعـلا كـالجـامـعـات
منـاقـبكـم علـى الأيام تبـقى ∴ وإن غـبـتم فـهـا هى شـاهدات
لكـم نشـر طوى نـدا وعـودا ∴ وعـرف مـرخـص للغـاليـات
نعـم لجـمـاعـة برهان فـضل ∴ تـفـرد فى الـنـدا بالمـغلوات(2)
فـيـا لـله كم أغنى فـقـيـرا ∴ وروى من نـفـوس صـاديات
وزاد عـلى نـوال الـنيـل نيـلا ∴ وأعطى المال عـفـوا للعـفـات
أأزكى الـناس فـى علم وعـمل ∴ وفـى بـذل ونـفـس وذات
لعـدلك اشـتكى جـور الليـالى ∴ فـقـد صارت بفـضلى كـافـرات
وأنهـى إننـى رجل فـقـيـر ∴ لما قـررت فـى بـاب الزكـاة
وأيام الـوفـا أيام كـسـر ∴ فـجـد لـى بالأيادى الجـابرات
رأيتـك راغـبـا فـى كل فـضل ∴ فـجـئـتك بـالمعـانى المفـردات
وكـررت المدائح فـيـك حـتى ∴ غـدت أحلى مـن القطـر النبـات
فـلا زالـت ديارك عـامـرات ∴ لنـا وديار ضـدك غـامـرات
ووفـاك الوفـا بالبـشـر بدءاً ∴ وعـاد على الأعـادى بـالوفـات
تقـاسـمنـا عـمـوم المدح لما ∴ خـصـصنا بـالمعـانى المبـدعـات
فكـان علـىّ تحـسـين المبـادئ ∴ وكـان عليـك حـسن الخـاتمات

وقال الأديب شمس الدين النـواجى يمدح القاضى كاتب السر كمال الدين بن البارزى ويهنيه بكسر الخليج سنة بضع وأربعين وثمانمائة:

لطلعـتك الغـراء يعلو سنا الـبـدر ∴ نعود كـمالاً منك بـالشمس والفـجر
أيا سـيـدا جـادت مـياه وأمطرت ∴ سـحـائب جـود من أناملهـا العشـر
ويا عنصر الفضل الذى طاب أصله ∴ فـاخلف فـرعـا بالندا يانـع الزهر
لك الله خـيرا كم همى غـيث كفـه ∴ إذا صفت السـحب الهوامع بالنذر(3)

---

(1) نقل = مثل فى ب.

(2) تفرد = تفى فى جـ، نقى فى د. بالمغلوات = بالمعلوات فى جـ.

(3) إذا صفت = أفاضت فى د، إذا ضفت فى و.

محط رحال الطالبين وملجأ ∴ العُفَات وأمن الخائفين من الفقر
له خبر فى الجود سلسلة الندا ∴ عن المزن عن صوب الغمام عن القطر
ومنطقة جزل المعانى بديعها ∴ مصون عن السفسات والفحش والهجر
لو الفاضل القاضى رأى حسن سبله ∴ وعاين ما يلقيه فى الطرس عن در
لاقى مقاليد البلاغة ناشراً ∴ له علم الإنشاء فى النظم والنثر
تبارك من أخلى من الشر قلبه ∴ وأودعه أمرا عظيما من السر
أسيدنا قاضى القضاة ومن غدا ∴ كمال محياه يفوق سنا البدر
ويا كاتب السر الذى سار ذكره ∴ مسير بدور التم والأنجم الزهر
يمينك فيها اليمن والأمن والمنى ∴ ويسراك خصت فى البرية باليسر
وكم قد روينا عن عواليك مسندا ∴ بيوم نوال عن عطاء وعن بشر
تعلم هذا النيل من خلقك الوفا ∴ فدقت له تلك البشاير فى مصر
وأعرب عن معنى صفاتك فانبرى ∴ يساجل موج البحر بالشيم الغر
وكأن عراه قبل ذاك توقف ∴ وأودى به فرط احتراق من البحر(1)
وأمسى بكم صبا وأبدى ترفقا ∴ وأجرى عيونا فى ربى عيشك النضر
ومذ زرتموه بالهنا طاب قلبه ∴ وأضحى قرير العين منشرح الصدر
وها هو قد وافى وأقبل مسرعا ∴ على رأسه طوعا لخدمتكم يجرى
وألقى على الأعتاب فى الحال نفسه ∴ وأيقن بعد الكسر عندك بالجبر
وأودى إليك اليوم يا بر بالندا ∴ ولا عجبا للبحر يأوى إلى البر(2)
وإن كان بحرا أنت لا شك جسره ∴ فلا بد للبحر الخضم من الجسر
يشير إليكم بالأصابع عندما يزيد ∴ ويمشى من ظلالك فى ستر
وقرت عيون الزهر بالقرب فرحة ∴ فمن أجل ذا يلقاك مبتسم الثغر
بكم جبر الله الأنام وخصكم ∴ بروضة فضل جادها وابل القطر
وزادكم فى العلم والجسم بسطة ∴ لمقياسها بالمشتهى منتهى الشكر
تهن بعيد النحر وانحر به العدا ∴ وعش ألف عام ما مضى الحال والأمر
وكم سقت أنعاما به وبذلت من ∴ سوابغ أنعام تجل عن الحصر

(1) فرط = فرد فى ب، د.
(2) بالندا = للندا فى ب، د.

وقــدرتى فـيــه بحــدواك أنعُـمــا ∴ وأحـسن ما تـبدو القـلائد فى النحـر
وعش دابق واسلم واغن واغنم وجد وسد ∴ ودم وارق واسـعد بالهنا مـدى الدهر
ونل فـوق هام الأنجم الـغـر رفـعـة ∴ لنروى حديث الفضل منك عن الزهرى
ولا زال رب الملـك يوليـك أمـــره ∴ ويكلؤك الرحـمن فى السـر والجـهـر

ذكر خبر هذا الخليج وحفره واسمائه

قال المقريزى : هو خليج قديم أول من حفره طوطيس ابن ماليا أحد ملوك القبط ، وهو الذى قدم سيدنا إبراهيم عليه السلام فى أيامه إلى مصر وأخذ منه السيدة سارة ورأى من النقمة بسببها ما رأى فردها مكرمة وأخدمها هاجر أم اسماعيل عليه السلام ، فلما خرج إبراهيم عليه السلام بهاجر وولدها إسماعيل إلى مكة بعثت إلى طوطيس تعرفه أنها فى مكان جدب وتستعينه فأمر بحفر هذا الخليج متصلا إلى السويس ببحر القلزم وبعث إليها فيه بالسفن تحمل الحنطة وغيرها إلى جدة فأحيى بلد الحجاز .

ويقـال أن الفـراعنة سبـعـة هذا أولهم ويقـال له فـرعـون إبراهيم ثـم جـدد حـفـره أندرويانوس(١) أحد ملوك الروم وسارت فيـه السفن وذلك قبل الهـجـرة النبوية بنيف وأربعمائة سنة .

ثم أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كتب إلى عمرو بن العاص لما فتح مصر بتجديد حفره فأقام فى حفره ستة أشهر وجرت فيه السفن تحمل الميرة إلى الحجاز فسمى خليج أمير المؤمنين يعنى عـمر بن الخطاب ، ولم تزل تجرى فيه السفن من فسطاط مصر إلى السويس ولم يزل النيل يصب فى بحر القلزم إلى أن أمر الخليفة المنصور ثانى خلفاء بنى العباس بطمه فى سنة خمسين ومائة وبقى منه ما هو موجود الآن .

وصار يسـمى خليج القـاهرة وخليج اللؤلـؤة لأنه كان عليـه منظرة تسمى اللؤلؤة من متنزهات الخلفاء الفـاطميين وكـانت قصـرا عظيمـا من أعظم القصـور زخرفـة وكـانت بالقرب من باب القنطرة بناها العزيز بالله وهدمها الحاكم فأعاد ابنه الظاهر بناها .

---

(١) اندرومانوس فى الأصل والتصحيح من الخطط حـ٢ ص١٤١ .

قال المقريزى : والعامة تسميه اليوم الخليج الحاكمى، وقال ابن سعيد : وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته مما يلى القاهرة وهو ضيق عليه فى الجهتين مناظر كثيرة العمارة، وللسرج فى جانبيه بالليل منظر فتان، وكثيرا ما يتفرج فيه أهل الستر بالليل. قال: وفى ذلك أقول :

لا تركبن فى خليج مصر ∴ إلا إذا أسدل الظلام
فقد علمت الذى عليه ∴ من عالم كلهم طغام
صفان للحرب قد أظلا ∴ سلاح ما بينهم كلام[1]
يا سيدى لا تسر إليه ∴ إلا إذا هوم النوام
والليل ستر على التصابى ∴ عليه من فضله لثام
والسرج قد بدت عليه ∴ منها دنانير لا ترام[2]
وهو قد امتد والمبانى ∴ عليه فى خدمته قيام
لله كم دوحة جنينا ∴ هناك أثمارها الأنام[3]

وقال ابن الساعاتى فيه :

قف بالخليج فإنه ∴ أسمى بقاع الأرض ربعا
رقصت به الأغصان إذ ∴ ثنى الحمام عليه سجعا
منعطف كالأيم ذعرا ∴ حين ربع ضاق ذرعا[4]
وإذا تمر به الصبا ∴ فاطرب لسيف عاد درعا
متباريات سفينه ∴ خفضا براكبه ورفعا[5]
مثل العقارب أقبلت ∴ فوق الأراقم وهى تسعى

---

(١) صفات = صنفان فى الأصل.
(٢) بدت = بددت فى جـ، هـ.
(٣) اثمارها = آثارها فى جـ، الانام = الآثام فى الخطط حـ٢ ص١٤٤ .
(١) كالأيم ذعرا= كالأديم دارا فى جـ، هـ .
(٢) متباريات سفينة = ساريات سفنه فى جـ.

وقال الأسعد بن مماتى :

خليج كالحسام له صقال ∴ ولكن فيه للرائى مسرة[1]
رأيت به الصغار تجيد عوما ∴ كأنهم نجوم فى مجره[2]

وقال بن عبد الحكم : حدثنا عبد الله بن صالح أو غيره عن الليث بن سعد أن الناس أصابهم بالمدينة جهد شديد فى خلافة عمر عام الرمادة فكتب إلى عمرو بن العاص يقدم عليه هو وجماعة من أهل مصر معه فقدموا عليه، فقال عمر : يا عمرو، إن الله قد فتح على المسلمين مصر وهى كثيرة الخير والطعام، وقد ألقى فى روعى لما أحببت من الرفق بأهل الحرمين والتوسعة عليهم إذا حفر خليج من نيلها حتى يسير[3] فى البحر فهو أسهل لما نريد من حمل الطعام إلى المدينة ومكة فإن حمله على الظهر يبعد ولا نبلغ فيه ما نريد، فأنطلق أنت وأصحابك وتشاوروا فى ذلك حتى يعتدل فيه رأيكم، فانطلق عمرو فأخبر من كان معه من أهل مصر فثقل ذلك عليهم وقالوا: نتخوف أن يدخل فى هذا ضرر على أهل مصر فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ولا نجد إلى سبيلا، فرجع عمرو بذلك إلى عمر، فضحك حين رآه وقال: والذى نفسى بيده لكأنى أنظر إليك يا عمرو وإلى أصحابك حين أخبرتهم بما أمرنا به من حفر الخليج فثقل ذلك عليهم وقالوا يدخل من هذا ضرر على أهل مصر فنرى أن تعظم ذلك على أمير المؤمنين وتقول له إن هذا أمر لا يعتدل ولا يكون ولا نجد إليه سبيلا، فعجب عمرو من قول عمر وقال: صدقت والله يا أمير المؤمنين لقد كان الأمر على ماذكرت. فقال له عمر رضى الله عنه انطلق بعزيمة منى حتى تجد فى ذلك ولا يأتى عليك الحول حتى تفرغ منه إن شاء الله تعالى، فانصرف عمرو وجمع لذلك من الفعلة ما بلغ منه ما أراد ثم احتفر الخليج فى حاشية الفسطاط الذى يقال له خليج أمير المؤمنين فساقه من النيل إلى القلزم فلم يأت الحول حتى جرت فيه السفن فحمل فيه ما أراد من الطعام إلى المدينة ومكة فنفع الله بذلك أهل الحرمين وسمى خليج أمير المؤمنين، ثم لم يزل يحمل فيه الطعام حتى حمل فيه بعد عمر بن عبد العزيز، ثم ضيعه الولاه بعد ذلك فنزل وغلب عليه الرمل فانقطع مصار منتهاه إلى ذنب التمساح من ناحية بطحاء القلزم.

---

(١) للرائى = للرا فى جـ، هـ.
(٢) الصغار = الملاح فى الخطط، ورأيت الصغار تجيد عوما = ترى زهور وأمواجا وسفنا فى هـ، و.
(٣) يسيل فى هـ وفى الخطط جـ٢ ص١٤١.

قال ابن عبد الحكم : وحدثنا أخى عبد الحكم بن عبد الملك[1] بن عبد الملك بن عبد الحكم . حدثنا عروة أن عمر بن الخطاب قال لعمرو بن العاص حين قدم عليه : قد عرفت الذى أصاب العرب وليس جند من الأجناد أرجى عندى أن يغيث الله بهم أهل الحجاز من جندك فإن استطعت أن تحتال لهم حيلة حتى يغيثهم الله تعالى . فقال عمرو ما شئت يأمير المؤمنين وقد عرفت أنه كانت تأتينا سفن فيها تجار من أهل مصر قبل الاسلام فلما فتحنا مصر انقطع ذلك الخليج واستد وتركه التجار فإن شئت أن نحفره فننشئ فيه سفنا يحمل فيها الطعام إلى الحجاز فعلته فقال عمر رضى الله عنه نعم فافعل فحفره عمرو وعالجه وجعل فيه السفن .

حدثنا أبى حدثنا سفيان ابن عيينه عن ابن أبى نجيح عن أبيه أن رجلا أتى عمرو بن العاص من قبط مصر فقال : أرأيت إن دللتك على مكان تجرى فيه السفن حتى تنتهى إلى مكة والمدينة أتضع عنى الجزية وعن أهل بيتى قال : نعم . فكتب إلى عمر ، فكتب إليه أن افعل .

قال ابن زولاق : وليس بمصر خليج إسلامى غيره . قال : وكان خارج البحر يركبون فيه من ساحل تنيس يسيرون فيه ثم ينقلون بالقلزم إلى المراكب الكبار .

قال المقريزى : وفى سنة ثمانى وثلاثين وستمائة شرع السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فى بناء القنطرة التى على الخليج الكبير المجاور لبستان الخشاب الى تعرف اليوم بقنطرة السد .

قال فى موضع آخر : ولما تولى الظاهر بيبرس عمل القناطر المعروفة بقناطر السباع على الخليج الكبير . وقال المعمار فى سد الخليج :

سمعت يوما سد مصر يقل ∴ النيل وافا زائراً عندى
وكان هذا خبراً صادقا ∴ فرحت أرويه عن السدى

وقال صاحبنا الشهاب المنصورى فى الخليج :

جل بعينيك تلق فوق الخليج ∴ زبداً رابيا كقطن حليج[2]
أو شذورا من أبيض الغيم زانت ∴ زرقة فى السماء ذات البروج[3]

---

(١) عبد الله فى هـ.
(٢) جل = حلق فى د.
(٣) زانت = زانته فى حـ.

وقال أبو عبد الله بن الحجاج :

نشر الورد بالخليج وقد درجه ∴ بالهبوب مر الرياح[1]
مثل درع الكمى مزقها الطعن ∴ فسادت بها دماء الجراح

وقال الحسن بن على بن وكيع :

يا حبذا والخليج مضطرب ∴ والريح تثنى ذوايب القصب
كأنه والرياح تعطفها ∴ صف قنا سندسية العذب
والجو فى حلة ممسكة ∴ قد طرزتها البروق بالذهب

وقال البدر بن الصاحب :

لله در خليج تحت قنطرة ∴ بيضاء قد أحكمت عقدا على الطرق[2]
كأنه وهو سار تحتها فرس ∴ يوم الرهان له سرج من الورق

وقال بهاء الدين أبو الحسن على بن الساعاتى فى يوم كسر الخليج :

إن يوم الخليج يوم من الحسن ∴ البديع المرئى والمسموع
كم لديه من ليث غاب صؤول ∴ ومهاة مثل الغزال المروع
وعلى السد عزه قبل أن يملكه ∴ ذلة المحب الخضوع
كسروا جسره هناك فحاكى ∴ كسر قلب يتلوه فيض الدموع

وقال بعضهم :

إن كان مد النيل قد سركم ∴ وقد بلغتم فى الخليج المنى
فالنيل من بعدكم أدمعى ∴ نعم وما المفرد إلا أنا

---

(١) درجه = درجته فى ب ، د.
(٢) در = حسن فى ب ، د.

وقال البرهان إبراهيم بن الذكى نصر بن طاهر بن هلال الحموى فى المفرد المبشر بوفاء النيل :

الخـــير بالمفـــرد مسجـــموع ∴ ووتره بالخـصب مشـفـوع[1]
وخـــفض عين الناس من أجله ∴ به لواء الحـمـــد مـرفــوع
مـــسند مـــا يرسل من ربه ∴ عنه حـــديث المحل مـقطوع

أورده اليغمورى فى تذكرته . قال وأنشدنى الأديب البارع ناصر الدين حسن بن شاور بن طرخان بن النقيب الكنانى لنفسه .

ليـــهن أحـــبابى نيـلا ووفـــا ∴ ومـــفـــردا وافـــا به مـــؤذنا[2]
مـــا النيـل إلا أدمـعى بعـدكم ∴ كـــــلا ولا المفـــــرد إلا أنـا

ذكر رسالة عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى النيل

قال بن عبد الحكم : حدثنا عثمان بن صالح عن أبى لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال : لما فتح عمرو بن العاص مصر أتى أهلها إليه حين دخل بؤونة من أشهر العجم فقالوا له : أيها الأمير إن لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها فقال لهم : وما ذاك؟ قالوا : إنه إذا كان اثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر من أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى هذا النيل فقال لهم عمرو : هذا لا يكون فى الاسلام وإن الإسلام يهدم ما قبله فأقاموا بؤونه وأبيب ومسرى لا يجرى قليلا ولا كثيراً حتى هموا بالجلاء ، فلما رأى عمرو ذلك كتب إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه بذلك فكتب إليه عمر أن قد أصبت ، إن الإسلام يهدم ما كان قبله ، وقد بعثت إليك ببطاقة فألقها فى داخل النيل إذا أتاك كتابى ، فلما قدم الكتاب إلى عمرو فتح البطاقة فإذا فيها : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر . أما بعد فإن كنت تجرى من قبلك فلا تجر وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك ، فألقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج

---

(١) الخبر = الخير فى ب ، بالفرد = بالمفرد فى ب .
(٢) نيلا وفا فى جـ ، نيلاو وفا فى د ، ونيل وفا فى ب .

منها لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل، وأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله تعالى ستة عشر ذراعا فى ليلة وقطع تلك السنة السوء عن أهل مصر.

قال المقريزى فى الخطط وذكر بعضهم إن جاحل الصدفى هو الذى قرأ بطاقة عمر رضى الله عنه على النيل. قلت: وجاحل صحابى يكنى أبا مسلم[1]. ذكره محمد بن الربيع الجيزى فى تاريخ الصحابة الذين نزلوا مصر وقال: لا يعرف له حضور الفتح ولا خطة بمصر ولا للمصريين عنه حديث ولم يرو عنه غير أهل مصر وذكره بن يونس وبن زيد وبن منده فى الصحابة.

قصة أخرى

زاد النيل ستة عشر ذراعا فى ليلة وذلك بدعاء موسى عليه السلام. قال بن عبد الحكم: حدثنا معمر[2] بن صالح حدثنا بن لهيعة عن يزيد بن أبى حبيب أن موسي عليه السلام دعا على آل فرعون أن يحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء حتى طلبوا إلى موسى أن يدعو الله فدعى الله رجاء أن يؤمنوا، فأصبحوا وقد أجراه الله فى تلك الليلة ستة عشر ذراعا فاستجاب الله بتطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه الصلاة والسلام.

قصة أقام الله تعالى فيها الحجة على فرعون اللعين

قال البيهقى فى شعب الإيمان: أخبرنا أبو على الحسين بن محمد الروزبادى أنبأنا الحسين بن حسن بن أيوب الطوسى. أنبانا أبو حاتم الرازى. حدثنا محمد بن ابراهيم بن العلاء الواسطى بمكة. حدثنا أيوب بن سويد الزمينى[3] عن عمرو بن الحارث عن يزيد بن أبى حبيب، قال الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول. حدثناعمر بن أبى عمر حدثنا أبو عمير عن أبى الخير عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: غار الماء على عهد فرعون فأتاه أهل مملكته فقالوا: أيها الملك إجر لنا النيل. فقال: إنى لن أرض عنكم، فذهبوا ثم أتوه فقالوا: أيها الملك إجر لنا النيل. قال: إنى لن أرض عنكم فذهبوا

---

(١) سليم فى ب.
(٢) عثمان فى هـ، محمد فى ب.
(٣) الرملى فى جـ.

ثم أتوه فقالوا أيها الملك: ماتت البهائم وهلكت الأبكار، لئن لم تجر لنا النيل لنتخذن إلها غيرك. قال: أخرجوا إلى الصعيد فخرجوا فتنحى عنهم حيث لا يرونه ولا يسمعون كلامه فألصق خده بالأرض وأشار بالسبابة وقال: اللهم أنى خرجت إليك مخرج العبد الذليل إلى سيده وأنى أعلم إنك تعلم أنه لا يقدر على إجرائه أحد غيرك فاجره. قال: فجرى النيل جريا لم يجر قبله مثله فأتاهم فقال: أنى قد أجريت لكم النيل فخروا له سجدا، وعرض له جبريل عليه السلام فقال له: أيها الملك اعدنى على عبدى قال: وما قصته قال: عبد لى ملكته على عبيدى وخولته مفاتيحى فعادانى فأحب من عاديت وعادى من أحببت. قال: بئس العبد عبدك، لو كان لى عليه سبيل لغرقته فى بحر القلزم: قال: أيها الملك أكتب لى كتابا، فدعا بكتاب ودواة فكتب ما جزاء العيد الذى خالف سيده فأحب من عادى وعادى من أحب إلا أن يغرق فى بحر القزم. قال: أيها الملك إختمه لى فختمه ثم دفعه إليه، فلما كان يوم البحر أتاه جبريل بالكتاب فقال: خذ هذا ما حكمت به على نفسك.

وقال ابن أبى حاتم فى تفسيره: حدثنا أبى. حدثنا محمد بن عمران عن أبى ليلى. حدثنا بشر بن عمارة عن أبى روق عن الضحاك عن بن عباس قال: لما أخذ الله آل فرعون بالسنين يبس كل شجر لهم وذهبت مواشيهم حتى يبس نيل مصر واجتمعوا إلى فرعون وقالوا له: إن كنت كما تزعم فائتنا فى نيل مصر بماء قال: غدوة يصبحكم الماء، فلما خرجوا من عنده قال: أى شئ صنعت أنا أقدر على أن أجرى فى نيل مصر ماء غدوة أصبح فيكذبونى. فلما كان فى جوف الليل قام واغتسل ولبس مدرعة صوف ثم خرج حافيا حتى أتى نيل مصر فقال: اللهم إنك تعلم أنى أعلم إنك تقدر على أن تملأ نيل مصر فاملأه ماء، فما علم إلا بخرير الماء يقبل[1] فخرج بمصر وأقبل النيل يرخ[2] بالماء لما أراد الله بهم الهلكة، وقال الحكيم الترمذى: حدثنا عمر. حدثنا محمد بن عمران بن محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى به[3].

ومن التوجيه بوفاء النيل قول البدر بن الصاحب:

رنى بجفن كسره صحة ∴ فحيل للوصل دون الجفا
فقلت إذ فاضت دموعى هوى ∴ من جفنه الكسر وجفنى الوفا

---

(١) ينسل فى ب.
(٢) يزخ فى هـ.
(٣) هذا السطر مزيد من جـ.

وقال أيضًا:

نـيل الـدمـــوع قـــد عـــلا ∴ وقــــد وفــــا وخـلـقــــا
فـــخــاف من عـــينى الـكرا ∴ إن زارهـا أن يـغــــرقـــــا

وقال ابن نباته:

ونفـسى ذنبـهـا كـالنيل مـدا ∴ وبالـرعـد توبـتـهـا وفـاء[1]
مـسوفـه مـتى وعـدت بخيـر ∴ تـقل ســيـل ووادٍ ثـم فــاء

وقال أيضا:

قـسمـا مـا حلت عن عـهـد الوفـا ∴ بعــد مـصـر لا ولا نـيل بكـائى
حـبـهـا فـوقى وتحـتى ويمينى ∴ وشـمـالى وأمـامـى وورائى
فـهـى ستى من جـهـاتى ونيلـهـا ∴ سيـدى من حـيث وفى وولائى[2]

وقال أيضا:

بـكـرت على مـنـوال أدمع نـائـح ∴ كـالنيـل ذات وفـ ـء وذات مـنادى

وقال أيضا:

لى فى القـصائد تشبيب بها ولهـا ∴ على جـريح الحـشـا باللحظ تدفـيف
كمـا حكى نيل مصر جـود شايدها ∴ لو لم يكـن فى وفـاء النيل تـسـويف

وقال الشهاب محمود يمدح الصاحب شمس الدين بن السلعوس:

وكم رام يـحكـى النيل نـيل بنانـه ∴ فـاغنى ولـكن فـرد قطر عن الـقُطْر
وذاك يعم الأرض شـرقـا ومـغـربا ∴ سـواء لديـه سـاكن القـفـر والمصـر
وحين رأى تقـصـيـره عن وفـائه ∴ تجنّبـه واحـمـرّ من خـجل يـجـرى

---

(١) وبالرعد توبتها وفاء = وقالوا عود تربتها وفاء فى هـ.
(٢) ونيلها = ولديها فى أ، د. وفى = رفى فى أ، د.

وقال ابن أبى حجلة :

إذا قلت ما بى يا بثينة قاتلى ∴ تقول وقتل المستهام أريد[1]
وإن قيل زاد النيل بعد الوفا ∴ أقل صدقتم ودمعى ثابت ويزيد

وقال الصفى الحلى :

وبشرت بوفاء النيل ساجعة ∴ كأنها فى غدير الصبح قد صدحت[2]
مخضوبة الكف ما تنفك نائحة ∴ كأن أفراخها فى كفها ذبحت[3]

ذكر كتابة البشارات إلى الأعمال بوفاء النيل

قال المقريزى[4]: كانت العادة عندهم إذا حصل وفاء النيل أن يكتب إلى الأعمال بذلك، فما كتب من إنشاء تاج الرئاسة أبى القاسم على بن منجب بن سليمان الصيرفى: «أما بعد فإن أحق ما وجبت به التهنئة والبشرى، وغدت المسار منتشرة تتوالى وتترى، وكان من اللطائف التى غمرت بالمنة العظمى والنعمة الجسيمة الكبرى، ما استدعى الشكر لموحد العالم وخالقه، وظلت النعمة به عامة لصامت الحيوان وناطقه، وتلك الموهبة بوفاء النيل المبارك الذى يسره الله تعالى وله الحمد يوم كذا فإن هذه العطية تؤدى إلى خصب البلاد وعمارتها، وشمول المصالح وغزارتها، وتقضى بتضاعف المنافع والخيرات، وتكاثر الأرزاق والأقوات، ويتساهم الفائدة فيها جميع العباد، وتنتهى البركة بها إلى كل دان وناء، وكل حاضر وباد، فأذع هذه النعمة قبلك، وانشرها فى كل من يتدبر عملك، وحثهم على مواصلة الشكر لهذه الألطاف الشاملة لهم ولك، فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله تعالى».

وكتب أيضا:

«أولى ماتضاعف الابتهاج به والجذل، وانفتح فيه الرجاء واتسع الأمل، ماعم نفعه صامت الحيوان وناطقه، وأحدث لكل أحد اغتباطا لزمه وآلى أن لا يفارقه، وذلك ما منّ

---

(١) ماى = مانابى فى ب، تقول = ويقول فى ب.
(٢) صدحت = سحت فى هـ، سخيت فى ب، شجت فى و.
(٣) أفراخها = أفراجها فى د، كفها = كفه فى جـ.
(٤) الخطط جـ١ ص ٤٧٩.

الله به من وفاء النيل المبارك الذى تحيى به كل أرض موات، وتكتسى بعد أقشعرارها حلة النبات، ويكون سببا لتوافر الأقوات، فإنه وفى المقدار الذى يحتاج إليه فلتذع هذه المنة فى القاصى والدانى، لتستعمل الكافة بينهم ضروب البشائر والتهانى، إن شاء الله تعالى».

وكتب أيضا(١):

«من لطف الله تعالى الواجب حمده اللازم شكره، وفضله الذى لا يمل نشره ولا يسأم ذكره، ومنه الذى استبشر به الأنام، وتضاعف فيه الانعام، ومثل الله الحياة به فى قوله تعالى «إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام»، أمر النيل المبارك الذى يعم النجود والتهائم، وتلتفع به الخلائق وترتع فيما يظهره البهائم، وقد توجه إليك بهذا الكتاب بهذه البشرى فلان فأجره على رسمه فى إظهاره مجملا، وإيصاله إلى رسمه مكملا، وإذاعة هذه النعمة على الكافة ليتساهموا الاغتباط بها، ويبالغوا فى الشكر لله سبحانه بمقتضاها وعلى حسبها، فاعلم ذلك واعمل به إن شاء الله تعالى» انتهى.

كتاب فى وفاء النيل من إنشاء القاضى الفاضل: أسمعه الله من خصب البلاد وأمنها، وتوالى نعم الله ومنها، ما يستفز الألباب طربا، ويبلغ به المسار إربا، ويوضح إلى مبهجات النفوس طريقا مقتربا، ولا برحت ثغور التهانى له بالبشر مفترة، والآمال بسعادته واثقة وطالما كانت بغيره مغترة، وأخبار نعمه تفيض عليه حين ينزل الله من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة، المملوك يقبل الأرض التى نفعها يضاهى نفع السحاب إذا جاد، ويفخر على فيض البحر إذا زاد، وينهى إلى علمه ما من الله تعالى وله الحمد والمنة على عبادة من ألطافه الخفية، وبركاته التى لم تزل لكل وعد وفيه، وذلك بوفاء النيل المبارك الذى خصه الله تعالى بشمول الرحمة وعمومها، وسبوغ النعمة التى تسر الأنفس فيجلب لها السعادة ويجليها، ويصبح حيث سار وثغر الروض مبتسم، وأين كان فالأيدى لأباديه بأصابعها تنقسم، ومتى قدم حصلت به مسرة القادم، وإذا ما افتخر على ما سواه أقر له كل بالرق فلو كاتبه البحر المحيط لكتب إليه بالعبد الخادم، طالما بلغت به الآمال كل سول، وانتظرته البلاد انتظار المحب رجع الرسول، ومر على الأرض فحلت محاسنه كل عاطل، وفتح الغمام نواله فلهذا ضحك البرق المبتسم لبكاء

---

(١) الخطط حـ١ ص ٤٧٩.

السحاب الهاطل، ولم يبعثه الله تعالى من البلاد البعيدة إلا لطرد المحل وإبعاده، ولما تشبه به الغيث الركام ولم يقدر على مجاراته فلجّ في إبراقه وإبعاده، فقد أضحى موردا للخلائق بوروده معنا، وقالت ألسنة الوجود لقدومه ظمئنا منذ غبت فما روينا ثناءً عن سواك ولا روينا، وهو الذى يعم خيره، وتشمل بركته ولا يقدر على ذلك غيره، ولما كان يوم كذا وكذا جرى على عادته فى الوفا، وصافى العباد بعوده إلى البلاد وإن لم يكن موصوفا بالصفا، فوفى الستة عشر ذراعا، وأوجب الشكر من العالمين فأضحت الألسنة منهم إليه سراعا، ووافى البلاد عندما دعت إليه ضرورتها واحتياجها، واقترن قدومه بالخصب والأمن وإنما يزين الليالى انتظامها وازدواجها، واستولى على الأرض فثبت فيها قدومه، وامتد كالسيف الصقيل فقتل المحل وهذا الأحمرار فيه إنما هو دمه، فعند ذلك أمر القياس بتخليقه، ورفع الحجر عمن وفى عليه فكتب تلك الأصابع له وصولا بتعليقه، ثم حصل العود إلى مكان السد وقد أسبغ الله تعالى منة منه وطولا، وأطلق ألسنتهم بالشكر وإن من كان من ورائه[1] قوم لا يكادون يفقهون قولا، فاجتمع على كسره من هنالك من الجموع، وحاكى كسره الذى هو جبر على الحقيقة كسر قلب يتلوه فيض الدموع، وسطرت والنيل المبارك لم يترك وعدا إلا وفاه، ولا وهداً إلا أخفاه، ولا فريقا إلا وشمل بإحسانه المعروف منه ذلك الفريق، ولا طريقا إلا قطعها[2] بما وصلت به الأرزاق، وماهكذا عادة من يقطع الطريق ولا أملا إلا وبلغه كل منية منه حسن ومنة، ولا ناديا إلا وتلاه بما تشتهى[3] الأنفس وتلذ الأعين ولا عجب فإنه من الجنة، والأمل من الله تعالى أن يبلغ به المنافع، ويعم بخيره المرابط[4] من الأرض والمرافع، ولا يثنى عن تلك البلاد إلا وقد ملأ اليمين من اليمن واليسار من اليسار[5]، ولا يودع إلا والجود يحل حيث حل ويسير حيث سار، ولما شملت هذه الرحمة، وكملت هذه النعمة، أحب المملوك أن يكون للمولى من هذه البشرى أوفر نصيب، وأن يقص عليه من أنباء مصر وخصبها ما يذهله عما يؤثر عن مصر قديما والخصيب، والله تعالى[6] أوصاف محاسنه

---

(١) وايه فى ب.

(٢) وقعها فى ب، هـ.

(٣) يشتمل فى جـ، ويشمل فى ب، د.

(٤) الهابط فى و، المهابط فى هـ.

(٥) اليسر فى أ، جـ.

(٦) يوجد كلمة يجعل بعد كلمة تعالى فى النسخة هـ.

طيبة الأرج، ويبهجه بما يتلى على سمعه الكيرم من أخبار البحر التى لا يضيق مجال القول فيها فقد قيل حدث عن البحر ولا حرج».

كتاب أخر فى وفاء النيل من إنشاء القاضى الفاضل عن السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب رحمه الله تعالى «نعم الله سبحانه وتعالى من أضوئها بزوغًا، وأخفاها سبوغًا، وأصفاها ينبوعًا، وأسناها منقوعًا، وأمدها بحر مواهب، وأختمها حسن عواقب. النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الآمال ويقبضها مده وجزره، ويرمى[1] النبات حجره، ويحيى مطلعه الحيوان، ويجنى ثمرات الأرض صنوانًا وغير صنوان، وينشر مطوى حريرها وينشر مواتها، ويوضح معنى قوله تعالى «وبارك فيها وقدر فيها أقواتها»[2].

وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا، فأسفر وجه الأرض وإن كان تنقب، وأمن يوم بشراه من كان خائفًا يتوقب، ورأينا الإبانة عن لطائف الله التى خفقت الظنون، ووفت بالرزق المضمون، «إن فى ذلك لآيات لقوم يؤمنون»[3]. وقد أعلمناك لتستوفى حقه من الإذاعة، وتبعده من الإضاعة، وتتصرف على ما نصرفك من الطاعة، وتشهر ما أورده البشير من البشرى بإبانته، وتمده بإيصال رسمه مهنى على عادته».

كتاب فى وفاء النيل

من إنشاء الأديب جمال الدين بن نباته: «المملوك يقبل الأرض لا زالت مبشرة المنازل مبهجة[4] معطرة الأرجاء بكل سايرة أرجة، ميسرة الأوقات لمقدمتى سماع وعيان كلاهما للمسار منتجة، مستحضرة فى معانى الكرم على دقيقه تشهد «حتى بسطة النيل إنها أرفع درجة، وينهى بعد بعد ثناء بالروض بأعطر من شذاه، ولا ماء النيل وإن كرم وفاء بأوفى من جذواه، وفاء النيل المبارك وحبذا من وفى موافى، ومتغير المجرى وعيس البواد ربه العيش الصافى، ووارد يرد من بعيد وبعيد، وجميل لا جرم إذا مده ثابت ويزيد، وحائد إذا تدافع حبب تياره يقلد[5] بره ودره من الأرض على كل جيد،

---

(١) يربى فى أ، ب، جـ.

(٢) سورة فصلت آية ١٠.

(٣) سورة الأنعام آية ٩٩.

(٤) مبتهجة فى حـ، بكل بهجة فى هـ.

(٥) يقتدر فى ب، تدافع = يدفع فى ب.

جيد، وحامل[1] إذا ذكر للخصب فى مكان عيده المشهود ألقى السمع وهو شهيد، فالبلاد جبرت بكسر خليجه، واستقامت أحوالها بتعويجه، وأثنت[2] عليه بالآية وسمت لونه الأصهب على زعم الصهباء بأحسن أسمائه، وجعلت ماءه قاهرا لهضبة كل سد ولم يسلطها على مائه، وخلق فلات الدنيا بشاير[3] مخلقة، وعلق ستره فركى لونه التبرى على معلقه، وحدث عن البحر ولا حرج، وانفرج[4] البقاع يلوى معصمه فلله أوقات اللوى[5] والمنفرج[6]، واستقرت الرعايا آمنين آملين، وقطع دابر الجدب حتى ظلمه فى هذه الدولة الفاخرة وقيل الحمد لله رب العالمين، والله تعالى يملأ له بالمسرات صدراً، ويضع بعدله عن الرعية إصرا، ويسرهم فى أيامه بكل وارد يقول الإحسان لمتحمله[7] لو شئت لتخذت عليه أجرا.

كتاب فى وفاء النيل من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر عن السلطان إلى نائب السلطنة بحلب.

«أعز الله أنصار المقر وسره بكل مبهجة، وهنأه بكل مقدمة سرور تفد وللخصب والبركة منتجة، وبكل نعمى لا تصبح لمنة السحاب محوجة، وبكل رحمى لا يستعد لأيامها الباردة ولا للياليها المثلجة، هذه المكاتبة تفهمه إن نعم الله وإن كانت متعددة، ومنحه وإن غدت بالبركات مترددة، ومنته وإن أصبحت إلى القلوب متوددة، فإن أشملها وأكملها، وأجملها وأفضلها، وأجزلها وأسهلها، وأتمها وأعمها، وأضمها وألمها، نعمة أجزأت المن والمنح، وأنزلت فى برك سفح المقطم أغزر سفح. وأتت بما يعجب الزراع، ويعجل الهراع، ويعجز البرق اللماع، ويغل القطاع، ويغل الأقطاع، وتنبعث أفواهه وأفواجه، ويمد خطاها أمواهه وأمواجه، ويسبق وفد الريح من حيث ينبرى، ويغبط مريخه الأحمر القمر لأن بيته السرطان كما يغبط الحوت لأنه بيت المشترى، ويأتى عجبه فى الغد أكثر من اليوم وفى اليوم بأكثر من الأمس، ويركب

(١) خامل فى جـ.
(٢) واتيت فى ب.
(٣) بساير فى جـ.
(٤) وانعوج فى ب.
(٥) الكربى فى هـ.
(٦) والمنعوج فى ب.
(٧) لتحمله فى ب.

الطريق مجداً وإن ظهر بوجهه حمرة فهى ما يعرض من حر الشمس، ولو لم تكن شقته طويلة لما قيست بالذراع، ولو لا أن مقياسه أشرف البقاع لما اعتبر ما تأخر من ماء حوله الماضى بقاع، بينا يكون فى الباب إذا هو فى الطاق، وبينا يكون فى الإحتراق إذا هو فى الإختراق للإغراق، وبينا يكون فى المجارى، إذا هو فى السوارى، وبينا يكون فى الجباب إذا هو فى الجبال، وبينا يقال لزيادته: هذه الأمواه إذ يقال لغلاته: هذه الأموال، وبينا يكون ماء إذ أصبح حبرا، وبينا هو يكسب تجارة قد أكسب بحرا، وبينا يفسد[1] عراه قد أتى بعرار، جسور على الجسور جيشه الجرار، وكم أمست التراع منه تراع والبحار منه تحار، كم حسنت مقطعاته على مر الجديدين، وكم أعانت مرارة[2] مقياسه على الغرو من بلاد سيس[3] على العمودين أتم الله لطفه فى الإتيان به على التدريج، وأجراه بالرحمة إلى نقص العيون بالتفرج والقلب بالتفريج، فأقبل جيشه بمواكبه، وجاء يطاعن الجدب بالصوارى من مراكبه، ويصافف لجاجة الجسور فى بيداء لججه، ويثاقف القحط بالتراس من بركه والسيوف من خلجه.

ولما تكامل إيابه، وصح فى ديوان الفلاح والفلاحة حسابه، وأظهر ما عنده من ذخائر التيسير وودائعه، ولفظ عموده حمل ذلك على أصابعه. وكانت الستة عشر ذراعاً تسمى ماء السلطان، نزلنا وحضرنا مجلس الوفاء المعقود، واستوفينا شكر الله تعالى بفيض ما هو من زيادته محسوب ومن صدقاتنا مخرج ومن القحط مردود، ووقع تياره بين أيدينا سطوراً تفوق، وعلت[4] يدنا الشريفة بالخلوق، وحمدنا السير كما حمد لنا السرى، وصرفناه فى القرى للقرى، ولم نحضره فى العام الماضى فعملنا له من الشكر شكرانا وعمل هو ما جرى.

وحضرنا إلى الخليج وإذا به أمم قد تلقونا بالدعاء المجاب، وقرظونا فأمرنا ماءه أن يحثو من سده فى وجوه المداحين التراب، ومر يبدى المساد[5] ويعيدها، ويزور منازل القاهرة ويعودها، وإذا سئل عن أرض الطبالة، قال. جننا بليلى، وعن خلجها، وهى جنت بغيرنا. وعن بركة الفيل قال: وأخرى بنا مجنونة[6] ولا نريدها. وما برح حتى

---

(١) بعيد فى أ، جـ، جـ، د.
(٢) مرار فى أ، جـ.
(٣) سير فى جـ.
(٤) علمت فى جـ، و، ب.
(٥) المسار فى ب، جـ، د.
(٦) اشارة إلى قنطرة المجنونة على الخليج الكبير والتى كانت توصل المياه إلى بركة الفيل.

تعوض عن القيعان البقيعة، من المراكب بالسرر المرفوعة، ومن الأراضى المحروثة من جوانب الأدرب[1] بالزرابى المبثوثة.

وانقضى هذا اليوم عن سرور لمثله فليحمد الحامدون، وأصبحت مصر جنة فيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين وأهلها فى ظل الأمن خالدون. فليأخذ حظه من هذه البشرى التى ما كتبنا بها حتى كتبت بها الرياح إلى نهر المجرة الى البحر المحيط، ونطقت بها رحمة الله تعالى إلى مجاورى بيته من لابسى التقوى ونازعى المخيط، وبشرت بها مطايا المسير الذى يسير من قوص[2] غير منقوص، ويتشارك بها الابتهاج فى العالم فلا مصر دون مصر بها مخصوص. والله تعالى يجعل الأولياء فى دولتنا يبتهجون بكل أمر جليل، وجيران الفرات يفرحون بجريان النيل»

كتاب فى وفاء النيل من إنشاء الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك إلى بعض النواب

«ضاعف الله نعمة الجناب وسر نفسه بأنفس بشرى، وأسمعه من الهناء كل آية أكبر من الأخرى، وأقدم عليه من المسار ما يتحرز ناقله ويتحرى، وساق إليه كل طليعة إذا تنفس صبحها تفرق الهم وتفرى، وأورد لديه من أنباء الخصب ما يتبرم به محل المحل ويتبرى.

هذه المكاتبة إلى الجناب العالى تخصه بسلام يرق[3] كالماء انسجاما، ويروق كالزهر ابتساما، وتتحفه بثناء جعل المسك له ختاما، وضرب له على الرياض النافحة خياما، ونقص عليه من أنباء النيل الذى خص الله البلاد المصرية بوفادة وفائه، وأغنى به قطرها عن القطر فلم تحتج إلى مد كافة وفائه، ونزهه عن منة الغمام الذى إن جاد فلابد من شهقة رعده ودمعة بكائه، فهى الأرض التى لا يذم للأمطار فى جوها مطار، ولا يرم للقطار فى نفعها قطار، ولا ترمد الأنواء فيها عيون النوار، ولا تشيب بالثلوج مفارق الطرق ورءوس الجبال، ولا تفقد فيها حلى النجوم لاندراج الليلة تحت السحب بين اليوم وأمس، ولا يتمسك فى سنائها[4] المساكين كما قيل بجبال[5] الشمس، وأين أرض يخد عجاجها بالبحر العجاج، وتزدحم فى ساحاتها أفواج الأمواج، من أرض لا تنال السقيا

(١) الآدر فى أ، ب، جـ، د.

(٢) كان قياس منسوب النيل أيام الفيضان يتم فى قوص أولا.

(٣) يرى فى جـ، هـ.

(٤) شتاتها فى جـ، سبابها فى و.

(٥) بجياد فى هـ.

إلا بحرب لأن القطر سهام والضباب عجاج قد انعقد، ولا يعم الغيث بقاعها لأن السحب لا تراها إلا بسراج البرق إذا اتقد. فلو خاصم النيل مياه الأرض لقال: عندى قبالة كل عين إصبع، ولو فاخرها لقال: أنت بالجبال أثقل وأنا بالملق أطبع. والنيل له الآيات الكبر، وفيه العجائب والعبر، منها وجود الوفا، عند عدم الصفا، وبلوغ الهرم، إذا احتد واضطرم، وأين كل فريق، إذا قطع الطريق، وفرح قطان الأوطان، إذا كسر وهو كما يقال سلطان. وهو أكرم منتدى، وأعزب محتبى، وأعظم مجتدى[1] إلى غير ذلك من خصائصه، وبراءته مع الزيادة من نقائصه.

وهو أنه فى هذا العام المبارك جذب البلاد من الجدب وخلصها بذراعه، وعصمها بخنادقه التى لا تراع من تراعه، وحصنها بسوارى الصوارى تحت قلوعه وما هى إلا عمد قلاعه، وراعى الأدب بين أيدينا الشريفة بمطالعتنا فى كل يوم بحر قاعه فى رقاعه، حتى إذا أكمل الستة عشر ذراعا، وأقبلت سوابق الخيل سراعا، وفتح أبواب الرحمة بتغليقه، وجد فى طلب تخليقه، تضرع بمد ذراعه إلينا، وسلم عند الوفاء بأصابعه علينا. ونشر علم ستره، وطلب لكرم طباعه جبر العالم بكسره، فرسمنا بأن يخلق، ويعلم تاريخ هنائه ويعلق، فكسر الخليج وقد كاد يعلوه فوق موجه، ويهيل كثيب سده هول هيجه، ودخل يدوس زرابى الدور المبثوثة، ويجوس خلايا الحنايا كأن له فيها خبايا موروثة، ومرق كالسهم من قسى قناطره المنكوسة، وعلاه زبد حركته ولولاه ظهرت فى باطنه من بدور إنائه أشعتها المعكوسة. وبشر بركة الفيل[2] ببركة الفال، وجعل المجنونة[3] من

---

(١) مجتنى فى جـ.

(٢) بركة الفيل تملأ بمياه النيل وقت الفيضان وتصبح من أهم متنزهات القاهرة آنذاك وفى الشتاء ينحسر عنها الماء وتزرع أرضها بمحاصيل شتوية، ويمثل موقعها الآن حى بركة الفيل بقسم السيدة زينب بالقاهرة.

(٣) المجنونة كانت عبارة عن قبو (سرب) يتصل بالخليج الكبير ليوصل الماء إلى بركة الفيل وكان أصل القبو قنطرة تعرف بالمجنونة، ذكر المقريزى (ت ٨٤٥ هـ) عنها إنها كانت متهدمة أيامه وتبقى منها بقية عقد ناحية الخليج كان قد عقده الأمير طيبرس وبنى فوقه متنزها، ومن الطريف أن أسم قنطرة المجنونة يرتبط باسم بانيها الأمير الطيبرس (ت٧٠٨هـ/ ١٣٠٨م) حيث كان الماء يندفع من الخليج ليملأ البركة المنخفضة بسرعة مجنونة فسموا القنطرة المجنونة، وكان الأمير الطيبرس هذا يعتريه الجنون. وقد تلقب بالمجنون فجاء هذا الارتباط، وكان لهذا الأمير محبة زائدة للفقراء والصوفية ولهذا بنى هذه القنطرة لأجل الشيخ شهاب الدين العابر ولفقرائه ليصلوا إلى زاويتهم بالبر الغربى للخليج، وقد نظم الشعراء فى ذلك الموضوع أبياتا يتفكهون بها منها قول الشاعر علم الدين بن الصاحب:

وقد عجبت من الطبرس وصحبه ∴ وعقولهم بعقوده مفتونة
عقدوا عقودا لا تصح لأنهم ∴ عقدوا لمجنون على مجنونة

وموقع قنطرة المجنونة الآن بشارع بورسعيد (الخليج المصرى سابقًا) فى نقطة جنوب جامع غيطاس بك، وكانت هذه القنطرة (السرب) موجودة حتى آخر القرن الماضى حيث ذكر على باشا مبارك أن الماء كان يصل منها إلى جناين المنازل والقصور أمامها وإلى البجمون الباقى من بركة الفيل.

تياره المنحدر فى السلاسل والأغلال، وملأ أكف الرجا بأموال الأمواه، وازدحمت فى عبارة شكره أفواج الأفواه. وأعلم الأقلام بعجزها عما يدخل من خراج البلاد، وهنأت طلائعه بالطوالع التى نزلت بركاتها من الله على العباد.

وهذه عوائد الألطاف الإلهية بنا لم نزل نجلس على موائدها، ونأخذ منها ما نهبه لرعايانا من فوائدها. ونخص بالشكر قوادمها فهى تدب حولنا وتدرج، وتخص قوادمها بالثناء والمدح والحمد فهى تدخل إلينا وتخرج.

فليأخذ الجناب العالى حظه من هذه البشرى التى جادت بالمن والمنح، وانهلت أياديها المغدقة بالسح والسفح، وليتلقاها بشكر يضئ به فى الدجى أديم الأفق، ويتخذها عقدا تحيط منه بالعنق إلى النطق، وليتقدم الجناب العالى بألا يحرك الميزان فى هذه البشرى بالجباية لسانه، وليعط كل عامل فى بلادنا بذلك أمانه، وليعمل بمقتضى هذا المرسوم حتى لا يرى فى إسقاط الجباية خيانة، والله يديم الجناب العالى لقص الأنباء الحسنة عليه، ويمتعه بجلاء عرائس التهانى والأفراح لديه.

كتاب فى وفاء النيل

«وأفاض بره العميم على الغنى والفقير، والقانع والمعتر، وأحيى الأرض بعد موتها وتدارك برحمته دماء الدهماء بعد إذ أشرفت على فوتها، وأسمع نداها بلسان الحال الحالك قبل صوتها، وأجرى الخلق على عوائد كرمه، وأجرى لهم بقدرته من حجب الغيث مواد نعمه، وأعلى لديهم موارد نيلهم حتى كاد ما يشرب بعروق ساقه يتناول بفمه، وأمر البحر فأقبل بالفرج القريب من الأمد البعيد، وأذن له فى الترفع عن محله فسجد على الترب شكرا وتيمم الصعيد وان لم يبق به الآن على الأرض صعيد، وأسرى منه ركائب السير ووالى الأقطار ففى كل ناد من هديره حاد وفى كل بر من برود بريد، وذكر بإحياء الأرض بعد موتها إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ونشر ألويته على الربا لمن كان لأهل الأرض نشرا بين يدى رحمته، وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته، وهو الولى الحميد وأقبل بعد تقصير عامه الماضى بوجه عليه حمرة الخجل، وعزم سبق سيفه إلى المحل العذل بل الأجل، واستظهار على كل ما علا من الأرض حتى إن الحرمين[1] باتا منه على وجل، ومهد

---

(١) الهرمين فى هـ، و.

الأرض التى كانت ترقبه فهو لها المنتظر على الحقيقة وقطع الطرق فأمن كل حاضر وباد[1]، ومقيم وغاد، واتبعه الرى لا الروى حين أضحى كالشعراء تهيم فى كل واد، وعمت بركاته على الأرض فتركن كل قراره كالدرهم من الخصب مربعا، وأربى ريه على ما سلف من السنين فأضحى كهوى ابن أبى ربيعة يقيس ذراعا كلما قسن إصبعا، وتجعد على الآكام فخيل للعيون أنها تسيل، وشيب مفارق الربى ببياض زبده[2] وعادة بياض المشيب أن يخضب بورق النيل، وكان ما بقى من المحل قد جعل بينه وبينه سدا، ونشر له وراءه وهو يملى له[3] ويعد له عدا، فصدمه بقلبه وجعله دكا إذا جاء أمر ريه وأدركه وملكه وسفك دمه فجرى مستطيلا إذ سفكه ووفى بما وعد[4] من ظفره.

كتاب بشارة بوفاء النيل

من إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر عن الملك المنصور قلاوون إلى النائب بحلب.

«أدام الله نعمة المجلس ولا برحت التهانى إلى ربعه مزفوفة، والأمانى بالنجاح إلى صقعه محفوفه، والبشائر يهدى إليه منها مالا يستبعد بيداء ولا يستهول[5] تنوفه، والأقاليم تستدنى منها كلما تغدو له عين الرياض محدقة وعين الكمال مطروفة. هذه المكاتبة إليه تثنى على مبرانه التى لا تبرح إلى السداد مصروفه، ولا تنفك محامدها على ما يجريه الله من الخيرات موقوفة، وتفهمه بشرى يرى بشرها فى أسارير وجوه الغمائم ونشرها فى صفحات النسيم وأعطاف الكمائم، وذلك ما هيأه الله من زيادة النيل الحسنة التصريف، والضيف الذى يزور البلاد المصرية فى كل سنة ولكنه يؤثر التخفيف، ويأتى ووجهها مغبر، وتبنها مصفر، وساكنها مضطر، فما يزاولها إلا وثغرها مفتر، وضرعها قد در، وبرها قد بر، وقسم الخصب لها قد أبر ورخاؤها قد كر، وجـد بـها قد فر.

ولما كان يوم كذا تكامل وفاؤه ستة عشر ذراعا فأتينا المقياس فضمخنا أركانه، وعطرنا

---

(١) حاصر وناد فى الأصل.

(٢) رنده فى هـ.

(٣) «له» مزيده من و.

(٤) قعد فى جـ، أ.

(٥) ولا يستولى فى ب، د.

أردانه[١]، وقلنا لعموده أهلا وسهلا بعمود المصباح، وبشير الأرواح، وديوان الفلاحة والفلاح، والذى هو حقيق بأن يوصف بدان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يمسكه من قام بالراح، وعدنا[٢] إلى الخليج فإذا عليه أمة من الناس يستسقون بل يستشفون، وأم كأنهم جان ولكنهم لا يستخفون، ورجعنا وقد طاف بنا من الحراريق بل[٣] ذوات أجنحة، وربات حواف وقوادم مترنحة، فاستقبلناهم، فقالوا جاء الخير وشاهدناهم، فقالوا هذا سليمان وقد حشر له جنوده من الجن والإنس والطير فأمرنا بالخليج فتلقف ثعبانه ما صنعوا، ووصل ما قطعوا، وفرق من التراب ماجمعوا، وانقضى هذا اليوم وبشايره قد ملأت الربى والوهاد، وهمت وهامت فى كل واد، فيبشر بذلك كل مستسقى سحاب ومستنزله، وكل تالى كتاب ومرتله، وكل مرهف سيف ومجرد مفصله[٤] وكل حالب ضرع، وكل طالب حرث وزرع، وكل ذى إبل وشاء، وكل ذى ثغاء ورغاء، وكل ذى صرير وصليل، وكل ذى تموين وتمويل، وكل ذى تعويص وتعويل، فإن الجار للجار يفرح، وإذا أصبح هذا بخير من الله فليسأل الله ذاك أن يصبح كما أصبح، والله يجعل دولتنا بالخصب والنماء تفخر، ويضع البركة حيث يحصل اليأس حتى لا يغدو بعض الممالك من بعض يسخر».

كتاب فى وفاء النيل

من إنشاء بن عبد الظاهر أيضا عن الملك المنصور قلاوون إلى الملك المنصور صاحب حماه.

ولا برح يبشر بعمل زيادة غوث تنمى، وبكل إفادة غيث تهمى، وبكل إيادة غيث لسمع المحل يصم ولقلب الحدث يصمى، ولا زال يهنأ بكل موهبة تجمع خيرات الدنيا والدين، وتؤتى أكلها كل حين، ويأتى من الخصب بالخبر اليقين، وتبين ألطاف مواقع نعم الله بالعام الذى حمى هذا المصر عن أخذه بالسنين، المملوك يخدم خدمة ولا كنهر المجرة وقد بدت نجومه تتلقى لوفاء التهانى، ولا كالمقياس وقد خضب أنامله وكحل

(١) أردانه = أركانه فى جـ، هـ.
(٢) عدنا = عدلنا فى أ، ج.
(٣) بل = كل فى أ، جـ.
(٤) نصله فى أ، وتنصله فى و.

جفونه فرحا بما حصل له من القرب منا والتدانى، ويصف ولاء يتجاذب ماء المزن وماء العيون صفاه، ويتواثب موج البحر، وفوح الزهر، ليجوز هذا رواءه، وهذا رواه. ويطلع العلم الشريف على تجدد نعمى جليلة، وموهبة جزيلة، وإفادة تتزين بها خدود الأنهار الأسيلة، وتحسن أهداب العيون التى كانت بأثمد الثرى كحيلة، ويتجمل عارض كل روض ويزهو عذار كل خميلة، وهو النيل الذى أهدى للأمة لطفا فلطفا، وإن كان إبراهيم الثرى الذى استحق إنه يقال له وفى، وأتت كراماته بما غطى الثرى وعادة الكرامة إنها تكون كشفا.

ولما كان يوم كذا جاء على عادته فى الزيادة والزيارة، وحضر من معصفر أثوابه فى أجمل شارة، وأقبل لابسًا من تفريك تياراته فى أحسن لباسه، وتلقيناه فأشخص بين أيدينا شمعة لا تقط ولا تطفى من عمود مقياسه، فضمخناه طيبًا واستشهدنا من أبى تمام حبيبا فأعجبنا من تلاطم أمواجه حسن نشيده، وراقنا من انبجاسه، وحسن مقياسه، براعة استهلاله وبيت قصيده، وأتينا إلى الخليج فإذا به قد وقف حيث تقف جيادنا عند سده، ولما رآنا قبل الأرض وعفر فى الثرى صقيل خده، فأجبنا له الإفاءة والإفادة، وأمرنا بأن يجرى فى زيادته بزيارة منازل القاهرة على العادة، فاخترق كل حجاب، وقالت له منازل القاهرة كم لى على هجرك من طاقة فهل إلى وصلك من باب، وصدرت هذه الخدمة وقد قضينا ما يجب من حق هذا الموسم الذى يستبشر به الدانى والقاصى، ويحسن بنيله الإقلاع لعسى يتشبه به العاصى، لا برح المولى مبتهج بغرر هذا السرور وإيضاحه، وعمل[2] فيه بر منصوره أعز الله جانبه بسفاحه.

كتاب فى وفاء النيل

من إنشاء بن عبد الظاهر أيضًا:

«ولا برح برحمة الله وفضله يستبشر، ومن شكره على نعمه يزيد ويستكثر، ولا زال بأحسن تهانى الأمانى يختص وبأجمل ذخائر البشائر يستأثر، صدرت هذه المكاتبة تبشره بنعمى إلى البلاد والعباد، قد تحببت، وإلى الربا والوهاد قد تسببت، وبها كل أرض

---

(١) «لا برح . . وإيضاحه» مزيده من هـ.
(٢) ويحمل فى أ، حـ.

مجدبة قد اهتزت وربت، وذلك أن النيل المبارك قد أجاب داعيه، وجرى ساعيه، وجاء والأمة إليه مجتاحة ومحتاجة، ويعقوب مدارجه اليوسفية تود لو قضت[1] ما فى نفسه من حاجة، وحسن فى المناب عن المنافع[2] وأجمل ذراعه فى شد الذرائع، وشهد جنازة المحل، حين حمل من زيادته على الأصابع، وأخذ المقياس أهبته للخلوق[3]، وضمخ حتى لا تتميز السحائب عليه بشئ حتى ولا بلمع البروق، وراق الناس منظره الوسيم وأحسن ما كان النيل حين يروق، وشاهد الناس من فخار هذا المقياس وعموده ما فات السحائب توطئه وتوطيدا، وما أمسى به حين خلق وكان عليه من شمس الضحى نـورا ومن خلق الصباح عمودا، وكملت المسرة بكسر الخليج الذى هو رحيق مصر المختوم، وعقدها المنظوم، وطراز ملبسها المرقوم، ومجرة سمائها التى كم بها من المراكب أبهى من نيرات النجوم، فليأخذ حظه من هذه البشرى الذى يستبشر بها السهول والحزون، ويحققها لو كتبت الرياض بشائرها على الخدود بماء العيون، والله يحقق[4] فى سعادته الظنون.

كتاب فى البشرى بالنيل

من إنشاء بن عبد الظاهر أيضًا:

«هذه المكاتبة تبشره بنعمى تقبل مختالة فتجر على الربا والوهاد ذيولا، وتجرد فى وجه المحل سيفًا مسلولا، وهو النيل الذى أتى ووجه الأرض قد أغبر، وثغر يراعه قد بر، والخصب قد افتر، وبره قد أقفر من كل بر[5]، فحسن فى مسرى مسراه، وجعل على اسم مجراه، وجاء يركض فى مضماره فلا يلحق، ويجرى فى تياره فلا يسبق، فكم من قحط مر عليه من تلك الفجاج فى سيل، وكم ميت جذب عليه التراب فى تلك الجسور قد هيل[6]، وكم عروس قرية تبنى[7] منها فى مسرى فكان كما قيل مسرى

(١) قضت بالوفاء فى جـ.

(٢) المتابع فى ب، د.

(٣) الخلوق هى الروائح العطرية التى يدهن بها عمود المقياس فى الإحتفال بوفاء النيل.

(٤) يخفق فى أ، هـ.

(٥) البر هو القمح.

(٦) عيل فى هـ، و.

(٧) لله فى ب.

عروس النيل، وتوافى الناس إلى المقياس فسألوا منه عن يقين الوفا أخبر من جهينه، وشاهدوا منه أجمل من جميل، ومن بنانه المخلق أحسن من بنان بثينه، ورأوا من وفائه صادقا لا يجوز عن عهوده ولا يمين، وبطلت القاعدة من بنانه المخلق حين وفا من أنه ليس لمخضوب البنان يمين، وكان هذا الموسم من أشرف المواسم لما يشتمل عليه من بشائر تملأ الوجود، ونعمه على الخلائق تعود، ومنه جرى بها من اليبس الماء فى العود، وكيف لا ويومها يوم سعد السعود، فليشع[1] هذا الخبر ساعة تبدئ وتعيد، ويوجد بردائها بردًا على كبده ويزيد، لا يزال مخصوصا بالاستبشار، تارة بكسر الأعداء وتارة بكسر البحار، وآونة بإحياء الموات بالنيل وحينا بإماتة الأحياء بالفوات[2] من الكفار».

كتاب بشارة النيل

من إنشاء الشيخ بدر الدين بن الصاحب كتب به إلى ناظر الجيوش يهنئه. «ثبت الله سلطان النيل العالى، وأطلق سيوفه فى هام السعر الغالى، واستخدم له السحائب، فى الجباية لا تفاق الرغائب، وبسط ملكه حتى لا ينظر الصباح وجهه فى مرآته، ولا تسحب الرياح أذيالها إلا على حافاته، وأجرى عذبه رضابا فى ثغر الإسلام، وجعله عينا له على عدو الإعدام، ونظم حبابه عقودا فى أجياد الرياض، ومتع النسيم بأردافه ليصبح عليله كأجفان الغيد الصحاح المراض، وأسمعنا تلاوة مناقبه على كراسى السفن وأعواد منابرها، ورقم محاضر مفاخره على طروسه بألسن باديها وحاضرها، وشنف أسماع الدنيا بأخباره السارة، وعيشته الراضية القارة، وجعل أهله فى ثمل من رحيقه، وفى عيد أكبر لا يشان بأيام تشريقه، ولا زالت أصابعه المباركة والمنافع فى قبضها، والآمال إذا ضاقت تتبسط ببسطها، والذهب الجامد لا يسبك إلا من ذهبها السائل، والغنى المسبول نصا بنصلها[3] عن حال السائل.

صحت له كيميا السعد حين وفى ∴ إذ فضة الماء أضحى كسرها ذهبا

ولا برحت له اليد البيضاء تعلو على السواد بالسيوف الحمر، وتفوق الحياة على الممات وتبسط الأصابع للدعاء بطول العمر، ولا زالت موارده موارد الأنس، وحضراته

---

(١) فليشيع فى ب، فليشفع فى د.
(٢) بالفرات فى أ.
(٣) نصابه حلها فى أ، و.

الكونية مستعارة من حضرة القدس، حين تفتح أقفال الأزهار، وتفصح خرس الأطيار، ويستنطق ناظره بالتسبيح والأذكار، ويطفىء حر الشمس فالأيام به كلها بكر وأسحار، ويصير عمود وفائه كعصا الكليم يفجر لمنفعة شهور السنة اثنتى عشرة عينا، ويضرب البحر فينفلق يمينًا ويسارًا ويصير بنقطه كل عين عينا، ويصبح كلسان فى فم مقياسه صادق حلاوة الأخبار لا يعرف مينا[1]، فيطلع طلوع القمر ينسخ آية ليل السواد، وينفلق انفلاق الصبح فيحمد[2] مسراه على قرطاسه، ويوقع قلم الطومار من عمود مقياسه، بنافذ أمره العالى على قرطاسه، تجرى على عاداته الحسنة، وعلى رسومه ألف سنة، وأن يصير معلومها من الفضة ذهبا، وأن يمد لرزقها من السماء سببا، فمد ظله على الرعايا، وأخرج من زوايا الأرض خبايا، وكتب لها امانا من النقم، وتمشى فى مفاصلها تمشى البرد فى السقم، حين حف بالخمائل والروض المثمر على عروشه، تقر به عين الملك وناظر جيوشه.

فللنيل فخر إذ حكاه أصابعا ∴ خلقن لأرزاق العباد مفاتحا
ولكن أياديه تعم معاليا ∴ إذا عم هذا النيل فينا أباطحا
إذا ضاق صدر الدهر أو أشكلت به ∴ خطوب تراه شارحا ثم سارحا
وإن أوفدت دنيا بأفعال أهلها ∴ شممنا له مسكا من الذكر فائحا
فلا زالت الأيام أعياد نعمة ∴ بطلعته ماهيج الشوق صادحا

كتاب فى وفاء النيل

من إنشاء الأديب تقى الدين أبى بكر بن حجة عن السلطان الملك المؤيد شيخ سنة تسع عشرة وثمانمائة:

«ونبدى لعلمه الكريم ظهور آية النيل الذى عاملنا الله فيه بالحسنى وزيادة، وأجراه لنا فى طرق الوفاء على أجمل عادة، وخلق أصابعه ليزول الإبهام فأعلن المسلمون بالشهادة، كسر بمسرى فأمسى كل قلب بهذا الكسر مجبورا، وأتبعناه بنوروز وما برح هذا الاسم بالسعد المؤيدى مكسورا، دق قفا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه،

---

(١) المين هو الكذب.
(٢) فيجهر فى أ.

وقبل ثغور الإسلام فأرشفها ريقه الحلو فمالت أعطاف غصونها إليه، وشبب خريره فى الصعيد بالقصب، ومد سبائكه الذهبية إلى جزيرة الذهب، فضرب الناصرية واتصل بأم دينار[١]، وقلنا: لولا أنه صبغ بقوة لما جاء وعليه ذلك الاحمرار.

وأطال الله عمر زيادته فتردد إلى الآثار[٢]، وعمته البركة فأجرى سواقى ملكه إلى أن غدت جنة تجرى من تحتها الأنهار، وحضن مشتهى الروضة[٣] فى صدره، وحنا عليها حنو المرضعات على الفطيم.

وأرشـــفنا علـى ظمـــأ زلالا ∴ ألـذ من المـدامـــــــة لـلـنـديم

وراق مديد بحره لما انتظمت عليه ذلك تلك الأبيات، وسقى الأرض سلافته الخمرية فخدمته بحلو النبات، وأدخله إلى جنات النخيل والأعناب فالق النوى والحب، فأرضع فى أحشاء الأرض جنين النبت، وأحيا له أمهات العصف والأب. صافحته كفوف الموز فختمها بخواتمه العقيقية، ولبس الورد تشريفه وقال: أرجو أن تكون شوكتى فى أيامه قوية، ونسى الزهر بحلاوة لقائه مرارة النوى، وهامت به مخدرات الأشجار فأرخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوى، واستوفى النبات بالسكر والليمون، وانجذب إليه الكباء وامتد، ولكن قوى قوسه لما حظى منه بسهم لا يرد، ولبس شربوش الأترج وترفع إلى أن لبس بعده التاج، وفتح منثور الأرض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج، فتناول مقالم الشنبر وعلم بأقلامها، ورسم لمحبوس كل سد بالإفراج، وسرح بطائق السفن فخفف أجنحتها بمخلق بشائره، وأشار بأصابعه إلى قتل المحل فبادر الخصب إلى امتثال أوامره، وحظى بالمعشوق[٤] وبلغ من كل منية مناه، فلا سكن على البحر إلا تحرك ساكنه بعدما تفقه واتقن باب المياه، ومد شفاه أمواجه إلى تقبيل فم ا لخور[٥].

---

(١) جزيرة الذهب هى الجزيرة التى تتوسط النيل أمام ساحل مصر القديمة جنوب جزيرة الروضة والناصرية إما انها حى الناصرية بالقاهرة أو انها احدى قرى الجيزة، وأم دينار احدي قرى شمال الجيزة.

(٢) الآثار هى الآثار النبوية التى كانت محفوظة فى رباط الآثار بمصر القديمة.

(٣) المشتهى منظرة فاطمية بجزيرة الروضة حل محلها رباط فى العصر المملوكى أقام به الشيخ الكازورونى، وموقع المشتهى الآن فى نهاية شارع عبده بدران المتفرع من شارع المنيل.

(٤) المعشوق بستان كبير كان يقع جنوبى الفسطاط آلت ملكيته عبر الزمن إلى عدد من الوزراء والأمراء منذ زمن الدولة الطولونية حتى دولة المماليك، وكان يقع فى منطقة أثر النبى حاليا جنوبي القاهرة.

(٥) فم الخور هو بداية خليج فم الخور الذى أمر بحفره الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٤هـ وموقعه الآن ميدان عبد المنعم رياض.

وزاد مترعه[1] فاستحلى المصريون زائده على الفور، ونزل فى بركة الحبش[2] فدخل التكرور[3] فى طاعته، وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة[4] بشهامته، وأظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فأقر الله عينه، وصار أهل دمياط فى برزخ بين المالح وبينه، وطلب المالح رده بالصدر وطعن فى حلاوة شمائله، فما شعر إلا وقد ركب عليه ونزل فى ساحله.

وأما المحاسن فدارت دوائره على وجنات الدهر عاطفة، وثقلت أرداف أمواجه على خصور الجوارى واضطربت كالخائفة، ومال شبق[5] النخيل إليه فلثم ثغر طلعه وقبل سالفه، وأمست سود الجوارى كالحسنات على حمرة وجناته، وكلما زاد زاد الله فى حسناته، فلا فقير سد إلا حصل له سن فيض نعماه فتوح، ولا ميت خليج إلا عاش به ودبت فيه الروح، ولكنه احمرت عينه على الناس بزيادة وترفع، فقال له المقياس عندى قبالة كل عين أصبع، ونشر أعلام قلوعه وحمل وله على الجزيرة زمجرة، ورام أن يهجم على غير بلاده فبادر إليه عزم المؤيدى وكسره.

وقد آثرنا الجناب بهذه البشرى التى سرى فضلها برا وبحرا، وحدثنا عن البحر ولا حرج وشرحنا له حالا وصدرا، ليأخذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة، وينشق من طيبها نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم أنفاسا عاطرة، والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة لسمعه الكريم ليصير بها فى كل وقت مشنفا، ولا برح من نيلها المبارك وإنعامنا الشريفة على كلا الحالين فى وفا».

وقال القاضى الفاضل فى وصف النيل: «النيل المصرى الذى يكسو الفضاء ثوبا فضيا، ويدلى من الأرض ماءه سراجا من النور مضيا، ويندفع تياره واقفا فى صدر الجدب بين الخصب، ويرضع أمهات خلجه المزارع فيأتى أبناؤها بالعصف والأب.

وقال فيه أيضا:

---

(١) مترعه = بسرعة فى أ، ب.

(٢) بركة الحبش كانت تقع فى منطقة البساتين حاليا.

(٣) التكرور المراد بها منطقة بولاق الدكرور.

(٤) المنصورة هى مدينة المنصورة عاصمة محافظة الدقهلية والطويلة إحدى قراها.

(٥) شيق فى ب.

«وأما النيل فقد امتدت أصابعه، وتكسرت بالموج أضالعه، ولا يعرف الآن قاطع طريق سواه، ولا من يرجى ويخاف إلا إياه».

وقال أيضا:

«وأما النيل المبارك فقد ملأ البقاع، وأنتقل من الإصبع إلى الذراع، فكأنما غار على الأرض فغطاها، وأغار عليها فاستقعد وما تخطاها».

وقال ضياء الدين بن الأثير:

«أما النيل المبارك فقد تنفس حتى قامت أضالعه، وأشارت إلينا بالخصب أصابعه، حالا فراقا فحكى جنى النحل، واحمرت صفحته فقلنا أتى قاتل المحل».

وقال بعضهم[1]: وأما النيل فقد زاد نيله، وتراكم سيله، ولازم المعشوق ملازمة العاشق، وقطع الطريق بكثرة مياهه، وكاد يصل بارتفاعها إلى الطارق وشبك بالخمس أصابع أصابعه، وأغار على ما هنالك من الضياع الثلاث والعدوية[2] رابعة، وتوجه إلى مصر فعمم جهاتها وماخصص، وأقام بدار النحاس[3] ورصص، وعقدت خيامه بأذيال الجبال الطنب، وغسل بمائه الجار الجنب، وأذاق الشجر الأخضر، من محمر مائه الموت الأحمر».

وقال الأسعد بن مماتى: وأما النيل فقد امتدت أصابعه، وامتلأ حتى تكسر بالموج أضالعه، وجلى كما أحتمل خلايا النحل[4]، واحمر فكأنه قد سفك دم المحل، قد هاج، فأوترقسيّ الأمواج، فسكنت النفوس، وطبقت المياه الأرض فكأنها أنوار الشموس.

وقال أيضا: «وجملة الأمر، أن النيل قصر لون مائه وكان صفا العيش إذا احمر، وضعفت مدته[5]، وقصرت مدته، فانكشف الحال، وانكسف البال، وربما جن فجرى مسلسلا، وظهرت فيه حمرة كانت من التقصير خجلا».

---

(١) فى ب، د وقال ضياء الدين بن الأثير.

(٢) العدوية هى المعادى وسميت بالعدوية نسبة إلى دير العدوية المقام على كورنيش النيل حاليا.

(٣) دار النحاس موقعها الآن عند نفق الملك الصالح.

(٤) جلى = خلى فى ب، احتمل = احتلى فى أ، هـ، النحل = النخل فى جـ.

(٥) مدته = شدته فى هـ.

ذكر فوائد لها تعلق بالنيل[1]

فى الخطط للمقريزى يقال إن أهل مصر أقاموا عليهم مصريم بن بيصر ملكا فى أيام فالج بن عابر بن شالح ابن أزفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام فملك مصر وبنى مدينة تشرف على النيل وسماها على إسمه، ويقال إنه الذى غرس بها الأشجار وكانت ثمارها عظيمة بحيث تشق الأترجة نصفين فيحمل البعير نصفها، وكان طول القثاء أربعة عشر شبرا، ويقال إنه أول من وضع السفن بالنيل وإن سفينته كانت ثلاثمائة ذراع طولا فى عرض مائة ذراع وأظن ذلك فى كتاب أخبار المسعودى[2].

ووصف بعضهم مصر فقال: نيلها عجب أرضها ذهب وخيرها جلب وملكها سلب ومالها رغب وفى أهلها صخب وطاعتهم رهب وسلامهم شغب وحربهم حرب وهى لمن غلب.

ووصف أخر مصر فقال: ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء وثلاثة أشهر مسكه سوداء وثلاثة أشهر زمردة خضراء وثلاثة أشهر سبيكة ذهب حمراء[3].

قال المقريزى فى الخطط[4]: من عادة نيل مصر إذا كان عند ابتداء زيادته اخضر ماؤه فتقول عامة أهل مصر قد توحم النيل ويرون أن الشرب منه حينئذ مضر، ويقال فى سبب اخضراره ان الوحوش سيما الفيلة ترد البطيحات التى فى أعالى النيل وتستنقع فيها مع كثرة عددها لشدة الحر هناك فيتغير ماء تلك البطيحات فإذا وقع المطر فى الجهة الجنوبية فى أوقاته عندهم تكاثرت السيول حينئذ فى البطيحات فخرج ما كان فيها من الماء الذى قد تغير ومر إلى مصر وجاء عقبيه الماء الجديد وهو الزيادة بمصر وحينئذ يكون الماء محمرا لما يخالطه من الطين الجزر الذى تأتى به السيول».

---

(١) بالنيل السعيد فى ب، د.

(٢) (ويقال أنه أول . . حتى المسعودى) مزيدة من جـ.

(٣) فأما اللؤلؤة البيضاء فإن مصر فى شهر أبيب ومسرى وتوت يركبها الماء فترى الدنيا بيضاء وضياعها على روابى وتلال مثل الكواكب قد أحيطت بها المياه من كل وجه فلا سبيل إلى قرية من قراها إلا فى الزوارق، وأما المسكة السوداء فإن فى شهور بابه وهاتور وكيهك ينكشف الماء عن الأرض فتصير أرض سوداء وفى هذه الأشهر تقع الزراعات، وأما الزمردة الخضراء فإن فى أشهر طوبة وأمشير وبرمهات يكثر نبات الأرض وربيعها فتصير خضراء كأنها زمردة، وأما السبيكة الحمراء فإن فى أشهر برمودة وبشنس وبؤونة يتورد العشب ويبلغ الزرع الحصاد فيكون كالسبيكة التى من الذهب منظر ومنفعه. انظر الخطط جـ١ ص٢٦.

(٤) جـ١ ص٦١.

وما أحسن قول جلال الدين بن خطيب داريا

عـجـبـا لنيل ديار مـصـر أنه ∴ عـجب إذا فكرت فـيـه يعـظم
يطأ الأراضى فـهى تلقح دائمـا ∴ من مـائه وهو الذى يتـوحم

وفى الخطط للمقريزى[1] قال المسبحى إن الصنف المعروف بالبلطى من أصناف السمك أول ما عرف بنيل مصر في أيام الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ولم يكن يعرف قبله فى النيل وظهر أيضا فى أيامه سمك يعرف باللبيس وإنما سمى باللبيس لأنه يشبه البورى الذى بالبحر الملح فالتبس به وغالب الظن إنها من أسماك البحر الملح دخلت فى الحلو.

وفى كتاب الفلاحة لابن وحشية ذكر أن فى مصر إذا زرعوا يخرج من المد ثلاثمائة مد لحرارة الهواء وكثرة لدونة ماء النيل.

قال أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس فى تاريخ مصر: كان بالإسكندرية صنم يقال له شراحيل على حشفة من حشفة[2] البحر مستقبل بإصبعه من كفه قسطنطينية لا يدرى أكان مما عمله سليمان النبى ﷺ أو عمله الإسكندر فكان يدورون بالإسكندريه ويصاد . . .ها فيما زعموا[3]. قال زيد بن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. أخبرنى أبى عن أبيه أنه انبطح على بطنه ومد يديه ورجليه فكان طوله قدر الصنم فكتب رجل يقال له أسامة بن زيد كان عاملا على مصر للوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين إن عندنا بالاسكندرية صنما يقال له شراحيل من نحاس وقد غلت علينا الفلوس فإن رأى أمير المؤمنين أن ينزله ويضربه فلوسا فعل وإن رأى غير ذلك فليكتب إلى من أمره فكتب إليه لا تنزله حتى أبعث إليك ضمنا أمناء يحضرونه فبعث إليه رجالاً أمناء حتى أنزل من الحشفة فوجدوا عينيه يا قوتتين حمراوتين ليس لهما قيمة فضربه فلوسا فانطلقت الحيتان فلم ترجع إلى ما هنالك.

فى أخبار مصر للأستاذ إبراهيم ابن وصيف شاه فيما نقله عنه المقريزى فى كتابه إغاثة

---

(١) حـ١ ص٦٧.

(٢) حشفه = حسنه، حشف = حسن فى جـ، هـ.

(٣) زرعوا فى أو د.

* وهذه العبارة مضطربة فى جميع النسخ ولعل الصوات «فكانت الحيتان تدور بالإسكندرية وتصاد عندها فيما زعموا».

الأمة بكشف الغمة أن أول غلاء وقع فى أرض مصر كان فى زمن الملك السابع عشر[(١)] من ملوك مصر قبل الطوفان واسمه افروس بن مناوش وكان سببه قلة ماء النيل ثم وقع غلاء بعد الطوفان فى أيام أتريب وهو الثالث عشر من ملوك مصر بعد الطوفان وسببه أن النيل توقف فلم يجر ماؤه مدة مائة[(٢)] وأربعين سنة حتى أكلت البهائم بأرض مصر ولم يتبق بها بهيمة ومات عامة أهل مصر جوعا ورؤى أتريب ماشيًا ثم أضعفه الجوع حتى لم يبق به حركة سوى أنه يقبض يديه ويبسطهما من الجوع، فلما اشتد الأمر عليه كتب إلى لاوذ[(٣)] بن سام بن نوح بذلك فكتب إليه لاوذ إلى أخيه أرفخشذ بن سام فلم يجيبه بشئ حتى بعث الله هودا عليه السلام فكتب إليه أتريب يلتمس منه الدعاء برفع ما نزل بأرض مصر فأجابه هود إنى أدعو لكم فى يوم كذا فانتظروا فيه جرى النيل، فلما كان ذلك اليوم جمع أتريب من بقى بمصر من الرجال والنساء فدعوا وضجوا وكان ذلك عند انتصاف النهار من يوم الجمعة، فأجرى الله سبحانه النيل فى تلك الساعة إلا إنه لم يكن عندهم ما يزرعونه فأوحى الله تعالى إلى هود أن أبعث إلى أتريب مصر أن يأتى كهف[(٤)] جبلها ويحفر مكان كذا فكتب هود إلى أتريب يعلمه فجمع قومه وحفر فإذا عقود قد عقدت بالرصاص وتحتها غلال كأنها وضعت حينئذ وهى باقية فى سنبلها لم تدرس فمكثوا ثمانية شهور فى نقلها وزرعوا فيها وتقوتوا نحو خمس سنين.

فذكر إن أولاد قابيل بن آدم عليه السلام لما انتشروا فى الأرض وملكوها علموا أن حادثة تحدث فى الأرض فبنوا هذا البناء ووضعوا فيه هذه الغلال فزرعت مصر وأخصبت وكثر الرخاء ودام مدة مائتى سنة وأبيع كل أردب بدانق[(٥)] وأقل وكانت مدة ملك أتريب هذا ثلاثمائة وستين سنة وعاش خمسمائة سنة.

وفى الخطط للمقريزى فى سنة سبع وتسعين وثلاثمائة صيد ببحيرة تنيس حوت طوله

---

(١) الثانى عشر فى أ، جـ، د والتصحيح من إغاثة الأمة ص ٧ طبعة دار ابن الوليد.

(٢) مائة ساقطة من الأصل والتكملة من إغاثة الأمة ص٨.

(٣) لاذو فى إغاثة الأمة.

(٤) تحت فى هـ، ولحف فى إغاثة الأمة ص٩.

(٥) الدانق لفظ قديم فى الفارسية القديمة والأرمينية أيضا. واستعمله العرب فى الجاهلية للدلالة على وزن معين، وفى النقد أيضا، ثم استعمل فى العصر الإسلامى كوزن ثقله عشر حبات من الشعير، أو أربعين من حبات الأرز، أو ثلاثة قراريط وثمن قيراط.

ذراع ونصفه الأعلى فيه رأس وعينان وعنق وصدر على صورة أسد ويداه فى صدره بمخالب ونصفه الأدنى صورة حوت بغير قشر فحمل إلى القاهرة .

وفيها قال عبد الله بن أحمد بن سليم الأسوانى فى كتاب أخبار النوبة «الجنادل شعاب معترضة فى النيل بين أسوان والنوبة ولا نصباب النيل فيها خرير عظيم ودوى يسمع من بعد وأشدها صعوبة جبل معترض فى النيل من الشرق إلى الغرب والماء[1] ينصب من ثلاثة أبواب وربما رجع إلى بابين عند انحساره شديد الخرير عجيب المنظر يتحدر الماء عليه من علو الجبل ، وسعه النيل هناك من الشرق إلى الغرب مسيرة خمس مراحل ، وقيل ان التمساح لا يضر هناك ويأتى النيل هناك فى وقت الزيادة بخشب الساج والسنط لا يدرى من أين يأتى ، ويتشعب النيل عند بلاد علوة على سبعة أنهار فمنه نهر يأتى من ناحية الشرق كدر الماء يجف فى الصيف حتى يسكن بطنه فإذا كان وقت الزيادة نبع منه الماء وزادت البرك التى فيه وأقبل المطر والسيول فى سائر البلد فوقعت الزيادة فى النيل وقيل أن أخر هذا النهر عين عظيمة تأتى من جبل[2]. قال مؤرخ النوبة : وحدثنى سيون[3] صاحب بلد علوة أنه يوجد فى بطن هذا النهر حوت لا قشر له ليس هو من جنس ما فى النيل ثم النيل الأبيض وهو نهر يأتى من ناحية المغرب شديد البياض مثل اللبن .

قال : وقد سألت من طرق بلاد السودان من المغاربة عن النيل الذى عندهم وهن لونه فذكروا أنه يخرج من جبال الرمل وأنه يجتمع فى بلد السودان فى برك عظام ثم ينصب إلى مالا يعرف ، وأنه ليس بأبيض فأما أن يكون اكتسب ذلك اللون مما يمر عليه أو من نهر آخر ينصب إلى هذا ، ثم النيل الأخضر وهو نهر يأتى من القبلة مما يلى الشرق شديد الخضرة صافى اللون جدا يرى ما في قعره من السمك وطعمه مخالف لطعم النيل يعطش الشارب منه بسرعة .

وحيتان الجميع واحدة غير أن الطعم مختلف ، ويأتى فيه وقت الزيادة خشب الساج والبقم وخشب له رائحة كرائحة اللبان وخشب غليظ ينحت وقيل أنه وجد فيه عود خشب البخور ، ويجتمع هذان النهران الأبيض والأخضر عند مدينة متملك بلد علوة

---

(١) والجنادل فى جـ، و. والتصحيح من الخطط حـ١ ص١٩١ .

(٢) الخطط حـ١ ص ١٩٢ .

(٣) ميمون فى جـ، هـ.

ويبقيان[1] على ألوانهما قريبًا من مرحلة ثم يختلطان بعد ذلك وبينهما أمواج كبار عظيمة تتلاطم.

قال: وأخبرنى من أخذ من النيل الأبيض وصبه فى النيل الأخضر فبقى فيه مثل اللبن ساعة قبل أن يختلطا وبين هذين النهرين جزيرة ولا يعرف لهذين نهاية.

والأربعة أنهار الباقية أيضًا تأتى من القبلة مما يلى الشرق فى وقت واحد ولا يعرف لها نهاية وهى دون النهرين الأبيض والأخضر فى العرض وكثرة الخلجان والجزائر، وجميع الأربعة تنصب فى الأخضر وكذلك الأول الذى تقدم ذكره ثم يجتمع مع الأبيض، والجميع عامرة مسكونة مسلوكة بالسفن وأحد هذه الأربعة يأتى من بلاد الحبشة.

قال: ولقد اكثرت السؤال عنها وكشفها من قوم عن قوم فما وجدت مخبرا يقول أنه وقف على نهاية هذه الأنهار والذى انتهى إلى علم من عرفنى عن آخرين إلى خراب وأنه يأتى فى وقت الزيادة مراكب وأبواب وغير ذلك فيدل على عمارة بعد الخراب فأما الزيادة فيجمعون أنها من الأمطار مع مادة تأتى من ذاتها والدليل على ذلك النهر الذى يجف ويسكن بطنه ثم ينبع وقت الزيادة[2]. هذا كله كلام مؤرخ النوبة.

وفى الخطط: أقام حجاج مصر والمغرب زيادة على مائتى سنة لا يتوجهون إلى مكة شرفها الله تعالى إلا بركوب النيل من الفسطاط إلى قوص ثم يمرون من صحراء عيذاب ثم يركبون البحر المالح إلى جدة وذلك فى بضع وخمسين وأربعمائة (هـ) إلى بضع وستين وستمائة (هـ) وذلك منذ كانت الشدة العظمى بمصر فى أيام المستنصر الفاطمى فانقطع الحج فى البر إلى أن كسى الملك الظاهر بيبرس البندقدارى الكعبة وعمل لها مفتاحا ثم أخرج قافلة الحاج فى البر وذلك بعد ستين وستمائة (هـ) فاستمر سلوك الحاج فى البر.

وفيها مدينة أرجنوس من عمل البهنسا بها كنيسة فيها بئر يقال لها بئر سيوس[3] صغيرة لها عيد فى الخامس والعشرين من بشنس يغور بها الماء عند مضى ست ساعات من النهار حى يطفو ثم يعود إلى ما كان عليه. ويستدل النصارى على زيادة النيل فى كل

---

(١) وينقسمان فى جـ، هـ.

(٢) الخطط جـ١ ص١٩٢.

(٣) سوس فى هـ، وسبوس فى جـ، أ، وسيرس فى الخطط جـ١ ص٢٠٣.

سنة بقدر ما علا الماء، وفيها مدينة أنصنا كان بها مقياس النيل[1] من بناء دلوكه أحد من ملك مصر وكان كالطيلسان، وفى دائره عمد على عدة أيام السنة الشمسية كلها من الصوان الأحمر، ومسافة ما بين كل عمودين مقدار خطوة إنسان، وكان ماء النيل يدخل إليه من فوهه عند زيادة الماء فإذا بلغ الحد الذى كان إذ ذاك يحصل منه رى مصر جلس الملك عند ذلك فى مشرف له وصعد قوم من خواصه إلى رؤوس الأعمدة المذكورة فيتعادون عليها ما بين ذاهب وآت ويتساقطون من الأعمدة إلى الملعب وهو ممتلئ بالماء.

قال أبو عبيد البكرى: ويقال أن التمساح لا يضر بساحل أنصنا لطلاسم وضعت هناك وإنه إذا حاذى برها انقلب على ظهره حتى يجاوزها، وفيها يقال أنه كان بالجيزة أحجار ورخام قد صورت فيها التماسيح فكانت لا تظهر فيما يلى البلد من النيل مقدار ثلاثة أميال علوا وسفلا.

قال الكندى فى فضائل مصر: لو قايسنا بأنهار الفيوم أنهار البصره ودمشق لكان لها الفضل وليس فى الدنيا ما بنى بالوحى غير كورة الفيوم وليس فى الدنيا بلد أنفس منه ولا أخصب ولا أكثر خيرا ولا أغزر أنهارا.

ذكر دفن يوسف عليه السلام فى النيل

أخرج ابن عبد الحكم فى فتوح مصر عن سماك بن حرب قال: دفن يوسف عليه السلام فى أحد جانبى النيل فأخصب الجانب الذى كان فيه وأجدب الجانب الآخر، فلما رأوا ذلك جمعوا عظامه فجعلوها فى صندوق من حديد وجعلوا فيه سلسله وأقاموا عمودا على شاطئ النيل وجعلوا فى أصله سكة من حديد وجعلوا السلسلة فى السكة وألقوا الصندوق فى وسط النيل فأخصب الجانبان جميعا.

وأخرج ابن عبد الحكيم عن ابن لهيعة عمن حدثه قال: قبر يوسف عليه السلام بمصر فأقام بها نحوا من ثلاثمائة سنة ثم حمل إلى بيت المقدس، وأخرج الحاكم فى المستدرك وصححه عن أبى موسى الأشعرى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن موسى عليه السلام حين أراد أن يسير ببنى أسرائيل ضل عن الطريق فقال لبنى اسرائيل: ما هذا؟ فقال له علماء بنى إسرائيل: إن يوسف عليه السلام حين حضره الموت أخذ علينا موثقا

(١) ذكر المقريزى ان أصل مقياس النيل هذا ملعب. حـ١ ص٢٠٣.

من الله أن لا نخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا فقال موسى: أيكم يدرى أين قبره؟ فقالوا: ما يعلم أحد مكان قبره إلا عجوز لبنى اسرائيل فأرسل إليها موسى فقال: دلينا على قبر يوسف، قالت: لا والله حتى تعطينى حكمى. قال: وما حكمك؟ قالت: أن أكون معك فى الجنة، فكأنه كره ذلك، فقالوا له أعطها حكمها فأعطاها حكمها، فانطلقت بهم إلى بحيرة مستنقعة ماء فقالت لهم نضبوا عنها الماء ففعلوا، قالت: احفروا، فحفروا، فاستخرجوا عظام يوسف فلما نقلوه من الأرض إذ الطريق مثل ضوء النهار.

قال المقريزى فى الخطط: فى سنة سبع وخمسين وخمسمائة (هـ) ظهر قدام المقياس بمصر وسط النيل الحائط الذى كان فى جوفه قبر يوسف الصديق وتابوته ولم ينكشف قط منذ نقله موسى عليه السلام إلا حينئذ عند نقصان الماء فى قاع المقياس فإن الرمل انكشف عنه وظهر للناس وأكثر الناس ما علموا ما هو.

ذكر المسبحى فى تاريخه إن زمن فرعون جاءت الكوشانيون وهم الحبش إلى أرض مصر فأحرقوا بلادها وقطعوا الماء عنها فوجه إليهم موسى عليه السلام وهو إذ ذاك شاب فى تربيته ومعه عشرة آلاف فارس من بنى اسرائيل وعشرة آلاف من المصريين فقاتل الحبشة وظفر بهم، وأقام موسى عليه السلام إلى وقت صعود النيل وعرف أحواله وبنى سداً عظيماً بالحجر والكلس يحفظ الماء عند زيادته، وعاد فى السفن إلى مصر فخافه الملك وجمع خاصته ثم بعد ذلك قتل القبطى وخرج من مصر إلى أرض مدين.

وذكر بعض المؤرخين أنه فى خلافة المستنصر الفاطمى نقص النيل كثيرا فأرسل بطرك النصارى إلى ملك الحبشة بهدية فتلقاه ملك الحبشة وأكرمه وسجد بين يديه وسأله عن سبب قدومه فعرفه أن نيل مصر نقص وأضر بالبلاد وأهلها فأمر ملك الحبشة بفتح السد الذى يجرى معه الماء إلى الديار المصرية لأجل قدوم البطرك وأجرى الله النيل من تلك السنة وزاد فى ليلة واحدة ثلاثة أذرع وتكامل ورويت البلاد.

ذكر القاء موسى عليه السلام فى النيل حين ولد

أخرج النسائى فى السنن الكبرى وابن أبى عمر الصدفى وأبو يعلى الموصلى فى مسنديهما وبن جرير وبن المنذر وابن أبى حاتم وبن مزدويه فى تفاسيرهم عن طريق إصبغ بن زيد الوراق الجهنى عن القاسم ابن أيوب عن سعيد بن جبير عن بن عباس رضى الله

عنهما قال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم عليه السلام أن يجعل فى ذريته أنبياء وملوكا فقال بعضهم: إن بنى إسرائيل ينتظرون ذلك ولا يشكون فيه وقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب فلما هلك قالوا: ليس هكذا كان الله وعد ابراهيم، قال فرعون: فكيف ترون؟ قال: فائتمروا[1] وأجمعوا أمرهم على أن نبعث رجالاً معهم الشفار يطوفون فى بنى اسرائيل ولا يجدون مولودا ذكرا إلا ذبحوه ففعلوا ذلك فلما رأوا إن الكبار من بنى إسرائيل يموتون بآجالهم والصغار يذبحون قالوا يوشك أن يفنوا بنى اسرائيل وتصيرون إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التى كانوا يكفونكم فاقتلوا عاما كل مولود ذكر فيقل نباتهم ودعوا عاما فلا تقتلوا منهم أحدا فيشب الصغار وكان من يموت من الكبار فإنهم لن يكثروا بمن يستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم أيامكم ولن تغنوا بمن يقتلون فتحتاجوا إليهم، فأجمعوا أمرهم على ذلك فحملت أم موسى بهارون فى العام الذى لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة، فلما كان من العام القابل حملت بموسى فوقع فى قلبها الهم والحزن فأوحى الله إليها أن لا تخافى ولا تحزنى إنا راده إليك وجاعلوه من المرسلين وأمرها إذا ولدت أن تجعله فى تابوت ثم تلقيه فى اليم فلما ولدت فعلت به ذلك فلما توارى عنها ابنها أتاها الشيطان فقالت فى نفسها ما فعلت بإبنى لو ذبح عندى فواريته وكفنته كان أحب إلى من أن ألقيه بيدى إلى حيتان البحر ودوابه، فانتهى الماء به حتى ألقى به عند فرضة مستقر جوارى إمرأة فرعون، فلما رأينه أخذنه فحملنه كهيئته حتى دفعته إلى امرأة فرعون فلما فتحته رأت فيه غلاما فألقى عليها منه محبة لم يلق منها أحد من البشر قط.

وأخرج ابن ابى حاتم فى تفسيره عن السدى قال: لما وضعت أم موسى موسى أرضعته ثم دعت له نجاراً فجعلت له تابوتا وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه وألقته فى اليم فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ويخفضه أخرى حتى أدخلنه بين أحجار عند بيت فرعون فخرجن جوارى أسية امرأة فرعون يغتسلن فوجدن التابوت فأدخلنه إلى أسية.

وقال عبد الرازق فى تفسيره: أنبأنا معمر عن قتاده فى قوله تعالى «وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه» قال: قذف فى قلبها وليس بوحى نبوة، وأخرج بن أبى حاتم عن طريق الضحاك عن بن عباس فى قوله تعالى «وأوحينا إلى أم موسى» قال يقول: ألهمناها الذى صنعت بموسى، وأخرج عن أبى عبد الرحمن الحنبلى قال: إن الله أوحى

(١) فاستمروا فى أ.

إلى أم موسى حين وضعته أن أرضعه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم، فلما خافت عليه جعلته فى التابوت وجعلت المفتاح مع التابوت وطرحته فى البحر، فخرجت امرأة فرعون إلى البحر وابنة لفرعون برصاء فرأوا صياداً[1] فى البحر فأخرج التابوت إليهم فبادرت ابنة فرعون وهى برصاء إلى التابوت ففتحته فوجدت موسى فى التابوت فأخذته فبرأت من برصها.

وأخرج عن السدى فى قوله «فألقيه فى اليم» قال هو البحر وهو النيل، وأخرج عن محمد بن إسحاق قال: لما ولدت موسى أمه أرضعته ثم جعلته فى تابوت صغير ومهدت له فيه ثم عمدت به إلى النيل فقذفته فيه فأصبح فرعون فى مجلس له يجلسه على شفير النيل كل غداة، فبينما هو جالس إذ مر النيل بالتابوت يقذف[2] وامرأته جالسة إلى جنبه فقالت: إن هذا لشئ فى البحر فائتونى به فخرج أعوانه حتى جاءوا به، وكانت أم موسى ترفع هل تسمع له بذكر حتى أتى الخبر أن فرعون قد أصاب الغداة صبيا فى النيل فى تابوت فعرفت القصة[3].

وأخرج بن المنذر فى تفسيره عن مجاهد فى قوله تعالى «فبصرت به عن جنب» قال: عن بعد قال: وقال غير مجاهد: هى على ساحل البحر وموسى يجرى به النيل وهو فى تابوت مقيد ظهره وبطنه مقفل عليه وهى تنظر إليه نظرة وإلى الناس نظرة.

وقال ابن أبى حاتم: حدثنا أبو ذرعه. حدثنا عمرو بن حماد. أنبأنا أسباط عن السدى. قال: إنما سمى موسى لأنهم وجدوه فى ماء وشجر والماء بالقبطية مو والشجر سا.

ذكر آية وقعت فى عهد موسى عليه السلام

قال الله تعالى «فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم» قال ابن أبى حاتم فى تفسيره: حدثنا أبى. حدثنا أبو حنيفة. حدثنا شبل عن عبد الله بن كثير عن مجاهد قال: سال النيل دما فكان الإسرائيلى يستقى ماء طيبا ويستقى الفرعونى دما ويشتركان فى إناء واحد فيكون ما يلى الإسرائيلى ماءا طيبا وما يلى الفرعون دما.

---

(١) سودا فى الأصل.
(٢) يغدق فى أ.
(٣) الصفة فى ب، د.

ذكر تجسير عوج على النيل

قال ابن جريج فى تفسيره : حدثنا أبو كريب . حدثنا ابن عطيه . حدثنا قيس عن أبى إسحاق عن سعيد بن جبير عن بن عباس قال : كانت عصى موسى عشرة أذرع ووثبته عشرة أذرع وطوله عشرة أذرع ، فوثب فأصاب كعب عوج فقتله ، فكان جسرا لأهل النيل سنة .

وقال أيضًا : حدثنا بن بشار حدثنا مرسل حدثنا سفيان عن أبى إسحاق عن نوف قال : كان طول سرير عوج الذى قتله موسى ثمانمائة ذراع وعرضه أربعمائه ذراع وكانت عصا موسى عشرة أذرع ووثبته حين وثب إليه عشرة أذرع وطول موسى عشرة أذرع فضربه فأصاب كعبه فخر على نيل مصر فجسره للناس عاما يمرون على صلبه وأضلاعه أخرجه البيهقى فى شعب الايمان .

قال أبو نعيم فى الحلية : حدثنا عن عبد الله ابن محمد بن جعفر . حدثنا أحمد بن هارون . حدثنا روح حدثنا أبو سعيد الكندى . حدثنا أبو بكر بن عياش قال : اجتمع وهب بن منبه وجماعة فقال لهم وهب أى أمر الله أسرع؟ قال بعضهم : عرش بلقيس حتى أتى به سليمان فقال وهب أسرع أمر الله أن يونس بن متى كان فى جوف السفينة فبعث الله إليه حوتا من نيل مصر فما كان أقرب أو ماعدا الإصار من حرفها فى جوفها .

وقال ابن أبى حاتم . فى تفسيره : حدثنا أبو ذرعة . حدثنا صفوان أنبأنا الوليد . حدثنا سعيد بن بشير عن قتادة قال : إلتقمه الحوت فجرى به فى بحر الروم ثم النيل ثم بحر فارس ثم فى دجله . قال القاضى أبو العباس أحمد بن مطرف فى كتابه المسمى بالترتيب إن قال قائل : ما بال أرض مصز لا ترفع ولا تعلو على ما هى عليه ونيلها فى كل سنة يجرى إليها تراب البلدان التى يمر بها ويكسوها ويركب بعضه بعضا ويعلو حتى تصير أرضها كالجبل العظيم منه لتواتره عليها مدى الدهر فالجواب إن الحب والتين والتمر والخشب والكلأ والعشب ونحو ذلك إنما يتولد من الماء والتراب ألا ترى أن الشجرة تغرس أول أمرها عودًا رقيقًا فى الأرض ثم يغلظ أصلها ويطول ويكثر ورقها وذلك بقدر ما تأخذ من الماء والتراب فى خشبها وورقها وكذلك التمر والعشب وسائر النبات .

ونقل غير واحد عن كتاب[1] الأدوية المفردة للشريف أبى عبد الله الأندلسى إن الدابة

---

(١) كتاب مزيده من هـ.

إذا أصابها المغل يكتب على أربع قوائمها هذه الكلمات الأربع : سيحون، جيجون، النيل، الفرات، كيف ما كتبت تبرأ وقد جرب فوجد صحيحًا.

رأيت فى كتاب نزهة المذاكرة وأنس المحاضرة وهو قديم تاريخ كتابته قبل الخمسمائة (هـ) قال : ورد على الخليفة المنصور كتاب صاحب مصر يخبره عن نقصان النيل فوقع فى كتابه طهر عسكرك من الفساد يعطك النيل القياد.

قال ابن الجوزى فى تاريخه : فى سنة ثمان وسبعين ومائتين (هـ) وردت الأخبار أن نيل مصر غار فلن يبق منه شئ. قال : وهذا شئ لم يعهد مثله ولا بلغنا فى الأخبار السابقة فغلت الأسعار فى مصر بسبب ذلك.

وفى سنة ثلاث واربعين وثلاثمائة (هـ) قصر النيل فوقع الغلاء، ذكره المقريزى فى كتاب إغاثة الأمة قال : وفى سنة اثنتين وخمسين انتهت زيادة النيل إلى خمس عشرة ذراعًا وأصابع وانحط سريعا. وفى سنة أربع وأربعين وثلاثمائه (هـ) بلغ ستة عشر ذراعا وأصابع وفى سنة خمس وأربعين وثلاثمائة (هـ) بلغ أربعة عشر ذراعا وأصابع. وفى سنة ست وخمسين وثلاثمائة (هـ) لن يبلغ سوى اثنتى عشرة ذراعا وأصابع ولم يقع مثل ذلك فى الملة الإسلامية، واستمر الغلاء إلى سنة ستين وثلاثمائة (هـ) فلما دخلت سنة إحدى وستين وثلاثمائة (هـ) حصل الوفاء التام واخصبت الأرض وانحلت الأسعار، وفى سنة سبع وثمانين وثلاثمائة (هـ) قصر النيل فوقع الغلاء، وفى سنة خمس وتسعين وثلاثمائة (هـ) بلغ ستة عشر ذراعًا وأصابع، وفى سنة سبع وتسعين وثلاثمائة (هـ) بلغ ثلاثة عشر ذراعا وأصابع واستسقى الناس، وفى سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة (هـ) بلغ أربعة عشر ذراعا وأصابع، وفى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة (هـ) كسر فى خامس عشر توت والماء فى خمسة عشر ذراعا. فنقص وانحط واشتد الأمر.

قال المقريزى فى الخطط. فى سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة (هـ) نقص ماء النيل ثم زاد بعد أوانه بأربعة أشهر، وفى سنة أربع وأربعين واربعمائة (هـ) اقصر النيل فوقع الغلاء وكذا فى سنة سبع وأربعين وأربعمائة (هـ).

قال الذهبى وغيره : وفى سنة ستين وأربعمائة وما بعدها نقص النيل فكان الغلاء العظيم بمصر الذى لم يسمع به فى الدهور من عهد يوسف الصديق عليه السلام، واشتد القحط والوباء سبع سنين. بحيث أكلت الميتات والجيف وبنو آدم، وبلغ الأردب القمح مائة دينار ثم عدم أصلا حتى حكى صاحب المرآة أن امرأة خرجت من القاهرة ومعها

عقد جوهر وقالت: من يتملكه بمد قمح فلم يلتفت إليها أحد وبيع الكلب بخمسة دنانير والهر بثلاثة دنانير ولن يبق لخليفة مصر سوى ثلاثة أفراس بعد العدد الكثير، وقال بعض الشعراء يهنئ الخليفة القائم بأمر الله ببغداد:

وقـــد علم المصـــرى أن جنوده ∴ سنو يوسف فيها وطاعون عمواس(١)
أقامت به حتى استراب بنفسه ∴ وأوجس منها خيفة أى إيجاس(٢)

وفى سنة سبع عشرة وخمسمائة (هـ) بلغ ستة عشر ذراعا سواء بلا زيادة عليها، وفى سنة ثمان عشرة وخمسمائة (هـ) أو فى النيل بعد النيروز بتسعة أيام وزاد على الستة عشر ذراعا أحد عشر إصبعا لاغير وغلا السعر، وفى سنة ست وسبعين وخمسمائة (هـ) بلغت الزيادة ستة عشر ذراعا وثلث ذراع، وفى سنة سبع (وسبعين وخمسمائة هـ) احترق النيل حتى صار يخاض وربى جزائر رملية حتى خيف منها على المقياس أن ينقبس(٣) عنه الماء ويحتاج إلى عمل غيره، وفى سنة تسع وسبعين وخمسمائة هـ بلغ النيل ثلاث عشرة إصبعا من تسعة عشر ذراعا فأضر ذلك وسقطت الجدران وغرقت البساتين وفاضت الآبار وانقطعت التراع وكثر الضرر كما حصل فى سنة أربع وأربعين وخمسمائة هـ، وفى سنة سبع وثمانين وخمسمائة هـ عظمت زيادة النيل وغرقت النواحى وكثر رخاء الأسعار بمصر، وفى سنة ست وتسعين وخمسمائة هـ قال الذهبى فى العبر: كسر النيل من ثلاثة عشر ذراعا إلا ثلاثة أصابع فاشتد الغلاء وعدمت ا لأقوات، وفى سنة سبع وتسعين وخمسمائة هـ قال صاحب المرآة: كان هبوط النيل ولم يعهد ذلك فى الإسلام إلا مرة واحدة فى دولة الفاطميين ولم يبق منه إلا الشئ اليسير فاشتد الغلاء والوباء وهرب الناس إلى الأقطار وكان الرجل يذبح ولده الصغير وتساعده أمه على طبخه وشيه وأكل من بنى آدم مالا يحصى ومات ثلاثة أرباع أهل الإقليم.

قال المقريزى: تمادى الحال ثلاث سنين متوالية لا يمد النيل فيها إلا مدا يسيرا حتى عدمت الأقوات وهلك أهل مصر جوعا وقال الناس عند سنة سبع وستمائة هـ افترست أسباب الحياة وكتب ضياء الدين بن الأثير يخبر السلطان الملك الأفضل إلى ديوان الخلافة كتابا يقول فيه «فمنذ ولى العبد أمر دمشق أولا وأمر مصر ثانيا لم يرد بدا عما سألته ولا

---

(١) سنو ناقصة فى أ، ب، د.
(٢) أقامت = أقام فى ب، د.
(٣) ينحبس فى و.

نفسا عما تأملته وكان الناس معه فى أضن قلوب ولين جنوب كأنهم ساكنوا الجنة التى لا يمسهم فيها نصب ولا يمسهم فيها لغوب، ولما وليهم الخصم يعنى الملك العادل اجتث أحوالهم من أصلها وأجحف بالبلاد وأهلها فجعل السيئة موضع الحسنة والخوف مكان الأمنة، فلما اطلع الله على نيته عاقبه وعاقب الناس بجرمه وكان كعاقر الناقة الذى أصيبت ثمود بإثمه ولقد أصبحت سنيه كسني يوسف برمًا وجدبًا وليس بمنكر لمن كانت أيامه دهماء أن تكون أعوامه شهباء، ويرجو العبد أن تكون ولايته بعده ولاية بر وألطاف وأن يرزق الله الناس أعوامًا سمانًا يأكلن ما تقدم من العجاف وأن يكون ممن إذا أصاب الله به قوما إذا هم يستبشرون، وأن يجعل عامه هو العام الذى يغاث فيه الناس وفيه يعصرون.

وقال العماد الكاتب: فى سنة سبع وتسعين وخمسمائة هـ اشتد الغلاء وامتد البلاء وتحدثت المجاعة وتفرقت الجماعة وهلك القوى فكيف الضعيف ونحف السمين فكيف العجيف، وخرج الناس حذراً من الموت من الديار وتفرقت فرق مصر فى الأمصار، ولقد رأيت الأرامل على الرمال والجمال باركة تحت الأحمال ومراكب الفرنج واقفة بساحل البحر على اللقم تسترق الجياع باللقم.

وفى سنة تسع وتسعين وخمسمائة هـ زاد النيل زيادة كثيرة ورخصت الأسعار، وفى سنة سبع وعشرين وستمائة(1) قال ابن المتوج: بلغ النيل ستة عشر ذراعا وثلاثة أصابع فقط بعد توقف عظيم ووصل القمح خمسة دنانير للأردب، وذكر المقريزى أنه بلغ ثلاثة عشر ذراعا وثلاثة عشر إصبعا. وإن قاع المقياس بلغ ذراعين، وفى سنة تسع وعشرين (وستمائة هـ) وصل النيل ثمانية عشر ذراعا وستة أصابع وتأخر نزوله حتى خاف الناس من عدم نزوله فغلا السعر ثم نزل فانحط السعر.

وفى سنة أربع وستين وستمائة (هـ) زاد زيادة عظيمة وقال ناصر الدين الحسن بن شاور بن النقيب فى ذلك:

طبق النيل أرض مصر فلولا ∴ السفن فيه لما تأتى العبور
فهو عند المثال لوح وقد ∴ سطر فيه من الجسور سطور

---

(1) وسبعمائة فى د.

قال اليغموری : وأنشدنی فی ذلك تاج الدين المذكور أيضا لنفسه فی منتصف ذی الحجة سنة أربع وستين وستمائة (هـ) وقد بلغت زيادة النيل أربعة عشر إصبعا من تسعة عشر ذراعا وقد دخل إلی دور الجزيرة وقطع الطريق وقد دعاه إلی دار فی الجزيرة الأديب سراج الدين عمر بن محمد الوراق فباتوا بها وهم خائفون من الماء .

هجم النيل فی البيوت على الناس ∴ وثنی فيهم يقطع الطريق
نقب الدور والبساتين لما ∴ جاء يسعی من كل فج عميق

قال اليغموری : وأنشدنی فی ذلك تاج الدين أبو نصر مظفر بن محاسن ابن علی بن نصر الله الدمشقی لنفسه بديها .

قد دعانی خلی إلی الروضة ∴ الغناء للهو وارتشاف الرحيق
قلت مهد عذری ودعنی فإنی ∴ عاجز عن زيارة يا صديق
هجم النيل فی البيوت على الناس ∴ وثنی فيهم يقطع الطريق

وفی سنة ثلاث وتسعين وستمائة (هـ) وصل النيل إلی خمسة عشر ذراعا وثلث ذراع فلم يوف وغلت الأسعار، وفی سنة أربع وتسعين وستمائة أوفی النيل فی السادس من أيام النسیء وكسر وبلغت زيادته ستةعشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا ثم هبط ولم يثبت وحصل بديار مصر غلاء شديد ووصل الأردب القمح ثمانية مثاقيل ذهب ونصف مثقال وذلك مائة وسبعون درهما نقرة، وقال الشهاب البزاعی فی ذلك من قصيدة طويلة .

ولما غاض بحر النيل فاضت ∴ دموع من محاجرهم سجام
ومد به من الأموات سيل ∴ لنقص عبابهُ منه تمام
عروا مما عراهم فی شعاب الأسی ∴ وجرت مدامعهم فعاموا
قضی بعض على بعض فی الحزن ∴ واستولت على الموتی الهوام
فلا دار يقر بها قرار ∴ ولا سفر يجر له زمام
ولما أن نأت عنهم جميع ∴ البلاد بكتهم حتی الشام[1]
وماتت خيلهم حتی المواشی ∴ وأخلی السرج واجتنب اللجام
وباد الزارعون وخلفوا كل ∴ ما زرعوا وفاتهم الصرام

(١) فی أ، هـ كلمة مصر مزيدة بعد بكتهم .

وأرباب الصنائع قارنتهم ∴ نحوس للكساد بها لزام
وأسواق البضائع حل فيها ∴ وقوف للعقود به قيام
ودارت بين أصحاب الملاهي ∴ هموم أخرستهم لا مدام
ولم تجدى الجدود ولا الموالي ∴ وأحجم عن سيادته عصام
ترى الفرسان تحسبهم رفاة ∴ من الأجداث قبل البعث قاموا
يفطر منهم الأكباد جوعا ∴ كأن الفطر عندهم صيام(١)
وأما الأغنياء فقد أباحوا ∴ حمى الأموال وانخرم النظام
وأخلى السقم فيهم كل كيس ∴ تولى ختمه سام وحام
وجادوا بعد بخل واحتكار ∴ ولولا الخوف ما جاد اللئام
تساوى العبد والمملوك والحر ∴ والبخلاء منهم والكرام
وأفوت دورهم من كل قوته ∴ وشتت شملهم حتى الرخام(٢)
فلو وصف الطبيب لهم شرابا ∴ لما وجدوا الإناء ولا القرام(٣)
ولو قال أطعموا لحما ولو كان ∴ من جدى دنا منه العظام(٤)
لما وجدوا من الأغنام إلا ∴ خيالات تسندها العظام
ولو طلب الدجاج لعز جنس ∴ الطيور جميعها حتى النعام(٥)
فهم أبدا سهارى بل سكارى ∴ بكاس همومهم وهم نيام
ولولا أن مصر كنانة الله ∴ فى الدنيا وأسهمها العوام
لما صبرت على جور وقحط ∴ وليس بها لغيرهما اهتضام
عسى الرحمن أن يرضى عليهم ∴ ويجرى فيهم فهو السلام

ورحل الشهاب البزاعى فى هذه الكائنة إلى عدن ثم عاد وأنشأ مقامه فى ذلك وهى هذه:

---

(١) جوعا = جوها فى الأصل.
(٢) وافوت = وأقوت فى ب، د، هـ، قوت فى أ.
(٣) القرام = القوام فى أ، حـ.
(٤) جدى = خدى فى ب، د.
(٥) لعز جنس = أمير جيش فى أ، هـ، و.

«أخبرنى بعض الإخوان، الخائف من صروف الحدثان، المتألم من نوائب الزمان، المعروف بين التجار بتردد الأسفار، وركوب الأهوال والأوعار، من الأنجاد والأغوار، وطىء مشقق مشقات الفيافى والقفار، وشق تيار زواخر البحار، قال: خرجت من مصر عام القحط والوبا، صارمًا عنان عزيمتى عنها هربا، مستلقيًا خشونة صحبة أعراب الصحرا متجرعا بكف المكابدة أكواب نكد الزمن، طالبا بلاد اليمن، قاصدًا من سواحلها مدينة عدن، قال: فلما وصلت إليها، ووقع بصرى عليها، ألفيتها مشرقة الظواهر شاهقة الطوارم، مشرفه المناظر، قائمة الأسواق، على ساق الانفاق، مجلوبة إليها الأرزاق، من سائر الأفاق، بيد أنى وجدت المقام بها شظفا، والنفقة مع تغييرها سرفا، وبنيان أهل المقيم بها شفا، قال: فلما حللت بساحتها ومزجت كاس نعيمها براحتها، وحليت أسطر معانيها، وحلت بالتجربة سكان مغانيها، لم أجد بدا أن أتخذ من أهلها جيرانا، ومن التجار الواردين إليها أصحابا وإخوانا، وعزمت أن أجعلها لى مسكنا، وأريح راحلة بدنى من الضرب فى الأرض بالكد والعنا، ثم وقع الاختيار بعد الاختبار، على مسائلة بعض من صحبت من التجار، الواردين إليها على سبيل المقام، والتردد بأسفاره إلى بيت الله الحرام، وكان ممن ملت بالصحبة إليه، وجعلت كل كلها عليه، من فصول ربيعها والخريف، وحلول شتائها والمصيف، وما يختص كل فصل فيها من الفواكه والخيرات، وما بناديها وبأودية حواضرها ونواديها من المتنزهات، وكان ممن يوصف بجوب البلاد، ونعت الأغوار منها والأنجاد، وممن طاب أقاصى الأمصار، ونقل عن ثقات قطانها نوادر الأخبار، ومسح بساحتها كرة المشارق والمغارب، وصوب وصعد فى أودية الديانات والمذاهب، ورصد من جميع الآفاق بجمع الأوفاق نيرات الكواكب، وحكم على كل إقليم تباشر طالعه والمغارب، قال. فلما سمع فحوى كلامى، وتيقن نقض إبرام عزمى عن سقامى، قال. سألتنى عن شبكة حصلت فيها على حيرة الحيتان، وورطة غصت فى وحلها إلى الآذان. لكن إن يسر الله الخلاص منها ولو بعد حين، لأخصنك من نبأها[1] بالخبر اليقين.

قال الراوى: فلما قضيت على العادة حضرتى التجارة، وقرنت بين عمرتى ربحها والخسارة، وتجهزت للسفر فى بعض جهازات التجار، وتبضعت ما اخترته من أنواع البر وأصناف البهار، ثم إنى ودعته ووعدنى، وسألنى كتمان ما استودعنى، هذا وهو متأسف على ما به من الآلام، نادمًا على ما عزا عليه بعدى عن المقام، قال. فلما وصلنا

---

(١) نباتها فى الأصل.

عيذاب ورد علينا بعد المشيب عصر الشباب، وحلت لقدومنا حبى الترحاب، من تلك الرحاب، وطلعت شموس سعودنا بعد أفولها، وأورقت غروس راحة نفوسنا بعد ذبولها، واعتذر البحر إلينا بعد هيجانه وانزعاجه، وسكن ما كان من زعزع رياحه وتلاطم أمواجه.

ولما حل مركبنا مُحَليّ ∴ بجاوى فى أمان الله راسي
وفزنا بالسلامة بعد هول ∴ البحار ووضع راسى بعد راسى
تبينت البطون ومن مراسى ∴ الخروج أو الدخول بعد راسى

واصلته من كتاب بعد كتاب، فى الدوائح[1] المدبرة والجلاب، واصفا له ما أجد من الأشواق، مبتهلا إلى الله تبارك وتعالى أن يسرنا بعد الفراق بالتلاق، وكتبت إليه أبياتا أصف فيها بعض محاسن من صحبته فى السفينة، من اشتمالها بنا على الوقار والسكينة، وما مر لنا فيها من الأوقات الخالية من الآفات، الحالية بالأمن والمسرات.

لله در عصابة رافقتهم ∴ فى اليم من عدن إلى عيذاب
تجرى بنا فلك السلامة دائما ∴ كالأيم بن جزائر وشعاب
تحدو بها ريح الصبا فتمر من ∴ طرب على الدوائح مر السحاب
فكأننا فيه خيال سائر ∴ من عاشق كلف إلى الأحباب
وكأننى منهم حبيب زائر ∴ أو غائب مستلذ بإياب
ما منهم إلا كريم فاضل ∴ حسن الفكاهة طاهر الأنساب
حال بكل فضيلة خال ∴ من الخيلاء والفحشاء والإعجاب
فابن الكويك له أعز مكانةً ∴ فى كل مكرمة ولست بحابى[2]
أعنى أمين الدين فهو أحق من ∴ تثنى عليه ألسن الآداب
وكذا جمال الدين حاز فضائلا ∴ ومراتبا عزت على الطلاب
أعنى بن صقر واسمه بين الورى ∴ يغنيه تعظيمًا من الألقاب
يهوى المعالى والمحامد والثنا ∴ فنداه مبذول بغير حجاب

(١) الدوائح = الدماء فى جـ، هـ، الدوايج فى ب، د.
(٢) بحابى = محابى فى أ، هـ.

وبقـيــة الأصــحــاب كل مـنهم ∴ نال الذى يرجــو بغـيــر حـســاب
مـا شـاهدت عـينى سـواهم داخـلا ∴ فى حسن عـشـرته مع الأصـحـاب
صرفت صـرف الهم من أوصـافهم ∴ وصـفـت سـرائرهم مـن الأوصـاب
وغـدا المزاج عليـهم فـسـقـاهم ∴ كـأس الرضـا ممـزوجـة بتـصـابى
ولو اطلعت علهـيم لوجـدتهم ∴ عنـد الصـلاة أئمـة المحـراب
لا زال نجم سـعـودهم فى أوجـه ∴ تجـرى مـدا الأعـوام والأحـقـاب
مـا افتـر ثغر البـرق فى وجه الدجـاً ∴ وانهـل وبل جـفـون سـحـاب

ثم عزمت بعد ذلك على طى البيد، والهبوط إلى ما قرب أو بعد من بلاد الصعيد، واستصحبت رفقة أعراب قد وضعت على الفساد قواعدها، وتشعبت أراؤها ومقاصدها، فسلكوا بى طريق صحرائهم أسودها وأساودها، مستعرة بالسموم غيطانها وفدا فدها، ممزوجة بحميم الجحيم مواردها، فتلوت عن ذلك «وإن منكم إلا واردها» ثم بعد العموم فى الهموم والخصوص، من الله تبارك وتعالى بوصولى إلى مدينة قوص، فوافيت البلاد، عقب الحصاد، قرى قد قدر فيها السير، وعم جميع جهاتها الخير، ذات سواق تشوق القلوب بحنين دورانها، وتسوق طرف الطرف فى ميادين روحها وريحانها، مطردة أنهارها، يانعة ثمارها، متجاوبة طربا أطيارها، ظلها ظليل، وماء جداولها سلسبيل، وقد ناب نيلها عن الأمطار، ورطب ليلها ما جففه النهار، زيادات نيلهم عن تجاربهم موروثة، وعهود موافاتهم إلى لقاء المفرد[1] بساحله غير منكوثة، وكاسات لذاتهم بغنم محاضراتهم محثوثة،

إذا انحـدرت حراقـة المفرد ارتوت ∴ بلادهم شـرقـا وغـربا إلـى مـصـر
وإن عاقـها من حـادث الدهر عائق ∴ فـعـسـر إلى عـام جـديد بلا يـسـر
ولم أر أرضـا كالصـعـيد صبـاحـة ∴ إذا شـربت من ماء عـشرين فى الحـر
يمد عليـهـا النيل فى الـعـام مـدة ∴ ولـكـنـه مـد يؤول إلـى جـذر
فـيـجـعلـهـا بحـراً يعب عـبـابه ∴ وتبدو القرى فى الشرق والغرب كالجزر
إلـى أن يعـم الجـانبين بريـه ∴ فـيطويه من قـد كـان أذن بالنشـر
لهـا كل فـضل ملبس تـرتدى به ∴ وخـصت بأمن وانتـصار مـدى الدهر

---

(١) المفرد هو المبشر بأحوال وفاء النيل ويأتى من قوص الى القاهرة ليعلم المسئولين بأحوال النهر.
(٢) ماء ناقصة فى جـ، هـ، و.

فبصيفها قارورة وخريفها ∴ فعنبرة سوداء طيبة النشر
وأما شتاءها فالزروع زمرد ∴ ويرجع فى فصل الربيع إلى التبر

ثم انحدرت إلى مصر فى أطيب عيش وأحلاه، وأقرب زمان وأهناه، أما القاهرة فقد طال صيتها[1] فى البلاد، بكثرة العساكر والأجناد، إن ركبوا فأفخر زى ولباس، وإن ركنوا فإلى ركن شديد الباس، راسخ الأساس، جيوش على الأعداء منصورة، وبتأييد الملائكة مسرورة، ألويتهم فى الخافقين خافقة[2]، وألسنة صوارمهم فى جماجم الأعاجم والروم ناطقة، ورماح سراياهم إلى تشتيت شمل الطغاة شارعة، وقلوبهم إلى التلطف بالرعايا وحفظ البلاد مسارعة مطاوعة، ولإجابة داعى الحق سامعة، .

كأنهم نشأوا عن روضة أنف ∴ خَلْقا وخُلْقا عن الصفاح والعمد
حاطوا البلاد عن الأعداء قاطبة ∴ حتى غدا الذئب مرعيًا مع النقد
فلو أمست نملة حول الفرات ∴ لطاروا نحوها بالخيل والعدد
قوم أقاموا رواق العز فوقهم ∴ واسترغدوا العيش بعد الكد والنكد
فإن طلبت حياة النفس طيبة ∴ فعن جوارهم يا صاح لا تجد
ناهيك عن بلدة زاد الإله لمن ∴ يحلها بسطة فى الجاه والجسد
يجبى إليها من الخيرات أطيبها ∴ فأهلها فى نعيم دائم الأبد
قصورها بجمال الغيد خالية ∴ والعقد فى الجيد يبدى الحسن فى الخد[3]
تجرى بهم سفن اللذات فى جنح ∴ نيل المسرات فى سيلها زائد المدد
تجاور الناس فيها بالجميل فكل ∴ منهم قد خلا من سورة الحسد
يا طيب أوقات من قضى بها وطرًا ∴ واختارها مسكنًا للأهل والولد

وأما مصر فقد خصت بالأكياس من سائر الناس، يتنازعون بين كؤوسهم الإيناس، ممزوجة بطيب الأنفاس، وسلسال سلسبيل ماء المقياس، ويتقلبون فى أسواقهم بين أعياد وأعراس، لا يتنادمون بغير القصف والخلاعة، ولا يتحاكمون الى غير السمع والطاعة، ضمت نسيمات[4] روض الأنس شملهم فكل خل بما قد ناله راضى، فعل اللذاذات حال

(١) أطال وصيتها فى الأصل.
(٢) منشورة خافقة فى أ، هـ.
(٣) الخد = العيد فى أ، الجيد فى جـ.
(٤) نسيمات = نيرات فى جـ.

بينهم أبدا والعيش أطيبه حال بلا ماضى، ثم انحدرت إلى ثغر الإسكندرية أوان خليجها الكافح[1]، وطالع سعده اللابح، وحس سواقيه السوانح للسوانح، ونغمات مزملاتها[2] الصوادح، وفصاحة مناشات ولدان أعرابه لكل منحدر أو مصعد ممازح، ونسيم جوه الندى الأريج، ونشر أترجه ونارنجه البهى البهيج، وزهر نخيله المرخى الأكمام، وزهر روضه المبتسم لبكاء الغمام، وحسن قناطره المحنية لطول القيام على برد من مائه وسلام، لكن عين التجار لا يصغو من الأكدار، ولا يقر لهم بدار قرار، لأنهم فى فلك من الهموم دوار، أثناء الليل وأطراف النهار، وإن خرجوا فى مغاولة بطون البحار، ومعاناة الشد والترحال بمفاوز القفار، ودخلوا فى جوف ما خف أو ثقل من أصناف البهار، فقد اشتغلوا عن لذة المأكول والمشروب، بكد الأبدان ونصب القلوب، فأمالوا الأسماع، من نغمات السماع، ونفروها عن مواعظ الجوامع، واستحثوها إلى الاستخبار عن أسعار البضائع، لا تخطر متنزهات الدين لهم بخاطر، ولا يطوف بقصور الرمل لهم باد ولا حاضر، وأنشد:

كم حل فى هذه الأسفار ذو حيل ∴ وحال والحرص للأثقال حمال
يمزق العمر فى ترقيع سفرته ∴ لشقة السير قطاع ووصال
طورا يساير ميدان المغاوز لا ∴ يثنيه عن شاسعات المدى أهوال
فى كل خبت له عيش يدل بها ∴ عزم له إن ونت وخدٌ وإذ قال[3]
وتارة فى عباب اليم مقتعرا ∴ دهماء ظل لها فى الموج تصهال[4]
يجوب شرقا وغربا فى طلاب شعاب ∴ بها لحديث النفس تجوال[5]
حتى إذا ما طواه الموت وانقطعت ∴ من حبل آماله فى الترب أوصال
قامت رجال على آثار همته ∴ والناس فى طلب الأرزاق أشكال
فلا تقل قد مضى وقت المكاسب ∴ فالأرزاق باقية والمرء محتال
واحرص على كسب ما ينجيك فى غدك ∴ الآتى إذ المال عن أهله ميال
بينا ترى المرء مسروراً بصحبته ∴ والعمر مثل كثيب الرمل منهال

---

(١) الكالح فى د.
(٢) مزقلاتها فى أ، د، هـ.
(٣) خد = خث فى د، إزقال = إرقال فى هـ.
(٤) مقتعرا = معتقدا فى أ، هـ.
(٥) شعاب = مشقات فى ب، د.

العمر يطويه والأيام تنشره ∴ كأنه شقه والكون منوال[1]
إن قصر الخطو منه خطر فله ∴ باع بطوله حرص وآمال[2]
لا يستريح ولا يرتاح إن عرضت ∴ له البطالة أو فاتته أشغال
ولو تفكر فى الدنيا للاح له ∴ منها كما لاح فى قاع الغلاء آل

قال الراوى: فلم أزل بين تزلزل عيش، وتثاقل وطيش، إلى أن رميت جمار جميع البضائع اليمنية والهندية، وقضيت المنى من منى ثغر الاسكندرية، ثم أسرعت العودة على طريق الصعيد، راجيًا لقضاء صاحبى الذى هو بيت القصيد، وهان علىّ لأجله نكد الأعراب، وتلاطم أمواج بطن حباب، فاتفق الأمر العجاب، أن لقيته بصحرا عيذاب، حاديًا ركائبه بذم الإغتراب، فصافحته مصافحة الأحباب، فوجدته قد استعد قبل السؤال للجواب بألفاظ عذاب، وجفان بأردية[3] الآداب جواب[4].

قل للذى يسألنى ما الذى ∴ أخرجنى من بعد توريط
من عدن أخرجنى حرها ∴ المنتج أدواء النفافيط
وقلة الخضرة مع ما بباب ∴ البر من خوف وتحييط
وماؤها المحفوف فى الشعب لا ∴ يملك إلا بالقراريط[5]
والخبز غالى السعر فى سائر ∴ الأوقات مأكول بتشحيط
وزرعها فى البحر فاعجب لمن ∴ يرجو التمنى من غير تحويط
وليس فيها نزهة تزدهى ∴ النفس سوى ظل السوابيط
والكرسى إن حرك كؤوساته ∴ سلط فيها أى تسليط
وكل من يمرض فيها فما له ∴ دواء غير المشاريط[6]
وغير الجو بترب من الكيما ∴ ن والأجناس مخلوط
وماؤها الملح له لدغة ∴ تدمى مخاص كل مسموط

(١) العمر = الليل فى جـ.
(٢) خطر = حظر فى أ، = خطه فى جـ، = خطو فى د.
(٣) بأودية فى جـ.
(٤) خراب فى د، هـ.
(٥) الشعب = التعب فى و.
(٦) هذا البيت يسبق الذى فوقه فى النسخ أ، جـ، هـ.

قـــد جـــعـل الأسى درورًا لـه ∴ كنائم فـى المهـــد مـغـــمـــوط
تـراه كـــالمخــتــــون إن راح ∴ أو غـدا عـجـولا أو كـتـبـليط[1]
وإن مـــشى فـى الســوق هبت ∴ عليـه سـحب أوساخ بـتـمليط
وإن تعـــرى طاب نـفـســـا ∴ ولا يرغب فـى ملبـوس مـخـيـوط
وقـل من يـسكـنهـــا وهـو ذو ∴ وجـه لفـعـل الخـيـر مـبـسـوط
لكن لجـمـع المال مـســتـحـسن ∴ من غـــيـــر تبــذير وتـفــريط
يعـــوذ الـدرهم إن جـــبـــاه ∴ خـوفـا عليـه بـالشــرامـيط[2]
تجـمـعـوا فـيـهـا صـعـيـدي وذا ∴ مـن بـحـــــــــر ديـروط
وذا مـن الـغــــــرب وذا مـن ∴ بلاد الـشــرق والآخـــر زهوط[3]
وكلمـــا قـيل أتـى مـــركب ∴ تناوبوا من غـــيــر تـشـبـيط[4]
كل يـرى الســاحل رأيـا صـوابا ∴ وهـــو راج تــــقـــنـــيـــط
يمسح فى لحــيـتـــه مـفـكرا ∴ من غـــيــر تـســريـح وتمشـيط
بكـفــه مـــروحـــة قـــد حـكت ∴ هيـئـتـهـــا طيــر الوطـاويط[5]
بالقـــذف فى غـفـلتـه سـاهـيـا ∴ بهـــا كـم يقـــذف لـى شـــيط[6]
حـتـى إذا صـافـح من جـــافى الـ ∴ مـــركب من حـــر وملعـــوط[7]
وألقــــيت فى يـده رقـــعـــــة ∴ مـن بعـــــد وصـل ذات تـخـطيط
وظـل فــى أسـطـرهـــا نــاظـرًا ∴ مـــا بين مـــصـلوح ومكشـــوط
مـعـرب عن مـعـجم مـا جـاءه ∴ مـن كل مـــحـلول ومـــربـوط
فـــإن رأى الأرز بهـــا واخـــرا ∴ مـن طبـق بـاللاك مـــخـــروط
أبدى ســرورا ومـشى مـعـجـبـا ∴ وقـــال مـــائه أو فى بمشـــروط

---

(١) كالمختون = كالمجنون فى أ، جـ، كقينيط = كتبليط فى ب، د.
(٢) حياه = جناه فى أ، جاءه فى د، حباه فى هـ
بالشراميط = بالترابيط فى حـ.
(٣) دهوط فى ب، رهوط فى هـ.
(٤) تسبيط فى أ.
(٥) هيئاتها = هيتها فى حـ، عيتها فى د.
(٦) لى = فى فى أ، حـ.
(٧) ملفوط فى ب.

حتى إذا أنزل ما جاءه ∴ به تبقيط وتشحيط[1]
وصار في القرضة في جانب ∴ لزحمة الأوباش مضغوط
وجاز كي يحتاز مستقبلا ∴ لضرب فرك كالخوابيط
يخط في أكتاف علمانه ∴ ما بين مسكوك ومنقوط
قواعد قد أسسوها فما ∴ يخرج شيء غير مضبوط
نقل لمن يسكنها راضيا ∴ يؤث بعيش غير مغبوط
كم في بلاد الله من سكن ∴ ما بين أسوان ومربوط
يرتاده العقال لكنها ∴ بشقوة مغبون ومغلوط

ثم أنه قال بعد أن قصر في السؤال[2] وطول في الدعاء والابتهال:

الحمد لله الذي أقال من تلك العثرات الثقال، حديث الثور وسلم النفس والأهل والمال، من هاتيك الأهوال، ورد العقبى والمال، إلى أجمل الأحوال.

وفي المحرم سنة خمس وتسعين وستمائة (هـ) حدث أمر غريب وذلك أن شابا من بعض أهل القرى خرج بثور له يسقيه الماء، فلما فرغ الثور من شربه حمد الله فتعجب الشاب من ذلك وحكاه فلم يصدق، ثم خرج به ثاني يوم فشرب الثور وحمد الله بعد فراغه فكثر ذكر ذلك في القرية، ثم خرج به ثالث يوم وحضر أهل القرية فعندما فرغ الثور من شربه سمعه الجميع وهو يحمد الله تعالى، فتقدم إليه بعضهم وسأله فقال الثور بكلام سمعه من حضر أن الله عز وجل كان قد كتب على الأمة سبع سنين جدبا ولكن شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم أبدلها الله بالخصب، وذكر إن النبي صلى الله عليه وسلم أمره بتبليغ ذلك إلى الناس وقال الثور فقلت يا رسول الله ما علاقة صدقي عندهم قال أن تموت عقب الأخبار ثم مضى الثور إلى موضع مرتفع ووقع[3] ميتا، فتقاسم أهل القرية شعره للتبرك به وكفنوه ودفنوه، وكتب بذلك محضر وثبت على قاضي الناحية وأحضر إلى السلطان ذكره المقريزي في تاريخه.

---

(١) تبقيط = سقيط في أ، تشحيط = شخبيط في هـ.
(٢) السؤال = المقال في أ.
(٣) وسقط في ب، د.

وفى سنة ست وتسعين وستمائه (هـ) وصل النيل إلى أول توت خمسة عشر ذراعا وثمانية عشر إصبعا ثم نقص ولم يوف، وفى سنة سبع وتسعين وستمائة (هـ) أوفى النيل آخر أيام النسئ، وفى سنة تسع وتسعين وستمائة (هـ) أوفى فى ثالث عشر توت، وفى سنة اثنتين وسبعمائة (هـ) قال الحافظ البرزانى فى تاريخه قرأت فى بعض الكتب الواردة من القاهرة أنه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادى الآخر ظهرت دابة عظيمة الخلقة من بحر النيل فى أرض المنوفية، وصفتها لون الجاموس بلا شعر، وآذانها كآذان الجمل، وعيناها وفرجها مثل الناقة، ويغطى فرجها ذنب طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمك، ورقبتها مثل غلظ التيس المحشو تبنا، وفمها وشفتاها مثل الكربال، ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل طولها طول الشبر وعرض إصبعين، وفى فمها ثمانية وأربعون ضرسا، وسنها مثل بيادق الشطرنج، وطول يديها من إبطها إلى الأرض شبران ونصف، ومن ركبتها إلى حافرها مثل بطن الثعبان أصفر مجعد، ودور حافرها مثل «السكرجة، بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل، وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف، وطولها من فمها إلى ذنبها خمسة عشر قدما، وفى بطنها ثلاثة كروش، ولحمها أحمر، وزفرتها مثل السمك، وطعمه كلحم الجمل، وغلظ جلدها أربعة أصابع ما تعمل فيه السيوف، وحمل جلدها على خمسة أجمال فى مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل، وأحضروه الى القلعة بين يدى السلطان وحشوه تبنا وأقاموه بين يديه. انتهى.

وفى هذه السنة أبطل الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الذى تولى السلطنة بعد ذلك وهو صاحب الخانقاه البيبرسية[1] عيد الشهيد الذى كان يعمل بمصر وذلك أن النصارى كان عندهم تابوت فيه إصبع يزعمون أنه من أصابع بعض شهدائهم وإن النيل لا يزيد ما لم يلق فيه هذا التابوت، وكان يجتمع النصارى من سائر النواحى الى شبرا، ويلقى هذا التابوت فى النيل فى ثامن بشنس، ويقع هناك أمور فظيعة من سكر وغيره فأبطل ذلك إلى يومنا هذا ولله الحمد.

وفى سنة أربع وسبعمائة (هـ) أوفى النيل رابع توت، وكذا[1] فى سنة خمس وسبعمائة (هـ).

---

(١) الخانقاه البيبرسية تقع فى الجمالية، وقد بناها بين سنتى ٧٠٦ و٧٠٩هـ/ ١٣٠٧ - ١٣١٠م، وتحمل رقم ٣٢ فى فهرس وخريطة القاهرة للآثار الإسلامية.
(٢) وكان فى جـ.

وفى سنة تسع وسبعمائة (هـ) توقف النيل واستسقى الناس فلم يسقوا وانتهت زيادته فى السابع والعشرين من توت إلى خمسة عشر ذراعا وسبعة عشر إصبعا ثم نقص ثم زاد وأوفى ستة عشر ذراعا فى تاسع[1] بابه وتشاءم الناس بسلطنة الملك المظفر ركن الدين بيبرس وغنت العامة فى ذلك.

سلطاننا ركين، ونائبنا دقين، يجى الماء من أين، يجيبوا لنا الأعرج، يجى الماء ويدحرج[2].

وقال الأديب شهاب الدين أحمد بن عبد الدائم الشارمساحى يذكر ذلك لما خلع بيبرس وأعيد الملك الناصر.

ولى المظفر لما فاته الظفر ∴ وناصر الحق وافى وهو منتصر
وقد طوى الله من بين الورى فتنا ∴ كادت على عصبة الإسلام تنتشر[3]
وقل لبيبرس إن الدهر[4] ألبسه ∴ أثواب عارية فى طولها قصر
لما تولى الخير عن أمم ∴ لم يحمدوا أمره فيها ولا شكروا[5]
وكيف تمشى به الأحوال فى زمن ∴ لا النيل وفى ولا وافاهم مطر
ومن يقوم ابن عدلان بنصرته ∴ وابن المرحل قل لى كيف ينتصر

قال المقريزى: اتفق فى هذه السنة أمر غريب قل ما عهد مثله وهو موت سلطان مصر الملك المظفر بيبرس وإمام الشافعية بها الشيخ نجم الدين بن الرفعة، وقاضيها وإمام الحنفية فى عصره قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن ابراهيم السروجى شارح الهداية، ومفسرها الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد الجليل النمراوى، والمتكلم على القلوب بها الشيخ تاج الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن عطا الله صاحب الكلام الرائق الفائق، وشيخ الشيوخ بها كريم الدين بن عبد الكريم بن الحسين بن أبى بكر الآملى الطبرى شيخ خانقاه سعيد السعدا، وواعظها نجم الدين بن العنبرى، ومحتسبها القاضى بدر الدين

---

(١) تاسع عشر فى هـ.

(٢) المقصود بلفظ «ركين» السلطان ركن الدين بيبرس الجاشنكير، وبلفظ «دقين» الأمير سلار النائب، فإنه كان أجرد وليس بلحيته وشاربه سوى شعرات قليلة، وأما الأعرج فهو الناصر محمد بن قلاوون وكان به عرج برجله.

(٣) تنتشر فى جـ، د.

(٤) الدهر = الله فى ب، هـ.

(٥) لما = إذا فى أ، لو فى جـ، هـ.

حسين بن نصر الاسعردى المحتسب، وناظر جيوشها القاضى بهاء الدين عبد الله بن أحمد المحلى، وأديبها شمس الدين محمد ابن دانيال الموصلى مصنف كتاب طيف الخيال، وقال الشهاب الحجازى وجد فى رسالة فى وصف النيل كتب الشيخ نور الدين على سبط الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض إلى القاضى معين الدين بن حشيش وهو يومئذ بالشام:

المملوك نهى أنه كان فى سنة تسع وسبعمائة لما كان مولانا السلطان الملك الناصر بالكرك غضب النيل على أهل مصر لغضبه ففعل بهم ما فعل وترك ما ترك تذكر كتاب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى نيل مصر عند توقفه فى زمانه وهو كتاب مبارك تشرف النيل بعنوانه وافتخر بخطاب بن الخطاب له وقبله وقبله وجرى ببركته المدائن والقرى ولم يتقبل منهم بعد ذلك قربانا ولا قرى، فطاف المملوك بمعناه ونظم معناه وقال:

يا أيها النيل المبارك إن تكن ∴ من عند ربك تجر فاجر بأمره
وإن كنت من عند نفسك تأتنا ∴ فالله يبسط برّه فى برّه
كم من بلاد لست تعرف أرضها ∴ ملأ الإله بيوتها من بُره
يا ذا الوفاء أراك جئت بلادنا ∴ والحر لم يشن الوفاء بغدره
إن كان دفعك لا يجئ تأدبا ∴ إلا بإذن مليكه فبعذره[1]
فإذا الصليبى اللعين بجهله ∴ والكفر يجرى فى جوانب صدره[2]
مسرى سرى والنيل أصبح واقعا ∴ قد فاتنا تعليقه فى شهره
فمضى النسئ وليس فيه زيادة ∴ إن النسئ زيادة فى كفره
أهون به وبشهره ونسيئه ∴ وشهيد شبراه وطينة بشره
نحن الذين لنا بجاه محمد ∴ عند الإله بحمده وشكره[3]
ما يرتجيه غنينا بغنائه ∴ وفقيرنا فى الإلتذاذ بفقره[4]
ندعو وتستسقى الغمام بوجهه ∴ فبذاك أخبر عمه فى شعره

---

(١) فبعذره = فبقدر فى أ، جـ.
(٢) الكفر = الكفن فى أ، هـ، د.
(٣) الاله = الله فى ب، د.
(٤) فى الإلتذاذ بفقره = بالمال زاد بفقره فى أ، بالحال زاد بفقره فى حـ.

يا رب خير العالمين محمد ∴ بجمال سايره الشريف وسره
يا رب أجر لنا توقف نيلنا ∴ وأدم مسرة نيلنا من بحره
يا بَرّ إن البُر أصبح غاليًا ∴ فأرخص بحقك ما غلا من سعره
فارحم بفضلك ركعا أو رضعا ∴ أو رتعا فى ذا الوجود بأسره[1]
وأغث عبادك فى بلادك بالوفا ∴ واسبل على المقياس خلعة ستره
وأضف إلى تعليقه تغليقه ∴ حتى نرى تعليقه فى مصره
وأفض على السد المبارك ماءه ∴ واكسره رب فجبرنا فى كسره
وابعث لنا بعد الوفاء زيادة ∴ تحيى بها ميت الثرى من قبره
فقد استجرنا بالنبى محمد ∴ وبيوم مولده الشريف وشهره

وكتب الملوك بهذه الأبيات العربية، وجعلها فى باطن قصبة فارسية، وألقاها فى البحر عند المقياس، على ذلك القياس، فتفجر الماء من منابعه، وأشار إلى الوفا بأصابعه، واستمرت الزيادة قبل الوفاء وبعده على العادة، حتى انتهى إلى حده، وجبر الله تعإلى القلوب بكسر سده، وعمر الأرض ببركات عمر، وعمر آجال الأعمار[2] وعمر، وأقبل أمين الماء يهلل ويلبى، ويقول هذا رحمة من رى، وانحط السعر العإلى، وتواضع قدره العإلى، وذهب اليأس والبأس، وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس.

وفى سنة ثلاث عشرة وسبعمائة (هـ) أوفى النيل آخر أيام النيء، وفى سنة سبع عشرة وسبعمائه (هـ) أوفى تاسع عشرى أبيب وعلق الستر فنقص من ليلته ثلاثة أصابع فكسر الخليج ثانى يوم مع النقص ثم زاد زيادة عظيمة. وفى سنة تسع وثلاثين وسبعمائة (هـ) انتهت الزيادة إلى ستة عشر ذراعا وعشرة أصابع فلم ترو الأرض كلها وغلت الأسعار، وفى سنة أربعين وسبعمائة (هـ) توقف النيل توقفًا زائداً فاجتمع الناس ليلة السابع والعشرين من محرم بجوامع مصر والقاهرة للدعاء بزيادته، ودعوا على النشو ناظر الخاص طول ليلتهم، وكانوا جموعًا كثراً إلى الغاية، فلما كان يوم الإثنين ثانى صفر زاد ستة أصابع وقبض فى هذا اليوم على النشو وأفرج عن الصاحب شمس الدين موسى بن التاج إسحاق وأخيه فقال فى ذلك علاء الدين على بن فضل الله كاتب السر.

---

(١) الوجود = الوجوه فى و، هـ.
(٢) الأعمال فى هـ، و.

في يوم الاثنين ثاني الشهر من صفر ∴ نادى البشير إلى أن أسمع الفلكا
يا أهل مصر لجا موسى ونيلكم ∴ طغى وفرعون وهو النشو قد هلكا

وقال الشيخ شمس الدين بن الصايغ (في مسك النشو والإفراج عن شمس الدين موسى وزيادة النيل هذه الأبيات)[1].

لقد ظهرت في يوم الاثنين آية ∴ أزالت بنعماها عن العالم البؤسا
تزايد بحر النيل فيه وأغرقت ∴ به آل فرعون وفيه لجا موسى

وقال الكمال جعفر الإدفوى:

إن يوم الاثنين يوم سعيد ∴ فيه لا شك للبرية عيد
أخذ الله فيه فرعون جهرا ∴ وغدا النيل في رباه يزيد

وبلغ النيل في هذه السنة سبعة عشر ذراعا وتسعة عشر إصبعا، وفي سنة أربع وأربعين (وسبعمائة هـ) بلغ النيل عشرين ذراعا وخمسة عشر إصبعا، وفي سنة سبع وأربعين (وسبعمائة هـ) قل ماء النيل حتى صار ما بين المقياس ومصر يخاض وصار من بولاق إلى منشأة المهراني ومن جزيرة الفيل إلى بولاق ومنها إلى المنية طريقا واحدا وبعد على السقايين موضع الماء وبلغت الراوية الماء إلى درهمين فضة بعد أن كانت بربع درهم، فبلغ السلطان الملك الكامل شعبان غلاء الماء بالمدينة وانكشاف ما تحت بيوت البحر من الماء، فركب ومعه الأمراء وكثير من أرباب الهندسة حتى كشف ذلك فوجد الوقت فيه قد فات بزيادة ماء النيل واقتضى الرأي أن ينقل التراب والشقف من مطابخ السكر بمدينة مصر وترمى من بر الجيزة إلى المقياس حتى يصير جسرا يعمل عليه[2] ويدفع الماء إلى الجهة التي انحسر عنها، فنقلت الأتربة وألقيت هناك إلى أن بني جسرا ظاهرا وتراجع الماء قليلا إلى بر مصر فلما قويت الزيادة علا الماء على هذا الجسر.

وقال المقريزي في حوادث سنة تسع وأربعين (وسبعمائة هـ) كان ماء النيل قد نشف فيما بين بر مدينة مصر والروضة فصار في أيام احتراق الماء رمالاً فوقع الإتفاق على عمل

---

(١) أضيف ما بين القوسين من النجوم الزاهرة لابن تغري بردى حـ٩ ص٣٦، وفي السلوك حـ٢ ص ٤٧٩ - ٤٨٠.

(١) عليه = فيه في ب، د.

جسر، وقام منجك على عمله فضرب له خامًا[1] بالروضة واجتمع للعمل خلائق، وعمل جسر من الجيزة إلى المقياس وآخر من الروضة إلى الجزيرة الوسطى، فأقاموا فى عمله أربعة أشهر، وكان طول جسر الروضة مائتى قصبة فى عرض ثمان قصبات وارتفاع أربع قصبات، وطول جسر المقياس مائتين وثلاثين قصبة، وعدة مارمى فيه من المراكب الحجر اثنى عشر ألف مركب سوى التراب والطين وغرم عليه مالا يمكن حصره وجبى ذلك من كل من فى البلد من القاهرة ومصر.

وفى سنة إحدى وخمسين (وسبعمائة هـ) بلغ النيل سبعة عشر ذراعا فقط وهبط فى خامس توت فشرقت بلاد كثيرة وتوالت الشراقى ثلاث سنين فشق الأمر فيها على الناس.

وفى سنة ستين (وسبعمائة هـ) بلغ النيل أربعة اصابع من عشرين وثبت إلى أول هاتور فخرج الناس ودعوا حتى هبط، وقال فى ذلك البرهان القيراطى:

فى عام ستين انتهى الدفع فى ∴ النيل للعشرين فى التحرير
وأتت من الجيش المياه فلا تسل ∴ ما قد جرى منها على التكرور

وقال نثرا: وأما النيل فإنه زاد فى كره وكثرة نيله، وتراكم سيله، ولازم المعشوق ملازمة العاشق، وقطع الطريق بكثرة مياهه وكادت تحصل بارتفاعها إلى الطارق، وشبك بالخمس أصابع أصابعه، وغار على ما هنالك من الضياع الثلاث والعدوية رابعة وتوجه إلى مصر فعم جهاتها وما خصص، وأقام بدار النحاس ورصّص.

وقال أيضا فى رسالة:

وأما النيل فقد عقدت خيامه على أوتار الجبال الطنب، وغسل بمائه الجار الجنب، وأذاق الشجر الأخضر من عمر مائه الموت الأحمر.

وفى سنة إحدى وستين وسبعمائة (هـ) قال المقريزى[2]: «كان النيل مما يتعجب منه فإنه جاء القاع نحو اثنى عشر[3] ذراعا وأوفى سادس مسرى وبلغ تسعة[4] أصابع من

(١) خاما بمعنى خياما.
(٢) السلوك جـ٣ ص٥٣، ٥٤.
(٣) ثنتى عشرة فى الأصل.
(٤) تسع فى الأصل.

أصابع من عشرين ذراعا، ثم بطل النداء عليه فبلغ نحو أربعة[1] وعشرين ذراعا، وخربت عدة مساكن وثبت إلى خامس بابه، فخرج الناس من الغد ودعوا الله فهبط من يومه أربعة[2] أصابع، وعمل فى ذلك الأديب شهاب الدين ابن أبى حجلة كتابًا يسمى السجع الجليل فيما جرى من النيل قال فيه:

وأما البحر الذى بنى عليه عنوان هذه العبودية، فلا تسأل عما جرى منه، وما نقلت الرواة من العجائب عنه، وذلك أنه عم فى أول قدومه بالنفع البلاد، وساوى بين بطون الأودية وظهورها الوهاد. وقدم المفرد مبشراً بوفائه في جمع لا نظير له فى الآحاد، واحمرت على من طلب الغلاء عيونه، وتكفل للمعسر بأن يوفى بعد وفائه ديونه، ونزل السعر حين أخذ منه طالع الارتفاع، وأحدق بالقرى فأصبح كأنه سماوات كواكبها الضياع؛ فلم يكن بعد ذلك إلا كلمح البصر أو هو أقرب، حتى عسل[3] فى شوارع مصر كما عسل الطريق الثعلب، وجاس خلال ديارها فأصبح على زرائبها المبثوثة بسطة، وأحاط بالمقياس إحاطة الدائرة بالنقطة، ثم علت أمواجه، واشتد اضطرابه، وكاد يمتزج بنهر المجرة الذى الغمام زبده، والنجوم حبابه.

وشرَّق حتى ليس للشرق مشرق ∴ وغرَّب حتى ليس للغرب مغرب

وأما دير الطين[4] فقد ليَّس سقوف حيطانه، وأقتلع أشجار غيطانه، وأتى على ما فيه من حاصل وغلة، وتركه ملقة فكان كما قيل، زاد الطين بلة.

وأما الجيزة فقد طغى الماء على قناطرها وتجسر، ووقع بها القصب من قامته حين علا عليه الماء وتكسر، فأصبح بعد اخضرار بزته شاحب الإهاب، فاصل الخضاب، غارقًا فى قعر بحر «لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب» وقطع طريق زاويتها على من بها من المنقطعين والفقراء، وترك الطالح كالصالح يمشى على الماء «فتنادوا مصبحين إلا يدخلنها اليوم عليكم مسكين»، وأدركهم الغرق فأيسوا من الخلاص، «وغشيهم من أليم ما غشيهم» فنادوا «ولات حين مناص»، و«وخر عليهم السقف من فوقهم» فانهدت قواهم، واستغاثوا من كثرة الماء بالذين أمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم.

---

(١) أربع فى الأصل.
(٢) أربع فى الأصل.
(٣) عسل أى سارمسرعا. وفى الأصول غسل.
(٤) دير الطين كان يقع بمنطقة دار السلام حاليا.

وأما الروضة فقد أحاط بها إحاطة الكمام بزهره، والكأس بحباب خمره،

فكأنها فيه بساط أخضرٌ ∴ وكأنه فيها طرازٌ مذهب

فكم بها من متهم ومنجد، ومسافر مما حصل له من المقيم المقعد، وحائك أصبح حول نوله ينير، وجعل من غزله بل من غيظه على أجيره يحمل ويسير. ومنجم وصل الماء من منزله إلى العتبة الخارجة فأصبح فى أنحس تقويم، ودخل إلى بيت أمراضه «فنظر نظرة في النجوم فقال إنِّى سقيم»، فأصبح فى الطريق وعليه كآبة وصفرة، ودموعه فى المحاجر كالحصى لها اجتماع وحمرة. وشاعر رقعة فى الضرورة بحره المديد، واشتغل بهدم داره عن بيت القصيد، وعروضى ضاقت عليه الدائرة فقال: هذه الفاصلة، وقلع من عروض بيته وتدًا أزعج بقامه مفاصله، ونحوى اشتغل عن زيد وعمرو بيل كتبه، وذهل حين استوى الماء والخشبة، عن المفعول معه والمفعول به، وطار عقله لا سيما عن تصانيف ابن عصفور، وأخبر أن البحر وأثاث بيته جار ومجرور.

وأما الجزيرة الوسطى فقد أفسد جل ثمارها، وأتى على مقاثيها فلم يدع شيئًا من رديها وخيارها، وألحق موجودها بالمعدوم، وتلا على التكرورى «سنسمه على الخرطوم» وأخلق ديباج روضها الأنف، وترك قلقاسها بمده وجزوه على شفا جرف.

وأما المنشأة[1] فقد أصبحت للهجرة مقرة، بعد أن كانت للعيون قرة، وقيل لمنشيها: «أنى يحيى هذه الله بعد موتها»، فقال «يحييها الذى أنشأها أول مرة». ومال على ما فيها من شوان الغلات كل الميل، وتركها تتلو بفمها الذى شقتاه مصراعا الباب: «يا أبانا منع منا الكيل».

وأما بولاق فقد أصبحت صعيدًا زلقًا من الملق، وقامت قيامة المار بها حين التفت الساق بالساق من الزلق، فكم اقتلع بها شجرة بشروشها، وترك ساقية تنوح على أختها التى أصبحت خاوية على عروشها.

وأما الخليج الحاكمى فقد خرج عسكر موجه بعد الكسر على حمية، ومرق من قسى قناطره كالسهم من الرمية، وتواضع حين قبل بحارة زويلة عتاب غرفها العالية، وترك السقايين فى حالة العجز عن وصفها صريع الدلاء وحماد الراوية. فأصبحوا من الكساد وقد سئموا الإقامة، قائلين فى شوارع مصر: يالله السلامة»

---

(١) المقصود منشأة المهرانى التى موقعها اليوم منطقة قصر العينى.

وقال ابن أبى حجلة . فى سنة ستين[1] وسبعمائة(هـ) وقد زاد النيل حتى غرق البلاد ووقع الوباء :

عم الوباء لأن الناس قد باءوا ∴ وزاد طغيانهم لما طغى الماء
باءوا بإثم وتاب الآن طائعهم ∴ وما لعاصيهم لام ولا باء
تا الله ما راعهم من موت أكبرهم ∴ بمصر ميم ولا واد ولا تاء
يا واسع الجود رفقا بالعباد فقد ∴ ضاقت بمصر من الأموات أحياء
يا رب إن الوبا حمت ركائبه ∴ وحل بالناس لما حل حماء
مستهم منهم صفر الإمساس لها ∴ لو مسها حجر مسته ضراء
أمسى الطبيب مريضًا كالمريض بها ∴ حديث هذا وذا رمز وإيحاء
تغير الريح فى مصر فساكنها ∴ إذا سرى نكبته منه نكباء[2]
هذا على قول قوم لا عقول لهم ∴ فى زعمهم أنهم قوم أطباء
وقائل هذه سوداء محرق ∴ ثارت بها فى جميع الناس صفراء[3]
وقائل إن ماء النيل حين علا ∴ وعمّ عم الورى من أجله داء
هيهات قل للذى يهدى بحكمته ∴ عرفت شيئا وغابت عنك أشياء
هذى أمور عجزنا عن مداركها ∴ وحار من فهمها القوم الألباء
أين ابن سينا رئيس الطب مات وما ∴ شفاه من دائه طاء ولا باء
أين الفلاسفة الماضون قبل ومن ∴ أمسى لتاريخه فى الطب أنباء
أين الأئمة فى علم وفى أدب ∴ ومن لهم فى بحور الشعر إرساء
أين الذى جمل الدنيا برؤيته ∴ وماله عن جميل الفضل إبطاء
لهفى على بن هشام حين مات بكت ∴ عليه فى النحو أفعال وأسماء
لهفى على فتية ماتوا وكان لهم ∴ كفتية الكهف فى الإيماء إفتاء

وقال أيضا :

يارب إن النيل زاد زيادة ∴ حلت عرى بنيان كل محلة
ما ضره لو جاء على عاداته ∴ فى دفعة أو كان يدفع بالتى

---

(١) فى هـ اثنين وستين .
(٢) بكباء فى جـ، هـ .
(٣) ثارت = تارة فى جـ، و .

وقال أيضا :

أبحــــر الـنيـل لا تـشــــره ∴ ولا تـــأتـــى بمـــا نـــكـــره
فـــقـــد وفـــيـت بـالحـــسنى ∴ ولكــن زدت فـى كــــــــرّه[1]
فـــلا تكـشف لـنا حـــالا ∴ فنســــأل ربنا الســـتـــرة
ولا تتـــرك قـــفـــا الخـــبـــاز ∴ يــومـــــــا يــأكـل الـدرّه
فـكم من خـــازن لـلقـــمـح ∴ أمـــسـى يظـهـــر العـــذره
ألــم تـــعـــلـــم بـــأنــك إن ∴ نـزلت تـركـــــتــــه عـــرّه
فـــشــــهـــر دمـــعـــه حـــتـى ∴ تـراه فـى الورى شـــــهــــره
وســـر عن مـــصـــر فـى خـيـــر ∴ فـــقـــد طولت فى العـــشـــره

وفى سنة أربع وستين وسبعمائة(هـ) توقف النيل ثم أوفى فى ثالث توت وبلغ أربعة أصابع من ثمانية عشر ذراعا ثم انهبط فوقع الغلاء وقال فى ذلك القيراطى :

النيل فى ذا العام ما عم البلاد ولا ∴ مشى على العهد المعهود فى المدد[2]
يا واصف النقص منه والزيادة لى ∴ بالله صفه ولا تنقص ولا تزد[3]

وفى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة (هـ) كثرت زيادة النيل بحيث زاد على العشرين وثبت فى أيام من هاتور فاجتمع الناس بجامع عمرو والجامع الأزهر ودعوا الله لهبوط النيل عدة مرار حتى هبط وعمل فيه الأديب شهاب الدين أحمد بن يحيى بن أبى بكر بن أبى حجلة التلمسانى مقامته المشهورة المسماة بالزعفرانية وستأتى قريبا .

وقال فيه شهاب الدين العطار مقاطيع ، وفى سنة خمس وسبعين وسبعمائة (هـ) توقف النيل عن الزيادة بحيث جاء النوروز ولم يوف حتى قال بدر الدين بن الصاحب .

نيــروز مـــصـــر بلا وفـــاء ∴ يعـدّ صـفـعًـا بغـيـر مـاء

---

(١) كره = كثرة فى أ، جـ.
(٢) العهد = المدد فى د، و، ولى ناقصة فى أ، حـ.
(٣) منه ناقصة فى ب، د.

وقال أيضا :

تقاصر النيل عنا ∴ تقاصرًا متتابع
حتى قنعنا اضطرارًا ∴ منه بمص الأصابع

وخرج القضاة والفقهاء وغيرهم إلى جامع عمرو وتضرعوا وكسر الخليج وقد بقى من الوفاء خمسة أصابع فهبط الماء من يومه ولم يعد، فخرج القضاة والناس ثانيًا إلى المقياس وقرءوا هناك القرآن وتضرعوا إلى الله تعالى فى إجراء النيل فرد ما نقص، ثم عاد فنزل حتى جفت الخلجان فنودى فى الناس بصوم ثلاثة أيام والإقلاع عن المعاصى والتوبة فصاموا وخرجوا وهم مشاة حفاة إلى قبة النصر[1] ومعهم الأطفال فصلوا صلاة الاستسقاء وضجوا بالدعاء ولم يسقوا ووقع الغلاء، قال البدر البشتكى : وقلت فى نيل سنة خمس وسبعين وسبعمائة :

يا أهل مصر نيلكم متكدر ∴ من بعد صفو بالوفا لم يسعف
عهدى به يبدى التملق فما له ∴ ترك التملق ثم خان ولم يف

قال وقلت فى المعنى

خان الذى قدمًا وفيت عهوده ∴ وصفا عليه ما ملكت وما صفا
وتغيرت حالات مصر بعده ∴ والله حتى النيل قد ترك الوفا

قال : وقلت فيه أيضًا :

عاتبت هذا النيل فى ترك الوفا ∴ فأجابنى حالاً بغير توقف
سأفى وإن خانوا وأصلح منهم ∴ ما كنت أفسده ومثلى من يفى

قال وقد قيل أنه أوفى

النيل قد وافى بحمد الهنا ∴ وجرى على العادات بعد توقف
وغدا يقول لأهل مصر وغيرهم ∴ من ذا يفى فى مصر إذا أنا لم أف

وفى سنة أربع وثمانين وسبعمائة(هـ) شرع الأمير جركس الخليلى فى عمل جسر بين

---

(١) قبة النصر كانت زاوية للصوفية تقع بالقرب من خانقاة برقوق بالصحراء شرق القاهرة.

الروضة والجزيرة الوسطى فى طول ثلاثمائة قصبة وعرض عشر قصبات وعمل فيه بنفسه ومماليكه، وحفر فى وسط مجرى النيل خليجًا ليعود الماء إلى بر مصر ويستمر طول السنة، أنفق عليه جملة من غير أن يكلف أحدًا منه شيئًا، وقال فيه أدباء العصر شعرًا كثيرًا، من ذلك قول بن العطار:

شكت النيل أرضه ∴ للخليلى فأحضره
ورأى الماء هائبا ∴ أن يطأها فجسره

وقال أيضًا:

راعى الخليلى قلب الماء فحين طغى ∴ بنى على قلبه جسرًا وخيّره
رأى ترمّل أرضيه وحدتّها ∴ والنيل قد خاف يغشاها فجسّره

وقال عيسى بن حجاج:

جسر الخليلى المقرّ قد رسَىَ ∴ كالطود وسط النيل كيف يزيد
فإذا سألتم عنهما قلنا لكم ∴ ذا ثابت دهرا وذاك يزيد

قال حافظ العصر أبو الفضل بن حجر فى إنباء الغمر: ولم يفد هذا الجسر شيئًا بل انطرد النيل عن بر مصر ونشف إلى قرب المقياس ثم بعد عشرين سنه حفر النيل لنفسه بغير سعى أحد وصار يلبث[1].

وقال البدر بن الصاحب لما انكشف الماء عن الأرض التى بين الفسطاط والروضة.

كانت بمصر ميزة ∴ بنيلها وقد خلت
كأنه بعل لها ∴ من بعده ترملت

وفى هذه السنة عمل الأمير جركس طاحونا فى مركب عند بسطة المقياس يديرها الماء برسم طحن القمح دقيقًا، فأتى لرؤيتها من كل جانب. قال الحافظ بن حجر: واستأجرها منه بعض الطحانين فحصل منها مالاً عظيمًا أكثره ممن يأتى برسم الفرحة.

قال المقريزى: وقال فيها أدباء الزمان شعرًا كثيرًا.

---

(١) غيث فى جـ، هـ.

وفى هذه السنة قال المقريزى : انتهت زيادة النيل إلى ثلاث أصابع من أحد وعشرين ذراعًا فعد ذلك طوفانا ، وكتب الصاحب فخر الدين عبد الرحمن بن عبد الرازق بن مكانس إلى البدر البشتكى رسالة فى ذلك : رب أجعلنا فى هذا الطوفان من الآمنين ، وسلام على نوح فى العالمين ، ما تأخير مولانا بحر العلم وشيخه عن رؤية هذا الماء ، وما قعوده عن رزقه هذا النيل الذى جعل فيه البرية كالملائكة لما غدا هو أيضًا كالسماء ، وكيف لم ير هذا الطوفان الذى استحال للزيادة فما أشبه زيادته بالظمأ فهى كزيادة الأصابع الدالة فى الكف على نقصه ، وأولى أن ينشد بيت المثل بنصه ،

طفح السرور علىّ حتى أنه ∴ من عظم ما قد سرنى أبكانى

فإنه قارب أن يمتزج بنهر المجرة بل وصل وامتزج ، وأرانا من عجائبه ما حقق أنه المعنى حدث عن البحر ولا حرج ، وتجاوز فى عشر الثلاثين الحد ، وأرانا بالمعاينة فى كل ساحل ما سمعناه عن الجزر والمد ، وأساء فى دفعه فلم يدفع بالتى هى أحسن ، وأقعد الماشى عن التسبب والحركة حتى شكا إلى الله فى الحالين جور الزمن ، وسقى الناس فى حياته المعهودة فما شربوا من الموت أصعب كاس ، وسئل ابن أبى الرداد عن قياس الزيادة فقال زاد بلا قياس ، وملأ اليباب ، وهال العباب ، وضاع العد واختلط الحساب ، كال فطفف ، وزار فما خفف ، غسل الجسور ، وأعاد الأملاق بعزمه إلى البحور ، وبدع فكان أولى بقول الحلى بن منصور :

بمكارم تذر السباسب أبحرا ∴ وعزائم تذر البحار سباسبا

جمع فى صعوده إلى الجبال بين الحادى والملاح ، ودخل الناس إلى أسواق مصر وخصوصًا سوق الرقيق على كل حدبة ذات ألواح ، وغدا التيار ينساب فى كل يم كالأيم ، وأضحت هضبات الموج فى سماء البحر وكأنما هى قطع الغيم ، واستحالت الأفلاك وكل برج مائى ، وتغيرت الألوان وكل ما فى الأرض سمائى ، وحكى ماؤه حكاكة[1] الصندل لما مسه شيطان الريح الأهوج فتخبط ، وزاد فاستحال نفعه[2] ليحقق ما ينسب إلى الصندل من الاستحالة إذا أفرط ، ولقد حكت أمواجه ودوائره الأعكان والسرر وغدا كل حى ميتا من زيادته لا كما قال المعرى

(١) حكاله فى جـ، حكاك فى أ، هـ.
(٢) نفعه = بنفسه فى د.

حـسبـــا من بنى مطر وتـخـــال ∴ إلى أن أفـرق الليـمـون الأخـضـر[1]

واحمرت عينه على الناس فأذاقهم الموت الأحمر، وقد صعب سلوكه وكيف لا وهو البحر المديد، وأصبح كل جدول منه جعفر ويزيد، فلست ترى إلا إفاضة شاخص اليه بعين أو مشير إليه بإصبع فلكم قال الهرم للسائرين يا سارية الجبل، وأنشد:

وقـــد شـــمـر ســاقــه للخـــوض ∴ أنا الغـــريق فــمــا خــوفى مــن البلل

وقال المسافرون ما رأينا مثل هذا النيل من هنا إلى ما وراء النهر، وقال المؤرخون لم ينقل لهذه الزيادة من عهد النهر وان وإلى هذا الدهر، وكيف يسوغ لمولانا فى مثل هذه الأيام غير ارتشاف فم الخور، ولم لا يغير مذهبه ويطيب على هذا الخليج بالتسلسل والدور، وكيف وكيف ولم لا يتخذ مولانا حر النيل وبرده رحلة الشتاء والصيف وهو فى المبادرة إلى علو المعالى وعلى المعانى، وانتهاز الفرص فى بلوغ الآمال وبلوغ الأمانى،

عـجب من أعـجاب الـبحـر والبـر ∴ ونوع مـــفـــرد وشكل غـــــريب

نعم من قاسكم يسواكم قاس البحار إلى التمار أعلا للأنام في العلوم قدرا، وإمام النحاة من عهد سيبويه وهلم جرا، وشيخ العروضيين على الحقيقة براً وبحراً، وشيخ سيحون والنيل والفرات ودجلة وشيخ جيجون أيضا وشيخ نهر الأبله، أى والله،

أقـــولهـــا لـو بلغـت مـــا عـــسى ∴ والطـبل لا تضـــرب تحت الكســـا

لا مخبا لعطر بعد عروس، أنت والله أعوم فى بحور الشعر من ابن قادوس، وأصلح إذا حدثت من صالح بن عبد القدوس، وأشهى إذا هزلت من بين حجاج الى النفوس،

لو أن بحـــر النيل وافـــاك مـــازحًـــا ∴ وحقك ما استحلى له الناس زائدا[2]

نعود إلى ما كنا فيه من وصف النيل، وذكر حاله الذى أصبح كما قال ابن عبد الظاهر كوجه جميل، فلو رآه مولانا وقد هجم على مصر فجاس خلال الديار، ودخل إلى

---

(١) أفرق = أقرف فى هـ، و.

(٢) وحقك = ومحقك فى حـ، و.

إلى الرصد[٣] وقد تفجرت منه عين النزر إلى ربوة، ولرثى لروض الجزيرة وقد خلع حلاه، وتخلخلت عرائس أشجاره على الحالين بالمياه، والنخيل وقد قتلت بلالها حين قتلت بالأسف، وجف[٤] أحمر ثمرها وأصغره فأرانا العناب والحشف.

والجيزة وقد قلت لها تبا لجارك النيل إذ أفسدك صورة ومعنى، وسكن مغانيك فسقى ديارك بغير استثنا، وقراها الغربية وقد قلت لها حين آوت إلى أعالى الأرض هربًا من المياه، واعتصمت بالجبل الغربى لا عاصم اليوم من أمر الله، وكل سفينة وقد علت على وجه الماء، وارتقت لارتقاء البحر إلى أن اختلطت بالسماء، وقد قالت لها أترابها عند الفراق ألا ترجعى، وقلنا نحن على سبيل التفاؤل ياسماء أقلعى، والنيل تبدو عليه القلوع خافية لبعدها فكأنها الخيام بذى طلوح، وجار على الناس بطغيانه فكأنما هو أخو فرعون مصرا وبن طوفان نوح، فلقد طار النسر مبلول الجناح، ودنا نهر المجرة من السكارى بالشخاتير إلى أن كاد يدفعه من قام بالراح، ونرجس البساتين وقد ابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم، وفارق أحبابه من الرياحين، ولم يبق له غير القلانس[٥] صديق وغير الماء حميم، والورد وقد قيل له مالك من آس، وغصن البان وقد قيل له طوبى لمن عانقك ولا باس، والأسماك وقد ألجمهم الغرق، والقلقاس وقد شكى شكوى بن قلاقس وأبيه من الفرق، والقصب بالجزيرة وقد شرب ماء النذر فهو بنيل[٦] الشراب، والقصب ببولاق لم ينجه من مشاهدة الغرق إلا كونه غاب، والفارسى بالبساتين وقد ترجل ووقع فأرانا كيف تكسر الأقصاب، وقيل للآس، عالج جيرانك بالغيطان والناس بالناس، وبادر إلى جبر ما كسر فالحاجة تدعو المكسور فى الحالين إلى الآس، هذا وأنا مقيم بالروضة إذ زهت على سائر الرياض، وسلم جوهر حصبائها من أكثر هذه الأعراض، وإذا اعتلت بالاستسقا فهى عين الصحة كما ينسب السقم إلى العيون المراض، أو كما قال المملوك قديما من قصيدة فى بعض الأغراض،

---

(١) المعشوق هو بستان المعشوق الذى كان يحيط برباط الآثار بمصر القديمة.

(٢) الآثار المقصود به رباط الآثار النبوية الذى أنشأه الصاحب بن حنا لحفظ الآثار المنسوبة إلى الرسول (ص) به، وما يزال موجودا مكانه اليوم جامع أثر النبى بمصر القديمة.

(٣) الرصد هو الجبل الواقع جنوبى الفسطاط والمعروف الآن باسطبل عنتر.

(٤) رجف فى هـ.

(٥) القلاقس فى أ، و. والقلافس فى هـ.

(٦) يثن فى أ، نبيل فى جـ.

وقـائل فى لحـاظ الـغيـد باقيـة ∴ من السـقام ومـا ضـمت خصورهم
وفى النسـيم فـقلت الأمر مـشتبـه ∴ عليك فـالزم فـأنت الحـاذق الـفـهم
قلت الـصحـيح ولكن بمـوجبـه ∴ أقـول تـلك ذات برءها السـقم[1]

وقد أحاط الله بها النيل إحاطة المراشف باللمى، وأشرقت ضياء بين زرقته فكأنما البدر فى كبد السماء،

بصـحن خـدّ لـم يُغض مـاؤه ∴ ولم تحـصـه أعين النـاس[2]

متعطش مع هذا الطوفان لرؤياك، متشوق وإن كبت[3] منازل النجوم الأرضية والسمائية يا بدر لرؤياك، لكن يسلنى إنى ما نظرت إلى النيل إلا رأيتك من سائر الجهات، ولا لمحت بيوت البحر بل البحور إلا رأيتك عمارة الأبيات، ولا هممت بشرب الماء من عطش إلا رأيت خيالاً منك فى الماء ولكن للعيون[4] لطيف معنى له طلب المعاينة الكليم[5].

فهلم إلى التمتع بهذا النيل الذى لم تر مثله العيون والنظر إلى سائر المخلوقات لعمومه وكل فى فلك يسبحون فليس يطيب لهذا التلميذ[6] رؤية هذا البحر الذى هو كالظلمة بغير مثال أو بالنثر بغير رؤية شيخه، ولا يلذ له التملى برؤية هذا الفلك ما لم يشرق من وجهه وزهرته ببدره ومريخه، فما هذا الإهمال، وليت شعرى تشاغلك عينا يا أديب بأى الأعمال، أبا لكتابة فلتكن فى هذا النيل الذى هو كالظلمة بغير مثال، أو بالنثر والنظم ففى هنا البحر الذى منه تؤخذ الدرر وفيه تضرب الأمثال، ولقد قدح فيه الفكر للمملوك، كيف تصادم الكفار رقيق المملوك للملوك[7] فإنه لم يسمع فى مملكة الإسلام ولا درج فى عام من الأعوام بمثل هذه الزيادة الزائدة، والجرى[8] على خرق العادة التى

(١) ذات = ذوات فى جـ.
(٢) يصحن = يضحى فى أ، د، تحصه = يخصه فى هـ.
(٣) كنت فى الأصل.
(٤) للعيان فى ب، جـ، د.
(٥) هذه العبارة مضطربة فى كل النسخ.
(٦) لهذا التلميذ = للتلميذ فى ب، د.
(٧) هكذا فى الأصل.
(٨) والهرى فى هـ.

لا جعل الله بها[1] صلة ولا منها عائدة، وغاية ما وصل إليه فى الماضى شئ من عشرين فضيق لسعته المسالك، وأوجب المهالك، وتطرق تطرق أهل الجرائم والفساد فقطع الطريق على السالك، وأحوج مراة إلى الاستصحاء لا أحوج لذلك[2]، ودليل ما شمل به من الفساد، وما عامل به أهل البلاد، ما قاله أدباء كل العصر عندما أبيح للمسافر فى مد عرصة القصر، فمن ذلك ما قاله مولانا القاضى الفاضل.

«وما هو رحمه الله إلا بحر طفح دره، فلله دره، من رسالة وورود رسالته تتضمن بناء سطوره العظيمة أمر طوفان النيل التى كأنها جداوله، وأنه جاد لمؤمله بنفسه التى ليس فى يده غيرها فليتق الله سائله، منها ولم يزل يجرى لمستقر له، ويظهر شيئًا فشيئًا إلى أن أدرك آخره أوله، حتى إذا تكامل سمو أمواجه دال على حال، وثغور أقاصى الأراضى من ثنية المقياس فأدناها النظر العالى. فلم يترك بقعة كانت من قبل فارغة إلا وكلها عند نظره مآق، وليت هواه المعتل كان عدلاً فحمل كل غدير ما أطاق، وطالما جرى بالصفا ولكن كدر صفاه بهذا المسعى، والمرجو من لطف الله تعالى أن يتلو ما أفسده هذا الماء ما يصلحه خروج المرعى».

وما قاله القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر:

«يسقى الله ثرى تلك الألفاظ النيلية صوبه الماطر، وينهى إليه أمر النيل الذى سر فى أوائله الأنفس بأنفس بشرى، ويقص عليه نبأه العظيم الذى ما يرينا من آية إلا وهى أكبر من الأخرى، وتصف له ما ساقه إلى الأرض من كل طليعة إذا تنفس صبحها يفرق الليل وتغرى، فهو وإن كان خص الله به البلاد المصرية بوفادة وفائه، وأغنى به قطرها عن القطر فلم يحتج إلى مد كافة وفائه ونزهه عن منة الغمام الذى إن جاء فلابد من شهقة مرعدة ودمعة بكائه، فقد وطئ بلادها بعسكره العجاج، وزاحم ساحتها بأفواج الأمواج، فعمل فيها بذراعه ودار عليها بخنادقه وتخللها بتراعه، وحملها على سوارى الصوارى تحت قلوعه وما هى إلا عمد قلاعه، وزار زرابى الدور المبثوثة، وجاس خلال الحنايا كان له فيها خبايا موروثة، ومرق كالسهم من قناطره المنكوسة، وعلا زبد حركته ولولاه ظهرت فى باطنه من الأقمار والنجوم أشعتها المعكوسة، وحمل على بركة الفيل حمل الأسود على الأبطال، وجعل المجنونة من تياره المنحدر فى السلاسل والأغلال،

---

(١) بنها فى ب، د.

(٢) مراة = مرات فى هـ، ولا أحوج الله لذلك فى هـ، ولها أعوج فى ج.

والمرجو من الله أن يزيل أذاه، ويعيد علينا منه ما عهدناه، فإن له الآيات الكبر، وفيه العجائب والعبر، منها وجود الوفا، عند عدم الصفا، وبلوغ الهرم، إذا احتد واضطرم وأمن كل فريق، إذا قطع الطريق، وفرح قطان الأوطان، إذا كسر وهو كما يقال سلطان، إلى غير ذلك من خصائصه، وبرأته مع الزيادة من نقائصه، طالما فتح أبواب الرحمة بتغليقه، وفاز كل أحد برؤية مائه المعصفر بتخليقه».

ومما قاله المولى زين الدين عمر الصفدى تغمده الله بعفوه، وجمع له بين حلاوة الكوثر وصفوه: «وأما النيل فقد أخذ الدار والسكان، وقال ابن الخامل كما قال ابن النبيه الأمان الأمان، وبكى الناس عندما رأوه مقبلاً عليهم بالطوفان، وانسابت أراقم غدرانه فى الإقليم فابتلعت غدرانه أراقمه، ومحا سبيله المتدفق معالمه المجهولة فاستعمل الأقلام فى إثبات معالمه، وأحاط بالقرى كالمحاصر فضرب بينها وبين السما بسور، وأخذ الطريق على السكالكين فلا يركب إلا المراكب ولا عاصم إلا البحور.

وما قاله السديد بن كاتب المرج نصرة الأقباط وأحد عمد الشعراء المشهورة بالفسطاط، فما أطيب مدائحه النبوية التى جعلها سوراً بينه وبين النار، وما أعجب رثاؤه جعل الله قبره بالرحمة كالروض عب القطار.

يا نيل يا ملك الأنهار قد شربت ∴ منك البرايا شرابًا طيبًا وغذا
وقد دخلت القرى تبغى منافعها ∴ فعمها بعد فرط النفع منك أذى
فقال تذكر عنى إننى ملك ∴ وتعتدى ناسيًا إن الملوك إذا

ومما قاله شيخنا جمال الدين بن نباتة الذى أطاعته من الآداب شوامخ نثرها وسخرت له بحور الشعر فقال له الأدب اختر من درها فسبحان من سخر له ممتنع الكلام وهونه، وجعله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فما أرشف دقيق فكره الجليل، وما أكثر ما يضحك زهر مقاطيعه على زهر مقطعات النيل، فما كان إلا مخصوصًا فى الأدب بجزيل الهبات، وكلامه يروى فى العذوبة والبلاغة يزوى[1] بالفرات وابن الفرات، وإن قيل أى أصدق كلمة قالها شاعر بعد لبيد فقال قول بن نباته

فلا عجبٌ للفظى حين يحلو ∴ فذاك القطر من ذاك النبات

---

(١) يزرى فى حـ، هـ.

«وأما النيل فقد استوى على الأرض، فثبتت فيها قدمه، وامتد نصل تياره كالسيف الصقيل، قتل الإقليم[1]، وهذا الإحمرار إنما هو دمه.

حمرتها من دماء ما قتلت ∴ والدم في النصل شاهد عجب

فلم يترك وعداً بل وعيداً إلا وفاه. ولا وهداً بل جبلاً إلا أخفاه، أقبل كالأسد الهصور إذا احتد واضطرم، وجاء من سن الجنادل فتحدر وعلا حتى بلغ أقصى الهرم، وعامل البلاد بالخيلاء، وكيف لا وهو سلطان جائر، أيد بالنصر، قائلا: إن كنت بليت بالإحتراق فى أرضكم فأنا اقتص بأن أرمى فى بروق تيارى بشرر كالقصر.

هذا وطالما قابلنا قبلها بوجه جميل. وسمعنا عنه كل خبر خير خير ثابت ويزيد، كما قال جميل، وكل بديع من آثار جودة يصبغ الثرى فيخضر، بخلاف المشهور عن صبغة النيل. وطالما خصصناه بدعاء فكانت الراحة به كمقياسه ذات بسطة. وكمنازل الخصب بقدومه المبارك ذات غبطة. ومنحناه ولاء وثناء، هذا يدور مع الإخلاص بفلك، وهذا يعذب من البحار بنقطة. وكم ورد إلى البلاد ضيفا ومعه القرى، وكم أتى مرسلا بمعجز آيات الخصب إلى أهل القرى. فهو جواد قد خلع الرسن، ساهر فى مصالح الخلق، وقد ملأ الأمن أجفانهم بالوسن. جامع لأهل مصر من سقياه ومرعاه ووجهه، بين الماء والخضرة والوجه الحسن. كم بات ستر مقياسه يشمل بظله الغائبين والحاضرين. وكم رفع على الوفاء راية صفراء فاقع لونها تسر الناظرين. وبلغ وبلغ بخرير تياره سلامة. وبات الناس بوفائه من حذار الغلاء تحت الستر والسلامة.

وخلق صدر العمود، وكيف لا يخلق بشير العباد والبلاد. ودعا مصر لأخذ زخرفها، فسواء قيل: ذات العمود أو ذات العماد. وبسط يده ببركة الماء، فقيل: سلام لك من أصحاب اليمين، وخضب بنانه وأقسم بحصول الخير، فعقد لمخضوب البنان يمين، وأشار إلى وصول المد المتتابع. وقبض يده المخلقة على الماء، فوفت وما خانت فروج الأصابع. ونادى زائد الوفاء ولكن كم حياة فى الأرض لمن ينادى. ولمست أصابع الزيادة ونمت، حتى قال الناس: ما ذى أصابع ذى أيادى.

هذا وقد قربت زرابى الدور المبثوثة بالنمارق. وقال المقياس: تغطت منا الدرج، فقال الرجاء وظهرت الدقائق. فهو عم المنافع، عذب المنابع، يشار فى الحقيقة والمجاز إليه بالأصابع.

---

(١) الاقليم = المحل فى د.

فأعاده الله إلى ذلك النفع المعهود. وأرانا منه الأمان من الطوفان إلى أن نرد الحوض المورود. وكفى أهل مصر هذه المصيبة التى إذا أصابتهم قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون. ولا ابتلاهم بما ابتلى به قوما وجعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم، فإنما يستغشى ثيابه منهم الفقراء فى المطر، ويجعل أصابعه منهم فى آذانه المؤذنون.

اللهم إنك ولى النعمة. وأولى برحمة خلقك من فيض هذه الرحمة».

وما قاله صاحبنا الشيخ شهاب الدين ابن أبى حجلة الذى كان أعرب من زرقاء اليمامة، وأعجب إذا ركب بغلته بزرزوره من أبى دلامة، الأديب الذى كان حجة العرب، الناشر الذى كان بنسبته إلى الطيور محرك المناطق وإلى الشعر صناجة الأدب، والناظم الذى كان إذا أنشد مقاطيعه فى التشبيب فاق على المواصيل ذوات الطرب، والصديق الذى كانت منه عوائد الوفاء مألوفة، وشيخ الصوفية الذى لا عجب إذا كانت له المقامات الموصوفة، أسكنه الله فسيح الجنان، وخص ذلك الوجه الجميل بالعارض الهتان، من مقامته الزعفرانية.

«عن أبى الرياش فاعتنقته[1] لدين الإسلام وقلت: ما وراءك يا عصام فقد بلغنا أن النيل تزايد دفعه. وأدى إلى الضرر نفعة». فقال:

«خذ العفو. ولا تكدر بذكر النيل الصفو. فقد امتزج بالمعصرات ثجاجه. وأعيا طبيب الغيطان علاجه.

وشرق حتى ليس للشرق مشرق. وغرب حتى ليس للغرب مغرب، قلت: «فما فعل النفير[2] بجزيرة الطير»؟

قال: «لم يبق بها هاتف يبشر بالصباح. ولا ساع يسعى برجل ولا طائر يطير بجناح. إلا اتخذ نفقًا فى الأرض أو سلمًا فى السماء.

أو أوى إلى جبل يعصمه من الماء. فأفاق[3] الحمام حمام فى البروج وترك أرضها كسماء مالها من خروج. وتلا على الحمام: أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى

---

(١) فاعتنقه فى ب، فاعنقته فى جـ، واعتنقته فى د.

(٢) النعير فى د.

(٣) فأذاق بها فى أ، و.

بروج. وكم فى سمائها من نسر واقع. وبومة تصفر على ديارها البلاقع. ومنهل فيه[١] الغراب ميت. سقيت منه القوم وسقيت».

قلت: «فبمصرنا[٢] أزحف عليها بعسكره الجرار. ونقط مائه الطيار؟ قلت: فالجيزة»؟

قال: طغى الماء حتى علا على قناطرها وتجسر. ووقع بها القصب من قامته، حين علا عليه الماء وتكسر. فأصبح بعد اخضرار بزته شاحب الإهاب. ناصل الخضاب. غارقا فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب. وقطع طريق زاويتها على من بها من المنقطعين والفقراء. وترك الطالح كالصالح يمشى على الماء. فتنادوا مصبحين. ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين. وأدركهم الغرق فأيسوا من الخلاص. وغشيهم من اليم ما غشيهم، فنادوا ولات حين مناص. وخر عليهم السقف من فوقهم فهدت قواهم. واستغاثوا من كثرة الماء بالذين آمنوا وعملوا الصالحات، وقليل ما هم».

قلت: «فالروضة»؟

قال: «أحاط بها إحاطة الكمام بزهره. والكأس بحباب خمره. فكأنها فيه[٣] بساط أخضر. وكأنه فيها طراز مذهب، فلم يكن له فيها بدفع أصابعه يدان. وكم أنشد سرحها حين مرج البحرين يلتقيان.

أعينى كفا عن فؤادى فإنه ∴ من البغى سعى اثنين فى قتل واحد

قلت: «فدار النحاس»؟

قال: «أنحس حالها. وأفسد ما عليها ومالها. فدخل من حمامها الظهر. وقطع الطريق بالجامع الظهر. فألحق مجاز بابه بالحقيقة. ورقى منه على درجتين فى دقيقة: كم اعترف ما جاوره من الغرف غرفا. وأطلق من مائه الأحمر النار بموردة الحلفا[٤].

قلت: «فالخليج الحاكمى»؟

---

(١) فى فى جـ، و.
(٢) فمصر قال زحف بعسكره فى ب، د.
(٣) فكأنه فيها فى ب، د.
(٤) موردة الحلفا هى المنطقة الممتدة على النيل والمحصورة الآن بين نفق الملك الصالح وسور قناطر مجرى العيون.

قال: «خرج عسكر موجه بعد الكسر على حمية. ومرق من قسى قناطره كالسهم من الرمية».

قلت: «فالمنشأة»[1]؟

قال: «أصبحت للبحر مقرة. بعد أن كانت للعيون قرة. وقيل لمنشيها: أنى يحيى هذه الله بعد موتها. قال: «يحييها الذى أنشأها أول مرة». قد مال على ما فيها من شون الغلال كل الميل. وتركها تتلو بفمها الذى شفتاه مصراعا بابها: «يا أبانا منع منا الكيل».

قلت: «فجزيرة أروى»[2]؟

قال: «قد أفسد جل ثمارها. وأتى على مقاثيها[3]، فلم يدع شيئًا من رديثها ولا خيارها. أخلق ديباجة روضها الأنف. وترك قلقاسها فى الجروف على شفا جرف[4].

بعينى رأيت الماء يوما وقد جرى ∴ على رأسه من شاهق فتكسرا

طالما تضرع بأصبعه إلى ربه. ولطم برءوسه الحيطان مما جرى من الماء على قلبه. وتمثلوا بقول الأول:

وإن سألوك يوم البين ∴ عن قلبى وما قاسَى
فقل قاسَى وقل قاسَى ∴ وقل قاسَى وقل قاسَى

لم يفده تحصنه من أوراقه بالدرق والستائر. ولا حن عليه حين تضرع بأصابعه، فصح أن السلطان ماء جائر».

قلت: «فحكر ابن الأثير»[5]؟

قال: «لن يبق منه إلا الثلث والثلث كثير. قد أخمل من دوره خمائلها. وجعل أعاليها أسافلها. فكم دار أعدم صاحبتها قراره. ونادى فى عرصاتها المتداعية. إياك

---

(١) هى منشأة المهرانى وموضعها منطقة قصر العينى الآن.
(٢) هى جزيرة الزمالك الآن.
(٣) مقاتها فى أ، د.
(٤) من فى جـ، عن فى هـ.
(٥) حكر أبن الأثير يمثله الآن المنطقة الممتدة من ميدان عبد المنعم رياض حتى مبنى الإذاعة والتلفزيون جنوبى بولاق بالقاهرة.

أعنى واسمعى يا جارة. فأصبحت بعد نقعها قليلة الجدا. مستولية عليها يد الردى. شبيهة بدار الدنيا لأنها دار متى أضحكت فى يومها أبكت غدا».

قلت: «فبولاق»؟

قال: «إملاق. قد التفت بها من الزلق الساق بالساق فأتى منها من النوتية على الصغير والكبير. ومن المراكب. وتمرها على النقير والقمطير. هذا بعد أن ترك جامع الخطيرى[(١)] على خطر. وحيطانه يانعة الثمر. قد دنا قطافها وحان تلافها. فكأنى به وقد منع رفده. وتلا على محرابه سورة السجدة».

قلت: «فجزيرة الفيل»[(٢)]؟

قال: اقتلع أشجارها بشروشها، وترك سواقيها خاوية على عروشها.

قلت: «فالتاج والسبع وجوه»[(٣)].

قال: هجم على حرمها، وعم الوجوه من فرقها إلى قدمها، قبلّ ثرى الموتى فى التخوم، وعنت الوجوه للحى القيوم.

قلت: فما الحيلة؟

قال: ترك الحيلة

دعها سماوية تجرى على قدر ∴ لا تفسدنها برأى منك أرضى

طال الكتاب، وخرجنا عن فصل الخطاب ولربما ساق المحدث بعض ما ليس القول إليه بالمحتاج وكأنى بقائل يقول أليس من الكبر أن يستخدم هذا فى رسالته ملوك الكلام، ومن الحق أن يحلى عرائس أفكاره بما للناس من حلى النثار والنظام، فأقول مسلم إن كل ما وردته درر وجواهر، وعقود كزهر الربيع عيون وجوهرها النواظر نواضر.

---

(١) جامع الخطيرى أنشأ أول مرة زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون وما زال موجوداً حتى الآن فى أول شارع متفرع من شارع ٢٦ يوليو بالقرب من كوبرى أبو العلا ببولاق.

(٢) جزيرة الفيل هى المعروفة الآن بجزيرة بدران جنوبى شبرا.

(٣) هذا السطر محذوف من كل النسخ ما عدا جـ.

* والتاج والسبع وجوه يمثل مكانهما الآن منطقة مهمشا بالشرابية.

ولكنهـا ههنا أمثل، وجمع شملها على هذا العروس أجمل، وفى عنق الحسناء مستحسن العقد. وعلى الجملة فيرجع المملوك إلى التواضع وهو الأليق بالأدب، فيقول لاعيب على الفقيرة إذا تجملت بحلى الغنية، ولا عار على الجوهرى إذا نظم مسلكًا كانت درره على الطرق مرمية، ونرجع إلى ما ولده الفكر، من عجب البحر، وما ظهر من دفع المملوك لأمثالها عن جريها إذ غاياتها قصور القهر، فأقول: إنما قالت الأدباء ذلك لما جرى من جور النيل على الأرض، ولما عم الناس من الإرجاف بطول أذاه وهرجه فكأنما هم فى يوم العرض، وكل ذلك وما وصل إلا هذا الارتفاع، وربما كان انقص من هذه الزيادة بقريب الذراع، وعلى هذا القياس إنما دفع ضرره، وحمل فى البلاد أثره، وحسن فى السماء خبره، وفى الأرض بخبره، السرى الذى اهتمامه بالمعروف معروف، وسيف الدين الذى يسهر فى مصالح الرعايا لما تنام ملء أجفانها السيوف، برقوق أتابك العساكر، والملك الذى هو بالإسلام مؤيد وله منصور وناصر، حصن سائر القرى بالجسور، وركز على أفواه البحر والخلج الأمراء كما تركز المجاهدون على الثغور، وقابل البحر من سطواته بما لا له به قبل، ورد دفعه بكل دفع من الرأى والتدبير يغنى عن البيض والأسل، وحاربه بجيش عزم إلى أن ولى هاربًا من التراع والقناطر، وجاهد بجنده الذين ركزهم على جوانبه لما تحقق أن البحر سلطان جائر، وحصره بالتضييق عليه كما تحصر البرك والتراع، وغل يده عن التصرف فسقاه الموت كما سقى الناس ذراعًا بذراع، فما هو إلا أن تضاءل نيران سطواته واحترق، وذل خاضعًا وكفى به تضرعًا بالأصابع وتوسلاً بالملق، وأطاع لما لم ينجه مجاهرته عن تياره بالسيوف ولا تحصنه من داراته بالدرق، على أنه تطاول ليضاهى بأصابعه جود أياديه فقصر وتجسر، وركب خيل خيلائه ليحاكى بأسه فوقع من جسور عجبه وتقنطر، وسمت بنفسه كبرًا لأن يبلغ قدره فقيل يا بحر هذا خليفة الله فى أرضه والله أكبر،

نعم رأى البحر الخضم ندى يديه ∴ يفيض على الورى منه فجار
فظل البحر ملتطمًا وأضحى ∴ على الحالين ليس له قرار

فلو زدت فى أيام غيره من الملوك المترفين، وممن يؤثر ملاذ نفسه على مصالح المسلمين، كنت أيها الملك بلغت قصدك، وفعلت فى أبناء مصر جهدك، وكنت من الملوك الذين إذا دخلوا قرية أشعلوا فيها الأهلة، وأفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة، لكن هب قبولك إدبارًا، ولاقت ريحك إعصارًا، فليس لك به قبل، والسيل أدرى بالجبل، فما لك سبيل إلا بلاده، ولا طاقة بإياب الخير على عناده، فإنه لخادم الحرمين،

رالمدعو له حتى فى مواقف الحرب بين الصفين، حامى السواحل والثغور، والمخدوم بأيادى السحائب وأصابع البحور، وإن كنت يا أبا خالد أبا جعفر فلست المنصور، والرأى أن تقف مستغفراً، وتقول معتذراً، لم أفرط بالزيادة فى أيامه، ولم أفض على طرف الميدان إلا لأفوز بتقبيل آثار حوافر خيله ومواطئ أقدامه، وتتبع نواهيه وتمثيل أوامره، وتدعو له كالرعايا بطول البقاء فى الدنيا وحسن الثواب فى الآخرة، ونحن نسأل الله كما بلغ بك المنافع، أن يرينا كوكب نورك عن قريب راجع، وكما أغنانا بزيارتك عن الاستسقاء، لا تحوجنا فى نقصك إلى الاستصحاء، إنه قريب مجيب الدعاء.

قال البدر بن الصاحب فى ذلك:

قد قلت لما أن تزايد نيلنا ∴ أو كاد ينزل دروة المقياس
يا نيل يا ملك المياه بأسرها ∴ ما فى وقوفك ساعة من باس

وقال أيضًا:

طغى النيل عن حد عاداته ∴ وعلمنا الجهل فى العالمين
فصرنا نكشف عوراتنا ∴ وكنا نخوض مع الخائضين

وفى سنة خمس وثمانين وسبعمائة (هـ)، أخذ قاع النيل فكان ثمانية أذرع سواء، وجاء أول مسرى وهو على اثنى عشر ذراعا وأربعة أصابع، فزاد فى رابع مسرى أربعين إصبعا، ومن الغد أربعا وثلاثين، ثم أوفى فى اليوم الذى يليه، وانتهت زيادته إلى أصابع من أحد وعشرين ذراعا، فغرقت مواضع عديدة، وتهدمت عدة دور.

وفى سنة إحدى وتسعين وسبعمائة (هـ) قال المقريزى: انتهت زيادة النيل إلى تسعة عشر ذراعًا وثمانية عشر إصبعًا ولم يسمع مثل ذلك إلا فى النادر وثبت إلى تاسع بابه.

وفى سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة (هـ) أو فى ثالث مسرى وانتهت إلى عشرين من عشرين، وفى سنة أربع وتسعين وسبعمائة جاء القاع سبعة أذرع وعشرين إصبعا. وفى سنة سبع وتسعين وسبعمائة بلغ ثمانية أصابع من عشرين ذراعا وثبت إلى رابع بابه فكان طوفانا، وفى سنة ثمان وتسعين ثبت النيل إلى أثناء هاتور ثمانية عشر إصبعا من تسعة عشر ذراعا.

وفى سنة ثلاث وثمانمائة (هـ) فى يوم الخميس سلخ ذى الحجة زاد النيل ثمانية وأربعين إصبعا وتأخر عليه من الوفاء ستةعشر إصبعا أوفاها بالليل.

وفى سنة ست وثمانمائة (هـ) توقف النيل فانتهى فى ثالث أيام النسئ إلى اثنين وعشرين إصبعا من الذراع السادس عشر ثم نقص ولم يوف فخرج القضاة والعلماء إلى الجامع الأزهر ودعوا وتضرعوا وكسر أول توت وقد بقى من الوفاء أربعة أصابع ووقع الغلاء.

وفى أول سنة سبع وثمانمائة احترق النيل احتراقًا غير ما يعهد مثله حتى صار الناس يخوضون من بر القاهرة إلى بر الجيزة وجاء القاع ذراعًا واحدًا وعشرة أصابع.

وفى سنة اثنتى عشرة (وثمانمائة هـ) قال المقريزى: من النوادر أوفى النيل وفتح الخليج فى أول يوم من مسرى وبلغ من الزيادة ما يقارب اثنين وعشرين ذراعًا وثبت إلى نصف هاتور.

وفى سنة ثلاث وعشرين (وثمانمائة هـ) توقف النيل عن الزيادة وتمادى على ذلك أيامًا، ونودى فى الناس بصيام ثلاثة أيام فصاموا، وخرج الناس للإستسقاء للصحراء بالقرب من قبة النصر، فصلى بهم قاضى القضاة جلال الدين البلقينى وخطب، وحضر السلطان المؤيد راكبًا على فرس بمفرده، وقد تزيا بزى أهل التصوف فاعتم بمئزر صوف لطيف ولبس ثوب صوف أبيض، وعلى عنقه شملة صوف مرخاة، وجلس على الأرض من غير بساط ولا سجادة، وباشر فى سجوده التراب بجبهته وبكى وانتحب.

قال المقريزى: وفى مشاهدة جبار الأرض[1] على ما وصفت ما تخشع منه القلوب وترجى رحمة جبار السماء.

قلت: أشار المقريزى بذلك إلى ما ورد فى الأثر إذا ذل جبار الأرض رحم جبار السماء، وقد سمعت شيخنا قاضى القضاة علم الدين البلقينى يحكى هذا المجلس ويذكر أن أخاه قاضى القضاة جلال الدين قال للمؤيد لما رآه فى تلك الحالة: بتواضعك ترحم، ونقلت من خط شيخنا المذكور. قال: نقلت من خط شيخنا الأخ جلال الدين ما نصه: «الحمد لله اللهم صلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم لما كان يوم الجمعة ثالث عشرى جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة حضرنا مجلس السلطان الملك

---

(١) السماء فى الأصل.

المؤيد نصره الله تعالى لما توقف النيل عن الزيادة فى أوانها سبعة أيام ورسم بإشهار النداء بالصوم ثلاثة أيام والخروج فى الرابع، فلما كان يوم السبت رابع عشرى جمادى الآخرة نودى بزيادة إصبع، وفى يوم الأحد بزيادة إصبعين، فبرز مرسومه على لسان الشيخ تقى الدين بن حجة الحنفى بالخروج يوم الاثنين للصلاة شكرا، وقد قال أصحابنا لو تأهبوا للخروج للصلاة فسقوا قبلها خرجوا للشكر والدعاء ويصلون على الصحيح وأجرى الوجهان فيما إذا لم تنقطع المياه وأرادوا أن يصلوا للاستزادة والأصح الاستحباب فحينئذ هذا الخروج مشتمل على طلب الزيادة والشكر، وقد قال الأصحاب أن خطبة الاستسقاء يبدل فيها التكبير بالاستغفار، ووجدنا النص فى الأم يقتضى إنه يكبر فيها كالعيد فجمعنا فى هذه الخطبة بين الأمرين.

الخطبة الأولى

استغفر الله استغفر الله استغفر الله استغفر الله

استغفر الله استغفر الله استغفر الله العظيم الذى لا إله هو الحى القيوم وأتوب اليه الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ويذكر خطبة العيد التى فى الحمدلات بكمالها ثم يقال: أيها الناس استغفروا ربكم إنه كانا غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارًا، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا، إلى قوله سبلا فجاجا.

فبالله عليكم اشكروا نعمة الله عليكم وأحسنوا كما أحسن الله عليكم واذكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون، واقصدوا باب الكريم فكل الخلق له يقصدون، ولا تقابلوا النعم بالعصيان، وتوبوا إلى ربكم واسألوه الغفران، وقد وعدكم مولاكم على شكر الزيادة من فضله الوافر الكامل البسيط المديد، وأوعد على مخالفة ذلك بالعقوبة وهو الغنى الحميد، فقال تعالى: «وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابى لشديد» واعلموا إن النعم وحشية فبالشكر قيدوها، والنفوس نافرة فبالصبر عودوها، وأثواب التوبة قد خلقت، فبالاستغفار جددوها، وأبواب المعاصى قد فتحت فبالطاعة أوصدوها، ومفاتيح الجنان قد تشعثت فبالإصلاح أرفدوها، ونعم ربكم عليكم كثيرة فعلى أنفسكم عددوها عدد الأنفاس فى اليوم والليلة أربعة وعشرون ألفا، وبكل نفس

نعمتان ومن يقوم بشكر ذلك حقا صرفا، وفى الجسد ثلاثمائة وستون مفصلا ومثلها من العظام، وفى كل واحد منها مالا يحصى من النعم الجسام، وفى استدارة الرغيف ثلاثمائة وستون نعمة فى السموات والأرض وما بينهما من الأعراض والأجسام، من الأملاك والغلال والرياح والمعادن ومن يطيق على ذلك الشكر التام، ويخصكم جريان النيل الذى يجئ فى أيام مألوفة، وينقضى فى أيام معروفة، وفى ذلك مالا يحصى من الطول والإنعام، ونعمة الإيمان والعلم والنفس أعظم الإكرام، فاشكروا مولاكم أعظم الإيمان، فاشكروا مولاكم وأعلموا إن الشكر نعمة جديدة، فمن شكر فقد استوجب بوعده الصادق مزيده، والصلوات الخمس فحافظوا عليها فهى النور والنجاة والبرهان يوم القيامة، وتاركها له الخيبة والحسرة والندامة، والزكاة فلا تكونوا لها من المانعين، فتكونوا من الخاسرين، ولم يمنع قوم الزكاة إلا منعوا القطر من السماء، وذلك هو البلاء المبين، وقد نهاكم مولاكم عن أمور فاجتنبوها، الدماء فاحذروها، وإياكم وقتل النفس المحرمة فإنه من الأمور الخطيرة العظيمة، قال تعالى «ومن يقتل مؤمنا متعمداً فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيمًا»، وفى الحديث «من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله» ومن الأمور التى جاءت الشريعة بأنها من الكبائر فلا تقربوها الخمر أم الخبائث فلا تشربوها، فقد أخطأ شاربها نجاحا، وحصل آثاما وترك فلاحا، وقد جاء فى الحديث «من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحًا»، وفى الحديث الحسن «مدمن الخمر كعابد وثن»، ولا تنقصوا المكيال والميزان فلم ينقص قوم المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين ولا تنقضوا عهد الله ورسوله فما نقض قوم العهد إلا سلطت عليهم الأعداء بالتمكين وأكثروا من الاستغفار أناء الليل وأطراف النهار، وسيد الاستغفار اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء بنعمتك على، وأبوء بذنبى، فاغفر لى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

إن أحسن ما تلاه التالون وعمل به العاملون كلام من يقول للشئ كن فيكون، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون، آمركم عباد الله وإياى بالطاعة والتوبة والطاعة والتقوى جهد الاستطاعة فذلك ملاك الأمور، وعليه جميع مصالح الدارين تدور، واستغفر الله العظيم لى ولكم ولسائر المؤمنين إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

يستغفر الله ويكبر كالأولى ثم الحمد لله الذى تطول، وأنعم وأحسن وتفضل وتكرم، أحمده حمداً لائقًا بجلال حضرة قدسه، وأشكره ولا أحصى ثناءاً عليه هو كما أثنى على نفسه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنفع قائلها فى دنياه وآخرته ورمسه، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالرحمة لكافة الخلق من جنه وإنسه، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وشرف وكرم.

أيها الناس، أكثروا من الاستغفار والتضرع لمولاكم فهو الرحيم الغفار واسألوه من فضله الزيادة وأقبلوا بقلوبكم على الطاعة والعبادة، ثم يحول وجهه إلى القبلة ويقول: اللهم فارج الهم، كاشف الغم، مجيب دعوة المضطرين، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمها أنت ترحمنا فارحمنا رحمة من عندك تغننا بها عن رحمة من سواك، اللهم بقدرتك اجر نيلنا وبلغ به المنافع، وعم به جميع الأراضى والمزراع، اللهم وفر من الجنة مزاجه، وأكثر به البركة وادفع به الحاجة، اللهم أنزل علينا من بركات السماء وانبت لنا من بركات الأرض، اللهم انبت لنا الزرع، وأدركنا الضرع، اللهم بالعباد والبلاد من الاحتياج إليه مالا يعلمه إلا أنت، اللهم ارحم ضعفنا وقلة حيلتنا وعجزنا، ولا تؤاخذنا بما جنته أيدينا، اللهم قد دعوناك كما أمرتنا فاستجب لنا كما وعدتنا.

ثم يلتفت إلى الناس ويقول أيها الناس أوصيكم عباد الله وإياى بتقوى الله وطاعته إلى آخر الميعاد، ثم يقول: ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ـ الآية، رب اغفر لى ولوالدى ولمن دخل بيتى ـ الآية ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا فى أمرنا ـ الآية اللهم إنا ظلمنا انفسنا ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب، إلا انت فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا إنك انت الغفور الرحيم. استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا الله هو الحى القيوم وأتوب إليه.

قال المقريزى: فنودى من الغد على النيل بزيادة اثنى عشر إصبعا بعدما رد النقص وهو قريب من سبعة وعشرين إصبعا فتباشر الناس باستجابة دعائهم ورجوا رحمة الله تعإلى ثم استمر فى الزيادة إلى أن أوفى وبلغ ثمانية عشر ذراعا وثلاثة أصابع.

وفى سنة خمس وعشرين (وثمانمائة هـ) أوفى النيل فى تاسع عشرى أبيب وتغنت العامة: النيل أوفى فى أبيب خش يا حبيب، وفى هذه السنة نودى عليه فى يوم بزيادة خمسين إصبعا فكثر وتعجب الناس لذلك ثم ازدادوا تعجبا لوفائه قبل مسرى وانتهى إلى إصبع من أحد وعشرين ذراعا.

وفى سنة ست وعشرين (وثمانمائة) جاء القاع ثمانى أذرع وعشرة أصابع. قال المقريزى. وهذا مما يندر مثله.

وفى سنة ثلاثين (وثمانمائة هـ) انتهت زيادة النيل إلى سبعة عشر ذراعا وإصبعين فهبط بسرعة فكثر شراقى الأرض.

وفى سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة وجد بالنيل كثير من السمك والتماسيح حتى طفت على وجه الماء ميتة، وصيدت سمكة فإذا هى كأنما صبغت بدم من شدة حمرتها، وكان ذلك عام الطاعون الكبير.

وفى سنة أربع وثلاثين وثمانمائة (هـ) أوفى النيل فى تاسع عشرى أبيب. قال المقريزى: وهو من النوادر وقد أدركنا ذلك وقع مرتين.

وفى سنة سبع وثلاثين وثمانمائة (هـ) أوفى النيل مرتين فى العام فإنه أوفى أوله فى ثانى المحرم الموافق لسادس عشرى مسرى وأوفى فى آخره فى رابع عشرى ذى الحجة الموافق لسابع مسرى. قال المقريزى: وهى نادرة قال: أذكر إنى أدركت مثل ذلك.

وفى سنة ثمانى وثلاثين وثمانمائة زاد النيل قبل أوانه فما جاء وقت الزيادة حتى زاد أربعة أذرع وجاء القاع أحد عشر ذراعا وهذا مما يندر وقوعه ولم ندرك مثله وانتهت زيادته إلى عشرين ذراعا وعشرين إصبعا.

وفى سنة ثلاث وأربعين وثمانمائة (هـ) نودى على النيل فى أول مسرى بزيادة خمسين إصبعا وأوفى سادس مسرى وانتهت زيادته إلى عشرين ذراعا وعشرة أصابع.

وفى سنة أربع وأربعين وثمانمائة (هـ) أوفى فى رابع مسرى وانتهت زيادته إلى أحد وعشرين إصبعا من أحد وعشرين ذراعا.

وفى سنة أربع وخمسين وثمانمائة (هـ) لم يوف النيل وقد كسر الخليج وقد بقى عليه من الوفاء إصبع فهبط وشرقت الأراضى ووقع الغلاء وقال الأديب شمس الدين النواجى فى ذلك.

بمسرى النيل ما أوفى فضجوا ∴ ودب القحط فينا من أبيب
ولم أضرع لمخلوق لأنى ∴ رأيت الله ألطف من أبى بى

وقال أيضا :

وقـالوا الـنيل مـا أوفى بمسـرى ∴ ولا الـناروز جـاء ولا الصليب
وشـهـر أبيب مـا وافى بُرحـمى ∴ فـقلت الله أرحم من أبى بى

وقال أيضا :

وفالق النيل[1] قالوا وهى النيل عن قواه ∴ فـمـا استطاع يوفى لعظم مـا نابه
عـسـاه فى بـابـه يصب لنا ∴ فـقـلت ذا النيـل مـا لـه بابـه

وقال الشهاب الحجازى :

فـمـذ بادروا بفـتح سـد ∴ قـبل الوفـا كُـسـرنـا
وأبـصـر الناس كـسـرا ∴ من ذاك حِـسًّـا ومـعنى

وقال النواجى :

لرب العُلا نشكو أذى القحط والغَلاَ ∴ وما مـسَّنا فيـه من الضُـرِّ والـبلا
ونسـأله فى البأس واليأس والرجـا ∴ رخـا[2] فـقـد متنا وعـاجلنا البلا
غـلا أرخص الأرواح لما تَـسَعَّرت ∴ بمور ضرام فى صـميم الحشا غـلا
ودارت رحـاءُ الجدب فى كل بلدة ∴ وما تركت لـلخصب فى مصر منزلا
فـلا برّ يُرجى منه بـرٌّ ببـرة ∴ ولا بحـر ريّ طاب عـذبًا مسلسلا
ولا عين أرض قد بكت فـتفـجرت ∴ علينا ولا دمعٌ من الـغـيث أهـمـلا
ولم يتـخلّق بالوفـا نيلُ مـصـرنا ∴ ولا ذيلَ سـتـر بالهنـا راح مـسـبلا
ومذ غاض مقيـاس المنى ضاق عيشنا ∴ وأمـحل ربعُ الأنس والصبـرُ ماحـلا
به الأغنيـا يشكون فـقـرًا وفـاقـةً ∴ فكيف بمن أمسى مُعيلاً ومُعولا
حنانا حنانا يـا مغيث الورى فـقـد ∴ يئسنا وكل الخلـق أصبح مـبـتلَى
فـمـا مُـملقٌ إلا إلى بابك إلتـجـا ∴ ولا مـعـدمٌ إلا عليك توكـلا
وسقـيًا ورعيًا للمواشى فـقد بدت ∴ كلاهما وكل السيرُ فى طلب الكلا[3]

(١) وخالق النيل مثبتة من جـ.
(٢) رجا فى جـ، هـ.
(٣) الكلا = الحلى فى أ، و.

وإن تاه قومٌ بالغلا وترفعوا ∴ علينا ومالوا للقطيعة والقلى
فوالله لا نرجو سواك ولا نرى ∴ [1]لهم أبدا فضلا علينا ولا ولا
إليك توسلنا بجاه نبينا ∴ فما خاب من أمسى به متوسلا

وقال ايضا فى سنة خمس وخمسين وثمانمائة وقد من الله بوفاء النيل:

الحمد لله وافى نيلنا ووفى ∴ وبلّ غُلّةَ قلب كان قد نشفا
وعاد ماء حياة الزرع منهمرا ∴ إلى مجاري فياضًا بها كَلِفَا
نَعَمْ جَرى الماءُ فى عُودِ الحياةِ ودَبَّ ∴ البَرءُ فى السقم ممزوجا بكل شَفَا
من الجنان هما ينبوع كوثره ∴ يا طيب عنصره ريًّا ومُرْتَشَفَا
جَرى على أجملِ العادات منبسطًا ∴ ولا توقف يومًا لا ولا وقفا
كأنه ملك وافى لينظر فى ∴ أمر الرعية إن ضرا رأى كشفا
حاكت لجوشنه كف الصبا زردًا ∴ بجيش موجٍ علي جيش الغلا زحفا
طاف البلاد وجاب الأرض مقتفيًا ∴ آثاره يتلافى منه ما تلفا
كأنما يتحرى فى تعهده ∴ مواقع السَّقْيِ أنَّى سار أو عكفا

وفى سنة سبع وستين وثمانمائة (هـ) توقف النيل أياما عن الزيادة ثم زاد وكان صادف ولاية قاضى حنفى جديد فقال صاحبنا الشهاب المنصورى فى ذلك:

كم مُنية مِنْ صعيدِ الأرضِ يَمَّمَها
بالمسح مِن وجهها القبلى ما انكشفا
باهى بها الفلكُ فى أسنَى مطالعها
جواريًا ذاتَ ألواحٍ تَلَت صُحُفَا
وبحرُ يوسف أبدى حسنَ منظرِه
بالصبِّ فى ألف يومٍ قد صفا وصفا
ومنذ أهدى بحلوان حلاوته
راقت ببالِ مشوقٍ للقَّا دَنِفَا

(١) فى بعض النسخ كلمة يوما قبل لهم.

مــا شــابَ مــفــرقُــهُ الميــمــونُ من هرمٍ
ولا أبو الـهــول منه قـلبــهُ رَجَــفــا
بل جـاء ركـضًـا وسيمَ الـوجـهِ يسبحُ في
تـيــارِه وعـلـى التـكـرورِ كم رأفــا
قــد زِيدَ في حــرثه فــانســاب منطلقًــا
فَــدَانُه وسَــقَى مــاء الحــيــا وشــفى
وافَى بمـفـــرده من قـــوص مُنحـــدرًا
في كلّة وبأرزاق الـورى قـــذفــا
مخلقـا لعـمـود الصـبح قـد ضَرّب[1] الـ
ـفـسطاط حين رأى المقـيـاسَ وانعطفـا
دقت بشـائره في مـصـر وانتـشـرت
راياتـه بقـلـوعٍ آذنت بِـوفــا
وافـى يُشـارُ إليــه بـالأصــابع بـل
بفـيـض فـضلِ أياد عـهــدُها سلفـا
أرخى على الـناس سِتْرَ العـدل فانتـشروا
في روضـة من شـذاهـا أصـبـحت أنُفُـاً
صـيـغت خـلاخيـلُ للأشـجـار منه ومن
قـلائد الطـلع حَلّى جـيـدَها تُحَـفـا
واسـتـوحشَ النبتُ حـتى الأرضَ في حُلل
تُجلى ومن قَـرطه قـد ألبـست شنَفَـا
تحكي السـمـاءَ وتحكيـه حُليٌ وعُـليَ
والنجـمـا وبروجًـا كـم حَـوَت شـرفـا
كـلاهمـا جَـرَتِ الأفـلاك فـيـه وقـد
حـفـت بحـافـتـه الأمـلاكُ فـائتلفـا
كـأنمـا هـو مـــرآة لـهـــا جليت
بالصـقل أو هي مـرآةٌ صَـفَـت وصَـفَـا

---

(۱) ضرب = ضرر في ب.

سقيا لديه ورعياكم أمد قرى
منصورة بجنود للندا حُلَفَا

من كل فارس خيل نال منزلة
يهدى لفارس كور بحرها طرفا

علي بساط الربى بانت محلته
وثغر دمياط من أرياقه رشفا

كأن حمرة لون منه قد صبغت
بفوه أو دم للمحل قد نزفا

حدث عن البحر يا هذا ولا عجب
يعمر الأرض إذ يستهدم الجرفا

في مصر شمتا[1] بلاد الري عامرة
وباسمه جبل الريان قد هتفا

واروا الغربين عنه في زيادته
والنقص مختلفا منها وهو مؤتلفا

إذا زاد غاضت مياه الأرض قاطبة
أو غاض زادت وكل[2] قدره عرفا

وكم تكدر يوما في زيادته
فراق عيش البرايا عنده وصفا

قد رق طبعا فما أحلى زوائده
في الذوق لو مر في قلب الصفا لطفا

وكم تملق حتى خاض واردهم
فيه وقابل منه رقة بجفا

فما ابنُ ماءِ سماء وابن زائدة
وقاتلُ المحلِ جوداً أو أبو دلفا

---

(١) شمتا = سمتا فى أ، هـ.

(٢) وكل = وقد فى أ، د.

إلا كـــقـطرة مـــاء منه قـــد قَطَرْت
بل كـلهم من نـدى راحـــاته اغـــتــرفـــا
لو لـم يكن فى سُــراه من أقـــاصى أســـ
ـــوان وقـــوص إلى أن عـــاد وانصـــرفـــا
إلا لـيـــــــروى آثـار الـنـبـى ومن
روى الورى بـغـــوادى كَـــفِّـــه لكَـفَى
مـحـــمـــد صـــاحب الحـــوضِ الروىِّ إذا
مـــا جـاءه الواردُ الـظمـــآن ملتـــهـفـــا
من نـال منه شـــرابًا فى الـقـــيـــامـــة لم
يظمـــأ وصـــادف ريّـا فـيـــه كلُّ شِـفَـــا
مِنْ نـيل منـهلـه كم راح مـــغـــتــرفًـــا
ظامٍ وبـالفـضـل منه جـــاء مـــعـــتــرفـــا
أغـــاثـنا بـعـــد كـــســـرٍ نالـنا فـــرفـــا
بالجـــبـــر مـــا ارتـكب الخـزان واقـــتـرفـــا
وجـــادنا مـنه غـــيـــث صـــيـب غـــدق
وزاد وكـــفـــا فـــقلنا حـــسـبنا وكـــفى
يا مُنْزِلَ الغـيـث فـضـــلاً بـعـــدمـــا قـنطوا
وناشـــرَ الرحـــمـــة العظمى بـحـــسن وفـــا
ارفع بـحـــقك عن مـــصـــر الـغـــلا وقـنا
صـــعـــيـــد نار بهـــا ربعُ الرخـــاء عـــفـــا
لبـــيـك لبـــيـك داركنا بمغـــفـــرة
وجـــد حنانيك وارحم أمـــة ضـــعـــفـــا
وصَـلِّ أزكى صـــــلاة والســـــلام على
نبـــيك المصـطفى الـراقى الذُّرا شـــرفـــا
مـا انهلَّ فـى الجـدب غيثٌ قـد طغـى فـجنى
أيانـعَ الزهرِ كـف الخـصـبِ واقـــتـطفـــا

وفى سنة سبع وستين وثمانمائة (هـ) توقف النيل أياما عن الزيادة ثم زاد وكان صادف ولاية قاضى حنفى جديد فقال صاحبنا الشهاب المنصورى فى ذلك :

بقاضى القضاه استبشرت مصر وانتضت
على المحل ماضى نيلها المتتابع
ومد قيل من أولى بمرتبة القضاء
على مذهب النعمان من كل بارع
أشار إليها بالأيادى مليكها
وأومى إلينا نيلها بالأصابع

وقال أيضا :

وبحرين جاراهما نيلنا ∴ وقاضى القضاة بنفع البلاد
لهذا أصابع مخصوصة ∴ وذا عمت الناس منه الأيادى

وفى سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة (هـ) أوفى النيل فى تاسع عشرى أبيب .

وفى سنة تسع وثمانين وثمانمائة (هـ) انتهت زيادته إلى اثنين وعشرين إصبعا من ثمانية عشر ذراعا وهبط بسرعة فى أواخر مسرى فكان مبدأ الغلا .

وفى سنة تسعين وثمانمائة (هـ) انتهت زيادته إلى سبعة عشر ذراعا فاشتد الغلاء .

وفى سنة ثلاث وتسعين وثمانمائة (هـ) زاد قبل أوان زيادته نحو ذراعين وجاء القاع ثمانية أذرع وعشرين إصبعا .

وفى سنة أربع وتسعين وثمانمائة (هـ) أوفى النيل فى آخر يوم من شعبان وكسر أول يوم من رمضان ووافق سادس مسرى .

وفى سنة خمس وتسعين وثمانمائة (هـ) نودى عليه فى ثالث مسرى بثلاث وثلاثين إصبعا وذلك من النوادر ثم أوفى فى رابع مسرى الموافق لعاشر رمضان .

وفى سنة ست وتسعين وثمانمائة (هـ) أوفى يوم عيد الفطر وكسر ثانى يوم شوال فتوالى يومان عيد وقد قلت فى هذا الوفاء .

يوم عيد الفطر وافا ∴ بهناء وسعادة
ختم الصوم وأوفى ∴ النيل فى أحسن عادة
يا له من يوم عيد ∴ فيه حسنى وزيادة

وفي سنة سبع وتسعين وثمانمائة (هـ) أوفى في منتصف مسرى وزاد إلى أن بلغ سبعة عشر إصبعا من ثمانية عشر ذراعا في ثاني عشرى مسرى ثم وقف عن الزيادة أياما وأخذ في النقص فهاج الناس وارتفع السعر ودام التوقف سبعة عشر يوما ونقص[1] فيها سبعة عشر إصبعا ثم من الله تعالى بالزيادة وفرج. وعملت في ذلك المقامة البحرية وهي هذه.

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد. لما كان سنة سبع وتسعين وثمانمائة (هـ) أوفى النيل في منتصف مسرى، وسارت به في البلاد رسائل البشرى، وأرسلت منة نعم الله على العباد تترى، ورأوا فيه من آياته الكبرى. وحمدوه وإن كانوا عاجزين عن القيام بحقه شكرا، وما زال بحره البسيط المديد، يروى عن ثابت ويزيد، إلى أن زاد من الذراع الثامن عشر سبعة عشر إصبعا، وذلك إلى الثاني والعشرين من مسرى الموافق ليوم الأربعاء، والناس من شأنه في أمان، ومن رخاء السعر في اطمئنان، قد انحلت عرى الأسعار، وتناشدت في ذلك الأدباء للأشعار، وذهب العار والشنار[2]، وصار القمح كل ثلاثة أرادب بدينار، فوقف مد النيل عن الامتداد، وبدأ فيه النقص بعد الازدياد، فانتظر الناس أوبته، وترقبوا منه أن يوفي من الزيادة نوبته، فاستمر على الوقوف، وانكشف لنقصه السواحل والجروف، وانكسف بدره الطالع بما رقم[3] موجه على الأرض من الجروف، وتمثل أرباب الأراضي والمزارع، وأصحاب المراعي والمراتع والمرابع.

وأصبحت من ليلى الغداة كقابض
على الماء خانته فروج الأصابع

لا تفتح ترعة لجرى الماء منها إلا وقف، ولا يجسر بجسر ليسقي الأكف وما وكف بكف، وسكت المنادي بزيادته الفا، ونطق خلفا، وصارت الروضة النضرة بعد تلك

---

(١) ونقص = ووقف.
(٢) الشرار في أ، و.
(٣) بما في ب، د.

الخضرة موردة الحلفا، وصب اليأس، على أهل المقياس، وصارت دار النحاس أنحس دار، وجرت الأقدار على أهل مصر بالأكدار، وقيل يا أرض إبلعى ماءك ويا سماء أقلعى، ويا زيادة النيل من حيث جئت فارجعى، وغيض الماء، وانقشعت السماء، وقضى الأمر، واستوت القلوب على أحر من الجمر، فحينئذ ماج الناس موجا، وارتقى سعر القمح وغيره من الحبوب أوجا، وازدحمت حلقة البطالين بأقوام وطارت نفوسهم جزعا وأصبحوا[1] فى أمرهم حيارى، وانهمك علي شراء القمح المسلمون واليهود والنصارى، وترى الناس سكارى وماهم بسكارى، كأنما قامت عليهم القيامة، أو سقطت عليهم الغمامة، وكل من ورد البحر وصدر يقول فى الشوارع يا لله السلامة، وعاد بعض الناس على بعض بالملامة، وعضّ المتأخر عن شراء القوت على يديه من الندامة، وأنشد لسان الحال فى المقامة

وربما فات قوما جل أمرهم ∴ من التأنى وكان الحزم لو عجلوا

وتذكر الناس ما يحكى عن الإمامين، وذلك إن مالكا أوصى الشافعى إذا سكن مصر بادخار قوت عامين، ونسوا ما تقدم فى هذا العام من هول الطاعون، وذهلوا عما رآه لهم الواعون، وذلك لما عندهم من حرارة الغلاء المتقدم من أمم، وما قاسوه فيه من الشدائد وما بالعهد من قدم، فخشوا عود مثل ذلك، وهابوا حلول تلك المهالك، وكاد أن يجف الخليج، وصار الناس فى أمر مريج، وقالوا قد شرقت البلاد، وغربت العباد، وشرقت الصدور حين شرقت، وأظلمت الأبصار والبصائر وما اشرقت، وتوهج فى قلوب الناس الحريق، وكبروا ولا ينكر التكبير أيام التشريق، وألقى فى نفوسهم الرهب والرعب واشربوا فى قلوبهم من الحب الحب، وخلا البر من البر، وصار أعز فى الوجود من الدر، ووزنه الوزان، وخزنه الخزان، وتوقدت الأحزان، وقالوا هذه أيام التشريق لكن بغير عيد، وهذا السعر هو الطالع لكنه غير سعيد، وجاعت الأنفس بعد أن كانت شبعى، وأصبح كل فى شراء القوت كأنه حية تسعى، وبذلوا فيه الذهب والمرجان، وتدكدك عليهم من الزحمة أمم كأنهم جان، وباع من لم يجد نقده، لشرائه أعز ما عنده، وقال المقرىء : ما هذا التعسير بعد التيسير، ومالنا عدنا نروى عن قل بن قل بعد ما كنا نروى عن بن كثير، ما هذا إلا أمر مهم، وخطب ملم، ولا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم.

---

(١) وأصبحوا = وأصبحت الناس فى ب، د.

وقال المحدث: هذا خبر معضل، عوقب به من ضل، أجزعتهم مما سيق إليكم، إنما هى أعمالكم ترد عليكم.

وقال الفقيه: قد شرقت كل نجوه، وضاقت كل فجوه، وهذا زمن تأسيس مد قمح لا قاعدة مد عجوه. وقال الفرضى: قد تكدرت المهاياه، وتنكرت المعاياه، ووقع العول، ونقص الطول، وكثر القول، وقل النول، وعظم الهول فلا حول.

وقال الأصولى: قد ضاق النطاق، وجاء تكليف مالا يطاق، وقال الجدلى: هذا البيع فى الصورة مصابره، وفى المعنى مصادره، وقال الصوفى: لو اتقيتم الله لانزاح عنكم الضير، ولو إنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، وأصبح النحوى يلتقط الحب كأنه ابن عصفور، ويقول السعر ممدود والمال مقصور، وأنا وكتبى للبيع جار ومجرور، قد كسر باب الإنافة، ورفع باب الإضافة، لقد لقيت أمرا إمرا، وضرب زيد عمرا.

وقال التصريفى: قد ساءت الأحوال واختلت، ونقصت الأفعال واعتلت، وزاد الغم، وفك المدغم، ووقعنا فى تعسير، وصار جمعنا جمع تكسير، وقال اللغوى: رب عجلة تهب ريثا، ورب غيث لم يكن غيثا، ولا يدرى من بسط له حال من عليه قدر، ويحسب الممطور إن كلا مطر.

وقال المعنوى: ترى هل نرى للأرض من حقل، ويقول المؤمن: أنبت الربيع البقل، وتمتد من خيام الملق الإطناب، ويوفى الكيل من الزرع بالمساواة والاطناب.

وقال البيانى: ترى هل تظفر الجسور بالأحراز، ويكون للماء إلى حقيقة المزارع مجاز، وقال البديعى: هذه براعة استهلال، تؤذن بالإقلال، وتشعر بوضع الأغلال، على مخازن الغلال، وقال العروضى: هذه الفاصلة الكبرى، والدائرة التى دارت على الأنام تترى. وقال الشاعر العربى:

عسى الكرب الذى أمسيت فيه ∴ يكون وراءه فرج قريب

وقال الشاعر المولد:

نيروز مصر بلا إكتفاء ∴ يعد صفعا[1] بغير ماء

---

(١) ضعفا فى أ، د، هـ.
والأصل هو الصفع لأن عيد النيروز كان يصفع الناس فيه بعضهم بعضا ويرشون بعضهم البعض بالماء.

وقال الكاتب: قد رقت الحواشى، وضعفت المواشى، والأمر محقق متلاشى، وما تنفع الطوامير، إن لم يكن معها مطامير. وقال الطبيب: هذه أيام بحران يخشى منها الهلاك إن لم يلتق البحران، وإن لم تنضج مادة الزيادة لم يحصل الشفا، وما لم يبلغ الماء القانون المعتاد فالناس على شفا.

وقال المنطقى: هذه قضايا مختلطات، ورزايا غير منضبطات، ما هذه إلا بلية، قد أصبح البر من البر سالبة كلية.

وقال الموسيقى: قد خف الجواز، وحجز بين الماء والصعيد حجاز.

وقال الميقاتى: قد جفت المقنطرات، وانشفت المقطرات، ونفد ما فى الجيب، والمرجو ما فى الغيب، وصرنا كالمثل السائر شهرة فى العالم ومثلة، وإن دار هذا الغلاء الدائر لم تبق معه فضلة. وقال المؤذن: يا قوم ما هذا التبريح، ونحن طائفة نعيش بالتسبيح، ودام التوقف سبعة عشر يوما تبعا، ونقص فيها سبعة عشر إصبعا، فبينما الناس فى اليأس. مترقبين حلول البأساء والبأس. لم يفجأهم إلا أهلة النعمة وقد أهلت، وسحب الرحمة وقد انهلت، ومن بزيادة البحر البر الرحيم، ونادى المنادى زاد النيل المبارك ثلاثة أصابع من عند الكريم، فانشرحت الصدور، وأيقنت بالخيور والحبور، وتبدلت الشرور بالسرور، وتباشر الخلق بالرخاء، وسمحت الأنفس بالسخاء، وفاح عرف الزيادة بالأرج. وقال لسان الحال لأمير المقياس حدث عن البحر ولا حرج.

وقال المقرئ: قد بلغنا الأمنية من النيل وهو حرز الأمانى، وهنئنا بتوجهه للزيادة وذلك وجه التهانى، وصرنا نروى حديث البحر والبلاد والمزارع. عن ابن كثير وابن عامر ونافع، وظهر مصداق ما نتلوه ذكرا، فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا.

وقال المحدث: اشكروا الله على بلائكم، وإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم. قد زال الرين، وصح ما روى لن يغلب عسر يسرين، فقيدوا هذه النعمة بسلسلة الطاعة، وصلوا لمن بتقوى الله تأمنوا انقطاعه،

فقال الفقيه: قد جاوز الماء قلتين، وتلاطمت أمواج الحرتين، وتيمم الماء الصعيد الطيب، وصاب على الشرق والغرب منه صيب.

وقال الفرضى: قد صلح الرد، وصح العد، وقاسم الجد، وصارت الأنصباء مستغرقة، وقسم الماء على الفروض طبقة طبقة. وقال الأصولى: هذا العام المراد به

الخصوص، وهذا الظاهر القاضى على النصوص، وقال الجدلى: الآن انفرج المناط، وأغنى هذا الوارد عن الاستنباط، وقال الصوفى: من انقطع إلى الله آواه. ومن توكل عليه كان حسبه وكفاه، وضم النحوى إليه كتبه، وقال استوى الماء والخشبة، قد زال الهم والغم، وصار البر الكر قفيز بدرهم، وسئل أشعيراً تريد أم براً، فقال كليهما وتمرا، وقال التصريفى: قد زال الرك، وطاح الشك، وقوى الفك، وزاد المد، وخف الشد، وحسن الرد، وقال اللغوى: هذا المقبل المبقل، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل، قد بان البيان، والتقى الثريان، ورويت الربى، وبلغ الماء الزبى، وكمن الغيث على العرفجة، وأيقنا بكل ألوان بهجة. ودعه يعبث ولا تبل، فالغيث يصلح ما خبل، وقال المعنوى: ما أحسن هذا الإسناد، المقصور علينا قصر إفراد، وقال البيانى: ما أحسن هذا الإمداد، المؤذن بكثرة الرماد، فليثن به المثنى، وفى التلويح ما يعنى، وقال البديعى: قد زال الإبهام والإيهام، وحسن التوشيح والإستخدام، فالحمد لله على حسن الختام. وقال العروضى: قد زحف المديد الوافر، وجرت السفن حيث يقرع الحافر، وقصر الطويل، وسكن العويل والزويل، وحصل اللطف المتدارك، فجل الله وتبارك. وقال الشاعر العربى:

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما ∴ يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وقال الشاعر المولد:

زادت أصابع نيلنا ∴ وطمت فأكمدت الأعادى[1]
وزتت بكل مسرة ∴ ماذى أصابع ذى أيادى

وقال الكاتب: قد شربت البقاع، وسيرت الرقاع، وأيقن بالرى كل قاع، ونسخ غلاء القمح والشعير، وانحط السعر نحو الثلث والثلث كثير، وقال الطبيب: قد صلح النبض، وحصل البسط بعد القبض، وقال المنطقى: قد وضح الجد، وصح الرسم والحد، وقال الموسيقى: قد صرنا فى عراق، وصفى الوقت وراق، وقال الميقاتى: قد خلا ربع المصيطرات، وامتلأ ربع المقنطرات، وقال المؤذن: سبحان خلاق الإصباح، وما حق ذاك الديجور بهذا الصباح، ونادى فى الناس حى على الفلاح، وأعلن بالصلاة على النبى والسلام، واقتضى نداء كل خطيب وإمام، وابتهل سائر الخلق بالدعا، ودعوا

(١) وطمت فأكمدت الأعادى = وطغت وطافت فى البلاد فى هـ، و.

ربهم تضرعا، وقالوا اللهم قنا العيث، واسقنا الغيث، وانبت لنا الزرع، وأدر لنا الضرع، وأنزل لنا من بركات السماء وأخرج لنا من بركات الأرض، وابسط لنا من خزائن رحمتك ما يزول به القبض، وتلا لسان الحال على المؤمنين «ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها وادعوه خوفا وطمعا إن رحمة الله قريب من المحسنين».

قال الحافظ أبو الفضل ابن حجر فى إنباء الغمر: اشتهر بين الناس إن الذى يريد أن يعرف مقدار نيل السنة ينظر فى أول يوم من مسرى إلى منتهى الزيادة فيزيد عليه ثمانية أذرع حتى سمعت الإمام عز الدين بن جماعة يحكى ذلك عن أبيه عن جده وأن قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة كان يعتمد ذلك ويدعى إنه لا يخطىء قال فاتفق أنه أخطأ فى سنة ستة عشر ذراعا، فلو زيد ثمانية لبلغ أربعة وعشرين ولم يقع ذلك.

وفى سنة اثنتين وعشرين وثمانمائة (هـ) فإنه كان فى أول يوم من مسرى بلغ ثمانية أذرع وثلاثة عشر إصبعا وقد انتهى فى هذه السنة إلى ثمانية عشر ذراعا وثلاثة أصابع.

وقال المقريزى فى السلوك: من أقوالهم إذا لم يف النيل فى مسرى فانتظره فى السنة الأخرى.

• لغز فى النيل •

لأبكر بن العجمى: سألتك - أعزك الله - عن سائل لا حظ له فى الصدقة، وإن لم يكن متصل النسب بالأشراف. كثير الرجفان من غير أن يخاف. كم رد سائله نهراً، وعفر وجه قاصده بالتراب قسرا. مذكر كثير الحيض. لطيف الإنبساط سريع الغيض. يتشعب ويتكسر. ويتعوج ويتدور، وله خمسون عينا وأكثر. يحمل القناطير المقنطرة. ويعجز عن حمل إبرة. سريع الاستحالة. قلما يلبث على حالة. بعيد الخوض ليس له قرار. يعاجل صفا وارده بالأكدار. يسكن فى تخوم الغبراء، ويتم عن أحوال السماء. رقيق القلب على كل عديم، وكيف لا وهو الولى الحميم، يجود بأفخر الحلى، ولا يرد من نداه مؤملا. كم عمر سبيلا وقطع طريقا وأخاف سبيلا، وطغى واحترق. وأظهر الحقائق وهو كثير الملق، وكم علا درجا وحط قدر الدقائق، وقلع بأصابعه عين كل مارق. وكم طهر أممًا من أرجاسها، وأماط عن أرض بذا أدناسها، وكم درأ عن شيخ

خبثا، ورفع كهلا وحدثا، صيقل يجلو الصدى، ويظهر على شدة البرد تجلدا، كم أباح محرمًا للعباد، وأكثر الفساد فى البلاد، وكم رأينا جارية[1] تجرى لمستقرها فيه وتجنح، وتلوح فى فلكه وتسبح، جمع فيه الخوف والرجاء، والكدر والصفاء، ومن العجائب أنه كافر وكم أعان على العبادة أهل الصلاح، وأفاض نزيله بالنية ولم يخش فى ذلك من جناح، فسبحان من جمع فيه الأضداد، وأرسله رحمة للعباد[2].

•لغز آخر فى البحر•

ما تقول السادة العلماء، فى شئ نزل من السماء، وركض فى الهوى، وتخيم[3] فى البيداء، انطق عن نفسه فأفصح، وتكلم فبين وأوضح، أفقر وأغنى، وأمات وأحيى، له صرخات من غير غضب، ورقصات من غير طرب، يسبق الفرس السريع، ويسقط الطفل الرضيع، مختلف الألوان، موجود فى كل زمان، ما أكثر لغاته، وأعم فى البشر ذكره وصفاته، وهو خفيف ثقيل، كثير قليل، صغير كبير، طويل قصير، قريب بعيد، قديم جديد، غإلى رخيص، قوى ضعيف، بطئ سريع، بارد حار، نافع ضار، متحرك ساكن، ظاهرباطن، أسود أبيض، أحمر أزرق، مصرى هندى، شامى عراقى، يتجبر ويتكسر، ويتعوج ويتدور، يتخلل جفن العين برقته ولطفه، ويتخبل جثة الفيل فى عطفه، يمشى على العيون فلا يؤلمها، ويطأ على القلوب فلا يكلمها، غير أنه يقطع الطريق، ويخيف الرفيق، كم من قوم أهلك، ولا أراق لهم دمًا ولا سفك، يحمل ألف قنطار، ويعجز عن حمل الدينار، وهو ليلى نهارى، عربى عجمى، سهلى جبلى، جاهلى إسلامى، رومى نوبى، هندى حبشى، كان مع آدم فى الجنة، وصحب نوحًا فى السفينة، وتوسط النار مع ابراهيم، كم له مع موسى من خبر، ولموسى فيه من أثر، حمل موسى على ظهر ظهر، وما سار به فى بر ولا بحر، وهو من معجزات سيد البشر، فقله[4] يا من قرأ ودرى وخبر.

(١) جارية = شموسا فى ب، د.
(٢) بعدها عبارة (بمنة وكرمه امين انتهى) فى جـ، هـ.
(٣) وتخم فى هـ.
(٤) فقله – فحله فى ب، د.

• ذكر لغز الماء •

لبعض الأدباء: ما تقول فى شئ يطير بلا جناح، يبيض ويفرخ فى البطاح، رأسه فى ذنبه، وعينه فى موضع قتبه، يسمع بأذن واحدة، ويبصر بعين زائدة، له قرن كالنخلة السحوق، يعجب من أبصره ويروق، يصلى إلى الغرب بالليل، ويسجد طول عمره لسهيل، تتقرب به الملوك للخالق، ويوحدوه بقول صادق، النصارى تتقرب به واليهود، والكتب المنزلة بذلك شهود، ريشه كثير، ووبره غزير، طعامه الجوز والعسل، وبه يضرب المثل، شرابه اللبن والخمر، ونقله الملح والتمر، يكره النسوان، ويحب الغلمان، يحمل الأثقال وهو ضعيف، ويقذى الأسد وهو نحيف، إن طلب أدرك، وإن طلب أهلك، يقطع الأرض فى ساعة، بلا مال ولا بضاعة، تعرفه الملوك ولا تنكره، وتفهمه السوقة وتخبره، يسكن القصور، ويأوى بالليل إلى القبور، ويبكى على الأحباب، ويندب[1] فقد الشباب، ما ملكه قط بشر، ولا حازه أنثى ولا ذكر، تلعب به الصبيان، يغلى من سعره الأثمان، يمازجه الاتفاق، يتلى فى سورة ق، يصلى ويصوم، ويقعد ويقوم، خلقته لا تحصى، وصفاته لا تستقصى.

وقد رأيت كراسة للشيخ تقى الدين المقريزى فى شرح هذا اللغز وأنا ألخص ما فيها من حل المشكل باختصار.

أما قوله يطير بلا جناح إشارة إلى نزوله من السحاب، يبيض ويفرخ كناية إلى ما يحدث عنه من النبات والمرعى، رأسه فى ذنبه لأنه إذا نزل من السحاب يرى خطوط ممتدة فيكون رأسه الممتد مما يلى الأرض وفى الحقيقة إنما هو طرفه فإن أصله فى السحاب، وعينه فى موضع قتبه إشارة إلى الحباب[2] الذى يحدث على ظهر البحر بوقوع قطر المطر فيه، يسمع بأذن واحدة إشارة إلى نزوله عند حاجة الناس إلى دعائهم بطلبه من جهة السماء، ويبصر بعين واحدة إشارة إلى الفواقع التى تحدث عند نزوله فى البحر، له قرن كالنخلة إشارة إلى هيئة نزوله كالجبال الممتدة، يصلى إلى المغرب إشارة إلى أن جميع الأنهار تنبعث من جهة المشرق وتمر إلى نحو المغرب ولن يستثن من ذلك إلا ثلاثة أنهار نيل مصر وعاصى حماه ونهر آبل بأطراف بلاد الترك مما يلى الخطا فإنها تخرج من جهة الجنوب وتمر إلى الشمال، ويسجد لسهيل لأن السحاب إذا نشأ من البحار

---

(١) يندم فى ب، جـ، د.
(٢) الجناب فى أ، الأحباب فى هـ.

يواجه سهيلا، ريشه إلى آخره إشارة إلى ما يحدث عن الماء من أنواع الخصب لباسًا وأكلا وشربًا. يكره النسوان قال المقريزى هذا معنى مستغلق لا يعرفه إلا الأقل من القليل وهو من علوم القدماء فإنه عند أئمة السحرة إنه إذا نزل المطر فتجردت إمرأة من ثيابها واستلقت على ظهرها[1] ورفعت رجلها وباعدت ما بينهما بحيث يبقى فرجها بارزا[2] نحو السماء فإن المطر يرتفع تلك الساعة ولا ينزل منه شئ ما دامت المرأة كذلك قال وشرط بعضهم أن تكون المرأه حائضًا وبالغ المقريزى فى تبجحه بمعرفة ذلك.

قلت: أحسن من هذا الذى نقله عن السحرة أنه ورد فى بعض الآثار أن الزانية إذا رفعت فرجها إلى جهة السماء والقطر نازل ارتفع، فما لنا نترك النقل عن الآثار النبوية بالإسناد وننقل كلام السحرة.

قوله ويحب الغلمان قال المقريزى: هذا أيضا من علوم القدماء، وذلك أن العين إذا أرادوا استنباطها أو كان ماؤها قليلا وقصدوا غزارته فإنهم يعمدون إلى سبعة غلمان بارعين فى الحسن والجمال عارفين بصناعة الموسيقى وضرب العود ذوى أصوات مطربة، ثم يقومون صفًا واحدًا مستقبلين بوجوههم منبع العين ويحركون أوتار عيدانهم تحريكًا واحدًا بإيقاع واحد مدة ثلاث ساعات بطالع معروف فإن ذلك الماء يسبح حتى يبل أقدامهم وكلما تأخروا تبعهم حتى يحصل به الغرض. قال: واعتبر ذلك بأن يجلس جماعة على شاطئ النيل لا سيما وقت المد ويكون فى الجماعة صبى فإنك إذا تأملت البحر تجده يقذف موجه إلى جهة الصبى أشد ما يقذف إلى جهة غيره هذا كلام المقريزى بنصه والعهده عليه. ثم قال: ولله فى خليقته أسرار يبدى منها ما يشاء لمن يشاء.

كتب الشيخ الإمام علاء الدين أبو حامد أحمد بن شيخ الإسلام تقى الدين السبكى إلى الأديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدى ملغزا فى النيل:

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ∴ بواد وحولى صاحب وخليل
وهل لى بأرض الشام ما عشت عودة ∴ فينعشنى بعد البعاد وصول
أرى قدمى لما تجاوزت حلها ∴ أراق دمى والود ليس يزول
فصبرى ووجدى ذاك عنى راحل ∴ وهذا له بين الضلوع مقيل

(١) قفاها فى ب، د.
(٢) بازاء فى جـ.

وقلبي وطرفي ذاك من لاعج ∴ الجوى يحف وهذا بالدماء يسيل
وفؤادي وجسمي من ذاك أمس سواده ∴ يحول[1] وهذا بالفراق يخيل
قصار الليالي منذ شطت بي النوى ∴ طوال وليل العاشقين طويل
ويخفق قلبي للغرام وخفقه ∴ ما لي برد الخافقين سبيل
وإني لقال للعذول ولومه ∴ لمثلي قال لا يفيد وقيل
وكم رمت أنّ أمضي إليكم مع الصبا ∴ ليسكن عني لوعة وغليل
فعوّقني دهري وما بي علة ∴ وسارت إليكم والنسيم عليل
وخلفت عنكم لا عذولاً لغيركم ∴ وهل لكم بين الأنام عديل
سوى أن صبا لاح منه لمقلتي ∴ من الراح ما في الكاس منه شمول[2]
يطوف به الساقي وقد راق واغتدى ∴ يروق جمع الشرب حين يجول
ويلعب في هام الملوك إذا علا ∴ وتذهب منه حيث بان عقول
إذا عانق المقياس صرف رحيقه ∴ تميد به أعطافه وتميل
يسير ويسري بين شرق ومغرب ∴ له كل يوم نقلة ورحيل
ويقطعه ضرب من الكف هين ∴ وإن حديد الهند عنه كليل
على البحر يسمو مع جهالة أصله ∴ على إنه للبحر سوف يؤول
ويبعد أحيانا ويقرب تارة ∴ لنا وكلا الفعلين منه جميل
كريم على جيرانه غير أنه ∴ عليهم إذا جاد السحاب بخيل
وكم فيه من قصر رفيع على الورى ∴ وليس لميل القلب عنه ذهول
يخاف ويجري يوم جود وسطوة ∴ وليس له في الحالتين مثيل
فمن قاسه بالليث فهو مقصر ∴ ومن قاسه بالسيل فهو جهول
أخو بدع لا بالوعود يفي ولا ∴ له عن وفاق الكافرين عدول
وكم فيه من عاب ونقص وعورة ∴ وفيه على الأنام فضول
وفي قلبه لين القضيب وإنه ∴ يزيد على يبس الحصى ويصول
وليس بأنثى لي يباح نكاحه ∴ وفي الأرض أزواج له ويعول
له اسم حوى اسمًا ثم حرفًا مُسكّنًا ∴ وفعلا وهذا في الأنام قليل

---

(١) يحول = يجود في جـ، و.
(٢) منه شمول: منه غير موجودة في ب، د.

إذا أنت قد صحفته هابت العدا ∴ حماك وقالت إنه لنبيل
ومن عكسه إن زال حرف فلن يرى ∴ لديه عن المستقبلات نصول
فيا من زكت[1] فيه الفروع وأينعت ∴ وطابت له في السالفين أصول
ويا من له جد عظيم ونائل ∴ عميم ومجد شامخ وأثيل
أَبِنْ لي ما ألغزت فيه فإنه ∴ له منك أصل ثابت وأصيل
تضمن نظمي ذكره غير مرة ∴ صريحًا له بين العيون مثول
ومن ذا الذي يدعي سواك محله ∴ وأنت زعيم بالعلوم كفيل

فكتب الصلاح الصفدي في جوابه:

أزهر رياض جادها وابل الحيا ∴ وطافت عليها للشمال شمول
فأصبح عطف الغصن من بمرح الصبا ∴ يميد إذا هبت صبا وتميل
وفات على شاطئ الجداول دوحة ∴ فحاكت عذار الخط وهو صقيل
وإن در في أقطارها مسكة الدجا ∴ أسال عليها الزعفران أصيل
فاشبهت الأرض السماء وقاربت ∴ بزنجم زُهر ما لهن أفول
أم الطرس وشته أنامل فاضل ∴ تقر له بالعجز عنه فحول
أبي حامد رب المحامد والعلا ∴ ومن لا له فيما يروم عديل
من الخزرجيين الذين علاهم ∴ غدا ظلها في الفضل وهو ظليل
يشيدون مجداً شاوه غير مدرك ∴ وطابت فروع منهم وأصول
حباني بهاء الدين أزكى تحية ∴ يطيب صبا من نشرها وقبول
أتت تتهادى في حلي بلاغة ∴ يقوم الثناء في وصفها ويقول
فأبصرت منها رونق الأدب الذي ∴ يعز على من رامه ويطول
وحقق لي علم بأنك واحد ∴ وليس سواء عالم وجهول
تفرد فيما حازه من فضائل ∴ وكل رداء يرتديه جميل
مباحثه في كل ظلمة مشكلة ∴ لها غرز معلومة وحجول
يزد على فضل[2] الفضائل قولهم ∴ ولا ينكرون القول حين يقول

---

(١) زكت = دلت في ب، د.
(٢) فضل = أهل في هـ.

ألا يا بهاء الدين إنك سيد ∴ قؤول بما قال الكرام فعول
أجدت نظاما حين أعربت مقصدا ∴ ولطفت معنًا حين أنت جليل
وألغزت فى جارٍ كثير وفاؤه ∴ وربما قد راح وهو قليل
يسير ويسرى مثلَ ما قلت دائما ∴ وتم جناس اللفظ حين يسيل
تجر عليه الريح فاضل بردها ∴ فيصبح مثل الذيل وهو بليل
إذا أعجب الكفار فيض نواله ∴ فإحسانه للمؤمنين وصول
عديم الوفا عند الصفا فإذا بدا ∴ تغيّره فالخير منه جزيل
تراه بلا كف وكم إصبع له ∴ تعد أياديها وذاك يطول
وآخره جمع وأوسطه ندا ∴ وأوله فى البحر ليس يزول
وإن قيل ما هو قلت ما هو حقيقه ∴ يصوب على وجه الثرى ويصول
أخو الستر كم غطى من الناس عورة ∴ وجرت عليه للقبيح ذيول
وحلوٌ خفيف للقلوب محبَّبٌ ∴ وأما سواه بارد وثقيل
وكل عروضىّ يرى أن بحره ∴ بسيط مديد وافر وطويل
ضعيف القوى ماردٌ راحة لامس ∴ صبور لأثقال الأنام حمول
وأعجب ما فيه صحيح لغاية ∴ فواعجبا والقلب منه عليل
تُراع تراع الأرض منه إذا طغى ∴ ويؤمن لما أن يخاف سبيل
وما ينصر السلطان إلا بكسره ∴ وذاك مراد للأنام رسول
قطعت به ليل التمام سهدا ∴ ولم يبد لى منه عليه دليل[1]
فلا زلت مثل البحر تبدى عجائبا ∴ ويطفح من فياض فضلك نيل

وقال الشهاب المنصورى ملغزًا فى النيل:

حلو اللُّمى أحببت من إدباره ∴ مثل النيل أحببت من إقباله
حسن الشمائل لا يمل وصاله ∴ أبدا ولمن لمحبه بوصاله
طلق المحيا إن بدا مبتسما ∴ قرت بعين نسائه ورجاله
فى كل وقت يشتهى لا سيما ∴ فى حال بكرته فى آصاله

---

(١) هذا البيت والذى قبله غير موجودان فى ب، د، هـ.

قطع الطريق أقل ما يُعزى له ∴ والناس تشكره على أفعاله
ومن العجيب العجز من إمساكه ∴ مع لين جانبه وقرب مناله

وقال أيضا ملغزا فيه :

مولاى ما صب كريم ∴ بشفائه نعم النديم
يعلو إلى أعلا السماك[1] ∴ ولا تفارقه النجوم
ذو راحة ممدودة ∴ وأصابع فيها النعيم
عجبا إلى طغيانه ∴ ويجنبه بر رحيم
فهو الجديد محاسنا ∴ ومساوئا وهو القديم
وصلاته موصولة ∴ مادام فى الدنيا نسيم
لم يلف إلا ساعيا ∴ وإذا سعى فهو المقيم

وقال القاضى محى الدين بن عبد الظاهر ملغزا فى الماء :

وما شىء إذا همزوه ∴ أمسى دائما يجرى
جواد كم قد خص ∴ دون الترك من بحرى
وكم من خلفه أمست ∴ جنائب دونه تسرى
وكم من سابح عنه ∴ قصير الكف[2] والفر
وكم طرق به قطعت ∴ على السارين فى البر
وكم حىّ به أمسى ∴ له أمن من الضر
تراه وهو مركوب ∴ ولا كالسير فى القفر
وكم قد راح فى سهل ∴ وكم قد جاء من صخر
فلا تنسب سكاب له ∴ فأين سكاب من بحر
وبالتصحيف لا يدرى ∴ وبالقلب له تدرى

•ذكر مفاخرة بين النيل والبحر المالح•

نقلتها من خط الشهاب الحجازى وأظنها له :

---

(١) السماء فى جـ.
(٢) الكف = الكر فى هـ.

سبحـان واحد أحـد أنشـأ ظلام الليل ∴ سبـعـة أبحـر خلق قـادر عظيم النيل
يسمع سقـوط الندا مع ضعف ذاك الحيل ∴ ومنزل القطر[1] والوابل ومجرى السيل
واسمع لروضة نظامى واخلى السمعين ∴ لجـوهـر نظم مـثـلو مـا يُرى بـالعين
عمره وقد قلت يا ضدى اندحر دحرين ∴ مـفاخـرة فـاخرة فى مجـمع البحـرين
قـال الـفـتى النيل للمـالـح وكم تملح ∴ اسكت فـإن سكاتك دوم لـك أصلح
وإن كنت يا بحـر مـالح حـر تتـقـملح ∴ فـمـا يرى منك لا أنتن ولا أملح
فـقـال له المالح اسـمع لى وطع أمـرى ∴ فـانت يا بحـر لا تحـرى ولا تمرى
وإن كنت تطلب ببـغيك يا دلع دحـرى ∴ فـمـا تجى أنت نـقطة قط فى بحـرى
فـقال لـه النيل تهـدى الخلق فى ملوى ∴ إذا عليـت فـعـندى نفـع فى عـلوى
أقـول لك الحق اسـمع لـى ولا تلوى ∴ تبـارك الله مـا أحـلا حـلا حلوى
فـقـال له المالـح أنت يا أبو الخلجـان ∴ فيك الريم وأنت تـقرف إنسهـا والجان
وأنت بالغبن[2] منى لم تزل حـرجـان ∴ كـمن مـا فـيك لا لؤلؤ ولا مـرجـان
فـقال له النيل اسكت واسـتحي يا عُـرّ ∴ عـمـرك ثقيل تـخوف وأنت مـالح مُـر
وبعـد هـذا تفـاخـرنى بـذى الدر ∴ إن كـان لـك در فى برى بيـان الـبُـر
فـقـال له المالح اسكت لا تكـن عـايق ∴ أمـرى فـإنى بسطوه لم أزل فـايق
عليك يا من يقـول إنّـو فـرح فـايق ∴ قلبك مـعـكر وقلبى لم يزل فـايق
فـقـال له النيل جـل الواحـد القـهـار ∴ اللى خلـقنى حـيـاة النفس والأزهار
أنا الذى فى حـيـاتـى طهـر للأطـهـار ∴ أنا الذى يخـدمونـى السحب والأنهـار
فـقـال له المالح أحـبـابى يراعـونى ∴ وإن أمـرت أتـوا أمـرى وطاعـونى
وإن طلبت الصـفـا منهم يصـافـونى ∴ أقـوام لـلكعـبـة الغـرا يوافـونى
فـقـال له النيل اسكت يا قـبح عـرضى ∴ فـإن تعـارض بأفـعـال الردى تقـضى
أنا إذا جـيت أرضـى قط مـا أمـضى ∴ حـتى أفـرح وأرضى بـالوفـا أرضى
فقـال له المالح أنت يا ناقص إلا كـمال ∴ يا أبو التمـاسيح والتراس والجـمـال
لى كل مركب محصن بالتحف حمال ∴ وكل تاجـر ترى لو وزن بحـرك مـال

---

(١) القطر = الطل فى هـ.
(٢) بالغبن = بالعين فى حـ، و.

فقال له النيل قولك ليس من حقه ∴ فخيرتك يا مقفلت تعبر الرقه
إن كان دا اللى ذكرته حق فى الطرقه ∴ فما سوى ما تقولوا رجفة الغرقه
فقال له المالح اسمع لى أنا الزاخر ∴ إن جيت إنك تفاخرنى أنا الفاخر
أنا الذى حق أكبر منك فتّاخر ∴ فما بلغ حد لى أول ولا آخر
فقال له النيل هذا غاية التعكيس ∴ إنك تكبرت نجمك عاد فى إنكيس
كم من رأيناه مثلك صار فى تفليس ∴ فما ادعى الكبر بين الخلق إلا إبليس
فقال له المالح اسمع واترك التعزيز ∴ وذلّ عندى تعزز غاية التعزيز
وانظر لدهليز ملكى فاق من دهليز ∴ وزنت حرفوش فرشك رمل مع إبليز
فقال له النيل بسّك تدعى يا قُل ∴ فإنك الآن فى دعواك تشبع سل
يكفيك إنك بفشرك لم تزل منغل ∴ وأى من سار فى بحرك دياجى ضل
فقال له المالح اتوقر وبسّك قجم ∴ فإن قجمك سمج مالح يعوز الرجم
واهل الفوايد تراهم يهجمونك هجم ∴ وأى من ضل فى بحرى هدى بالنجم
فقال له النيل ربى يذهب الأحزان ∴ وفى القلوب خفيف الثقل والأوزان
وكم ريس نفق ماله بلا ميزان ∴ عندى وعمرى مبخّر صدر فى الكيزان
فقال له المالح احذر لا تكن مجّان ∴ معى فإنك على بابى صفة سجان
فلا تفاخر لزيى قط يا ثلجان ∴ يسوى بخورك بريح الروث فى الخلجان
فقال له النيل يا مالح محى رسمك ∴ فما تزيد علىّ قد فنى قسمك
وانت بالغبن منى ينتحل جسمك ∴ لا شك لك اسم مالح قد كفاك اسمك
فقال له المالح اسكت واستحى يا سلخ ∴ فانت فاجر مقبح ليس عندك كلخ
وبس تهدر بقدرى واستحى يا شلخ ∴ هل الطعام جعل له طعم إلا الملح
فقال له النيل اسكت كم رؤى مسفور ∴ قد ارتجف منك يا أسود من الكافور(١)
ما لك طعم أو لك حلاوة قط يا مدحور ∴ أو كل قصر حظى بالقاصرات الحور
فقال له المالح افترا حدك دابى ∴ أو أطردك يا معترّ من على بابى
ما انت مثلى وما من جملة أربابى ∴ لا تختلط بى فما لك قط حاجة بى(٢)

---

(١) رؤى = ردى فى جـ، أسود = أبرد فى ب، د.
(٢) يا معتر = يا مغتر فى ب، يا معر فى جـ.

فقال له النيل مثلك ما يرى أوسخ ∴ وانت مالح وملحك فى الثرى يرسخ
يا شبه بغل دنىّ الأصل متبرزخ ∴ بينى وبينك لئلا نختلط برزخ
فقال له المالح اسكت لاكفيت الكرب ∴ رح يا مصيط بضربه يا نقيع الضرب
من شرقها يسربوا القبلة عليا سرب ∴ وكل تاجر على بحرى صعد للغرب
فقال له النيل قلت الحق انصفنى ∴ اللى ضربنى ورب العرش انصفنى
من قال ربى لموسى اضرب فاعرفنى ∴ أنا الإله بما قد قيل شرفنى
فقال له المالح اسمع حسن إنصافى ∴ وإن سألت فاسأل أهل وصافى
واسمع مقالى وأقوالى وأوصافى ∴ بحرى عميق وقلبى لم يزل صافى
فقال له النيل نحنا لم نجدلك وصل ∴ إلا مفارق إلى يوم اللقا والفصل
وحق مفنى العدا عنا بحد النصل ∴ ما فيك لله شربه يا ردىّ الأصل
فقال له المالح أنت يا أبو الأعوان ∴ فيك المكوسات من بحرى إلى أسوان
وحق رب تعالى كوّن الأكوان ∴ فى كل عام فريحى ساير الألوان
فقال له النيل للهادى النبى المختار ∴ عندى مكان موقر قد حوى آثار[1]
وكل حسنا تضى عندى لها خبار ∴ وانت أهل المظالم يا عطا للنار
فقال له المالح اسمع إن لى عصبه ∴ يأتوا لعندى كمالك فى الورى عصبه
إن كل فيك الفرج والسكر يا نصبه ∴ أنا علىّ يجوا حتى يروا الكعبه
فقال له النيل اسكت لاكفيت الباس ∴ ولا يضى فيك شمعه ولا مقياس
لك كل عام بشارة فرح من مقياس ∴ يوم الزيادة ولك روضه ولك مقياس
فقال له المالح اسكت لا تكن سكران ∴ فما جرى فيك بالنايات والعيدان
أنا وانت ترى بحران موجودان ∴ أصلى جواهر وأصلك حبش مع سودان
فقال له النيل جل الواحد العلام ∴ اللى خلقنى حياة النفس فى الإسلام
أنا الذى قد كفيت الخوف والآلام ∴ والمنشآت جوارى فىّ كالأعلام
فقال له المالح انظر فى بحارى سلك ∴ جوهر وضوءه ينور فى الليالى الحلك
وحق رب تعالى مفترد فى الملك ∴ فيا وفيك طوال الدهر تجرى الفلك
فقال له النيل مالك فى صفاتك زى ∴ إن جيت زو رحت مالك فى الأراضى رى

---

(١) آثار إشارة إلى الآثار النبوية التى كانت محفوظة برباط الآثار على النيل بمصر القديمة.

أقــول لك الحـق يا من لا نرى لـو فَىْ ∴ منى خلـق رب قـــادر كل شـى حى
وزمـــجـر النيل واتعكر وزاد الشـــوق ∴ واشـتد غـيظه وفـوّق من سهـامه فـوق
لما عــلا بالـزيادة فى مــغــانى جــوق ∴ وقـــال راسى بـراسك يا قلـيل الذوق
فــقــال المالح اسكـت لا تكن شــاتم ∴ فـــإن ليـلى وليـلك لـم يزل عـــايم
والخلق ســـيـــان ذا شــاكـــر وذا ذامم ∴ واعلم إذا زغـت نجـعل بيننـا حـــاكم
والنـيل لما ظـمـــا نادى أنا الحـــاصى ∴ يا جـمع الأنهار جـاؤا الكل والقـاصى
وجا الفـرات فقال لُـو انت من خاصى ∴ وطاع جـيـحون حـتى طاعـه العـاصى
وقـــال سـيـحـون للنـيل إياك تفـتــر ∴ يركـب عـليك ويتـحكـم وتتـعـــتـــر
فـخـيـرتـك تكـتـبـه بالغلـب فى دفـتـر ∴ عندك وروح اشـــتكى يـا نيل للـكوثر
راح اشتكى النيل لـلكوثر وزاد الهرش ∴ وقـال يا سـيـــد الأنهـار وريح الورش
المالح أضـحى يعـايرنى بسـوء الفـرش ∴ وأنا الذى خلقتى من تحت ساق العرش
فـقـال يـا ريح هات المالح الـعـجـاج ∴ منكس الراس لو أنوّ ســخـىّ ثجـاج
فـجـــابه الريح لـلكوثر بـلا إعـــواج ∴ غـضبـان حيـران مظلم هاج بالأمـواج
نادى له الـكوثر إتمقـل يجى رســمك ∴ مـا قـاله النيل عن لفظك بقى قـسـمك
إن صح ما قد نقل عنك وجب قصمك ∴ فقف بلا حـرج واتأدب حدا خـصمك
قـام ادعى المـالح العـجـاج مـد حـوله ∴ أنهـــــار الـدعـــاوى هم لـنا أو لُـه
وعـصـبـة النيل قـالوا الكل من حـوله ∴ الدعــوُ للصــادق المقبــول فى قـــوله
النيل هو اللى صدق فى طولها والعرض ∴ فـيـما جرى منه يـا أهل السنن والفرض
وإن بغى المالح العـجاج يقـرض قرض ∴ إنّو تكبّـــر على أحـسن مـيـاه الأرض
أمـرهم الكوثر اصّـافـوا وخلّوا القـبـح ∴ واصّــاوفـوا تربحـوا فى ليـلهـا الصلح
واصـالحوا بعـد ذا خلوا الأعـادى كلح ∴ فـالله أنزل على الهـادى النـبى الصلح
قالوا له الـسمع والطاعة كفـيت الباس ∴ تضـاحك الروض بالأفـراح يا عـبــاس
وقد ملوا الكاس عندو وافرغوا الأكياس ∴ واتخلق النيل يوم الصـلح فى المقيـاس
وبعـــد هذا نمجـــد خــالق الأنـهــار ∴ ومن تسـبـح له الأغـصـــان والأزهار
واجب علينـا نوّحـد سر مع إجـهـار ∴ واحـد أحـد مـقتـدر قـادر غنى قـهـار

•ذكر مفاخرة بين السماء والأرض•

نقلتها من خط الشهاب الحجازى وأظنها إنشاؤه وأوردتها هنا لأن فيها تعرضا للنيل.

افتخرت السماء والأرض بلسان حالهما لا بلسان مقالهما فقالت السماء للأرض: أنا العالية عليك، والمرسلة نولى[1] اليك، ولولا غيثى لما نبت فيك حبة، ولا كنت مخصوصة بمحبة، ولولا يهتدى بنجومى سفارك، لكان كل أحد للسفر تارك، ولولا شمسى وقمرى عليك يشرقان، لكان كل ماشى حيران، وكم من ملك فىّ لا يفتر عن التسبيح لحظة، ولا يتكلم فى غير التقديس بلفظة، وفىّ البيت المعمور الذى يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة لا ترجع النوبة إليهم ولا تدور. وفىّ جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وفى عرش[2] الرحمن، وتعإلى الله أن يحويه مكان، وأنا الذى أقسم بى الخالق فقال: «والسماء والطارق» وأقسم بنجمى من على العرش استوى فقال: «والنجم إذا هوى، ما ضل صاحبكم وما غوى، وما ينطبق عن الهوى». ولقد حزت أعلا المناقب إذ زيننى خالقى بزينة الكواكب، فأنا الخضراء السندسية، والقبة اللازوردية، حتى تنزل الشهب رجومًا للشياطين، ومن أبوابى ترفع أعمال الصالحين، وأنا قبلة الداعين، وفى نزل جبريل الأمين بالوحى على سائر الأنبياء والمرسلين، وإذا اسفر نقاب السحاب عنى وبعد منى، انجلى حسن حضرتى فى ضوء الشمس، وذهب الهم من القلوب عند النظر كذهاب أمس، وأنشدوا.

انظر إلى حسن السماء إذا صحت ∴ والنور يشرق والغيوم قد امحت
فبصحوها وبضوئها وبلونها ∴ تشفى قلوب بالهموم تدحدحت[3]
وكأنها مثل الكواكب فى الدجا ∴ فيها عيون قد سهت وتفتحت

فقالت لها الأرض عند ذلك: قد أكثرت بخصامك وجدالك، أما تعلمين إنى أنا المهاد وأم الأولاد، والحاملة للأوتاد، وعلىّ يكون الحشر والميعاد، أما أنا الذى خلقت الأمم من ترابى، أما كل منهم يقول أنا منك خلقت وإليك مرجعى ومآبى، إن كان فيك يا سماء نجوم زاهرة، فكم فىّ من نجوم ثمار مثمرة، يحصل للعيون والقلوب بالنظر إليها انشراح، وتتلذذ بثمارها وأزهارها الأجساد والأرواح، وإن كان منك الغيث والأمطار،

---

(١) نورى فى هـ.

(٢) كرسى فى و.

(٣) تجدعت فى جـ. ، وتحدحت فى أ.

فكم فى من منافع بالعيون والأنهار، سلى كل خليل وقبيل، عما يحصل للأمم من منافع النيل وما يتحصل لهم فى مده من الخير الجزيل والمال الجميل[1]، وإن كان السفار بنجومك يهتدون، فكم فى من أمم بعلمائى يقتدون، وإن كان فيك ملائكة لا يفترون عن التسبيح للملك العلام، فكم على ظهرى من القوام لله فى الظلام، الذين مدحهم مولاهم فى الكتاب المكنون بقوله تعالى «كانوا قليلا من الليل يا يهجعون وبالأسحار هم يستغفرون» وكم فى ملائكتك من هو موكل لبنى آدم بالاستغفار، ومن هو موكل لهم بإنزال الأمطار وإجراء الأنهار وتخليق الثمار، وكم فى ملائكة يطوفون الليل والنهار فى مجالس الأذكار، أما نزل من علوك إلى البهموت بالدعوى هاروت وماروت، إدعوا الصبر عن الشهوات فوقعوا بالدعوى فى الآفات، وطلبوا الإقالة فقيل فات، وحصرهم رخ الغفلات إلى زاوية رقعة الزهرة وقال شاه مات، وإن كنت يا سماء تفتخرى بالشمس والقمر، فقد قال سيد البشر: إن لله عباداً قلوبهم أنور من الشمس والقمر، وبهذا ورد الخبر، وإن افتخرت بالبيت المعمور والملائكة الطائفين، فأين أنت من الحرم الشريف الذى جعله الله أمنا للخائفين، وطبع القلوب على حبه، وجعل حجة مغفرة من فر إليه من ذنبه، وإن افتخرت يا سماء بعرش الرحمن، فأنا افتخرت بقبر محمد سيد ولد عدنان، النبى العظيم الشان، مبيد الطغيان ومبطل عبادة الأوثان، والداعى إلى الإيمان الذى لولاه ما خلق الله الأكوان، ولا كان إنس ولا جان ولا ميزان ولا جنان ولا حور ولا ولدان ولا دنيا ولا مكان، فبأى آلاء ربكما تكذبان، ولقد أحسن من قال:

لولا النبى المصطفى ∴ ما كان فى الدنيا بشر
هذا حديث شائع ∴ ونعم به ورد الخبر
لولاه ما خلق الوجود ∴ ولا رأيت له أثر
صلى الله عليه ما ∴ هبت نسيمات السحر

ثم قالت الأرض: وإن كان فيك يا سماء أمة واحدة من الملائكة يسبحون، ففى أمم باختلاف اللغات يقدسون ويمجدون، مؤمنوا الجن عاكفون على توحيده، والإنس ناطقون بتمجيده، والطير فى الهوى يعترف بمجده، والحوت فى البحر[2] يسبح بحمده،

(١) الجليل فى هـ.
(٢) الماء فى أ، و.

وكل مخلوق على ظهرى يوحده فى هزله وجده، ولو لم يكن يا سماء لى فخر معروف، لكان[1] فخرى بمثل أهل المعروف، مثل الجنيد والسرى ومعروف، وأبى يزيد الهمام المقدم، والفضيل وابراهيم بن أدهم، أما صارت القلوب بمحبة الزهد جامعة، لما علق عند العرش سجادة رابعة، ورؤيت بعد موتها فى الجنان رابعة[2]، لقد حصل لى بهؤلاء أتم الفخار، وبمن حمل ظهرى من النجباء الأخيار، ودفن فىّ من الأنبياء والمرسلين خصوصًا النبى المختار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة نرجو بها العتق من النار، ولقد أحسن من قال:

مفاخرة تلذّ بها المسامع ∴ بموعظة جرت منها المدامع
وكم أضحى بها صب طروبا ∴ وذو زهد حزين القلب خاشع
ويظهر فيه سر معنوى ∴ وهذا السر كالأنوار لامع
فدونك يا قتيل الذنب هذا ∴ دواء للذنوب أراه نافع
وما استعملته إلا وأضحى ∴ عليك النور فى الآفاق ساطع

كتب ناصر الدين الحسن بن شاور بن النقيب إلى السراج الوراق:

يا ساكن الروضة أنت المشتهى ∴ من هذه الدنيا وأنت المقتضى[3]
ويا سرور النفس بين الشعرا ∴ أنت الرضى فيهم وأنت المرتضى
ويا سراجا لم تزل أنواره ∴ تعيد أسود الليالى أبيضا
ما لى أراك قاطعا لواصل ∴ ومعرضا عن مقبل ما أعرض

ذكر محاسن مقاطيع قيلت فى النيل

قال محمد بن سهل البلخى:

راقنا النيل صفاءا ∴ بعد تكدير صفائه
كان مثل السيف مدمى[4] ∴ فجلوه من دمائه
أو كمثل الورد عفنا ∴ فهو الآن[5] كمائه

(١) لكفانى فى ج.
(٢) رائعة فى ج.
(٣) المنتقى فى هـ.
(٤) يدمى فى ج.
(٥) اليوم فى و.

وقال آخر[1]:

لو نطق النيل قال قولاً ∴ يشفى به غاية الشفاء
قد كثر الغدر فاعذرونى ∴ لما توقفت فى الوفاء

وقال الصنوبرى:

والنيل تلعب أطراف النسيم به ∴ ما بين ماضٍ وآتٍ أى تلعاب
كأنه زرد الزعف المضاعف أو ∴ نقش المبارد أوْ تغريك أثواب

وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر:

نيل مصر لِمَن تأملَ مرأى ∴ حسنه معجزٌ وبالحسن معجب
كم به شاب فودها وعجيب ∴ كيفَ شابت بالنيل والنيل يخضب

وقال الشهاب المنصورى:

قالت لنا والبحر من تحتها ∴ والموج فى أرجائه يلعب
ما أطيب النيل لزواره ∴ قلت لها تصحيفه أعجب[2]

وقال أيدمر:

كيمياء النيل خالصةٌ ∴ قد أتَتْنا منه بالعجب
كان من ذَوْبِ اللُّجَيْنِ فقد ∴ عاد بالتدبير من ذهبِ
راقصٌ بالحسن مبتهجٌ ∴ فهو فى عُجْب وفى طربَ
ومغانى مصر تسمَعُه ∴ نغمةُ الشادى بلاَ صخب
ونسيم الريح لاعبةٌ ∴ فى خلال الروض بالقُضُبِ

وقال محيى الدين بن عبد الظاهر:

إياكم أن تنكروا جعفرا ∴ ذاك الخيالى[3] وأصحابه
فنيل مصر كم له جعفر ∴ مخيّل يخرج من بابه

---

(٤) عبد الله بن سرور فى هـ.
(٢) لزواره = لرواده فى جـ، أعجب = أطيب.
(٣) الجبالى فى جـ.

جعفر من أسماء النهر وأراد به الخليج الذى يمده النيل وهو اسم للذى اخترع الخيال الراقص، وبابه مشترك بين أحد شهور القبط وفيه يكون كسر ترعات النيل وبين أحد بابات الخيال فاستخدم المعنى الذى يخص الشهر للنيل واستخدم المعنى الذى يخص الخيال لجعفر وهذا فى غاية الحسن، قاله الصلاح الصفدى فى كتابه فض الختام عن التورية والاستخدام.

وقال أبو القاسم ابن العطار:

ركبنا على اسم الله نهرا كأنه ∴ حباب على عطفيه وشى حباب
والأجسام حال فيه فرنده ∴ له من مديد الظل أى قراب

وقال غيره:

أما ترى الليل قد ولت عساكره ∴ مهزومة وجيوش الصبح فى الطلب
والبدر فى الأفق الغربى تحسبه ∴ قد مد جسراً على الشطين من ذهب

وأنشدنى الشهاب الحجازى لنفسه:

أيا طيب وادى ربا مصر إذا ∴ غدا النيل بالأرض للمشوق صب[١]
بشطيه غنت دواليبه ∴ وشبب ريح له فاضطرب
سماع برقص أعطافه ∴ بمغناك يا مصر ينشى الطرب

وقال غيره:

انظر إلى النيل الذى ∴ ظهرت به آيات ربى
فكأنه فى فضله ∴ دمعى وفى الخفقان قلبى

وقال آخر:

كأنما النيل والشموع به ∴ أفق سما تألفت شهبا
قد كان من فضة فصيره ∴ توقد النار فوقه ذهبا

---

(١) للمشوق = المشرق فى أ، المشوق فى ب، حـ، صب = صيب فى د.

وقال الرشيدى أبى الربيع :

لله يومى بنهر قد مررت به ∴ فأبصرت منه عينى منظرا عجبا
كأنه شقة من فضة نسجت[1] ∴ وراحه البدر فيها ترقم الذهبا

وقال البدر البشتكى :

الشمس فوق النيل قد ∴ ألقت شعاعا كالذهب[2]
فحكى مسنّا أخضرا ∴ وعليه حك من ذهب

وقال ابن أبى حجلة مضمنا :

أنظر إلى البحر تبدو من عجائبه ∴ حال الزيادة إفراط من الحبب[3]
كأنها حين تبدو للعيون بها ∴ حصباء در على أرض من الذهب

وقال أيضا :

قناطر الجيزة فى ∴ خيالها لذاتى
والماء فيها راقص ∴ يخرج فى باباتى

وقال بعضهم :

أنظر إلى النيل كيف يجرى ∴ كأنه ذائب الزجاج
تخاله أرض أبنوس ∴ كلل من فوقه بعاج

وقلت فى نزول النيل من قناطر الجيزة :

لله بحر باحر زاخر ∴ يسمع للأمواج فيه عجيج
شبهت ما أزبد إذ خرّ من[4] ∴ قناطر الخمس بقطن حليج

---

(١) نسجت = سبحت فى ب.
(٢) كالذهب = كالله ب فى د.
(٣) من الذهب الحبب فى د.
(٤) خر = جرى فى هـ.

ثم بعد نحو ثلاثين سنة من قولى ذلك رأيت ابن أبى حجلة سبقنى إلى هذا التشبـ
فقال وأجاد:

سقيا لقنطرة بجيزة مصركم ∴ بسطت بسيط الماء مثل لحاف
فكأنها قوس ورغوة مائها ∴ قطن تقلبه يد النداف

وقال بعضهم:

وزاخر ليس له صولة ∴ إلا إذا ما هبت الريح
وهو إذا ما سكنت ساكن ∴ كأنه الريح فيه روح

وقال ابن نباتة:

زادت أصابع نيلنا ∴ وطفت وطافت فى البلاد
وأتت بكل مسرة ∴ ما ذى أصابع ذى أيادى

وقال الحافظ أبوا لفضل بن حجر:

أنظر إلى النيل الذى ∴ بيد النسيم تجعَّدا
قد صيرته مبردا ∴ فلأجل ذا يجلو الصدا

وقال الأسعد بن مماتى فى توقفه:

ولقد عهدت البحر سنيًا يرى ∴ عمرا ويتبع رأيه تسديدا
والآن أضحى فى الورى متشيعا ∴ متوقفا ما إن يحب يحب يزيدا

وقال بعضهم:

أنظر إلى الشمس وقد أشرقت ∴ تشق نهراً حافلاً مزبدا
كأنه ذوب لجين وقد ∴ ألقى عليه صائغ عسجدا

وقال ابن الساعاتى:

يا حبذا روض ∴ يروق الناظر المترددا
والنهر فيه كمبرد ∴ فلا غرو أن يجلو الصدا[1]

---

(١) فلاجل ذا يجلو الصدا فى ب، فلا غرو ان يجلو عن المهج الصدى فى د.

وقال أبو الحسن العلوى:

يا حسن ساحلنا وخضرة مائه ∴ والنهر يفرغ فيه ماءً مزبدا
كاللؤلؤ المنثور إلا أنه ∴ لما استقر به استحال زبرجدا
وإذا الشمال سطت على أمواجه ∴ نثرت حبابًا فوقهن منضدا
وكأنما الفلك الأثير أداره ∴ فلكا وضمته النجوم الوقدا

وقال القيراطى:

حلا نيل مصر فهو شهد ومن يذق
حلاوته من سائر الناس يشهد
أبارد ماء الشام إن ذبت حره
وغيظا فلا تهلك أسى وتجلد

وقال ظافر الحداد:

والنيل مثل عمامة ∴ شرب محشاه بأخضر
والجسر فيها كالطراز ∴ وموجه رقم مصور
تفريكه[1] ما درجته ∴ من الرياح إذا تكسر

وقال تميم بن المعز العبيدى:

يوم لنا بالنيل مختصر ∴ ولكل يوم لذاذة قِصَرُ
والسفن تجرى كالخيول بنا ∴ صعداً وجيش الماء منحدرُ
فكأنما أمواجه عكن ∴ وكأنما داراته سُرَرُ

وقلت:

النيل لما إن علا موجه ∴ وحفَّ بالنبت لذى المنظر
كفروة السمور إذا ركبت ∴ فى مقعد سندس أخضر

---

(١) تفريكها فى أ، جـ.

وقال ظافر :

ولله مجري النيل فيها إذا الصبا ∴ أرتنا به فى سيرها عسكراً مُجرا
فشطٌ يهز السَّهريَّةُ ذُبَّلا ∴ ونهر يهز البيض هندية بُترا
إذا مد حاكى الورد غضا وإن صفا ∴ حكى ماءه لونا ولم يعده شبرا(١)

وقال آخر :

والنيل مكسوا غلالة فضة ∴ فإذا أتى مد فثوب نضار
وإذا استقام رأيت صفحة منصل ∴ وإذا استدار رأيت عطف سوار

وقال البدر البشتكى :

سلام على نيل جرى الدمع إذ جرى ∴ فعلمه ذاك الوفا فلذا يجرى
وفى نيلها بالغت أنهر عاذلى ∴ فقل رويداً كم تبالغ فى نهرى

وقال أيضا :

لم ينظر الطرف فى الدنيا كمصر ولا ∴ كنيلها ولعمرى قط ما نظرا
يصبى بداراته والموج ناظره ∴ لأنها تشبه الأعكان والسررا

وقال أيضًا :

تعلم هذا النيل من خلقى الوفا ∴ أسكان مصر لهف نفسى على مصر
حكته دموعى حمرة وزيادة ∴ كما قد حكانى فى احتراق وفى كسر

وقال صاحبنا الشهاب المنصورى :

أيها النيل إنما أنت غوث ∴ لأناس يرون كسرك جبرا
فاسع فى أرض مصر واجر برزق ∴ زادك الله منه خيراً وأجرا

---

(١) شبرا = بسرا فى أ، حـ.

وقال البرهان القيراطى :

خليلى بحر النيل لا شط شطهُ ∴ مـوارده تحْلو لنا والمصادر
فدع عنك أنهار الشام ولا تكن ∴ لكوثره بالنزر منهـا تكاثر
له شيم بالحسن ظاهرة علت ∴ تدور على الأنهار منهـا الدوائر
بجانبه تمشى الملاح كأنهـا ∴ بساتين فيهـا للعيون مناظر
فكم غصن بان فيه لـلعين نرجس ∴ وللخد ورد عاطرا لزهر ناضر

وقال أيضًا :

دوائر مـاء النيل كم هدمت بهـا ∴ مناظر قد دارت عليهـا الدوائر
وكنت إذا أرسلت طرفك زائداً ∴ لقلبك يومـا أنعشتك المناظر

وقال أيضًا :

حلى نيل مصر فهو فى الذوق سكر ∴ وأمواجه فى كثرة عدد القطر
فكرر على سمعى أحاديث وصفه ∴ فسكرها يغنى النديم عن السكر

وقال الشريف العقيلى :

أحن إلى الفسطاط شوقا وإننى ∴ لأدعو لهـا أن لا يحل بهـا القطر
وهل فى الحيا من حاجة لجنابها ∴ وفى كل قطر من جوانبهـا نهر
تبدت عروسا والمقطم تاجهـا ∴ ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

وقال ظافر الحداد فى النيل وبركة الحبش :

تأملت نهر النيل طولا وخلفه ∴ من البركة الغناء شكل مدور
فكان - وقد لاحت بشطيه خضرة - ∴ وكانت، وفيهـا الماء باق موفر
عمامة شرب فى حواش بخضرة ∴ أضيف إليهـا طيلسان مقور

وقال الشهاب بن فضل الله :

لمصر فضل باهر ∴ لعيشهـا الرغد النضر
فى كل سفح يلتقى ∴ مـاء الحياة والخضر

وقال ابن أبى حجلة :

قدمت مع[1] السلامة من دمشق ∴ فراق بنيل مصر ما تكدر
إذا ما احمر ماء النيل فيها ∴ فشارب روضها بالغيث[2] أخضر

وقال مروان بن أبى الخصال :

النيل قد رقت غلالة خصره ∴ وعليه من صبغ الأصيل طراز
تترقرق الأمواج فيه كأنها ∴ عكن الخصور تهزها الأعجاز

وقال بعضهم :

انظر إلى النيل السعيد وقد بدا ∴ فى عسكر الموج الشديد معبسا
حضر البلاد فأسلمته أرضها ∴ فغشى[3] ثراها حين ولى سندسا

وقال آخر[4] :

لله يومى ببركة الحبش ∴ والأفق بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب ∴ كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضة مفوفة ∴ دبج بالوشى عطفها ووشى
قد نسجتها يد الغمام لنا ∴ فنحن من نسجها على فرش

وقال تميم بن المعز :

نظرنا إلى النيل فى مده ∴ بموج يزيد ولا ينقص
كأن معاطف أمواجه ∴ معاطف جارية ترقص

وقال الصفى الحلى :

وفى النيل إذ وفى البسيطة حقها ∴ وزاد على ما جاء من صنائع
فماذا يقول الناس فى جود منعم ∴ يشار إلى إنعامه بالأصابع

---

(١) قدم مع فى جـ.
(٢) بالعشب فى هـ.
(٣) فكسى فى أ.
(٤) هو أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسى.

وقال كشاجم :

كأن النيل حين يرى[1] فغضت ∴ به مصر وكسرت التراع
وأحدق بالورى من كل وجه ∴ سموات كواكبها الضياع

وقال على بن رستم المعروف بابن الساعاتى :

واها لهذا النيل أى عجيبة ∴ بكر بمثل حديثها لا يسمع
يلقى الثرى فى العام وهو مَسلِّمٌ ∴ حتى إذا ما ملّ عاد يودّع
متنقل مثل الهلال فدهره ∴ أبداً يزيد كما يريد ويرجع
وكأنما زهر النجوم مواثل ∴ فيه ونور البدر إذ يتشعشع
بيض تسل على متون سوابغ ∴ خضر بأمثال العقود ترصع
لولا تناولها وقرب مكانها ∴ حسبت بروقا فى سماء تلمع

وقال آخر :

النيل قال وقوله ∴ إذ قال ملء مسامعى
فى غيظ من طلب الغلاء ∴ عم البلاد منافعى
وعيونهم بعد الوفاء ∴ قلعتها بأصابعى

وقال خليل الكفتى [2]

مولاى إن البحر لما زرته ∴ حياك وهو أخو الوفا بالأصبع
فانظر لبسطته فرؤيتك له ∴ هى مشتهاه وروضة المتمتع
أرخى عليه ستر لما جئته ∴ خجلا ومد تضرعا بالأذرع

وقال آخر :

ماذا يفيد المُعنَّى ∴ من الجوى المتتابع[3]
بمصر ذات الأيادى ∴ ونيلها ذى الأصابع

---

(١) يرى = جرى فى أ.
(٢) الكتفى فى أ، و
(٣) فى ب، د المتتابع التابع

وقال آخر :

إذا ما النيل حل بأرض مصر ∴ وطاف بها وفتحت التراع
ترى فيها عجائب كل يوم ∴ سماوات كواكبها ضياع

وقال الشهاب بن فضل الله :

للنيل أكبر آية ∴ لا يدعيها مدعى
كم ذا يقيس له الذراع ∴ وما يجئ بإصبعى

وقال ابن خفاجة :

شربنا مع غروب الشمس شمسا ∴ مشعشعة إلى وقت الطلوع[1]
وضوء البدر فوق النيل بادٍ ∴ كأطراف الأسفة فى الضروع

وقال الشيخ شمس الدين محمد بن جابر الأندلسى صاحب شرح الألفية المشهور بالأعمى «والبصير يمدح مصر بقوله»[2].

ما زلت أسند عن محاسن أرضها ∴ خبراً صحيحًا ليس بالمقطوع
كم مرسل من نيلها ومسلسل ∴ ومدبج من هضبها المرفوع
ولأهلها خبر غريب فى الندا ∴ هو عن عطا لا عن بن منيع

وقال بعضهم :

أما ترى البحر ما أحلى شمائله ∴ والموج يضرب براً ثم ينحرف[3]
كأنه ملك تأتى الجيوش له ∴ تقبل الأرض طوعا ثم تنصرف

وقال ابن جباره :

أنظر إلى النيل فى أمواجه عجب ∴ تأتى إلى الشط أحيانا وتنعطف
كأنه ملك تأتى الجيوش له ∴ تقبل الأرض طوعا ثم تنصرف

---

(١) هذا البيت موجود فى النسخة أ فقط

(٢) مابين القوسين مزيدة من ب .

(٣) برا = أحيانا في ب ، جـ

وقال النصير الحمامى:

إن عـجـل النيـروز قـبل الـوفـا ∴ عـجل للعـالم صـفع القـفـا
فـقـد كـفى مـن دمـعـهم مـا جـرى ∴ ومـا جـرى من نيلـهم مـا كـفى[1]

وقال البدر البشتكى:

البـدر فـوق النيل قـد ∴ ألقى شـعـاعـا يـأتلق
فـحكى مـسنا أزرقـا ∴ وعـليـه حـك من ورق

وقال الأمير شهاب الدين بن المعمار:

أنظـر إلى الشـمس فـوق الـنيل غـاربة
وأعـجب لما بـعـدهـا من حـمـرة الشـفق
غـابت وأبـدت شـعـاعًـا منه يخلـفـهـا
كـأنهـا احـتـرقت فى الماء بالغـرق
وفى الـهـلال فـهل وافـا لينقـذها
فى أثـرها زورق قـد صـيـغ من ورق

وقال القيراطى:

وتمثلت فـى النيل شـهب سمـائنا ∴ فكـأنهـا فـيـه قـلوب تخـفق
ولقـد عـجبت لهـا نجومًـا كلمـا ∴ سبـحت على الأفـلاك فـيـه تـغـرق
لا تنكروا غـرق الهـلال بمـائه ∴ إن الهـلال كـمـا علمـتم زورق

وقال بعضهم:

يا نـيل اجـر على حـسن الـغـوائـد فى
أرجـاء مـصـرك واجـبـر كل مـرتزق[2]
واعـلم بـأنك مـصـرى فلست تـرى
حـلـو الفـكـاهـة مـا لـم تـأت بالملـق

---

(١) دمعهم = دمعة فى أ
(٢) حسن = أحسن فى د، ومصر = مصركم فى ذ، مرتزق = مترقرق فى ب، د

وقال الصلاح الصفدى :

لم لا أهيم بمصر ∴ وأرتضيها وأعشق
وما ترى العين أحلى ∴ من مائها إن تملق

وقال النصير الحمامى :

رأيت فتى يقول بشط مصر ∴ على درج بدت والبعض غارق
متى غطى لنا الدرج استقمنا ∴ فقلت نعم وتنصلح الدقائق

وقال أبو القاسم بن العطار :

برزنا بشاطئ النيل بين حدائق
بها حدق الأزهار تستوقف الحدق
وقد نسجت كف النسيم مفاضة
عليه وما غير الحُباب لها حُلق

وقال غيره :

أما ترى البدر فى دجى الفسق
قد امتطى فوق منكب الأفق
أهدى[1] إلى النهر حسن بهجته
فبات فى حلة من الورق

وقال الأمير تميم بن المعز :

أما ترى الرعد بكى واشتكى ∴ والبرق قد أومض واستضحكا
فانظر لماء[2] النيل فى مده ∴ كأنما صُندل أو مُسِّكا

---

(١) أهنى فى أ، جـ.
(٢) وانظر إلى ماء فى و.

وقال الشيخ شمس الدين بن الصائغ :

مــاء النيل إذ يحكــى الســمــا فى انبســاطه
وللــه مــا أحــلى وأصــــدق من حـــاكى[1]
تســـيـــر بــه الأفـــلاك بـدءاً وعـــودةً
وحـــافـــاته[2] أيضـــا حـــفـت بأمـــلاك

وقال الصنوبرى :

تــرى الريــح تنسـج من مــــائـه ∴ دروعًــا مـــضـاعــفــة أو شـــبـك
كـــأن الزجـــاج عليـــه أذيب ∴ ومـــاء اللــجين عـليـــه انســبك
هو الجـــو فى رقـــه غـــيـــر أن ∴ مكـان الطيـــور تطيـــر الســـمك

وقال القاضى محيى الدين بن عبدالظاهر :

قـــد قطـع الطريق نـيل مـــصـــر ∴ حـــتـى لقـــد خــافـــه الســبـــيل[3]
بالســـيف والـرمح من غـــدير ∴ ومـن قـناة لـهـــــا نـصــــول

وقال شمس الدين بن دانيال الحكيم :

كـــأنما النـيل الخـــضم[4] إذا بدا ∴ يروى حــــديثـــا وهو ذو تــسلـسل
لما رأى الأرض بهـــا شــقـيـقـــه ∴ ضـــمـــخـــهـــا بمائـه المصـندل

وقال الصلاح الصفدى :

رأيت فى أرض مـــصـــر مـــذ حللت بـهـــا
عـــجـــائبـــا مـــا رآها النـاس فى جــيل
تســـــودّ فى عـــيـنى الدنيـــا فلمـــا أرها
تـبــــيض إلا إذا مــــا كنـت فى الـنيـل

---

(١) وأصدقه حاكى فى جـ
(٢) وعاداته فى ب، د، حفت = تمت فى أ، هـ
(٣) قد = كم فى هـ، الطريق = الطرق فى هـ، و
(٤) الخصم فى أ، ب، د.

وقال أيضاً[1]:

ركـــبت فى الـنيل يـومـــا مع أخى أدب

فـــقـــال دعني من قـــال ومـن قـــيل

شـــرحت يا نـيل صـــدرى الـيـــوم قلت له

لا تـنكـر الشـــرح يـا نـحـــوى للـنيـل

وقال الشيخ زين الدين بن الوردى:

ديار مـصـر هى الدنيـا وسـاكنهـا ∴ وهم الأنام فـقـابلهـا بتـفـضـيل

يا من يبـاهي ببـغـداد ودجلتهـا ∴ مـصـر مـقـدّمـة والشـرح للنيل

وقال إبراهيم بن عبدون الكاتب:

والنـيل بـين الجـــانبـين كـــإنما ∴ صـديت بصفـحته صفـيحة صيقل

يأتيك من كـــدر الزواخـر مـــده ∴ بمـمـسّك من مـــائه ومـــصندل

فكأنما ضـوء البـدر فى[2] تموجـه ∴ برق ممـوج فى ســحـاب مـسـيل

وكـأنمـا نور الســرج من جنبـاته ∴ زهـر الكـواكـب تحت لـيـل الـبـل[3]

مـثل الرياض مـفـتـتّـا[4] أنوارها ∴ يـبـــدو لـعين شـــبـيــــه وممثل

وقال أبوالحسن الوزير:

أرى أبدا كـــثـيــرا من قليل ∴ وبدراً فـى الحـقـيـقـة من هلال

فـلا تعـجب فكل خليج مـــاء ∴ بمصـــر مـــسبب لخليج مـــال

زيـادة إصـــبع فى كل مـــدٍّ ∴ زيـادة أذرع فى كـل حـــال

وقال أيدمر التركى:

أنظر إلى النيل السـعـيـد المقبل ∴ والماء فى أنهـــاره كـــالسلسل

أضـحى يريك الحـسن بين مـورد ∴ من لـونـه وممسك[5] وبين صندل

(١) فى ب، د قال ابن الوردى، ولكن هذين البيتين ينسبان للصفدى وقد أخذ معناهما من بيتى ابن الوردى التالية لهما.

(٢) من فى أ، هـ.

(٣) البل = النيل فى و، إليل فى هـ، والنيل فى جـ، الليل فى أ.

(٤) مصنفا فى أ، هـ.

(٥) وممسك مزيدة من أ.

ويمر فى قيد الرياح مسلسلا ∴ يا حسنه من مطلق ومسلسل
وترى زوارقه على أمواجه ∴ برقة[1] للناظر المتأمل
مثل العقارب فوق حيات بدت ∴ يسعى بها فى عدوها ما تأتلى
وكأنما أسماكه من فضة ∴ من جمد مائه الذائب[2] من أول

وقال المعمار :

حزن الخزان لما أن رأى ∴ نيلنا قد عم سهلا وجبل
ورأى الزرع عروقا أخرجت[3] ∴ سبلات ذا حب فاختبل
وبكا إذ رمدت مقلته ∴ زاده الله عروقا وسبل

وقال علاء الدين الوداعى [4].

روِّ بمصر وسكانها ∴ شوقى وجدد عهدى الخالى
وارو لنا يا سعد عن نيلها ∴ حديث صفوان بن عسال
فهو مرادى لا يزيد ولا ∴ ثور وإن راقا ورقًّا لى

وقال البدر البشتكى :

ما مثل نيل مصر ∴ فى الدنيا لمن ينسطل
ولونه وطعمه ∴ طحينة وعسل

وقال الأمير ناصر الدين حسن بن النقيب :

نيل مصر لمن رآه ∴ ومن ذاقه رسل[5]
هو فى اللون الطحينة ∴ والطعم العسل

(١) بزيه فى ب، تبرئة فى هـ، تبريه فى و، برقه فى جـ، برد فى د
(٢) فى جـ من جمد ذائب مائه .
(٣) أخرجت = تعرجت فى ب، د.
(٤) البرادعى فى جـ
(٥) وسل فى ب، د

وقال القيراطى :

لنيل مصر كمال فى زيادته ∴ وفضله غير مخفىّ ومكتتم
إذا بدت لك من تياره شيم ∴ رأيت ظاهر الأوصاف والشيم

وقال الصلاح الصفدى :

قالوا علا نيل مصر فى زيادته ∴ حتى لقد بلغ الأهرام حين طما
فقلت هذا عجيب فى بلادكم ∴ أنّ ابن ستة عشر يبلغ الهرما

وقال أيضاً :

قد زاد هذا النيل فى عامنا ∴ فأغرق الأرض بإنعامه
وكاد أن يعطف من مائه ∴ عُرىً على أزرار أهرامه

وقال أيضاً (1).

مدّ نيل الفسطاط فالبر بحر ∴ زاخر فيه السفن تعوم
فكأن الأرضين سماء ∴ وكأن الضياع فيها نجوم

وقال الشيخ شمس الدين ابن الصائغ :

أرض مصر فتلك أرض ∴ من كل فن لها فنون
ونيلها العذب ذاك بحر ∴ ما نظرت مثله العيون

وقال ابن الساعاتى :

ولما توسطنا على النيل غدوة ∴ ظننت قلب القوم باللهو ملآن
وعشاريه إنساناً له الماء مقلة ∴ وليس لها إلا المجاذيف أجفان

---

(1) غيره فى جـ.

وقال آخر:

ليهن أحبابى نيلاً ووفا ∴ ومفرداً وافى به مؤذنا
ما النيل إلا أدمعى بعدكم ∴ كلا ولا المفرد إلا أنا

وقال النواجى

اركب النيل ما استطعت ففيه ∴ راحة للفتى وغاية بُغيه
كم تنزهت حين سافرت فيه ∴ فى بلادكم وكم ظفرت بمنيه

وقال ناصر الدين بن النقيب:

كأن النيل ذو فهم ولب ∴ لما يبدو لعين الناس منه
فيأتى حين حاجتهم إليه ∴ ويمضى[1] حين يستغنون عنه

وقال آخر:

أتطلب من زمانك ذا وفاءاً ∴ وتأمل ذاك جهلا من بنيه[2]
لقد عدم الوفاء به وإنى ∴ لأعجب من وفاء النيل فيه

وقال المعمار:

ذا النيل ما يبرح فى سعده ∴ وحاله الماشى ما حالا
يجرى لنا ماض ومستقبلا ∴ لا أوقف الله له حالا

وقال ابن قزل:

يا حسن وجه النهر حين بدا ∴ والسحب تهطل فوقه هطلا
فكأنه درع وقد ملأت ∴ أيدى الكماة عيونه نبلا

وقال ابن مكانس فى أرجوزته:

والقرط طاب ريًّا ∴ سقيا له ورَعْيَا
والنهر وسط الزهره ∴ كأنه المجره
من شطه للشط ∴ مشنف[3] بالقرط

(١) يذهب فى هـ.
(٢) تأمل = تأمن فى أ، د. وجهلا = وجها فى ب، د، بنيه = بيته فى د.
(٣) شنف فى أ، مشنب فى جـ.

• ذكر المقاطيع التى نظمها الشيخ بدر الدين بن الحاجب[1] فى النيل • وأفردها فى ديوانه فى جزء سماه مقطعات النيل

قال:

قــد ألفنا النيل حــبًــا[2] ∴ والتــزامًــا للأخــاء
إذ تناسبنا مــزاجًــا ∴ قــام من طين وفــاء

وقال أيضاً:

يا رب نرجو وفــاءً ∴ فى نيلنا للرخــاء[3]
وإن نكن قد غدرنا ∴ فــأنت أهل الوفــاء

وقال فى كثرة الزيادة:

قد أصبحت بالنيل مصر غريقة ∴ من بعد ما شكرت لديه وفاء
ما زال يستسقى بها حتى غدت ∴ تشكو بكثرة مائه[4] استسقاء

وقال:

نيروز مصر قبل الوفاء ∴ يعد صفعا بغير ماء

وقال فى الستر والوفاء.

يا حسن ستر على وفاء ∴ يؤذن بالبشر والرخاء[5]
فضل من الله وهو أهل ∴ للفضل والستر والوفاء[6]

وقال:

النيل أفرط فيضا[7] ∴ على الورى بالعطاء
وفى المكارم حقا ∴ فهو ابن ماء السماء

---

(١) الصاحب فى و.
(٢) حسناً فى هـ.
(٣) للرجاء فى د، وللوفاء فى هـ
(٤) مائها فى هـ
(٥) يؤذن = يوزن فى أ، د، الرخاء = الرحاء فى د، و
(٦) فضل = فضلا فى هـ، والوفاء = الرخاء فى هـ.
(٧) فينا فى ب، جـ، د.

وقال فى المفرد المبشر بوفاء النيل :

يا مــفـردا بوفــاء الـنيل بشـــرنا ∴ وصب فى أذن الأعـداء صوت عـذاب
أسل[1] بإصـبعـك العإلى عـيـونهم ∴ واركض بـرجلك هـذا بارد وشـنــراب

وقال :

للّـه ســـر فى عـلوم الغــيـــوب ∴ وفــرحــة من ضــيق كل[2] الكروب
لا داء ولا دواء لـــــــــــــــه ∴ والنـيل صـــابون[3] لهـم القـلوب

وقال :

تمتع بمـاء الـنيل يـوم وفـــائـه ∴ وقد ذاق[4] منه الشرق للناس والغرب
فـقـد سكبت منه الجنادل فـيضـهـا ∴ فـأضــحى بلا شك حـلاوتـه سكب

وقال :

قـــد فـــاح للـرياض نشـــر عـطرٍ ∴ أطـيب مـن روائح الـشـــبـــــاب
وكـــيف لا والـنيل يســـقى دوحـــهً ∴ مـن مـــائـه بـصندل مـــــذاب

وقال :

الاســم غـــيــــر المســـمى ∴ ولـــى[5] دلـــيــــل أديـــب
فـــالكســـر فى نـيل مـــصــر ∴ جـــبـــــر لكـل الـقـلـوب

وقال :

يـا حـــــــسن نـيـل زائـد ∴ زيـد الهــــوى بـصــــبــــه
لـين لـه فـى جــــــريــه ∴ فـــقــــد جـرى بـقـلبـــه

---

(١) اصل فى ب، د.
(٢) بكل فى جـ.
(٣) صابون = غسال فى هـ.
(٤) راق فى هـ
(٥) وله فى ب

وقال:

كـــان لمصـــر مـــيـــزة ∴ بـالنـيـل مـــــذ ولـى خـلـت
كـــأنـه زوج لـهـــا ∴ فـــبـــعـــده ترمـلـت

وقال:

سكنت جـوار النيل فى طيب عيشة ∴ تلذ عـشـاء بعـد لذته[1] صـبـحـا
يـبـرد نـارى مـــاؤه وظلالـه ∴ فلـم أك أظمـأ لديـه ولا أضـحـا

وقال:

إن الـدمـــاء قـــوام ∴ لـكل جـسـم صـحـيـح
وحـمـرة النيـل فـيـهـا ∴ قـــوام جـســم وروح

وقال:

وافـى لنـا الـنيـل برغـم العـدا ∴ وعـاد ليل الـشك فـيـه ضـحـى
وأصـبـح الخـزان مـن غـيظه ∴ بغـلّ قـمـح عـنده مـقـمـحـا

وقال:

لـك الـهـنـا بـنـيـل ∴ حـبـا الصـبـاح صـبـوحـا
فـلـونـه لـون راح ∴ وريـحـه صـار روحـا

وقال:

وسـائلة عـن النـيل الذى قـلا ∴ عـلا العـشـرين بالفـيض الطفـوح
وقـالت وهـى تبكـى أين وافـا ∴ فـقلـت لهـا غـدا طـوفـان نوح

---

(١) لذتها فى ب
(٢) إذا فى ب، جـ

وقال :

أصـــــــابع الـنـيـل وفّت ∴ وبـالـغـت فـى المـلاحـــــــة
أصـــــــابع بـالـعـطـايـا ∴ أبـدت لـنـا ألـف راحـــــــة

وقال :

قد وفى النيل خامس[1] شهر مسرى ∴ فـمـــلأ بشـره قلـوب العـبـاد
جـاء فى غـيـر وقـتـه قلت أهلا ∴ بحـبـيـب أوفى بـلا مـيـعـاد

وقال :

الـنـيـل أصـــبـح خـمــــرا ∴ مـشـعـشـعـــا قـــد تورد
وقـــد حـــلا حين أضـــحى ∴ بـطـيـنـه قـــــد تـقـنـد

وقال :

لـلّه يـوم بـالوفـــا مـــعـظـم ∴ والســــتـــر مع لطـف يعـم بلادا
أرخـوه أحـمـر والنفـوس كـأنهـا ∴ أرخت عليـه من الظمـأ أكـبـادا

وقال :

خـــزان مـــصـــر غـــدا فى ∴ أقـــداح قـــمـح يعـــربـد
فــــجـــاءنـا النيـل يرغـى ∴ غـــيـظا عـلـيــــه ويزبـد

وقال

قـد كـانت الأحـوال فـى كـشـفـة ∴ وبيـض أيام العـبـاد ســـودا
حـــتى رأينا نـيلـنا طـالعـــا ∴ فـــاطلـع الله بـه الســـعـــودا

وقال فى إصبع الوفاء حين يكتم ويسمونه إصبع الزيادة [2]

قـــد أبـهـم الـوفـــا فـى ∴ إصـــبـــعـــه بـشــدة
فـــيـــا لـه من إصـــبـع ∴ إبـهـــامـــه بـعـــقـــدة

---

(١) فأمسى فى ب، د.
(٢) الزيادة = التراع فى ب

وقال أيضاً:

إذا جـــــري الـنيـل بـازديـاد ∴ وطاب مـن شـــربه الـصـــعـــيـد
فـــانظـر إلى طرســـه وطـالع[1] ∴ وقل فـــأنـت الطالـع الســعــيـد

وقال:

فـى أبيـب جـــــاء حـــــرٌ ∴ فـــوق مـــا قـــد كـــان عـــادة
زاد فـــيـــه الـنيـل دفـــعـــا ∴ فـــقلـت حـــرٌ[2] بزيـادة

وقال:

عـــامل بـخـــيـــر ويَسِّــر ∴ وَفِّي ولـو كنـت مـــعـــســـور
فـــالـنـيـل يشكـر مما ∴ وفىً الـورى وهـو مـكـســـور

وقال:

فى الـنيـل طين[3] كـــمـــسك ∴ ثـناؤه خــــيــــرُ عِـطـرِ
فـــاعـــجـب لـه حين أوفـى ∴ ممـسـكـا وهـو يجـــــرى

وقال:

زادت فـــراعن مـــصـــر ∴ وظـلمـــهـــا قـــد تـكـثـــر
ونيـلهـــا بـعـــد كـــســر ∴ طـغـى وتـكـبْـــــر[4]

وقال:

لمصـــــرنـا مـن نـيـلـه ثـروة ∴ فـــالرزق من إصـــبـــعــه يجـــرى
يقـــول من أبصـــره أحـــمـــرا ∴ قـــومـــوا انظروا للـذهـب المصـــرى

(١) وطالع سعدة فى ب، وقل فأنت = فإنه فى ب، وفى جـ كأنه
(٢) حرا فى جـ
(٣) طين = ماء فى هـ
(٤) تكبر = تجبر فى ب

وقال فى الجسر الذى عمله جركس الخليلى :

أميــرنا جــركس الخليلى ∴ بكل مــا يشتــهى مظفــر
قــد غــالب النيل منه سعــد ∴ حــتى على قلبــه تجــسر

وقال أيضاً :

محاسن بحر النيل لم تحص عدةً ∴ فقد طاب مسموع لهن ومنظور
تخلق بالوصف الجميل على المدى ∴ وزاد على حسن الوفا وهو مكسور

وقال مضمنا وقد خلقوا النيل قبل الوفاء :

قد كان خلق نيلنا قبل الوفا ∴ فالكسر منه[1] لكل قلب فى الورى
والآن نادوا قد وفى فأجبتهم ∴ صدق الخبر والحديث كما جرى

وقال فى ذلك أيضا :

جــاءوا بروع[2] كــذب ∴ وخلقــــوا نيل الورى
وقــيل[3] النيل وفى ∴ فــقلت هذا مــا جــرى

وقال فى أيام برقوق :

قــد عــلا النيل ووفى ∴ فــلــه نــفــع ومــنــظــر
إن برقــوقــا كــغــصن ∴ كــعــبــه[4] للناس أخــضــر

وقال :

نيل مــصــر قــد كــسر ∴ عن طلوع مــعــتــذر
رب فــاجــبــر كــســره ∴ أنت عند المنكــســر

وقال أيضا :

مــا النيل إلا نــافع ∴ بــاطــنــه والــظــاهــر
يكفــيك إن كــســره ∴ للناس نعم الجــابــر

---

(١) منه = بان فى هـ
(٢) بردع فى جـ.
(٣) وقيل لى فى جـ.
(٤) كعبه مزيدة من أ، جـ

وقال:

أتانا النيل وهو عروس مصر ∴ فأغلا إذ وطئها منه مهرا
وقد خلعت عليه الستر بردا ∴ وكدنا نخلع الأرواح بشرا

وقال:

النيل وافى وأبدى ∴ بالحسن منه احمرارا
وصار مثل مدام ∴ والناس منه سكارى

وقال:

جار[1] على أهل مصر نيل ∴ طغا بتطفيفه[2] فجسر
ولم يفد كسرهم عليه ∴ وهو على أرضها تكسر

وقال مضمنا أيضاً وقد انتقل النيل عن بر مصر إلى شط الجيزة:

يا أيها السلطان إن النيل عن ∴ بر مصر تنقل[3] بعد طول جوار
فاحفظ لنا جريانه وجواره ∴ فالله قد أوصى بحفظ الجار

وقال مضمنا بيت بشار:

ناديت والنيل عن مصر العزيزة ∴ قد نأى بأحسن إيثار وآثار[4]
يا رحمة الله حلى فى منازلنا ∴ وجاورينا فدتك النفس من جار

---

(١) جاز فى أ، هـ.
(٢) بتطفيفه = بتخفيفه فى جـ
(٣) تنقل مزيدة من جـ
(٤) فى النسخة ب جاءت كلمة مضمنا بعد ناديت، وآثار وإيثار فى ب، د

وقال أيضاً:

إن التــواضع رفــعــة الأقــدار ∴ لا ســيــمــا للســادة الأطهــار
فــالنيل عند علوه[1] وســمــوه ∴ تلقــاه يخــفض نفــسه للجــار

وقال:

النيل قـد وفّـى على جاري عـوائده ∴ وزاد بعــد الوفــاء مــاءاً وأنوراً
لأن مــاؤه المصــرى عــسجــده ∴ يـزيد فـى الكســر للـدينـار ديناراً

وقال مضمنا:

لله يوم الوفـا والناس قـد جـمعـوا ∴ كـالروض تطفــوا عـلى نهـر أزاهره
وللوفــاء عــمــود من أصــابعــه ∴ مــخـلق تملأ الدنيــا بشــائره

وقال أيضاً:

أهل مــصــر اليــوم نادوا ∴ ولـهم قــول وجــيــز
رب وفّ الـنيـل فــيــنا ∴ وتـصــدق يـا عــزيز

وقال:

لقـد أحـسن النيل المبـارك منعـمـا ∴ وقــد طـاب منه منبت ثم مـغـرس
وألبسـه الرحـمن من أجل سعيـه ∴ إلى أرضنا تشـريفــة وهو أطـلس

وقال أيضاً:

الــنــيــل وافــى بــالمــنــى ∴ وأتــى بــطــيــب الأنــفــس
ملك عــســاكــر مــوجــه[2] ∴ فـى أحــمــر من أطـلس

---

(١) حلوله فى جـ
(٢) وجهه فى جـ

وقال أيضاً:

يا ساكنى مصر لا تخافوا ∴ إذا طغا نيلكم ضياعا
مهما يزد نيلنا ذراعا ∴ رخص قمحا لنا وباعا

وقال أيضاً:

أقول وقد وفى لنا النيل حده ∴ وقد طاب منه للورود مشارع
لقد ثبتت فى مصر منك منافع ∴ كما ثبتت فى الراحتين الأصابع

وقال أيضاً:

أوحشنا يا نيل منك الوفا ∴ وفاض منا للأسى أدمع
وكلنا قد أصبحت أرواحنا ∴ تقول قد تطلع أو نطلع

وقال أيضاً:

تخلق النيل لما ∴ وفى بخير الطباع
وما تملق إلا ∴ للبسط لا للخداع

وقال أيضاً:

النيل زاد جورا ∴ بحكمه المطاع
يعمل فى الرعايا ∴ بالباع والذراع

وقال:

النيل أفرط فينا ∴ بفيضه المتتابع
فصار مما دهانا ∴ حديثنا بالأصابع

وقال:

تقاصر النيل عنا ∴ تقاصرا متتابع
حتى قنعنا ∴ منه بمص الأصابع

وقال:

إقليم مصر له افتخار ∴ بتربة عذبة المنافع
وحسبه النيل إذ إليه ∴ يشار فى الفضل بالأصابع

وقال:

جلس الرخاء على سرير وفائه ∴ ملكًا له الأرزاق تأتي طائعه
والنيل ساعٍ بالمراكب وهو قد ∴ ذلت[1] له الأعناق منه خاضعه

وقال:

بالله يا نيل بعيش الصفاء ∴ وظاهر اللطف وما قد خفي
لا تقطع العادة عنا ولا ∴ تعد غديرا بعد ذاك الوفا

وقال في رباط المعشوق بشاطئ النيل بالآثار:

ما النيل إلا حية ∴ يميل من سلافه
جاء إلى معشوقنا ∴ دب إلى أردافه

وقال أيضاً:

أدار النيل كاسات التهاني ∴ وعم الأرض من غدق طباقا
كأن كؤوسه صهباء جنان ∴ فآخر شربها تلقى دهاقا
فتوج بالزمرد رأس مصر ∴ وصاغ الدر من حبب نطاقا

وقال:

فرح الأنام بنيلهم ∴ إذ صار أحمر كالشقيق[2]
وتبركوا بشروقه ∴ فكأنه وادي العقيق

وقال:

النيل أحمر يوم كسره ∴ فقلت إذ ستره معلق
لا تلمسوه بزعفران ∴ فهو بإشراقه مخلق

وقال:

النيل وفي غاية للهنا[3] ∴ بطيب أوقات وأرزاق
وخلقوا اليوم عمودًا لهم ∴ قامت له الدنيا على ساق

---

(١) دلت في ب، د
(٢) في ب كالعقيق
(٣) للهناة في ب

وقال:

النيل روضته وطئ ∴ بعد الترمل والشقا
وغدا يعانقها رضىً ∴ ويقول من عاش إلتقى

وقال أيضًا:

إحمر للنيل خده ∴ حتى غدا كالشقيق
وقد ترنمت فيه ∴ إذ صار وادى العقيق

وقال أيضاً:

وفى نيل مصر ∴ وزاد من بعد تخليق
فذاك عيد كبير ∴ ما فيه أيام تشريق

وقال أيضاً:

قطعت يا نيل لنا عادة ∴ مدمعنا من قطعها فى اندفاق
إن كنت تشكو بالاحتراق ضنا ∴ فكلنا مثلك فى الاحتراق

وقال:

النيل أفرط فينا ∴ حتى شرقت بريقى
وسل سيفا صقيلا ∴ يمشى بقطع الطريق

وقال مضمنا:

قد قلت إذ نادى منادى نيلنا ∴ بأصابع سبحان ذا الخلاق
قبّل أصابعه فليس[1] إصبعًا ∴ لكنهن مفاتيح الأرزاق

وقال:

احفظ صديقك عن حوادث دهره ∴ واخضع له ليراق تحت[2] رق
فالخل من يقى الخليل بنفسه ∴ كالنيل يطفى حر مصر ويحترق

---

(١) فلسن فى هـ.
(٢) ليراق منه راق فى ب، ليراك فيه تحت رق فى و.

وقال :

السنيل ألبس حلة ∴ حمراء فى تخليقه
وله أصابع زينت ∴ وتختمت[1] بعقيقه

وقال فى معانقة النيل للمقياس يمينا وشمالا :

قد جاء يا مقياس من نيلنا ∴ فيض عظيم حف من جانبيك
أصابع أعطت بأطرافها ∴ بحرا وقالت خذ بكلتا يديك

وقال :

يا نيل هز معاطفا وشمائلا ∴ بوفائك المسعود فى إقباله
فقد أنهار البلاد بأسرها ∴ ولمصر حقا أنت ماء جماله

وقال :

أتى لنا النيل بكل زينة ∴ ملونا بردا عليه
واحمر لما زاد بعد خضرة ∴ كأنما ريحانة تحمحمه

وقال :

نادى منادى الوفاء مصرا ∴ إذ علقوا ستره علامة
من الغلاء قد سلمت حقا ∴ فبت فى الستر والسلامة

وقال :

قد بلغ النيل كل نفع ∴ من فيض تلك اليد الكريمة
وصار ذا عكنةٍ وردف ∴ فهذه نعمة جسيمة

وقال لما بلغ النيل عشرين ذراعا وصار الناس يخوضون إلى بيوتهم :

طغى لنيل عن حد عاداته ∴ وعلمنا الجهل فى العالمين
فصرنا نكشف عوراتنا ∴ وصرنا نخوض مع الخائضين

---

(١) وختمت فى ب ، تجمعت فى جـ

وقال:

النيل ما زال ذا نوال ∴ فى مصر فاها[1] مع البدين
وما طلبنا الوفاء إلا ∴ وقال اسعى له بعينى

وقال:

تقاصر النيل عن وفاءه ∴ لما أصابته كل عين
يا إصبعا[2] للوفاء أبطأ ∴ جعلت وجهى على إصبعين

وقال:

للنيل فى مصر أياد علت ∴ فكل من فيها به يمترون
كأنه طوبى وهى به[3] جنة ∴ فكل مغنى فيه منها غصون

وقال:

يا نيل أنت مليكنا ∴ ولك القلوب بمصرنا
أطعمتنا من جوعنا ∴ وجبرتنا من كسرنا

وقال فى بستان المعشوق

ناديت معشوق مصر لما ∴ تناوح الورق فى غصونه
لا تخشى جدبًا فالنيل صب ∴ إليك يسعى علىٰ عيونه

وقال:

أقول لما نادى بشير مصر[4] ∴ تحرَّر النيل فى وفاه
مقياس مصر ميزان عدل ∴ وجانبا النيل كفتاه

---

(١) ناهافى و، ماها فى هـ، فى مصر هامع البدين فى د
(٢) يا اصبع فى و،
(٣) به مزيدة من جـ.
(٤) مصر مزيدة من ب.

وقال:

قد أخذ النيل بثأر له ∴ لما علا فوق الذى نشتهيه

فكم رمى بالشح من يبسه ∴ وطالما كانوا يخوضون فيه[1]

وقال:

رب وفّ النيل إنّا ∴ منه فى شرٍ وبلوةْ

ما بقى للناس صبرٌ ∴ يحملون اليوم غلوة

وقال:

بشاطئ النيل دارى ∴ تعلو محلا وتغلو

يمر بى النيل فيها ∴ وكلما مر يحلو

وقال:

أقول وماء النيل يوم وفائه ∴ تكامل فيه الأنس والحسن والحُلا

أتت رحمة الله التى نشرت على ∴ جميع الورى سترا من الأمن مسبلا

وقال:

قد كان ماء النيل فى احتراقه ∴ يسمج[2] وهو لون فضة جلا

فاحمرّ إذ زاد كأن ماءهُ[3] ∴ أذيب فيه ذهب فانطلى

وقال قد صار ساحل مصر رملاً:

لم تزل بالوفاء يا نيل أهلا ∴ ولك الفضل فى الدفاتر يملى

إن مصر ترملت منك دهرا ∴ وهى ترجو مراجعا منك بعلا

وقال وقد بعد النيل عن الروضة:

قد كان للنيل المبارك روضة ∴ يلقى نداه لها شقيقا مغذيا

فجفا[4] منازلها وأظهر هجرها ∴ فتبرجت فى الشط من عدم الحيا

---

(١) ربسه = نفسه فى هـ، كانوا = كان فى جـ

(٢) يسمح فى ب، جـ، د

(٣) ماءه = لونه فى هـ

(٤) فخفى فى جـ

وقال:

مـــــا الـنـيـل إلا مـلـك ∴ منـه الرعـــــايا تـرتـوى
لـه عـلى كـــــــراتـه ∴ بمصـــر ملك كــــــروى

وقال:

الـنـيـل ذوب نـضــــــار ∴ جـــــار برزق الـبـــــرية
قـــد هيم الخلق عـــشـــقـا ∴ بســـمـــرة ذهبــــيــــة

• ذكر مجريات [1] أدبيات متعلقة بذكر الروضة •

قال الصاحب فخرالدين بن مكانس: كان على شاطىء النيل سرحة كأنها قبة زمرد، أو فسطاط زبرجد، فاقترحت جماعة الأصحاب، وبنو الآداب، أن ينظموا صورة الحال، بشرط الارتجال، على أسلوب الأرجاني[2] فى وصف الشمعة فقلت [3].

نمت بأســرار ليل كـاد يخـفـيـهـا ∴ وأطلقـت قلبـهـا للـنـاس من فـيـهـا

والمناوى فى وصف[4] الوادى:

وقـانـا نفـحـة الرمـضـاء وادٍ ∴ سقـاه مـضـاعف الغـيث العـمـيم

وقالت بنت تقى الأندلسية واسمها حمدة فى وصفه:

أباح الـدمـع أســــرارى بـوادٍ ∴ لـه فـى الحـــــسن آثار بـوادى

فقلت لا تركض خيول الإرتجال فى هذا المجال، ولا تستبق بداية الأذهان فى هذا الميدان، ولأن تسمحوا فى الانتظار بليلة، ربما ينجح فى اختياركم الحيلة، فأذعن كلانا إلى ما شاء صاحبه من الاقتراح، فقلت عند تنفس الصباح:

---

(١) ماجريات فى الاصل
(٢) الأرج فى ب، د
(٣) لقت مزيدة من ب
(٤) وصف = فضل فى ب، فصل فى جـ

يا سـرحة الـشاطئ المنسـاب كـوثره ∴ على اليـواقيت فى أشباه[1] حـصبـاء
حلت عليك غـزاليهـا السحـاب إذا ∴ نوء الـثـريـا اسـتـهلـت ذات أنواء
وإن تبـسم فـيك النوء من جـدل ∴ سـقـاك من كـل غـيم كل بكاء
رحمـاك بالوارف المعهـود منك فكم ∴ لـنـا بـظـلـك مـن اهـوا وأهـواء
وكم نزلنا مـقـيـلا منك مـا حـمـا ∴ الهـجـيـر حـيث لا مـرأى بجـر مـاء
نظل فى فيئك الفضـفـاض فى ظلل ∴ من الـغـمـام يقـينا كل ضـراء
يا طيـبـة[2] بدواء القـيـظ سـالمة[3] ∴ أنت الشـفـاء لذى الـرمضـاء من الداء
لا صوّخ[4] الدهر فيك الزهر وانبجست ∴ عليـك كل هـتـون الـورق سـوداء
عـصـابة القـوم أمـو روض[5] زاهر ∴ تعـزى الأكـرم أخـوال وآباء
خـمائل الزهر مناشـهـا ومرضـعهـا ∴ ضـرع الـنـمـيـرين من نـيل وأنواء
فاستمهدت دوحها المخضل وافترشت[6] ∴ نجم الـربا ورقت عـرشـا علـى الماء
قـريـرة العـين بـالأنواء بـاردة ∴ القلـب اللذى لم تنـله غـيـر سـراء
مـقيـل ندمان بل مـغنى حـمـائم بل ∴ كناس أرام بل أقـبـاء[7] مـاء
لها مطارف ظل سجسج فى صيفها ∴ يعـادل الطيب[8] فـيـه طيب مـشـتـاء
قـديمة العهـد هزتهـا الصبـا فغـدت ∴ فـهى العـجـوز تـهـادى هدى مـرهاء
لا يدرك الطرف أقـصـاها على كلل ∴ حـتى تـعـود له لحظات حـولاء
وصوب بلبلها الراقى ذرى[9] غصن ∴ فى حلة من دمقـس الريش دكناء[10]
كـقـرع ناقـوس ديرىّ على شـرف ∴ مـسـبـح فى سـواد الليل دعّـاء
حليـة حين أحنيت[11] الضلوع على ∴ نار بـشـجـو بـهـا لا حب لميـاء
تهكمـت بى فلم تحنى أضـالعـهـا ∴ على الهـواء وأحنتهـا عـلى مـاء[12]

---

(١) أشباه = أشكال فى ب، د، و
(٢) طبة فى ب، د
(٣) سالمة = عالمة فى ب، د، هـ
(٤) ضرج فى هـ
(٥) أم موا روض فى و
(٦) وافترست فى جـ، د
(٧) افناء فى جـ، افتاد فى د، اقنا فى هو
(٨) الطيب ناقصة فى ب، د.
(٩) ذى فى ب.
(١٠) دمقس = دمشق فى أ، ب، دمشتق فى جـ، الريش = الريح فى ب، د.
(١١) احنيت فى أ، و، اجنبت فى هـ
(١٢) تهكمت = تحكمت فى جـ، تحنى = تحسن فى جـ، أحنتها = أخفتها فى هـ

بديعة الحسن قد حاز الجناس لها ∴ من المعـــانى بأفنان وأفناء
وقام عنها لسان الزهر ينشدنا ∴ للهو كم أرج ما بين أرجاء
كم صفق الموج من أزهارها طربا ∴ فنقطته بيضاء وصفراء
وكم طربت لما أبدته من ملح ∴ يصبو لها[1] كل ذى عقل وآراء
وجدت بالتبر من مالى ومن أدبى ∴ فصرت فى كل حال منهما الطائى
كأنها فى جنان الخلد قد كملت ∴ حسنا من خضر الغناء
كأن أغصانها لون الرشاق إذا ∴ هصرت أفنانها أعطاف وطفاء
كأن صبغتها الحمراء بقشرتها ∴ الدكناء قرص على أعكان سمراء
كأنها فوق دعص الماء إذ سفحت ∴ هضابة سح واد رب أفياء
مالت على النهر إذ جاش الخرير به ∴ كأنها أذن مالت لإصغاء
كأنما النهر مرآة وقد عكفت ∴ عليه تدهش فى حسن ولألاء
ذو شاطئ راق غب القطر فهو ∴ على نهرا لأبلة يزرى أى إزراء[2]
كأنه عند تفريك النسيم له ∴ فرند سيف نضته كف حلاء[3]
كأنه شبك من لؤلؤ نظمت ∴ أو جوهر السنى أو تخليل رقشاء[4]
كأنه حين يهدى زرقة وصفاء ∴ رقراق عين بوجه الأرض شهلاء
إذا شدون حمامات الأراك على ∴ أغصانها فرأينا رقص هيفاء
من كل ورقاء فى الأفنان صادحة ∴ بين الحدائق في فيحاء زهراء
ورق تغنت بسجنات رقين على ∴ عيدانها فى الرفى مغنى وغناء
باكرتها فى سراة من أصاحبنا ∴ لا ينطوون على حقد وشحناء[5]
تداعبوا بمعانى شعرهم فأدوا ∴ ود الأحبة فى ألفاظ أعداء
من كل شيخ مجون فى شباب فتى ∴ يقرى المجون بقلب غير فشاء[6]

---

(١) يصبولها = يصغى له فى جـ.
(٢) بزى أى إزياء فى أ.
(٣) حبلاء فى د.
(٤) تخليل = تحليل فى ب.
(٥) باكرتها = باركتها فى أ، سراه = شراة فى د
ينطوون = ينظرون فى أ، د.
(٦) المجون = الجنون فى أ، فشاء = نساء فى د

قلت : رأيت أبياتا لبعض المتقدمين فى سرحة فأحببت أن أوردها مع هذه وهى هذه :

وسرحة بربا لجد مهدلة ∴ أغصانها فى غدير ظل يرويها
إذا الصبا نسمت والمزن يهضبها ∴ مشى النسيم على ليل يناجيها(١)
تقيل فى ظلها بيضاء آنسة ∴ تكاد تنشرها لينا وتطويها
سود ذوايبها بيض ترايبها ∴ حمر محاسرها صفر تراقيها(٢)

ورأيت فى تذكرة العلاء الكندى بخطه قال : كتب الأديب سراج الدين عمر الوراق إلى مهذب الدين بن البرهان مع طبق عنب من داره بالروضة :

دع هجرا والتمر فى ضربك ∴ الأمثال للقاطن والراحل
فأعجب الأشياء إهداؤنا ∴ من عنب الكرم إلى الفاضل

فأجابه

أخجلت أرباب الندى كلهم ∴ من قائل منهم ومن فاعل
فلا عدمناك فتىً محسنا ∴ تحسن فى العاجل والآجل

وكتب إليه فى المعنى أيضا :

أهديت لى عنبا سر الفؤاد به ∴ كأن آنيته إذ زانها القدم(٣)
وغير بدعٍ إذا أهديت لى عنبا ∴ فإن دارك فيها الكَرْم والكرم

قال الإمام أبو حيان النحوى . صنع لنا القاضى علاء الدين بن بنت الأعز طعاما بمنزله بالروضة فحضرته وكان معنا القاضى فخر الدين بن صدر الدين المارابى (٤) فرأينا ونحن بالمنزل ننظر إلى البحر شابا يسبح فى الماء ثم خرج فالتطخ بتراب من البر فقال علاء الدين : لينظم كل منا فى هذا المعنى شيئا فقعد كل منا بمعزل ولم يطلع على ما نظمه رفيقه حتى تكمل ما نظمناه وأخذ كل واحد منا مانظمه الآخر فكان ما نظمه :

---

(١) ليل = لين فى ب، د.
(٢) محاسرها = محاسدها فى -
(٣) كأن = كأنه فى ب، د، آ، ... ى د، ابنته فى هـ، زانها = زادها فى جـ.
(٤) المازانى فى ب

ومتـرب لولا التـراب بجسـمـه ∴ لم تبـصـر الأبصـار فـيـه منظرا[1]
فكأنه بـدر عليـه سـحـابة ∴ والتـرب ليـل من سناه أقـمـرا

ونظم فخر الدين:

ومـتـرب تـربت يداه من حـازه ∴ كـقـضيب تبر ضمـخـوه بعنبر
فكأن طرته وضـوء جـبـيـنه ∴ لـيل أظـل على صـبـاح أنـور

ونظم أبو حيان:

ومـتـرب قـد ظن أن جـمـاله ∴ سـيـصـونـه عنا بتـرب أعـفـر
فـغـدا يضـمـخـه فزاد مـلاحـة ∴ إذ قـد حـوى لـيـلا بـصـبـح أنور
فكأنما[2] الجسم الصـقـيل بتـربه ∴ كـافـورة لـطخـت بمسك أذفـر

وقال الأديب جمال الدين بن نباتة [3] شاعر عصره يتشوق إلى الروضة والنيل ويمدح السلطان الملك الناصر حسن بن الناصر محمد بن المنصور قلاوون:

بدت في رداء الشعر باسـمـة الثغـر ∴ فـعـوذتهـا بالشـمـس والليل والفـجـر
ولو شئت قـسمت الذوائب مقسمًا ∴ بطيـب لـيـال من ذوائبـهـا عـشـر
ويعـذلنى من لـيس يدرى صـبابتى ∴ فـأصـرفـه مـن حـيث يدرى ولا يدرى
ومن عـجب الأشـيـاء حلوٌ ممنعٌ ∴ وأصـبـر عنه وهو حـلوٌ مع الصـبـر
وكم لائم فى حب خنسـاء أعرضت ∴ وعنّف حـتى جانس الهـجر بالهـجر[4]
وشـيـب رأسـى خـدّها ومـعـنفى ∴ وهذا رمـاد الـشـيب من ذلك الجـمـر
فـيـا قلب خنسـاء القـوىّ وأدمـعى ∴ على مـثلك العينان تجـرى على صخـر
أرى الشمس منهـا فى العشـاء منيرةً ∴ ومن صـدّها عني أرى النجم فى الظهـر
يذكـرنى عـهـد الوفـا مـا نسـيـتـه ∴ ولكـنه تجـديدُ ذكـر على ذكـر
زمان الصـبا والقـرب لانحذر النوى ∴ ولكن نـقـضـى أحلى مـن التـمـر[5]

(١) منظرا = مبصرا فى جـ، هـ.
(٢) فكأن فى ب.
(٣) انظر ديوان ابن نباته ط ١، مصر، ١٣٢٣ هـ/ ١٩٠٥م ص١٩٥-١٩٧.
(٤) الفخر بالفخر فى أ والفجر بالفجر هـ والمثبت من ديوان بن نباته ص١٩٥.
(٥) أحلى من التمر = منه فى المر فى المخطوط والمثبت من الديوان.

أمـا وقـد ضـاء المشـيب بمفـرقى ∴ فبالشيب لا بالطوع صرنا إلى الهجر
وفـارقت خـدّ الغـانيـات وجـفنهـا ∴ فجرحـا على جرح وكسرا علـى كسر
وإنى لمشـتـاقٌ إلى ظل روضـة ∴ علي النيل أروى العيش فيها عن النضر
لئن حـثنى باب البريد إلى مـصـرً ∴ لقـد حـثنى باب الزيادة فـى النذر[1]
إلى مصر يحلو نيلهـا فحصب الثرى ∴ فـيغنى الورى فى الحـالتين عن القطر
وتقبيـل حلو الغـز للمـحل قـاتل ∴ حـلاوته سـكبٌ وجنديـه يجـرى[2]
ويجري بإسـعـاد الـعبـاد فـحبـذا ∴ بسـعـدك يا سلطانهـا سـاعيا يجـرى
لسلطان مـصـر الناصـر بن مـحمـد ∴ على كل مـصـر طـاعـه البـحـر والبـرّ
تجـمعت الأمـصـارُ فى مـصر طاعـةً ∴ وهل تجـمع الأمـصـار إلا على مـصـر
سـلام على اسكنـدر الوقت إن يفح ∴ شذا الذكـر عنه فالسلام على الخـضر
سـلام ثغـور الخلق تنقش فى الثـرى ∴ بأفواهـها خـتـما على أنفـس الذخر[3]
على باب سـلطان العـبـاد كـأنـهـا ∴ لنـظم ثـنـايـاهـا عـقـود مـن الدر
مليكٌ روت أعـمـاله سيـر الـتُـقى ∴ عن الملك المصرى عن الحسن البصرى
له منـزلا جـيـش وتحت مـقـامـه ∴ بهذا وذا فى القلب حب وفى الصدر[4]
أيـا له مـلـك لا فـلان ولا فـلٌ ∴ ونحـو علَى لا نـحـو زيد ولا عـمـرو
فـمـلكٌ بلا جّـور وحـكمٌ بلا هوىً ∴ وأزرٌ بلا وزر وعـز بـلا كـبـر
قضـا عمـر فى حلم عثمـان جامـعا ∴ لبـأس علىّ فى سـمـاح أبى بكر
مـضى الشفّع من مـرأى أبيه وجـده ∴ وجـاء فـلا زالت لـه دولةُ الـوتر
إلى ناصـر من ناصـر وكـذا على ∴ مـدى جده المنصور مسترسل النصـر
أجل بيـوتَ الملك بيتَ قـلاوون ∴ وأنت أجـلّ البـيت يا وارث الـدهر
فملكك حقٌ واضح الصبح[5] أشرقت ∴ سـعـادته كـالظـهـر يا واحـد العـصـر

---

(١) النذر = البدر فى أ، جـ، هـ
(٢) وتقبيل حلو الغز = ويصبح حلو العر فى أ، جـ والتصحيح من الديوان
وجنديه يجرى = وجندته تجرى فى ب، د
(٣) تنقش فى الثرى = تتنفس فى الورى فى ب، د، و. ، حتما = ختما فى أ
الزخر = الزجر فى هـ، بأفواهنا = بأنفاسنا فى هـ.
(٤) جيش = حسن فى أ، هـ. ، حب = جاء فى ب، د.
(٥) الصبح = الشمس فى هـ.

مـــراد الـبـــرايا أن تـدوم وإن ثووا ∴ ومـيـــراثك الـبـاقى إلى ذلك الحـشـر
بصـوتك أركـان الشـريعة شـيـدت ∴ وصـيـنـت ثغـور كلهـا باسم الثـغـر
وخـاض بهـا قـوم تعـدو فـقـوبلوا ∴ بما كـل إنســان لديـه من الخـســر
وليس الذى خـاض الشـريعـة سـالما ∴ من الأسـد الحـامى حـمـاها من المكر
لك الله إمـا كـسـب حظ من الـثنا ∴ يحـوز وإمـا كـسب حظ من الأجر
ليـهنـك مـا تجنيـه من جنة غـدا ∴ بإبـطال مــا تجنى الجنايـاتُ من وزر
ليـهنك مـا عـمـرته من مـعـالـم ∴ سـيـثنى على عـمـارهـن أبو ذر
ويمد حكم حـسّانهـا اليوم أو غـداً ∴ بدار البـقـا بعـد الطويل من العـمـر
فـأيامك الأعــيــادُ عـائـدةٌ لمن ∴ رجـاك ومن عـاداك بـالفطر والنحـر
وكـفـاك للمـداح أيام عـشـرها ∴ وليلـة من تسـعـى لهـا ليلة القـدر
ودولتك الزهراء للـجــود والسّطا ∴ فـبالـفَلك السعـدىّ والفلك الـبشـرى
ونصـر على الأعـداء يبـادرُ رُعـيـه ∴ فيسبق مـجرى الخـيل بالعسْكـر المجر
ويعرض عن كـيد العدا لاحتـقارهم ∴ بلا قـاصـد ماشٍ ولا حـائم صـقـر[1]
فـأعـداك هذا مسّ فى النـوم رأسـه ∴ وآخـر قـبلَ السـيّف مـات من الذعـر
وكـم لك فـى دانـى الـديار ونـازح ∴ غـيـوث عطايا تخلـط السـهل بالوعـر
يضنّ بأحــمـال من الـتبن مـعـشـرٌ ∴ إذا اتصلت أحــمـال جـودك من تبـر
مليك التقى والـعلم والبأس والندى ∴ فـمـدحٌ على مـدحٍ وشكـرٌ على شكر
تهنّ وكـلّ الناس عــافـيـــة روت ∴ حـديث التهـانى عن بُشـير وعن بشـر
بهـا حمـلت عنك السقـام بمصرها ∴ عـيـون المهـا بين الجـزيرة والجـسـر[2]
فليس سـفيـحـا غيـر جـسم مليحـه ∴ وليس عليـلا غـيـر ناسـمـة تـسـرى
فـأحـسن بهـا للمـلك فى كلّ حـالة ∴ بشـائر عند السـيف والعـزّ والنـصـر
وأحـسن بهـا حـيثُ الهنـاء مـسطرٌ ∴ صـحـائفـهـا عن كـاتب السـرّ والجهـر
عـــوافـىَ ألا أنهـــا قـــاهـرية ∴ حلت حـالـتاها فـى المسرة والقـهـر
فـعافـية الأجـساد عند ذوى الهـدى ∴ وعــافـيــة الأطلال عند ذوى الكفـر
هنيــئًـا لأجـلاب المدائح والرجـا ∴ مـــزهّرة الأوراق بـالأنجـم الزّهـر

(١) خائم = حائم فى أ، جـ، هـ.
(٢) الشطر الثانى مقتبس من بيت لعلى ابن أبى الجهم
عيون المها بين الجزيرة والجسر ∴ جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى

يبـــيع ولـكن بالـكلام نفـــائسًــــا ∴ من المال تلـقـاها غـداً جـمـة الوفـر
ويبـتـــاع لكن بالنفـيس غـواليًــا ∴ من الحــمــد إلا أنه عــاطر الـنشـر
غنيـنا عن الســبع البـحــار بأنمل ∴ أفيـضت كمـا يغنى عن السبع بالعـشر
وأحـببت للآداب علـمًا ومـعلمًـاً ∴ بنعــمـاء تـقـرى بالـفـوائد أو تقـرى
وجـوهُ دنانيــر سـبـقن بمـعـجـز ∴ ترينـا وجـوه النمّ فى أول الشــهـر
سبـقن وإن لم يشتكى الفـقر بالغنى ∴ وقـابلن من لم يشـتك الكسـر بالجـبـر
كـذلـك أذهان الملوك نقـيـــةٌ ∴ ترى فى مـرآة العـقـل أيان يسـتـقرى
تأملـت مـا تـعطى الملوك من الـنهى ∴ فـعوذت فـردا بالثـلاث من الحجـر[1]
أحـقــا أرانى فى ثـرى عــتـبــاته ∴ نبــاتًا يـحـيى وأكف المزن بـالزهر[2]
وأنشـد أمـداحًـا تقـول لمن أتت ∴ مـدحنك بالشـعـرى وغيـرك بالشـعـر
وافـعل أفـراس كـأحـمر عـسجـدا ∴ وقـد كنت مـشـاء على قـدمى تسـرى
وقـد كنت فى قـبـر الخـمـول وهانا ∴ مليّ بمـا قـد قـاله صـاحـب القـبـر
أزف من الأمـــداح كل مليــحـــة ∴ وإن جــازت الســبـعين ناهـدة بكر
ومـا كــان من نثـر ونظم صنعـتـه ∴ لغـيـــرك إلا مــثـل تجـربة الفـكر
فـمـا برحت خـدام وصـفك مـثـلا ∴ تراك فـتـرك مـسند الحـمـد والذكـر
مـرجـيك عن لجح ويمنـاك عن عطا ∴ ورأيك عن سـعـد وملـكك عن نصـر

وقـال ابن أبى حـجلة فـيـمـا كـتب به على داير قـاعـة صـلاح الـدين الزفـتـاوى بمـصـر مـقـابل الروضة:

بنيـت على الســمــاحـــة والرياح ∴ وحـــزت الحـســن مـن كل الـنواح
وفــقـت الدور فى مــصـــر لأنى ∴ حـويـت من التـقى أهل الصـــلاح
يزيـل البـــحــر حـولى كـل هم ∴ كــــــأن الماء ممـزوج بـراح
ويبـــدى الـريح لى منه دروعـــا ∴ ويصـــقـلهـا فـتلمـع كـالصـفـاح
إذا افـتــرجـوا على الشــرب منه ∴ سـقـيـتـــهم من الماء القـــراح
كــأن حــبـابـه البـــادى عليــه ∴ عــقـــود الدر فـى جـيـــد الرداح

(١) الحجر = الجمر فى المخطوط والمثبت من الديوان .
(٢) ثرى عتباته = مرمى عنانه فى المخطوط ، ونباتا = سابا فى المخطوط .

أقابل روضة فيها زهور ∴ تضوع[1] كطيب أثواب الملاح
وسقفى كالرياض به دهان ∴ تبسم فيه عن ثغر الأقاح
وأرضى من رخام من رآه ∴ يصرح فيه بالحسن الصراح
وطالع سلمى أبدا سعيد ∴ يزيد به سروري وانشراحى
وطالع باذهنجى كل حين ∴ أريح القلب منه بالرياح[2]
إذا هب الطياب[3] به عشاءً ∴ يطيب من العشا إلى الصباح
وإن لام العذول على هواه ∴ فبعض القول يذهب فى الرياح

وقال يمدح صلاح الدين المذكور:

تزايد مثل البحر من قربكم أنسى ∴ وبت من المقياس فى بسطة النفس
فكيف أخاف الآن نقص مسرة ∴ بمصر وهذا النيل قد زاد فى العرس
وأقبلت الأيام باللين[4] والرخا ∴ وزال[5] الذى تشكو الأراضى من اليبس
وجاء صلاح الدين والنيل مقبل ∴ وحاسده المغبون فى الطرد والعكس
إليك صلاح الدين قافيتى التى ∴ أتت بثغر السن تبسم فى الطرس[6]
ولو لم أبت فى مصر نحوك مقلعا ∴ قلعت من الدنيا وأبنائها ضرس

وقال أيضاً يصف بيتا على البحر:

وبه شبابيك ترى بعيونها ∴ ما لاح من مصر إلى أسوان
ومناظر تصغى إلى مر الصبا ∴ فكأنها الآذان فى الحيطان
وعيون شاذروانها لما جرت ∴ أمست تقول تعالى صبّ عان

---

(١) تفوح فى هـ.
(٢) الباذا هنج هو الملقف للهواء أو منور.
وأريح = أريد فى ب، جـ، د.
(٣) الطيبات فى ب.
(٤) بالنيل فى جـ.
(٥) وزاد فى ب.
(٦) قاضيتى = ناقتى فى جـ، أتت = اتتك فى هـ، أتيت فى و، السن = السين فى هـ.

طفح السرور على حتى أنه ∴ من عظم ما قد سرنى أبكانى
أهوى خرير الماء فيه كلما ∴ خر النسيم به على الأذقان
يحلو النسيم الهم فيه مجالبا[1] ∴ أو ما سمعت[2] بصيقل[3] الأذهان
ألف الصبا فيه الطياب فتارة ∴ يتفرقان به ويجتمعان
إن صفقت أمواج بحرته فكم ∴ غنت حمائمه على العيدان
وكأنما الشختور[4] فيه عقرب ∴ ينساب فوق الماء كالثعبان
وكأنما رجل الحمام إذا مشى ∴ فى مرجه طبعت فى المرجان
فمتى مررت بمرج ناديه ضحىً ∴ مرج الندا بحرين يلتقيان
لو لم أبت والبان حول بنائه ∴ وأبان فيه فضيلة للبان
كم لاح[5] فئ الظلل فوق الورد ∴ مثل الدر فى صحن من العقبان
والزهر فى النارنة حين يلوح ∴ مثل الدر كالأقراط فى الآذان
فجمعت بين البحر والإيوان ∴ والبستان والغزلان والميدان
فتهنّ بالمجموع دام لك الهنا ∴ فجميع ما تهواه فى بستان

وقال أيضاً فى قلعة

قلاع قلع الهم عنى بذكرها ∴ وإن طولت شوقى إليها قصورها
لئن كان جوف الليل فى مصر روضةً ∴ ففى كل قصر روضة وغديرها

وقال أيضاً فى بيت بدر الدين الخروبى قبالة المقياس :

تأمل فما مثلى على البحر بارز ∴ فكم طاب عندى للطياب هبوب
عيون شبابيكى كألحاظ عاشق[6] ∴ على كل عين للهواء رقيب

---

(١) قاتلا فى هـ، دايما فى د.
(٢) سمعنا فى هـ.
(٣) صقيل فى أ.
(٤) الشختور هو مركب للنزهة يستعمل فى النيل والخلجان.
(٥) فاح فى جـ.
(٦) فى جـ لحاظ العاشق.

وقال ابن نباتة :

تقلدت من نعمـاك فى حال غـربتى ∴ قـلائـد شـتى مـن نوال من شـعـر
وأسكنتنى بيـتـا على البحـر أرتجى ∴ ومكافـاته فى ألف بيت على بحـر

وقال آخر :

إذا كنت فى مصـر ولـم تك سـاكنا ∴ على نيلها الجارى[1] فما أنت فى مصر

وقال ابن أبى حجلة يمدح الخليفة أمير المؤمنين المعتضد بالله أبا الفتح أبا بكر ويذكر النيل وذلك فى سنة اثنتين وستين وسبعمائة هـ.

إذا بت فى در المدامع حـاليـا[2] ∴ علمت غـرامى بالعـقـيق وحاليـا
حكى خفـقـان البرق قلبى كـأنما ∴ ببرق الحمى من لـوعـة الحب مـا بيا
إذا لمعت نار البـروق على الغـضـا ∴ أذابت عـليـه قـلعـة من فـؤاديا
وإن لاح لى من أعين الجـزع بارق ∴ سللت على العـذال[3] سيـفـا يمانيا
خليلى كـفـا عن مـلامى فى الهـوى ∴ فـمـا لكمـا فى اللـوم خيـر ومـاليـا
ألم تعلمـا أن الـعـذول على الهـوى ∴ يـزيد المـعـنّى فـى الغـرام تماديـا
وليل كـيـوم البحـر[4] طولا وظلمـة ∴ إذا ما دجى[5] خفت الـرقيب المداجيا
إذا طار مـن جنـح الظلام غـرابة ∴ رأيت به من أشـهـب الصـبح بازيا[6]
سـريت به والـبـرق يسـتل سـيـفـه ∴ ويضـرب من هام الجبال العـواليـا[7]
كـأن دموعى أنجم فـيـه قـد سـرت ∴ وخلت بيـاضـا خلفـهـا ومـآقـيـا[8]
سـقى بقعـة فـيـهـا العقـيق سـحائبـا ∴ إذا أقلعـت ألقت دمـوعى المراسـيـا

(١) العوالى فى أ، ب، جـ.
(٢) حاليا فى أ، خاليا فى جـ.
(٣) الغزال فى جـ.
(٤) الهجر فى هـ.
(٥) حيى فى و.
(٦) باريا فى أ.
(٧) الأعاليا فى به و د.
(٨) ماتيا فى هـ، وأماقيا فى جـ.

منازل لو مرت بمين[1] جنازتى ∴ لقال الصدا يا صاحبىّ قفا بيا
على أننى لو رمت فيها صبابة ∴ أعيدت بها روحى إلىّ كما هى
بها تربة العباس تبسم نورها ∴ ويجلو من الظلماء ما كان[2] داجيا
سقاه بها الرضوان ربى فطالما ∴ غدا بكؤوس المزن للأرض ساقيا
خليفته فينا سرى مثل سيره ∴ فردى بسحب الجود من كان صاديا
ألم يبد فينا مع طلاقة وجهه ∴ مكارم عباسية وأياديا
أتى مصر والنيل العظيم بفيضه ∴ يعم أقاصى أرضها والأدانيا
إذا ما بدا والماء فيها مكدر ∴ رأينا به عيش البرية صافيا
يشنف سمع الأرض بالقرط دائما ∴ ويترك جيد الروض بالزهر حاليا
يذكرنى رشف الثغور أقاحها ∴ ولم أك ناسيها ولا متناسيا
فكم روضة نمامها عرف طيبه ∴ إذا ما أمنا غدله يأت واشيا
ينم[3] على خد الشقيق إذا غدا ∴ بروضته الفيحاء بالخال حاليا
فللنيل فى أرض الكروم تكرم ∴ يروى بها أشجارها والدواليا
كأن ندى كف الخليفة لم يزل ∴ يدير على الظمآن منها سواقيا
فكم حركت عوداً له الورق فى الضحى ∴ كما حركت أيدى القيام الملاهيا
أغانى[4] التهانى فيه إن عاز مطربا ∴ بأصواتها تملى عليه الأغانيا
إذا ضعفت يوما على النظم[5] همتى ∴ وجدت القوى فى مدحه والقوافيا
لقد سار فينا سيرة عمريّة ∴ أبو بكر الحاوى العلا والمعاليا

وقال ابن أبى حجلة أيضاً وقد ركب مع الجمال ابن نباتة فى شختور إلى الجيزة.

وفى لك الدهر يا شيخ القريض بما ∴ تهوى بمصر بإنجاز[6] وإنجاح
وجزت للجيزة الفيحاء مصطبحا ∴ والكوب ما بين ملاء وملاح

---

(١) بهن فى هـ.
(٢) ما كان = مالان فى ب، جـ.
(٣) بفم فى جـ، د.
(٤) أغانى = بما فى فى ب، جـ، د.
(٥) على النظم = عن المدح فى هـ.
(٦) بإيجاز فى ب.

وقال أيضاً وقد ركب بعض أصحابه فى البحر فلما عاد وجد داره احترقت:

ركبت[1] فى البحر يا مخدوم يوما ∴ لتشرح صدر كل أخ شقيق
وأوحشت[2] المنازل منك حتى ∴ شكت فى قلبها نار الحريق

وقال الصلاح الصفدى فى تذكرته ومن خطه نقلت: قال ناصر الدين حسن بن النقيب: كنا عند سراج الدين الوراق بالروضة وجمال الدين أبوالحسين الجزار حاضر ومعه شاب اسمه نجم راح إلى مصر فقعد عندنا وطلب الرواح لحاجة عنت له فقلت:

يا جمال الدين ما أزكي ∴ وما أيقظ فهمك
فكم سددت بالفكره ∴ فى الأغراض من[3] سهمك
فأبن لى لائحا ∴ الخلاف ما عمرت سهمك[4]
ما الذى عدى بك ∴ اليوم لمصر وما همك[5]
والذى يخطر لى إنك ∴ قد أبصرت نجمك
بالذى نشر أعلامك ∴ فى الفضل وعلمك
فأزل وهمى أزال ∴ الله عن قلبك وهمك
لا تدعنى أيها الجزار ∴ ممن يأكل لحمك
والذى يظهر[6] لى إنك ∴ قد أوترت سهمك
وقبيح بك أن تجعل ∴ مدحى لك ذمك

فأجاب ونحن جلوس بديها

سيدى حاربت عبدا ∴ لم يزل يطلب سلمك
وأحاشي فيك الثاقب ∴ فى الحدس وعلمك[7]

---

(١) رأيت فى جـ.
(٢) فأوحشت فى هـ.
(٣) من ناقضة فى ب، د.
(٤) فابن = فاين في جـ، لائحا = لامجا فى جـ، ولامحا فى هـ، الخلاف = الخلاق فى جـ، سهمك = اسمك فى هـ.
(٥) وأهمك فى ب.
(٦) يخطر فى هـ.
(٧) هذا البيت والذى يليه مزيد من هـ.

إن تـرانى غـــرض القـــول ∴ إذا فـــوقت ســـهـــمك
أنـا والله ولجـــمى[1] ∴ نشـــتـــهى نأمن رجـــمك
ليت شـــعـرى يـا قـوى الصـلب ∴ فـــهل ســـميـــتنى اســمك
والـذى وفـــر مـن لـذة ∴ هـذا البـــاب قـــســمك
لـست فـى الـنظم ولا الـنثـــر ∴ ولا فـى البـــاه خـــصـمك
فـــاعـــتـذر واســتـغـفـر الله ∴ فـــقـــد قـــارفت إثمك[2]

ونظم سراج الدين الوراق أيضا :

حـمـدنا الأمـيـر ابن النقـيب لأنه ∴ أعـادك بعـد اليـوم يقظان مـفكرا
هراق بذكـر النجم نـومك عـامـدا ∴ كـذا من يراعى النجـم لا يطعم الكرى

قال الصفدى : وكتب أبوالحسين الجزار إلى ناصر الدين بن النقيب :

قـد هربنـا من انزعـاج الهـواء ∴ وفـــزعـنـا لـروضـــة ولماء
ولـورد مـثل الخــدود وزهـر ∴ حـمـــلا منك عـاطـرا منّ ثـناء
ولدينا إن شـئـت عـود بخـور ∴ ضـمنا غـيـمـه وعـود غناء
وندامى إن كنت فيهم فحق الأرض ∴ أن تزدرى بشـــهب الســـمـــاء
فـتـفضل وكن جـوابا كـمـا لبى ∴ نـداك العـــفـــاة قـــبل النداء

فأجاب :

خـلنـى من مـــدامـــة وغـنـاء ∴ ونـديم وروضـــــة غـنـاء
لـيس فـى الجــمع حـظ ولكـن ∴ أنت حظى ومنيـتى واقـتـضـائى
أنا لـولاك مـــا تخطيت يومـــا ∴ بعـــد وخـط المشـيب للندمـــاء
لكن[3] يا صـــاحب الشـــذور من ∴ الأشـعـار صحت صناعـة الكيـميـاء
ويمنا[4] بنـورألفـــاظك الـغـــر ∴ ومن دونـهـــا لجـــوم الســـمـــاء
وبأبيـــاتك بـالأواهل[5] بالمعـنى ∴ الصـحـيـحـات قـسـمـة فـى البناء
مـــا تـأخـــرت عنك رلا لـعــذر ∴ ســـوف يبـديه العـبـد عند اللقـاء

---

(١) ولجمى = وغيرى فى ب. (٢) قارفت اثمك = فارقت اسمك فى جـ، هـ.
(٣) لك فى جـ. (٤) ويمينا فى جـ.
(٥) الأوائل فى هـ.

• ذكر موسم النيروز •

قال ابن رضوان: لما كان النيل هو السبب الأعظم فى عمارة أرض مصر رأى قدماء المصريين وخاصة الذين كانوا على عهد دقلديانوس أن يجعلوا أول السنة فى أول الخريف عند استكمال النيل.

والنيروز هو أول السنة القبطية وهو أول يوم من توت.

وقال المقريزى: وكان من مواسم لهو المصريين قديما وحديثا إلى أن أبطله برقوق وكان من عاداتهم فيه إيقاد النار والتراش بالماء وكان الخليفة يجلس له فى قصر اللؤلؤة على الخليج وكان الأفضل يجلس فى دار الملك التى بقرب المعزية على ساحل النيل، وأراد الخليفة الآمر فى سنة ست عشرة وخمسمائة (هـ) أن يحضر إليها فى النيروز فى المراكب على ماكان عليه الأفضل فأعاد عليه المأمون أن لا يمكن فإن الأفضل لا يجرى مجراه مجرى الخليفة..

ومعنى النيروز فى اللسان السريانى العيد، وسئل ابن عباس عن النيروز لم اتخذوه عيداً؟ فقال. أنه أول السنة المستأنفة فكانوا يستحبون أن يتقدموا فيه على عهد ملوكهم بالظرف والهدايا فاتخذته الأعاجم سنة.

وفى تاريخ ابن عساكر من حديث ابن عباس فى قوله تعالى: ﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾ (١) قال وافق ذلك إليوم يوم النيروز، وقال حمزة بن على الأصبهانى فى كتاب أعياد الفرس: أول من اتخذ النيروز جمشيد ويقال له جمشاد ملك الفرس الأول، ومعنى النيروز إليوم الجديد، وقال ابن وصيف شاه: أول من عمل النيروز بمصر منارس بن منقارس أحد ملوك القبط فى الدهر القديم، فكانوا يقيمون سبعة أيام يأكلون ويشربون.

وقيل إن سليمان عليه السلام أول من وضعه فى إليوم الذى رجع إليه خاتمه، وقيل هو إليوم الذى شفى فيه أيوب عليه السلام، وقيل إنه إليوم الذى أحيى الله فيه السبط من بنى إسرائيل وهم الذين خرجوا من ديارهم وهو ألوف حذر الموت فقال لهم الله: موتوا ثم أحياهم فرفع أمرهم إلى ملك فارس فقال: تبركوا بهذا إليوم وليصب بعضكم على بعض الماء، وقيل أنه إليوم الذى رمى فيه إبراهيم عليه السلام فى النار.

وأخرج ابن عساكر فى تاريخه بسنده من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: كان إليوم الذى رد الله إلى سليمان بن داوود عليه السلام خاتمه يوم

---

(١) سورة طه الآية ٥٩.

النيروز فجاءت الشياطين بالتحف وكان تحفة الخطاطيف أن جاءت بالماء فى مناقيرها فرشته بين يدى سليمان عليه السلام فاتخذ الناس رش الماء من ذلك اليوم .

وأخرج ابن عساكر عن طريق إسحاق بن بشر أخبرنى مقاتل بن سليمان نحوه، وزاد، قال: سمى ذلك اليوم نيروز وذلك أنه وافق ذلك اليوم الذى يسمونه النيروز فكانت الملوك تتيمن بذلك اليوم واتخذوه عيداً وكانوا يرشون الماء فى ذلك اليوم ويهدون كفعل الخطاطيف ويتيمنون بذلك .

وأخرج ابن اسحق عن طريق اسحق بن بشر . حدثنى سفيان الثورى قال: بلغنى أن سليمان بن داود يوم رد الله عليه ملكه أمر الريح أن تحمله فحملته فانتهى إلى مفرق الطريق فاستقبله خطاف فقال: أيها الملك إن لى عشا فيه بيضات قد حضنتهن وأنا أرجو أفراخى أيامى هذه فاعدل رحمك الله فإنك إن مررت بعش حطمته فسمعه وترك ذلك الطريق فانطلق الخطاف إلى البحر حين نزل سليمان فحمل ماءاً فى منقاره فنضح بين يديه فسأل أصحابه عن ذلك فقال: إنه سألنى أن أعدل عن الطريق الذى فيه عشه فهو يحمل الماء من البحر بمنقاره ينضحه بين يدى شكرا لى .

قال اسحق: وحدثنى شيخاً من خزاعة يقال له عبدالرحمن بن آدم .

حدثنى سعيد بن أبى عروبه بهذا الحديث وزاد فيه بأنه أتاه برجل جرادة فوضعه بين يدى سليمان فقال له سليمان ماهذا ؟ فقال: هدية لك . فقال سليمان: لقد [1] شكر هذا ومن لا يشكر المخلوق لا يشكر الخالق .

وكان فى الدولة الفاطمية للنيروز رسوم لأهل الدولة من الكسوة والذهب والورق والبطيخ والرمان والموز والبسر وأقفاص التمر القوصى وأقفاص السفرجل والهريسة المعمولة من لحم الدجاج ولحم الضان والبقر وخبز الرقاق لأربابها كل بحسبه وكان مبلغ النقد فى ذلك اليوم من الذهب أربعة آلاف دينار ومن الورق خمسة عشر ألف درهم، وأما الكسوة فعدة كثيرة من الشقق المذهبة والحرير، فأما الذهب والورق والكسوة فتختص بأهل القصور وأهل دار الوزارة والشيوخ والحواشى والخدام ورؤساء العشاريات وليس لأحد من الأمراء فيها نصيب، وأما أصناف المأكول فيشمل الجميع من ذكر فى العين والكسوة وسائر الأمراء والأعيان ممن له تعلق فى الدولة .

---

(١) لقد = الله فى هـ.

واستمر موسم النيروز بعد الدولة الفاطمية أيضاً إلى سنة بضع وثمانين وسبعمائة (هـ) فمنع برقوق وهو إذ ذاك مدبر الدولة قبل أن يتسلطن من لعب النيروز وتهدد من لعبه بالعقوبة فكف الناس عنه وبطل إلى الآن، وكانت أسواق القاهرة فى أيام عمله تعطل عن البيع والشراء ويقل فيه سعى الناس فى الطرقات ويتعاطى الناس فيه من اللهو واللعب والفسق والفجور ما يخرج عن الحد.

وقال المقريزى: وقل ما انقضى يوم النيروز إلا وقتل فيه قتيل أو أكثر فلله الحمد على إبطاله، وما أحسن قول بعضهم:

كيف ابتهاجك بالنوروز يا سكنى ∴ وكل ما فيه يحكينى وأحكيه
فناره كلهيب النار فى كبدى ∴ وماؤه كتوالى دمعتى فيه

وقال آخر:

نورز الناس ونورز ∴ ت ولكن بدموعى
وذكت نارهم والنار ∴ ما بين ضلوعى

وقال آخر

ولما أتى النوروز يا غاية المنى ∴ وأنت على الإعراض والهجر والصدّ
بعثت بنار الشوق ليلا إلى الحشى ∴ فنورزت صبحا بالدموع على الخدّ

ودار الملك التى كان يحضر إليها الأفضل بن أمير الجيوش يوم النيروز أنشأها الأفضل فى سنة إحدى وخمسمائة (هـ) بجوار المدرسة المعزية بمصر وفيها يقول الأسعد بن المهذب بن مماتى:

حلت بدار الملك والنيل آخذٌ ∴ بأطرافها والموج يوسعها ضربا
فخيلته قد غار لما وطئتها ∴ فأضحى يحرك عند ذاك لها حربا

وكانت من أعظم المناظر، فلما قتل الأفضل صارت من أعظم متنزهات الخلفاء ومازالت عظيمة إلى أن انقرضت الدولة فجعلها الملك الكامل دار متجر ثم عملت فى أيام الظاهر بيبرس دار وكالة.

وقال الصلاح الصفدى فى كتابه فض الختام عن التورية والإستخدام اعلم إن المتأخرين قد سلكوا فى التضمين طريقا أبدعوا سلوكها ووضعوا [1] الدر فى سلوكها وهو أن المتكلم منهم يأتى إلى البيت المشهور أو المثل السائر فيضمنه نظمه أو نثره بلفظه ويعطى له توطئة تقلب معناه الأول إلى المعنى الثانى الذى أراده فيكتسى المتضمن بذلك رونقا ويستزيد [2] بذلك طلاوة وهو نوع يزيد سلامة ذوق وصحة فكر .

كما كتب أبوالحسين الجزار فى يوم النيروز :

كتبت بها فى يوم لهو وهامتى ∴ تمارس من أهواله ما تمارس
وعندى رجال للمجون ترحلت ∴ عمائمهم عن هامهم والطيالس
فللراح ما ذرت عليه جيوبها ∴ وللماء ما دارت عليه القلانس
مساحب من جر الرفاق على القفا ∴ وأضغاث أنطاع حمى ويابس

فانظر كيف نقل لفظة الراح من اسم الخمر فى الأصل من قول أبى فراس إلى جمع راحة واهتدم فى البيت الآخر ما اهتدم فى الموضعين ليوافقه فيما اتفق قصده من مايجرى بين الناس فى النيروز .

وقال الشريف جعفر العلوى المصرى المعروف بابن الماشطة فى يوم اتفق [3] فيه العيد والنيروز :

أتى العيد والنيروز مجتمعا معا ∴ وشملى بمن أحببت غير جامع
فعيدت فى ثوب جديد من الضنا ∴ ونورزت مع صحبى بماء المدامع

ومن إنشاء ضياء الدين ابن الأثير من رسالته فى التهنئة بنيروز أو مهرجان قال : الهنا يحصل بنوروز السنة ومهرجانها وليس ذلك إلا للاعتدال بحلول الشمس فى برج حملها وبرج ميزانها وبين هذين الفصلين مناسبة فى محاسن الآثار فهذا من حظ الأفواه وهذا من حظ الأبصار غير أنهما تفاخرا فى الفضائل وأطلق كل منهما لسانه فى بيان الشواهد وإقامة الدلائل فقال الربيع :

أنا المبشر بنطق الأطيار ، واكتساء الأشجار ، واستغناء الناس عن ثقل الدثار [4] والإصطلاء

---

(١) ورصعوا فى أ، هـ.
(٢) ويستفيد فى ب، د.
(٣) اجتمع فى جـ.
(٤) الديار فى الأصل.

بالنار، وشمس تحل فى برج شرفها الذى هو لها خير الأبراج، وقد جعلت سراجا للسماء، وبه يزيد إضاءة ذلك السراج، ومن زمنى أبان الورد الذى هو أحسن الأزمان، وريحانه أطيب الريحان، وإذا ضاهاه غيره قيل والنجم والشجر يسجدان، ولولا فضلى ما مثلنى الله بالمنشور[1]، وأخرج فىّ المنابت من الظلمات إلى النور، وجعلها سطوراً فى قرطاس الأرض ولا يحسن القرطاس إلا بالسطور.

وأما الخريف فإنه قال:

أنا الذى أتى بذهاب السموم، وأيام الغمور، واعتصار نبات الكروم، وتكاثر ألوان المشروب والمطعوم، وفى يترقرق صفاء الأنهار، وتشبه القوابل بالأسحار، وأيامى هى الذهبيات، وتلك تشبه كريمة البحار، وقد سمانى قوم بربيع الناس، ورأوا لباسى لا يخلق سريعا كما يسرع إلى غيرى إخلاق اللباس، ومن ثمراتى مالاتزال أمهاته حوامل وأوراقه نواضر غير ذوابل، وقد شبه بالمصابيح وشبهت أوراقه بالسلاسل، ولاشك أن هذه الأوصاف من كلا الفصلين صادقة، وهى بشقاق الدعوى بينهما فارقة، ولو استفتيت فى تفضيل أحدهما لما ملت فى كفة الميزان، ولقلت أنهما فى المماثلة كفرسى رهان.

---

(١) بالنشور فى جـ، وبالنشور فى هـ، بالمنثور فى و.

• ذكر الموسم الذى كان بالروضة قديماً ليلة الغطاس •

قال المسعودى فى مروج الذهب : لليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لاينام الناس فيها وهى ليلة احدى عشرة من طوبة ، ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلاثمائة (هـ) ليلة الغطاس بمصر والإخشيد محمد بن طغج فى داره المعروفة بالمختار فى الجزيرة الراكبة على النيل والنيل مطيف بها وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع ، وقد حضر النيل فى تلك الليلة مئون الألوف من الناس من المسلمين والنصارى فى الزواريق ومنهم فى الدور ومنهم على الشطوط كل ما يمكنه من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهى والقصف وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سروراً ولا تغلق فيها الدروب ويغطس أكثرهم فى النيل ويزعمون أن ذلك أمان من المرض ونشرة من الدواء .

وقال المسبحى [1] فى تاريخه فى سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة (هـ) : كان غطاس النصارى فضربت الخيام والمضارب فى عدة مواضع على شاطىء النيل وأوقدت المشاعل والشموع .

وقال : فى سنة خمس عشرة وأربعمائة فى ليلة الأربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى فنزل أمير المؤمنين الظاهر لإعزاز دين الله ابن الحاكم لقصر جده العزيز بالله بمصر لنظر الغطاس ومعه الحرم ، ونودى أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم إلى البحر فى النيل وضرب بدر الدولة الخادم الأسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر وجلس فيها وأمر الخليفة بأن توقد النار والمشاعل فى الليل فكان به وقيد كثير وحضر الرهبان فقسسوا هناك طويلاً إلى أن غطسوا .

وقال ابن المأمون . كان من رسوم الدولة أنه يفرق على سائر الدولة ليلة الغطاس الترنج والنارنج والليمون وأطنان القصب والسمك البورى برسوم مقررة لكل واحد من أرباب السيوف والاقلام .

قلت : وقد بطل هذا فى سائر المنكرات التى بطلت ولله الحمد فجزى الله من أبطله خير الجزاء فإن ذلك من شعار الكفر ، وقد نهى عن حضور أعياد الكفر . روى بن يونس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : اجتنبوا عيد إليهود والنصارى فإن السخط ينزل عليهم فى مجامعهم .

وعن ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى «والذين لا يشهدون الزور» قال : أعياد المشركين فقيل له أو ما هذا فى الشهادة بالزور فقال : إنما أية شهادة الزور «ولا تقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً » .

---

(١) المسبحى ناقصة فى جـ، هـ، و .

• ذكر البرزخ الذى بين النيل والبحر •

قال تعالى: «وهو الذى مرج البحرين. هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا».

قال ابن أبى حاتم فى تفسيره: حدثنا الحسن[1] بن الحسين. حدثنا إبراهيم بن عبدالله الهروى. حدثنا حجاج عن بن جريج عن مجاهد فى قوله «وجعل بينهما برزخا» قال: حجازاً لا يراه أحد لا يختلط العذب بالبحر.

قال ابن جريج: ولم أجد بحراً عذباً إلا الأنهار العذاب تجوز فيه منها مثل الخيط الأبيض فإذا رجعت لم ترجع طريقها من البحر شىء.

قال: والنيل زعموا أنه ينصب فى البحر فلم أجد فى قول مجاهد العذب بالبحر فلم أجد العذب إلا الأنهار. إسناده صحيح. أخرجه مختصراً ابن أبى شيبة وابن المنذر فى تفسيرهما بدون قول ابن جريج.

وأخرج ابن أبى حاتم عن طريق عطيه العوفى عن ابن عباس فى الآية قال: يقول حجز أحدهما عن الآخر بأمره وقضائه وهو مثل قوله تعالى «وجعل بين البحرين حاجزا». وأخرج ابن أبى حاتم عن الضحاك فى الآية قال: جعل بينهما حاجزا من أمره لا يسيل المالح على العذب ولا العذب على المالح.

وقال ابن المنذر فى تفسيره: حدثنا موسى بن خلف. حدثنا شريك عن سالم عن سعيد بن جبير قال: البرزخ مابين العذب والمالح.

فائدة: قال الأرزقى فى تاريخ مكة: حدثنى جدى. حدثنا سعيد بن سالم عن عثمان بن ساج[2] قال: أخبرنى مقاتل عن الضحاك ابن مزاحم قال: بلغنى إن التضلع من ماء زمزم برأه من النفاق وأن ماءها يذهب بالصداع وإن الإطلاع فيها يجلو البصر وأنه سيأتى عليها زمان تكون أعذب من النيل والفرات، وأن الله تعالى يرفع المياه العذبة قبل يوم القيامة غير زمزم فتغور المياه غير زمزم وتلقى الأرض ما فيها من ذهب وقضة.

وأخرج الحاكم فى المستدرك وصححه عن عبدالله بن عمرو قال: للدجال آيات معلومات إذا غارت العيون ونزفت الأنهار وأصفر الريحان وانتقلت مذحج وهمدان من العراق فنزلت قنسرين فانتظروا الدجال غادياً أو رائحاً[3].

---

(١) الحسين فى ب، د.

(٢) المتطلع فى أ، جـ.

(٣) من كلمة وانتقلت حتى رائحا مزيدة من النسخة جـ.

• مفاخرة بين الروضة ومصر •

أنشاء الشريف صلاح الدين محمد بن أبى بكر الأسيوطى

قال: يقبل الأرض وينهى أنه ليس يخفى عن العلوم الكريمة، والألباب الكاملة السليمة، أن النفس والروح للإستروواح، أشد طلباً من راحتها بالراح، أن المملوك قصد مصر لهذا فى بعض الأيام، وتنقل إلى الروضة متنزها من غير آثـام، فملأ العين بما لهما من المحاسن، وبما خصتا به وبذاك الماء العذب القراح الذى هو غير آسن، ورأى أن كلا منهما بمعان تفردت، وبأوصاف غير ماشملها من الإطلاق دون الأخرى قيدت، فاستنطق لسان حالهما، مفصحاً عن أمرهما.

فقالت مصر: بسم الله تبركاً لفظاً ومعنى، أنا القديمة مبنى، والذى إذا عدت أوصاف غيرى من البلدان فرادى جاءت محاسنى مثنى مثنى، لى سمعة فى الجاهلية والإسلام، وإذا حل فى حال دخل دام الأمن بسلام، وشبه بعض السلف خلق الدنيا بالطير وإنى الصدر، وحسبك هذا التشبيه رفعة فى القدر، فخرى على البلاد كفخر العلماء على العباد، وذكرى فى كل ناد بين حاضر وباد، أنا نزهة النفوس ومطلع البدور والشموس، وإذا بدا زمن الربيع فترانى كالعروس، وحبذا بساتينى المفننة بكل عصر طائل، ونيلى الجارى كالسكر المذاب للنائل، وأحسن بقول القائل [1].

أرض مصر فتلك أرض ∴ من كل فن لها فنون
ونيلها العذب فذاك بحر ∴ ما نظرت مثله العيون

فقالت الروضة: الحمد لله على هذه المسرة، ثم الحمد لله الذى أظهر محاسنى بشهادة الضرة، وأقر كل لسان ممن رآنى بإنى لانشراح القلوب مقرة، أنا للجموع رائضة، وبأنواع الفرح والخير فائضة، ولموج الحرث الذى مثل الجبال فائضة، أزهارى بطيبها تفوح، وبألوانها المعجبة تتبهرج وتلوح، وأغصانى تتمايل بما تلحن حمائمها وتنوح، نعم أنا الجزيرة المستجدة، وناهيك بالحسن الجديد إذا فاخر ضد ضده، أنا العروس بالتحقيق فى زمن الربيع، وأنا زهرى الباسم الناسم وتلوينه البديع، أنا لساكنى من الوشاة والرقباء والأعادى فى أيام النيل حصن منيع. ولله در القائل:

---

(١) هو الشاعر المملوكى ابن الصايغ الحنفى.

زر الجزيرة وقت النيل فى السحر ∴ واغنم بهـا لذة الآصـال والبكر
فللجزيرة بالنيل المقيم بها ∴ غنى عن المطر الجانى على الجدر
يا حبذا وهى والبحر المقيم بها ∴ كأنها هالة دارت على القمر
وحبذا صفة المقياس بارزة ∴ كمثل ردف له بالماء مؤتزر
وحبذا الروضة الغناء كم شبه ∴ فيها تقوم إلى جبرى على قدر

فقالت مصر للروضة: الآن حصحص الحق ببيانه، وظهر بعد كتمانه، أسأت بهذه المقابلة، وكيف لك بالمطاولة، أنا فضلى مذكور، وصيتى غير منكور، ودليلى القاطع كالسيف عند أهل العلم مشهور، ذكرت فى أربعة وعشرين موضعا من التنزيل، منها أربعة صريحة وباقيها بتأويل[1]، ووردت الأخبار بسندها فى بصحة الأقاويل، شهد الإجماع بفضلى، ولى الآثار الجميلة والجامع العتيق كعبة للمصلى[2]، وأنا مأوى التنزيل من أبناء السبيل والعالم والصالح والمتولى، كم للنزهة والتعبد عندى من زاوية، وكم فقير بالبحر وراوية، لطفت أبنائى فوصفوا بالرقة والصفا، وتمازجوا بحلاوتهم حب الوفا، فقيل عنهم ماليس فيه خفا:

حبذا الفسطاط من والدة ∴ جنبت أولادها در الجفا
يأتى النيل إليها كدرا ∴ فإذا مازج أهليها صفا

فقالت الروضة: تبرهن البرهان، وبان البيان، قال الله عز وجل «فى روضة يحبرون»[3] وقال تعالى ﴿فى روضات الجنات لهم ما يشاؤون﴾[4] وحسبى بهذا دليلا إذا أكثر المكثرون، وإن لم أكن تلك فى المعنى والعيان، ففيه تشبيه لى بأحسن الجنان، وهو من أقوى الدلائل على تفخيم الشأن، فإن شهد بفضلك الإجماع، فأنا كذلك وأزيد عليك بالقياس، وعرفت على

---

(١) الأربع مرات التى ورد فيها ذكر مصر فى القرآن الكريم صراحة هى: (١) «وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا» سورة يونس آية ٨١، (٢) وقوله تعالى «وقال الذى اشتراه من مصر لا مرأته أكرمى مثواه» سورة يوسف آية ٢١، (٣) وقوله تعالى «ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين» سورة يوسف آية ٩٩، (٤) وقوله تعالى عن فرعون «أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار تجرى من تحتى» سورة الزخرف الآية ٥١.
وعن ذكر مصر بالتأويل انظر:
السيوطى، حسن المحاضرة جـ١ ص ٦-٩.
أحمد صبحى منصور، مصر فى القرآن الكريم، كتاب اليوم، العدد ٣٠٦.
(٢) الجامع العتيق هو جامع عمرو بن العاص بمصر القديمة.
(٣) سورة الروم الآية ١٥.
(٤) سورة الشورى الآية ٢٢.

الحقيقة بالوفا دونك بلا إلباس، واشتهر إفتخارى بالستر يوم الزينة [١] على العاصى وغيره بين الناس، وإن كان لك جامع فلى الزيادة، وآثار جميلة فكم لى بالأصابع زيادة، أياد أنا بها عيد وهى عادة، وطالما سعى سلطانك إلىّ بملابسك الفاخرة، وصالحك بسجادة [٢] وإن كان لك فخر بالبحر والزاوية فإن لى فخرين، بأنى روضة الطالبين، ومجمع البحرين، وأنت مأوى الفعلة والبيعة والسوقة، والمذمة بأهل الذمة والكنائس والخانات والحانات والخانات المطروقة، وأنا للكبراء والوزراء والملوك وأهل الطريقة، أتملى بلقاء البدر عند طلوعه وما تفوزى بنظرة إلا عند الغروب، وأين إقبال الحبيب عن إعراض المحبوب وأحظى بالشمس بكرة الندا وتصلين بها من الهجير إلى استحكام الغيوب، والعجب منك كم لك طاقة، ولا لك على هذا طاقة، وأعجب منه تقابلين طلاوتى بالحراقة [٣] وتلك النشافات عند الزلاقة، فإن وصفت لك أيها المصر محاسن فليست إلا فى جنب أوصافى، وتأملى فما لبساتينك أغصان خلافى، وكأنما ناظرت الشام بزهراتى وفاضلتها بها، حتى كادت الجبهة تسجد لى بإذن ربها. فحبذا منازل منى نفح الشمال فيها شمول، لابل الرياح الأربع على وجهها قبول، أصبح كل غصن من رياضى يميس وهو بنعمى الظل مقلدا، والنسيم يمشى على ذلك الروض مقيدا، والماء يتجعد تجعيد المبرد فلا عجب أن يجلو عن القلب الصدا، ذات بحرين تعاضدا على دفع الهموم الخافية، ومدحت بما يعاب سواى به من مخامرة النسيم الواشى ومخالطة العين الصافية، قد مرج الله تعالى فى البحرين يلتقيان، وأخرج فى أعطاف الغصون من زهراتى اللؤلؤ والمرجان.

ذات وجهين فيهما خيم الجسر ∴ فأضحت بها القلوب تهيم
ذا يلى مصر فهو مصر وهذا ∴ يتولى وسيم فهو وسيم
فبلج البحار يسبح نون ∴ وبفج القفار يسنح ريم
قد أعادت عصر التصابى صباها ∴ وأبادت فيها الغيوم [٤] الغموم

---

(١) يوم الزينة المقصود به الإحتفال بوفاء النيل وتخليق مقياس النيل بالروضة وكسر سد الخليج، وكان علامة الوفاء هو وصول الماء إلى ١٦ ذراعاً بأذرع عمود المقياس، فحينئذ يسدل ابن أبى الرداد القائم على أمر القياس ستاراً على الشباك المقابل لمصر الفسطاط فيحتفل الناس حينئذ بالوفاء ويتم فى اليوم التالى المهرجان الرسمى، ويقال أن يوم الوفاء هو اليوم الذى وعد فرعون موسى - عليه السلام - بالاجتماع فى وقوله تعالى «قال موعدكم يوم الزينة وأن يحشر الناس ضحى».

(٢) بسجادك فى ب.

(٣) طرادتى فى جـ.

والحراقة هى المركب التى كان يستخدمها السلطان أو من ينوب عنه فى الاحتفال بتخليق المقياس وكسر سد الخليج.

(٤) الغموم فى جـ، هـ.

فقالت مصر: أنا مدينة الكسب والمعاش، وللمقيم بى إقامة حال ما عاش، ومعدن التاجر[1] والمتاجر وذوى الرياش، أنا مستودع نفائس الأموال، وحواصل الأقوات والغلال، فساكنى يجمع بين نعيمى الدنيا والآخرة عاجلاً وفى المآل، وفى كل ربع من رباعى للأحبة مربع، ومخلص للمضطر فى بيوتى عند كل مطلع، وفى كل ناحية منى للمتنزه مرتع، يكاد نهر المجرة يجرى بين يدى رباى وحماى، والمشترى أن يبتاع ببرجه أدنى درجة من سناى، فأنا على السعد ممدودة الرواق، منظومة النطاق، تعوذ قاعاتى بالسبع الطباق، وكم من ذى ريم، عند البساتين والبريم [2] ولا تنسى العاشق والمعشوق [3] والرصد[4]، وبركة الحبش [5] التى لا ينكر حسنها أحد.

وفى المعنى:

بها ما تلذ العين من حسن منظر ∴ وما ترضيه النفس من شهواتها
زمردة خضراء قد زين قرطها ∴ بلؤلؤة بيضاء من زهراتها

---

(١) المتاجر فى ج.

(٢) البساتين كانت قرية قديمة تعرف ببساتين الوزير، وقد نسبت إلى عدة وزراء فقد ذكرا بن دقماق فى كتابه الانتصار جـ٤ ص٥٧ أنها نسبت إما ليعقوب بن كلس وزير الخليفة الفاطمى العزيز بالله أو الوزير المادرائى أو الوزير ابن الفرات وزير كافور الإخشيدى، وهى سبعة بساتين.
أما المقريزى فى الخطط جـ٢ ص١٥٧ فينسبها إلى الوزير المغربى وزير الخليفة المنتصر وذكر أنها تقع قبلى بركة الحبش وفيها مساكن وبساتين كثيرة وبها جامع تقام فيه الجمعة.
وأقول أن القرية القديمة لا تزال واقعة على تل مرتفع يتوسط الآن حى البساتين جنوبى القاهرة.
* والبريم منتزه على النيل فى المنطقة المحيطة الآن بجامع أثر النبى جنوب مصر القديمة بالقاهرة.

(٣) المعشوق هو بستان كبير كان مغروساً بالأشجار جنوبى الفسطاط من جملة خطة راشدة وظل عامراً حتى العصر المملوكى، ويمثل مكانه الآن منطقة الزهراء بحى مصر القديمة بالقاهرة.

(٤) الرصد هضبة مرتفعة كانت مطلة على بركة الحبش وقد استخدمت فى العصر الفاطمى لرصد الكواكب والنجوم، ويمثل مكانها الآن المنطقة المعروفة باسطبل عنتر.

(٥) بركة الحبش كانت بركة كبيرة تمتلئ بالماء فى أيام فيضان النيل عن طريق خليج بنى وائل، وفى فصل الشتاء كانت تزرع بمحاصيل شتوية، وكانت من متنزهات القاهرة الهامة حتى نهاية العصر المملوكى، وكانت البركة تعتبر من أعمال مصر من جانبها القبلى أى تتبع فسطاط مصر من الناحية الإدارية وحتى نهاية العصر العثمانى.
ويمثل مساحتها الآن منطقة تقدر بحوإلى ٢٢٠٠ فدان متوسط المسافة بين البساتين ودار السلام حإلياً.

أنت من الهرم قريبة، وفريدة غريبة، وعدمت القوس[1] ففقد المشترى منك نصيبه، توقعين السالك فى التعدى، أو الغرق والتردى، أو الخوض مع الخائضين، فدونه مهالك قبل وصوله للمطالب مع الرائضين، وما ثم مانع، يقتضى عدم[2] الفرق بيننا إذ لا جامع.

فقالت الروضة: إن كان لك غلال فكم بك من مغلول، وعلىّ تنفق الأموال وتروح الأرواح فلك الحاصل ولى المحصول، وأنا من الهرم بعيدة، وقد أقررت فى هذه المعاباه بأنى طارية المنشأة فى الحسن جديدة، والنظارة تشهد أينا ترملت، وبالخرائب والكيمان تكونت[3]، نواحيك للنواح، لأجساد بالقبور بغير أرواح، كم سبح سابح إلىّ أسرع من البرق، وقيم قطع بينى وبينك بالغرق، وكم ملك أراد الوصلة بيننا بجسر فما تجاسر، وأقدم طامعاً فباء بالحسرة إذ انعكس أمره وتعاسر، وما بلغ أحد لك فىّ مناه، ولكن تصديت للجناية علىّ ونسيت ما يجنى لك منى فأنا على كل حال مخصوصة بالجناه، إذا صفر منزل من منازلك فعندى آس وربيع، وإذا أتى جماد منك إلى عجب من حسنى البديع، مما بين سقاة جوار جلوس، وسواق جوارى تذهب البؤس، وأدنى بقاعى هو المشتهى[4]، وتناهيت فكان لى المنتهى[5]، أمنح من قبض عليه الهم جامعاً للمسرة وبسطة، ويكرمه ربيعى الزاهى إذا انطوى بأقدار الزمن فيفرش له بسطة، ونشرى أينما سار نفح، مثل نور الغزالة[6] حيثما لاح سنح، وأنا الروضة الحسنة الأنبساط، وحلى أزهارى البهجة أقراط، والحال بى كأنما حل بدار السلام أعنى الجنة، واتخذنى ملجأ فكدت أن أكون من طوارق الأيام حنة، كيف أخذت على التعدى علىّ فى

---

(١) القوس هو عقد تبقى من القلعة التى بناها الصالح نجم الدين أيوب جنوبى جزيرة الروضة وكان يقع غربى القلعة أدركه المقريزى سنة ٨٢٠هـ/ ١٤١٧م، وكانت العامة تتنزه عنده، وفيه يقول الشاعر النواجى.

مصر قالت دمشق لا ∴ تفتخر قسط باسمها
لو رأت قوس روضتى ∴ منه راحت بسهمها

(٢) يقضى بعدم فى ب، د.

(٣) تكودت فى ب، د.

(٤) المشتهى عبارة عن منظرة (قصر للنزهة) ترجع للعصر الفاطمى بنيت قبل سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م، وكان الخلفاء والفاطميون يتنزهون بها، وحل محلها فى العصر المملوكى رباط يسمى رباط المشتهى، ثم دفن به أحد أعلام الصوفية فى العصر المملوكى وهو الشيخ الكازرونى المتوفى سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م فعرف الرباط منذ ذلك الوقت باسم زاوية الكازرونى.

وقد أزيلت تلك الزاوية فى الأربعينات من هذا القرن لإنفاذ شارع جامع قايتباى، وكان موضعها فى نهاية شارع عبده بدران المتفرع من شارع المنيل بالقرب من محطة أتوبيس الباشا حالياً.

(٥) المنتهى كانت إحدى المناظر الفاطمية بجزيرة الروضة لم يذكر المؤرخون تاريخها ولا مكانها بالجزيرة، وقد حولت إلى زاوية فى العصر المملوكى.

(٦) الغزالة هى الشمس.

المناظرة، وعبت ما هو لى ولك محاسن بالمغايرة، وذاك هو النعمى الذى هو لنا بمنزلة الوسن من الجفون، وتقر بها الأعين كما تقر بها العيون، وهو النيل الذى إذا أتى راق منظره، وشاقت من أمواجه ودراته أعكانه وسرره، وسقى مدة الأرض سقى الرحيق، وفاض منه كل خليج يصل الأمن وإن كان يقطع الطريق، وأصبح أنا بمقياسي فى الحسن غاية، ، وكرسى جسرى [1] له فى كل وصف آية، لئن كنت أنت الأس وأنا الزائدة، فأنا من عندى تعرف القاعدة، ومالنا نتقاذف ونحتال للسباب بحبائل الشرك، ونأبى إلا الإقلاع بما لنا فى السمعة من المعنى المشترك. وإليه عاضد هذا الشاهد.

لعمرك ما مصر بمصر وإنما ∴ هى الجنة العليا لمن يتفكر
فأولادها الولدان والحور أهلها ∴ وروضتها الفردوس والنيل كوثر [2]

فقالت مصر: هيهات هيهات. وأنشدت هذه الأبيات.

مصر لها صورة ومعنى ∴ وذكرها فى الورى يسير
وكل نعت يقال عنها ∴ فى جنب أوصافها يسير

فلما أبت مصر الإنصاف، واتصفت بهذه الأوصاف، انثنت الروضة واسترجعت، وحمت حماها وتمنعت، وطلبت النصرة بحلول ركاب يحكم بعدل بينهما إذا حكم. انتهى.

(١) كرسى الجسر هو رأس الجسر الذى كان يصل ساحل مصر بجزيرة الروضة وكان كرسى الجسر يقع أمام المدرسة الخروبية التى بناها بدر الدين الخروبى التاجر سنة ٧٥٠هـ/ ١٣٤٩م على ساحل مصر قبلى دار النحاس، وقد زالت تلك المدرسة الآن وكانت بقاياها موجودة وموقعة على خريطة القاهرة للآثار الإسلامية برقم ٥٣٢ لوحة ٢ مربع ١٣ أ برأس شارع القبوة بمصر القديمة. ولكن تلك البقايا زالت عند شق شارع كورنيش النيل بمصر القديمة وكان كرسى الجسر يقع على النيل مواجها لشارع القبوة.

(٢) هذان البيتان للشاعر ناصر الدين العيذراوى، وقد ذكر بصيغة أخرى هى:

لعمرك ما مصر بمصر وإنما ∴ هى جنة الدنيا لمن يتبصر
فأولادها الولدان والحور عينها ∴ وروضتها المقياس والنيل كوثر

• ذكر المقامة التى أنشأتها أنا فى وصف الروضة وسميتها بلبل الروضة • (١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى ﴿وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين﴾ .

نطق الكتاب والسنة بأن أرض مصر أحسن البقاع ، وتضافرت على ذلك آثار الصحابة والأتباع ، وانعقد عليه الإجماع ، وشهد الحسن بأن الروضة منها كمركز الدائرة ، فهى لها كالقطب والأساس وقام النطق (٢) على أنها أنزه بقعة فيها ، فأنتج على أنها أحسن بقاع الأرض بما يصح فيها من المقياس ، كما قيل فى ذلك باللطف والأساس :

شوقتنا إلى الجنان فزدنا ∴ فى اجتناب الذنوب والآثام

روضة ذات محاسن ، فيها أنهار من ماء غير آسن ، وأشجار تنبت أفانين الأحاسن ، وأزهار ما بين مفتوح العين ووسن ، وأطيار ترنم بلغات يعجب منها كل فصيح ولسن . وفيها يقول .

فى روضة نصبت أغصانها وغدا ∴ ذيل الصبا بين مرفوع ومجرور
قد جمعت جمع تصحيح جوانبها ∴ والماء يجمع فيها جمع تكسير
والريح قد أطلقت فيها العنان به ∴ والغصن ما بين تقديم وتأخير
والريح تجرى رخاء فوق بحرتها ∴ وماؤها مطلق فى زى مأسور
والريح ترقم فى أمواجه شبكا ∴ والغيم ترسم أنواع التصاوير
والماء ما بين مصروف وممتنع ∴ والظل ما بين ممدود ومقصور
والنرجس الغض لم يغضض نواظره ∴ فزهره ما بين منفض ومزرور
كأنه ذهب من فوق أعمدة ∴ من الزمرد فى أوراق كافور

روضة أريضة ، عيون أزهارها مريضة ، وأنواع البركات من نهرها مفيضة .

بلد أعارته الحمامة طوقها ∴ وكساه حلة ريشه الطاووس

---

(١) قام بتحقيق هذه المقامة الدكتور نبيل محمد عبدالعزيز ونشرها فى كتيب نشر مكتبة الانجلو سنة ١٩٨١ ، وقد عولنا عليها فى التحقيق .

(٢) النظر فى أ ، ب .

روضة هي مجمع البحرين، ومختار يقابل مجمع البدرين، ومنهاج يسير فيها كل في ملك من النواعير ويدور، فهي على كل الأحوال ذات النورين ومطلع البرين، ومنازل الفرقدين، وفيها يقول:

يا حبذا في الحسن ناعورة .·. كأنها من فلك الشمس
تحمي حمى الروضة من مائها .·. وشكلها بالسيف والترس

ذات وجهين، غير ما يجرى فيها بالنقل والتجريح، فأربت على السبعة أوجه بما حوته من كل منظر بهيج.

لم يقر غيرها بحسن إلا وكان لها منه قسم قسيم، ولم تتقابل وجوه المناظر إلا وكان وجهها وسيم، فلا غرو إن كانت ملكة المتنزهات، فإنها أوتيت من كل شئ ولها عرش عظيم.

من مات فيها وهو مغفور له، فمن الخنان إلى جنان ينقل، إن فاخرتها مصر بأنها القديمة، قالت: أنا الجديدة، ولكل جديد لذة، أو ناظرتها الجزيرة الوسطى، قابلتها بالكسر، وقالت: أنا في ملازمة النيل الفردة البزة، وإن تطاولت نحوها الجزيرة الكبرى، أعرضت عن القال والقيل، وقالت: إني يقاس بخرطومي المشتهى زلومة الفيل، وإن قال التاج: أنا المرفوع على الرؤوس، قالت أنا عروسة الحسن، لا سيما في عرس النيل، والتاج في خدمة العروس، وإن قالت السبعة أوجه: قد تعددت منا الوجوه والمناظر، قالت: رب واحد كألف أو يزيد عند المناظر. أما سمعت قول الشاعر.

أرى المشتهى في روضة الحسن قد بدا
على رصد المعشوق فالقلب واحد
لعمرى ما السبع الوجوه إذا بدت
بمغنية عن وجهه وهو واحد

كأنها بدر والنيل حولها هالة، أو شمس في وسط السماء ليس عليها سحابة أو غلالة، أو وجه دار عليه طيلسان، أو سرير ملك نصب في ميدان، أو قلب جيش له مصر والجيزة جناحان. تبرجت بأنواع الأزهار البهجة، لا بالشيح والقيصوم، وناداها لسان الربيع: «يا روضة سنسمك بالخضرة على الخرطوم» ونخير الأسلوب ونقول: نثرت السماء على أغصانها النجوم، وارتشفت من خرطومها زلال الرحيق والريق، فلم يحتج في كلا الحالين إلى الخرطوم.

وقال الشاعر :

وخص البحر منها كل خص ∴ وعم بروضها الزاهى آكامه
فقلت وقد سقى الخرطوم علا ∴ أخرطوم بدا لى أم مدامه

كانت دار ملك وخلافة، وسرير سلطنة ورتبة إنافة، ومسكن علماء أعلام، ومجلس قضاة وحكام، ومقر صلحاء وعباد، ومقر صوفية وزهاد، ويكفى فى الرد المعارض، قول الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض، حيث قال :

جلق[1] جنة من تاه وباهى ∴ ورباها منيتى لولا وباها
قال هناك بردى كوثرها ∴ قلت غال بُرداها بردها
وطنى مصر وفيها وطرى ∴ ولعينى مشتهاها مشتهاها
ولنفسى غيرها إن سكنت ∴ يا خليلى سلاها ما سلاها

وكم سكن بها من ملوك وخلفاء، وأمراء وكتاب ورؤساء، ووزراء وقراء وأولياء، وفقراء وأغنياء وأذكياء، وذوى هيئات وأتقياء، وتلاوة قرآن، وتدريس وأفنان، وشعائر وآذان، ونغمات وألحان، وقضاة أوطار، وضربات أوتار.

﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾ [2] وعلى ما حملت من أمانة دينها أمينة، فهذا يسعى فى خلاص ذمته وأداء أمانته، وهذا يوقعه القدر فى حبائل يد خيانته بجنايته ﴿قل كل يعمل على شاكلته﴾ [3] فكأن لسان الحال يقضى بأن الحريرى [4] إنما عناها حيث قال :

بها ما شئت من دين ودنيا ∴ وجيران تنافوا فى المعانى
فمشغوف بآيات المثانى ∴ ومفتون برنات المثانى
ومضطلع بتلخيص المعانى ∴ ومطلع إلى تخليص عانى
وكم من قارئ فيها وقار ∴ أضرا بالجفون بالجفان
وكم من معلم للعلم فيها ∴ وناد للندى حلو المجانى
فصل إن شئت فيها من يصلى ∴ وأما شئت فادل من الدنان
ودونك صحبة الأكياس فيها ∴ أو الكاسات منطلق العنان

---

(١) جلق هى دمشق أو غوطتها.
(٢) سورة المدثر آية ٣٨.
(٣) سورة الإسراء، آية ٨٤.
(٤) الحريرى هو صاحب كتاب المقامات (ت٥١٦هـ/ ١١٢٢م).

هذا يعدها عوناً على تقواه، وهذا يعدها للعبه وملهاه، هذا يراعى فيها النجوم، ويناجى الحى القيوم، وهذا يغفل ليله إلى الصباح، أو يقطعه بما هو عليه ملوم.

هذا ينظر بعين الفكرة والتبصر فى عجائب القدرة، وهذا ليس له منها إلا الابتهاج بنضارة الزهرة.

هذا يشهد فيها مشاهد شهوده، وهذا يشهد تلك المناظر ونوم غيره أفضل من شهوده.

وقال الشاعر فى المعنى:

رأيت رياض القدس فى روضة الرضى
على نيل مصر بين تلك المناظر
مناظرها للناظرين مشارق
وفيها وجوه كالبدور البوادر
حكين شموسا فى السحاب قد بدت
وجوه الأغانى فى سرور الأهاجر
وتشبه آفاق السموات فى الدجى
وفيها مصابيح النجوم الزواهر
وتحكى طيور عاليا رؤسها
على النيل فيها سابحات الشخاتر
ويشبه سيب الماء فيها صوارما
بأيدى الهنا سلت لسلب النواظر
عليها جلال اللّه جل جلاله
وفيها سرير السر سر السرائر

يؤكل فيها حيوان البر ذكياً، وصيد البحر طريا، وثمر الأشجار جنيا، ويشرب فيها الماء من شوائب الأقذار عرياً ويمر فيها النسيم صحيحاً عليلاً فيبرئ من الأسقام عليلاً، ويشفى من الأورام غليلاً، ساكنها قد وقى السموم والحرور، وأعفى من شعث الكيمان والبرور.

وهى خفضة فى ربوة، وجمعية فى خلوة، ترى المارين فى البر والبحر وأنت عنهم فى بعد، وتشاهد وأنت معتزل من كان فى انحدار وصعد، وأنت متحصن من الثقلاء بقلعة حولها من الماء خنادق: ومن تمام حسنها تعدد أبواب بيوتها، ففيها مخلص عند مجئ الطارق، وكم لله

على ساكنها من منن لا يحصى العاد ضبطه، وكم تلا عليه لسان النعمة «أن اشكروا لله على ما أولاكم فى الخلق بسطة».

فإن قيل بها من الناموس شين، فقل: لابد منه لدفع العين كما قيل

يا ليلة غـردت فـيـهـا البـعـوض وقـد
طـاروا إلـىّ زرافـات ووحـدانـا
يصـرعـن ذا اللب حـتـى لا حـراك بـه
وهـن أضـعـف خلـق اللّـه أركـانـا

فإن قيل ويخلفه عند انقضائه أذى البراغيث فقل:

لا تكره[1] البـرغـوث إن اسـمـه
بـر وغـوث لـك لـو تـدرى
فـبـره مـص دم فـاسـد
والغـوث إيقـاظـك فى الفـجـر

ويحيط بأرجائها النيل، وما أدراك ما النيل، سيد الأنهار والمسخر له جميع مياه الأرض، تمده فى الزيادة، كما ورد فى الآثار أن أصل منبعه من الجنة، وسمى فى القرآن باسمه دون غيره، ونطقت به السنة، وهو فى الجنة نهر العسل، ويرفعه جبريل عند رفع القرآن، ومن لم يعرف فليسأل.

وهو الذى كاتبه عمر بن الخطاب، لما حمل أهل مصر الأصر، فكتب إليه بطاقة صدرها: «من عبدالله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى نيل مصر».

وقال الشاعر:

ديار مـصـر هى الدنـيـا وسـاكـنـهـا
هم الأنـام فـقـابلهـا بـتـقـبـيل
يا مـن يـبـاهـى بـبـغـداد ودجلـتـهـا
مـصـر مـقـدمـة والشـرح للنـيل[2]

---

(1) تسكره فى ب، د.

(1) يقال ان ابن الوردى قد قال هذه الأبيات معارضاً لقول ابن زريق الكاتب الذى قال:

سافـرت أبغى لبغداد وساكنها ∴ مثلا وذلك شىء دونـه اليأس
هيهات بغداد هى الدنيا بأجمعها ∴ عندى وسكان بغداد هم الناس.

وله أصابع ليس فى الأيادى من يطاولها، ومتى رامت عيون الشام أن تفاخره، كأن لكل عين إصبع منه يقابلها. ولله در القائل:

زادت أصـــــابع نيلـنـا ∴ وطمت فـأكـمـدت الأعـادى
وأتـت بكـل مـسـرة ∴ مـا ذى أصـابع ذى أيـادى

وتختص الروضة من بين سائر الأقطار، بيوم هو لها يوم عيد، طالعه فى برج السنبلة والحوت للمشترى سعيد، وهو يوم الزينة، وما أدراك ما يوم الزينة، يوم يحشر له الناس، ويحج فيه إلى المقياس، وتطيب من تخليقه الأنفاس، ويسبل فيه ستر الوفاء بالعفو وفى الحقيقة هو خلعة رضى ولباس، وتكمد الحساد، ويجتمع الأضداد، فيحصل الصفاء إذا انكدر، والجبر إذا انكسر، ويبلغ الخلق من النيل غاية النيل، ويسحب الماء على بساط الأرض الذيل، ويركب إليه الملك والجنود، وتعقد له الألوية والبنود، ويكون من مائة ولونه المحمر ورود، وذلك يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود، ، وله فى كل سنة أجل معدود، قال الشاعر المشهور:

للّه يوم الوفـا والنـاس قـد جـمـعـوا
كـالروض يطفـو على نهـر أزاهره
وللـوفـا عـمـود من أصـابعـه
مـخـلق تملأ الـدنيـا بشـائره

آخر مقامة بلبل الروضة

• ذكر مقامة فيها ذكر مصر ونيلها وروضها •

إنشاء القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر

حكى مسافر بن سيار قال: لما ألفت النوى عن الإخوان، وتساوى عندى الرحلة إلى البين والرحلة إلى الأوطان، وتمادت بى الغربة تحبونى وأهوالها، وتزلزل بى الأرض زلزالها، ولا إنسان من الناس يرى أراجى نفسى وآمالها، فيقول الإنسان مالها، ولا يشاهد أحوالها بما هو أوحى[1] لها، حتى تقاذفت بى الأمصار، ومللت الأسفار المتصلة بالعمه[2] والأسفار، وعزنى[3] مع إيمانى تقلبى فى البلاد، وتطلبى تقويم عيش المناد، وتجنبى[4] إلى إرم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد، فلبثت شهراً فيها أو بعض شهر، ومن لى لو مكثت بها مدة العمر المعتدمن الدهر، وما بلد الإنسان إلا الموافق فبينما أنا منها فى ثلة من الأولين، ومن الوافدين عليها فى قليل من الآخرين، وبين سادات من كتابها وأصحاب إليمين ما أصحاب إليمين، زوتنى[5] من ظلها إلى ربوة ذات قرار ومعين، وإذا بداعى النفير قد أعلن منادياً وارتجز ما ارتجل حاديا، وصوت الفراق شاديا. فقلت السفر إلى أين، وقد لابسنا ذا الأين ومتى، فقالوا أتى.

قالوا الرحيل غدا ومن لى لو غدا ∴ يوم الرحيل وراء يوم الموعد
لا مرحبا بغدٍ ولا أهلا به ∴ إن كان تفريق الأحبة فى غد

وما دار فيما بيننا إن بيننا يكون قريبا والزمان غبون فحللنا الحبى، واسترجع الزمان ما كان قد منحنا مسامحاً به من ذلك العيش الرغد وما حبا، وجنبنا الجنائب وركبنا الصبا، وتسلمتنا من بعد الربو المباركة أيد الوهاد والربا، وكان توجهنا إذ ذاك حين اكتست الجبال بالثلوج، وأحاطت بنا الأنواء من كل جانب إحاطة مالها من فروج، بفصل فتحت فيه السماء أبوابها بما ليس فيه لحمله عن تلك المواطن نصول، ولا بخضاب الجليد الدابغ أديم الثرى المتجلد من فصول.

---

(١) هو مزيدة من جـ، وأوحى = أرجى فى أ.
(٢) بالنعمة فى د.
(٣) وهزنى من هـ.
(٤) وتحببى فى و.
(٥) زويت فى هـ.

فعدنا إلى جهة حمص وإن لم يعجبنا العام وقلنا كل ذلك مفتقر فى جنب ما أسارته مصلحة الإسلام الشاملة منهم الخاص والعام، واستقبلنا تلك النواحى المتنادحة، والمنازل المتنائية على المراحل المتناوحه، رقة جلود تتجالد على الجليد، وأوجه تواجه من تلك الظهور ماء ورود حياض المنون به أقرب من حبل الوريد، كم التفت الشمس بقاراً من قرها بفروة سنجاب من الغمام، وكم غمضت عينها عمن لم تطعم جفونه بتهريم [1] ولا تطمع بمنام، كم سبك الزمهرير فضة ثلوجها فصحت عند السبك، وكم خبر من أمرئ القيس أنشد عند النبك، قفانبك، هذا والزميت[2] قد مدت على البلاد والعباد ملاءتها الرحيضة، وأضحت بها الأنفس قتيلة لا مريضة، وعمت بطون الوهاد واعتمت بها رؤس الأكمام، واعتمت ببياضها الدنيا فكان الناس منها فى الباسها مالكهم [3] عليهم ظلام.

وقال الفراشون لما لا قوه من الوحول والبرد المهول ما الديار الديار ولا الخيام الخيام كأنها وخط الشيب فى المفارق، أو رمل أبيض قد در على سطور تلك المهارق، إلى غير ذلك من بوك، لم يقل له قط لله أبوك، وكان فى بحر الهوى بحر فاض [4]، وغاظ الشمس وما غاض، عجاج خيول الجنائب، ودخان ماء خيلته [5] من صفاء الماء توقد الكواكب، إلى ثلوج بقواصم الظهور تظهر ولاعين تلك المحاجر من العواصم تنهر [6]. وعلى كل سائل بنهره من الماء تإلية قوله عز من قائل «وأما السائل فلا تنهر» وقد ألحفت الكون بملاءتها البيضاء، وأتت من الإيلام ببردها بما لم تأت بقريب منه بحرها الرمضاء.

ولم نصل إلى حمص إلا والجليد قد أعدم الجليد صبره وغير تلك الأمكنه وقد حددت حدوده [7] من عيونه التى لم تجمد وقد جمد كل مايع العبرة التى جعلها لمعتبرها عبرة وأى عبرة فاعتقدت الآمال أنها قد قربت من منازه تلك المنازل، وأنها من حماه تغامز عيون الرغه وتغازل، وإن نار القرى يزيل [8] برد القر، وإن الله جلت قدرته سمع لمن ناداه هناك «رب إنى

---

(١) بتهويم فى أ، بتهزيم فى د.
(٢) الزمينا فى د، الزمنا فى هـ، الزمننا.
(٣) حالكم فى هـ.
(٤) قاض فى ب.
(٥) حيلته فى أ.
(٦) تبهر فى د.
(٧) خددت خدوده فى ب، د.
(٨) يزيد فى جـ.

مسنى الضر» وقال [1] عسى أن تستقر النفس، وأن يغسل بنعيم يومنا المؤمل ما منينا به من السقاء المر بالأمس، وتؤدى [2] الاقلام بذلك الإقليم ما فاتها من الفروض بشدة الأحوال والأوحال ملازمة الخمس فاتفق ما اتفق من نصرة حققت الكرة، وأعادت الرجعة كما بدأت أول مرة، وسقت [3] بالكأس التى كانت به قد سقت وبكت السماء علينا بالدموع التى كانت قد رقَّت لنا ورقت، وعاد الحبل إلى الجرارة والكند [4] الكاره إلى حمل الكاره.

ودخلنا دمشق وإذ أغصانها قد ألقت عصاها واستقر بها من ثمارها النوى، وأوراقها قد استحالت ألوانها وتغيرت أكوانها وما فيها إلا من هو ساقط بالهوى، وحمائمها لم تحمل من الليالى فجعلت مالها من الأطواق فى الأعناق، والنهر قد توقفت الغصون نحو زيادته وراسلته[5] بالأوراق، فقالت العين ما الديار الديار ولا الرياض الرياض، ولا المشارع المشارع ولا الحياض الحياض، فشمرنا عنها ذيل الإقامة وقالت العزمة شانك ومصر فإنها دار المقامة فقطعنا إليها بيدا، وأى بيد يستعبد بها السيد ويستعير فيها السيد ورمالاً كأنها سبح أليم وعباب البحر الخضم كم بها للأفاعى خدور، وللنسور مجثث المنبوذين بها بالعراء من نسور ولم يصدق فيها تشبه فعال الخيل بالأهل ولا أثار أخفاف المطى بالبدور تستوقف المار ويسعى الساعى منها على شفاجرف هار نستقى بها من المياه ما يغلى فى البطون كغلى الحميم، وينسى شربه شرب الماء البارد فى إليوم الصائف الذى ذهب بعض المفسرين إلى أن الله جلت عظمته إياه عنى بقوله تعالى «ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم» .

ومازال بنا الشوق والسوق إلى أن قربنا البعيد، وحتى فلينا القلاة وأبدنا البيد، ودخلنا مصر فتلقانا نيلها معصفراً خده للناس، وقلنا هذا الذى خرج إلينا من المقياس، وشاهدنا ربوعها وقد فرشت من الربيع بأحسن بسطها، وبدت كل مقطعة من النيل وقد زينت بما أبدته من قرطها، وتنشفنا رياحها الهابة بما ترتاح إليه الأرواح، وشمنا بروق غمامها التى لم تغادر فى القلوب من القر قروحا لا يبقى بماء منها يلقى من الماء القراح، لا يكلح الجليد أوجه برها، ولا تهتم المدود ثنايا نهرها، ولا يوقظ ساهر البرق نائم سمرها، ولا تغير على أهلها القوانين، ولا يضطر إلى

(١) قالت فى جـ.
(٢) تردى فى أ، تروى فى جـ.
(٣) وسقيت فى أ، وسقنا فى جـ.
(٤) الكمد فى د.
(٥) أرسلته فى أ، و.

التمشى [1] فى التنانير [2] والكوانين، خوفاً من برد الكوانين، كل أوقاتها سحر، وأصايلها بكر، وطول زمانها ربيع منيع لا يشاب ببرد كالح، ولا يشان بحر لافح نافح، غنيت بنيلها الخضرم الخضر عن دان مشف فويق الأرض هيد به، وعن كل ذى اربداد نحيف الغزالة قطربه.

فلما حصلنا هناك قالت النفس المطمئنة هذه أول أرض مس جلدى ترابها وهذه الجنة مفتحة أبوابها، ونيلها شرابها، وإذا بشمس الأمل قد حلت بشرفها، بعير [3] الحمل فقال هلم كتابا يتضمن قرة وقرارا ويشتمل على شذور [4] تتألق بحنكته [5] نقشها، فاق كتب الآفاق، وأودعت منه الأوراق، كلما رق من الألفاظ الفاضلة وراق، فأقبلت العيون على مرآة مرآة لترى (٦) وجه البلاغة وجنحت الجوارح الجوانح [7] إلى التحلى بتلك الجواهر المصنعة البديعة الصياغة وأصغت الأسماع إلى التشنف بتلك الأسجاع، وما تضمنت من إيداع إبداع، وتصريع ترصيع، وترصيع تصريع، بديع صنيع، يعيد سابق سابق هذه الحلية سكيتا، ويثنى حيها ميتا، فكم رأى المملوك منه كوكبا، ما عثر [8] جواده بجواده ولا كبا، وقال هذا كتاب الشباب ذى الفضل الذى بزغ، وهذا نابغة النيل الذى ما خمل ذكره فى الذاكرين الشاكرين بل علا [9] ونبغ، وهذا نسيم الروضة التى أطاع عاصيها، والجنة التى كلما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين فيها، وهذه البلاغة التى كنت بالإتحاف بها موعودا، وهذه الفضائل والفواضل التى جعلت فى الناس محدوداً وممدوداً ومسعوداً ومبعوداً، ولمحه المملوك فلم يتحقق أنوره وهو [10] ام نور، ورأى به القرائن مقرونة والقوافى قوافى آثار مآثره التى غدت بها الدنيا متجملة متزينة انقادت إليه منها النور وعدا من الأوانس الشامس النور، ورأى به ما ينسب إلى أهداف البحور، ويحصل [11] أطواق الأعناق والنحور من الحور ولم ير أحلى من تشبيه وإن جل عن التشبيه

---

(١) التحشى فى هـ.
(٢) البساتين فى هـ.
(٣) يوم فى هـ.
(٤) شذور مسطور فى هـ.
(٥) بحلكه فى هـ، بحلكته فى ب.
(٦) تهوى فى جـ.
(٧) الحوائج فى جـ.
(٨) فاعثر فى أ، ذاء عثر فى جـ.
(٩) عإلى فى جـ.
(١٠) أنور هو فى و.
(١١) وجعل فى و.

بالشبيه ولا أجل من بلاغته البالغة بما فيه من فيه وما شاهد من معجزها ما بهر حمد وشكر ورام مجاراتها فكبا جواد الإجادة بجوادها وعثر وسولت له نفسه الإضراب عن إجالة فكر فى الإجابة ولو وفق [1] فى رأيه لأصابه، وإنما حداة إلى التعرض لتطوله ونداه تحققه إنه لم يكن فى بيته الكريم إلا من هو بهذه المثابة فى الإثابة ومن يتلقى رايه رأيه الصائب بيمين يمينه خيراً من عرابه.

قال مسافر بن سيار ولما سللت غضب هذا الفضل من غمده، وتمتعت من شيم عرى ونجده[2]، وأتم لى عشراً وعشراً من عنده قلت بما أجازى هذه المنحة، وأكافىء هذه المنة التى تسمح[3] بمثلها القرائح السمحة فقيل لى شكر من هو قادح زناد هذه القريحة وفاتح جواد هذه الفضائل الفسيحة:

ملك به الأقلام تقسم أنها ∴ ما إن يزال إلى علاه سجودها
ويكاد إذ يملى عليها مدحه ∴ تهتز من طرب ويورق عودها
سعد الكرام الكاتبون ببابه ∴ إذ هم جيوش يراعه[4] وجنودها
وغدوا يحكون الرياض لأنها ∴ من كفه انسحب القرار بجودها
فلكم نبات[5] من حماه انتجت ∴ للفكر لم تخف الجهول يؤودها
دامت فوائده[6] تصيد خواطرا ∴ فيروق فيه قصدها وقصيدها

ثم خفت أن أقصر وإن اجتهدت، وأزاحل الحنى [7] بعدما شددت، فامسكت يدى، ورعت من الخجل فى يومى لعله بعد بعدى[8] ثم خطر لى أن أقول معميا، وأصرح مسميا، لأكون من سهام التأولات الراشقه متوقيا فأخفيت من معرفتى ما ظهر، وقلت إذا كان المبتدأ معرفة ولا يضر تنكير الخبر، وسألت ولدى المساعدة والمساعفة فقال: لا يضر اشتراكى أنا وأنت فى هذا الهصر، وإذ قد تسميت بمسافر فاجمع إلى جوانب جواب ابنك مقتصراً على ذلك فالمسافر جائز له الجمع والقصر،

---

(١) وقف فى هـ.
(٢) شيم = شميم فى د، شمم فى هـ، عرى = مرار فى أ، مرار لجده فى و.
(٣) تشح فى جـ.
(٤) برعاعه فى د.
(٥) نباة فى ب، بناة فى د.
(٦) فضائله فى هـ.
(٧) الجنى فى أ.
(٨) ما لعله يفدى فى هـ.

فأجاب محيي الدين بن قرناص .

لما ظعن والدى وقطنت ، وتحرك للرحلة وسكنت ، قلقت لبعده وأرقت من بعده ووجدت غاية الألم لفقده وبقيت لا ألتذ بطعام ولا شراب ولا أوى إلى أهل ولا أصحاب ولا اتخذ مكانا فى الدنيا إلا ظهر مسابح ولا جليسا الإكتاب أعالج لواعج الأشواق ، وأبوح بما أجد من ألم الفراق وأنوح للورقاء حتى تغدو مشقوقة الأطواق ، وحين طالت شقة البين ولم تتفصل ، وتهلهلت خيوط الدموع المجمع [١] تنقطع تارة وتارة تتوصل . لبست ثياب الحزن وهى جديدة ، تشف على أثواب صبرى الممزق ، وعقرت سوائم الآمال بعقر دارى ، ولزمت كسر بيتى لفرطه انكسارى ، يتزايد شوقى ويتناقص صبرى ، وتتسع همومى فيضيق بها صدرى ، فبقيت على ذلك من الزمان برهة ، لا أدخل مداخل اللذة ، ولا أخرج إلى نزهة ، إلى أن شامت بوارق البيادق عيون الشام وتوجه بخدمتها للخدوم ، لتهزم بها الإضطراب وتغلب الروم ، لكن الحزم يوجب للقلوب أن تكون بهذه الدنيا خائفة والعزم يقتضى أن توجد راجية ، وكل فرقة لم تفارق الركاب الشريف فهى الفرقه الناجية ، وكنت بتلك المدة استروح من همومى وغمومى إلى النبت العميم ، وأسائل من ألقاه من الوفود عند الورود حتى وفد [٢] النسيم ، فخطرلى بعض الأيام أن أكن طرف طرفى فى ميادين الفضا ، وأن أجرد سيف عزمى لقطع علائق العوائق فإنه معروف بالمضا ، فخرجت أجيله فى مسارى الغمام وهو يتمطر ، وأميله عن مجارى السيول وهو يتقطر ، وكان فيما يجاور المدينة الخيط والغيط ، جمل يسمى بالخيط ، يشاكل خيط [٣] الصبح فى امتداده ، ويماثل جناح الجنح بكره طلال نجمه وشجره الأحوى وسواده ، وقد شمخ بأنفه على وجه الأرض ، ورفع رأسه فشق السماء بالطول وشق الأرض بالعرض ، قام الدوح على رأسه وهو جالس ، وتبسم الثلج فى وجهه وهو عابس ،

وقور على مر الليالى كأنما ∴ يصيخ إلى نحوى وفى أذنه وقرا

يسمح بكف [٤] الثريا عن أطرافه ، ويدير منطقة الجوزاء على أردافه ، فعزمت على أن استظل بذروته ، واستطل من دورته [٥] ، فدعوت جماعة من أصحابى كنت فى السفر أرافقهم ،

---

(١) المتمع فى جـ.

(٢) ورد فى جـ.

(٣) خيل فى ب ، جـ.

(٤) بكف = بك فى هـ ، و .

(٥) درونه فى أ ، هـ.

وفى الحضر لا أفارقهم، قد انتظموا فى المودة [١] انتظام الدر فى الأسلاك، واتسقوا فى الصحبة اتساق الدرارى فى الأفلاك، يتحاورون [٢] فى أحاديث الفضائل، ويتبادرون فى حل المشاكل وإيضاح الدلائل، وشرح المسائل، لكل مستوضح عنها ومسائل، قد تجنبوا المحاققة والمشاققة، ولزموا شروط المرافقة بالموافقة، فذكرت لهم ما عن لى من العزم فما منهم إلا من رأى إن الحزم فى التصميم على ذلك والجزم، فسرنا والشمس قد رفعت حجب الظلام عنها، وقد تراءت لنا تحت غمامة بدا جانب منها، وكنا إذ ذاك بفصل الربيع الذى قد رق حسنا وراق شبابا، وشاب عارضه بالزهر على صبا فجعل له الطل خضابا، قد اكتست أرضه وأشجاره، واستوت فى الطبيعة[٣] جواهره وأشجاره [٤].

بحيث اليوم مصقول المحيا ∴ أنيق الروض وضّاح الجبين

فلم يزل يمر مر السحاب، ويقف للتنزه وفوف السراب، حتى أشرفنا [٥] على واد لا يدرك قعره، ولا يسلم وعره، قد نزل عن سمت الأودية والوهاد، وأخذ فى الانحطاط نظير ما أخذ جيله فى السمو على شوامخ الأطواد، وقد استدار بالجبل وأحدق، وأضحى بعالى سوره كالخندق، لا يسلكه إلا ملك أو شيطان ولا يصل إلى قراره إلا بأمراس ومراس أشطان.

سحيق ساخ فى الأرض حتى ∴ حكى فى العمق أوديه الجحيم
ولاح الدوح والأنهار فيه ∴ فخلنا ثَمَّ جنات النعيم

وعندما أشرفنا عليه حمدنا التأويب لا السرى، ورأينا فيه ما لا يرى، بشعب واد ولا وادى القرى، فأجمعنا على النزول إلى قراره، والمبيت بمخيم أشجاره، فتحدرنا إليه تحدر السيل، ونزلنا إلى بطون شعابه عن ظهور الخيل، ولم نزل تارة نهوى هوى القشاعم، وننساب آونه انسياب الأراقم، إلى أن انقطعت أنفاسنا وأنفاس الهواء، واحتجب عنا عين الشمس وكاد يحتجب عنا وجه السماء، فلما بلغنا منتهاه بطريق غير مسلوك، ونزلنا كما تقول العامة إلى سيدوك، وإذا به واد يذهل بحسنه الجنان، وكأنه فى الدنيا أنموذج لما وعد به العباد من الجنان، امتدت سماؤه غصونا عندما هب الهواء، وفجرت أرضه عيونا فالتقى الماء.

---

(١) المدة فى جـ.
(٢) يتجاورن فى د.
(٣) الطيبة فى جـ.
(٤) هواجره واسحاره فى أ.
(٥) وقفنا فى جـ.

فبتنا والسرور لنا سمير .·. وماء عيونه الصافى مدام
يسامره النسيم إذا تغنت .·. حمائمه ويسقيه الغمام

ولما طلع الصباح علينا طلعنا، ودعى داعى الرحلة [١] فسمعنا وأطعنا، فتعلقنا بذيل الحبل[٢] ودرجنا فيه مدرج الدراريج [٣] والحجل [٤] وطرنا إليه طيران البزاة إلى الأوكار، وعلونا غواربه استعلاء السراة على الأكوار [٥]، واقتعدنا سنامه وغاربه، ورأينا منه مشارق الأرض ومغاربه، وإذا بالشوامخ الشواهق لديه كالأهاضيب، ومن الجبال جدد بيض وحمر وغرابيب، وقد حط رجلا فى الأرض ورأسا فى السماء ومد لسانا إلى البحر وما به من ظمأ وكأنما قام إلى الأفق مزاحماً بمناكبه أبراجه، [٦] ومال على البحر ملاطماً بتلاعبه أمواجه، قد بنى الدوح عليه قبابا، ومدت لها الشمس من أفيائه [٧] أطنابا.

وأصبح والغمام له رداء .·. على ثوب من النبت العميم
له دوح بنهر السحب يسقى .·. يضاحك زهره زهر النجوم

قد ركعت عليه الكواكب والنجم والشجر يسجدان، وارتفعت سماؤه حتى وضع عليها الميزان، ولما عاين المملوك بلدته التى نشأت جلدته من مائها وترابها، وجبلت جبلته على حبها، ولم يزل يتردد طرفه إليها، ويتلذذ قلبه عليها، إلى أن أوى إلى ظلها عائداً، وآب [٨] بعد صدوره عنها إليها وارداً، فوجدها أطيب بقعة، وأنزه رقعة، وأحسن مدينة، ووافق دخوله إليها يوم الزينة، وقد دارت للسرور أعظم رحى، وحشر الناس لقراءة كتب البشارة ضحى، وإذا به قد تضمن خبر الفتح المبين والنصر العزيز بعد أن نال أهل الشام الشر، ومسهم الضر، ونادوا بعزيز مصر يا أيها العزيز قد فرش الربيع ربوعها وبرورها بالزهر، وفرش عليها ملاءة النسيم وطرزها بالنهر، وكانت يومئذ بلدة لا يهجر قطرها القطار ولا يحجب أفقها الغبار، ولا

---

(١) الوجد فى هـ.
(٢) بذيل الجبل فى أ.
(٣) الدرارخ فى جـ، الدرارح فى و، الدرارج فى أ.
(٤) والخجل فى ب.
(٥) الأوكار فى هـ.
(٦) ثم مال فى أ، لو مال فى ب.
(٧) أقبائه فى ب.
(٨) وأخن فى هـ.

يعثر العقبان بفجاجها حتى كان جوها (١) نمت(٢) أو حار، ولا تحرق عين شمسها الوقاح كبد سمائها ولا يضره حرها لموات هوائها، بزفرات الفضا من صحرائها، قد اكتفت مسح سحبها، وغنيت بسقيها ريها، مع أن لها نهراً يتعطف بقطف الحباب، وينكشف(٣) بدر الحباب، ويترشف ماؤه الرضى كالرضاب، من أفواه الأحباب، وعليه نواعير تشابه الأفلاك فى مدارها واستدارتها، والفلك فى بحارها وتجارتها، إذ فى هذه أضلع كثيرة كما فى حنيات (٤) تلك من الضلوع، ولهذه صوارى عديدة تمر بها إلا أنها بغير قلوع، ومن عجائبها أنها تحن حنين العشاق، وتئن أنة المفارق للوعة الفراق، وتبكى لبعدها عن الحدائق بعدة من الأحداق، ومذ ذكرت تلك النواعير دوخها، وقد اقفرت فى الأيك منها ربوعها، رنت نحو هاتيك الرياض عيونها المراض وفاضت فى الحياض دموعها، وأخفى عليها السقم حتى بدت لنا من الوجد قد كانت تعد ضلوعها، فلله بلدة هذه بعض محاسنها وقد اختصرت واقتصرت وأوجزت وتجاوزت وما تجوزت فى وصفها وأضربت عن ذكر مساكنها وظرفها.

ولو لم يرد على المملوك من المقام العالى هذه المقالة والمقامة، على حيثما كان خاطرى مشتتا فحل منها بدار المقامة، فما فتحت فى وصفها دواة ولا فما، ولا استنطقت بذكرها وشكرها لسانا ولا أجريت به قلما، ولكن تعلمت منها علم البيان، وسحبت أذيال التيه بها على سحبان، فلقد قلبت منها برداً محبراً ووشيا مرقوما، وعاينت الدر من لفظها وخطها منثورا ومنظوما، فكان لفظها أعذب فى القلوب من ماء الغمام، وسجعها أطعم(٥) فى الأسماع من سجع الحمام، والله تعالى يحرس محاسنه التى هى فى فم الدهر ابتسام، ويديم مننه التى هى فى الأعناق الأطواق (٦) والناس من (٧) الحمام. انتهى.

قال المقريزى(٨): كتب الشيخ زكى الدين الحسين رسالة من مصر فى شهر رجب سنة اثنتين وستين وسبعمائة إلى أخيه وهو بدمشق يتشوق إليها ويذكر ما فيها من المواضع والمنتزهات ويذم من مصر بقوله: «فكيف يبقى لمن حل فى جنة النعيم ورياضها، ويرتع فى ميادين المسرات

---

(١) جرها فى ب.
(٢) ونمت فى ب.
(٣) وتكنف فى جـ، ويكتف فى ب.
(٤) حفيات فى جـ.
(٥) أطيب فى هـ.
(٦) الأطوم فى جـ.
(٧) من مزيدة من جـ.
(٨) الخطط حـ١ ص ٣٦٨ - ٣٦٩.

وغياضها، تلفت إلى سلمته يد الأقدار، إلى أرض ليست بذات قرار، وبدّلوا بجنتهم ذات البان المتفاوح، والورق المتصادح والنشر المتقادح، والماء المطلق المسلسل والنسيم الصحيح العليل، جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل، وتقصدتهم يد القضاء، فأخذتهم بالبأساء والضراء، وأوقعتهم بمصر وشموسها، وحميمها وغمومها، وحزونها ووعورها، وحرورها وزفيرها، وسعيرها وكيمانها، ونيرانها وسودانها، وفلاحيها وملاحيها، ومشاربها ومساربها، ومسالكها ومهالكها، وصحناتها وعصفورها، وبوريها، وعقورها ومخاوف نوروزها، وحرارة تموزها، ودارس طلولها، ورائس اسطولها، وتعكر مائها وتكدر هوائها، فلو تراهم فى أرجائها القصوى كالأباعر الهمل، وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل».

فأجابه من دمشق بكتاب من جملته على لسان دمشق كأنها تخاطبه: «ويا أيها الولد العزيز كيف سمحت فطرتك السليمة، ومروءتك الكريمة، وسيرتك المستقيمة، وصبرك المحافظ، ودينك المراقب الملاحظ، بذم من جنيت نعمها، وسكنت حرمها، وقلت مصر وشموسها، وسقت عليها القول من كل جانب، واستعرت لها التكدير حتى فى المشارب والمسارب، وهلا ذكرتها وقد باكرها نيل نيل النعيم، بمغيثه بليل النسيم، بكاس من تسنيمه وطما البحر عليها زاخرا فأغناها عن بكاء السحاب وتجهيمه، وعم معظم أرضها، وعب عبابه فى طولها وعرضها حتى كاد يعلو رفيع قصورها، ويتسور بسورته شامخ سورها، ومع ذا لا تراه جسوراً على ضعاف جورها، قد طبق التهائم والأنجاد، وغرق الآكام والوهاد، وعلا أعلى الصعيد والصعاد، وأعاد البر سلطانه بحرا بالازدياد، فإذا ارتوى أو ام أكباد البلاد، وروى السهل والوعر والهضاب والوهاد، وذهب أملاق الأرض بكل ملقة وخليج، وانجاب عنها فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، بدت روضة نضرة بأملاق مقطعة، كزمردة خضراء بلآل مرصعة، فكم من غدير مستدير، كبدر منير، ودقيق مستطيل، كسيف صقيل، وكم من قليب كلاب، بماء كجلاب، وكم من عظيم بركة حركها النسيم بلطفه، وطيبها عبير عنبرها فضمخها بكفه، وزهت بزهو نيلوفرها فعرّفها بعرفه، وكم ترى من ملقة لبقة، عليها عيون النرجس محدقة، كصحن خد عروس منمقة، والنوار قد دارت بمدام الندى كؤوسه، وجالت فى مراح الأفراح نفوسه، ونجم نجمه وابتسم عروسه، وسامره الرذاذ المنهل، وباكره الطل، فكلله بلؤلؤه وقلده، وزاره النسيم المعتل فأقامه وأقعده، ونمق أرضه وروضه، فذهبه وفضضه، قد تاهت برياضها الغناء، وزهت بزخرفها وزينتها الحسناء، وامتد بساطها الزمردى، وانبسط مدادها الزبرجدى، فلا يدرك أقصاه ناظر مسافر، ولا يحيط بمنتهاه خيال ولا خاطر، فلله درها من روضة مرن، وكعبة حسن، ومقطعات بماء غير آسن، وحرم بحر لحجاج طيره آمن، آتاها

حجيج الطير من كل فج عميق، ملبيا داعى حسنها من كل مكان سحيق، قد امتطى ركبها متون الرياح، وعلا جثمانها عالم الأرواح، ووصلن الإدلاج بالصباح، وقطعن أجناح الليل بخفاق الجناح، كأنهن الدرارى السوارى، أو المنشآت الجوارى، أو المطايا المهارى.

تواصل من جو حوائض نيله ∴ صعود على حكم الطريق نزول

رقاق تعاهدن على الوفاء، وتحالفن على النعماء والبلاء، خرجن مهاجرات من الأوطان ألوفا، وقدمن صافات كالمصلين صفوفا، يقدمهن دليل كأنه إمام، قد قتل طرق الآفاق خبراً واستوى لديه الإضواء والإظلام، أبصر من زرقاء إليمامة، وأطير من الورقاء والهامة، وأهدى من النجم، وأشدّ من السهم، يتناجين بلغات أعجميات، سبحات بألحان مطربات، فطفن فى حرمها الآمن، واعتمرن بتلك المحاسن، فتراها عند إقبال نوها، وحومها فى جوّها، ما تستقيم خطاً مستقيماً، وإن كانت تصطف صفاً عظيماً، فمنها ما يستهل هلالا، ومنها ما يحكى بنات نعش حالا، ومنها ما يثنى بإدلاله دالا، ومنها ما يخط نونا نونا، فيحكى حاجباً مقرونا، ومنها ما يكتب زينا، فيعيدها عينا ومنها ما يصور رسم الهجاء، فيشاهد مبسم السماء، ومنها ما يأتى زرافات ووحدانا، فيبدع فى إعجابه حسنا وإحسانا، فكم من خبن أوز معلق بالسماء، يحلق إلى ذلك الماء، وأوانس عرّيسات، أنيسات كيسات، وصورصور، كأمثال حور، وطير لغلغ، مكتسى بديباج مصبغ، وجليل حبرج، كعلج متوّج وكركىّ عريض طويل، كعبير كبير جميل، وغرير غرّ، مغرّر متغير، وسبيطر، شديد شويطر، وكم ضخم الدسيعة جوّال، ككوهى بالقوّة المنيعة صوّال، ورخام مرزم، كذى امرة محتشم، وجلالة نسر فى الشائع الذائع والحاضر الواقع، أبهى من النسر الطائر والواقع، وعظم عقاب تمّ الحسن بحسنه، وكل الصيد فى ضمنه، وكم من خضارى وحرمان، وبلشون وشهرمان، صنوان وغير صنوان، وكم من بط على شط وخلط، وقطقط منقط، وغرّ وغرنوق، وكرسوغ ممشوق، ونورس مستأنس، وقد امتلأت بهنّ الأفاق، وتكللت بنجومهنّ الأملاق، وشربن من جريالها فأسكرهنّ الإصطباح والأغتباق، فكم من مسودّ كخال بخدّ، وأزرق كلازورد، وأشقر كزهر ورد، أحمر ناصع، وأصفر فاقع، وأبيض ذى خضاب عندمى، بطيف منقار بقمى، ومبرقش ومبقع، ومعمم ومقنع، وأشقر منقش، وأرقش مرشش، وعودى، وهندى، وصينى مسنى، وعينين كياقوتتين، قد رصعتا فى لجين، وكم من طائر، أبهى من قمر سائر يفرق مثل صبح سافر، فتراهنّ فى الماء صموتا وقوفا صفوفاً عكوفاً، كصور أصنام، أو حجارة مبدّدة فى آكام، وكم من أطيار ظراف، ملاح لطاف، ذوات ألحان، ونضرة وألوان، وخلق وأخلاق، ونطق وأطواق، وإيناس مع شماس، قد ازدانت الأرض بأصواتها، واختلاف لغاتها وعجائب صفاتها، فبرزت بأنواع الأعاجيب،

وتجلت بأجمل الجلاليب، وأبدعت فى صور الإحسان، وتصورت فى بدائع الألوان، فإذا بدت زرقاء فى زهر كتانها، مذهبة بأزهار لبسانها، مفضضة بنجوم أقحوانها، خلعت السماء عليها خلعة جميل أردانها، وإذا فاح نشر نوّار قرطها، شممت المسك الذكىّ من مرطها، ورأيت لآلئ سمطها، مبسوطة على خضر بسطها، ومغالاتها بغإلية نورفولها، وهزاتها إذا رفل النسيم فى ذيولها، قد رصعت أغصانه بفصوص لجينها، ونقطته من حسنها بسواد عينها، فعيونه كعيون غزلانها فى فتكها، وأحداقها كأحداق ولدانها من تركها، وكم لها من طرّة معتبرة، وجبهة منوّرة، ووجنة مزعفرة، وملاءة منشورة معصفرة، وخدّ مورّد، وطرف مهند، ولماها صيغ من عقيق الشقيق، وسكرها من ذلك الريق على التحقيق، وأين بزوغ بشنينها، وامتداد يقطينها، وأين حلاوة عرائس نخلاتها، وطلاوة أوانس قاماتها، بمشابهتها فى صفاتها، وغرائس فسيلاتها، وأين نضيد طلعها، وحميد فرعها، ومديد جذعها، وفرّ جمارها، عن غرّة جمارها، واخضرار أكمامها، وأحمرار لثامها، وبنان بسرها المطرف، وبنان نشرها المشرف، وانتظام سرورها، بابتسام منثورها، وورد واديها ومنحناها، وندى ندّها وتمر حناها، وآسى آسها، وطيبب طيب أنفاسها، وتبرّجها بأترجها، وتبهرجها بنارنجها، وتختمها بمختمها، وتبسمها من بلسمها، وتشقق أبرادها، عن نهود كبادها، وتضاعف أرجها، بمضعف بنفسجها، وجلالة مقدارها، إذا فتحت أزرارها عن جل نارها، و طيب شميمها، من أشمومها ونسيمها ووسيمها بأوسيمها، وجنان قليوبها، وحرمان قليبها، وأحواضها ببنهيها ورياضها، وطريقها بمطريتها، ونفيس أنسها بمقسها، وغريب غرسها ببلقسها، وعظيم آسها بمخلق مقياسها، وكريم تحيتها من قبل إليمن هبوب أنفاسها، واجتماع أسعدها، وارتفاع رصدها، وسواقيها الحنانة فى سجعها، الهتانة بسكبها من دمعها، وجنة لوقها، ولجة بولاقها، وبركة فيلها، من بركة نيلها، وجزيرة ذهبها، وقلعة الجزيرة بذهبها، من عجبها حكت فلكها فى بحرها، وأحكمت مملكتها فى برّها، وعظم جللها، بقلعة جبلها، واعتلاء أعلامها ببناء أهرامها، وإذا نظرت إلى سعود صعودها، إلى سعيد صعيدها، واغتباطها بانحطاطها، إلى صوب سكندريتها ودمياطها، ألهتك عن حسن الثريا ومناطها، ولا تنسى الجوارى المنشآت فى البحر كالأعلام، التى تسبق عند طياب الرياح مفوّقات السهام، وإعجابها بغربانها البحرية، وحراقاتها الحربية، وشوانيها وهول مبانيها، وجلال شكلها وجمال معانيها، تبدو موشاة بالنضار الأحمر، منقشة باللون الأفخر، فهى كالأرقم المنمر، أو كمتلون النمر، أو الطاووس الذكر، أو الناووس لبنى الأصفر، معمرة ببأس الحديد والأحجار، محمولة على سيح الماء التيار، مشحونة بالرجال، منصورة عند القتال، مصونة بالمجنّ والنبال تبرز مذكرة بالآية النوحية، وتضمن إحراز الهمة العلية الفتحية، حصون أمنع من أعز قلاع، تطير إذا فتح لها

جناح القلاع، فتسبق وفد الريح عند الإسراع، وتفوق سرعة السحاب عند الاتساع، فهن مع العقبان فى النيق حوّم، وهن مع البنيان فى البحر عوّم، لو أقسم من رآها، ولو قال مشاهد معناها، إن الله نفخ فيها الروح فأحياها، لبرّ فى يمينه التى أقسم وتلاها، وكم من مركب الحسنه معجب، وكم سفين، قوىّ أمين، وخضارى جليل، وعشارى طويل، ومسمارى طويل جميل، وتستراوى عكاوى، ولكه ودرمونه، ومعديه مكينه، وسلور دقيق، وشختور رشيق، وقرقور رقيق، وزورق ذى زواريق، وطريدة بخيل الطراد معمورة، دهماء بحمل الجياد والأجناد مشهورة، ومخلوف فى الآفاق بالمعروف معروف، وما أحلى بنان رجلها المخضب، ورشيق قامة قصبها المقصب، وبهجة فوزها، بطلح موزها، وخضر أعلام أوراقها، وصفر كرام أعلاقها، فلا البلاغة تبلغ من إحصاد فضلها مراما، ولا الفصاحة تصوغ لوصف تشبيهها كلاما، فنسأل الله تعالى أن يكنفها بركنه الذى لا يرام، ويحرسها بعينه التى لا تنام، بمنه وكرمه.

وقال الشهاب أحمد بن يحيى بن فضل الله العمرى كاتب السر:

لمصر فضل باهر ∴ لعيشها الرغد النضر
فى كل سفح يلتقى ∴ ماء الحياة والخضر

ومن رسالة لضياء الدين ابن الأثير فى وصف روضة:

«وقد ضمتنا روضة أعإليها من لجبين عقياني، وأدانيها من ديباج خسرواني، أو من عضب يماني، ويحيط بها نهر لا يأخذ فى التوائه، وكأنه قدح فى استوائه، وهو يبدى من رونق صقاله عن متون صوارم، ومن تبادير حببه عن بطون أراقم، وعلى شواطئه أطيار تطرب بهديرها و هديلها، ونهر بألحان الأغانى فى ثقيل أولها وثانى ثقيلها، ومن ألطف أوصافها أنها ترجع ترجيع الشجى ولا يرى منها إلا حليا، وتتطفل بغنائها ولم ير قبلها من مغن طفيليا، ومنها صنف قد ألهى برقوم ثيابه عن طيب ألحانه، وشابه الربيع فى نقط حبب ألوانه، فلو رقص مكان من الطرب لأخذ مكاننا فى الرقص، وكذلك لو كان سيدنا حاضرا فى الحاضرين لأمنا شائبة النقص، ودخلنا هناك إلى قصر قد أطل على الفضا، واذكرنا القصر الذى نحوف [1] من اللؤلؤة البيضا، وبفنائه بركة معتدلة الطول والعرض، كأنها مرآة موضوعة على وجه الأرض، وعلى جوانبها فوارات متساوين فى الارتفاع، ويلتقين فى الهوا على دست من الصراع، فلم ندر حينئذ أى المكانين أدهش فى رونق النظر، أصورة القصر والبركة أم صورة الروض والشجر.

ثم إنا ذهبنا فى أطراف البستان، وأقبل كل منا على ما يروقه من الريحان، فمن [2] جان نرجس وهو يقول هذا صاحب القد المايس، والذى عينه عين متيقظ وجيده جيد ناعس، وهو بكر الربيع والبكر أكرم الأولاد على الوالد، وقد جعل ذا لونين اثنين إذ لم يحظ غيره إلا بلون واحد.

ومن [3] جان بنفسج وهو يرى أنه أجل لباسا، وأضرع أنفاساً، ويقول هذا هو المشبه بعذار الحبيب، وأطراف الكبريت إذا أخذت فى اللهيب، وقد اختص بصفة ترفعه عن الأنداد والأنظار، وذاك أن لونه ينسب إليه دون سائر الأزهار.

ومن جان شقيق وهو يقول: هذا اسم واقع على مسماه بلا خلاف، ولما كان شقيقا للحسن ترك المضاف إليه ودل عليه بالمضاف، ولا عيب فيه سوى أنه يأتى والربيع فى سن المشيب وما عهد قبله أن ولد الشيخ يخلق فى مثل هذا الرواء العجيب.

ومن جان أقاح وهو يرى له مزية التفضيل ويقلبه ويقول هذا أحق الأزهار بمصافحة التقبيل، وما من زهرة إلا وهى بعيدة مما مثلت به ماعداه فإنه صحيح التمثيل».

---

(١) بخوف فى أ، بحوف فى ب، نخوف فى د، نحرف فى هـ.

(٢) فمر فى ب.

(٣) ومر فى ب.

ومن رسالة لمحيى الدين بن قرناص فى وصف روض:

«وكان المملوك مشرفاً على مكان أحيط بثمره، والدوح يقلب كفيه على ما أنفق فيه من عمره، وقد تزهد من حرائر أوراقه ولبس قطن زهره، فلا ترى إلا أشجاراً قائمة على أصولها وكروماً خاوية على العروش، وسقيط مطر كالفراش المبثوث وجبال غيوم كالعهن المنفوش، والأرض هامدة خاشعة، والأغصان والحيطان بالغيطان لربها ساجدة وراكعة، وكان قدم عليها والربيع فى إقبال شبابه، والدوح قد تلبس من السندس حلل ثيابه، وقد توشحت قامات غصونه بعقود سحابه، والنهر يبسم إليها من سروره ويلاطفها بعتاب عبابه وخريره، ولا يكاد يخفى عنها ما فى ضميره، وهى تطول عليه بدلالها، وتميل عنه بوصالها، وهو راض بتحيات نسيمها، قانع بطيف خيالها.

حسنا[1] ما رأيت من فعل نهر ∴ لهواه الغصون تجرى إليها
فهو من فرط وجد إذ يراها ∴ شامخات يخر بين يديها

فتمشى بينهما رسول النسيم حتى استعطفها عليه، وما برح بها إلى أن ميلها بعد الميل عنه إليه، وبلغ فى اجتهاده[2] حتى علق بينها يديه، ثم أتى الروض وقد طافت به كؤوس نداه فشرب حتى سقط فى النهر[3] وابتل رداه ثم قام من سكره يبوح بسره المضون، وكلما تعثر بأذياله تمسك بأكمام الغصون.

فحيث أجال المملوك فى[4] هذا الدوح فكرا، ورأى به ما رأى من آيات ربه الكبرى، آثر ان يتحف الخاطر الكريم[5] بما أعجبه من هذه العجائب، ويقابل رغائب إحسانه بما يهدى إليه فى هذه الغرائب، ويستهدى طرائف من بحار علومه ويستجدى ما يرويه من سحائب منثوره البديع الصنيع ومنظومه.

هو مالك قد أصبحت ألفاظه ∴ حليا على جيد الزمان العاطل
غمر الورى بفضائل وفواضل ∴ حتى أعاد لهم زمان الفاضل
وكان أسطر خلال دروجه ظل الغصون يلوح بين جداول

---

(١) حسنها فى ب، د.
(٢) حتى إجهاده) تأتى بعد اجتهاده فى النسخة أ.
(٣) النثر فى و.
(٤) فى ناقصة فى هـ، و.
(٥) الكريم ناقصة فى هـ، و.

ومن رسالة للقاضي محيي الدين بن عبدالظاهر يصف روضا :

«فالإنسان من هذه المنزلة في حبالة صيد، وعجالة كيد، وهي دون المنزلة التي ما رضيها لنفسه ابن دريد، شتان هذا والعناق والنوم، والمرقد البارد في ظل الدوم، والأغصان وقد اخضر نبات عارضها [1]، ودنانير النوار ودراهم الأزهار قد هيئت لقابضها، والمنثور وقد نظمت قلائده، وصفقت بكفوفه ولايده، والحور وقد جاوز السهى بالتباشير، والسرو وقد كشفت عن شوقها فلم يقل لها عن تلك الأنهار أنه صرح ممرد من قواوير، والسوسان وقد لاحظ بجفنه الوسنان، والورد قد ورد، والبان وقد بان.

كم من ورقه تحكي بسبق الورد ∴ حاشية تسرعت[2] من جند
قد ضمها للغصن قرص[3] البرد ∴ ضم فم لقبلة من بعد

ومن رسالة للشهاب بن فضل الله كتب بها إلى الشيخ بهاء الدين السبكي يقول فيها :

«وقد ألهاه ذلك الإقليم واعتدل مزاجه، وذلك النيل وسرر داراته وعكن أمواجه، وذلك الريف ونباته المخضر، وذلك البرسيم وثغر زهره المفتر، وذلك الرمل وما سوى من تزيينه وذلك الإبليز ومسك تربته وعنبر طينه، وقليوب وأشجارها التي لم تنسخها مثل هذه الأشجار الثلوج، وبقية ما حولها من البلاد وهو إليها من خروج، من سبيل أو إلى سبيل من خروج.

فأجابه الشيخ بهاء الدين السبكي بقصيدة يقول فيها :

سقيا لمصر فربعها ∴ من هذه البلوى شفر
ما فيه من ثلج فلا ∴ عدوى هناك ولا صفر
أفدي بياض ربوعها ∴ بسواد قلبي والبصر
أني على مقياسها ∴ شيء يقاس إذا استتر
أم هل لدى الفلك الجواري ∴ من يجاري في البحر[4]
أم هل عن اللذات في ∴ تلك الجزيرة مزدجر
أم هل كمقسمها المقا ∴ سم حين ينقطع الشمر

---

(١) أرضها في أ، عارضيها في هـ.
(٢) تسرحت في د.
(٣) قرض في أ، فرد في د.
(٤) السحر في د.

أم هل فـــدى بنالكبش ∴ خلق كلهـــا[1] إلا البـــقـــر
أم هـل يـرى الـنـور[2] مـن ∴ فـى الخـــور إلا ذو خـــور
هـذا المقـــال مـــوجـــه ∴ لا ريب فـــيـــه لذى الفكر
كم منيـــة يلقى بمنيـــتـــهـــا ∴ وكـم يـقـــضى وطـر
وتـروق بـالمـطـريـة الأ ∴ وقـات مـا فـيـهـا مطر
والتـاج من كل الوجـوه ∴ مـرصّـع درُّ الزهر
والشـبر من شـبرى سـمـا ∴ عن أذرعـات وقـد فـخـر
وكـفى بمصر فضيلة ∴ تملى وتكتب فى السـيـر
إن كـان مـولانا لهـا ∴ فى نشـره الماضى شكر

• ذكر محاسن مقاطيع قيلت فى الروضات والروض والزهر والنهر والناعورة •

قال شرف الدين أبو سالم المقرى:

لما واشى واشى النسيم وقد سرى ∴ على الروض بالسر الذى هو كـاتم
تلون وجـه الأرض منه فلم يزل ∴ يلاطفـه حـتى انثنى وهو باسم

وقال أبو نواس:

وروضـة مـن قـرقف جـدولهـا ∴ وغنى الأطيـار منهـا فى ارتفـاع
لا تلم أغـصـانهـا إن رقـصـت ∴ فـهى مـا بين شـراب وسـمـاع

وقال آخر:

أيا حُسنها من روضة ضاع نشرها ∴ فنادت عليـه فى الرياض طيـور
ودولابهـا أضحى تُعَدُّ ضلوعه ∴ لكثـرة مـا يبكى بهـا ويدور

---

(١) محلها فى د.
(٢) يدانى النور فى هـ.

وقال آخر [١] :

أمـا ترى الـروضـة قـد نورت ∴ وظاهـر الروضـة قـد أعـشـبـا
كـأنما الأرض سـمـاء لـنا ∴ فـقطف منهـا كـوكـبـا كـوكـبـا

وقال آخر :

لله أزهار روض كـان[٢] يضحـكها ∴ صـوب الغـمـام بدمع مـنه منسبك[٣]
حكت نجوم السـمـاء أزهارها فلذا ∴ أضـحى يدور بهـا الـدولاب كـالفلك

وقال ابن نبيه :

وروضـة وجنات الزهر قد خـجلت ∴ فيها ضحى وعـيون النرجس افتضحت
باكـرتهـا وعـيـون الزهر نافـرة ∴ عن البـروج وكف الصبح قد فـتحت

وقال الشهاب الحجازى :

وروضـة رقـصت أغـصـانهـا طربا ∴ من شـدو ورق عن الألحـان تغنينا
شـقيـقهـا شق غـيظا قلب حاسـدنا ∴ وحـسـن منثورهـا المنظوم[٤] يلهـينا

وقال :

في روضـة فـيـهـا النسـيم مـشـبب ∴ والورق تشـدو والغـمـام لنا سـقـا
عنـد الصـبـاح رأينا نمامًـا بدا ∴ مع حمرة فى الأرض[٥] قلت هنا[٦] الشقائقا
ومـراقـبـا مـن نرجس قـد راعنى ∴ ومن الـبنفـسـج لى عـدوا أزرقـا

وقال محيى الدين بن قرناص :

قـرض الهمـوم إذا جـمحن بروضـة ∴ رقت ورق بـهـا شـراب روقـا[٧]
والشـمس قـد ألقـت طرازًا مـذهبًا ∴ من فـوق نهـر مـثل يم أزرقـا[٨]

---

(١) هذا البيتان مزيدان من جـ، هـ.
(٢) كاد فى أ.
(٣) منسفك فى ب.
(٤) المنثور فى هـ.
(٥) الروض فى جـ.
(٦) هو فى د.
(٧) قرض = فرض فى أ، جمجن فى ب، روقا = زرقا فى هـ، زوقا فى أ.
(٨) رق = أرزقا فى ب.

وقال ابن المشد:

كـأنما الـنهـر إذا مـر النسـيـم به ∴ والغيث[1] يهمى وضوء البرق حين بدا
رشق السهام ولمع البيض يوم وغى ∴ خاف الغدير سطاها فاكتسى زردا

وقال الزجاجى فى أماليه أنشدنى أبو غانم المغربى [2]:

يوم من الزمهرير مقرور ∴ عليه ثوب السحاب مزرور
وشمسه حرةٌ مخدَّرة ∴ ليس لها من ضيائه نور
كأنما الجو حشوه إبر ∴ والأرض من تحته قوارير

وقال الشهاب المنصورى وأجاد فيه:

وروض من الأنواء دارت كؤوسه ∴ وغنته ورق والرياح تميسه
مررنا على أزهاره فتبسمت ∴ وأومت إلينا بالسلام رؤوسه

وقال فيمن اسمها خديجة:

خد يلوح كوردة حمراء ∴ من غادة بيضاء كالسمراء
دارت كؤوس رضابها فشربتها ∴ فى روضة من وجهها غنَّاء
يا ليت شعرى هل شذاها فاح ∴ أم أرج النسيم سرى من الزوراء
جاءت ببدر مشرق من وجهها ∴ فى ليلة من شعرها ظلماء
ها أول الأبيات فاقرأها تجد ∴ من أذكت النيران فى أحشاء

وقال مضمنا:

تناثر الزهر إذ مر النسيم به ∴ فصرت أمشى على ما ينبت الشجر
ثم انحنيت على خود أقبلها ∴ كأننى قوس رام وهى لى وتر

---

(١) والغوث فى ب.

(٢) غانم المعنوى فى هـ.

وقال فيمن اسمها ألف :

وفـتـاة قـد تـثنت هـيـفـاء ∴ فـسـبت قلبى المعنى شـغـفـا
سكرت أعطافها من ريقها ∴ فعلمنا أن منه مرتفقا
ربما واصلتها في روضة ∴ أرخت الدوح علينا سجفا
فحكى النرجس منها مقلة ∴ وقضيب البان منها ألفا

وقال سيدى أبى الفضل بن أبى الوفا :

رعى الله أياما أهاج بلا بلى ∴ إليهن روض قد تناجت بلابله
فما راقنى فى الماء إلا صفاؤه ∴ ولا شاقنى فى الغصن إلا تمايله
كأن القمرى صب له الصبا ∴ رسول وأوراق الغصون رسائله
مصارف همى فى مناجاة طيره ∴ إذا انفذت لى ما حوته حواصله

وقال بعضهم :

انظر إلى الروض الزكى ∴ تخاله للعين قرة[1]
فكأن خضرته السما ∴ ونهره فيه المجرة

وقال بعضهم :

ونهر تمرح الأمواج فيه ∴ مراحى النيل فى رهج الغبار[2]
إذا ما أسفرت عليه[3] الشمس خلنا ∴ غدير[4] الماء يمزج بالعقار
كأن الماء أرض من لجين ∴ مغشاة صفائح من نضار

وقال ابن الساعاتى :

ولقد نزلنا بروضة نضرة ∴ رتعت نواظرنا بها والأنفس
فجعلت أعجب[5] حيث يخلف[6] صاحبى ∴ والمسك من نفحاتها يتنفس

---

(١) «أنظر إلى الروض النضير فحسنه للعين قره» فى حس المحاضرة جـ٢ ص٣٩٦.
(٢) تمرح = تمرج ومراحى = مراجى فى ب.
(٣) عليه = فى فى أ.
(٤) تميز فى هـ.
(٥) أحلف فى د.
(٦) يحلف فى د.

مـا الـدوح إلا جـوهر والجـو إلا ∴ عـنبـــــر والأرض إلا سـنـدس
سفرت شقـايقهـا فـهم الأقحـوان ∴ يلـثـمـهـا فـرنا إليـه النـرجس
فكـأن ذا خـد وذا ثغـر بحـاوله ∴ وذا أبـدا عـــيـــون تحـــرس

وقال الصنوبرى :

نحـن فى دعـوة الربيـع نشـاوى ∴ نمتع الطـرف فيـه رفعًـا وخفـضـا
نحـسب الأرض بالرياض سـمـاء ∴ ونخـال السـمـاء بالغـيم أرضـا

وقال بعضهم :

والماء يفـــصـل بين زهـر ∴ الـروض فى الشطين فـصـــلاً
كـبـســاط وشى جـردت ∴ أيدى الـعـقـيـان عليـه نصـلاً

وقال الصفدى : أنشدى جمال الدين يوسف الصوفى لنفسه :

يا حسـن دوح الزهر فتح بعـضـه ∴ والبـعض مـضـمـوم عليـه ختـام
فكـأنما أغـصـانه أهـل الهـوى ∴ ذا كـــاتم ســـرًا وذا نمـام

قال : وأنشدى بدر الدين حسن الغزى لنفسه :

شـمـمـت نسـيم زهر اللـوز لما ∴ خـرجنا بكرة ننفـى الهـمـومـا
فـتـحت الـدوح شـاهدنـا بدوراً ∴ وفى أعـــلاه عـــاينا نجـومـــا

قال : وأنشدنى لنفسه أيضاً :

أمـــا ترى التـفـاح يهـدى ∴ زهـره نـشــرا ذكـــيــــا
فـــاق زهر الأرض[1] فـانـظر ∴ وتـأمـلـه مـلـيــــا
كـل غـــصـن منه يبـدو ∴ فــــوقـــه ألف ثـريـا

وقال : له أيضاً :

والـــزهـــر فـــى ورق ∴ زمـــرده مـــفـــضـض
كــالخـد عـذر بعـضـه ∴ والـبـــعض أبـيـض

---

(١) الأفق فى و.

قال: وله أيضاً:

واغصان دوح زها ردفها[1] ∴ فلله بالقصف تعميرها
يغني على العود ورقاؤها ∴ وينقر في الدف شحرورها

وقال الشيخ صدر[2] الدين بن الوكيل:

ما غردت في روضة إلا انثنت ∴ أغصانها ورمت لها أوراقها
وتمنت[3] الورق الحمائم إنها ∴ خلعت عليها فرحة أطواقها

وقال ابن نبيه:

والليل يجري الدراري في مجرته ∴ كالروض تطفو على نهر أزاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده ∴ مخلق تملأ الدنيا بشائره

وقال ابن قرناص:

أظن نسيم الروض للزهر قد روى ∴ حديثا فطابت[4] من شذاه المسالك
وقالوا دنا فصل الربيع فكله ∴ ثغور لما قال النسيم ضواحك

وقال ابن بناتة:

أهلا بسائرة[5] الصبا من نحوكم ∴ وبما عهدنا من تطاول طَوْلَها
أمْلَتْ على الزهر المقطب ذكركم ∴ حتى تبسم ضاحكًا من قولها

وقال مجير الدين بن تميم:

سرق النسيم حُلي الغصون بسحره ∴ لما أتاها وهي في إطرابها
ورمى بها نحو الغدير فضمها ∴ في صدرها وجرى بها[6]

---

(١) دفها في ب.
(٢) بدر في ب، د.
(٣) وتمت في د، وتمت في ب.
(٤) ففاحت في أ.
(٥) بشائره في ب، د.
(٦) (من طرفه) في صدرها وجرى بها في حـ

وقال:

ونهــــر حــــالف الأهواء حــــتى ∴ غـــدا طوعًـــا لهـــا فى كـل أمـــر
إذا ســـرقت حلى الأزهار ألقت ∴ إليـه بهـا[1] فـيـأخـذها ويجـرى

وقال البدر الذهبى:

هـلم يـا صـاح إلى روضـــة ∴ يجلو بهـــا العـانى صـدى همـــه
نسـيـــمـهـــا يعـثـر ذيله ∴ وزهرهـا يضـحـك فى كـمـــه

وقال أيضاً:

وجنان ألفـــتـهـــا حين غنت ∴ حـولهـــا الورق بكـرة وأصـيـــلا
نهـرها مـسـرعـا جـرى وتمشت ∴ فى ربـاها الصـبـا قـليـلا قليـلا

وقال ابن عمار:

يـا لـيـلـة بـتـنـا بـهـــــا ∴ فـى ظـل أكنـاف الـنـعـــيـم
مـن فـــوق أكـــمـــام الريا ∴ ض وتحت أذيـال الـنـســـيـم

وقال غيره:

مـاس القـضـيب بروضـة من سكره ∴ لما ســـقــاه عـــقــارها أدار
حـتى إذا سـرق النسـيم دراهمـا ∴ من كـــمـــه صـاحـت به الأطيـــار

وقال الشهاب الهايم:

وروضـــة قـــال لنا روضـــهـــا ∴ مـــعـــاتبـــا إذ رق للشـــارب
أكـون فـى حـضـــرتكم جـــاريا ∴ ويضـــحك الروض على شـــاربى

وقال غيره:

تنـاغت الأطيـــار فى روضـــة ∴ حـــفت بـأصـوات الـفـــواخـيت
كـــــأنمـا الـطـل فـى زهـرهـا ∴ لآلئ فـــــوق يواقـــــيت

---

(1) بها مزيدة من جـ.

وقال ابن نباتة:

ناعـورة بمناذل البـحـر اقـتـضت ∴ في حـالـة التـشـبـيـه ست عـجـائب
فلـك يدور على المجـرة مـطلعـا ∴ أسنـى[1] الكـواكب وهـو ذات ذوائب

وقال أيضاً:

أنظر إلـى الزهر الذى شـاق الورى ∴ خَـبـراً بـأقطار البـلاد ومَـخْـبَـراً
رقمت[2] ثيـاب غـصونه إبر الحيـا ∴ والـرقم مـا يـكـون مـزهـرا

وقال أيضاً:

وناعـورة قـسـمـت حـسنهـا ∴ عـلـى نـاظـر وعـلـى سـامـع
وقد ضـاع[3] نشـر الرُّبا فـاغتـدت ∴ تـدور تبـكـى علـى الضـائـع

وقال أيضاً:

أحسن بهـا من ناعـورة فى روضـة ∴ من جـعـفـر يروى الهنا ربيـعـهـا
هذا وليس ببعـد مـوج ضلوعـهـا ∴ وبعـد من فـرط السقـام دموعـهـا[4]

وقال أيضاً:

ودف أشـجـار سـمـعنا به ∴ نـاعـورة مـطـربـة الـوصـف
لا غـرو إن شبب لـنظم[5] الورى ∴ فـيـهـا فـقـد[6] غنت عـلى الدف

وقال بعضهم:

وناعـورة قـد ضـاعـفـت بنواحـهـا ∴ نُواحي وأجـرت مـقلتي دمـوعـهـا
وقـد ضـعـفت ممـا تئن وقـد غـدت ∴ من الضـعـف والشكوى تُعَـدُّ ضلوعهـا

---

(١) اثنى فى د.
(٢) رقمت فى أ.
(٣) صاغ فى هـ.
(٤) فى النسخة جـ، و «هذا وليس تعد موج دموعها. . وتعد فى فرط السقام ضلوعها.
(٥) (شتت لنظم) فى جـ.
(٦) فقد مزيده من أ.

وقال آخر:

يا رب ناعورة غنت لنا وبكت ∴ كحالة الصب بين اليأس والأمل
قالت ودمع أخي الأشواق تتبعها ∴ أنا الغريق فما خوفي من البلل

وقال آخر:

وروضة رقصت أغصانها وشدت ∴ طيارها وتوالت نحوها السحب
وظل شحرورها المنطق تحسبه ∴ أسيود[1] زامر مزماره ذهب

وقال أبو بكر الأبيض الإشبيلي:

في روضة ضحك البهار صباحها ∴ وبكت عشيتها عيون النرجس
واخضر جانب نهرها فكأنه ∴ سيف يسل وغمده من سندس

وقال ناصر الدين بن الحسن بن شاور وزير العاضد:

وروضة توسوس الغصن بها ∴ لما هذا[2] فيها النسيم الشمأل
وقد جن في أرجائها جدولها ∴ فهو على وجه الثرى مسلسل

وقال شهاب الدين الحاجي:

وحديقة خطر الحبيب لها ضحى ∴ وعلى الغصون من الغمام[3] نثار
فجرت تقبل أنهارها ∴ وتبسمت في وجهه الأزهار

وقال أيضاً[4]:

وروضة تروق لي ∴ بمائها الفرات
كأنها لما بدت ∴ لي زهرة الحياة

---

(١) أسود في أ.
(٢) حدا في جـ.
(٣) النمام في د.
(٤) وقال ابن أبي حجلة في النسخة أ.

وقال ابن أبى حجلة :

جـاء الربيع ولى سـبع ألازمـهـا ∴ لزوم صب حبـاه الـوصل محبـوب
مـرج ومـوج ومـشـمـوم ومنظرة ∴ فـيـهـا مليح ومأكـول ومـشـروب

وقال الشريف أبو الحسن بن حيدره العقيلى :

الروض فى أنهـاره وبهـاره[1] ∴ فى المصمت الفضى والديباج
تعلو رعيته ملوك غصونه ∴ هذا بإكليل وذاك بتاج

وقال على بن محمد بن أحمد بن حبيب التميمى :

أقمت بالبركة الغراء مدهقه ∴ والماء مجتمع فيها ومسفوح
إذا النسيم جرى فى مائها اضطربت ∴ كأنما ريحه فى جسمها روح

وقال فى روضة :

وحالية لا يكتم الليل ضوءها ∴ إذا أزهرت حلت لها الأنجم الزهر
يفرق منها النشر ما ألف الشرى ∴ وتضحك منها الشمس ما استدمع القطر

وقال ابن قلانس :

انظر إلى الشمس فوق النيل غاربة ∴ واعجب لما بعدها من حمرة الشفق
غابت وأبدت شعاعًا منه يخلفها ∴ كأنما احترقت فى الماء بالغرق
وفى الهلال فهل وافى لينقذها ∴ فى أثرها زورق قد صيغ من ورق

وقال الصفدى : أنشدنى المقر الشرفى حفيد الشهاب محمود

أنظر تجد ملأ العيون محاسنا ∴ روض تفتح زهره وغدير
فالزهر ترقصه الجداول كلما ∴ غنى بمطرب صوته الشحرور

(٤) نهاره فى أ.

وقال مجير الدين محمد بن على بن يعقوب بن تمام:

يا حسنها من رياض قد نزلت بها ∴ فقابلتنى بتأهيل وترحيب
ونزهت ناظرى فى زهرها وزهت ∴ بنشر تربتها من أطيب الطيب
تكسو لطائفها هوج الرياح صفا ∴ فما تمر بها إلا بترحيب(١)

وله فى نهر نثر عليه زهر:

ولما نثرنا الزهر فى النهر وانبرت ∴ تجعده أيدى الصبا والجنائب
حسبنا سما قد تجعد غيمها ∴ ولاحت خلال الغيم زهر الكواكب

وله أيضاً:

يا حسنها دوحة بالنور حالية ∴ يبدو لعينيك منها منظر عَجَبُ
كأنها قبة بيضاء قائمة ∴ على عمود ولكن مالها طُنُبُ

وقال أيضاً:

ودوح قد نزلناه أصيلا ∴ فحيّانا به الروض النضير
ولاح الزهر يبسم فى ذراه ∴ وغنتنا بشطيه الطيور

وقال آخر:

تأمل إلى الدولاب والنهر إذ جرى ∴ ودمعهما بين الرياض غزير
كأن نسيم الروض قد ضاع منهما ∴ فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

وقال ابن الرومى:

والأرض فى روض كأبراد الحبر ∴ تبرجت بعد حياء وخَفَر
تبرج الأنثى ∴ تصدت للذكر

وقال جمال الدين على بن أبى المنصور فى كتاب بدائع البدائة قال بن ظافر. أنبأنى الفقيه أبو محمد عبدالخالق السبكى أجازة.

(١) لطائفها = لطافتها فى أ، وهوج = موج فى أ، الرياح = الرياض فى أ، بترحيب = بترغيب فى أ، جـ.

قال: كتب إلى الحافظ السلفى. قال: أنشدنى أبو الفضل أحمد بن عبدالكريم بن مقاتل الصنهاجى بالاسكندرية . قال: أخبرنى أبو محمد بن عبديس قال: كنا مع المعتمد بن عباد فمر على إضاة وقد لاح عليها الصبا فأثبت على وجه الماء مثل الزرد فقال:

«نسج الريح على الماء زرد» وطلب الاجازة من شعرائه فلم يجبه أحد فقلت أنا عنهم: «درع لقتال لوجمد»، فاستحسن ذلك منى وكنت وقت الإنشاد رابعا فجعلنى ثانيا وأمر لى بجائزة سنية.

قال على بن ظافر: وقد أخذت هذا المعنى وقلت أصف روضاً.

فلو قـام ذاك النبت صـار زبـرجـدا ∴ ولو جـمـدت أنهـاره كن بـلُّوراً

قال على بن ظافر: واجتمعت أنا والقاضى الأعز أبوالحسن على بن المؤيد الغسانى يوما بالرصد فرأينا شعاع الأصيل فوق بياض الماء فقلت له أجز.

«قد أذكت الشمس على الماء لهب». فقال:

«فكست فضته منه ذهب»

وقلت له يوما أجز:

«طار نسيم الروض من وكر الزهر» فقال:

«وجاءك مبلول الجناح بالمطر»

قال: واخبرنى القاضى الأعز بن المؤيد. قال: أخبرنى الشيخ أبوالحسن صفوان بن إدريس هذين البيتين يستجيزه القسم الأخير منهما وهما:

خليلى أبا بـحـر ومـا قـرقف اللمى ∴ بأعـذب من قـولى خليـلى أبا بحـر
أجـز غيـر مـأمـور قسـيمًا نظـمتـه ∴ تأمل على نهـر[1] الميـاه على[2] الزهر

فأجازه بأن قال:

كـعهـدك بالخـضـراء والأنجم الزهر ∴ وقـد ضـحكت للياسـمين مبـاسم
ســروراً بآداب الـوزير أبـى بكـر ∴ وأصـغت من الأنس النضيـر مسـامع

---

(١) نحر فى د.
(٢) حكى فى أ.

لتسمع ما يتلوه من سور الشعر (١)

قال وهذا الرجلان من فضلاء الأندلس.

قال على بن ظافر وأخبرنى شهاب الدين يعقوب بن أخت الوزير نجم الدين قال: جلسنا على بركة من منظرة خال بالجزيرة يعنى الروضة وقد ألقى عليها وردا احمرا.

ملأ بكثرة نجومه فسحة سمائها ∴ ونقب بحمرة خدوده صفحة مائها
وأهدى رمده إلى مقلتها ∴ الزرقاء فصح سرورنا بدائها

فقال رضى الدين أبو اسحق عبدالبارى:

«وبركة صادقة الصفاء». فقلت:

«بريئة من دنس الأقذار» فقال:

«نقب فيها الورد وجه الماء». فقلت:

«فنظرت من مقلة رمداء»

قال على بن ظافر: وكنت فى بعض العشايا أنا والأعز بن المؤيد فى منزل قد انعطفت عليه قدود أشجاره، وابتسمت ثغور أزهاره، وذاب كافور مائه على عنبر طينه، ومدت بكاسات الجلنار بنان غصونه، والنسيم قد خفت واعتل، وسقط بردائه الخفاف إلى الماء فابتل، ووهت قواه فضعف عن السير، واشتد مرضه حتى ناحت عليه نوائح الطير، فاقترح علينا أصحاب معنا أن نصيغ فى صفة تلك العشية.

فقال الأعز

جاء النسيم إلى الغصون رسولا ∴ ومشى يجر على الرياض ذيولا(٢)

فقلت:

نشوان يعثر فى الخمائل عابثا ∴ بالزهر مبلول الرداء عليلا

فقال:

فتمايلت قاماتها فكأنها ∴ شربت بكاسات الشمال شمولا

---

(١) العشر فى جـ.

(٢) «ومشى على الرياض يجر ذيولا» فى هـ.

فقلت:

فكأنه قد هز رايات لها ∴ خضرا وسل من المياه نُصولا

فقال:

قد أطلقت[1] من زهرها غررا ومن ∴ جارى المياه يسوقها تحجيلا

فقلت:

تحكى[2] العرائس فى قلائد للندى ∴ لبست خلاخل فضة وحجولا

فقال:

ضحكت مباسم زهرها ولطالما ∴ بكيت بدمع الهاطلات طويلا

فقلت:

وبدا عليها الجلنار كأنه ∴ وجنات خود سمتها التقبيلا

فقال:

سلت عليهن البروق صوارمًا ∴ فكسوتها منه دمًا مطلولا

فقلت:

وتناظرت أطيارها فيه ∴ أكثرن قالا فى الجدال وقيلا

وقال على بن ظافر ومررت أنا وهو يوما بدولاب فقلت:

وساقية تئن أنين ثكلى ∴ شكت بأنينها حرّ الأوار[3]

فقال:

تحن ولا تزال تطوف عجلى ∴ كرازمة تطوف على جوار[4]

فقلت:

غدت تحكى محبا ذا انتحاب ∴ يطوف باكيًا فى رسم دار

---

(١) اطلعت فى أ.

(٢) تحلى فى ب، تجلى فى ب.

(٣) الأواير فى هـ، الأرار فى أ.

(٤) حوار فى أ، هـ.

فقال:

حكت فلكا لجلب اللهو دارت ∴ عليه من قوادسه[1] درارى

قال: وبصرنا بساقية تتلوى تلوى الأفعوان وينتثر عليها الزهر مر النسيم فقلت:

«أساقية أم أرقم فرَّ هاربا». فقال:

«أم الريح قد هزت من الماء قاضبا» فقلت:

«حصى مثل در الثغر أجرى زلاله»

«رضابا وأبدى نبته النضر شاربا»

فقال:

«يوشحها زهر الرياض قلائداً»

«ويلبسها مر الرياح جلاببا»

قال بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي:

عرج على الزهر يا نديمى ∴ ومل إلى ظله الظليل

فالروض يلقاك بابتسام ∴ والريح يلقاك بالقبول

وقال أيضاً:

ورياض وقفت أشجارها ∴ وتمشت نسمة الصبح إليها

طالعت أوراقها شمس الضحى ∴ بعد أن وقع الورق عليها

وقال محيى الدين بن قرناص:

حسن ما رأيت من فرط نهر ∴ لهواه الغصون يجرى إليها[2]

فهو من فرط وجد إذ يراها ∴ شامخات يخر بين يديها

وقال الصلاح الصفدى:

لما زها زهر الربيع بروضه ∴ وغدا له فضل يبين عليه

قام الحمام له خطيبا بالثنا ∴ وجرى الغدير فخر بين يديه

---

(١) دواوسه فى د، ودوادسة فى ب.

(٢) لهاه = لهواه، يجرى = تجرى فى أ، هـ

وقال مجير الدين بن تميم :

لم لا أهيم إلى الرياض وحسنها ∴ وأظل فيها تحت ظل صاف[1]
والزهر يلقاني بثغر باسم ∴ والماء وافاني بقلب صافي

وقال أيضاً :

نديمتي جارية ساقية ∴ ونزهتي ساقية جارية
جارية أعينها جنة ∴ وجنة أعينها جارية

وقال النواجي :

هل لك في روضة شذاها ∴ يهيم فيه الأنام عشقًا
أبصرت باناتها ورودا ∴ نعيش في ظله ونبقا

وقال الأسعد بن مماتي :

قد نفث السحر السَحَرْ ∴ وأشبه الزُهرُ الزَهَرْ
وبل أوراق الندى ∴ ثياب أوراق الشجر
والعندليب إذ رأى ∴ محرم[2] الروض صفر

قال الصلاح الصفدي : لو اتفق له أن يقول ربيع الروض كان أحسن. قلت فيصلح البيت ويقال بدل النصف الثاني ربيع روضنا صفر ، ثم رأيت الصلاح الصفدي أنشد في تذكرته لنفسه :

روض أفاحيه ثغور[3] غدت ∴ تبسم إذ تحكي دموع المطر
محرم الله به حل ∴ والبلبل منه في ربيع صفر
ولم أقسه بالسما إنني ∴ عندي من النرجس فيه نظر

وقال البدر يوسف بن الذهبي :

يا حسن ما أبصرت في روضة ∴ قد نمقت أبرادها[4] السحب
الطير فيها شيق مغرم ∴ وجدول الماء به صب

---

(١) ضاف في هـ.
(٢) ربيع في جـ.
(٣) ثغور أفاحيه في أ.
(٤) برداتها في ب، د.

وقال شهاب الدين محاسن بن اسماعيل المعروف بالشوا:

ثب إلى مطرح الرياض وثبا ∴ وانهب العين بالتنزه نهبا
فبنان الربيع قد رصعت در ∴ الندى فى زمرد الروض رطبا
وخدود الشقيق تدمى حيا[1] ∴ وثغور الزهر تبسم عجبا
ورنا النرجس الذكى عيونا ∴ باكيات بأدمع الطل حبا
والخزامى على سطور طروس الـ ∴ ـروض تحكى جزما ورفعا ونصبا
وتثنى الأراك والبان فى الـ ∴ ـروض قدودا تحاول الصم حبا
والهزار الفصيح فى الروض قد ∴ صفق لما شدا ورقص قضبا
هيمت فى صوامع البان رهبا ∴ ن طيور لشجو الكئيب المصبًا
بعدما قربت من النور قربانا ∴ وحاكى المنثور بالشكل صلبا
وسرى للنسيم نشر ذكىٌ ∴ يملأ الخافقين شرقا وغربا
متدلى كأنما كان فرع الدوح ∴ مغضب فعندما هَبَّ هَبًّا
ينثر الزهر عنه فاعجب لخود[2] ∴ شاب طفلا وفى الكهولة شبا
وتلاقت وصفحة الماء ريح ∴ كر منها بردا واحجم رعبا[3]
واصلته فصار كالدرع جعدا ∴ وخفته[4] فصار كالنصل غضبا
أشبه الصل رقشة والتواءً ∴ ونفارا وخالف الصل كسبًا
بات من سهده السليم سليما ∴ طاب نفسا ولا يحاول طبّا
فهو أصفى من المياه[5] أديمًا ∴ بين درين من حباب وحصبا

وقال الصفى الحلى:

خلع الربيع على غصون البان ∴ حللا فواضلها على الكثبان
وزكت فروع الدوح حى صافحت ∴ تفل الكثيب ذوائب الأغصان

---

(١) ندى حيا فى أ، ندى حبا فى جـ، وتدمى حبا فى د.
(٢) لفرد فى جـ.
(٣) كرمنها = كزمنها فى ب، واحجم = واعجم = واعجم فى جـ، واحمر فى د.
(٤) وضعته فى جـ.
(٥) الهوى فى و.

وتتوجت هام الغصون وضرجت ∴ خد الرياض شقائق النعمان
والطل يشرق فى الخمائل نقشه ∴ والغصن يخطر خطرة النشوان
وكأنما الأغصان سوق رواقص ∴ قد قيدت بسلاسل الريحان
والشمس تنظر فى خلال فروعها ∴ متباين الأشكال والألوان
من أبيض يقق وأصفر فاقع ∴ مع أخضر نضر وأحمر قانى
والأرض تعجب كيف تضحك ∴ والسماء تبكى بدمع دائم الهملان
حتى إذا[1] افترت مباسم زهرها ∴ وبكى السحاب بدمعه الهتان
ظلت حدائقها تعاتب جسرها ∴ فأجاب معتذرا بغير لسان
طفح السرور علىّ حتى أنه ∴ من عظم ما قد سرى أبكانى

وقال الأمير تميم بن المعز:

ناعورة أنت أنين الهوى ∴ لما اشتكت بعض وساويسها
أنينها صرير تدويرها ∴ ودمعها ماء قواديسها
كأنما الكيزان فى بشرها ∴ هام الملوك فى نواويسها
تقذف بالماء إلى جنة ∴ كأنها ريش طواويسها
كأنما السرور بها قسة ∴ قامت إلى قرع نواقيسها
وتحسب الخشخاش من حولها ∴ أيدا أشارت بدبابيسها
وسوسن كالقرص لما بدت ∴ أثاره فى لين ملبوسها
وانفتح النرجس عن أعين ∴ مصفره أثواب ملبوسها
نبهه القطر بأندائه ∴ إذ نثرته السحب من كيسها
تلعب بالأبصار أنوارها ∴ لعب الأمانى بمغاريسها

وقال أيضاً:

إذا روضة جاد السحاب ربوعها ∴ فزخرفها بين الرياض ودبجا
كأن غصون الأقحوان زمرد ∴ تعمم بالكافور ثم تتوجا

---

(١) اذا: مزيدة من أ.
(٢) هرة فى جـ.

ونوار نســرين كـأن نســيــمــه ∴ من المسك في جــو الســمــا تأرجــا
كـأن ثـراه كلمـا صـافح الـندى ∴ وهـز نســـيـم الريح ألويـة الدجـى
بقــايـا الغــوالي في نحــور نواهد ∴ ينازلـن باللحظ الـكمي المدجــجــا[1]

وقال أيضًا:

رب صــفــراء عللتنى غــيــداء ∴ وجـنـح الظـلام مــــرخـى الإزار
بين مــــاء وروضــــة وكــــروم ∴ وروايب منيــفــــة وصــــحــــارى
تتـــثـنى الـغـــصــــون عـلينا ∴ ويجـيـب القـيـان فـيـهـا القـمـارى
وكــأن الدجى غــدائر شــعــر ∴ وكــأن النـجــوم فـيــهــا مــدارى
والجلـى الغــيم عنـد هلال تبــدى ∴ فى يـد الأفق مــثل نـصف ســوار

وقال ابن الرومى:

وغيـر عجيب طيب أنفـاس روضة ∴ مـنـورة بـاتـت تُـراحُ وتُـمــطـرُ
كـذلك أنـفـاس الرياض بســحرة ∴ تطـيب وأنفـــاس الورى تتــغــيــر

وقال أيضاً يصف روضة:

إذا رفعت[2] شمس الأصيل ونفضت ∴ على الأفق الغربى روسا[3] مضعضعا
وظلت عيون النرجس تخضل بالندى ∴ كـمـا اغـرورقت عين الشـجى أدمـعـا
ولاحظهـــا النوار وهى مــريضــة ∴ وقد وضـعت خدا إلى الأرض أضـرعا
وظلت عـيـون النور تخضل بالندى ∴ كـماأغـرورقت عين الشـجى لتـدمعـا
وقد ضربت فى خدود[4] الأرض صفرة ∴ من الشمس فاخضر اخضرارا مشعشعا
وأذكى نسـيـم الـروض ريعــان ظله ∴ وغنى مـغنى الطيـر فـيـه مـزجـعـا

---

(١) المدمجا فى هـ.
(٢) زنفت فى أ، رفقت فى جـ، رتعت فى هـ.
(٣) ورسا فى أ.
(٤) خضره فى جـ.

وغــرد ربعى الـظبــاب[1] خــلاله ∴ كما حثحث[2] للنشوان صبحا مشرعا[3]
وكـــان لهـــا ريـح الذباب هنـاكم ∴ على شـدوات الـطير ضربا مــوقـعـا

وقال كشاجم :

وروضـــة صنف الـنوار جـــوهره ∴ فـهـيا مـا شئت من حسن ومن طيب
حـتى كـــأن أفــانين النبـــات بهـــا ∴ على الميـــادين ألـوان اليــعــاســيب
كـأن غـدرانهـا بـالروض مـحـدقـة ∴ بعـيـنين ثوب من الوشى مـعـصوب
كـأنما الطـير فى حـافـاتهـا خـرقـاء ∴ بيـض ذهبن بـتطريـف وتحــبــيب
مـرجـعـات صـفـيـرا من مـحـضـرة ∴ وصلـن فـــيـــهن تغـــريـد بتطـريب
كــأنهن قــيــان والـصـــفـيـر غنىً ∴ وكـــالمنـاقـــيـــر أنصـــاف الدنانيــر

وقال البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى :

باكـــر إلى الروض تســتـجلـهـــا ∴ فـــثـــغــرهـا فى الصــبـح بســـام
والنرجس الغض اعـتـراه الحـيـــا ∴ فـــغض طرفـــا فـــيـــه أســـقـــام
وبلـبل الـدوح فـــصــيح عـلى ∴ الأيك والـشـــحــرور تمـتـــام[4]
ونسـمـة الريح على ضـعـفـهـا ∴ لـهـــــــا بنـاء بر[5] والمام

وقال صاحبنا الشهاب المنصورى

ضـحك الروض من بكاء السحـاب ∴ وتوارت شـمس الضـحى بالحـجـاب
وتثنـت هيف الغـصـون سـكارى ∴ مـذ أدار الغـمـام[6] كـأس الـشـراب
وشـدت أرقــهـا فكـانت قـيـانا ∴ آتيـــات مـن لحنهـــا بـالصـــواب
وهمـت أعين الجـداول فـيـهـا ∴ رحـــمـــة عـنـد أنة الـدولاب

---

(١) الذباب فى د. ، الشباب فى و.
(٢) صبحت فى هـ.
(٣) صنجا شرعا فى جـ.
(٤) تمام فى أ، تمنام فى جـ.
(٥) مرؤ فى هـ.
(٦) الكمام فى ب.

وجرى الماء فى الغدير فحاكى ∴ صارمًا مرهفًا بغير قراب
قومت نحوه الغصون رماحًا ∴ فكساه النسيم درع حباب
وثغور الأقاح ذات ابتسام ∴ وعيون الغمام ذات انسكاب
حبذا منظر تعجب فيه ∴ ناظرى فى الهوى أنى عجاب
لغدير مسلسل الماء صب ∴ وهو خلو من لوعة واكتئاب
ونسيم أضحى عليلاً رقيقا ∴ لم يذق طعم فرقة الأحباب
ليت شعرى ما للنسيم عليلا ∴ أترى بالنسيم فى الحب ما بى
أم سرى طارقًا ديار حبيبى ∴ فانثنى خافق الحشا ذا اضطراب

وقال أيضاً:

ومليحة تسقيك من أجفانها ∴ أضعاف ما تسقيك من راحاتها
فى روضة حاكت محاسن وجهها ∴ وحكت محاسن وجهها زهراتها
من أقحوان قام بجسد ثغرها ∴ أو نرجس يصبو إلى لحظاتها
رقت لرقة خصرها ريح الصبا ∴ وتحركت شوقا إلى حركاتها
والنهر فى قلق إلى أردافها ∴ والغصن فى ميل إلى خطراتها
والنخل ضاهت حيلها[1] فتزينت ∴ بقلائد العقيان من ثمراتها
والغيد تفنن باتفاق ضروبها ∴ والطير تشدو باختلاف لغاتها
يا طالب اللذات هذا وقتها ∴ ما أحسن الأشياء فى أوقاتها

وقال أيضاً:

قم نعانق معاطف الأغصان ∴ ونقبل مباسم الأقحوان
من رياض لو أحسنت بعض نطق ∴ كلمتنا بألسن السوسان
هاج ببإلى البلابل منها ∴ وتثنى أفنانها أفنان
لا تقل روضة ولكن عروسًا ∴ وجنتاها شقائق النعمان
لبست ثوب سندس وتحلت ∴ بلآل من الندى وجمان

---

(١) حلها فى أ، حليها فى د.

وقال أيضاً:

لجم الزهور تراءى فى سما المشجر[1] ∴ والدجن فى الجوّ ديجور بلا سحر
وأسبلت ذيلها ريح الشمال على ∴ مباخر صنعت من فضة الزهر
فما تشقق ثوب الأرض من يبس ∴ إلا رفته يد الأنداء[2] بالإبر
لما اكتسى الروض أثوابًا ملونة ∴ تمايل الورد فى أوراقه الحمر
والغيم يكسو الثرى من نسج وابله ∴ غلائلا غضة من سندس خضر
وقد تمايلت الأغصان نقطها ∴ صبحا من البرد المنثور بالدرر
وللظلال دبيب فى بحيرتها ∴ كأنها طرر سالت على غرر
وللأقاح ثغور بالصبا انتثرت ∴ كأنها قبل فى وجنة النهر
غنت قيان شحارير ملابسها ∴ سود الرياش على عيدانها الخضر
يا حسنها روضة فى مثل بهجتها ∴ لم تصدح الطير والعصفور لم يطر

وقال أيضاً:

فى روضة جليت فى حلى نضرتها ∴ فألبست سندسا من زهرها خضرا
والريح تفتق من أذيالها أرجا ∴ والقضب تعقد فى أكمامها زهرا
والماء يظهر من أمواجه عكنا ∴ يسبى العيون ومن داراته سررا
غنى الهزار على تشبيب نسمتها ∴ وصفق النهر حتى أرقص الشجرا

وقال غيره

لله دولاب يدور بسلسل ∴ فى روضة قد أينعت أفنانا
قد طارحت فيها الحمائم شجوها ∴ بنجيها وترجع الألحانا
وكأنه دنف يطوف بمعهد ∴ يبكى ويسأل فيه من بانا
ضاقت مجارى طرفه من دمعه ∴ فتفجرت أضلاعها أجفانا

---

(١) السحر فى أ.
(٢) الأنواء فى جـ.

وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب :

غنت حمام الدوح فى رياضها ∴ ودار منها فى السماع مسكر
وهيمتنا طربا بشجوها ∴ كان مزهر الرياض[1] مزهر

وقال أيضاً :

وروضة أعبقت زهورا ∴ فأبهجت منظرا وعرفا
يسرى عليل النسيم حتى ∴ يشم أنفاسها فيشفى

وقال أيضاً :

ولما نعمنا فى رياض أنيقة ∴ ونحن بسلسال المسرة فى خوض
رأيت بأعقاب الشئات بنفسجا ∴ كآثار عض البرد فى وجنة الروض

وقال أيضاً مواليا :

ناح الحمام فأبكى سائر العشاق ∴ ونقطوه بدنانير دمعها الدقاق
قامت قيامة لكل الروض فى الآفاق ∴ والتفت الساق من أشجارها بالساق

وقال أبوالحسن على بن عبدالكريم المناوى :

تساقط الزهر على نهره ∴ ودرج الماء هبوب النسيم
فالنهر مثل الغيم فى تجعده ∴ والزهر فيه مثل زهر النجوم

وقال أيضاً :

يا حبذا نهر صفا فى زرقة ∴ من حسنه يسبى أولى الألباب
مر النسيم بخده متحرشا ∴ ومغازلا لتغازل الأحباب
فغدا تجعده كجندرة بدت ∴ فى نسج ثوب أزرق عتابى

---

(١) الرياض = الغصون فى ب.

وقال علم الدين أيدمر المحيوى :

يا حبذا سرى النسيم وقد مشى ∴ بجناب مهتز الثرى مياسه[1]
ريان عطر أرضه وسماؤه ∴ غيث الرياح بورده وبآسه
وكأن هينمة النسيم خلاله ∴ شكوى المحب يبث من وسواسه
وكأن نرجسه المضاعف خائض ∴ فى الماء كف ثيابه فى راسه
وكأنما التفاح كاس مدامة ∴ شربت فأساء شارب فى كاسه
مرأى تأمله البليغ لوصفه ∴ فتخلخلت يمناه فى قرطاسه
خطر النسيم به فجاء كأنه ∴ نشوان يعثر فى ذيول[2] نعاسه
لم يستطع حملا إليك لزهره ∴ فأتاك مطويا على أنفاسه

وقال عبدالحميد[3] بن عبدالمحسن الأسيوطى من شعراء الجزيرة :

والروض قد راض الخواطر بعدما ∴ ركضت خيول الغيث فى جنباته
قد أشرع الأغصان أرماحا وقد ∴ نشر العقيق هناك من راياته
وترنمت أغصانه بنسيمه ∴ لتشاجر الأطيار فى شجراته
كتب الغمام به سطوراً منمقًا ∴ فى خطه ودواته من ذاته
ورأت طيور الدوح حسن كتابته ∴ فغدت له همزا على ألفاته

وقال بدر الدين محمد بن عبدالله بن البابا[4] الشامى

كأن الرياض[5] وأغصانها ∴ تمايل فى الورق الأخضر
قباب[6] الزبرجد منصوبة ∴ يكللها الطل بالجوهر

(١) سرى = مسرى فى أ، بجباب = بجناب فى ب، مهتز = مستهز فى جـ.
الثرى = السرى فى جـ.
(٢) ذيوله فى هـ.
(٣) عبدالمجيد فى ب.
(٤) البارزى فى هـ.
(٥) قد كان للروض فى جـ.
(٦) كتاب فى ب، جـ.

وقال جمال الدين محمود بن طى العجلونى :

قم يا حبيبى فما فى الوقت من حرج ∴ واعمد إلى حسن زهر الروضة البهج
وانظر لأغصانها لعب النسيم بها ∴ واسمع ترنم هذا الطائر اللهج[1]

وفى تذكرة الصلاح الصفدى : حكى أن البديع دخل أيام مقامه بهراة على رئيسها الشيخ عدنان [2] وقد اتخذ بركة فى داره فقال يصفها بديها :

وبركة ليست بأصنافها[3] ∴ لا يمنع الطرف بأطرافها
البحر من أيسر أوصافها ∴ والحوت من أصغر آلافها
كأنها صحراء من فضة ∴ تنقها العير[4] بأظلافها
كأن فوق الماء من موجه[5] ∴ تثاقف الجنّ بأسيافها
عمرها الشيخ الرئيس الذى ∴ تناول العلياء بأعرافها

وقال بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى :

ونحن فى روضة مفوقة ∴ قد فوقت بالغمام[6] الوكف
يغضى على زهرها ويوقظنا ∴ وهنا هديل الحمام[7] الهتف
ودحها من نداه فى وشج ∴ وبين لآلئ الزهور فى شنف
والغصن من فوقه حمامته ∴ كأنها همزة على ألف

وقال أيضاً :

على روضة غناء قد فرشت لنا ∴ على نهرها المنساب من نسجها خزًّا
موشقة قد نبت الكل ذيلها ∴ وكف حواشيها وأكمامها درزا
بها ألفات من غصون تمثلت ∴ كان عليها من حمائمها همزا

(١) اللهج = الهرج فى جـ.
(٢) علبان فى أ.
(٣) كأصنافها فى د.
(٤) تنقها = تنقشها فى أ، د، العير = العين فى جـ.
(٥) وجهه.
(٦) بالغمائم فى جـ.
(٧) الحمائم فى جـ.

ومن رسالة لبعضهم:

«أصبحنا بحضرة فلان الوزير وللرزاز رش، وللربيع على الأرض فرش، وقد صقل [1] الغمام الأزهار حتى أذهب نمشها، وسقاها حتى روى عطشها، فحملنا إلى روضة قد أرجت نفحاتها، وتدبجت ساحاتها، ونفحت كمائمها، وأفصحت حمائمها، وانجردت جداولها كالبواتر، ورمقت أزهارها بعيون فواتر، فقال الوزير يصف الحال:

وروض كساه الطل وشيا مجددا[2] ∴ فأضحى مقيما للنفوس ومقعدا
إذا صافحته الريح خلت غصونه ∴ رواقص فى خضر من القضب ميدا[3]
وإن سكنت عنه حسبت صفاءه ∴ حساما صقيلا صافى المتن جردا
وغنت به ورق الحمائم حولنا ∴ غناء ينسيك القريض ومعبدا[4]

وقال شرف الدين حسين بن ريان:

كأن الغصون بفصل الشتاء ∴ وقد نزعت مالها من حلل
غوان حسان أتين الغدير ∴ فشلن الجلابيب خوف البلل

وقال البدر بن الصاحب فى بركة الفيل بحضرة الأمير الطنبغا الجويانى:

للّه يوم طاب لى عيشه ∴ فى بركة كالفلك الدائر
أميرنا بدر تمام بدا ∴ فى ذيل أفق منه للناظر

وقال الصلاح الصفدى فى بركة الفيل:

يا بركة الفيل كم لى فيك من وطر ∴ وددت لو اشتريه منك بالعمر
أفديك من بقعة من الأرض أحسبها ∴ ترد قول المعرى عند ذى النظر
تطاول الأفق فى حسن وتفضله ∴ ويكشف الشهب ما فيها من المدر
يطل من كل دار حولها قمر ∴ وليس[5] للأفق إن باهى سوى قمر
والماء مثل السماء لونا وباطنه ∴ يشف عن نيران الأنجم الزهر

---

(١) صرقل فى ب.
(٢) مجردا فى جـ.
(٣) مسدا فى أ.
(٤) مبعدا فى جـ.
(٥) يشفى فى ب.

وقال القاضى الفاضل فى بركة الفيل :

يُزف على ليـــاليك النعـــيم ∴ ويخـــدم دهرك الأمن المقـــيم
وتخـــدمك القلوب وكل ملك ∴ غـدا من قبلك تخدمه الجسوم
ركـبت وأوقـد لك جانبيـهـا ∴ وراق الناس منظرها الوســيم
فظنوا البدر فوق الأرض يسقها[1] ∴ وإلا لم ترحلت النجـــــوم

وقال البدر البشتكى من قصيدة يمدح بها الطنبغا الجوبانى

وبركة الفيل فى ثوب الشعاع بدت ∴ تحكى مسنا عليه جربوا ذهبـا
فى مجلس قد علا قدراً فليس به ∴ ســوى إمـام يجـارى سادة أدبا
لو أن كسـرى رآه لاستــقل به ∴ إيوانه وقضى من حسنه عجبـا

قال : وأمرنى الطنبغا الجوبانى ونحن بين يديه فى قصر المشاة على بركة الفيل أن أصنع لغزا فى بركة الفيل ليمحتن به من يأتى إليه من الشعراء فقلت

أيا أدباء الأرض يا سادة العصـر ∴ ويا من علوا فى النظم قدراً وفى النثر
ويا من إذا ضل الورى عن مقاصد ∴ غدوا فى الهدى مثل الشهاب وكالبدر
أبينوا لنا فى الأرض عن هيئة السما ∴ تشيع الورى أخبارها وهى فى مصر
تسـير بها الأفلاك بل وتحفـها ∴ وحقكم الأملاك من غـير ما نكر
إذا ما بدا فى المد والجزر حسنها ∴ فكم يتلقى ذلك المد من قـصـر
تضـاف إلى صورة جل قدرها ∴ له سورة لا شك في محكم الذكـر
لها حافركم جال فى الأرض واغتدى ∴ وراح كما راح النسيم الذى يسرى
وكم قذفت وهى البريئة من خفاء[2] ∴ وكم خاض فيها جاهل وذووا حُجر
وكم حملت من غير بعل وكم لها ∴ تنوع أولاد تجل عن الحـصـر
إذا ما قلت[3] أولادها طاب وصلها ∴ ولم تدر ما معنى الوصال ولا الهجر
ولا يعـقلوا والرأى يوجد منهم ∴ أليس عجيبا أن ذا الرأى لا يدرى

---

(١) يسعى فى أ.
(٢) حنا فى جـ، وكنا فى د.
(٣) قليت فى أ، قلبت فى ب.

لهـا ألف بيت قـد تنظم حـسنهـا ∴ على أنهـا لم تدر بيـتـا من الشعـر
إذا عـارض الـريح اعتـراهـا تجنبت ∴ وأحـرى بهـا مـجنونـة آخـر الدهر
وتنشـرها ريح الـصبـا وتلفـهـا ∴ فـيـا طيب ذاك اللف مع ذلك النشر
وكم قـابلت شـمس السـمـا وبدرها ∴ من الأرض بالشـمس المنيـرة والبـدر
فـفكوا مـعـمـاهـا إذَنْ وتنعـمـوا ∴ بظل أمـيـرنا نـافـذ النهـى والأمـر

وقال على بن سعيد المغربى

أنظر إلى بركـة الفـيل التى اكـتنفت ∴ بهـا المناظر كـالأهداب للبـصـر
كـأنما هى والأبـصـار ترمـقـهـا ∴ كـواكب قـد أداروها عـلى القـمـر

وقال أيضاً:

أنظر إلى بركـة الـفيل التى نحرت ∴ لهـا الغـزالة نـحراً من مطالعـهـا
وخلّ طرفك مـحفـوفاً[1] ببهـجتـها ∴ تهـيم وجـداً وحـبّـا فى بدائعـهـا

وقال المعمار فى خليج الذكر:

يـا طالـب الـذكـة نلت الـهنا ∴ وفـزت منهـا ببلـوغ الوطـر
قنطرة مـن فـوقـهـا دكـة ∴ من تحـتـهـا تلقى خـليج الذكـر

وقال البدر البشتكى فى بركة الحاجب:

تـذكـرت الـذى أهـوى ∴ ومـا ألـقـى مـن الـبين
فـكادت بـركـة الحـاجب ∴ بـأن تغـزى[2] إلـى عـينى

وقال بعضهم فى بركة الرطلى

فـى أرض طبـالتـنـا بركـة ∴ مـدهشـة لـلعين والعـقـل
ترجح فـى مـيزان عـقلى على ∴ كـل بحـار الأرض بـالـرطـل

---

(١) مجنونا فى أ، محنونا فى ب،
(٢) مغزى فى ب، تعزى فى جـ.

وقال:

وبركة بالروض محفوفة ∴ رائقة من دمعة صافية
راحت بقد الغصن مشغوفة ∴ فلم يزل تسعى له جارية

وقال بعضهم فى التاج وأرض الطبالة.

إلى طبالة يعزون أرضا ∴ لها من سندس الريحان بسط
وقد كتب الربيع بها سطورا ∴ وأتقن خطها شكل ونقط
رياض كالعرائس حين تجلى ∴ يزين وجهها تاج وقرط

وقال أبو الصلت أمية بن عبدالعزيز الأندلسى فى بركة الحبش

لله يومى ببركة الحبش ∴ والأفق بين الضياء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب ∴ كصارم فى يمين مرتعش
ونحن فى روضة مفوقة ∴ دبج بالنور عطفها ووشى
قد نسجتها يد الغمام لنا ∴ فنحن من نسجها على فرش

وقال أيضاً:

أما ترى البركة الغناء لابسة ∴ وشيًا من النور حاكته يد السحب
وأصبحت من جديد الروض فى حلل ∴ قد أبرز القطر فيها كل محتجب
من سوسن شرق بالطلّ محجره ∴ وأقحوان شهىّ الظلم والشنب
فانظر إلى الورد يحكى خدّ محتشم ∴ ونرجس ظلّ يبدى لحظ مرتقب
والنيل من ذهب يطفو على ورق ∴ والراح[1] من ورق يطفو على ذهب

وقال أيضاً:

يا نزهة الرصد المصرى قد جمعت ∴ من كل شىء حلا فى جانب الوادى[2]
فذا غدير وذا روض وذا جبل ∴ والضب والنون والملاح والحادى

---

(١) والماء فى ب، جـ.

(٢) فى الأصل ى«يا نزهة الرصد التى قد زهت. . عن كل شى حلا فى جانب الوادى» والتصحيح من الخطط جـ٢ ص ١٥٤.

وقال على بن سعيد:

يا بركـــة الحـــبش التى يومـى بهـــا ∴ طول الزمــــان مــبــارك وســعـــيــد
حــتى كـــأنك فى البـــســيطـة جنة ∴ وكــــأن دهـرى كله بـك عـــيــــد
يا حـسـن مـا يـبـدو بك الكـتـان فى ∴ نـواره أوزره مــــــعــــــقـــــود
والماء منك سـيــوفــه مـسـلولة ∴ والقـــــرط فــــيك رواقــــه ممدود
كـــأن أبراجـــا عليـك عـــرائس ∴ جلـيت وطيــــرك حــولـهــا غــــريد
يا ليـت شـعــــرى ل زمـــانك عـــائد ∴ فـــالشـوق فــيــه مـبـدئ ومـعـيـد

قال محمد بن أبى بكر بن عبدالقادر الرازى الحنفى يصف بركة الحبش أيام الربيع:

إذا زين الحـــسناء قـــرط فـــهـــذه ∴ يزينـهـــا مـن كل ناحـــيـــة قـــرط
ترقـــرق فــيـــهـا أدمع الطـل غـدوة ∴ فـــقلت لآل قـــد تضـــمنهـــا قـــرط[1]

وقال الشهاب أحمد بن العطار الدنيسرى لما أمر[2] بتسلسل الخلجان فى سنة إحدى وثمانين وسبمعائة (هـ) وأقام على ذلك إلى ستة إحدى وتسعين (هـ):

حـــديث فم الخـــور المسلسل مــاؤه ∴ بـقنـطرة المـقس فى ســـــائر الخلق
ألا فـاعــجـبـوا من مطلق ومـسلسل ∴ يقـول لقـد أوقـفـتـمـوا الماء فى حلقى

وقال أيضاً:

تـسـلـسـلـت قـنـطـرة المـقـس مـن ∴ مـا قـد جـرى والماء أضـحى شـامـلا
وقــــال أهـل طينـه فى جـــهـنـم[3] ∴ قـــومـــــوا بنا نقـطع الســــلاســـلا

وقال الصاحب فخر الدين بن مكانس:

لولا الـزمـــان للـمـحـــال قـــاتل ∴ مـــــا سلسلوا مطلـق كل جـــدول
وأصـــبح الدولاب فـى رياضـــه ∴ يـقـــول بالـدور وبالـتـــسـلـسـل

---

(١) قرط = سمط فى ب، جـ.
(٢) هكذا بالأصل، والذى أمر بذلك الأمير بركة فى ربيع الاخر سنة ٧٨١هـ أيام حكم السلطان الملك المنصور على، وقد فعل ذلك بايعاز من الشيخ محمد صائم الدهر.
(٣) «وقال هل طينة فى حسبهم» فى ب.

وقال البدر البشتكي:

قـــد سلسلوا الخلجـــان في ∴ مـــصـــر فـــعنهـــا نكبـــوا
مـــا تم مـــاء مطلق ∴ ولا صـــعـــيـــد طيـب

وقال أيضاً:

لئن سلسلوا من مصر رأس خليجها ∴ فـمـا ذاك مـن نقص يلوح لـفـاضل
ومـا قـصـدوا إلا ليـصـدق أنه ∴ يقـاد إلى جناتهـا بالسـلاسل[1]

وقال بعضهم:

صـوت خـرير الماء جندٌ لبـيب ∴ كنغـمـة القـمـرى والعندليب
فكل مـن يسـمع تـصـفـيـقـه ∴ يرقـص من فـرط سـرور وطـيب

(١) في السلاسل في ب، جـ.

• ذكر المؤلف الذى ألفته فى منع البروز على شاطئ النيل وسميته•

• «الجهر بمنع البروز على النهر»•

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، وقع فى هذه الأيام أن رجلاً له بيت فى الروضة على شاطىء النيل أصله قائم على سمت جدران بيوت الجيران الأصلية أحدث فيه من بضعة عشر سنة بروزاً ذرعه إلى صوب البحر نحو عشرين ذراعاً بالذراع الشرعى.

ثم أراد فى هذه الأيام أن يحدث فيه بروزاً ثانياً قدام ذلك البروز الأول متصلاً به بحيث يصير مجموع البروزين ستة وثلاثين ذراعاً واقعة فى حرم النهر وأرضه التى هى عند احتراق النيل مشرع له وطريق للواردين والمارين هناك.

فقلت له: لا يحل لك ذلك باتفاق المذاهب الأربعة فشنع علىَّ فى البلد أنى أفتيت بهدم بيوت الروضة وهذا كذب محض وإشاعة باطلة، فإن البيوت القديمة الباقية على أصولها لا يحل التعرض لها وإنما الكلام فى البروز الحادث وما يرى وإحداثه الآن.

وكثير من الناس يظنون أن مذهب الإمام الشافعى رضى الله عنه جواز البروز مطلقاً وليس الأمر كذلك بل شرطه أن لا يكون فى شارع ولا فى حرم نهر ولا نحو ذلك مما هو مبين فى كتب الفقه.

وقد وقع فى حياة شيوخنا أن أبرك الخاصكى بنى بيتاً تجاه جامع الريس وبرز فيه على شاطىء النهر فاستفتى الشيخ الإمام العلامة المحقق جلال الدين المحلى الشافعى فأفتى بمنعه من ذلك وعلله، فإن شطوط الأنهار لا تملك ولا تجوز إحياؤها ولا البناء فيها، وهذا هو منقول المذهب يعنى عليه إمامنا الإمام الشافعى رضى الله عنه وسائر أصحابه ولا نعلم فى ذلك خلافا فى المذهب بل ولا فى بقية المذاهب بل الائمة الأربعة وأتباعهم متفقون على هذا الحكم وهذه نبذة من نقول الأئمة فى ذلك.

«ذكر منقول مذهبنا» قال الرافعى فى الشرح والنووى فى الروضة: حريم المعمور لا يملك بالإحياء، والحريم هو المواضع القريبة التى تحتاج إليها لتمام الانتفاع كالطريق ومسيل الماء ونحوه، ثم تكلما على حريم الدار وحريم القرية ثم قالا والبئر المحفورة فى الموات حريمها الموضع الذى يقف منه النازح وموضع الدولاب ومتردد البهيمة ومصب الماء والموضع الذى يجتمع فيه لسقى الماشية والزرع من حوض ونحوه والموضع الذى يطرح فيه بما يخرج منه وكل ذلك غير محدود وإنما هو بحسب الحاجة. كذا قال الشافعى والأصحاب.

ذراع ثم قال السبكي: والشافعي رضي الله عنه لم ير التحديد وحمل اختلاف الروايات عن القدر المحتاج إلى الغاية عند حفره، قال وفي كلام الأصحاب وملقى تقثه وهو ما يجيء مع الماء ويسمى الروسابة.

وفي سنن ابن ماجة عن عبدالله بن مغفل أن النبي ﷺ قال: من حفر بئراً فله أربعون ذراعاً عطناً لماشيته. وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: حريم البئر مد رشاتها[1].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: حريم النخلة مد جريدها. قال القاضي أبو الطيب وابن الصباغ: إذا أحيا أرضا ليغرس فيها وغرس فليس لغيره أن يغرس بجواره بحيث تلتف أغصان الغراس وبحيث يلتقي عروقها.

وقال الماوردي: حريم الأرض المهيأة للزراعة طرفها ومغيض مائها ويبدر زرعها وما لا يستغني عنه من مرافقها. انتهى ما في شرح المنهاج للسبكي في ضبط الحريم.

قال الغزي في أدب القضاء: مسألة لا يجوز لأحد أن يبني سكرا[2] في النهر العام الكبير الذي ليس بمملوك لأن النهر العام كالطريق للسلوك العام ولو أراد أن يضع صخرة في طريق واسع منع منه.

وفي فتاوى ابن الصلاح مسألة إذا أراد رجل أن يبني عمارة سكر في النهر الكبير الذي ليس بمملوك ثم يبني عليه طاحونة وناعورة ولا يضر بمن هو فوقه ولا بمن هو أسفل منه هو له ذلك ويكون ذلك إحياء له ويكون بمنزلة الموات الذي يملك «بالإحياء حتى يملك قرار النهر الذي يبني عليه العمارات ويملك»[3] حريمه أم لا.

أجاب: ليس له ذلك فإنه لا يخلو عن ضرر فإنه يمنع من أن ينحدر في مكانه بسباحة أو سفينة أو نحو ذلك وطريق الماء العام كطريق السلوك العام ولو أراد مريد أن يضع صخرة في طريق شارع واسع منه وهذا أشر من ذلك من وجه ولو قدر خلو ذلك عن الضرر لم يجر ملك ذلك الموضع كما لا يملك شيئا من الطرق الواسعة بشيء[4] من الاختصاصات الجائزة.

---

(١) رشاتها = بناؤها في جـ. (٢) السكر في اللغة: ما يسد به النهر ونحوه.

(٣) مابين القوسين مزيدة من ب.

(٤) شيء = يعني في ب، د.

ذكر نقول المالكية

قال ابن الحاج (١) فى المدخل: شاطىء النهر لا يجوز لأحد البناء فيه للسكنى ولا لغيرها إلا القناطر المحتاج إليها لقوله عليه الصلاة والسلام «اتقوا الملاعن الثلاث البراز فى الموارد وقارعة الطريق والظل». رواه أبو داود فى سننه.. وماذاك إلا لأنها مرافق للمسلمين فمن جاء يرتفق بها يجد هناك نجاسة فيقول لعن الله من فعل هذا والنبى ﷺ رءوف رحيم فنهاهم أن يفعلوا ما يلعنون بسببه وهو مما يذهب بالشمس والريح وغيرهما فكيف بالبناء على النهر المتخذ للدوام غالبا.

وقد قال ابن هبيرة فى إتفاق الأئمة الأربعة واختلافهم: اتفقوا على أن الطريق لا يجوز تضييقها والبناء على النهر أكثر ضررا وأشد من تضييق الطريق لأن الطريق يمكن المرور فيها مع تضييقها بخلاف النهر فمن بنى عليه كان غاصباً له لأنه موردة للمسلمين فإذا جاء يرد الماء فيحتاج أن يدور من ناحية بعيدة حتى يصل إليه وليس عليه ذلك وكان من أحوجه إلى ذلك غاصباً، وقد قال عليه الصلاة والسلام «من أخذ شبرا من أرض ظلماً طوقه يوم القيامة إلى سبع أرضين».

رواه البخارى ومسلم.

قال. وقد تقدم ضمن أرسل سجادة إلى المسجد قبل إتيانه فوضعت هناك ليحصل بها المكان أو كان فيها زيادة على ما يحتاجه إليه إن ذلك كله غصب هذا وهو مما لا يدوم فكيف بالبناء على النهر. قال: وقد قال علماؤنا أن حريم العيون خمسمائة ذراع وحريم النهر ألف ذراع واختلفوا فى حريم البير فقيل خمسة وعشرون ذراعا وقيل خمسون وقيل ثلثمائة وقيل خمسمائة. نقله الشيخ أبوالحسن اللخمى فى تبصرته وأبى يونس فى كتابه ولم يجد مالك فى ذلك حدا إلا ما يضر بالمسلمين فعلى هذا وكان أكثر من ألف ذراع إذا أضر بهم يمنع ثم أقضى الأمر من أجل كثرة البناء عليه إلى أن امتنع على بهم بمنع ثم أقضى الأمر من أجل كثرة البناء عليه إلى أن امتنع على المسلمين أخذ الماء منه للشرب وغيره إلا بمواضع قليلة، ثم جرت هذه المفسدة إلى أن وصلت إلى عماد الدين وأصله فساد الصلاة لأنه إذا صلى أحد فى هذه الدار وقع فيها خلاف للعلماء فى الصحة والفساد وهذا مشهور معروف ثم أن البناء على البحر لابد وأن يفضل شىء من آلة العمارة غالبا أو ينهدم هناك شىء من الدور فيقع هناك فى البحر. فتجىء المراكب وليس عندهم خبر فتمر على ذلك فتكسرها غالبا بينما إذا كانت الحجارة مبنية بارزة مع الزرابى الخارجة عن البيوت فى داخل البحر، ثم مع الأذية يمنعون أصحاب المراكب من أن يلتصقوا (٢)

---

(١) الحجاج فى الأصل ولكنه الفقيه ابن الحاج.

(٢) ينتصفوا فى جـ.

إليها والموضع مباح لهم ليس لأحد فيه اختصاص ثم ان المركب قد تأتى فى وقت هول البحر مع ثقلها بالوسق فيريد صاحبها أن يرسى فى الموضع القريب منه ليسلم من آفات البحر فلا يجد لذلك سبيلاً من كثرة الدور التى هناك فيمضى لسبيله حتى يجاوز الدور فقد يكون ذلك سببا لغرقه وذلك كله فى ذمة البانى هناك.

قال: وقد نقل ابن رشد أن حكم الموات يختلف باختلاف مواضعه وهو على ثلاثة أوجه: بعيد عن العمران وقريب منه لا ضرر على أحد من إحيائه وقريب منه فى إحيائه ضرر، فأما البعيد عن العمران فلا يحتاج فى إحيائه إلى استئذان الإمام إلا على طريق الاستحباب على ما حكى بن حبيب، وأما القريب منه الذى لا ضرر فى إحيائه على أحد فلا يجوز إحياؤه إلا بإذن الإمام على المشهور فى المذهب، وأما القريب منه الذى فى إحيائه ضرر كالأفنية التى تكون أخذ الشىء منها ضرراً بالطريق وشبه ذلك فلا يجوز إحيائه بحال ولا يبيح ذلك الإمام. هذا كله كلام ابن الحاج بحروفه ومسألة السجادة التى أشار إليها يأتى نقلها آخر الكتاب، وقد راجعت التنبيهات للقاضى عياض والتبصرة للخمى واللباب فى شرح الجلاب والجواهر لابن شاس وغير ذلك من كتب المالكية فوجدتها متفقة على ما نقل ابن الحاج.

ذكر نقول الحنفية

قال فى الهداية: ولا يجوز احياء ما قرب من العامر ويترك مرعى لأهل القرية ومطرحا بحصائده لتحقق حاجتهم إليها فلا يكون مواتا لتعلق حقهم بها بمنزلة الطريق والنهر وعلى هذا قالوا لا يجوز أن يقطع الإمام مالا غنى بالمسلمين عنه كالملح والآبار التى يستقى الناس منها لما ذكرنا، ومن حفر بئراً فى بريه فله حريمها فإن كانت للقطن فحريمها أربعون ذراعا من كل جانب والذراع هى المكسرة فمن أراد أن يحفر فى حريمها منع منها، ثم قال: والقناة لها حريم بقدر ما يصلحه، وعن محمد أنه بمنزلة البئر فى استحقاق الحريم وقبل هذا عندهما وعنده لا حريم لها مالم يظهر الماء لأنه نهر فى التحقيق فيعتبر بالنهر الظاهر قالوا عند ظهور الماء على الأرض فهو بمنزلة عين فوارة فيقدر بخمسمائة ذراع والشجرة تغرس فى أرض موات لها حريم أيضا حتى لم تغيره [1] أن يغرس شجراً فى حريمه لأنه يحتاج إلى حريم له يجد فيه ثمرة ويضعه فيه وهو مقدر بخمسة أذرع وبه ورد الحديث وما ترك[2] الفرات ودجلة وعدل عنه الماء ويجوز أن يعود إليه فهو كالموات إذا لم يكن حريماً لعامر لأنه ليس فى ملك أحد لأنه قهرا لما

---

(١) لم تغيره = لم يغير لها فى جـ.

(٢) ما أنزلنا فى جـ.

يدفع قهره غيره . ومن كان له نهر فى أرض غيره فليس له حريم عند أبى حنيفة إلا أن يقيم بينة على ذلك وقالا له مسناة النهر يمشى عليها ويلقى عليها طينة ، ثم عن أبى يوسف أن حريمه مقدار نصف النهر من كل جانب وهذا أرفق بالناس . ثم قال : إعلم أن المياه أنواع منها ماء البحار ولكل واحد فيها حق الشفعة كالانتفاع بالشمس والقمر والهواء فلا يمنع من الانتفاع به على أى وجه شاء والثانى ماء الأودية العظام كجيحون وسيحون ودجلة والفرات للناس فيه المنفعة[1] على الإطلاق وحق سقى الأراضى فإن أحيا واحد أرضاً وكرا منه أرضا ليسقيها إن كان لا يضر بالعامة ولا يكون النهر فى ملك أحد له ذلك لأنها مباحة فى الأصل إذ قهر الماء يدفع قهر غيره وإن كان يضر بالعامة فليس له ذلك لأن دفع الضرر عنهم واجب وعلى هذا نصب الرحا[2] عليه لأن شق النهر للرحا كشقة للسقى .

ثم قال : الأنهار ثلاثة ، نهر غير مملوك ولم يدخل ماؤه فى المقاسم بعد كالفرات ونحوه وهذه كريه على السلطان من بيت مال المسلمين لأن منفعة الكرى لهم فتكون مؤونته من الخراج والجزية دون العشر والصدقات فإن لم يكن فى بيت المال شىء فالإمام يجبر الناس على كريه إحياءاً لمصلحة العامة انتهى ملخصا .

قال القدورى : ولا يجوز إحياء ماقرب للعامر بترك مرعى لأهل القرية ومطرحا لحصائدهم ومن حفر بئرا فى برية فله حريمها فإن كانت للعطن [3] فحريمها أربعون ذراعا وإن كانت للناضح فستون ذراعا وإن كانت عينا فحريمها ثلاثمائة ذراع فمن أراد أن يحفر فى حريمها منع منه ، وما ترك الفرات ودجلة وعدل عنه الماء ويجوز عودة إليه لم يحل إحياؤه وإن كان لا يجوز أن يعود إليه فهو كالموات إذا لم يكن لم يحل إحياؤه وإن كان لا يجوز أن يعود إليه فهو كالموات إذ لم يكن حريمها لعامر من أحياه بإذن الإمام ملكه ، ومن كان له نهر فى أرض غيره فليس له حريمه عند أبى حنيفة إلا أن يقيم بينة على ذلك .

وقال أبو يوسف ومحمد له مسناه النهر يمشى عليها ويلقى عليها طينه إنتهى .

وقد عرف بهذا النص وغيره من كتب الحنفية الذى نقله البيهقى [4] عن أبى حنيفة من أنه لا حريم للنهر إنما هو فى النهر المملوك من أرض الغير لا فى الأنهار الكبار المباحة كالنيل والفرات .

---

(١) الشقة فى جـ.

(٢) لوحا فى هـ.

(٣) للتعطن فى جـ.

(٤) البيهقى = السبكى فى ب .

وقال صاحب إلينابيع [1] وهو الإمام أبو المفاخر السديدى الزوزنى ولا يجوز إحياء ماقرب من العامر بترك مرعى لأهل القرية ومطرحا لحصائدهم ومن حفر بئرا فله حريمها فإن كانت بئرا لعطن فحريمها أربعون ذراعا وإن كانت بئرا ناضخ فستون ذراعا وإن كانت عينا فحريمها خمسمائة ذراع من كل جانب فمن أراد أن يحفر فى حريمها منع منه وما تركه الفرات أو دجلة وعدل عنه ويجوز عودة إليه لم يجز إحياؤه لحاجة النهر إليه فإن كان لايمكن أن يعود إليه فهو كالموات إن لم يكن حريما للعامر ومن كان له نهر فى أرض غيره فليس له حريمه عند أبى حنيفة إلا أن يكون له بينة عليه.

وقال أبو يوسف ومحمد له مسناة النهر يمشى عليها ويلقى عليها طينه وفى فتاوى قاض خان لو حفر بئرا فى المفازة أو فى موضع لا يملكه أحد بإذن الإمام كان له ذلك وله ما حوله أربعون ذراعا حريما للبئر ولو حفر نهرا فى مفازة بإذن الإمام قال أبو حنيفة: لا يستحق للنهر حريما، وقال صاحباه: يستحق مقدار عرض النهر حتى إذا كان مقدار عرض النهر ثلاثة أذرع كان له من الحريم مقدار ثلاثة أذرع من الجانبين من كل جانب ذراع ونصف فى قول الطحاوى وعن الكرفى مقدار عرض النهر هذا فى النهر الذى حفره انسان وملكه.

وقال فى موضع آخر: ولو احتفر رجل قناة بغير إذن الإمام فى مفازة وساق الماء حتى أتى به أرضا فأحياها فإنه يجعل لقناته ومخرج مائة حريما بقدر ما يصلح، وهذا قول أبى يوسف ومحمد، وأما عند أبى حنيفة إذا فعل ذلك بإذن الإمام فإنه يستحق الحريم للموضع الذى يقع الماء فيه على وجه الأرض وإن كان بغير إذن الإمام لا شيء له لأن عند أبى حنيفة من احتفر نهراً لا يستحق له الحريم والقناة إلا أن يقع الماء على وجه الأرض بمنزلة النهر.

وقال فى موضع آخر: إذا أحيا رجل مواتاً ليس لها شرب وحفر لها من نهر العامة حافتها غير مملوكة وساق إليها ما يكفيها من الماء ينظر ان كان ذلك لا يضر بالعامة كان له ذلك وإن كان يضر بالعامة ليس له أن يفعل ذلك ولا للإمام أن يأذن له بذلك وكذا ليس للإمام أن يزيد فى النهر العظيم كوة أو كوتين إن كان يضر بالعامة وفى النهر الخاص المملوك ليس له أن يفعل ذلك أضر بصاحب الملك أم لم يضر لأن حافة النهر ملكه فلا يملك حفرها وسقيها.

وقال فى موضع آخر: الأنهار ثلاثة الأول النهر العظيم الذى لم يدخل فى المقاسم كالفرات ودجلة وجيحون وسيحون والنيل إذا احتاج إلى الكرى فإصلاح شطه يكون على السلطان من بيت المال فإن لم يكن فى بيت المال مال يجبر المسلمون على كريه وإن أراد واحد من المسلمين أن

---

(1) إلينابيع = الناقع فى هـ.

يكرى منها نهر لأرضه كان له ذلك إذا لم يضر بالعامة بأن ينكسر شط النهر ويخاف منه الغرق فيمتنع من ذلك. ثم قال: نهر يجرى فى سكة ثم يحفر فى كل سنة مرتين ويجتمع تراب كثير فى السكة قالوا إن كان التراب على حريم النهر لم يكن لأهل السكة تكليف أرباب النهر بنقل التراب وإن كان التراب جاوز حريم النهر كان لهم ذلك، وكذلك نهرلقوم يجرى فى أرض رجل حفروا التراب وألقوا التراب فى أرضه إن كان التراب فى حريم النهر لم يكن لصاحب الأرض أن يأخذ أصحاب النهر برفع التراب لأن لهم إلقاء التراب فى حريم النهر فإن ألقوا التراب فى غير حريم النهر كان له أن يأخذهم برفع التراب.

وقال فى موضع آخر: رجل بنى فى الطريق الأعظم بناءاً لا يضر بالطريق فعثر به إنسان فعطب، أو دابة فتلفت كان ضامناً ولكل واحد من الناس حق المنع والمطالبة بالرفع وكذلك لو نصب على نهر العامة طاحونة لا تضر بالنهر فكالطريق ولكل واحد حق المنع والرفع فإن ضر فى الحالين ترتب عليه الإثم أيضا ولو جعل على نهر العامة طاحونة لا تضر بالنهر فكالطريق ولكل واحد حق المنع والرفع فإن ضرفى الحالين ترتب عليه الإثم أيضا ولو جعل على نهر العامة قنطره بغير إذن الامام ولم يزل الناس والدواب يمرون عليه ثم انكسر أو وهى فعطب به إنسان أودابة ضمن فإن كان بإذن الإمام لم يضمن لأنه جعله حسنة [1] وممر الناس [2] انتهى ملخصا.

وفى فتاوى البزازى: الأنهار [3] ثلاثة فى غاية العموم كالأنهار العظام مثل دجلة وسيحون وجيحون ليست مملوكة لأحد فيملك كل واحد سقى دوا به وأرضه ونصب الطاحونة والدالية والساقية [4] واتخاذ المشرعة والنهر إلى أرضه بشرط أن لا يضر بالعامة فإن أضر منع، فإن فعل فلكل أحد من أهل الدار منعه، المسلم والذمى والمكاتب فيه سواء، ثم قال: النهر الأعظم كريها من بيت المال وإصلاح مسناتة أيضا لامن العامة وإن لن يكن فى بيت المال مال واحتاج المسناة والنهر إلى العمارة يجبر العامة.

وقال صاحب الكافى: ولا يجوز إحياء ماقرب من العامر ويترك مرعى لأهل القرية ومطرحاً لحصائدهم لتحقق حاجتهم إليها فصار كالنهر والطريق وعلى هذا قالوا: لا يجوز للإمام أن يقطع مالا غنى للمسلمين عنه كالملح والآبار التى يستقى الناس منها، ومن حفر بئرا فى أرض موات فله حريمها أربعون ذراعا لقوله عليه الصلاة والسلام. من حفر بئراً فله حريمها

---

(١) حسبه فى ب، وسبه فى د.
(٢) مرار الناس فى ب.
(٣) المياه فى هـ.
(٤) السابئة فى ب.

أربعون ذراعا لأن حافر البئر لا يتمكن من الانتفاع ببئره إلا بما حولها فإنه يحتاج إلى أن يقف على شفير البئر ليستقى الماء وإلى أن يبتنى على شفير البئر ما يركب عليه البكرة وإلى أن يبنى الحوض يجتمع فيه الماء وإلى موضع تقف فيه مواشيه عند الشرب وإلى موضع تنام فيه مواشيه بعد الشرب فاستحق الحريم لذلك وقدره الشرع بأربعين ثم قيل أربعون ذراعا من الجوانب الأربعة من كل جانب عشرة أذرع لأن ظاهر اللفظ يجمع الجوانب الأربعة، والصحيح أن المراد به أربعون ذراعا من كل جانب لأن المقصود دفع الضرر عن صاحب البئر وهو لا يندفع بعشرة أذرع من كل جانب فإن كانت لناضح وهى التى تنزح الماء منها بالبقر.

فكذلك عند أبى حنيفة رحمه الله أربعون ذراعا وعندهما رحمهما الله حريمها ستون ذراعا لقوله عليه الصلاة والسلام حريم العين خمسمائة ذراع وحريم بئر العطن أربعون ذراعا وحريم بئر الناضح ستون ذراعا لأن استحقاق الحريم باعتبار الحاجة، وحاجة صاحب بئر الناضح أكثر، وحريم العين خمسمائة ذراع لما روينا ولأنه يحتاج منها إلى زيادة المسافة والتوقيف ورد بخمسمائة فاتبعناه إذ لا يدخل الرأى فى المقادير، ثم عند بعضهم خمسمائة من الجوانب الأربعة من كل جانب مائة وخمسة وعشرون ذراعا والأصح أنه خمسمائة ذراع من كل جانب والذراع هو المكسرة وهو ست قبضات وكان ذراع الملك سبع قبضات فكسر منه قبضة. ثم قال: وما ترك الفرات ودجلة وعدل عنه الماء ويجوز عودة إليه لم يجز احياؤه لحاجة النهر إليه. ثم قال: الأنهار ثلاثة، نهر غير مملوك لأحد ولم يدخل ماؤه فى المقاسم بعد كالفرات ودجلة والنيل فكريه على السلطان إن احتاج إليه من بيت المال لأن ذلك من حاجة عامة المسلمين وبيت المال يعد للصرف إلى مصالح المسلمين فإن لم يكن فى بيت المال شيء فللإمام أن يجبر الناس على كريه.

وفى خلاصة الفتاوى: الأنهار ثلاثة فى نهاية العموم كالأنهار العظام كدجلة والفرات وجيحون وسيحون وهى ليست بمملوكة لأحد ولكل أحد أن يستقى منها ويسقى دابته منها وأرضه وشربه ويتوضأ ولكل واحد نصيب[1] الطاحون والساقية والدالية واتخاذ المشرعة واتخاذ النهر إلى أرضه بشرط أن لا يضر بالعامة فإن أضر منع من ذلك فإن لم يضر وفعل فلكل واحد من أهل الدار مسلم أو ذمى أو امرأة أو مكاتب منعه.

---

(١) يصب فى ب.

وفى مجمع البحرين وحريم بئر الناضح أربعون كالعطن وقالا ستون ويقدر للعين خمسمائة من كل جانب ويمنع غيره من الحفر فيه ويلحق ما امتنع عود دجلة والفرات إليه بالموات إذا لم يكن حريما لعامر وان جاز عوده لم يجز احياؤه .

قال ابن فرشته فى شرحه لأن حق المسلمين دائم لجواز العود وكونه نهرا ثم قال فى المجمع : والنهر فى ملك الغير لا حريم له إلا ببينة وقالا : له حريم بقدر إلقاء الطين ونحوه وقيل هذا بالإتفاق .

وقال ابن فرشته وفى المحيط قال المحققون للنهر حريم بقدر ما يحتاج إليه بالاتفاق لضرورة الاحتياج إليه .

وقال شمس الدين محمد بن يوسف النويرى (١) فى درر البحار وحريم النضح أربعون كالعطن وقالا : ستون كخمسمائة من كل جانب للعين ويمنع غيره منه ولحق بالموات ما امتنع عود نحو دجلة إليه غير الحريم ويقدر حريم النهر بنصف النهر من جانبيه لا كله فى وجه والله أعلم انتهى كلام الحنفية .

ذكر نقول الحنابلة

قال فى المغنى . وهو أجل كتب الحنابلة وعلى منواله نسج الشيخ محيى الدين النووى كتابه شرح التهذيب مانصه : وما قرب من العامر وتعلق بمصالحه من طرقه ومسيل مائه ومطرح قمامته وملقى ترابه وآلاته فلا يجوز إحياؤه بغير خلاف فى المذهب وكذلك ماتعلق بمصالح القرية كفنائها (٢) ومرعى ماشيتها ومحتطبها وطرقها ومسيل مياهها لايملك بالإحياء ولانعلم فيه أيضا خلافا عن أهل العلم وكذلك حريم البئر والنهر والعين وكل مملوك لايجوز إحياء ما تعلق بمصالحه لقوله عليه الصلاة والسلام من أحيا أرضا ميتة فى غير حق مسلم فهى له فمفهومه أن ما تعلق به حق مسلم لا يملك بالإحياء . انتهى .

وقال فى موضع آخر : المعادن الظاهرة وهى التى يوصل إلى ما فيها .

(١) القونوى فى ب .
(٢) كعيانها فى هـ وكفياتها فى ب وكقيائها فى جـ.

من غير مؤونة يأتى بها الناس وينتفعون بها كالملح والماء والكبريت والكحل ومقالع الطين وأشباه ذلك لايملك بالإحياء ولايجوز إقطاعه لأحد من الناس ولا احتكاره [1] دون المسلمين لأن فيه ضرراً بالمسلمين وتضييقا عليهم ولأنه يتعلق به مصالح المسلمين العامة فلم يجز إحياؤه ولا إقطاعه كمشارع الماء وطرقات المسلمين.

وقال فى موضع آخر: وما نضب عنه الماء من الجزائر لم تملك بالإحياء. وقال أحمد فى رواية العباس بن موسى: إذا نضب الماء عن جزيرة إلى قناة رجل لم يبين فيها لأن فيه ضررا وهو أن الماء يرجع إلى ذلك المكان فإذا وجده مبينا رجع إلى الجانب الآخر فأضر بأهله. ولأن الجزائر منبت الكلأ والحطب فجرت مجرى المعادن الظاهرة إنتهى.

وذكر نحوه غير واحد من المؤلفين وفى المستوعب: ومانضب عنه الماء من الرمل والجزائر فليس لأحد أن يملكه ولا يجرى فى ذلك مجرى الأرض الموات نص عليه من رواية إبراهيم فى دجلة يصير فى وسطها جزيرة فيها طرقا فأجازها قوم فقال: كيف يجوزونها وهى شىء لا يملكه أحد، وقال فى رواية يوسف بن موسى: إذا نضب الماء عن جزيرة إلى فناء رجل هل يبنى فيه قال: لا فيه ضرر على غيره لأن الماء قد يعود إليه فإن لم يعد بعد فهو طريق لكافة المسلمين.

فائدة لطيفة: قال ابن الحاج فى المدخل ليس للإنسان فى المسجد إلا موضع قيامه وسجوده وجلوسه ومازاد على ذلك فلسائر المسلمين فإذا بسط لنفسه شيئاً ليصلى عليه احتاج لأجل سعة ثوبه أن يبسط شيئاً كبيراً ليعم ثوبه على سجادته فيكون فى سجادته اتساع خارج فيمسك بسبب ذلك موضع رجلين أو نحوهما إن سلم من الكبر من أنه لا يضم إلى سجاته أحدا فإن لم يسلم من ذلك وولى الناس عنه وتباعدوا منه هيبة لكمه وثوبه وتركهم وهو ولم يأمرهم بالقرب إليه فيمسك ماهو أكثر من ذلك فيكون غاصباً لذلك القدر من المسجد فيقع بسبب ذلك فى المحرم المتفق عليه المنصوص عن صاحب الشريعة ﷺ حيث قال «من غصب من الأرض شبرا طوقه[1] يوم القيامة إلى سبع أرضين» وذلك الموضع الذى أمسكه بسبب قماشه وسجادته ليس للمسلمين به حاجة فى الغالب إلا فى وقت الصلاة وهو فى وقت الصلاة غاصب له فيقع فى هذا الوعيد بسبب قماشه وسجادته وزيه فإن بعث بسجادته إلى المسجد فى أول الوقت أو قبله ففرشت له هناك وقعد هو إلى أن يمتلىء المسجد بالناس ثم يأتى كان غاصباً لذلك الموضع الذى عملت السجادة فيه لأنه ليس له أن يحجره وليس لأحد فيه إلا موضع صلاته: انتهى والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب.

---

(١) اصتحاره فى الأصل.

● ذكر الأحاديث الواردة فى ذكر من ظلم شيئاً من الأرض وطريق المسلمين ●

أخرج البخارى عن سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «من أخذ شبرا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين».

وأخرج البخارى ومسلم عن أبى سلمة بن عبدالرحمن أنه كانت بينه وبين أناس خصومة فى أرض فدخل على عائشة فذكر لها ذاك فقالت يا أبا سلمة اجتنب الارض فإن رسول الله (ص) قال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين».

وأخرج البخارى عن ابى عمر قال: قال النبى (ص) «من أخذ شيئاً من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين».

وأخرج مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله (ص) «لا يأخذ أحد شبراً من الأرض بغير حقه إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة».

وأخرج البزار فى مسنده عن ابن عمر: قال رسول الله (ص): «ملعون من تولى غير مواليه، ملعون من ادعى إلى غير أبيه، ملعون من غير علام الأرض».

وأخرج البخارى فى الأدب المفرد والحاكم فى المستدرك عن على بن أبى طالب قال: هذا ما سمعت من رسول الله (ص) «لعن الله من ذبح لغير الله ومن تولى غير مواليه ولعن الله العاق لوالديه، ولعن الله منتقص مصار [٢] الأرض».

وأخرج ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى والبيهقى فى شعب الايمان عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال «لعن الله من تولى غير مواليه ولعن الله من غير تخوم الأرض».

وأخرج البيهقى عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال: «ملعون من غير حدود الأرض وملعون من تولى غير مواليه».

وأخرج البزار فى مسنده عن أبى رافع قال: وجدنا صحيفة فى قراب [٣] رسول الله (ص) بعد وفاته فيها مكتوب «بسم الله الرحمن الرحيم فرقوا بين مضاجع الغلمان والجوارى والأخوة والأخوات لسبع سنين، واضربوا أبناءكم على الصلاة إذا بلغوا تسعا، ملعون من

---

(١) طوته فى جـ.
(٢) منار فى جـ.
(٣) حراب فى ب، وجراب فى د.

ادعى إلى غير قومه أو إلى غير مواليه، ملعون من اقتطع شيئا من تخوم الأرض يعنى بذلك طريق المسلمين».

وأخرج أحمد وابن حبان والطبرانى عن يعلى بن مرة قال: سمعت النبى (ص) يقول: «أيما رجل أظلم شبراً من الأرض كلفه الله أن يحفره حتى يبلغ به سبع أرضين ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس».

وفى لفظ لأحمد: «من أخذ أرضا بغير حقها كلف أن يحمل ترابها إلى الحشر».

وفى رواية الطبرانى «من ظلم من الأرض شبراً كلف أن يحمل ترابها إلى الحشر».

وفى رواية الطبرانى «من ظلم من الأرض شبراً كلف أن يحفره حتى يبلغ الماء ثم يحمله إلى الحشر».

وأخرج أحمد والطبرانى عن سعد بن أبى وقاص قال: قال رسول الله (ص): «من أخذ شيئا من الأرض بغير حقه طوقه من سبع أرضين لا يقبل منه صرف ولا عدل».

وأخرج بن سعد فى الطبقات والطبرانى عن الحاكم بن الحارث السلمى قال: قال رسول الله (ص): «من أخذ من طريق المسلمين شبراً جاء به يوم القيامة يحمله من سبع أرضين».

وأخرج أحمد والطبرانى عن بن مسعود قال: قلت يا رسول الله أى الظلم أظلم: فقال: «ذراع من الأرض ينتقصها المرء المسلم من حق أخيه فليس حصاة من الأرض يأخذها إلا طوقها يوم القيامة إلى قعر الأرض ولا يعلم قعرها إلا الله الذى خلقها».

وأخرج أحمد والطبرانى عن أبى مالك الأشعرى عن النبى (ص) «أعظم الغلول عند الله ذراع من الأرض إذا إقتطعه طوقه من سبع أرضين».

خـــاتمة:

رفعت قضية هذا الرجل الذى أراد البروز إلى شيخ الاسلام محب الدين[١] أبى يحيى زكريا[٢] الأنصارى الشافعى قاضى القضاة بالديار المصرية أعزه الله وأبقاه فحكم بمنعه ومنع كل مسلم وذمى أراد البروز بالروضة وهذا الحكم صحيح نافذ مستمر على مدى الدهر إلى أن تقوم الساعة مع عموم المحكوم عليه وعدم توجه دعوى، وقد حكم شيخ الاسلام والمذهب تقى الدين السبكى نظير هذا الحكم وأبلغ منه فإنه حكم وهو قاضى الشام وناظر المارستان النورى «على كل حاكم يأتى بعده بالمنع من تناول جامكية على النظر بالمارستان المذكور» وألف فى ذلك مؤلفاً ووقفت عليه بخطه قال فيه بعد تقرير المسألة مانصه: «قد استخرت الله تعالى وحكمت بمنع كل حاكم من أخذ معلوم على نظره فى هذا المارستان حتى لا يطمع أحد من الحكام فى ذلك وحكمت بصحة هذا الحكم مع عموم المحكوم عليه وإن لم يتوجه عليه دعوى مع علمى بكلام الفقهاء فى ذلك فلا يطمع أحد فى التعرض إلى هذا الحكم بفساد».

هذه عبارة السبكى بحروفه، وقد ختمت هذا المؤلف بقصيدة نظمت فيها المسألة لأن النظم أسرع للحفظ وأيسر على الألسنة وسميتها «النهر لمن برز على شاطىء النهر» وهى هذه:

بدأت بسم الله فى النظم للشعر ∴ وأثنى بحمد الله فى السر والجهر
وصلى إله العرش ما ذكر اسمه ∴ على المصطفى المبعوث للسود والحمر
وهاتيك أبيات يضاهى قريضها ∴ إذا ما رأى الراوون بالكوكب الدرى
فمسنده لابن الفرات عذوبة ∴ وبهجته الزهراء تعزى إلى الزهرى
والفاظه تحكى عن الماء رقة ∴ وفيه معان كلها عن أبى بحر
شذاه إلى الأفاق طار فعرفه ∴ وتحليقه[٣] فى الجو كالورد والنسر
وذلك فى حكم من الشرع بيّنٌ ∴ يفوق السنا البدرى فى ليلة البدر
به قال أصحاب المذاهب كلهم ∴ وكل إمام عالم قدوة حبر[٤]
لقد عمت البلوى بأمر محرم ∴ وظن مباحا ذاك كل امرئ غمر

---

(١) محيى الدين فى ب.

(٢) أبى زكريا يحيى فى ب.

(٣) تخليقه فى ب.

(٤) وكل إمام قدر مسئلة حبر فى جـ.

ففى روضة المقياس جار بروز من ∴ أراد بأن يسطو على البر والبحر
أتى من حريم النهر بعض بروزه ∴ وسائره قد حل فى بقعة النهر
وما قال هذا قط فى الدهر عالم ∴ ولم يستبحه فى القديم أولو الخبر
وأعظم من ذا فى البلية من عزى ∴ إباحته للشافعية بالقسر
وما قال هذا الشافعى وصحبه ∴ ولا أحد من قبل أو بعده يدرى
يمينا وفجر والليالى بعشرها ∴ وشفع ووتر ثم ليل إذا يسرى
بل النص فى كتب الإمام وصحبه ∴ بأن حريم النهر والنهر إذ يجرى
كلاذين لا ملك عليه يحوزه ∴ وإن بنا الناس فيه أخو خطر
ولا جاز إقطاع لديه ولا ازوى ∴ إلى ملك بيت المال بيعا لمن يشرى[1]
ومن فيه يبنى فليهد بناؤه ∴ وينسفه فى اليم نسفا على قدر
وفى حسرة يمسى على فقد جسره ∴ وفى خسره أضحى إلى حشره يجرى
وأما قديمًا قد رأينا موصلاً ∴ على نمط الجيران فى السمت للجدر
فذلك نبقيه ونولى احترامه ∴ لوضع بحق سابق غير ذى ختر
ومن رام نقلا يستفيد بعرفه ∴ ليحكى نصوص العلم إن حل[2] فى صدر
ففى الأم نص الشافعى إمامنا ∴ ومختصر عالى الذرى سامى القدر
وتعليقه القاضى الحسين وغيره ∴ وكافى الخوارزمى ذى الفضل والذكر
وتهذيب محيى السنة البغوى مع ∴ نقول كثير قد تجل عن الحصر
وفى الشرح نص الرافعى وروضة ∴ النواوى حيا قبره وابل القطر
كذا فى فتاوى ابن الصلاح بيانه ∴ وناهيك بالحبر التقى عن الإصر
وسار عليه فى الكفاية نجمنا ∴ أجل فقيه جاء إذ ذاك من مصر
وأوضحه فى الابتهاج وغيره ∴ الإمام التقى السبكى بالبسط والنشر
وفيه عن القفال لورام نخلة ∴ ليغرس بالشاطئ منعناه بالقهر
وبين ذاك الزركشى بشرحه ∴ ومن بعد فى الشرح الدميرى ذو الفخر
وبيّنه الغزّى فى أدب القضا ∴ فخذها نقولاً من بحار أولى در
وخذ عن نقول المالكية مسندا ∴ لكل إمام منهم عالم حبر

---

(١) يشترى فى و.
(٢) كل فى د.

ففى مدخل ابن الحاج أعظم بسطة ∴ وبين ما فيه من الإثم والضر
وحد حريم النهر ألف ذراعه ∴ وذاك أعلي الحد فى حرم النهر
وأما النقول المستفيضة عن أبى ∴ حنيفة فى هذا فأوفى من البحر
وحدود حريم العين فى كل جانب ∴ بخمس مىء من أذرع هى ذو كسر
وأما نقول لابن حنبل جمة ∴ وناهيك بالمغنى فكن فيه ذا ذكر
ومذهبه فى الجزر أضيق مذهب ∴ لنص له أن ليس يبنى على جزر
ومذهبنا فى ذاك أفسح مذهب ∴ لأنهم قاسوا الحريم على البئر
وأدنى حريم البئر قيل خمسة ∴ وعشرون ذرعا من ذراع أولى الشبر
وكل مكان عمه فى زيادة ∴ من الماء معدود من الأرض للنهر
وضابط ما بين سطحين حفرةً ∴ إذ النهر مردود[1] إلى مادة الحفر
فحفره مجرى الماء نهر ومبدء ∴ الحريم من التسطيح قدرا على قدر
ومن رام فى هذا البناء فإنه ∴ أضر على المارين فى البحر والبر
يقيم به فى أكثرالعام ماؤه ∴ فلا يجد المارون طرقا إلى المر
ومن ههنا مع ههنا كل سالك ∴ يمر وهذا البرز كالطود فى البحر
وليس بها من يقطع الطرق غيره ∴ فلله ممن يقطع الطرق فى الظهر
وقد صح فى الآثار تطويق سبعة ∴ أراض لمن يحيى من الأرض كالشبر
وقد صح أيضا لعنه وانخسافه ∴ إلى الأرضين السبع فى موقف الحشر
فمن رام مع هذا الوعيد بروزه ∴ فوالعصر إن المفسدين لفى خسر
وألفت فى منع البروز بشاطئ ∴ على النهر تأليفا اسميّه بالجهر
تضمن من هذى النقول عيونها ∴ وأوضحت فيه ما تفرق فى السفر
وقد صب حكم الشرع بالمنع حاكم ∴ على كل من رام البروز على النهر
إمام غدا قاضى القضاة بمصرنا ∴ له مرتبة عليا تزهو على الزهر
لزومًا يمنع فى العموم لكل من ∴ أراد بروزًا فى الحريم مدى الدهر
وهذا صحيح نافذ يستمر ∴ لا يشان بإفساد ونقض ولا كسر
وقد حكم السبكى فيه نظيره ∴ وألف تأليفًا له عالى القدر

---

(١) مردوف فى ب.

ومن لم يطع حكم الشريعة رده ∴ إليها يرغم راغم سطوة القهر
من الملك الحامى زمام شريعة ∴ هو الأشرف السلطان حقا أبو النصر(١)
مثير منار المهتدين على هدى ∴ مبير(٢) منار المعتدين على قسر
له السطوة العليا علي كل مجرم ∴ كما البطشة الكبرى على كل ذى غدر
أزال فساد الملحدين ومن بغى ∴ وأوهى قوى العادين من كل ذى مكر
به شرفت مصر على كل ساحة ∴ وزانت على الأمصار فى كلما قطر
حباه إله العرش نصراً مؤيداً ∴ وطول بناء فى هناء وفى بشر
ونختم هذا النظم بالحمد دائما ∴ لرب العلا المختص بالحمد والشكر
ونثنى على الهادى بخير صلاته ∴ وتسليمه فهو المشفع فى الحشر
وآل له خصوا بكل مزية ∴ وأصحابه الزاكين والأنجم الزهر
ونتبع هذا بالرضى عن أئمة ∴ هم قدوة للخلق فى كلما عصر
إمامى أعنى الشافعى ومالك ∴ وأحمد والنعمان كل ذوو قدر
وسميت هذا النظم بالنهر زاجرا ∴ لمن رام أن يبنى على شاطئ النهر
فموضوعه بحر وبحر علومه ∴ وعدته سبعون بيتًا على بحر

ونختتم بحديثين فى أدب الجوار على سبيل الاستئناس للاحتجاج على هذه المسئلة بخصوصها .

قال البيهقى فى شعب الإيمان : أنبانا أبو عبدالله الحافظ أنبأنا أبو محمد عبدالله بن جعفر بن درستويه الفارسى حدثنا عتبة الحمصى حدثنا اسماعيل مولى عياش عن أبى بكر الهذلى عن بهر بن حكيم عن أبيه عن جده قال : قلت : يا رسول الله ، ما حق جارى على ؟ قال «إن مرض عدته وإن مات شيعته وإن استقرضك أقرضته وإن عرى سترته وإن أصابه خير هنأته وإن أصابته مصيبة عزيته ولا ترفع بناءك فوق بنائه فتسد عليه الريح ولا تؤذيه بريح قذرك ولا تفرق له منها» قال البيهقى : إسناده ضعيف . قال : وله شاهد .

قال بن عدى فى الكامل حدثنا أبوقصى الدمشقى . حدثنا سليمان بن عبدالرحمن حدثنا سويد (٣) بن عبدالعزيز بن عثمان بن عطاء الخراسانى عن أبيه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن

---

(١) يقصد السلطان أبوالنصر قايتباى .
(٢) مبيد فى أ، مبر فى هـ، منير فى د .
(٣) سريه فى جـ.

جده: أن رسول الله (ﷺ) قال: ليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه. أتدرى ماحق الجار؟ إذا استعانك أعنته وإذا استقرضك أقرضته وإذا افتقر عدت عليه وإذا مرض عدته وإذا أصابه خير هنأته وإذا أصابته مصيبة عزيته وإذا مات اتبعت جنازته وألا تستطيل عليه بالبناء تحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذيه بقتار قدرك إلا أن تفرق له منها وإن اشتريت فاكهة فاهد له منها فإن لم تفعل فادخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده. أتدرون ما حق الجار والذى نفسى بيده مابلغ حق الجار إلا قليل ممن رحم الله» فما زال يوصيهم بالجار حتى ظنوا أنه سيورثه.

ثم قال رسول الله (ﷺ): «الجيران ثلاثة، منهم من له ثلاثة حقوق ومنهم له حقان ومنهم من له حق، فأما الذى له ثلاثة حقوق فالجار المسلم القريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة، وأما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وأما الذى له حق واحد فالجار الكافر له حق الجوار. قلنا يا رسول الله: نطعمهم من نسكنا. قال: لا تطعموا المشركين شيئا من النسك». أخرجه البيهقى وقال: سويد [1] بن عبدالعزيز بن عثمان بن عطا، وأبوه ضعفا غير أنهم متهمين [2] بالوضع والله أعلم.

---

(١) سرية فى هـ.
(٢) متهومين فى جـ.

• ذكر الأزهار والفواكه والخضروات الموجودة فى الروضة•

وما قيل فيها

أخرج بن عبدالحكم فى فتوح مصر بسنده عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: من أراد أن يذكر الفردوس أو ينظر إلى مثلها فى الدنيا فلينظر إلى أرض مصر حين يخضر زرعها وتنور ثمارها.

وأخرج ابن عبدالحكم عن كعب الأحبار قال: من أراد أن ينظر شبه [1] الجنة فلينظر إلى أرض مصر إذا أزهرت.

وأورد ابن زولاق عن على بن أبى طالب أنه لما بعث محمد بن أبى بكر الصديق إلى مصر قال له: «إنى قد وجهتك إلى فردوس الدنيا».

وعن دانيال عليه السلام قال: «يابنى اسرائيل اعملوا لله فإن الله يجازيكم فى الآخرة بمثل مصر» أراد الجنة.

وقال بعضهم: يجتمع بمصر فى وقت واحد مالا يجتمع بمدينة وذلك: البنفسج والورد والنرجس والمنثور والسوسن وشقائق النعمان والبهار والياسمين والنسرين والنوفر والنمام والمزرنجوش [2] والريحان والنارنج والليمون والتفاح والكمثرى والأترج والباقلاء الأخضر والعنب والتين واللوز الأخضر والموز والسفرجل والرمان والنبق والقثاء والخيار والطلح والبلح والبسر والرطب واللفت والقنبيط والاسفاناج [3] والقرع والجزر والباذنجان. كل ذلك يجتمع فى وقت واحد من السنة.

قلت: وأكثر ما ذكر يزرع فى الروضة، ويوجد فيها فى أوقاته من السنة سوى النوفر والسفرجل وفيها زيادة على ما ذكر شجر الزيتون والعناب والخروب والخوخ والبرقوق والتوت والكباد وقصب السكر والبطيخ والخشخاش.

وقال بعض ممن سكن مصر: لولا ماء طوبة وخروف أمشير ولبن برمهات وورد برمودة ونبق بشنس وتين بؤونة وعسل أبيب وعنب مسرى ورطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك ما سكنت مصر، ونبدأ من هذه الأشياء بالأزهار.

---

(١) سندس فى د.
(٢) المرز حوش فى أ.
(٣) السبانخ.

• الفاغية •

الفاغية وهى نور الحنا وتقول عامة مصر تمر حنا ، وبدأنا بها لأنها سيدة الرياحين وأحبها إلى رسول الله (ﷺ) .

وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان : أنبأنا أبو عبدالله الحافظ . أنبأنا الحسن ابن محمد ابن إسحق . أنبأنا العلاء . حدثنا الحسن بن حسان وعلى بن أبى طالب البزار قالا : حدثنا أبو هلال عن قتادة عن بريده قال : قال رسول الله (ﷺ) «سيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية» .

وقال البيهقى وفيما روى العتيبى عن التونسى عن الإصمعى عن أبى هلال عبدالله بن بريده عن أبيه عن النبى (ﷺ) قال : «سيد ريحان أهل الجنة الفاغية» . قال الإصمعى : الفاغية ههنا نور الحنا . قال العتيبى أراد ﷺ أن سيد رياحين أهل الجنة أنوار الشجرة . قال البيهقى فى الشعب : أنبأنا أبو عبدالله الحافظ حدثنا أبوالعباس محمد بن يعقوب حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضى حدثنا عبدالله بن رجا . أنبانا أبو سليمان عن عبدالحميد بن قدامة عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : كان أحب الرياحين إلى رسول الله ﷺ الفاغية ، وقال البيهقى : أنبأنا أبو على ابن شافران أنبأنا عبدالله بن جعفر بن خرسويه . حدثنا عبدالله بن رجا أبوعمر الغمدانى فذكره بإسناد .

وقال أبومحمد بن دسويه : الفاغية هى عود الحنا يغرس مغاربا (١) فيخرج بشىء أطيب من الحنا فيسمى الفاغية .

وقال الإمام أحمد فى مسنده : حدثنا عبدالصمد عن أنس أن رسول الله (ص) كانت تعجبه الفاغية وكان أعجب الطعام إليه الدبا . قلت : لم يرد فى شىء من الرياحين أو شىء من الأزهار حديث ثابت غير الفاغية ، وورد فى الورد والنرجس والبنفسج والمزرنجوش أحاديث كلها واهية بحيث ذكرها ابن الجوزى وغيره فى الموضوعات .

ولم أقف على شىء من كتب الأدب ودواوين العرب على شىء عمله الشعراء فى الفاغية مع كثرة تتبعى لذلك حتى رأيت بيتين لبعضهم وهما :

وروضـــة تامـــر لما تبـــدت ∴ كـــأذناب الـثـعـــالب فى المثـــال
عليــه دق كـــافـــور ســـحـــيق ∴ تضـــمـــخ بالمسك(٢) وبالـغـــوالى

---

(١) هاربا فى أ، جـ.
(١) بالمسوك فى هـ.

وليس بذاك خصوصا كنايته عن تمر حنا وهى فى نفسها كلمة عامية فزادها سخافه بقول تامر وقد أصلحتهما وقلت:

فـــاغـــيـــة فى دوحـــة ∴ تحكى ذنـاب الثـــعـــلب
رشت بـكـافـــور زهـا ∴ أو لـؤلـؤ مـــثـــقـب

وأحسن منها قولى أيضا:

كـأنما دوحـة الحناء إذ فـتـحت ∴ أنـوارها وبـدت فى عـين مـرتقب
عـروس حسن تجلت فـى غـلائلهـا ∴ خـضـراء وقـد حليت بالـلؤلؤ الرطب

ثم رأيت بعد ذلك فى كتب اللغة أن التامر اللوبيا وهو أيضا نور الحماض فبان بهذا أن البيتين الأولين ليسا فى الفاغية كما ظن ناقلها. ومن لطائف التورية قول صاحبنا الشهاب المنصورى

قـد قلت للنفس مـذ وفـا لى ∴ بـوعـده هـاجـرى وحنًّا(١)
لـتنشـقن الـغـداة وردا ∴ مـن عـرف حـبى وتمـر حنـا

ثم رأيت لابن العفيف:

أنظر إلى تمر حنا فـفـيـه لمن ∴ يراه مستعجبا بين الورى عجب(٢)
كـطائـر مـا له رأس ولا ذنـب ∴ ولا جـنـاح ولـكـن كـلـه زغـب

• الورد •

قال فى مباهج الفكر: كان الخليفة المتوكل قد حمى الورد ومنع الناس منه كما حمى النعمان بن المنذر الشقيق قال لا يصلح للعامة، فكان لا يرى إلا فى مجلسه وكان يقول: أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا أولى بصاحبه، وإلى هذا أشار ابن سكرة حيث قال:

لـلـورد عـنـدى مـحـل ∴ لأنـــه لا يمـــل
كـل الـريـاحـين جـنـد ∴ وهـو الأمـيـر الأجـل
إن جـاء عـزوا وتـاهـوا ∴ حـتى إذا غـاب ذلـوا

---

(١) جنا فى د.
(٢) تمر حنا = تمر الحنا فى جـ، مستعجبا = متعجبا فى أ، جـ.

قال ابن البيطار فى مفرداته : الورد أصناف أحمر وأبيض وأصفر وأسود . زاد غيره وأزرق . وحكى صاحب نشوان المحاضرة أنه رأى ورداً أسود حالك السواد له رائحة زكية وأنه رأى بالبصرة وردة نصفها أحمر قانى الحمرة ونصفها الأخر أبيض ناصع البياض والورقة التى قد وقع الخط فيها كأنها مقسومة بقلم .

وقال صاحب مباهج الفكر : رأينا بثغر الإسكندرية الورد الأصفر كثيرا وعددت ورق وردة فكانت ألف ورقة . قال : وحكى لى بعض الأصحاب أنه رأى بدمشق وردا له وجهان أحدهما أحمر والآخر أبيض لا يشوب أحدهما شىء من الآخر . قال : وحكى لى آخر أنه رأى بحلب ورداً له وجهان أحدهما أحمر والآخر أصفر . قال : وحكى لى بعض الأصحاب أنه رأى آباراً يجرى إلى شجر الورد ماء مخلوطا بالنيل ، فسأله فقال : إن الورد يكون أزرق بهذا العمل . قال صاحب المباهج : والظاهر من الورد الأسود أنه احتيل عليه كذلك .

وقال الحافظ الذهبى فى الميزان : روى قريش عن أنس عن كليب بن وائل - وكليب نكرة لا يعرف - أنه رأى بالهند ورقا فى الوردة مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله .

وفى مسالك الأبصار : ذكر ابن سعيد المغربى أنه أخبره من دخل الهند أنه رأى فى غيضة بنواحى ما نكير وهى قصبة الهند شجرة عظيمة بها ورد أحمر فيه مكتوب ببياض لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وروى ابن العديم فى تاريخه بسنده إلى على بن عبدالله الهاشمى الرقى ، قال : دخلت الهند فرأيت فى بعض قراها وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط أبيض «لا إله إلا الله محمد رسول الله أبوبكر الصديق، عمر الفاروق» فشككت فى ذلك ، وقلت : إنه معمول فعمدت إلى وردة لم تفتح ففتحتها فكان فيها مثل ذلك وفى البلد منه شىء كثير وأهل تلك القرية يعبدون الحجارة لا يعرفون الله عز وجل» .

قال ابن سينا فى أرجوزته : وكان ريحان وكل زهر فاحكم على مزاجه بالحر واستثن منها خمسة ستذكر : الآس والخلاف واللينوفر والورد فى لونيه والبنفسج فإنها ببارد تارح ، يقال ورد جور ونرجس جرجان ونيلوفر شروان ومنثور بغداد وزعفران قم وشاهبرم (١) سمر قند . وإلى ذلك أشار الشيخ زين الدين عمر بن الوردى بقوله .

قالت إذا كنت تهوى ∴ وصلى وتخشى نفورى
صن ورد خدى وإلا ∴ أجور ناديت جورى

---

(١) الشاهبرم : الريحان

وصف أزد شير بن بابك الورد فقال: هو در أبيض، وياقوت أحمر، على كراسى زبرجد أخضر، بوسطه شذور من ذهب أصفر، له رقة الخمر ونفحات العطر، وقال محمد بن عبدالله بن ظاهر في ذلك:

أما ترى شجرات الورد مظهرةً ∴ لنا بدائع قد ركبن فى قصب
كأنهن يواقيت يطيف بها ∴ زبرجد وسطه شذر من الذهب

وقال ابن بسام:

ومداهن من يواقيت مركبةٌ ∴ على الزبرجد فى أجوافها ذهب
كأنه حين يبدو من مطالعه ∴ صبٌ يقبِّل حبّاً وهو يرتقب
خاف الملال إذا طالت إقامته ∴ فظل يظهر أحيانا ويحتجب

وقال أبو العلا صاعد [1] الأندلسى فى باكورة ورد

ودونك يا سيدى وردة ∴ يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصرٌ ∴ فغطت بأكمامها رأسها

وقال غيره

وردةٌ تحكى أمام الورد ∴ طليعة سابقة للجند
قد ضمها فى الغصن قُرٌّ [2] البرد ∴ ضم فمٍ لقبلةٍ من بُعد

وقال ابن تميم:

سبقت إليك من الحدائق وردة ∴ وأتتك قبل أوانها تطفيلا
طمعت بلثمك إذ رأتك فجمعت ∴ فمها إليك كطالب تقبيلا

وقال ابن المعتز:

أما ترى الورد على غصنه ∴ فى روضة البستان للمنظر
صحاف ياقوت وقد رصعت ∴ فى وسطها بالذهب الأصفر [3]

---

(١) حامد فى الأصل والتصحيح من حسن المحاضرة جـ٢ ص ٤٠٣.
(٢) قرص فى الأصل.
(٣) الأحمر فى أ، د

وقال غيره :

وورد جنيّ أحمر اللون ناعم ∴ بكف غزال ساحر الطرف أغيد
توهمته في كفه إذ بدا به ∴ صواني عقيق قمعت بزبرجد

وقال البدر بن الصاحب :

ومن ملح الأيام يوم قضيته ∴ لذي روضة فيها لأحبابنا قوت
لبست به من أخضر اللون حلة ∴ وأزرارها من حمره الورد ياقوت

وقال البحتري :

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا ∴ من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه النوروز في غَسَق الدُّجَى ∴ أوائل ورد كُنَّ بالأمس نوَّما
يُفتِّحه بَرْدُ الندى فكأنما ∴ يبثُّ حديثًا بينهم مكتمّا

وقال الناشي :

قُضُب الزبرجد قد حملن عقائقا ∴ أثمارهن قراضة العقيان
وكأن دمع القطر في أهدابه ∴ دمع مَرَتْهُ فواتر الأجفال

وقال العماد الأصبهاني :

قلت للورد ما لشوكك يدمي ∴ كل ما قد سَعَرْتَ[1] منه جراحي
قال لي هذه الرياحين جندي ∴ أنا سلطانها وشوكي سلاحي

وقال المؤيد الطغرائي في الورد الأصفر :

ألم تر أن جند الورد وافى ∴ بصُفر من مطارده وخُضر
أتى مستلئما بالشوك فيه ∴ نصال زمرد وتراس تبر

---

(١) أسعدته في أ، د، أسعديه في د، أسعر به في ب

وقال السرى الوفائى فى الورد الأبيض:

وروضٍ كساه الغيث إذ جاد دمعه ∴ مجاسدَ وشى من بهار ومنثور
بدا أبيَض الورد الجنىّ كأنما ∴ تنسّم للناشى بمسك وكافور
كأن إصفراراً منه تحت إبيضاضه ∴ بُرادة تبر فى مداهن بلور

وقال آخر فى الورد الأسود:

وورد أسود خلناه لما ∴ تنشق نشره ملك الزمان
مَداهنُ عنبرٍ غضٌ وفيها ∴ بقايا من سحيق الزعفران

وقال آخر فيه:

لله أسود ورد ظل يلحظنا ∴ من الرياض بأحداق اليعافير
كأنها وجنات الزنج نقّطها ∴ كف الإمام(١) بأنصاف الدنانير

وقال مجير الدين بن تميم فى استقطار الورد:

لم أنس قول الورد حين جنيته ∴ والنار لاستقطاره تتسعر
ناشدتكم نفسى خذوه وإنما ∴ لا تعجلوا فى أخذ روحى واصبروا

وقال على بن الرومى يهجو الورد:

يا مادح الورد لا ينفك من غلطه ∴ ألست تنظره فى كف ملتقطه
كأنه سُرْمُ بغل حين يبرزه ∴ عند البراز وباقى الروث فى وسطه

وقال ابن المعتز يرد عليه:

يا هاجى الورد لا حييت من رجل ∴ غلطت والمرد قد يؤتى على غلطه
هل تنبت الأرض شيئًا من أزاهرها ∴ إذا تحلت يحاكى الوشى من نمطه
أحلى وأشهر من ورد له أرجٌ ∴ كأنما المسك مذرور(٢) على وسطه

---

(١) المحب فى الأصل والتصحيح من حسن المحاضرة جـ٢ ص ٤٠٦ .
(٢) محل فى أ، تحلى فى جـ، محلى فى ب.

وكتب أبو دلف إلى عبدالله بن طاهر يعاتبه :

أرى حبكم كالورد ليس بدائم ∴ ولا خير فيمن لا يدوم له عهد
وودي لكم كالآس حسنًا ونُضرة ∴ له زهرة تبقى إذا فنى الورد

فأجابه عبدالله بن طاهر :

وشبهت ودى الورد وهو شبيهه ∴ وهل زهرة إلا وسيدها الوزد
وودك كالآس المرير مذاقه ∴ وليس له فى القلب قبل ولا بعد

وفى بدائع البدائة قال : روى محمد بن الحسن الحاتمى عن أبى العيناء عن العتبى قال : دخل يحيى بن خالد بستان داره ومعه جاريته دنانير فرأى بهجة الورد على شجرة فقال : أجيزى :

الورد أحسن منظرا ∴ فتمتعوا باللحظ منه

فقالت مسرعة :

فإذا انقضت أيامه ∴ ورد الخدود ينوب عنه

فاستحسن ذلك منها وقبلها

وقال ديك الجن :

للورد حسن وإشراق إذا نظرت ∴ إليه عين محب هاجه الطرب
خاف الملال إذا دامت إقامته ∴ فصار يظهر حينًا ثم يحتجب

وقال صاحب المغرب : حضر صاعد اللغوى عند المنصور ابن أبى عامر وقد اتحف بباكورة ورد لم يستتم فتحها فأنشد بديها :

أتتك أبا عامر وردة ∴ يحاكى شذا المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر ∴ فغطت بأكمامها رأسها

وكان ذلك بمحضر من أبى القاسم الحسين بن الوليد القرطبى المشهور بابن العريف فحسد صاعداً على ذلك وادعى أن هذين البيتين من شعر قديم لأحد البغاددة مكتوب عنده فى ظهر مجلد وركب فى الحين إلى منزله وقد ارتجل فى طريقه :

عبرت إلى قصر عباسة ∴ وقد حول[1] النوم حراسها
فألفيتها وهي في خدرها ∴ وقد صرّع السكر أناسها
فقالت أسار على غفلة ∴ فقلت بلى فرمت كأسها
ومدت إلى وردة كفها ∴ يحاكي شذا المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر ∴ فغطت بأكمامها رأسها

وكتبها على ظهر مجلد وجعل يحكه ويلوثه حتى ظهر أنه قديم وجاء به إلى ابن أبي عامر فجعل صاعد يحلف أنه ارتجلها وما سبقه أحد إلى ذلك وهم لا يلتفتون إلى إيمانه وأوردها الصلاح الصفدي في تذكرته.

• النرجس •

هو اسم فارسي واسمه بالعربية عبهر وكذا إلياسمين. قال بعض الأدباء: النرجس نزهة الطرف، وطرف الظرف، وغذاء الروح ومادة الروح، وكان كسرى أنو شروان مغرماً بالنرجس، ويقول: هو ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرد أخضر.

وقال ابن المعتز:

كأن عيون النرجس الغض بيننا ∴ مداهن تبر حشوهن عقيق
إذا بلّهنّ القطر خِلتَ دموعها ∴ بكاء جفونٍ كُحْلُهنّ خَلَوقُ

وقال كشاجم:

كأنما نرجسنا ∴ وقد تبدى من كثب
أنامل من فضة ∴ يحملن كأسا من ذهب

وقال آخر

ترى النرجس الروضي ما بين رامق ∴ إلى مطرق والكل بالريح يخفق
كأحداق عشاق خلت من مراقب ∴ بأحبابها والبعض للبعض ترمق
وبعض كمهجور ينكس رأسه ∴ يفكر في جور الهوى وهو مطرق

---

(١) حذر في أ، خذل في د، خدل في جـ، جدل في ب.

وقال آخر

وأحسن ما في الوجوه العيو ∴ ن وأشبه شيء بها النرجسُ
يظل يلاحظ وجه الندِ ∴ يم فرداً وحيداً فيستأنسُ

وقال الصنوبري :

أرأيت أحسن من عيون النرجس ∴ أو من تلاحظهن وسط المجلس
در تشقق عن يواقيت على ∴ قضب الزبرجد فوق بسط السندس

وقال ابن الرومي :

ونرجس كالشغور مبتسم ∴ له دموعُ المحدق الشاكي
أبكاه قَطر الندى وأضحكه ∴ فهو مع القطر ضاحكٌ باكي

وقال أيضا :

أنظر إلى نرجس في روضة أُنُف ∴ غنَّاء قد جمعت شتَّى من الزهر
كأن ياقوتةً صفراء قد طُبِعَتْ ∴ في غصنها حولها ستٌّ من الدرر

وقال آخر :

أبصرت باقة نرجس ∴ في كف من أهواه غضَّة
فكأنها قضب الزَّبَرْ ∴ جَدِ قمِّعت ذهبًا وفضة

وقال عبدالله بن طاهر

ونرجسة مضاعفة حبانى ∴ بطيب مشمها ظبى مليح
قضيب زبرجد يعلوه ست ∴ دراهم حول دينار يلوح

رؤى أبو نواس في النوم فقيل له : مافعل الله بك . فقال : غفرلى بثلاثة أبيات قلتها في النرجس وهي :

تأمل في رياض الأرض وانظر ∴ إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين شاخصات[1] ∴ بأحداق كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ∴ بأن الله ليس له شريك

---

(١) فاخرات في ب، د.

• ذكر التفضيل بين النرجس والورد •

قال ابن الرومى يفضل النرجس على الورد

أيها المحتج للور ∴ د بزور ومحال
ذهب النرجس بالفضل فانصف فى المقال
لا تقاس الأعين النجل بأسرام البغال

وقال أبو هلال العسكرى يرد عليه :

أفضل الورد على النرجس ∴ لا أجعل الأنجم كالأشمس
ليس الذى يقعد فى مجلسٍ ∴ مثل الذى يمثل فى مجلس

وقال على بن سعيد :

من فضل النرجس فهو الذى ∴ يرضى بحكم الورد إذ يرأس
أما ترى الورد غدا قاعدا ∴ وقام فى خدمته النرجس

فعاكسه آخر بقوله :

ليس جلوس الورد فى مجلس ∴ قام به نرجسه يوكسُ
وإنما الورد غدا باسطا ∴ خدا ليمشى فوقه النرجس

وقال بعضهم يفضل الورد :

أرى النرجس الغض الزكى مشمرا ∴ على ساقه فى خدمة الورد قائم
وقد ذل حتى لف فوق رؤوسه(١) ∴ عمائم فيها لليهود علائم

وقال آخر :

يا جاعلا للنرجس الغض ميزة ∴ على الورد قد أخطأت فى سنن القصد
بعينى رأيت النرجس الغض قائما ∴ على رأسه بالذل فى خدمة الورد

---

(١) رأسه فى أ، د.

وقال على بن الرومى فى النرجس:

خجلت خدود الورد من تفضيله ∴ خجلا توردُّها عليه شاهد
لم يخجل الورد المورَّد لونه ∴ إلا وناحله الفضيلة عامد[1]
النرجس اختار الملاحة كلها ∴ وله فضائل جمة وفوائد
للنرجس الفضل المبين إذا بدا ∴ للناظرين طريفه والقالد
فصل القضية: إن هذا قائد ∴ زهر الربيع وأن هذا طارد[2]
شتان بين اثنين هذا موعَد ∴ بتسلُّب الدنيا وهذا واعد
وإذا احتفظت به فامتع صاحب ∴ بحياته لو أن حيّا خالد
ينهى النديم عن القبيح بلحظه ∴ وعلى المدامة والسماع مساعد
اطلب بعقلك فى الملاح سميه ∴ أبدا فإنك لا محالة واجد[3]
والورد - إن فتشت - فرد فى اسمه ∴ ما فى الملاح له سمّى واحد
أين العيون من الخدود نفاسة ∴ ورياسة لولا القياس الفاسد
هذى النجوم هى التى ربتهما ∴ بحيا السحاب كما يربىٍّ الوالد
فانظر إلى الولدين من أدناهما ∴ شبهها بوالده فذاك الماجد

وقال أحمد بن يونس الكاتب راداً عليه:

يا من يشبه نرجسا بنواظر ∴ دُعّج تنبّه إن فهمك راقد
إن القياس لن يصح قياسه ∴ بين العيون وبينه متباعد
والورد أشبه بالخدود حكاية ∴ فعلام تجحد فضله يا جاحد
ملك قصير عمرهُ مستأهلٌ ∴ لخلوده لو أن حيا خالد
إن قلت: إن الورد فرد فى اسمه ∴ ما فى السماع له سمىٌّ واحد
فالشمس تُفرد فى اسمها والمشترى ∴ والبدر يُشْرَك فى اسمه وعُطارد
أو قلت إن كواكبا ربتهما ∴ بحيا السحاب كما يربى الوالد
قلنا أحقُّهما بطبع أبيه فى ∴ الجدوى هو الزاكى النجيب الراشد
وخليفة إن غاب ناب بنفحه ∴ وبنفعه عنه مقيم راكد
فانظر إلى المصفر لونا منهما ∴ وافطن فما يصفّر إلا حاسد

---

(1) الناحل: المعطى للشىء وناسبه إلى غيره.
(2) يريد أن النرجس يطلع أول الزهور، فهو كالقائد لها، وأن الورد يطلع آخرها فكأنه يطردها.
(3) فى ديوان ابن الرومى «إن كنت تطلب فى الملاح سميّه . . يوما، فإنك - لا محالة - واجد».

وقال الخالدى منصفا بينهما:

أحب النرجس البلدى جهدى[1] ∴ وما لى باجتناب الورد طاقه
كلا الاثنين[2] معشوق وإنى ∴ أرى التفضيل بينهما حماقه
هما فى عسكر الأزهار هذا ∴ مقدّمة تسير وذاك ساقه

وقال أبو جعفر المطوعى:

ألست ترى أطباق ورد وحولها ∴ من النرجس الغض الذكى قدود
فتلك خدود ما عليهن أعين ∴ وتلك أعين ما لهن خدود

وقال السرى الرفاء يهجو النرجس:

أنظر إلى نرجس تصدى ∴ نشر منه الصباح طاقه
واكتب أباطيل واصفيه ∴ بالحسن فى دفتر الحماقه
وأى حسن لعين صب ∴ من برقال يخل ماقه[3]
كأنه إذ يرى لعينى ∴ صفرة بيض له رقاقه[4]

وقال بعضهم ملغزا فى النرجس:

رب مستحسن يزور فليهنأ ∴ بلطف حاز المحاسن جمعًا
فإذا ما نقصت ثانيه منه ∴ عافه العالمون عقلاً وشرعًا

كتب الصلاح الصفدى إلى الشيخ زين الدين أبى بكر بن عثمان العجمى الصوفى ملغزا فى النرجس:

أتيت نحوك زين الدين معترفا ∴ للفضل منك ملغزا شبه القبسا[5]
أقول والناس تدرى إننى رجل ∴ أجول فى ربع فن فى الورى درسا[6]

---

(١) «يحب النرجس البلدى قلبى» فى د.
(٢) الأخوين فى د.
(٣) من يرقان فى ب، د، يجل فى أ، بحلى فى ب، بحك ماقة فى هـ.
(٤) رقاقة فى د.
(٥) نحوك = بحرك فى جـ، معترفا = مغترفا فى جـ، ملغزا = بلغزفى جـ، القبسا= العبسا فى د.
(٦) فى ربع = بربع فى أ، فن = فى فى أ، ، وفىء فى د.

عجبت من زهر في الروض إذا حملت ∴ ريح الصبا نشره طابت به نفسا[١]
وكله طاهر من طيب عنصره ∴ لكن إذا زال ثانيه غدا نجسا
بينه لي يا غريب الفضل في زمن ∴ إن قلت لان على ضعف الأديب نسا[٢]
واسلم فإنك غض النظم يانعه ∴ وعود نظمي في هذا الزمان عسى[٣]

فأجاب :

يا شائداً مربع الفضل الذي درسا ∴ وسائداً كل من فنه درسا[٤]
ويا من إذا ما دجى الإبهام أرشده ∴ للحق ذهن مضى يخجل القبسا[٥]
ألغزت في زهر روض حين أمطره ∴ سحاب فكرك أضحى طيبًا نفسًا
كم من فتى زاره في روضه سحرا ∴ وحين وافى على أحداقه جلسا[٦]
فيا له طاهرا بان أوله ∴ يعود رجسا وقد زال الذي التبسا
فاسلم ودم مهديا لي كل فائدة ∴ عسى يلين الذي مني الغداه عسا
وارأس بفضل بل بالفضل محتكما ∴ فإنك اليوم حقا أبلغ الرؤسا

---

(١) عجبت في الروض من زهر إذا حملت في أ.
(٢) (يا) مزيدة من هـ، الأديب = الأدب في جـ، نسا = قسافي أ
(٣) يانعه = يانقه في أ، بالغة في جـ، ونائفه في ب.
وعود = غرد في ب، د
(٤) شايدا = شاهدا في أ، من فنه = فنه في ب، فيه في جـ.
(٥) مضى فيما في د
(٦) وافى = رفا في أ، رفد في جـ.

الجوهر الفرد فى مناظرة النرجس والورد

لأبى الحسن على بن محمد بن أبى بكر بن الشرف الماردينى

خدم بها قاضى القضاة شهاب الدين بن الكشك قال :

الحمد لله الذى أنبت فى رياض الخدود وردة الخجل ، وزين أغصان القدود بنرجس حسن المقل ، وأوضح لذوى الأدب سبيل البلاغة فاتضح ، واستجلوا من وجوه المعانى عيون الملح ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الفارق بين الشك واليقين بقول غير ملتبس ، وعلى الآل والاصحاب ما خجلت خدود الورد من تغازل عيون النرجس . .

وبعد

فلما كان الورد والنرجس من أحسن الأزهار وصفا ، وألطفها شكلا وأطيبها عرفا ، وقد اختلف بينهما فى التفضيل ، وأيهما حضر كان لبيت البسط تكميل ، مثلتهما كالخدين فى المناظرة ، واستنطقت لسان حالهما على سبيل المحاضرة .

فقال الورد :

الحمد لله الذى أنزل فى محكم القرآن «فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان» ، والصلاة والسلام على نبيه المبعوث إلى الأسود والأحمر ، الذى نسخ بشريعته البيضاء ملة بنى الأصفر[1] ، وبعد فإن الله تعالى فضلنى على سائر الزهر بأرفع المراتب ، فوجب علىّ شكر نعمته وشكر المنعم واجب ، فبى تتجمل المجالس والمحافل .

وإنى لإن كنت الأخير زمانه ∴ لآت بما لم تستطعه الأوائل

كفانى الله عين حسودى ، فالروض ملكى والزهر جنودى ، وما منهم من قلع[2] فى أعلامى السلطانية ، وكيف لا يطيعونى وشوكتى فيهم قوية ، فازورت أحداق النرجس ، وقام على ساقه فى المجلس ، وقال : أقسم بمن أنزل فى كتابه المبين «صفراء فاقع لونها تسر الناظرين» ، وحق محمد المحمود ، الذى يوحى إليه «قتل أصحاب الأخدود» ، قد مدحت نفسك بالكمال مع نقصك ، وما جررت النار إلا إلى قرصك ، أتعيرنى بالإصفرار وهو لون التبر إذا إنسبك ، وتفتخر علىّ بالاحمرار فما أحمرك ، فتأدب فى مقالك ، واذكر سرعة زوالك ، واحفظ

---

(1) بنى الأصفر : الروم .

(2) وما فهم من قدح فى ب .

حرمتك، وإلا كسرت شوكتك فقال الورد: ويلك ما أقوى عينك واكثر مينك [1]، أتجعل مقامك مقامى وأنت من بعض خدامى، ولو لم تكن قليل الحرمة، ماكنت جالسا وأنت واقف فى الخدمة، ألك مثلى حسن منظر ومخبر، أما سمعت أن الحسن أحمر، وإن عيرتنى بقصر مدتى، فقد استنبت عنى بخليفتى [2]، ولم يزل جمال المقامات، ومن خلف مثله ما مات، أتحسب محاسنى مثل محاسنك متناهية، وكيف ينقطع عملى ولى صدقة جارية، فشتان بينى وبينك، فإن لم تنته عن جدالك، قلعت بشوكتى عينك، وأنشد لسان حاله.

لجمال وجهى تشخص الأبصار ∴ ولعز مجدى تخضع الأزهار
لى نفحة وردية فى وجنتى ∴ ولها من الورق الجديد عذار
وملابسى من سندس فتق ∴ الشذا أكمامها فانقضت الأزرار
فكأننى هذا الحبيب إذا بدا ∴ نشوان قد دارت عليه عقار
لا غرو إن صرف المحب علىّ ∴ حبات فكم فى وجنتى دينار
حرمى غدا لذوى الخلاعة أمنا ∴ من حوله تتخطف الأبصار
ولى المهابة والبهاء وأنت من ∴ حسد وغيظ قد علاك صفار
ما شاننى قصر الزمان ولا يرى ∴ لك فى لياليك الطوال فخار
ولكن أيامى سرور كلها ∴ وكذلك أيام السرور قصار

فقال النرجس: ياقليل المودة، ويا قصير المدة، أين العيون من الخدود، وأين الجافى من الودود، أنا أو فى بميثاقى، ومن يزرنى أجلسه على أحداقى، فيقول لى من أفضت عليه السرور فيضا، لقد أكرمت ضيفك فعليك الراية البيضاء وأنت طالما جنى شوكك على من جناك، فذقت عذاب النار ذلك بما كسبت يداك، سرقت لون الحبيب وتسترت بالورق، فقطعوك والقطع حد من سرق، واستقطروا ماء روحك وأذاقوك الحرق، وقيل لتركبن طبقا عن طبق، وأى فخر فى احمرارك الشريق، وكم بين التبر والعقيق، فلا تبهرج زيفك على خالص اللجين[3]، وارجع عن المناظرة فما جئتك إلا بعين، هذا ولى فى السبق قصبان، وكم جلوت صدا القلب بطيب النفحات، وإذا وفد جيش الزهر فلى فى طلائعه عيون، والسابقون السابقون أولئك المقربون، وأنشد:

---

(١) مينك: كذبك.

(٢) المقصود ماء الورد.

(٣) اللجين: الفضة،

فقت الزهور جميعها بتقدمي ∴ فأنا المقيم على الوفا ما متهمي
أدعو الندامى للمسرة والهنا ∴ وكما علمت شمائلي وتكرمي
وأقي الجليس بناظري وأروقه ∴ حسنا وساقي في يديه ومعصمي
واغض طرفي إن خلا بحبيبه ∴ وأصون سر العاشق المتكتم
وإذا غني المحبوب كنت بحفظه ∴ عونا عليه من الدبيب المحرم
وأغازل الأجفان وهي نواعس ∴ وإليّ تشبيه اللواحظ ينتمي
وترى حجيج اللهو حولي طائفا ∴ وجميع أيامي كيوم الموسم
أين العيون من الخدود نفاسة ∴ لولا فساد قباس من لم يعلم
فافهم وكن عن رتبتي متأخرا ∴ واعلم بأن الفضل للمتقدم

فاحمر خد الورد والتهب، وظهر في وجهه صورة الغضب، وقال ياقوى العين، ويالون اللجين، خل عنك الحماقة، ولا تدخل في باب مالك به طاقة، فلقد استحقيت المقت، ولا أبالي بك ولو برقت، كيف تفاخر بصفارك حمرة الخدود، ومن أين لبياض أجفانك مغازلة العيون السود، أتناظر بعماشك عيون الملاح، ما أنت ياعيون النرجس إلا وقاح، أتعيرني بحسن الابتلاء وهو الأفضل، وقد قال ﷺ «نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاءاً الأمثل فالأمثل»، طالما ابتليت فصبرت، وما شكوت حالي بل شكرت، أبيت بزفرة لا تخمد، وأدمعي تتحدر، وأنفاس تتصعد، أحبس بلا ذنب وأعصر، فتجري دموعي وماهي إلا مهجة تذوب فتقطر، وماضر إبراهيم إلقاؤه في نار نمرود، ولا شان يوسف سجنه مع فضله المشهود، مع إني طالما لثمت الثغور والأعناق، وفزت بالشم والضم والعناق، ذكي مني في الأصل والفرع، ولا أنزل بواد غير ذي ذرع، وأقسم ببديع حسني وتدبيج أوراقي، وسموي عن مراعاة النظر بتوجيه طباقي، ما أنت محاسني[1] في المقابلة، ولا موازني في المشاكلة، ولا لاحقي في الطي والنشر، وأنا سيد زهر الربيع ولا فخر، فلا تطل الشقاق والنفاق، ولابد لك من الوقوف على خدمتي ولو قامت الحرب على ساق، وأي فضل لك في التقديم، وكم بين الحبيب والكليم، وإذا أردت كشف التلبيس، فتفكر في فضل آدم على إبليس، وكم بين الشمس والنجوم، ومامنا إلا له مقام معلوم، وهل أنت إلا من بعض جنودي، والمبشرين بورودي، وأنا منك بالفضل أولى، وللآخرة خير لك من الأولى . . وأنشد:

(١) مجانسي في ب.

لم يزدك التقديم فى الفضل شيئا ∴ وأما ما نقصت بالتأخير
بيننا فى القياس فرق لطيف ∴ مثل ما بين يوسف والبشير

فحدق النرجس وحولق، ورفع رأسه بعد أن أطرق، وقال: إذا افتخرت بآثارك فليست العين كالأثر، وإن كانت مباشر الثغور فأنا لى حسن النظر، مع إنهم أرخصوا بك فى التسعير، وما عصروك إلا عن ذنب كبير، ولو لم تكن من المتمردين الأنجاس، ما حبسوك فى قماقم النحاس، وأنت فى افتخارك كما قالت الحكماء، أنف فى الماء وإست فى السماء، تتطفل على الموائد، ولا تصبر على طعام واحد، واقسم بقدى الرشيق، ونورى الشريق، وبياض صحائفى، واخضرار سوالفى، لئن لم تصن بهجتك المسبوكة، وتستر فضائحك المهتوكة، لأقطعن طرقك المسلوكة، واجعلن حرمتك متروكة، ولا أترك لك فى عصبة الأزهار شوكة، وأذيقك عذاب الهون، أتعيبنى وكلك عيوب وكلى عيون، أنا طبعى الوفا وأنت طبعك الغدر، وأنا أول ما تنشق عنه الأرض من الزهر ولا فخر، ولولا خشية التطويل، عددت معايبك على التفصيل، ولكن شيمتى غض الطرف فى المجلس، وما أحسن الغض من النرجس، وإن تشبهت بالشمس أنا بكسوفك شامت، وإن كنت من السيارة فإنى من النجوم الثوابت، وشتان بين طالع وآفل، وكم بين مقيم وراحل، وإن لم ترجع إلى السكينة والوقار، لأرينك النجوم بالنهار، أين قضبان الزمرد من شوك القتاد [1] وكم بين مريد ومراد، وأقسم بمن زين السماء بزينة الكواكب، إن لم ترجع لأرمينك بشهاب ثاقب، وأسلط عليك رجوم نجومى، وأقول مضمنا قول ابن الرومى. وأنشد:

عجبت للورد إذ وافى يناظرنى ∴ وزاد فى قوله عجبا وفى شططه
يبدو وطياته من حول سفرته ∴ كسرم بغل وباقى الروث فى وسطه

فخجل خد الورد حتى كلله من الطل العرق، وكاد خوف الفضيحة يتستر بالورق، ثم إنه استشاط كمن أطلق من عقال، وسطا على النرجس بشوكته وقال: يا نفاضة أعلى المحافل، ولقاطة المزابل، كم بين مهتوك ومصون، ومتروك ومخزون، فجل القضية إنك راجل وأنا فارس، وتقوم فى الخدمة وأنا جالس، ولولا فجورك وقوة الحدقة، ما جئت تزاحمنى فى الطبقة، وأنشد:ـ

---

(١) القتاد: نبات صلب له شوك كالإبر من الفصيلة القرنية.

أمـا وفـتـور أجـفـانى الـنواعس ∴ وتزيـينى المحـاضـر والمجـالس
وإشـراقى لعـشـاقى ومـا قـد كـسـانى الله من أسنى الملابس
ومـا قـد حـزت من نشـر شـذا ∴ يفـوح بطى أنفـاسى النفـائس
لقـد عـديت طورك فى مـقـامى ∴ وهل أحـد بمثلك لى يقـايس
أنا فى البـسـط فـاتح كل باب ∴ وخـاتم كل زهر فـى المجـالس
وإن ذقت كـؤوس الـراح أجلى ∴ على صـحبى كـمـا تجلى العـرائس
وإن نحن اجـتـمـعنا فى مـقـام ∴ تقـوم فى خـدمـتى وأظل جـالس
وإن تك حـارسًا مـا ذاك فـخـر ∴ فكـم مـا بين سلطان وحـارس
دع التـعـريض أوضـحت فـإنى ∴ أراك إذا التـقى الجـمـعـان ناعس
وهل لـلحـبـيب من حـسن إذا ∴ لم يكن للورد فـى خـديه غـارس

فقال النرجس: أنا عيون المجالس، وشموع المجالس، وأنيس النديم، وقد خلقنى الله فى أحسن تقويم، من أين لك لطفى ودلإلى، وقد فاتك لينى واعتدإلى، وبى تشبه عين الحبيب فاعلم، ولاجل عين ألف عين تكرم، وكثيرا ما بينك وبينى، وإن عدت إلى مثلها سقطت من عينى، وأنشد:

أمـا وفـتـور أجـفـانى الـنواعس ∴ ولحـظ دونـه لحـظ الـكـوانـس
وأحـداقى تصـيـد الأسود صـيـدا ∴ وألبـاب الـرجـال لـهـا فـرائس
وعـينى الوقـاح ولـين عطـفى ∴ الرشـيق إذا بدا فـى الروض مـايس
لـئن لم تـنـتـه يا وردِ عـنـى ∴ وتـتـرك مـا لديـك من الوسـاوس
رشـقـتك بـسـهـام عـيـنى و ∴ أجـعل ربعـك المعـهـود دارس
أنا أبـهى وألـطف مـنك مـعـنى ∴ وأزهى فى المجـالس للـمـجـالس
وكم مـنعـتـه مـرأى وشـمـا ∴ ولـنـت لـه ولا أوذى المـلامـس
وعن أهـل الغـرام أغض طـرفى ∴ وإن نام الحـبـيب فنعم حـارس
أقـوم بـخـدمة الـندمان جـهـدى ∴ وتقـعـد عن مـقـامى فى المجـالس
لفـخـرك لا أجـد وجـهـا لإنى ∴ أنـا رأس الـزهـور فـلا تـراوس

فقال الورد: والذى خلق الانسان من علق، وألبس الخد حلة الشفق، وضرج الوجنات بحمرة الخجل، ودبج بالتوريد مواقع القبل، لقد جزت فى القول حدا، وجئت شيئا إدًّا، وتريد

أن تميز نفسك بتقديمها، وإنما الأعمال بخواتيمها، أنا خد الحبيب نصيبى، والراح يتلبس ويتمسك بذيل طيبى، أتشك فى أن أحسن صفات المدام الوردية، لقد تفته قلبى من عينك القوية، أتروم تغطى فضلى بغضاً منك وسخطا، أما سمعت فى الأمثال إن الشمس ما تتغطى، وأنشد:

أنا والراح للأرواح راحة ∴ وكم فى قبض ساقى بسط راحة
أتعمى عن عيونك إذ ترانى[1] ∴ بعين النقص ماذا إلا وقاحة

فقال النرجس: والذى زين العيون بالدعج، وأرسلها فى فترة الأجفان إلى المهج، و فضل الإنسان بالعين والعين بالإنسان، وكحل بفنون السحر فتور الأجفان، إذا لم ترجع عنى، لأجردن سيفى من جفنى، وأطيح رأسك عن قدمك، واخضبنك بدمك، ومن أنت فى البين، وقد أصبح فضلى عليك فرص عين، أتجارينى وجيادى السوابق، وتناظرى ونواظرى أحداق الحدائق، وفى فتور أجفانى من السحر فنون، أتشك فى أن الملاحة فى العيون، أنشد:

أنا ما بين أصحابى بعين ∴ وفضلى رايج والورد دونى
وفىّ من الملاحه كل فن ∴ بديع والملاحة فى العيون

فقال الورد: أين السهل من الممتنع، وكم بين المفترق والمجتمع، أنت تبذل نفسك فتهان، وأنا أعز بصونى عن ملامسة الندمان، وأنت رقيب على العشاق فى مجالس الطيبة، وإذا رميتهم بعينك يقولون ماذا إلا مصيبة، أنا ذو الوجه الأقمر، والخد الأزهر، وإذا تاملت عيونك إذا هى بالساهرة، كيف تناظرنى ولى وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة، وأنت قد ضربت عليك الذلة، وما اصفرارك إلا لعلة.

فقال النرجس: ياقليل الوقا، ويا كثير الجفا، ألم تعلم إن التخليق بالصفرة، من أمارات النصرة، وقال جماعة من الحكما: إن من أنحس الأشكال الحمرة.

فقال الورد: هذا لونى منذ كنت فى أحشاء الأكمام مضغة، صبغة الله ومن أحسن من صبغة الله صبغة، فقال النرجس، وهذا على فضلى من الشواهد، فقال الورد: ما يصغر منا إلا

(١) اتعمى عن عيوبك فى ب.

الحاسد، فقال النرجس لم تزل عين كل شيء أحسنه، فقال الورد: لا تستوى السيئة ولا الحسنة. فقال النرجس: ذهبت منك الحجة، واتضحت لى المحجة، وإن الدين بفضلى ظاهر لا يختفى، بحضورى فى حضرة مولانا قاضى القضاة الحنفى. فقال الورد: وهذا مما يؤيد كلامى، ، ويرفع فى الفخر مقامى، كم بلغت بحضرة المخدوم مقصودى، ولم يزل إلى منهل العذب ورودى.

فقال الراوى فلما رأيت كلا منهما قد جاء فى حجته بالبرهان والدليل، ولم يتضح لى أيهما أحرى بالتفضيل، وضاقت علىّ بينهما المسالك، ورأيت مالكى بالمدينة فلم يجز لى أن أنتى، وفى المدينة مالك لأنه فريد عصره فى فضله وآدابه، هو الذى يفصل بينهما بفصل خطابه.

انتهى والله اعلم

• الآس • وهو المرسين

وهو بلغة إليونان مرسينا وتقول العامة المرسين، ذكر صاحب مباهج الفكر واسمه العربى هو الآس.

أخرج بن أبى حاتم فى تفسيره وابن السنى فى الطب النبوى عن ابن عباس قال: أول شئ غرس نوح عليه السلام حين خرج من السفينة الآس.

وأخرج ابن السنى وأبو نعيم كلاهما فى الطب النبوى عن ابن عباس: قال: أهبط ادم من الجنة بثلاثة أشياء، بالآسة، وهى سيدة ريحان الدنيا، وبالسنبلة وهى سيدة طعام الدنيا، وبالعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا.

وأخرج بن السنى عن الأوزاعى برفع الحديث إلى النبى (ص) أنه نهى عن التخلل بالآس، وقال: إنه يسقى عرق الجذام.

قال ابن وحشية: الآس سيد الرياحين ويعظم حتى إنه يشجر ويثمر ثمراً قدر الحمص، وهو ثلاثة أنواع: أخضر وهو المشهور، وأصفر وهو ما فسد من ورق الأول، وأزرق ويسمى الخسروانى، وهو أن يخلط فى أصوله عند الزرع ورق النيل، قال الأخيطل الأهوازى.

للآس فضل بقائه ووفائه ∴ ودوام منظره على الأوقات
قامت على أغصانه ورقاته ∴ كنصول نبل جئن مؤتلفات

وقال آخر:

الآس سيد أنوار الرياحين ∴ فى كل وقت وحين فى البساتين
يبقى على الدهر لا تبلى نضارته ∴ من المصيف ولا من برد كانون

وقال ابن وكيع:

خليلى ما للآس يعبق نشره ∴ إذا هب أنفاس الرياح العواطر
حكى لونه أصداغ ريمٍ معذّرٍ ∴ وصورته آذان خيلٍ نوافرِ

وقال آخر:

وغادة أهدت إلى إلفها ∴ قضيب آس زاد فى ظُرفها
كأنما خضرة أورقها ∴ بقية الحنا على كفها

وقال آخر:

كـأنما الآس في تكييف[1] صـورته ∴ وحـبـه فـيـه منظوم على نـهج
سـلاسل صنعـوها مـن زبرجـدة ∴ خـضـراء تحـمـل أزراراً من السبج[2]

وقال آخر:

أحـبب بـأوراق آس ∴ حـكت فـصـوص زبـرجـد
عـلى غـصـون دقـاق ∴ مـلـذ مـن الـرى مُـبـدَّد
فـي وسـط روضـة زهـر ∴ بـهـا الـسـرور مـجـدد

• الأقحـوان •

قال بعضهم:

ظفـرت يدى للأقـحـوان بزهرة ∴ تاهـت بهـا في الـروضـة الأزهارُ
أبدت ذراع زبـرجـد وأنـامـلاً ∴ من فـضـة في كـفـهـا دينارُ

وقال مجير الدين بن تميم:

كـيف الـسـبيل للثم من أحـبـبـتـه ∴ في روضـة للزهـر فـيـهـا مـعـرك
مـا بين منشـور وناظر نـرجس ∴ مع أقـحـوان وصـفـه لا يدرك
هذا يشـيـر بإصبع وعـيـون ذا ∴ ترنـو إليـه وثـغـر ذا يضـحك

وقال أيضاً:

لا تمش في روضٍ وفـيـه شـقـائقٌ ∴ أو أقـحـوانٌ غِبَّ كل غـمـامِ
إن اللـواحظ والخـدود أجِلُّهـا ∴ عن وطـئـهـا في الروض بالأقـدامِ

وقال على بن عباد الإسكندرانى:

والأقـحـوانة تحكى وهى ضـاحكةٌ ∴ عن واضح غـيـر ذى ظَلْـم ولا شَنَبِ
كـأنهـا شمـسة من فضـة حرست ∴ خـوف الوقـوع بمسـمـار من الذهبِ

---

(1) تكسيف فى أ، تكسف فى د.
(2) النسج فى هـ.

وقال آخر :

وقـد لاح زهر الأقـحـوان كـأنه ∴ تميل بـه خـضـر رقـاق من القُـضُب
رؤس مسامير من التبر رصّعت ∴ دوائرها الصـواغ بـاللؤلؤ الـرطب[1]

• البـــان •

البان ويسمى الخلاف ، قال شمس الدين محمد بن التلمسانى :

تبّسم زهرُ البان عن طيبِ نشره ∴ وأقبل فى حسن يجل عن الوصف
هَلُمُّوا إليه بين قصفٍ ولذةٍ ∴ فإنّ غصونَ البانِ تصلُحُ للقَصْفِ

وقال الشهاب محمود على لسان البان :

إذا دغدغتنى أيدى النسيم ∴ فَملْتُ وعندىَ بعضُ الكسَلْ
فَسَلْ كيف حال قُدودِ الملاح ∴ وعن حال سمر القنا لا تسل

وقال أبو جلنك الشاعر يهجو القاضى شمس الدين بن خلكان :

لله بستانٌ حَللنا دَوْحَهُ ∴ فى جنة قد فَتَّحتْ أبوابَها
والبان تحسبه سنانيراً رأت ∴ قاضى القضاة فَنَفشَّت أذنابها

وقد ألف الشيخ زكى الدين بن القويع التونسى كراسة فى شرح هذا البيت .

وقال تاج الدين بن شقير :

قد أقبل الصيف وولى الشتا ∴ وعن قريب نشتكى الحرّا
أما ترى البان بأغصانه ∴ قد أقلب الفرو إلى بَرّا

وقال أمين الدين بن حوبان :

نفش غصن البان أذنا به ∴ واهتز عند الصبح عجبا وفاح
وقال هل فى الروض مثلى وقد ∴ تعزى إلى قدى قدود الملاح
فحدق النرجس يهزو به ∴ وقال حقا قلته أم مزاح
بل أنت بالطول تحامقت يا ∴ مقصوف عجبا بالدعاوى القباح
فقال غصن البان من تيهه ∴ ما هذه إلا عيون وقاح

---

(١) الرطب = القطب فى جـ.

وقال ابن الوردى :

تجادلنا أما الزهر أزكى ∴ أم الخلاف أم ورد القطاف
وعقبى ذاك الجدل اصطلحنا ∴ وقد وقع الوفاق على الخلاف

وقال البدر ابن الصاحب :

لبلبل البان غنى رائق ∴ يميل بالخاشع والناسك
قالت له البانات أطربتنا ∴ فقال ذا من طيب أنفاسك

وقال الشهاب عبدالمنعم :

تمتع بشم البان أول فتحه ∴ كما أمتع الأبصار عطف قضيبه
لم تره فى الأرض يبدو كأنه ∴ مسربات عطار ثم مطيبه

وقال آخر :

أو ما ترى نور الخلاف كأنه ∴ لما بدا للعين نور وفاق
أبدى سنانيرا ولكن نشرها ∴ يسعى بغار الأمس فى الآفاق

وقال البدر بن الصاحب :

لما أتى البان غدا ∴ جيش الشتا منهزما
فصحت إذا حمى الورى ∴ أهلا ببانات الحمى

• الريحان •

قال السرى الرفاء :

وبساط ريحان كماء زبرجد ∴ عبثت به أيدى النسيم فأرعدا
يشتاقه القوم الكرام فكلما ∴ مَرِض النسيم سعوا إليه عوّدا

وقال أبو الفضل عبيد الله أحمد الميكالى :

أعددت محتفلا ليوم فراغى ∴ روضا غدا إنسان عين الباغ(١)
روضٌ يروضُ همومَ قلبى حسنه ∴ فيه ليوم اللهو أى مباغ
وإذا انثنت قضبان ريحانٍ به ∴ حيّتْ بمثل سلاسل الأصداغ

---

(١) الباغ : البستان، فارسى معرب.

وقال ابن وكيع :

هذا الحماحِم زَهْرٌ ∴ فيه حياة النفوسِ
كأنه حين يبدو ∴ بُرادة الآبنوسِ

وقال آخر :

أما ترى الريحان أهدى لنا ∴ حماحمًا منه فأحيانا
نحسبه فى طلّه والندى ∴ زمردا يحمل مرجانا

وقال آخر :

وريحان تميس به غصون ∴ يطيب بشمه لثم الكؤوس
كسودان لبسن ثياب خز ∴ وقد قاموا مكاشيف الرؤوس

وقال صاعد الأندلسى فى الريحان الترنجيّ :

لم أدر قبل تُرُنجان مررتُ به ∴ أن الزمرد أغصان وأوراق
من طيبه سرق الأترج نكهته ∴ يا قوم حتى من الأشجار سراق

وقال الشهاب المنصورى جواب لغزفى ريحان :

يريك طراطرا برءوس حبش ∴ يميل قدودها قدام ملك
يميس بساق زنجى فينسى ∴ بياض معاصم تعزى لتركى
له عطف على روح وعرف ∴ زكى والمهيمن عنه يحكى
نجمى النبات يميس عجبا ∴ كأسمر طيب الأردان مكى
ثغور الزهر قد ضحكت عليه ∴ وأجفان الغمام عليه تبكى

ومن اللطائف فى شرح رسالة ابن زيدون أن كسرى أنوشروان كان جالساً بإيوانه وإذا بحية قد وثبت على عش حمامة فى بعض شراريفه لتأكل فراخها فرماها بسهم فقتلها وقال هكذا نفعل بعدو من استجار بنا فطارت الحمامة وغابت أياما وعادت بحب فى منقارها فألقته إلى الملك فأخذه وقال : إزرعوه فنبت ريحانا ولم يكن يعرف بأرضه فقال : نعم . ما كافأتنا به الحمامة .

• الياسمين •

قال بعضهم:

وروضـــــــة نَوْرهَـا يـرفُّ ∴ مـــثل عــــروسٍ إذا تـزَفُّ
كـأنما اليـاسـمِّينُ فـيـهـا ∴ أنـامـلٌ مـــالـهـــا أكـفُّ

وقال بعضهم:

كــأن اليـــاســمين الغـض لما ∴ أدرت عليــه وسط الروض عــينى
سـمــاء لـلزبرجـد قـد تبـدت ∴ لنا فـــيـهـــا نجـوم من لجين

وقال ناصر الدين التنيسى إلى النصير الحمامى ملغزا فيه:

يا من يحل اللـغـز فى ســاعـــة ∴ كلـمـــحـــة من طرفـــة العين
مــا اسم إذا أنقــصت من عــده ∴ فى الخـط حـرفـا صـار إسـمين

فأجابه نصير:

لعــرض مــولانا وأنفـــاســه ∴ ألـغـــزت لى حـــقـــا بلامين
اسم ســـداسى لطـيف بـه ∴ نحـــافـــة تظـهـــر لـلعين
لكـنه يـغـــدو ســمـــينا إذا ∴ أســـقـطت من أولاه حـــرفين

وقال الصلاح الصفدى أحجيه فى إلياسمين:

يـــا مـــن لـديـــه عـلـــوم ∴ تـضئ مـنـهـــــا الــديـاجـى
إن قـلـت ردفـــا غـليـظا ∴ مـــا مـــثله فـى الأحـــاجـى

وقال أبو اسحق الحصرى يصف إلياسمين قبل تفتحه:

خليلىّ هُبّا وانفُضَا عنكما الكَرَى ∴ وقـومـا إلى روضٍ ونشـر عـبـيق
فـقـد راح رأس اليـاسـمين منورا ∴ كـأقـراط در قـمِّـعت بعـقـيق

وقال ابن عبدالظاهر:

ويـاســـمين قـــد بدت ∴ أزهـــاره لمـــن يَـصـــفْ
كــمـــثل ثوب أخـــضـــرٍ ∴ عـلـيـــه قـطن قـــَد نُـدِفْ

وقال آخر:

لا مرحبا بالياسمين ∴ وإن غدا في الروض زيّنا
صحّفته فوجدته ∴ متقابلاً يأسا وميْنا

وعاكسه ابن الحداد الأندلسي بقوله:

بعثت بالياسمين الغض مبتسما ∴ وحسنه فاتن للنفس والعين
بعثته منبئًا عن صدق معتقدي ∴ فانظر تجد لفظه يأسا من المينِ

وقال علم الملك إبراهيم بن أبي الثنا عرف بابن كانت قيصر من أعيان النصارى الفضلاء في الياسمين المحشو بالاحمرار أورده الصلاح الصفدي في تذكرته:

أرى ياسمينا محشّا غدا ∴ إلى الند في نشره ينتمي
كمثل قصاصة فضية ∴ تلوث أطرافها بالدم

• النسرين •

قال ابن وحشية: إلياسمين والنسرين متقاربان حتى كأنهما أخوان، وكل واحد منهما نوعان: أبيض وأصفر، ولهما شقيق آخر ورده أكبر من وردهما، يسمى جلنسرين.

قال بعضهم:

أكرم بنسرين تُذيع الصَّبَا ∴ من نشره مسكا وكافورا
ما إن رأينا قَط من قبله ∴ زبرجدا يثمر بلورا

وقال آخر:

انظر لنسرين يلو ∴ ح على قضيب أملد
كمَداهن من فضة ∴ فيها برادة عسجد
حَيَّتك من أيدي الغصو ∴ ن بها أكف زبرجد

وقال آخر:

ولم أنس قول الورد لا تركنوا ∴ إلى معاهدة النسرين فهو يمين
ألا تنظروا منه بنانًا مخضبًا ∴ وليس لمخضوب البنان يمين

وقال آخر :

ما أحسن النسرين عندى وما ∴ أملحه مذ كان فى عينى
زهر إذا ما أنا صحفته ∴ وجدته بشرى وبشرين[1]

• البنفسج •

قال أبو القاسم بن هزيل الأندلسى :

بنفسج جمعت أوراقه فحكت ∴ كحلا تشرَّب دمعًا يوم تشتيت
أو لا زور دية زوفت بزرقتها ∴ وسط الرياض على زرق اليواقيت
كأنه وضعاف القضب تحمله ∴ أوائل النار فى أطراف كبريت

وقال آخر :

بنفسج نافع زكى ∴ يزهر على ريح كل ورد
كأنه عند ناظريه ∴ آثار قرص من فوق خد

وقال آخر :

وبنفسج غض القطاف كأنه ∴ من خالص الياقوت لوز أزرق
عقدت صوالجه فعاد مخضرا ∴ بين الرياض وبعضه فتمنطق

وقال آخر :

ولقد ذكرتك فى رياض بنفسج ∴ والماء فى أرجائها يتدفق
فكأنما هى سابغات[2] ملاحة ∴ والماء فيها دمعى المترقرق

وقال آخر :

يا مهديا لى بنفسجا أرجا ∴ يرتاح صدرى له وينشرح
بشرنى عاجلاً مصحفه ∴ بأن ضيق الأمور ينفسح

---

(١) بسرى وبسرين فى ب، يشرى ويشرين فى جـ، وتسرى وتسرين فى د.
(٢) سالفاك فى ب، سابقات فى جـ.

وقال آخر :

بنفسج الروض تاه عجبا ∴ وقال طيبى للجو ضمخ
فأقبل الزهر فى احتفال ∴ والبانُ فى غيظه تنفخ

وقال مجير الدين بن تميم :

عاينت ورد الروض يلطم خده ∴ ويقول وهو على البنفسج محنق
لا تقربوه وإن تضوع نشره ∴ ما بينكم فهو العدو الأزرق

• المنثور •

قال ابن وكيع :

انظر إلى المنثور فى ميدانه ∴ يدنو إلى الناظر من حيث نظر
كجوهر مختلف لونه ∴ أسلمه[1] سلك نظام فانتثر

وقال مجير الدين ابن تميم :

وقد قلت للمنثور إنى مفضل ∴ على حسنك الورد الجليل عن الشبه
تلون من قولى وزاد اصفراره ∴ وفتح كفيه وأومى إلى وجهى

وقال أيضاً :

حاذر أصابع من ظلمت فإنها ∴ تدعو بقلب فى الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه فى حمر الفضا ∴ إلا الدعا بأصابع المنثور

وقال ابن حجة يستدعى سؤال[2] منثور وقد وعد فمطل :

زهر الوعود ذوى من طول ∴ وعدكم لأنه من نداكم غير ممطور
والعبد قد جهر المنظوم ممتدحا ∴ فطابقوه إذا وافا بمنثور

---

(١) اسلكه فى ب، أسله فى جـ.
(٢) ستل فى أ، سيل فى ب، شيل فى جـ، وشل فى حـ.

• فى البهار •

لبعضهم :

أنظر إلى حسن البهار وغنجه ∴ يرنو إليك بمقلتى وسنان
كأنما هو راحة من فضة ∴ قد ضمنت كأسا من العقيان

• فى السوسن •

لأبى نواس :

سقيا لأرض إذا ما نمت نبهنى ∴ بعد الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها من كل شارفة ∴ على الميادين أذناب الطواويس

وقال غيره :

يا حسنها من روضة أزهارها ∴ أبدت لعينى لؤلؤا وزبرجدا
والسوسن المبيض فى أرجائها ∴ كالقطن بلله الندى فتلبدا

وقال آخر :

كأنما السوسن فى روضة ∴ وقد تبدى حسنه للعيان
أقمار كافور تراءت لنا ∴ فى وسطها شى من الزعفران(١)

وقال الصفى الحلى :

لقد نشر الوسنان(٢) أعلامه ∴ وقال كل الزهر فى خدمتى
لو لم أكن فى الروض سلطانه ∴ ما رفعت من دونه رايتى
فقهقه الورد به هازءاً ∴ وقال ما ترهب من سطوتى
وقال للنرجس ما الذى ∴ يقول الأشيب فى حضرتى
فامتعض السوسن من قوله ∴ وقال للأزهار يا عصبتى
يكون هذا الجيش بى محدقا ∴ ويضحك الورد على شيبتى

---

(١) أقمار = أقماع فى د، شى = نثى فى هـ.
(٢) السوسان فى أ، جـ.

• فى الشمام •

لبعضهم:

وشـــمـامــة قــد مــضــخــت بمورد ∴ واصــفــر مــثل الوشــى من كل جــانب
أشـبـهـهـا إذ لاح فــيـهـا منمـنـمـاً ∴ بـآثار نـقـش فى أكـف كـــــواعـب

• فى الشقيق •

لأبى بكر الصنوبرى:

وكــــأن مــــحـــمـــرّ الشـــقـــيقِ ∴ إذا تـصـــــوّب أو تَصَـــعّـــــدْ
أعــــــلامُ يـاقـــــوت نُـشِـــــرْ ∴ ن عـلى رمـــــاحٍ مـن زبرجـــــدِ

وقال كشاجم:

فــرّجَ القلب غــــاية الـتـفــــريجِ ∴ ابتـــهـــاجى مـــا بين روض بهـــيجِ
فكأن الـشـقــيـق فـيـــه أكـــاليلُ ∴ عـــــقـــــيـقِ عـلى رءوس زنـوج

وقال أبو العلاء السرورى:

جــامٌ تكوّن من عــقــيق أحــمــر ∴ مـلئـت قــــرارتـهُ بمسك أذْفَـــــرِ
خــرط الربيـع مــثـاله فــأقــامــه ∴ بين الرياضِ عـلى قـضـيـبٍ أخـضـرِ

وقال ابن الرومى:

يصــوغ لـنا كفّ الربيـع حــدائقًــا ∴ كـعـقــد عــقـيـقٍ بين سـمـط لآلِ
وفـيـهـن نوار الشـقـائق قــد حكى ∴ خُــدودَ غَــــوانٍ نـقّطت بـغــــوالِ

وقال آخر:

وشـقـيـقـة حـمـراء ذات تـواقـد ∴ مطوية فى اليــوم تـنـشـــر فى غــــد
فكأن حـــمـرتهـا وحـسـن سـوادها ∴ خــد الحـبـيـب زهـى بخـالٍ أسـودِ

وقال صاحبنا الشهاب المنصورى:

يا حبذا شقائقا ∴ نزهت فيها الحدقا
عرفنا نسيمها ∴ إن النعيم فى الشقا[1]

• فى الزهر •

لبعضهم:

الزهر سلطان وقد جاءنا ∴ يطلب من أهل العقول النزاه
ثبت حتى لقتاإلى دنا ∴ فطعنته فى صدره بالقناه

• فى زهر النارنج •

لبعضهم[2].

نديمىّ هيا قد قضى النجم نحبَهُ ∴ وهب نسيم ناعمٌ يوقظ الفجرا
وقد أزهر النارنج أزرار فضة ∴ تَزُرّ على الأشجار أوراقها الخضرا

• فى الجلنار •

لأبى فراس الحارث بن سعيد بن حمدان:

وجلنار مشرف[3] ∴ على أعالى شجره
كأنه فى أغصانه[4] ∴ أحمره وأصفره
قُراضةُ من ذهب ∴ فى خرقَةِ[5] معصفره

---

(١) الشقائق فى ب.
(٢) ينسب إلى القاضى الفاضل.
(٣) مشرف فى أ، ب، جـ.
(٤) روضه فى أ، ب، جـ.
(٥) خرقه فى أ، ب، جـ.

وقال ابن وكيع :

وجلنار بهيّ ∴ ضرامه بتوقد
بدا لنا في غصون ∴ خضر من الرمي مُيَّد
يحكي فصوص عقيق ∴ في قبة من زبرجد

وقال آخر :

أنظر إلى الروض البديع وحسنه ∴ فالزهر بين منظم ومنضد
والجلنار على الغصون كأنه ∴ قطع من المرجان فوق زبرجد

• في القرط •

لابن سعيد :

سقى اللّه أرضا كلما زرت روضها ∴ كساها وحلاها بزينته القرط
تجلت عروسا والمياه عقودها ∴ وفي كل قطر من جوانبها قرط

وقال الصلاح الصفدي ملغزا فيه :

أرأيت نجما قط في غير السما ∴ يحويه قطر وهو النبات لدى الورى
فإذا قلبت البعض قطر ∴

• في زهر الخشخاش •

للبدر حسن الغزي :

وزهرة خشخاشة من دمي ∴ سقيت ثراها ومن أدمعي
وأشبه شيء بها وجنة ∴ بها أثر الغمز من أصبعي

وقال آخر :

كأن نوارات خشخاشنا ∴ وهي بأعلى القضب مبسوطة
مداهن تسحر أبصارنا ∴ ملس من الكافور مخروطة

وقال ابن وكيع فى الخشخاش:

وخشخاش كأنّا منه نَفْرِى ∴ قميص زبرجد عن جسم درٍّ
كأقداح من البلور صينت ∴ بأغشية من الديباج خضر

وقال غيره:

ولما غدا الخشخاش فى الروض مزهرا ∴ وقد نظرت شذرا إليه الحدائق
حكت[1] قلعة أبراجها مستديرة ∴ مشرفة دارت عليها السناجق

وقال آخر:

أنظر الخشخاشنا وبهجته ∴ وأدمع المزن عنه من فضة[2]
كأنه والعيون ترمقه ∴ والريح تثنى غصونه الغضة
التاج نور مقلها عمد ∴ مملوءة من سحالة الفضة

• فى نوار الكتان •

لابن سعيد:

أنظر إلى النهر والكتان يرمقه ∴ من جانبيه بأجفان لها حدق
رأته سيفا عليه للصبا شطب ∴ فقابلته بأحداق بها أرق

وقال ابن وكيع:

ولما غدا الخشخاش فى الروض مزهرا ∴ وقد نظرت شذرا إليه الحدائق
حكت قلعة أبراجها مستديرة ∴ مشرفة دارت عليها السناجق
وأصبحت فى يد الأرواح تنسخها[3] ∴ حتى غدت حلق من فوقها حلقه
فلم يزرها ووجه الأفق متضح ∴ أو عند صفرته إن كنت تغتبق

(١) حكى فى أ.
(٢) مرفضة فى ب، وربما الصحيح منفضة.
(٣) تنسجها فى أ، ج.

وقال ابن الرومى :

وحِلْسٍ من الكتان أخضر ناعم ∴ سقى نبته دانى الرباب[1] مطير
إذا درجت فيه الشمال تتباعت ∴ ذوائبه حتى يقال غدير

وقال آخر :

ما أحسن الكتان حين تمايلت ∴ أعطافه بزهوره وتموجا
فكأنه قضب الزبرجد أخضر ∴ فدفعوا أطرافه فيروزجا

وقال أبو الحسن على بن عبدالكريم المناوى فى مزرعة كتان :

لله إقبال الربيع محدثا ∴ نفس الصبا عنه بطيب تنفس
أرج الخمائل باسم عن نوره ∴ يثنى على صوب الحيا للتنجس
والأرض قد لبست نفائس حليها ∴ وبدت لناظرها بأحسن ملبس
وأعجب لمنظرها البديع وإنما ∴ كسيت من الكتان حلية سندس

وقال بعضهم ملغزا فى كتان أو قمح أو شعير أو فول :

ولدت أمى أباها ∴ من عظيم المعجبات
وأنا طفل صغير ∴ فى علو الدرجات
وأبى شيخ كبير ∴ فى حجور المرضعات
إن أمى بنت عمى ∴ خالتى إحدى خوات

• فى النمام •

لابن رشيق :

لم كَرِه النمامَ أهلُ الهوى ∴ أساء إخوانى وما أحسنوا
إن كان نماما فتنكيسه ∴ من غير تكذيب لهم مأمن

---

(١) الحلس هو النبات الذى يغطى الأرض كثرة.
(٢) الرباب : السحاب المعلق الذى تراه كأنه دون السحاب .

• فى زهر الباقلا •

لابن وكيع :

كأن أوراق زهر ∴ للباقلا بهية
خواتم من لجين ∴ نصوصها حبشية

وقال أيضاً :

نور الباقلا نورا طريفا ∴ جل فى حسنه عن الأشكال
قد حكى ورده لنا إذ تبدى ∴ سرر[1] الروم ضمخت بغوالى

وقال آخر :

أنظر لزهر الباقلاء وقد غدا ∴ فوق القضيب يميس فى أبراده
يحكى عيون الغيد فى تلويزه[2] ∴ وفتوره وبياضه وسواده

• فى الأثل •

لابن مكانس :

همت فى حسن أثلة ∴ رسخت فوق جدول
ذات أصل عريقة ∴ عرفها بالعلى ملى
يا لها من دوحة ∴ ذات مجد مؤمل

• فى الصفصاف •

لبعضهم :

أنظر إلى أحمر الصفصاف تحسبه[3] ∴ بين الرياض إذ تلقاه ممطور
حمر اليواقيت والأوراق بارزة ∴ زمردا ونداه الدر منثورا

---

(١) سرور فى جـ.
(٢) تكويره فى ب، د.
(٣) تحسنه فى د.
(٤) أحمر فى ب، جمر فى جـ، أحمر اكيواقيت فى د.

• فى السرو •

لابن عبدالظاهر:

يا حبذا الحسن فى رياض ∴ زهرتها نزهه العيون
كأنما سرورها حسان ∴ قمن إلى الرقص والمجون

• فى الخيارشنبر •

شجر يروقك حمله[1] وتخاف أن ∴ تدنو[2] إليه وحسنه لك قائدا
يبدو لنا[3] فوق الغصون كما بدت ∴ للناظرين على الغصون أساودا

• فى اللبلاب •

ولبلاب تعرش فى قباب ∴ سبت بالحسن منها كل ناظر
كساها إذ تخللها غصونا ∴ فباطنها يرى منها كظاهر
كأن على كل[4] الأبواب منها ∴ معلقه يرى خضر الستائر
كأن قبابها والزهر يبدو ∴ لنا منها على الأغصان دوائر
قباب زبرجد لا شك فيها ∴ مرصعة الجوانب بالجواهر

• الأترج •

أخرج البخارى ومسلم عن أبى موسى الأشعرى عن النبى (ﷺ) قال: «مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب».

وأخرج من السنى فى الطب النبوى عن أبى كبشه قال: كان رسول الله (ﷺ) يعجبه النظر إلى الأترج.

---

(١) حمله = حله فى ب، حسنه فى جـ.
(٢) ترنو فى جـ.
(٣) يبدر السما فى جـ.
(٤) كلا فى الأصل.

قال المسعودى: الأترج المدور والنارنج حمل من أرض الهند بعد الثلاثمائة من الهجرة وزرع بعمان ثم نقل منها إلى البصرة والعراق والشام ومصر، وما كان يعهد ولا يعرف فيها فعدمت منه الروائح الطيبة واللون الحسن الذى كان فيه بأرض الهند لعدم ذلك الهواء والتربة وخصاصة البلد.

ومن اللطائف قال أبو داود صاحب السنن فى كتاب الزكاة: منه شبرت قثاة بمصر ثلاثة عشر شبراً، ورأيت أترجة بمصر على بعير قطعت قطعتين وصيرت مثل عدلين.

قال المقريزى: وقد ذكر إن هذا كان فى جنان أحمد بن إبراهيم بن سنان البصرى عالم زاهد وكانت خارج مدينة الفسطاط فلما قدم الخليفة المأمون بن هارون الرشيد مصر سنة سبع عشرة ومائتين رأى هذه الجنان فأعجب بها فسأل ابن سنان كم غلات هذه الجنان قال: لا أستطيع حصرها إلا أن مازاد على مائة ألف دينار أتصدق به ولو درهما.

ومن اللطائف أيضاً فى الأترج: حكى الصلاح الصفدى فى تذكرته عن الأسعد بن مماتى قال: دخلت يوما على القاضى الفاضل وبين يديه أترجة كبيرة مفرطة الضخامة فجعلت أطيل النظر إليها واتفق لى ذهول فقال لى: كأنك تفكر فى خلق هذه وما فيها من التكتيل والتعويج(١) وتعجب من مناسبتها لى فدهشت وانخلع قلبى ثم رجع إلىّ خاطرى فقلت: لا، ولكن تفكرت فى معنى وقع لى فيها، ثم نظمت بديها:

لله بل للحسن أترجة ∴ تذكر الناس بأمر النعيم
كأنها قد جمعت نفسها ∴ من هيبة الفاضل عبد الرحيم

فأعجباه واستحسنهما.

قال الصلاح الصفدى: لو صحف الفاضل هذه اللفظة أعنى هيبة بهيئة لتم الذى أراده من فكره الأسعد (٢) وهذا من غريب الاتفاق وقال بعضهم:

أنظر إلى صنعة المليك وما ∴ أظهر فى الأرض من أعاجيب
جسم لجين قميصه ذهب ∴ ركب فى الحسن أى تركيب
فيه لمن شمه وأبصره ∴ لون محب وريح محبوب

---

(١) والتفرج فى جـ.
(٢) الاسم فى أ.

وقال آخر :

حــيــاك مــن تهــوى بأتــرجــة ∴ ناعــمــة مــقــدودة غــضــة
فـــجلـدها مــن ذهـب ســـائـلٌ ∴ وجــســمــهــا الـنـاعم من فــضــة

وقال آخر :

كـــان أترجـنا النـضــيــر وقــد ∴ زان بـجنـاتـنـا تصـــبـــغـــه[1]
أيدٍ مـن التـبــر أبـصــرت بدراً ∴ من جــوهر فـــانـثـنت تجــمــعــه

وكتب بعض الأدباء إلى الشهاب محمود ملغزا فى أترج :

يا إمـــامـــا فـــاق الأنام ويـا من ∴ طرفــه نحــو كل فــضل طمــوح
ما اسم شىء قد راق فى الوصف حسنا ∴ وله كـــالـعــبــيــر[2] عــرف يفــوح
إن عكست الخـمـسين منه تجـده ∴ فــعل من لم يـنكر عـليـه قــبــيح
وإذا مــــا حــذفت أول حــرف ∴ فــهـــو شىء إن صــحــفــوه يريح

فأجابه :

يا إمــام أضحـت جيــاد المعــانى ∴ فى يـديه ذلـولهـــا والجــمـــوح
أنـت ألغـــــزت فــى اسم شىء ∴ يـروق الطـرف منـه لون وطـعم وريـح
جــانى كـــونه[3] لمثلك أضــحى ∴ مــثـلاً ســـائراً حـديث صــحــيح

• فى العنب •

للسرى الرفاء :

ولا ظل إلا ظـل كــرم مـــعـــرش ∴ تغنـيك فى قــرطيــه ورق الحــمــائم
سما غصون تحجب الشمس إن ترى ∴ علـى الأرض إلا مـــثـل وقع الـدراهم

---

(١) زاد بحياتنا نصيغه فى ب، ران بحياتنا فى د.
(٢) أوله كالعنبر فى ب.
(٣) جاء فى كونه فى د، وجانى قرآنه فى جـ.

وقال آخر :

كـأن عـناقـيـد الكروم وظلـهـا ∴ كـواكب در في سـمـاء زبرجـد

وقال آخر :

كـأن عناقـيـد الكـروم وقـد بدا ∴ لعـينيك منـهـا مـا يروق ويـبـهج
مـخـازن في قـدر الأنامل علقت ∴ لدى شعب خضر بها النفس تلهج

وقال ابن أبي حجلة :

وروض فـيـه للأزهـار فـرش ∴ عليـه من عـريش الكروم عـرش
كـأن قطوفـه لما تدلت ∴ مماليك تلوح لنا وحـبش[1]

• في البطيخ •

قال بعضهم في الأصفر :

ثلاث هـن في البـطـيـخ زيـن ∴ وفي الإنـسـان منـقـصـة وذلة
خـشـونـة لمسه والثـقـل فـيـه ∴ وصـفـره لونه مـن غـيـر عـلة

وقال أبو طالب المأموني في الأخضر :

ومـبـيـضـة فـيـهـا طرائق خـضـرة ∴ كما اخضر مجرى السيل من صيّب المزن
كـحُـقّـهِ عَـاج ضـبـبت بزبـرجـدٍ ∴ حوت قطع الياقوت في عصب[2] القطن

وقال آخر :

أخ لـي صـادق أهـدى إلينـا ∴ كـمـا يـهـدي الصديق إلى الـصـديق
قـلال زبرجـد فـيـهن شـهـد ∴ وحـشـو الشـهـد شيء كـالعـقـيق

وقال آخر :

ألا فـانظروا البطيخ وهو مـشـقق ∴ وقـد جـاز في التـشـقـيق كـل أنيق
صـفـائح بلور[3] بدت في زمـرد ∴ مـركـبـة فـيـهـا فـصـوص عـقـيق

---

(١) وجيش في جـ، هـ. (٢) عطب في جـ والعطبة : القطعة من القطن وجمعها عطب.
(٣) صفاها كبلور في حسن المحاضرة جـ٢ ص٤٣١ .

وقال آخر :

يقطع بالسكين بطيخة ضحى ∴ على طبق في مجلس لان[1] صاحبه
كبدر يبرق في سماء[2] أهلةٍ ∴ على هالةٍ في الأفق شتى كواكبه

• في الرمان •

قال بعضهم :

رمانة صبغ الزمان أديمها ∴ فتبسمت في ناضر الأغصان
فكأنها في حُقَّةٍ من عسجد ∴ قد أودعت خَرَزًا من المرجان

وقال آخر :

خذوا صفة الرمان عني فإن لي ∴ لسانًا عن الأوصاف غير قصير
حقاق كأمثال العقيق تضمنت ∴ فصوص بلخش[3] في غشاء حرير

وقال البدر بن الصاحب ملغزاً في رمانة :

عجبت لها من ناهد راق حسنها ∴ وما بلغت بين الملاح مرادها
بكت من يد الجاني دما ما رثى لها ∴ فشقت لفرط الغبن منه فؤادها

• في التين •

لابن المعتز

أنعم بتين طاب طعما واكتسى ∴ حسنا وقارب منظرا من مخبر[4]
يحكي إذا ما صب في أطباقه ∴ خيمًا ضربن من الحرير الأخضر

---

(١) لا في أ، ب، جـ.
(٢) يبرق في = قد شمس في أ، ب، جـ.
وقد ورد هذا البيت في نهاية الأرب كالتالي :
«كشمس يبرق قدّ بدراً أهلةً ∴ لدى هالة في الأفق شتى كواكبه»
(٣) البلخش : نوع من الجواهر .
(٤) يوجد بعد البيت البيت التالي نقلناه من حسن المحاضرة جـ٢ ص٤٣٨ .

وقال آخر:

أحـــــبب بـتين جـــــاءنا ∴ مـــــثـل نهـــــود الخُـــــود
داخـله مـــــتـــــضـــــمن ∴ بـرادة من عـــــســـــجـــــد
وقـــــشـــــره الخـــــارج يحـكى ∴ قـــــطـــــع الـــــزبـــــرجـــــد

• فى اللوز الأخضر •

قال بعضهم:

رأيـت فـى الـلـوز مـــــعـنى ∴ مـــــثـــــالـه لـيس يـوجـــــد
كـــــأنـــــه حـــــب در ∴ عـليـــــه قـــــفـل زبرجـــــد

• فى النبق •

أنظـر إلى النبـق فى الأغـــصـــان منتـظمـــا
والشـــمس قـــد أخــذت تجلوه فى القـــضب
كـــأن صـــفـــرتـه للـنـاظرين عُـــدت
تحكى جـلاجل قـــد صـيـغـت[1] من الذهب

• فى البرقوق •

لغز للشهاب المنصورى:

مـــا اسم ثلاثة أخـــمـــاســـه ∴ لهـــيـب ولكنـه بغـــيـــر احـــتـــراق
وخـــمـــســـاه بالألف أفـــرقـــهـــمـــا ∴ يـكن لـك من لـوعـــــة الهـم واق

(١) صنعت فى الأصل.

• فى التفاح •

وتفاحة فيها احمرار وخضرة ∴ مخضبة بالطيب من كل جانب
تكامل فيها الحسن حتى كأنها ∴ تورد خد فوق خضرة شارب

• فى الكمثرى •

وكمثرى تراه حين يبدو ∴ على الأغصان مخضر الثياب
كثدى مليحة أبدته تيها ∴ له طعم ألذ من الشراب

وقال آخر:

حَيًّا بكمثراية لونها ∴ لون محب زائد الصفرة
تشبه نهد البنت إن قعدت[1] ∴ وهى لها إن قلبت سرّة

• فى الجميز •

لغز للشهاب المنصورى:

وما قبة خضراء ذات حلاوة ∴ وداخلها للطير فيه وكور
له مقلة من تحت أسود حاجب ∴ كمسك ولكن ليس فيه عنبر
وإدراكها حتما منوط بختمها ∴ وليس لهذا فى الوجود نظير[2]
عليها يد الجانى مسلطة فلا ∴ تزال إليها بالسلاح تشير
ستألف يوم الجمع راحة ربها ∴ ويحملها يوم التناد سرير
فمن لم يصحفها فذاك عارف ∴ وإن قصدوا تصحيفها فحمير[3]

---

(١) يشبه نهدا لثيب قعدت فى ب.
(٢) حتما = حتى فى جـ، بختمها = بختنها فى ب، تحبيها فى جـ، بحبيها فى د، تحتها فى د.، تجنبها فى هـ.
(٣) يصحفها = يصفحها فى أ.

وقال آخر فى الجميز :

ذات فـــرع ظلالهـــا حـــسن ∴ مـــا بين مـــتنزه[1] وأشـــجـــار
كـــأن أولادها بـهم مـــرض ∴ وقـــد كـــوتـهم برأس مـــســمـــار
شـبـه عـــيـون بـرئن من مـــرض ∴ تـســبـــقـن الطـبـــيـب بـالقـــار

● فى التوت●

أقـــبل بـالتـــوت لذى حـــامـــة ∴ تعـــبـق منه نفـــحـــة المسك
فـخلـتـه شـــهـدًا مـذابًا وقـــد ∴ شـــيـب بمـطبـــوخ مـن اللـك

لغز فى توت أو خوخ :

مـــا مـــأكل آخـــره أولـه ∴ كـــذلـك الآخـــر كـــالأول
بينهـــمـــا حـــرف بـلا نقـطة ∴ وهـو لعـــمـــرى طيب المأكـل

● فى الخوخ●

وخـوخـة بسـتـان ذكـى نسـيـمـهـا ∴ من المسك والكافـور قد كـسيت نشـرا
ملبـــسـة ثوبًا من التـبـر تصـفـهـا ∴ مـصـاغًا وباقـيـهـا كـيـاقـوتة حـمـرا

● فى المشمش●

قال ابن نباتة :

أتانـى بأمـــثـال الـنجـــوم زواهرا ∴ ندامى عـلى مـا نشـرت نجـومـه[2]
فلـله مـا أبـدى نجـوم سـمـــائه ∴ وأسـعـــد فى كل الأمـور زبـرجـد

---

(٤) متنزه فى ب، د.

(٢) ما نثرت = أسلوب فى ب، سكون فى د.

وقال ابن وكيع :

بدا مشمش الأشجار يزكوا شهابه ∴ على خضر أغصان من الرى مُيّد
حكى وحكت أشجاره فى اخضرارها ∴ جلاجل تبر فى قباب زبرجد

وقال ابن عبدالظاهر :

حبذا مشمش على الدوح أضحى ∴ ذا شعاع يستوقف الأبصارا
شجر أخضر لنا جعل الله تعالى منه كما قال نارا[1]

وقال البدر ابن الصاحب :

وأصفر زاهى الحلى ∴ قصير عمر وصبا
ما إن تراه ذهبا ∴ حتى تراه ذهبا

وقال أيضا مضمناً مكتفيا :

يا مهديا لى مشمشا قد صبته ∴ حلو النوى والقلب منى فى جوى[2]
أتظن أن نواه مثل نواك لى ∴ لا والذى هو عالم النوى[3]

• فى العناب •

لبعضهم :

كأنما العناب لما بدا ∴ يلوح فى أعطاف غصن أنيق
تطريف من تطريفها من دمى ∴ أو خرزات خرطت من عقيق

---

(١) فى ب «شجر أخضر جعل الله تعالى ∴ لنا كما قال نارا».
(٢) صبته = صنته فى ب، حلو النوى = حلو الندى فى ب.
(٣) النوى = ان النوى فى الأصل.

• فى القصب •

قال ابن ابى حجلة :

أمسيت فى قصب الجزيرة مغرما ∴ وبقده العسال كالولهان
عيدانه لولا حلاوة طعمها ∴ شبهتها بعوامد الميزان[1]

وقال آخر :

رماح شهد شهدنا أنها انفردت ∴ بطيب طعم فلا طعم يدانيها
تخضّر حينا فتحكى فى تلونها ∴ لون الزبرجد تفصيلاً وتشبيها
مفصلات فصولا بينها عقدٌ ∴ دقت وجلت وفاقت فى معانيها
ليست تطيب ولا يحلو مذاقها ∴ حتى تشيب وما شابت نواصيها

وقال آخر :

تحكيه سُمْر القنا ولكن ∴ تراه فى جسمه طلاوة
وكلما زدته عذابًا ∴ زادك من ريقه حلاوة

وقال آخر ملغزا :

وحاملة دراً حكى الخمر لذة ∴ ونشراً يروى شربه ويقوت
تعيش إذا لم يبد متنها[2] فإن بدا ∴ فمهجتها فى أثر ذاك تفوت
ولم ترعينى مرضعًا فى مثالها ∴ من الخلق تسقى درها وتموت

• فى الموز •

للنجم ابن إسرائيل :

أنعته موزاً شهىّ المنظر ∴ مستحكم النضج لذيذ المخبر
كأنّ تحت جلده المزعفرِ ∴ لقّات زُبْدٍ عجنت بسكر

---

(١) بعوامد = بعوامل فى أ، وقد ورد هذا البيت فى بدائع الزهور جـ١ ق١ .
ص ٥٨ بصيغة «عيدانه لولا حلاوة ذوقها ∴ شبهتها فى الشكل بالمران» .
(٢) تبد منها فى جـ.

وقال آخر:

يحكي إذا قشرته ∴ أنياب أفيال صغار
ذو باطن مثل الأقا ∴ ح وظاهر مثل البهار

وقال آخر:

وموز كأثلاث الدمالج لم يكن ∴ يلبس ثياب[1] حشوهن خبائص
إذا حاصرتهن القطائف أخرت ∴ وردت على الأعقاب وهى نواكص
تهز الصبا أوراقه الخضر مثل ∴ ما أشار بأطراف الأكمة رواقص

وقال بعضهم ملغزا فى الموز:

ما اسم شى حسن شكله ∴ تلقاه عند الناس مخزونا
تراه معدودًا فإن زدته ∴ واوًا ونونًا صار موزونا

وللأديب الشهاب أحمد بن منصور المشهور بابن الجباس الدمياطى قصيدة رائية فى وصف الموز، قال الحافظ بن حجر لا نظير لها:

وكأنما الموز فى عرجانه ∴ وقد بدا يانعًا على شجره
مرفوع شعر فى رأس غانية ∴ تختص من بعلدهم بخيره
كأن فى جمه وعقمصته ∴ أرسل سرابه على أثره
وفى اعتدال الخريف أحسن ما ∴ يرف مثل الداراج فى أزره
كأن أمشاطه مكاحل من ∴ زمرد نظمت على قدره
كأن أشجاره وقد نشرت ∴ ظلال أوراقها على قسره
حاملة طفلها على يدها ∴ تقيه حر الهجير من جمره
كأنه بعد قطعة وقد ∴ أصبح لما نال من فخره
معلقا بالرحا ظاهره ∴ يخبر عن رجى من خبره
يطيب ريحا ويسكن حتى ∴ على أذى فى ديور مصطبره

---

(١) ثياب = أثتنا فى ب، د.

• فى النارنج •

لإبراهيم بن خفاجة :

ومايسة تزهى وقد خلع الحيا ∴ عليها حلى حمرا وأردية خضرا
يذوب لها ريق الغمامة فضة ∴ ويجمد فى أعطافها ذهبا نضرا

وقال آخر :

تأملها كرات من عقيق ∴ يروقك فى ذى[1] روح وريق
صوالج من غصون ناعمات ∴ عدتها درة [2] العيش الأنيق

وقال آخر :

ودوحة نارنج غنينا بفيئها[3] ∴ وقد نشرت أعطافها للتوقد
ونارنجها بين الغصون كأنه ∴ نجوم عقيق فى سماء زبرجد

وقال آخر :

تنعم بنارنجك المجتنى ∴ فقد حضر السعد لما حضر
فيا مرحبا بقدود الغصون ∴ ويا مرحبا بخدود الشجر
كأن السما همت بالنضار ∴ فصاغت لنا الأرض منه أكر

وقال آخر :

وشاذن قلت له صف لنا ∴ بستاننا هذا ونارنجنا
فقال لى بستانكم جنة ∴ ومن جنا النارنج ناراً جنَى

ومن النوادر المتعلقة بالنارنج قال المقريزى فى كتابه السلوك قال : قال لى شيخنا قاضى القضاة ولى الدين بن خلدون : ما كثر النارنج ببلدة إلا أسرع إليها الخراب .

---

(١) ذى = ذرى فى جـ.
(٢) دره = ذرة فى أ، د.
(٣) بفيئها = بضوئها فى هـ.

وفى تذكرة الصفدى : أهدى أبو سعيد إلى المفجع البصرى طبقاً فيه أترج ونارنج وقصب سكر فكتب إليه :

قد أتتنا تحفة ∴ منك على الحسن تزيد
طبق فيه نهود ∴ وخدود وقدود

• فى الكباد •

أما ترى الكباد فى حسنه ∴ إذا بدا فى وسط بستانه
كعاشق أبصر معشوقه ∴ فأصفر من خيفة هجرانه

• فى الليمون •

للسرى الرفاء :

ظللتنا شجرات ∴ عطرها أطيب عطر
فلك الجمه الليمون ∴ فمن بيض وصفر
أكر من فضة ∴ شابهها تلويح تبر

• فى النعناع •

وجاءت بنعناع كأن غصونه ∴ وأوراقه مخلوقة من زبرجد
إذا مسه نفح الحرور رأيته ∴ كأصداغ زنج فلقت[1] من تجعد

• فى الباذنجان •

للشهاب المنصورى :

سقيا لبستان بستاننا ∴ كأنه هامات تكرور
سقته أيدى الغيم كاس الندى ∴ فمال فى خضر الطراطير

(١) فلفلت فى ب، قلقلت فى جـ.

وقال غيره:

وباذنجانة حشيت حَشَاها ∴ صغار الدرّ باللبن الحليب
وغشيت البنفسج واستقلت ∴ من الآس الرطيب على قضيب

● فى الفجل ●

لبعضهم:

لله فجل قد أتتنا به ∴ جارية تخجل شمس النهار
كأنه فى يدها إذ أتت ∴ به لنا غصنا بصوب القطار[1]
سبائكُ من فضة قد صفت ∴ أو مثل أنياب الفيول الصغار

وقال آخر:

وبيضاء من حور الجنان ملكتُها ∴ ولُمْتُ عليها صاحبى وَلِىَ العذْرُ
وما كسيت من سندس الخلد حُلَّةً ∴ ولا معجراً[2] لكن ذوائبهَا خُضْرُ

● فى الجزر ●

انظر إلي الجزر الذى ∴ يحكى لنا لهب الحريق
كمدية من سندسٍ ∴ فيها نصاب من عقيق

● فى القرع ●

لعبد الرحيم بن نافع [3]:

وقرع تبدى للعيون كأنه ∴ خراطيم أفيال لطخن بزنجار
مررنا فعايناه بين مزارع ∴ فأعجب منها حسنه كل نظار

---

(١) غصنا = غضنا فى أ، ب، القطار = العطار فى جـ.
(٢) المعجر: ثوب تشده المرأة على رأسها.
(٣) حسن المحاضرة جـ٢ صـ٤٤٣.

• في القثاء •

لابن المعتز (1):

انظر إليه أنابيبا منضدة ∴ من الزبرجد خضرا ما لها ورق
إذا قلبت إسمه بانت حلاوته ∴ وكان معكوسه إني بكم أثق

وقال أيضاً:

ألا حبذا القثاء أكلاً وحبذا ∴ تكسبه لو كان يدخر من كسب
أتانا به يسعى أغنٌّ مهفهف ∴ كأن جناه من جنى ريقه العذب
كأمثال قضبان الزبرجد أودعت ∴ لآلئ لوزات من اللؤلؤ الرطب

• في الخيار •

خيار حين تنسبه لبيت(2) ∴ كريحان السرور به اخضرار
كأن نسيمه أنفاس حِب ∴ فليس لمغرم عنه اصطبار

• في الفقوس •

شبّهت حين بدا الفقوس مبتهجا ∴ على الرياض بحبٍّ فيه مأسورِ
مخازن من لجين لفّ ظاهرها ∴ بسندسٍ حشوُه حبات كافور

• في سنابل القمح والشعير •

يا حبذا سنبلة ∴ تبدو لعين المبصر
كأنها سلسلة ∴ مضفورة من عنبر

وقال آخر:

كأنما سنبل الشعير وقد ∴ تاه بحسن الجمال والمنظر
سلوك فيروزج منضد(3) ∴ أو سلاسل من زمرد أخضر

---

(1) حسن المحاضره جـ1 صـ442.
(2) خيار إذ يشبه لبيب في ب.
(3) ينظم في جـ، منتظم في هـ.

وقال آخر ملغزا فى سنبل القمح :

بكـرت فى بكـر غــلاســيــه[1] ∴ كـــريمة العنصـــر والأصـل
قـــرينة الوبـل عـــروس الـندى ∴ فـــراجـــــة فى زمـن المحـل
مــــا طـلـعت قط ولـكنـهـــا ∴ كـــهـــيـئـــة المطلوق للحـمـل
لهـــا بـنون كُـــمـلٌ كُــمنٌ[2] ∴ تحت أصـــول الشــعـــر كــالنـمل
مـا إن ترى فى حبسـهـا[3] شعـره ∴ إلا وقــــد كـــبـت[4] علـى طفـل
آخــر بيت فــيــه ذكــر اسـمــهـا ∴ يفـــهــمـــه من كـــان ذا عـــقل
سل نسـوة بـالجـرع قـد[5] هيـجـوا ∴ نـار الـهــــوى بالأعـين الـنجـل

• فى الباقلا •

فــصـــوص زبرجــد فـى غلف دُرٍّ ∴ بأقـــمــــاع حـكت تقـليم ظفــــر
وقـــد حـــاك الربيع لـهـــا ثيـــابا ∴ لهـــا لونان[6] من بـيض وخـضـــر

وقال آخر :

لـى نحـــو ورد البـــاقـــلا ∴ إدمـــــانُ لـهـــــو ولـهـجْ
كــــأنما مــــبـــيـــضَـــه ∴ يــلـــوح فـــى ذاك الـــدعـــجْ
خــــواتم من فـــضــــة ∴ فـــيـــهـــا فـــصــوص من سَـــبَجٍ[7]

وقال البدر ابن الصاحب :

لـلـه يوم بـزرع فــــــول ∴ يلـحظـنى منه زهـره النـضـــيـــر
وعـــبـــرت عن شـــذاه ريح ∴ فـطاب لـى ذلك الـعـــبـــيـــر

---

(١) غلاسته فى أ.
(٢) كملاكهُنّ فى ج.
(٣) جسمها فى أ، حبسها فى د.
(٤) كنت فى هـ.
(٥) قد = من فى د، وهى ناقصة فى ب، د.
(٦) وجهان فى أ، ب.
(٧) السبج : خرز أسود.

وقال ابن وكيع:

ولاح ورد الباقلاء ناظرا ∴ عن مقلة تفتح جفنًا عن حَوَرْ
كمثل ألحاظ اليعافير إذا ∴ روّعها من قانص فرط الحذَر
كأنها مداهنٌ من فضة ∴ مجلّوة[1] فيها من المسك أثر
كأنها سوالف من خُرَّدٍ ∴ قد زينت سوادها سود الطّرر

• فى الحمص •

وحمص عال جليل القدر ∴ أفضل ما استعملته فى عمرى
مثل كرات خرطّت فى الشطر[2] ∴ مثلثات صغرت فى القدر
لو أنها تبقى طوال العمر ∴ لاستعملت فى السلك بدل الدر
وعلقت فى الجيد فوق النحر

وقال البدر ابن الصاحب:

رأيت زرع حمص ∴ وفيه فرط[3] نوّرا
فهل رأيتم حمصا ∴ فى زرعه مجوهرا

• فى القلقاس •

وقلقاسة غضة ∴ إذا ماء الحيا بلها
وهب نسيم الصبا ∴ فهز لها حُلَّها
أتت تتلوى كى نرى ∴ دلالاً لها ولها
كراقصة أقبلت ∴ تشير بكم لها

---

(١) مخلوق فى أ، ب، جـ.
(٢) النظر فى ب، السطر فى جـ.
(٣) وفيه = وقبه فى جـ، فرط = قرط فى جـ.

• فى الخس •

أتانى الغــــلام قــبــيـل الطعـــام ∴ وقــد حم جـــســـمى بخسٍّ نضــيــر
كــــقـضب الـلجين بـأطرافــهـــا ∴ لمبـــصـــرها عـــذبات الحــرير

• فى الهندبا •

ألا حـــــبــــذا الهندبا بقلة ∴ منافــعــهــا جـمـة نافـعــة
لهـــا ورقـــات كـلين الرياط[1] ∴ خـــضـــر بأطرافـــهـــا طالعـــة
وإذا نـاله ذو ســـقـــام أبـل[2] ∴ ولم يـخش مـن بعـــده واقـــعـــة

• فى السداب •

يا حـــبـــذا نبت الســـداب ∴ فـــإنـه نبت عـــجـــيـب
وكـــأن خـــضـــرة لونـه كف ∴ وقـــد فـصلت حـــصـــيب[3]

• فى زهر اللوز •

للبدر الذهبى:

مـــا نظـرت مـقلتى عـــجـيـبًـــا ∴ كـــــــاللـوز لما بـدا نـوَّارُه
اشـــتـعل الـرأس منه شـيــبًـــا ∴ واخـــضـــر من بعـــد ذا عِـذارُه

وقال آخر:

عـجيب لزهر اللوز من أجل سبقـه ∴ يخـــبـــرنـا أن الربـيع لـقـــادم
وأعـــجب شيء مـن مـعـــانيـه أنه ∴ يقـطع مـن أغـــصـــانـه وهو بـاسم

---

(١) الرياط: واحدته ربطة وهى كل ثوب لين دقيق.
* وفى النسخة ب كلين = كملس.
(٢) أبل: أى ذهب عنه وخامة السقام وثقله.
(٣) كف مزيدة من هـ، حصيب = خصيب فى ب.

وقال آخر:

أزهـر اللـوز أنت لـكـل زهـر ∴ مـن الأزهـار تـأتـيـنـا إمــام
وقـد حـسـنـت بك الأيام حـتـى ∴ كـأنك فـى فم الدنيـا ابتـسـام

وقال يحيى بن الخباز:

ولم أنس زهر اللوز عند عـشيـة ∴ وقـد ميلت ريح الـصبـا لين أعطافـه
ومـذ أعـربت فـيـه الطيـور بلحنهـا ∴ فنقط وجه الأرض من بعض[1] انصافه

وقال آخر:

يـا حـسـن أشـجـار لـوز ∴ تـسـقـى بصـوب الـغـمـائم
تـنـاثر الـنَّوْرُ مـنـهـا ∴ كـالـدر مـن كـف نـاظـم
كـأنـه فـوق بـسـط ∴ الـريـاض نـثـر الـدراهـم
أو غـادت قـد تـهـاوت ∴ مـن خـنـصـريـهـا خـواتم

• فى الخطمى •

لبعضهم:

وقـد بسط الربيع لنا بـسـاطا ∴ بـديـع الـروض مـن نـقـش أنـيـق
يـلـوح بـه مـن الخـطـمـى ورد ∴ كـأقـداح خـرطن من العـقـيق

• فى زهر الدراقن •

للصلاح الصفدى:

دراقـن أزهـر فـي دوحـه ∴ كـخـد صـبـا بـات يبكى دمـاء
محـمـرة يزهى بمبـيـضـه ∴ كـجـمـرة حـمـرا ثجت بماء

(١) بعد فى أ، ب، جـ.

• ذكر النخل وما يتعلق به •

قال تعالى: ﴿والنخل باسقات لها طلع نضيد﴾، وقال تعالى: ﴿فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام﴾، وقال تعالى: ﴿وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا﴾، وقال تعالى ﴿ومن النخل من طلعها قنوان دانية﴾.

وأخرج ابن المنذر فى تفسيره عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى: ﴿والنخل باسقات﴾ قال: الطوال، وأخرج عن عكرمة قال: الباسقات الطوال والنضيد المتراكم.

وأخرج عن عبد الله بن عثمان بن خيثم قال: سألت عكرمة عن هذه الآية ﴿والنخل باسقات﴾ فقلت: ما بسوقها؟ قال طلعها [١]، ألم تر إلى الشاة إذا حان ولادتها يقال لها بسقت، قال: فرجعت إلى سعيد بن جبر فقلت له فقال: كذب، بسوقها طولها فى كلام العرب ألم تر أن الله قال: ﴿والنخل باسقات﴾ ثم قال ﴿لها طلع نضيد﴾.

وأخرج أيضاً عن ابن عباس ﴿والنخل ذات الأكمام﴾ قال: أوعية الطلع، وأخرج بن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله (ومن النخل من طلعها قنوان دانية) قال. المتهدلة من عروق النخل. وقال تعالى ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها﴾.

أخرج الترمذى والنسائى والحاكم فى المستدرك وصححه وابن حبان فى صحيحه وأبو يعلى والبزار فى مسنديهما وابن جرير وابن أبى حاتم قال: أتى رسول الله بصاع من بسر فقال «مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة» قال: هى التى لا ينقص ورقها هى النخلة، وأخرج البخارى عن ابن عمر قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أخبرونى عن شجرة تشبه أو كالرجل المسلم لا يتحات ورقها تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها قال ابن عمر فوقع فى نفسى أنها النخلة فقال رسول الله (ص) «أتدرون أى شجرة هذه. قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: هى النخلة» فقال عبدالله بن عمر: والذى أنزل عليك الكتاب لقد وقع فى نفسى أنها النخلة ولكنى كنت أصغر القوم ولم أحب أن أتكلم، . فقال رسول الله (ص) عند ذلك: «ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير».

---

(١) طولها فى د.

وأخرج البخارى ومسلم وأبو عوانة وابن حبان فى صحاحهم من طرق عن ابن عمر قال: كنا عند النبى ﷺ فأتى بجمار فقال: إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم أخبرونى ما هى؟ فوقع الناس فى شجرة البوادى ووقع فى نفسى أنها النخلة ولفظ أبو عوانة فظننت أنها النخلة من أجل الجمار الذى أتى به، فأردت أن أقول هى النخلة، فإذا أنا أصغر القوم، ورأيت أبا بكر وعمر لم يتكلمان، فكرهت أن أتكلم فقال رسول الله ﷺ هى النخلة.

وأخرج الحارث بن أبى أسامة فى مسنده عن ابن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ ذات يوم فقال: «إن مثل المؤمن كمثل شجرة لا تسقط لها أنملة أتدرون ما هى؟ قالوا: لا، قال: هى النخلة لا تسقط لها أنملة ولا تسقط لمؤمن دعوة».

قال الحافظ ابو الفضل ابن حجر فى شرح البخارى: عرف من هذا الحديث وجه الشبه بين النخلة والمسلم من جهة عدم سقوط الورق.

قال: وفى لفظ عند البخارى إن من الشجر لما بركته كبركة المسلم. قال: وهذا أهم من الذى قبله، وبركة النخل موجودة فى جميع أجزائها مستمرة فى جميع أحوالها فمن حين يطلع إلى حين ييبس تؤكل أنواعا ثم بعد ذلك ينتفع بجميع أجزائها حتى النوى فى علف الدواب والليف فى الحبال وغير ذلك مما لا يخفى، وكذلك بركة المسلم عامة فى جميع الأحوال ونفعه مستمر له ولغيره حتى بعد موته.

ووقع عند ابن حبان عن ابن عمر أن النبى ﷺ قال: «من يخبرنى عن شجرة مثلها مثل المؤمن أصلها ثابت وفرعها فى السماء» فذكر الحديث. قال القرطبى: موقع التشبيه بينهما من جهة أن أصل دين المسلم ثابت وأن ما يصدر عنه من العلوم والخير قوت للأرواح مستطاب وأنه لا يزال مستوراً بدينه، وأنه ينتفع بكل ما يصدر عنه حياً وميتاً.

وأخرج البزار فى مسنده بسند صحيح عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمن مثل النخلة ما أتاك منها نفعك.

وأخرج البيهقى فى شعب الإيمان عن ابن عمر عن رسول الله ﷺ قال: «مثل المؤمن كمثل النخلة إن صاحبته نفعك وإن شاورته نفعك وإن جالسته نفعك وكل شأنه منافع، وكذلك النخلة من جهة كون النخلة إذا قطع رأسها ماتت وأنها لا تحمل حتى تلقح وأنها تموت إذا غرقت وأن ريح طلعها كرائحة منى الآدمى وأنها تعيش وأنها تشرب من أعلاها وأنها خلقت من فضلة طين آدم».

وأخرج أبو يعلى فى مسنده وابن أبى حاتم فى تفسيره وابن السنى فى الطب النبوى عن على بن أبى طالب قال: رسول الله ﷺ: «أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذى خلق منه آدم عليه السلام وليس من الشجر شىء يلقح غيرها».

وقال رسول الله ﷺ: «أطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران».

وأخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره عن الشعبى قال: كتب قيصر إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رسلى أتتنى من قبلك فزعمت أن قبلكم شجرة ليس بخليقة لشىء من الشجر تخرج مثل آذان الحمير ثم تنشق مثل اللؤلؤ ثم تخضر فتكون كالزمرد الأخضر ثم تحمر فتكون كالياقوت الأحمر ثم تينع فتضح فتكون كالطيب فالوذج ثم تيبس فتكون عصمة للمقيم وزادا للمسافر فإن تكن رسلى صدقتنى فلا أرى هذه الشجرة إلا من شجر الجنة. فكتب إليه عمر: من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى قيصر ملك الروم، إن رسلك قد صدقوك، هذه الشجرة عندنا هى الشجرة التى أنبتها الله على مريم حين نفست بعيسى ابنها، فاتق الله ولا تتخذ عيسى إلها من دون الله فإن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون.

وقال القالى فى أماليه: حدثنا أبو عبدالله إبراهيم بن محمد ابن عرفه النحوى الأزدى. حدثنا إسماعيل بن إسحاق الأزدى حدثنا على بن عبدالله. حدثنا سفيان. حدثنا الربيع بن لوط بن البراء. قال: ذكروا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه أيهما أفضل الرطب أم العنب فقال عمر رضى الله عنه أرسلوا إلى أبى حثمة فقال: يا أبى حثمة أيهما أطيب العنب أم الرطب فقال: ليس كالصقر فى روس الرقل الراسخات فى الرجل المطعمات فى المحل تحفة الصائم وبغلة الصبى ونزل مريم بنت عمران، وينضج ولا يعيى طابخه، ويحترش به الضب من الصلعاء، ليس كالزبيب الذى إن أكلته ضرست وإن تركته عرشت.

قال القالى: الصقر الدبس بلغة أهل الحجاز والرقل الطوال من النخل واحدتها رقلة والنزل ما يساغ من الطعام ويحترش يصاد والصلعاء الأرض التى لا نبات بها.

وقال الدينورى فى المجالسة: حدثنا محمد بن عبدالعزيز، حدثنا أبى عن يزيد بن مطير قال: قال محمد ابن إسحق: كل نخلة على وجه الأرض فمنقولة من الحجاز نقلها النماردة إلى المشرق ونقلها الكنعانيون إلى الشام ونقلها الفراعنة إلى باب إليون وأعمالها وحملها التتابعة فى مسيرهم إلى إليمن وعمان والشجر وغيرها.

وقال صاحب منباهج الفكر: يقال أن مما منّ الله به للإسلام، والنخل أنه قدر جميع نخل الدنيا لأهل الإسلام فغلبوا على كل موضع هو فيه.

وأخرج ابن المنذر فى تفسيره : حدثنا موسى ، حدثنا يحيى حدثنا شريك عن أبى إسحق عن رجاء ابن حيوة قال : يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة فيه إلا ثمرة واحدة وقال : حدثنا موسى . حدثنا يحيى . حدثنا وكيع عن شريك عن أبى اسحق عن رجاء بن حيوة عن كعب مثله .

وفى تذكرة ابن حمدون : حكى أن النظام جاء به أبوه وهو حدث إلى الخليل بن أحمد ليعلمه فقال له الخليل يوما يمتحنه وفى يده قدح زجاج : يابنى صف لى هذه الزجاجة فقال بمدح أم بذم ؟ قال : بمدح . قال : تريك القذى ولا تقبل الأذى ولا تستر ما وراءها . قال : قذمها ، قال : سريع كسرها بطىء جبرها . قال : فصف هذه النخلة وأومىء إلى نخلة من داره ، قال : بمدح أم بذم ، قال : بمدح ، قال : هى حلو مجتناها باسق منتهاها ، ناضر أعلاها ، قال : فذمها ، قال : هى صعبة المرتقى ، بعيدة المجتنى ، محفوفة بالأذى . قال الخليل : يابنى نحن إلى التعلم منك أحوج .

ومن اللطائف . قال الأدفوى : أخبرنى العدل أبوبكر خطيب إدفو أن جمارة طرحت ثلاثة شماريخ ، فى كل شمروخ تمرة واحدة ، وأنه قلع الجمارة بأصلها ووزنها فجاءت خمسة وعشرين درهما كلها بجريدها وخشبها وذلك بإدفو . نقله المقريزى فى الخطط .

ومن اللطائف : قال الحافظ ابن حجر فى إنباء الغمر : حكى شرف الدين محمد بن عبدالواحد نزيل هُوّ عن ناصر الدين محمد بن محمد بن عطاء الله قاضى هُوّ أنه كان بجانب داره نخلة جربها بضعا وثلاثين سنة فإن قل حملها توقف النيل وإن كثر زاد وإنها سقطت فى سنة ست وثمانمائة فقصر النيل تلك السنة ووقع الغلاء المفرط .

فائدة: ذكر الشيخ بدر الدين الزركشى فى كتابه المسمى عمل من طب لمن حب ومن خطه نقلت : أن النخلة لا تسمى شجرة وإن قوله › فيها «إن من الشجر شجرة» على سبيل الإستعارة لإرادة الألغاز ، انتهى وفيما قاله نظر فإن الأحاديث والآثار متطافرة على تسميتها شجرة فى غير محل الألغاز وقد سميت فى القرآن شجرة فى وقوله تعالى « كشجرة طيبة» وقد تقدم تفسيرها بالنخلة . ثم رأيت التصريح فى كلام أهل اللغة بتسميتها شجرة . قال الزجاجى فى كتاب الاشتقاق النخل يسمى الشجر . قال الشاعر :

وأخبث طلع طلعكن لأهله ∴ وأنكد ما خبرت من شجرات[1]

(١) وأخبث = وأحيث فى د ، وأخبرت = ما خيرت فى د .

• ومما قيل فى النخل•

روضٌ كمخضرّ العذارِ وجدول ∴ نقشت عليه يدُ النسيم مواردا
والنخل كالهيف الحسان تزينتْ ∴ فلبسن من أثمارهن قلائدا

وقال آخر:

إن للنخل فى التشابه عندى ∴ ابتكارا محير الأذهان
كجوار غدين يرقصن لهوا ∴ غاريات الرءوس والأبدان
قد تقلدن فى النحور عقودا ∴ خذ تشابيهها بنطق لسانى
لؤلؤا كان أولاً ثم أضحى ∴ عن قليل زبرجد كالبنان
وكذا بعضها يعود سريعا ∴ كما حبل صيغه البهرمان
وكذا بعضها سبائك تبر ∴ لطخوها من خالص الزعفران

وقال الشريف الناسخ:

ونخلة قد علت سمواً ∴ وانخفضت دونها الجبال
فمن شماريخها الثريا ∴ ومن عراجينها الهلال

• فى الطلع•

لبعضهم:

كأنما الطلع يحكى ∴ لناظرى حين أقبل
سلاسلا من لجين ∴ يضمها حقٌ صندل

وقال ابن المعتز:

أفدى الذى أهدى إلينا طلعة ∴ أهدى إلى القلب المشوق بلابلا
فكأنما هى زورق من صندل ∴ قد أوسقوه من اللجين سلاسلا

وقال الوكيعى:

وطلع هتكنا عنه جيب قميصه ∴ فيا حسنه من منظر حين هتكا
حكى صدر خود من بنى الروم هزها ∴ سماع فقدت عنه ثوبا ممسكا

• في الجمار •

أهدى لنا جمّارةً ∴ من لست أخشى من عذابه
فكأنما هي جسمه ∴ لما تجرد من ثيابه

وقال آخر:

ظبي بدا وبكفه جمارة ∴ فيها سرور الناظر المتأمل
كعمود كافور إذا هي أبرزت ∴ من ليفها يعلوه مسحب صندل

• في البلح الأخضر •

أما ترى النخل نثرت بلحا ∴ جاء بشيرا بدولة الرطب
مكاحل من زبرجد خرطت ∴ مقمعات الرءوس بالذهب

• في الأصفر •

أما ترى البسر الذى ∴ قد جاءنا بالعجب
مكاحلاً من فضةٍ ∴ قد طُليت بالذهب

• في الأحمر •

انظر إلى البُسْر إذ تبّدى ∴ ولونه قد حكى الشقيقا
كأنما خوصه عليه ∴ زبرجدٌ مثمرٌ عقيقا

• في الرطب •

أما ترى الرطب الجنى لأكله ∴ حلواء أعدت لنا من صنعة البارى
ما باشرتها يد العقاد من عمل ∴ في الدست يوما ولاحطت على النار

وقال سيدى محمد وفا الشاذلى نفعنا الله تعالى به :

نثــــر النخـــيل علينا رطبـــا ∴ مــــذهب اللون ولـون بالســـبج
فى صـفـــائحـه مـا قــد حكى ∴ فــضــة بيـــضـــاء يعلوه لـهج
حاصل فى وضحه ليس بها[1] ∴ إذ يحـول الطرف فـيهـا من عـوج
حـول الحــميـم رأينا لجـجـا ∴ ليس يحكيـــهـن فى الأرض لجج
ولنـا فى كـل حين حـــولـهـــا ∴ من نبـــات الأرض زهر[2] وفـــرج

ومن رسالة لابن الأثير أنشأها إلى الملك الظاهر غازى بن يوسف ابن أيوب يقول فيها «وقد أهدى المملوك من الرطب وما يتجلى من صنعة الوارس [3]، ويزهى يحسنه حتى كأنه لم يدنس بيد لامس، وماسمى رطبا إلا لاشتقاقه من الرطب الذى هو ضد اليابس، وقد أثنى عليه رسول الله ثناءاً جماً وفضل شجرته على الشجر بأن سماها أما، ولئن عدم عرفاً لذيذاً فإنه لم يعدم منظراً ولا طعما، وله أوصاف أخرى هى لفضله بمنزلة الشهود، فمنها أنه جعل أول غذاء يفطر عليه الصائم وأول غذاء يدخل بطن المولود، وأحسن من ذلك أنه معدود من الحلوى وإن كان من ذوات الغرس، ولا فرق بينهما إلا أنه قال ما من ثمرة إلا وهى صنع الناس، وإذا أنصف واصفه قال ما من ثمرة إلا وهى عنه قاصرة، ولو تفاخرت البلاد بمحاسن ثمارها لقامت أرض العراق به فاخرة، وما قد سار إلى باب مولانا وهو مجنى المنابت سار إلى مجنى الكرم، وملك الفاكهة وقد علا ملك الشيم [4]، ولما استقلت به الطريق أنشأ الحسد لغيره من الفواكه أدبا، ومنها إلا من قال ياليتنى كنت رطباً».

وقال بعضهم ولغزا فى الرطب

مـــا اسم يروقك شكلـه ومـذاقــه ∴ وإذا عكست فــعكســـه مـذمـــوم
رطب وفـــيــه مـرارة ويبـــوســه ∴ بادى الصـفـــات وبعـضـه مكتـــوم

---

(١) فى جـ «من عمل حاصل فى لبن بها»
(٢) زهو فى أ، زهو فى د.
(٣) البارس فى جـ.
(٤) النسيم فى ب، اليتيم فى جـ.

ومن تأليف الشهاب محمود ملغزا فى النخل:

يا إماما أصول علومة ثابتة، وفروع فنونه فى سماء الفضائل باسقة، وفى رياض العيون ثابتة، ما شيء يبهج الناظر مرآه، ويزين الرياض النواضر منشاه، إن صحفته طار فى الهواء، ووجد فيه الجمع بين الداء والدواء، فإن عكسته بعد تصحيفه ذم به اللسان، وسقط بسببه الإنسان، وربما اتصف به من تزده معرفته رفعة، ولم تظهر له وإن كثر سماعة بين أهل الحديث سمعة، فإن أسقطت عند ذلك أوله كان وصف من حن إلى أوطانه، حنين النجيب إلى أعطانه، وإن خططت رتبه إعجامه أول حروفه، وعمدت بعد استقامته إلى تحريفه، ذم المتصف به بين جنسه، وكانت جنايته فى نفس الأمر على نفسه، وإن أفردته نقص عدده، وقل عند ذلك مدده، وقصر عن رتبة الغنا من حوته يده بل وربما علوته بسبب، وجنيت من ثماره ماهو أشهى من الضرب، واستحب ذلك منه وإن عد من ذوات المحارم فى اللفظ دون النسب، وله نتاج تختلف ألوانها، فترد فى كل عام ولا يتغير زمانها، فمنها ما يسر تصحيفه، ويروق انتظامه وتلفيفه، وإن قلبته رسب، ورد مصحفه ذا الجماح وانشعب، أبنه فقد أوضحته لديك، وجلوت عرائسه عليك.

ومما يتعلق بالنخل فى الجملة، قال الشريف هاشم ابن إلياس المصرى:

كأن بياض البدر من خلف نخلة ∴ بياض بنان فى اخضرار نقوش

وقال آخر:

والبدر يشرق فى خلال غصونه ∴ مثل المليح يطل من شباك

مفاخرة بين الرطب والأعناب

حدثنا أبوالقاسم التواب، أن أبا عبد الله البواب، لما قيل عنه ماقيل، نودى فى الحال أن لا مقيل، فتوجه إلى جلق وما نوى[1]، وكان كبرق تألق ثم انطوى، ولما دخلها قصدت إليه، وخيلته وما اشتملت عليه، فقال: يا أعز الأحباب، هذه مفاخرة الرطب والأعناب.

هذه مفاخرة الرطب والأعناب أحضرها بعض أصحابى، يشغلنى عن مصابى، ثم ناولنيها فوجدت فيها تناظر النخل الباسقات، والكروم المتعلقات فى أيهما أشهى[2] وأنفع للأنام، وأشبه بآدم عليه السلام.

قال النخيل: نحن بنات الأعسام، ذوات الأكمام، وفينا خاصة الإيناس، وقرب النسبة[3] بالناس، ولحملنا النضارة والطلاوة، واللطافة والحلاوة، نؤتى أكلنا كل حين بإذن ربنا، والسنن النبوية شاهدة بقربنا، وطلعنا نضيد رزقا للبعاد، رطب وثمر وعجوة وأزواد، وإنا لمفضلون فى الكتاب، بتقديم ذكرنا على الأعناب.

فقال الكرم: بل نحن إلى الإنسان أقرب، وبه أشبه، وثمرنا أطيب، وميلهم إلينا أكثر، وأغنياؤهم بنا أشهر، وإن شاكل النخل من الأناس[4] الأشباح، فإنا نشاكل منهم الأرواح، ولنا القطوف الدانيات، والطعوم اللذيذة النكهات، والألوان الرائقة، والخواص الفائقة، ثمرنا يخصب الأبدان، ويدر الألبان، ويصلح الكبد، وينفع المعد، ويغذو ويسر، وينقظ ولا يضر، ويحلل ويلين، ويرطب ويسخن، وإنه لمفضل على ثمر النخل، بنص الكتاب فى سورة النحل، فما للنخل من تعاظم علينا، ولا تطاول بفضل إلينا، ولو لم يكن الرأس وهو الذنب، لما ورد أيكفر بخالق العنب.

قال النخل: ليس الأمر كما قلت، ولا المدح كما غفلت، أليس منك من يحط الإنسانية من رتبة الملائكة إلى رتبة الحيوانية، وهو جماع الإثم والكبائر، ورأس الشر وباب الحقائر.

فقال الكرم: قد قلت يا نخل شططاً، وغلطت خطأ، وأخطأت غلطاً، فمن أين لك هذا التخصيص، يامن ثمرته الحشف والشيص، رأسك مأوى الحيات، وجسمك نتين الجنات، وأنت صعب المراس، والشامخ على الناس بالراس، خوصك أخشن من ورق القصب،

---

(١) لوى فى ب، د.
(٢) اشتهر فى أ، جـ.
(٣) الشبه فى أ، و.
(٤) الناس فى ب.

وثمرك يجنى بالنصب [١]، ومن خيلاتك المنسوب إليك، لا تثبت قدم الراقى عليك، يا دقل، أنا العقل، ليس الفخار بالجذوع العظام، ولا بثمر نواه كالعظام، بل أنت بما هو نفع كله، أصله وفرعه، وغصنه وزهره وحمله، ولقد أخطأت أيها النخل، الذى تصحيف اسمه البخل، وتعديت يا غير محترم، على اسم الكرمة المشتق من الكرم.

فقال النخل: قد تطاولت يا من لا يفلح بغير غرسه، ولا يطرح قائما بنفسه، تزاحم شجراتك الحشائش، وتأكل ثمارك النو امش، يا من سوقه عيدان، وغصونه ديدان، لضعف فيك انفرشت، وعلى الأعواد عرشت، مثل ضرب المثال، وقيل فيما قال.

حصل خصالا تكن[٢] مجداً تعيش به ∴ بين الأنام ولا تركن إلى بشر
وتكونن مثل الكرم رام علا ∴ بغيره فغدا كَلاً على الشجر

ثم كلح وجه النخل من الغيظ، وكاد يهتز من الغيظ، وقال: ما من كبره وضعه، وبغيه صرعه، لولا عناية الأجواد، لم تعل على الأعواد، فاستتر بالأوراق، وخفض من التراق، ولا تفاخر بقلة الماء، من أصلها ثابت وفرعها فى السماء، وإنها تعمر بيتا وتمونه، وتكن ساكنه، وتكسوه ويعلف دوابه، ويؤتى كل حين صبغه وشرابه، فجذعها جسور البيت وأخشابه، وليفها والجريد سقفه وأبوابه، والسعف والكرب جدرانه وسحطه، والخوص والقلب شرحه وبسطه، والطلع والثمر قوت الساكن، والجذع ماعون تغاير ومراكن، واللب الأبيض مراوح وقباب، ونوى التمر علومة الدواب، ودقائق العرجون خيوط وحبال، وغليظ الخوص قفاف وسلال، والليف الأبيض عمائم وثياب، والدبس [٣] والسيلان صبغ وشراب، وسطح الجمار كن كنين، وعند المخافة حصن حصين، والتمر حلو يحب بنفسه، وقوت وحده، نخله وغرسه، وفاكهة وغدا، ومتجر وردا، فهل للكرم الحقير الذميم، مثل هذا النفع العظيم، ثم فى طلعى وجمارى ومائى، وبسرى وسائر اجزائى، من النفع والخواص، ما يعلمه العام والخاص، فدونك الظل ليسلم قشك، وادرج ياكرم فماذا عشك.

قال: فتعلق الكرم بالنخل وطلبا التنافر إلى ابن أبى طانب، إذ هو الحاكم فى هذه المطالب، وجعلا الإقصاد من الكلام، على أيهما أشبه الأنام، فمن كان أشبه وأنفع للبشر، كان المفضل على جنس الشجر، ثم تأدبا للتقاضى، وتمثلا لدى القاضى:

---

(١) النصب: التعب.
(٢) تخذ فى أ، هـ.
(٣) الدبس هو العسل المستخرج من الرطب.

فقال النخل: إنا خصمان بغى بعضنا على بعض، وقد طال مطال الإبرام والنقض، وما تقاضينا، حتى تراضينا، بأن الأشبه منا بالإنسان، هو الأفضل من ذوات الأغصان، فاستمع مقالى ومقاله، وها أنا أسأل سؤاله.

قال: فليذكر النخل ما عنده، ثم يجيب الكرم بعده.

قال النخل: أيها الإمام، أنا أشبه من الكرم بالأنام، لأن رأسى كرؤوس الناس، وأحب اللقاح والأنس والمراس، وريح طلعى كريح المنى منهم، وأغذوهم ويغذونى بالخارج عنهم، وأحب وأبغض وأحبل باللقاح، وأمرض بالبرد والحر والرياح، وينشق القشر عن طلعى المنضود، كانشقاق المشيمة عن المولود، وهذا أيها القاضى ما إلى، فاحكم بالفضل لى أو علىّ.

قال: حتى اسمع كلام الدالية، وإن كانت كلمة النخل هى العالية.

قالت الكرمة بعد الاستفتاح: أيها القاضى، أنا شبيهة الأرواح، لطفى وسرى يشاكل الإنسانية، وبيتى وتعريشى يشابه البنية، فساقى القائم وفروعى العراض، كأوداج الإنسان وأعصابه الغلاظ، وأغصانى اللطاف والخفية، كالعروق البياض والليطية، وتملى الأغصان بالماء، كتملى العروق بالدماء، والحكم قديم لمولانا، فاحكم بالقصد لأولانا.

قال: إن النخلة قريبة إلينا، والكرمة حبيبة لدينا، أوراق هذه حسان نضرات، وسعاف هذه دائم خضرات، والزبيب والعنب، كالقصب والرطب، ثمرات مكرمة، ومياه محرمة، وكل يقطف ويكال ويوزن، ويؤكل ويعصر ماؤه ويخزن، والغدا الصالح الدهن والتمر، والشراب المحرم السكر والخمر، ثم رفع الحاكم راسه، وأنشد جلاسه:

بين الدوالى ونخلنا نسب ∴ كلاهما بالهواء يضطرب
فهما سواء والفرق بينهما ∴ إنهما شاسع ومقترب
طلعهما دائم وأكلهما ∴ لنا وهذا عليهما يجب

قال: فخر النخل راكعاً، وذل الكرم خاشعاً، وقالا: يا حاكم الحكام.

فقال: الصلح سيد الأحكام، والحاكم لا ينصر العنب على التمر، ولا يفصل بينهما بأمر، وإن أراد النخل النصرة، فليأت برطب البصرة، وإن إختار العنب اللطائف، فليحضر عنب الطائف.

قال: فذهب النخل يهرول، وولى الكرم يولول، حتى غابا عن العين، وصارا خبراً بعد عين.

مفاخرة التين والعنب

للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن محمد بن محمد بن المحب

الحمد لله الذى منح عباده من فضله الأتيان والأعناب، وذكرهما فى كتابه العزيز تبصرة وذكرى لأولى الألباب، وتمنن بالعنب وترجمه وفخمة وكرر ذكره، وأقسم بالتين لنبيه على كثرة فضائله ومنافعه وبعظم قدرة، وجعلهما من ملوك الفاكهة وفضلهما والنخيل على سائر الثمار، وأسكنهما الجنان فطابت بهما وزانت وحصل للنفوس بهما الاستبشار، ونوع لهما من جنس كل منهما أنواعا، ليكون له فى المملكة من جنسه أشياعًا وأتباعا، كالوزراء والنواب والحجبة والخدام والعساكر، فتتفرق فى الناس للتآلف بهما ويجتمع لديه فى الدساكر، فإذا حل حلوا مبتهجين فى حلل مدهشة الألوان لحلوله، وإذا قفل قفلت الخاصة معه ما بقيت استحالة حالة لقفوله، فيفقد ناظر الناظر فى رياضها نضارتها من غصنها الناضر الوريق، ويجدها كف كأنها فى كرة كنة مكنونة مزيلة تعد حسنها الأنيق، ولكنها فى ليالى الشتاء ومجتمع الأحباب، لنا منادمة لطيفة وخبر عجاب، فإذا عاد الملك من قابل عادت الخاصة ببهجتها لحضرته والتفت الأعوان، واصطفت الجيوش لمن يهوش أو يميس وقام البطل وقعد الجبان، فسبحان من جعل العام فصولاً أربعة، وجعل لكل منها ثماراً متنوعة.

فلما عزم الربيع على الرحيل مولياً بمشمشه وتوته بعد وروده، أولاً برياضه الخضر وبروده المميزة بين أزهاره وورده، أقبل الصيف ميمماً بجيوشه وعساكره، وجمع ما كان متفرقا عنه فى دساكره، فأول ماقدم قدم من مطالعه شاليشا المفدى عنبا سابقا، فلاهمه ووقره فى ميدان سبقه التين الحبيب سائقا، فعاتبه العنب عند ذلك وقال:

أيها الحاطم جهلا إن كنت جليدا فتلبث للنزال، وأنشد قائلا بارتجال فى المعنى والحال:

أيهـــــا الجلــف الطـويـل ∴ فـــإنك الجـــافى الثـــقـــيل
قـــد زدت طولا غـــيـــر طـولك ∴ مــــــا أنت إلا عــنشـلـيـل

فقال له التين: ومن تكون ياردى الفعال، يا حامض الطعم فى المبدأ وغالبك أيضا فى المال، وأنا المليح شكلا وفعلا لا أزال، فلحسن جناى أجني وأؤكل بالغدو والآصال.

فقال له العنب: أيها الظالم فى قوله وفعله، والمنتسب إلى شىء ليس هو من أهله، ألست الردىء الدلع الثقيل على القلب، المصلح إفساده للمعدة بشىء من القلوب لوزا فتؤكل به أو جوزا، أو انيسون فإن اتفقا معا خير لك لكى تنال فوزا، وأنا المليح المنتظم فى عقده، والرشيق

الرجيح فى قده، والمختلف الأنواع والطعوم، ومنى نوع عجيب يذهب الهموم، فالنفوس جميعا لا لهوانى تهوانى، والقلوب أرى إنى أراها تميل إلىّ قبل أن ترانى. وأنشد:

وكل لما يهــــواه منى طالب ∴ وللناس فيما يعشقون مذاهب
فمن رام منى ليل وصل أطعته ∴ وفى كل ما يهوى محب وراغب

وأنا المقيم صيفا وشتاءا على طول المدى، غضا طريا بهيا شهيا منضدا.

فقال له التين: لم تعاظمت بمذموم وذكرت، وأطنبت فيما فخرت وفجرت، أتتبجح إنك للعجوز أم الخبائث أب، وهى التى من اقترف منها ـ لله عز وجل ـ أقرب غضب، وكان حقا عليه أن يسقيه من طينة الخبال عصارة أهل النار، ويحرمه فى الآخرة شربها إن مات وهو على تلك الحالة يعنى الإصرار، وأنت السقيم السطيح الملقى على القفا، ولولا الوساد والإسناد لإندرس رسمك وعفا، فأنت كالميت لازلت على السرير محمولا، وبالقار مزملا والبرد مزبولا، ومع هذا فأنت ظالم فى فعلك، غادر بمن قرب منك من أبناء جسك، ملت عليه ووثبت وثبة جائر ولففت عليه معظم حبالك، ردعت بها فعاد هالكاً بعد ذلك، فهذه عين الوقاحة والقحب مع أن جميع أنواعك أناث أيمات، غير أن منهن عواقر لا تلقحن ولا يلقحن فهن خبيثات عقيمات، وأنا الحامل القائم فى الجو على ساق، يروحنى النسيم بالعشى والإشراق، فتنمو بى أصولى وفروعى، وتتنوع به أغصانى وتشد جذوعى، فأنا كالعروس أجلى دائما ثم أخلى فى كل عام بعقد جديد مع فحل لاقح من فحولى كرام وأغطى جسدى ووجهى بأوراقى، وأكشف عن لبى وقلبى كرما لقطافى وذواقى، وأبكى وأخشع عندما يهجرنى الأحباب، ودمعى يحفنى إذا ذاب، أحلى من السكر الجلاب، وقد أحسن فى القائل وأصاب، حيث قال عنى وأجاب:

التين يعدل عنى كل فاكهة ∴ إذا بدا لا يجافى حسنه الزاهى
يخمش الجلد قد لانت معاطفه ∴ كأنه راكع من خشية الله

ومن حبى واشتياقى وعزتى على الناس، يجعلون على شبهى إذا فعدونى سكرا ولكن بغير القياس، وأنت مشبه عندهم بالقطن أو بالشمع، وأين هذا من ذاك: هذا ضرر وهذا نفع، فأنا منسوب إلى السكر تشبها وشهرة عند النداء، والسكر لاشك أطيب من التمر وقد فقت عليه بلا اعتدا، وأنت مشهور منسوب إلى الرطب، وهو لاشك أفخر منك وأطيب فتبين بهذا فضلى عليك بدرجتين ووجب، وإنى أفوق على الحلواء وعنصرها فالناس تطبخها والله يخلقنى، حلوا طريا بذاتى غير منحرف طعمى ولا أحد بالنار يحرقنى . .

فقال له العنب : أيها التين المناظر ، إلى متى أنت فى الحق مكابر ، أما علمت أن الأمير على السرير جالس ، وحوله الخدم قياماً تطيف به فى المجالس ، وهل أنت إلا من جملة الخدم لى والماليك ، مدون عندى فى زمرة الزنوج والصعاليك ، ومع هذا فليس فيك شىء حسن فتذكر ، ولا دونك قبيح قط فتهدر ، ولا أنت ممن يتناسى فيذكر ، لأنك عشنق عنشليل ، ذو عجر ونجر ، فحرمك من خرمك ، قاحل صلع كأنك[1] عرفج ، لكنه ضعندند ضغنفس ، عنجل بهنج ، وجلدك أيضا جلد حالك خشن غير مدعلج ، وأطرافك محدودبة ، وعالجهم بقتل المعرج ، وأطمارك أيضا خيمته ملبدة ضخمة ، كأنها فلج مصطخمة ، ذو ضخرة قد علاها غبار وصغار ، نكشت وتساقطت فعريت ، واعتراك التخمة ، وظلك مكروه عند ذوى العرفان ، لأن له عاقبة وخمة ، وأنت مبتلى بداء قبيح كالجدرى شكلاً وفعلاً وهو الحلازين ، يذوب وبدلى ويعرى فغرقت مالحاً ولا زين ، وحملك أيضا دائم قليل الثبات فى أصله ، هذا إذا بذلت جهدك فيه عاماً بعد قلة حمله ، ولولا البعوض باللقاح له بعد ذلك تنكح ، لما كان يملك نفسه سقوطاً ومن كان كذا كيف يفلح ، وقد أثرت عليك هذه الحالة الشنعى ، بأن غاض البعوض عند تناهيك ديدان بقلبك ترعى ، وتنشق أيضا فيأكل منك الحشرات ويلقى دائما فيك ، فتنتفخ وتسيل وتتلف بغير نفع ولا يمكن تلافيك ، ومكثر الأكل منك سبيلى فى جسده وينمى القمل ، ويغشاه عقيب أكلك غول ويبقى لساعته كشبه الثقلة بالحمل ، وبحصول هذا الأذى منك كنت إذا أكلت فى الجنة من قبل ، سبباً لإخراجنا مع آدم منها وتشتيتنا بعد جمع الشمل ، ومع هذا فأصلك الكثيف بسقف الكنيف موصوف ، وإذا طبخ منه قدحان وقوده بقطع اللبن معروف ، وإذا شمه الأدر المسكين يوما فليس تملك نفسه ، سيما عند من وجع فى المثانة والخصية مسه ، ومأوك أيضا لقطافك سم ناقع ، وضرك فيهم أقوى من المنافع ، وأنا الرقيق الخصر بسط القصب ، وأوراقى بأغصانى كزمرد على قضب الذهب .

موال :

عرائس الكرم رب العرش حلاها ∴ بأحسن ملابس وحمضها وحلاها
وفى الخطب لمن أخفاها تولاها ∴ حتى أجرت من مخباها مدلاها

وعرف أزهارى وطيب ظلالى يشفيان السقيم من الوصب ، وثمارى حين تجنى تزهو على طيب الرطب ، وقد جاء فى بعض الكتب المنزلة من الملك الجليل «كيف تكفرون بى وأنا خالق العنب» ، قال ذلك لبنى اسرائيل وذكرنى الله تعالى فى القرآن فى مواضع تسعة ، وكان نبينا

---

(١) كأنه فى أ.

ﷺ يحب العنب، فأنا دالية غير ذابلة مد ولانية، فى جنة عالية، قطوفها دانية، تبدو للعيون عناقيدى من عيون عيونى، فلست أطوى على الناس نشرى بغمض جنونى فليس أحد يجفونى، وأنا فى الفواكه أيضا فاكهة دائمة تطوى وتنشر، وفى الأطعمة طعام فاخر يوصف ويذكر، وفى الأقوات قوت ومع الأدام أدام، وفى الأدوية دواء حسن تام، وفى الحلوى أيضا أنا حلو فائق، وفى الحوامض لى حمض حاذق.

وفى المشارب لى شراب كافى، وفى النقلات لى نقل شافى، لماروى عن النبى الحبيب الصادق المصيب، أنه قال لأصحابه: «نعم الطعام الزبيب»، يشد العصب، ويذهب الوصب، ويطفى الغضب، ويطيب النكهة ويذهب البلغم ويصفى اللون، فصلى الله على قائله بدوام الكون.

وروى جابر بن عبدالله عنه أيضاً عليه أفضل الصلاة والسلام والتحيات أنه كان لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل سبع تمرات أو زبيبات، وروى عن على رضى الله عنه أنه قال: من أكل فى يوم إحدى وعشرين زبيبة حمراء لم ير فى جسده شيئا يكرهه، وجميع هذا المروى للحافظ أبو نعيم أورد ذكره، والأسود منه يؤكل على الريق بالفستق المقشور وحصى اللبان الذكر، فيذكى الإنسان ويقوى ذهنه ويصفيه من الكدر، وإذا ألم الإنسان ضرسه من ضر بان به يكون، ولاك عليه زبيبة مع السداب عاد إلى السكون، وجاء فى تفسير قول الله تعإلى: «أيها أذكى طعاما» أنه الزبيب.

وما هى أيضاً مختلفة الطعوم والألوان والأجناس، فمنها ما فيه إثم كبير ومنافع للناس، ومنها ماهو موصوف بنحو من صفات العسل، ومنها ماهو قارص [1] ولكن منافعه شتى فسل، قال ﷺ «نعم الأدام الخل، اللهم بارك فى الخل فإنه كان أدام الأنبياء قبلى» ولم تفتقر بيت فيه خل، فقد طاب به المحل حين حل، والفج منى أيضا ماؤه للصفرا قامع، وللقىء والإسهال قاطع، وينهض الشهوة لتناول الطعام، ويعمل منه ذلك الطبيخ الطيب للأنام، ويعمل منه شراب يسكن الغثيان عن العليل، ويقطع العطش الشديد عن كبد الإنسان العليل، وفى الخل أيضا ما هو أسفح اللون أو أحمر قان قامع [2]، ومنها ماهو أغبر أو أخضر أو ذو زرقه أو أصفر فاقع، ومنها ماهو كالماء لونا وطعما وليس بخل ولا نبيذ ولا راح، ويطول الشعر حقا إذا دهن به فى المساء والصباح، وقد قيل فيه أنه يعجل الشيب فمن أين له دليل ظاهر على معيب حكمة

---

(١) فارض فى أ، فارب فى ب.
(٢) ناضع فى أ، جـ.

تخفى، وإذا شرب لوجع القلب منه بسورة الحمد تتلى عليه سبعا يشفى، وإذا سقى منه[1] الصمغة ما يقطر من المشغوف بحب خمرى فإنه يبغضها سريعا بشرط أن لا يدرى، وإذا فقد المصلون الطهور غسولا[2] ووضوء، جاز لهم اذ ذاك لقول الحنفى الطهور والوضوء، وذاك المسمى صريحا بدمع عينى وماء أصلى، يجدوه حقا حين أبكى لظلمى بقطع وصلى، ويسمى بالصمغة الجامد منه على الأغصان، وشربها مع الشراب تخرج الحصاة من مثانة الإنسان، ويعصر ويجعل التطاخا بها وكذا القوابى المتقرحة، بعد غسلها بنطرون وكذا الثآليل المتوقحة[3]، وإذا لطخت بها وبالزيت حلقت منابت الشعور، وبالتكرار ربما منعتها النبات فى آخر الأمور.

وعصارة ورقى إذا شربت نفعت من قروح الأمعاء ونفث الدماء، وضعف المعدة وللحوامل من النساء إذا وجدت من الرحم الماء، وكذا فعل خيوطى الرقاق إذا نقعت فى الماء، ثم شرب الماء عنها نفعها كالأول على السواء ومضغ لفائفى كلها تقوى اللثة بعد استرخائها مع التكرار وزهرى يدبل ويجعل يومين فى زيت الإصناف، ثم يعصر ويلقى ويرفع الزيت فإنه يقاوم دهن الورد بلا اختلاف، فأنا ذو أوصاف عجيبة بديعة، وصفوف كثيرة عالية منيعة، ويؤكل منى مص[4] وقطف وقصيف ويانع وحلو وحامض ورطب ويابس وجامد ومائع، وقد جمعت بين البياض والحمرة والسواد، والف ذلك فىّ وجعله عقداً نضيداً رب العباد، وقد أحسن فىّ القائل وأجاد حيث أفاد.

كل الفواكه سلطان لها العنب ∴ إذا كان أكلها فضلا لما يجب
دان[5] لطيف جواد لين رطب ∴ حلو وصاف رشيق كله[6] عجب
آها لزورته وآها لرؤيته ∴ أوّه لجفونه إيه لها وصب
إيهًا فقد كملت فضلاً محاسنه ∴ أفديه فاكهة أبقى هو الأرب
إذ كل صنف له معنى يفوق به ∴ إلا معانيه فقد ضاقت لها الكتب

---

(١) مع فى جـ.
(٢) غسلاً فى أ.
(٣) المتقرحة فى ب، د، والثآليل: مرض جلدى عبارة عن حبوب مستديرة متقيمة.
(٤) قصر فى هـ.
(٥) وانه فى أ، هـ.
(٦) وريق فى د.

فقال له التين وقد انصدع رأسه وأسرف شفتاه، وتزلع جلده وترقش لونه واحمرت وجنتاه، وزر مما عراه عنقه وزرت عيناه وخفق لذلك قلبه، وطاش منه لبه، وغلظ جيده وانتفخت أوداجه، وظهر من جميع فجاجه، وقال:

أيها العنب أنا كنت أولا أتناعس عنك وانكسر، وقد عدت لك الآن أتيابس فلا أتناعس ولا أنزجر، وأتزعم أنك ذو ألوان فاخرة، مع عصر شومك الذى خيرك إليه (١) كان كالنقطة فى الدائرة، وليس لك معى نوع تليق به المفاخرة والمكاثرة، وهل أنت إلا حقير ذميم رخيص الثمن، يدوسك الكفار والفجار وكذلك الفساق وأهل الإخن، ويغدونك بالتراب ويقتلونك عصراً فتموت صبراً إذن، وأنا العزيز العال مترجم عند من رحم أو فطن.

أجلب رطبا ويابسا من غالب الأقطار، وأحمل فى الفيافى والقفار، وأهدى للعالمين طرا فى سائر الأمصار، وما تكون فى شأن إلا وكنت قبلك فيه، خلا العصر فإنى عمداً أريد تجنبه وتجافيه، وماذاك إلا لأنه منقسم ثلاثة أقسام متشعبة: مكروه وحلال وحرام، فالحرام معلوم وعنده بدار البوار(٢) والحلال المقيم منه حلالاً فى هذه الدار لابد له فيها يدوم حلالاً من النار، فالحذر الحذر منهم جميعا والفرار الفرار، وماعدا ذلك فأنت فيه دونى وأنا المقدم، حتى أفخر شىء فيك وأعز وأكرم، وأطيب طعما وأغلى ثمنا وهو الدبس إن لم يضرب بالعيدان منى وإلا فهو دون ماضرب لى فى المنظر والقيمة والمطعم، وفى فضل أفوق به على الكل ليس بعدم(٣)، أعدى الفرات بغير من ولا مضرة، وخلقى وخلقى وزهرى مع اسمى بغير تلون(٤) فلى الهنا ولى المسرة، فلست أخشى معرة، وكذا الطعم منى يوجد واحد فى كل خرة، فلم تكن مذاقته فى ابتدائى حامضة ولا حلاوته فى انتهائى مرة، فأخدع ناظرى كمثلك يوما فينظره نظرة مستقرة، والغش له من داخل قلبى(٥) كمن هو قد فطن، كذا الزيف المبهرج كائنا ويحذره اللبيب ومن فطن، وهذه الخلة (٦) ليست من صفات المؤمنين، وإنما التلون والتنميق بغش والخداع والغدر من شيم المنافقين، لكننى ذو أكله ناصحة ذكية، وخلقة صالحة سوية، وطلعة باهرة سنية، ورؤية فائقة بهية، وشكل حسن عجيب، أخرج فى أكمامى مرصعاً بين أعلامى،

---

(١) نسبته إليه فى ج.

(٢) القرار فى د.

(٣) بذم فى هـ.

(٤) لون فى أ، كلون فى هـ.

(٥) بقلى فى ج.

(٦) وهذه الخلة = وصفاتك فى ب.

ناشراً راياتي أمامي، بزي واحد نضير سامي، أتلقى أحبابي بصدر رحيب، لست اختلف عليهم أبدا في صورة ولا معنى، فلهذا عرفت فيهم أصلاً وفرعا، صغيراً وكبيرا، قديماً وحديثا، رطباً ويابسا باسم مفرد أتمعنى، وهو ألطف من اسمك الحقيقي للين حركته وخفتها وسكونه قبل التسكين له واسمك ثقيل لحركاته المتتابعة، وثانية عن السكون والتسكين أيضا للزوم القلقلة واسمي مقدم عليه أيضا ومفضل بما حل فيه من أحرف الهجا، فالتاء للقسم وهي ثالثة ومنه أوله فهي وتر والوتر أرجا، والياء للندا وهي لفضلها خاتمة ومنه واسطة والنون ففي[1] كلينا ثم لها ملجا، وفي حساب الجمل هو أو في منك عددا وأقوى، فيأتي بعينك ظافرة يقينا والباء منك بيائي ولا تقوى، وأيضا فأنت ذو أسماء وأطوارمتباينة مختلفة حصرها والكلام فيها ليس يمكن لكونه جاء نص صحيح عن مسماك بالكرم وإنما الكرم قلب المؤمن، وفي الميزان أنا أوزن منك وفي المنظر أنا أشكل منك وأزين، وفي المخبر أنا أنعم منك وأحلى وألين، فقشري غير صلب ولا مكين، ولإلي عجم قوى فيعوقان الأكلين، فأنا في الأرج مسلما مازلت وأنت في الحضيض، مبتلى دائما ببلاء عظيم مقيم مضيض، يجذع بأطرافك كلها واحداً بعد واحد من غير قصاص لها ولا تعويض، تحيا كئيبا ذا جسد ناحل لكنه على التعذيب والقطع والصلب والعصر والنار والسحق صبور، ثم تموت كفينا[2] وتبدو كمد القلب ناحل حزين منكسر محصور مأسور.

ذق أليم القطع يوما ∴ وعلى التعذيب فاصبر
ولنار الكي قاسي ∴ أيها الحادي بمكر

ومع هذا فأجناسي كأجناسك، وإن عددناها بعدد أنفاسك، ولكن ليس لنا في تعدادها مصلحة زائدة، تكون فائدتها علينا عائدة، وأيضا وألواني أحسن منظرا من ألوانك، وأنا في نشري أبلغ بنك في نظامك، فكأني مرصعاً بأغصاني بين أوراقي في سوادي وبياضي والاحمرار، نجوم طلعت بأفقها عند الغرب فتلاها شفق[3] وإنها بمستوقدات لها مع الليل ضوء النهار، أو كأني حين أجنى وأجعل مصبويا بأطباقي على ورقي در وبهرمان وبنادق مسك نثروا، بأقطاع الزمرد في بدور اللجين أو النضير فانسابوا عليها زرافات ووحدانا فانتشروا.

---

(١) فهي في أ، جـ.
(٢) دفينا في هـ.
(٣) غسق في أ.

مـــــا أبهج منظرى وأحلى ∴ مــــــا أرفع رتبــــــتى وأعلى
مـــــا ألين مـــــأكلى وأهنى ∴ مـــــا أطيب مطعـــــمى وأحلى

وبعد هذا جميعا فأنا أشبع الجائع وأكفه، وأكفى الفقير القانع وأعفه، وأظفر المغير منى والنحيف والمعبأ بالسمن، ويقصدنى أحبابى سحرا بوصل وأنت ملقى فى الجفن، فيأكلك الكلاب والذئاب والذباب والخنازير، وكذلك الضباع والسباع والأفاعى والزلاقط وكل ساقط والزنابير، وماذاك إلا لحسن فعلى فى البدن، وعظم نفعى بأكلى على الريق إذن، وأما ما ذكرت من إنى أولد القمل فى جسد المكثر منى، فذاك والله صحيح عنى، وهوفعل نجيح لإنى أنهض الحرارة الغريزية التى هى مادة الحياة وأقوها، وأزيد شحم الكلية وأربها، وأخصب الأبدان الهزيلة وأنمها، والقمل لا يوجد إلا على الجسد الصحيح، لا العليل الغير فصيح، وإذا مات الإنسان يفقد القمل من جسده وثوبه الذى يواريه، وذلك لمفارقة الحرارة له فتراه يهرب منه سربا من جميع نواحيه، وقولك بأنى سريع بأبعإلى بالحمل من أكل منى صحيح وماذاك إلا لأنى، جيد الغذا مفتح الأمعاء كما يأتى بيانه مترجما عنى، وقولك إنى كنت السبب أولا فى الخروج من الجنة قول مردود فلا يصدق، لأن ذلك مشتهر بغيرى وقد أبهم الله تلك الشجرة فليس يمكن أن يحقق، ولو قدر صحته لما صح لومى لإنى مأكول لا آكل لكنك أخرق، وأيضا فأنت مشتهر بذلك دونى فأنت باللوم أحق منى لكنك أحمق، ولكن لما طفق آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة لم يسترهما منه شيء سوى ورقى، ولهذا أعظم الله على المنة، وجعلنى محرما على الفجار لأنى رقيق القلب وهى عظيمة المحنة، فلست أضر كغيرى بقدوم ولا منشار، ولا انصب عرضا لدونهما خشية الفتنة وكذلك حجبت النار عنى فليس تحرقنى إحراقا شافيا لها كغيرى، ولا ينجح الطعام الذى يطبخ بى وإن كان لبنا انقطع عقوبة لمن أراد ضيرى، حتى إنه من أكثر إحراق خشبى بالنار، فإنه يبتلى بطلوع الشعرة فى عينيه من داخل الأشعار، ومن قطع منى أصلا أخضرا لأساس [1]، فلابد أن يبتلى ببلية شديدة الباس، وقل أن ييبس منى فرع إلا ويخلفه ماهو أحسن منه ويستوى على سوقه، ولا أصل كامل وذلك نادراً إلا وعاد مكانه أو قريبا منه ولو بعد حين نحوه من عروقه، وأول ما خلق الله الخلق القطر للناس، خلقه فى الجنة من قطرات لبنى إذ قطعت أوراقى وخصفت للناس، ولهذا يشبه خلقه خلقى، فورقة مثل أوراقى، وحمله كهيئة حملى، وهو يشبه داخل القلب من أغداقى.

---

(١) لا ييس فى هـ.

وقد نص أهل المعرفة والخبرة بالفلاحة النجبا، أن التين خير الفاكهة مطلقا ومن كل نوع أرخاها خشبا، وزعمت أيضا بإنى للباطن مؤلم وذلك زعم باطل من قال به هذى، فإن الأطباء اتفقوا على إنى أقوى الفواكه غذا، وأفتح الأمعاء أيضا للغذا، وإن من أكل منى خمس حبات بنصف أوقية حلبه على السوى، وأنيسون ورازلنج[1]. لوجع الفؤاد والقولنج مقه[2] منهما واستوى، وإنى للسرع أو السعال المزمن رطب ويابس عظيم الدوا، وإنى موافق وجلاء لرمل المثانة، وأفتح سدد الكبد والطحال وأغسلهما غسلا وإنى أنفع الأعصاب وألين الطبيعة وأدر البول وأنقى المعدة من الأخلاط البلغمية وأنفع خشونة الصدر نفعا بينا وكذلك أيضا قصبة الرئة، وأسكن العطش الكائن للإنسان عن مالح البلغم، وإذا أكلت مع السداب والجوز أحفظ من الضرر وأومن من السم، وأنا عظيم النفع جدا إذا أكلت بالجوز، خصوصا على الريق أو بعد طعام لطيف وكذا فعلى باللوز، ومداومة الأكل منى يصلح لون الجسد الكامد، وإذا تغرغر ذو الخناق بماء مطبوخى أنضجها وحلل منها العاقد، وفىّ من المنافع أضعاف ما ذكر مما فهموه عنى وعلموه منى.

واكتفى[3] إلى القول الفصل الذى لاشك فيه ولا ارتياب، وهو كتاب الله العظيم المقدم حقا على كل كتاب، لأنه وقع بى على القسم الصحيح من الله تعالى فيه، وذلك لكثرة منافعى وفوائدى وتنزيهى عما ليس يرضيه، والسورة التى ذكرنى فيها تعرف بى، وماذاك إلا لتفضيلى عليك وعلى ما عداك فمن يساميني بفضل ربى، قال فى تفسير سورتى الحبر والبحر ابن عباس، سيد العلماء الراسخين الأكياس، هذه الثمرة أقسم الله بها لأنها تشبه ثمار الجنة، ولكونها على قدر اللقمة وخلوها من العجم والنوى، فهذا فخار لى حق ثابت بغير مخرقة ولا دعوى، ونقل البخارى أيضا عن مجاهد بغير شك ولا التباس، أنه قال فى تفسيرها هو التين والزيتون الذى يأكله الناس، والقسم إنما يقع بالفاضل دون المفضول وبالمعظم أيضا وبالمحبوب، وبالمنزه عن الشر والدال على عظم خالقه والمرغوب فيه والمرهوب، فهذه دلالة عظيمة تشهد بفضلى عليك وهى قطعية، وحجتها بادية ظاهرة سمعية عقلية.

وروى فى الحديث «من أراد أن يرق قلبه فليدم أكل الكسر».

---

(١) درار يالج فى أ، جـ.

(٢) فقه فى جـ، فقد فى د، نقد فى هـ، وربما كانت نقه.

(٣) والكفى فى أ.

قال اللغويون وأهل العلم هو التين وقيل العدس. وروى أبو الدرداء عن سيد المرسلين محمد خاتم النبيين عليه الصلاة والسلام إلى يوم الدين، أنه أهدى إليه طبق من تين فقال: كلوا وأمر الحاضرين من أصحابه ولواذه، وأكل منه وقال: لو قلت أن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه، لأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوا منها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس، فالحمد لله الذى جعلنى نافعا للعباد ملائما لهم غير عسر عليهم ولا أشرس، وبعد هذه فأنت تعلم أنه ماكرم أحد عند الله إلا بالتقى، وماساد من ساد فى الدنيا والآخرة إلا بها وبها ارتقى، والآخرة خير لمن اتقى، فهذا الذى فضلنى عليك بالقسم وأعطانى قلبا سليما وحالا صادقا.

وقد أحسن فىّ بعض واصفىّ حيث قال مبينا ومحققا.

يا صاح للتين أوصاف معظمة ∴ تسمو الفواكه فضلا ناله القسم
وخص أيضا بتشبيه بفاكهة ∴ فى جنة الخلد لا صخم ولا عجم
بل لطف ذات ولين[1] فى عريكته ∴ كأنما عينه صيغت لنا لقم
والطعم حلو ولا قشر يمانع ∴ من نهش ولا حب ترى منه سقم
وهو الذى صانه المولى فعز تقى ∴ وهو الفضيل الذى دانت له الحكم
كل الثمار فداه قد يدوم لنا ∴ فهو الجميل حلا[2] قد زانه كرم

فعند ذلك شد عليه العنب وما تلعثم، وظهر من نور أكمامه فما استتر ولا تكتم، ثم تحصرم وقد اجتمع وتلملم، ثم تطاول بعد ذلك وتمايل وتدلى، ثم عيل [3] وقد تكلل[4] واحلولى، ثم تسلسل إذ ذاك ودنا وتدلك فما تحبب ولا تزبب ولا تذلك، ثم تماسك بعد ذلك وزلم، ثم تصلب حينئذ وصمم، وقد اصفر لونه بعد أن كان مبيضا، وصار كالشهاب حين تراه منقضا، ثم تلطف بعد ذلك وصفا ورق، وجلد فما عفن ولا تخ ولا شاط ولا احترق، ثم قال:

أيها التين إلى كم هذا الجدال والخصام، وكم تكلمنا بأسوء كلام، وتشاجرنا وتساخرنا، وصار ذلك فى الأنفس كالكلام، وتفاخرنا وتفاجرنا، وماظهر لنا بذلك أمر ولاتم نظام، ومادمت تقول وأقول، ودون قاض فيصل فذا شىء يطول، ولكن الذى يقتضيه رأيى وهو الصواب، أن يحكم فينا عدل يكون لديه فصل الخطاب.

---

(١) ولطف فى أ، ب، جـ.
(٢) محله فى هـ.
(٣) عير فى أ، هـ.
(٤) تكفل فى أ، هـ.

فأجابه التين سريعا إلى ذلك، وظن كل منهما أنه ناج وخصمه هالك، ثم تحاملا إلى رجل له خبرة ودراية، وعلم بالأصول والفروع وفن الرواية، وبمعرفة الموصول والمقطوع وسير النحو وفهمه، وعرف المنقول والمعقول وخبر الجنس والنوع وقسمه، وأتقن علم الحقيقة والمجاز وأحكمه وغرس جميعا فى شج فؤاده غرسا، وأنشب فيه ظفرا له وضرسا، وخاف تفلته فأودعه قلبا لا طرسا، وعمل فيه بقوله تعالى «وخشعت الأصوات للرحمن فلا تسمع إلا همسا» فعرضا عليه القضية كلها، دقها وجلها، وسألاه الحكم سريعا بقوة علمه وجوده فهمه فيهما، فقال: اصبرا هنيهة فإنكما على الخبير سقطتما فافهما، ولكن أيها الخصمان لا أحكم بعلمى فى الغالب، ولا أتقدم فى أمر وقع وأنا غير هايب [1]، ولكن ليحضر كل منكما ببينة صالحة ليعلم الصادق والكاذب، ولتكن البينة عندى مقبولة غير مردودة، فإن شهود الزور معلومة لدى ومعدودة، فذهب كل منهما وجعل يشتد، ثم جاء بشهود له كرام لا ترد، هذا أى التين فيما جمع لساعته قبل شروق الشمس، وهذا أى العنب مما وجده مهيأ له قبل ذلك فى المقام بالأمس.

فتمايل القاضى عند ذلك طربا، وتبسم فرحا وعجبا، ثم قال لهما جهارا بغير خفا، لقد جئتمانى بأهل صدق ووفا، وتركتما أهل المحال والجفا، ولكن ليس للحاكم أن يحكم وهو جائع، فإن حكمه صار له وللخصوم غير نافع، ثم أكب على المأتى به بهمة وانهماك، يجمع بين اللونين، ويقرن بين الزوجين، ويبتلع بلعا بغير التباك، فتصبرا عليه ساعة لعله يرفع أو يقنع، وإذا به قد أتى على الجميع أكلا وما شبع.

ثم رفع رأسه بعدما كان أكب، وقال: الحمد لله الذى خلق الفاكهة والأب وفلق الحب، وخالف بين الأشكال والطعوم والألوان، وسخر ما فى السماء والأرض جميعا للإنسان، وصلى الله على سيدنا محمد وآله صلاة تملأ الأكوان، مامر الجديدان، وبعد: فاعلما أيها الخصمان، أنه والله ليس الخبر كالعيان، ولا المشاهدة كالممارسة واللمس، ولاهما أيضا كالملابسة واختلاط النفس بالنفس، وقد كنت أعلم حالكما ولا علم اليقين، ثم رأيت عين اليقين، ثم وقفت منه على الحق اليقين، ثم تأكد الآن عندى لدخولى فيه بغير شريك ولا معين، فظهر لى بذلك واتضح الصواب، وانزاح عنى الباطل واختفى الشك والارتياب، وأمكنى بذلك أن أصل منه حق الجواب، وأقطع عنه النزاع والعتاب، لأن النفوس منقادة إلى ذلك راضية بحكمى ساخطة لما تهواه، والقلوب منشرحة مرتاحة لما عساه منه تلقاه، وليس

---

(١) عايب فى ب، د.

ذلك عندى إلا الذى اختاره الله لعباده المتبارين والأزواج، وجعله خيرا لهم من التشاقق إذا حصل التنافر بينهم أو وقع الإحراج، وهو الصلح فاسمعا وأطيعا ودعا التلاجى واللجاج، واعلما أن البينتين متى تعارضتا فى حكم سقط بكلتيهما الاحتجاج، وثم الحال باقيا على ما كان عليه فى الأول، وكذا [1] أنتما فالحكم لكما واحد وعلى الصلح المعول، وكلاكما حسن طيب مازال مشكورا، وفى الكتاب والسنة قد غدا مذكورا، وأنتما والرطب ملوك الفاكهة فقط، فحاشاكما أن تجهلا أو يفرط منكما عليكما هذا الفرط، وأنتما كالتوأمين قط لم تفترقا، فاقبلا نصحى وكونا أصدقا، وكيف لا وأنتما متحلين بحلى الصوفية، فقد ظهرت لطافتكما بعد تلك الكثافة المردية، فأنت مصفر رقيق صلب صاف جسور نحيف، وهو متقشف خاشع راكع باك لين خفيف، فاستعملا الظاهر باطنا وتصافيا وتراويا وتخالطا وتخاطبا وتطاوعا ولا تختلفا وتوادا وكونا على قلب واحد فإن شطح أحدكما يوما فى حق الآخر وقال فيه ما [2] قال، فعلى الآخر الصبر والحلم والكظم والصفح والاحتمال، فإن كل احد وقت الرضا يتكايس[3] وإنما فى الشدائد تتباين[4] الفحول والأبطال، ودوام الود بينكما أبدا أن لا يعيب أحد منكما الآخر ولا يذكره بشين ظهر عيب، ولا يرميه بغيب، فإن صفا ورد، اعتذر واستغفر، فيغفره الآخر، ولا يذكر ما مضى ولا ماقصر، ولا يعاتب أحدكما الآخر على الذى كان فى الماضى، فإن ذلك يوجب الشحناء وينسخ التراضى، ولا تقومان من عندى إلا وكل منكما ظاهراً وباطناً عن الآخر راضى.

فسمعا له وأطاعا، ومد كل منهما للعهد والمودة يداً وباعا، واتفقا واستكانا، وصارا عباد الله إخوانا، واجتمعا بعد ذلك التنافر والإفتراق. فى الأوانى والأطباق.

---

(١) وأما فى أ، جـ.
(٢) مهما فى أ.
(٣) متكايس فى د.
(٤) تتبين فى أ.

• مفاخرة بين المشمش والتوت •

للإمام الحافظ شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي

الحمد لله الذى جعل العام فصولا أربعة، وجعل لكل فصل منها ثماراً متنوعة، والصلاة والسلام على نبيه وصفيه الذى اهتدى من اقتدى به وتبعه واتبعه. وبعد..

فلما قدم الربيع فى طلائعه وجنوده، وسحب وشى مطارفة وبروده، وزهت الدنيا بأزهاره، وانتشر نشرها بانتشاره، وزينت الخلائق بالصور والقدود، ونورت الوجوه بالحدق والخدود، وأصبح فى كل وردة ند وعود، فالورق بين الأوراق تتغنى، والغصون ترقص لتصفيق الأنهار وتتثنى، فأراح عند ذلك الأرواح، وتنافست النفوس فى المسرات والأفراح، وتأهبت ثماره للقدوم وأزهاره للرواح، وسار فى الساقة الورد، وهرب ماتبقى من البرد، وأقبل المقدم التوت الرئيس الصادق فى حلاوته، فجلا صدا القلوب من طول غيبته، وملأ الصدور من رونق هيبته.

شــفى النفــوس من الأدواء والوصب
توت بدا طعمــه أحلى من الضـرب
أفــديه توتا لـه الفـضل المبين على
مـا فى البسـاتين من تمر ومن عنب

فبينما هو يجول فى ميدان تيهه ومرحه، ويصول فى قلوعه من شدة فرحه، إذ هجم عليه الصدر المشمش المعشوق، والملك السعيد المرفوق، بين أعلامه الصفر، وبنود أغصانه الخضر.

كأنه حين يبدو فى الغصون ضحى ∴ بنادق الرمى قد صيغت من الذهب
وبالنجوم إذا انقضت تشبهه ∴ إذا بدا ساقطا من شدة اللهب

فصاح عليه التوت صيحة أرعب بها جنوده، ونثر بها نظام أمره وعقوده، فعدم التوت الإصطبار، وعزم على الفرار، ثم تشجع ووقف للنضال، وقعد للمخاصمة والجدال، وقوى فكه وقال: أيها المليح الطيب المخبر، المنسوب فى الشبه إلى بنى الأصفر، اللابس الدرع المعصفر، لم تهجمت على مقامى والرتب، وأنا قد سبقت إلى الشفا من الوصب، وأرزيت وأزيدت بالرطب، وملأت الشوارع، وجلست على القوارع، واستوى فى الوصول إلىّ الغنى والفقير القانع، والفضل للسابق لا للاحق.

فالتفت إليه المشمش التفات المتدلل المتكبر، وصاح عليه صيحة المتجبر، وقال: أيها العليل الوجع، والثقيل الدلع، هل أنت الإمن بعض أجنادى، أما علمت أن الدولة لى والبلاد بلادى، والناس تُعدّى الأيام، وتنتظرنى انتظار وابل الغمام، وتعد الناس لقدومى أيام البطالة، وكل يهنىء لتلقى أنَواعى آله، ومن جملة شروط الواقف فى المدارس استثنا أيام ورودى، وإنجاز وعودى، ولى تضمن البساتين، وتغنى القدور وتصفق الهواوين، ولا يذكرون إلا أيام المشمش لازمان التوت، فمت كمداً إن أردت أن تموت، وإلا فالزم الخرس والسكوت، وكنت قد تقدمت فما أنت الإخادم وصاحب، ومتى علت عين على حاجب.

فقال له التوت: طمعت فى جانبى حين بعد القرين، وعز المساعد والمعين، ولو كان فيك تقوى، لما كان قلبك على جارك يقوى، وإن كان غرضك المقام، فأنا أودع وأرحل بسلام.

فقال له المشمش: سافر من هذه الديار، فما لك معى فيها قرار، وإن رضيت برميك على المزابل للكلاب، وإلا فتلقح فى الشمس وقاسى الإلتهاب، ودق رأسك بالمرازب، وستعلم أينا الصادق من الكاذب، أما تتأدب مع من لونه لون الذهب، وطعمه يروى بالسكر والعنب، وخده أصقل من خد الخود الحسان، وقلبه أبيض من لؤلؤ نيسان، وقيمته من أجل الأثمان.

فقال له التوت: إذا كان لابد من المقابحة، والمكالمة [1] والمواقحة فاخرج من نشورك للمناظرة، ودع عنك المكابرة، أنا الخفيف الثمن، واللطيف فى البدن، والرطب للسمن يميد لى الغصن الأملود، وكأننى اللؤلؤ فى العود، ولى السدس ألوية وبنود، وأنت قد علاك الصغار بعد الاخضرار، وراح قلبك من العشى حجرا من الأحجار، تثقل على المعدة، وتفسد الطعام فى أقل مدة، وتحتاج إلى التصريف، وإلا بودرت بالقىء فى الكنيف، تستحيل إلى الصفراء، وتصير من جملة الأدواء، وبئست الخلتان الاستحالة والحمضة، ويا ما أحدث أكلك من مرضه، وأنا انصرافى عن المعدة بسرعة، أما ترى مائى أصفى من دمعة، ولا أمنع الأكل من الشبعة والرجعة.

فعظم على المشمش هذا الكلام، وأخذه القلق والابتلام، وقال: ويلك، تخاطبنى بهذه المقالة، وأنت شديد الإستحالة، ولا تبقى على حالة، وللسقم أقوى آلة، أما تعلم أنك مرعى الذباب ولا يسمن عليك إلا الكلاب، أنت من أنواعك الكلابى، وأنا من أنواعى المحسنى، ومتى ساوى المحسن من ذوى الألباب للكلاب أبناء الكلاب، ليست حلاوتك عند قدومك

---

(١) والمكالحة فى أ، جـ.

(٢) اضع فى هـ.

صادقة، ولا رؤيتك بهيجة ورائقة، ولا الشبعة منك لائقة، ترخى المعد، وتحرك البرد والرعد، ومع كونك رخيص العرض، أكلك داء ومرض، وأنا ذو السيرة الفاخرة، والرؤية الباهرة، ولى تنفق الأموال، وتتفاخر بكثرة أكلى الرجال، يعدوننى عد الدنانير والدراهم، وأنزل على القلوب كالمراهم، لى الأجناس والأنواع، والخدم والأتباع، أنا من أغلى الفواكه ثمنا، وأنت من اشتراك قنطاراً بدرهم قد غبن غبنا، أنت فى الثمن كالجزر، وأنا كالدرة النفيسة بين الدرر، ولاشك أن الغالى أعز، والرخيص يلقى ويبز.

أنا كريم الطباع بأدنى تحريك أسمح بثمرتى للجانى، وإن كان جانى، وهذا طبع الكرام، وأنت ردىء الطباع ولا تجنى إلا بالعصى والمرازب والضرب والدق، لاينال منك ثمراً إلا بالعنف وهذا من طبع اللئام ولا ينكر هذا أحد من الأنام.

فقال له التوت: تعاظمت فوق الحاجة، وتجاوزت الحد فى اللجاجة، أما قولك لى تسمن الكلاب، فأنت المنسوب إلى بنى الأصفر الملعونين بنى الكلاب، وإن كانت حلاوتى فى بتدائى غير صادقة، فحموضتك أول أمرك محققة غير لائقة، وإن كنت رخيص الثمن و فهذا شىء حسن، فينتفع بى الغرباء وأهل الوطن، وأنت خلا من كل منّ، ولولا انتسابك إلى اللوز المامشى(1) لك حال، ولا خطرت فى بال، ولكنت من الوبال، ولصرت فى أنحس الأحوال، وما تشبه حلاوتك بالرطب، ولاذاتك بجيد العنب، وأنت كثير العطب، وإذا سلمت فى النادر من الزمان فعجب، متى هبت عليك شرقية، قلت لم هذه البلية، أعوذ بالله من الساعات الردية، رحت والله من الصعقة فى أنحس قضية، فتضحى منك أشجارك داوية، وأغصانك على عروشها خاوية، وولت عنك السعادة، واكتسى غصنك ثوب حدادة، وصيرك الله عبرة لعباده، وتمثل من لم يحظ منك بمراده.

ذهبت بشاشة حسن وجه المشمش
وغدا يطالعنا بوجه أنمش
واسود منه الوجه حتى أنه
كالفحم أو بالنقش يوما قد حشى
ضعفت قواه فكلما هبت صبا
تحيى الزروع بطيب رباها عشى

---

1) بقى فى أ، هـ.

وأنا لا تؤثر فى لواقح الرياح، ولا نوافح نسمات الصباح، لثبات أصلى وفرعى، وصلابة جسمى وشدة منعى، ألقى العواصف بصدر رحيب، ولا أخاف من جليد، ولا أخشى من الحر اللهيب، ولولا أوراقى ما وجد الحرير، ولولا ساقى ماثبت دار الأمير، وفى يقول الصديق الرفيق، والحبيب اللبيب:

أمـــا ترى الـتـــوت قـد وافـــاك مـــبكرا
مـــدرعـــا فى الـصـــوانى أفـــخـــر الحـلل
كـــــالثلـج فى قـــــوة الحـــر الـشـــديـد له
طعـم تشـــبـــه بالجـــلاب والـعــــسل
يشـــفى الـقلوب ويـرويهـــا عـلى ظمـــأ
ويـفـــــتـــــدي بـرده بالـفـل والـنهـل
هـو الإمـــــام الـذى لـولا تقـــــدمـــــه
مـــا فـــرق الناس بين الجـــدى والحـــمل

فقال له المشمش: لقد تطاولت علىّ وارتفعت، وتبالطت وما خضعت، وهذا الجدال يطول، وكلما قلت أقول، فارتفع معى إلى بعض الحكام، وأرحنا من الجدال والخصام، فما ينصف المظلوم إلا عادل ذو إبرام.

فبادرة التوت إلى ما سأل، وقال له العجل العجل، فسأل عمن له خبرة بالأنساب، وله بيان وإسهاب، وحكمة وفصل خطاب، فدلاً على حكم من ذوى الألباب، الذين جربوا الأمور الصعاب، ورأوا من الدهر العجاب، قد سبر سبر الجمهور، وخبر الأحياء وأهل القبور، وجال فى البلاد وجاب، وعاشر من شب وشاب، له علم ودراية، وسند ورواية، وبلغ فى التفنن فى المأكل الغاية، فذهبا إليه، وتحاكما بين يديه، وسألاه الحكم بعلمه، والقضاء بينهما بقوة فهمه، بعد أن قصا عليه القضية، وأطلعاه على مناظرتها الظاهرة والخفية، فحمد الله خالق الثمار، ورازق الأطيار، ومزين البساتين بالأشجار والأنهار، وصلى على نبيه محمد المختار، وقال:

أما بعد، فإذا رضيتما بحكمى، فلابد من تحقيق علمى، فليحضر كل منكما أطيب أنواعه، لأشاهد لطيف حسنه وإبداعه، ولأباشر أكله، وأتحقق فضله، وأبالغ فى استعمال كل منكما فى الاقتضاض، ويقضى الله بعد ذلك ماهو قاض.

فتأنق كل منهما فى الإحضار أطيب نوعه وجنسه، ماهز لصاحبه وقطف لامسه، وكانت قد أتت على الحاكم مدة مديدة، وأيام عديدة، لم يستطعم فيها بمطعوم ولا بمشروب، فصادف حضورهما إليه حاجة فى نفس يعقوب، فالتقم رابق الخراسانى عسفا، وسف رطب السلطانى سفا، وتناول المحسنى كفاكفا، إلى أن وقف على قوله تعالى «ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا».

فلما حصل على المحضر، قام يتبختر [1]، ومشى يتخطر، ومال من الامتلاء يتحصر، وقال: قد استد باب الكلام، واشتبه على الحكم فى هذا المقام، فاتركا الجدال والخصام، وانصرفا عنى بسلام، وإذا ارتشى الحاكم من الخصمين، فما يذهب كل منهما إلا قرير العين، ولو كنت اقتصرت على التناول من أحدكما لرجحته غاية الترجيح، فما منكم من أحد إلا وهو مليح الوجه صبيح، وبعد أن حصلت لى العائدة، ورفعت المائدة، فما بقي لى فائدة، ومن يصير على العدم والذهاب، ويصبح جيفه ملقاة فى التراب، ويمسى طريحًا على المزابل كتالف الخضروات، ومدته فى البقاء يسيرة، وأيامه معدودة قصيرة، فبم يفتخر على جاره، ويسيء عشرته فى بستانه وداره، والمصلحة عندى الصلح والصلاح، وأن يكون خروجكما على أحسن رواح.

فكأنما أفاقا من السكرة، وزالت بينهما النفرة، واصطلحا صلحا بقيا به متوافقين، متعانقين فى الأوانى، متلازمين فى الصوانى، وزال الشقاق، وربحا الوفاق، فشكرا على هذا الصنيع، وتأسف على فراقهما من الناس الجميع.

إنتهت والحمد الله وحده.

---

(١) يتحضر فى هـ.

مفاخرة الورد مع النسرين

بسم الله الرحمن الرحيم

ابتدىء فى النظام بالصلاة على أشرف الأنام، الذى أظهر الإسلام بمد الحسام، وبعد هذا أصف لكم قصتى الغريبة، وأحوالى العجيبة، الله يعلم أنى يوم فراق الأحباب، وتعذيب قلبى المصاب، بكيت حتى ابتل من دمع عينى التراب، وعدمت طعم الطعام والشراب، فلما كشف جسمى النحول، وجرى دمعى سيول، علمت أن شرح الغرام يطول، فأنشدت أقول:

ولما كـوى قـلبى فـراق أحـبـتى ∴ وغـادرنى صـبـرى عـدمت وجـودى
وناديـت أيام الـوصـــال تعـطفى ∴ وحـتى على مـضـنى الغـرام وجـودى

قال: فسرت فى أثر سيرهم، وقلبى لا يميل إلى غيرهم و فلم ألق إلا الطريق، من غير صديق ولا رفيق، فاخترت الدخول للرياض فى السحر، عسى تنتفى عنى الهموم والفكر، فدخلت إلى روضة رائقة، وزهرة لائقة، لعلى أتنشق ريح الأزهار، وأسمع حنين الأطيار، فوجدت النسيم فى الروض حائر، والدولاب عليه دائر، ورأيت عيونا جارية، وأغصانا زاهية، وطيورا متناغية، وورد وبان، وزهر وأقحوان، فانشرح صدرى، وزال عنائى وفكرى، ولكنى تذكرت خد الحبيب برؤية الورد النصيب، فجئت له مسائل، وهو بلطف النسيم مائل، فقلت له: مإلى أرى ظاهرك أحمر، وباطنك أصفر، كأنك مثلى عاشق، أيها الغصن الشاهق. فقال: وأنا كما تقول، فلا تظن إن قولى مجهول، فأنشدنى شيئا يعجبنى فأنشدته مقطوعا لطيفا، مختصرا ظريفا:

تمايل الـورد عـجـبـا فـى غـلائله ∴ مـذ حـركت نسـمـات الصـبح سـاكنه
فـاحمـر من عظم نار الوجـد ظاهره ∴ واصـفـر مـن كـتـم سـر الحب بـاطنه

ثم التفت إلى النسرين، من بين تلك الرياحين، فوجدته متكئاً على سرير أخضر، ورائحته أزكى من العنبر، فلحقتنى منه رائحة من روائح الأحبة، فذكرتنى ما مضى من المحبة، فقلت ما أذكى تلك الرائحة، التى فى الرياض فائحة، فوالله لولا الورد صاحب الشوكة فى البستان، لكنت تصلح أن تكون على الزهور سلطان، ثم رجعت مائلا، وأنشدت قائلا:

لما بدا شـجـر النسـريـن فـاح له ∴ نشـر يعـادل ريـح المسك بعـبـقـه
فـخلت مـذهـب نشر منه عطرنى ∴ كـأنه من شـذا الأحـبـاب انـشـقـه

ثم ابتدأت على إليمين، حتى انتهيت إلى إلياسمين، فوجدت خامه[1] فى الروض ضروب، وهو عن الزهور محجوب، وقد ألبسه الله خلعة من التصافى، وجعل قلبه أبيض سافى، فقلت: والله ذكرتنى جسم الحبيب، وأجريت دمعى من جفونى صبيب، ثم أنشدته طوع، وأنا شارق بالدموع:

لما تبدى غصين الياسمين بكى ∴ طرفى فأسقيته من أدمعى[2] غدقا
وقلت لاح بياض منك يعجبنى ∴ كأن جسم حبيبى منك قد خلقا

قال: ثم رأيت البان قضيب ملتحف، يميل مع النسيم من الهيف، يتعجب فى الميلان، كأنه قضيب خيرزان، فقلت: قوامك حرك عندى الهوى، ولونك يشبه لونى سوا. ثم أنشدته:

غصن من البان قد تبدى ∴ رأيته زاد فى جفونى
قوامه مثل قد حبى ∴ ولونه بالضنا كلونى

ثم رأيت الآس ظريف الشمائل، مظفر الدلائل، قد زهت أغصانه، وامتدت قضبانه، بسبب النسيم ضفائره، وترنم بالتغريد طائره، وقلت: ما أشبهك بضفائر شعر الحبيب، اسمع ما قال الكئيب:

عجبت من غصن آس ماس من طرب ∴ قد جد فى النوح والتغريد طائره
وهب فيه نسيم الصبح فخيل لى ∴ بأن حبي قد أرخى ضفائره

قال: فبينما أنا مفكر فى نسمات الأسحار، ونغمات الأطيار، وروائح الأزهار، وألوان الأشجار، والعود يئن من كبد حزين، وأنشد شرح حاله يقول:

أنا القطيع الرجيع الساهر العانى ∴ أنا المغرب عن أرضى وأوطانى
أنا الذى كنت غضا يافعا خضرا ∴ جار الزمان على ضعفى فأرمانى
يا طول ما ماس قدى فى غلائله ∴ مُذ حركت نسمات الصبح أغصانى
أصبحت أمرغ خدى فى التراب ∴ على ما نابنى من صبابات وأشجانى
فطال نوحى وأقلقت الأنام ولى ∴ عين على ما جرى تبكى بغدرانى
يا لهف قلبى حريق النار من عطشٍ ∴ والأرض ريانة من فيض أجفانى

---

(1) خامه: خيامه.
(2) مدمعى فى أ، هـ.

فتأوه القلب من مقاله، وقال له حالك بحاله، إذا لاح كان العود يشتكى الفراق، فجميع الناس عشاق، فنسيت الهوى، وتركت الصبابة والنوى، وراجع طرفى المنام، وتبت عن العشق والغرام، فبينما أنا منشرح فرحان، إلا ونسيم البان قد هب على الأغصان، فتمايلت شجرة من شجر الرمان، فرأيتها ترفل فى ثوب أخضر مقمعة البنان، بأحمر قد هزت قدها، وأبرزت نهدها، فأخذتنى الفكرة، من تلك النظرة، ونسيت كلام العود، وأبذلت فى طلبها المجهود، فأنشدت تلك الشجرة بأبيات مفتخرة:

رمـــانة خطرت فى ثوب مـــرسين ∴ كادت من اللطف والتاويد تسبينى[1]
فـالقد والنهـد والتخضيب من يدها ∴ سهم وجـدت خيـال الحب فى عينى

فضاقت بى السعة، من كثرة الهموم المتبعة، فاختصرت كثير المقال، بمقطوع فى شرح الحال:

يا قلب لا ترنى الأفـراح مـغتـضبًا ∴ إن الحـــزين حـــزين ليس ينشـــرح
مــا سر عــينان مما أبصرت فـرحـا ∴ إلا وقـــد ضـــرها من بعــــده ترح

فقلت: لما رأيت الروض الخصيب، ذكرنى محاسن الحبيب، فاخترت الرحيل من ذلك المكان، فصرت زودع الأغصان، بهذه الأبيات الحسان:

يا صـاح كل غصين فى الرياض غـدا ∴ يزهو بقـامــتــه فى ثوبـه الخــضـــر
مـشـر بشين بتـيـجـان الزهور كـمـا ∴ تجلى العـــرائس فـى حلـى الزهـر

ثم عـزمت على الرحيل والرواح، وأنا ذاهب الإنشراح، الإوقـد هب نسيم الصبـاح، وتبسمت ثغور الأقاح، وعبق المشموم وفـاح، فانطبع كل غصن فى زهره، وافتخر بزكاء نشره، فعجب النسرين فى ذاته، من رائحته وصفاته، وضحك وتبسم، ومال مع النسيم ورنم، وأنشد:

أيا مـجـمع الأحبـاب ميلوا لنحوى ∴ واســـمــعـــوا جـــهــــرا نداى
فـــهل لـلعنبـــر المسكى نشـــرى ∴ وهـل للروض سلطـان ســـــواى

فعند ذلك قال له جيش الورد: ها أنت بنفسك غلطان، هل للروض غير الورد سلطان، فأخذ فى نفسه ذلك الكلام، وأراد مع الورد الخصام، وكثر بينهما النمام، فلما سمع الورد

---

(١) التأويد: الاعوجاج والانثناء والانحناء.

بذلك اهتز وماج، وخرج من السياج وقرب من النسرين يشاجره، وبين قومه وجنده يفاخره، فقال له وهو زائد الاحمرار، مفكك الأزرار: ويلك، تعلو عليّ في البستان، وأنا في الروض سلطان، فقال له النسرين: أنا الذي في الروض أذكر ورائحتي كالمسك الأذفر ويحشى بي العنبر، فقال له الورد: ويلك يا ضعيف الجسم، يا قليل القسم، أنا سلطان الزهور، المحضر في الصدور، أنا الورد المذكور، فقال له النسرين: كم تقل قدري، وتروم قتلي وأسري، ما أكثر كلامك يا جمري، فعند ذلك أخذ الورد الحنق، وظهر من بين الورق، وقرب إليه، واحمرت عيناه عليه، وقال له: أنت محزون يا كثير الجنون، كيف تهددني ولي من الخواص فنون، مائي يصلح العيون، وورقي بالدخول معجون، وطال بينهما الكلام، ودخل عليهما الظلام، فانصرف كل منهم إلى مكانه، وقص ما جرى له على قومه وفرسانه، وباتوا متجهزين للحرب والكفاح، إلى أن أصبح الصباح وانهزم الليل وراح وأزهر النهار ولاح، ونحن نصلي على سيد الملاح، قال: فعند ذلك أمر النسرين بجمع العسكر، فانهزم أكثرهم وتأخر، مراعاة للملك الأحمر، ثم ضحك استهزاءاً وازدراءاً بالورد وكركر، وقال: أنا منه بالحرب أخبر، وأقنع بما تسير، واليوم يبين لكم الأشطر، قال: فعند ذلك أطاعه البان، وجاءه من أوراقه عريان، والسرو مشمر عن ساقه، والأقحوان يرمق بأحداقه، واتشح البنفسج بوشاحه الأزرق، وجاء الموز بأعلامه الخضر تخفق، وانتظم الحال، وبرزوا للحرب والقتال، قال: فعند ذلك دعا الورد بالوزير، ليستشيره في ذلك الأمر والتدبير، ثم أمر بعبده ريحان، أن يحضر بين يدي السلطان، فما استتم الكلام، حتى ضربت الخيام، ونصبت الأعلام، وتزلزلت الأقدام، من الوقوف بين الأنام، ثم بدأ بالسلام، وقبل الأقدام وقال لا تخش من شئ يؤذيك، والله ينصرك على من يعاديك، ورجع من عنده، إلى جيشه وجنده ثم أمر الشنبر أن يعلق الشواليش السلطانية ويحمل السيوف الهندية، وامتد القصب كالرماح الخطية، واكتست الأرض بالخيول والدروع الداوودية، وحمل الترنج الخوذ الذهبية، وجهز الكباد الحجارة الكفية، وظهرت الفرسان المسمية، وتقاسمت الزهور نصفين، وكان الجوز بينهم بوجهين، وشاعت الأخبار، وتناغت الأطيار، وانفتحت عيون الأزهار، وعلق النارنج ستائر من نار، وقال الليمون: أنا أريهم النجوم بالنهار، فعند ذلك عظم الزعيق، وافترق الرفيق من الرفيق، وأنكر الأخ الأخ الشقيق، وأصبح التوت في دمائه غريق، وسقط النارنج من علوه وانخرط، وصاح من لونه حتى انشرط، واقبل اللوز وهو شديد القوة، عظيم المروة، وقال للورد: لا تخف ولا تفزع، الباغي له مصرع، فاركب ولا تتمهل، واعزم وتوكل، قال: فعند ذلك ركب الجيشان وتطارقت، والتفت الأغصان وتطابقت، وجرت القنا كالخيول وتسابقت، وشب النسيم وبان الشجاع الكريم، وانهزم العديم، فالحكم لله الصمد القديم، ولا زال الحرب والطعان، في حومة

البستان، حتى اشتهرت الفرسان، وبان الجبان، وصاح النسرين: الأمان الأمان. قال: فلما بلغ الورد أن النسرين قد ارتعد وانذهل، واصفر وجهه حياءاً وخجل، وندم على ما فعل، احمرت من الفرح وجنتاه، ثم إنه ضحك حتى استلقى على قفاه، وأنشدت على ما أولاه:

أيا نسرين ماذا الأمر حتى ∴ فعلت من الأسى ما لا يلايق
وكان زماننا صافي وكنا ∴ كإخوان فتحسدنا الشقائق

قال: فما استتم الورد من شعره، حتى علم النسرين بأمره، فتندت عيناه بماء الثبور، وأصبح دمعه فى الروض منثور، ثم إنه ندم على المقابحة، وأراد بهذه الأبيات المصالحة:

أيا ورد سامحنى بما قد جنيته ∴ فأنت على طول الزمان رفيقى
وإن حسدتنا فى الرياض شقائق ∴ فإنك خير من أخى وشقيقى

قال: ثم انه ترجل بين يدى الورد وهو منكس الأعلام، متحفى الأقدام، فاعتنقه الورد وأحسن إليه، وترك إساءته عليه، ثم قال: إن فى الصبر حلاوة، ولا صلح إلا بعد عداوة، قال: فعند ذلك حصل بينهم الإتفاق، وهب عليهم النسيم وراق، ومالت القضب للصلح والعناق، وفرغ الحرب وانفصل، وتقطعت أشجار الكرم بالخصل، وشبت الريح بأطراف الأغصان، وصفقت حواشى الغدران، وعظمت الأفراح، وذهبت الأتراح، واحمرت وجنات التفاح، وصيغت من النوفر أقداح، ودعوا بالراح، دارت لهم الساقية، وصارت بينم جارية، فخفى منهم الخطاب، وطال بينهم العتاب، وانشرح كل منهم وطاب، وشقق الزهر عنه الأثواب، وغضت عيون النرجس حياءاً وآداب، وجاءت لتهنئة الورد الفرسان والأصحاب، فأول من دخل عليه الزهر وهو زائد فى ابتسامه، يضحك فى أكمامه، أعلامه الخضر تخفق، وثوبه فى الحرب تشقق، وعليه من أغصانه رونق، ثم تقدم إلى الورد وسلم، وجلس بين يديه وترجم، وانشد

يا دولة الورد إن كانت مصيبتكم ∴ هانت علىّ فلا واصلت أحبابى
لو لم يكن هول ذاك اليوم روعنى ∴ ما زاد حزنى ولا شققت أثوابى

ثم أنصرف.

وأقبل اللوز على جواد أخضر، وهو شايش فى العسكر يضحك ويتكسر، ففاق فى حلاوته السكر، فابتدأ الورد بمقاله، فشكره على حسن فعاله، وقال له: أعد لى الأبيات التى نشيت بها

فى الحرب جنانى، حتى أمدك إليوم بإحسانى، قال: فعند ذلك دنى بقربه، وصاح من قلبه، وأنشد:

أنا اللوز مرّ فى المذاق أبو القوى ∴ ولى فى شديد المعركات عوائد
فإن خلت الفرسان عنك فإننى ∴ عليك بناموس الشجاعة عاقد

ثم أنه انصرف، وأقبل التفاح، مخضبا بدم الكفاح، قد بان عليه النصر ولاح، ثم ترجل فى الحضرة وتدحرج كالأكرة وانشد يقول:

نهار المعركات بكى حسودى ∴ ورنحنى الهوى وهززت عودى
وأجريت الدماء فى الأرض حتى ∴ غرقت به وأثر فى خدودى

ثم إنه انصرف.

واقبل البرقوق ولونه أحمر، وهو بتراب الحرب مغبر، وعوده محترق من الحر، وجال بينهم وتجسر، وجالسهم فى المحضر، وأنشد يقول:

نيران عشقى صيرتنى مثل ∴ الرقيق مسودا ولكنى
قاتلت باللحم فلما انتهى ∴ حالى بكم بان النوى منى

ثم أنه انصرف

وأقبل السدر وهو لطيف الكون، مصفر اللون خائف من النمل إذا دُب، والهوا إذا هب، حتى أقبل على الورد فسلم عليه، وتمثل بين يديه، فقال له الورد: مإلى ما رأيتك يوم الحرب، والمعمعة والضرب، فقال: ليس لى على الحرب قوى، وأسقط من هز الهوى، وأقل من لطشة، تخرطنى بالكبشة، لكن أزبدت وأزغبت، ودعوت لكل بالنصر على عاداتك، وأردت أن أموت فى حياتك، وأنشد يقول:

قلنا لجيش الورد لما بدا ∴ فى شعلة الحرب بنا رفقا
دعنا نمت تحت لواءكم ∴ ولا نعيش من بعدكم ولا نبقى

ثم إنه انصرف:

وأقبل المشمش وعليه ثوب من الزمرد الأخضر، مرصع بالذهب الأصفر، وهو يمشى ويتخطر، إلى أن وصل إلى الورد فى المحضر، فسأله الورد عن حاله، وكيف أصبح فى حربه

وقتاله. فقال: قد كنت قدر ما أنا مرتين، فأصبحت على الثلثين، ولكن أنسانى، فرحكم أحزانى، وأنشد:

على أعـدائكم رمـانى الهـوى ∴ فـصـاحت الفـرسـان منى الأمـان
لأجل ذا أصـبـحت من فـرحـتى ∴ أخطـر فى ثـوب من الـزعـفـران

ثم إنه انصرف:

وأقبلت الثامرة تمشى وتتخطر، فى ثوب خز أطلس مدثر، وهى بين الغصون تتجلى، كأنها عروس فى حلى، زائدة الفرح والسرور حتى انتهت إلى سلطان الزهور، فأحسنت سلامه وقبلت أقدامه، فقال لها الورد: أين كنت يوم الحرب عنا، لا شفقة عليك ولا حنا، وأطرقت منه حياءاً وأنشدت تقول:

لـو أنـنـى فـى الـروض أدعـى بـذى ∴ شـجـاعـة والحـرب فى قـدرتى
حـمحـمت بالسيف نـهـار الوغى ∴ رءوس أعـدائـك من جـبـتـى

وصار كل غصن من الروض يأتيه، ويسلم عليه ويهنيه، فشكرهم وأنصفهم غاية الإنصاف، وأمرهم بالإنصراف، وانقطع ذلك النهار بالسرور، على أنس وزهور وكاسات تدور، ورجع كل غصن إلى حاله، واستقر النسرين أمير، والياسمين وزير، هذا ما تقدم من المفاخرة، والحروب النايرة.

• رسالة الأزهار

للقاضي ضياء الدين ابن الأثير

«ومما سمحت لي به الأيام، وما أقول إلا إنها غفلة والغفلة أخت المنام، وذلك إني أصحرت على حكم الارتياد، وخلوة الإنفراد، في يوم متأرج الصبا، متبرج الوهاد والربا، سماؤه بأجنحة الفواخت محجوبة، وقطره في أعناق الأغصان درر ولكن غير مثقوبة، والجو قد برز في حلته الدكناء، ولو كان للحسناء مثلها لزاد في ملاحة الحسناء، والأنهار قد سلت بأيديها كل عضب [1] صقيل صيغ فضة بيد الضحى وذهبا بيد الأصيل والأغصان كأنها خلقت منابر لخطباء الحمام، وصورة أوراقها محاجر لدموع الغمام، وخرطت أزهارها مجامر المندل الرطب وقدر أقحوانها فما لموسر التعرب والطير ما بين متطلع من وكنه، وقائم على غصنه، من كل مقوف الطيلسان، ذا طوق يزهي على طوق العقيان.

يصلن بنوحي نوحهن وإنما ∴ بكيت بشجوي لا بشجو الحمائم

فبينا طرفي يسرح في محاسن الروض وبدائعه، وطرفي يتحير في مسارح رعيه ومراتعه، إذ دخلت حديقة قد سقاها النعيم ماءه، وألبسها نعماه، فيها ملهى للناظرين والسامع، ما بين مغرد وساجع، وأحمر قاني وأخضر ناضر وأصفر فاقع، وما أقول إلا إنها خلقت في الأرض، وقيل استدلوا بها على جنة السماء وبعض الأشياء يدل على بعض.

فلما دخلت قلت الحمد لله والحمد هو آخر دعوى أهل دار السلام، وشوقتني إلى أختها في الآخرة فأخذت في اكتساب الحسنات واجتناب الآثام، ولما طوفت بها لم يكن بأسرع من أن وثب النرجس وثبة الريم من كناسه، نافضاً عن جفنه سنة نعاسة، وقال: أنا عيون الرياض الناظرة، وزهراته الناضرة، بي يوصف تضعيف الأجفان، وأنا البشير بمقدم طيب الزمان.

فنض لمبارزته الأقحوان، بمرهفي سيف وسنان، وقال: أيها المفتخر بما ليس فيه، الراعي زرعاً ليس بواديه، بماذا تتيه على خلطائك، وتشرف على نظرائك، وأنت لا تزال منكوس الراس وأنت أعجمي الأصل والعجمة ضرب من الإلتباس، ولولا خبث طويتك لما كتفت، ولو لم يلحق بك الماء ذبلت وتلفت، ولا تستخدم إلا صاغراً قائماً، ولا تزال لهفان هائماً، وأما أنا فحسنى حسن البداوة، ولا حسن للحضارة، ولا أحتاج لما يحتاج إليه النبت من النفخة

---

(١) عضب في أ، غصن في جـ، وصب في د.

المستعارة، ألا ترى إنك تنقل من الصحراء إلى البستان، ولولا ذلك لم تكتسب طيب العرف وتضعيف الأجفان.

فلما انهى الأقحوان مشاجرته، وأثبت مفاخرته، وثب الشقيق لكفاحه وقال: أردت أن تتقدم فتأخرت، وظننت إنك تفخر فما فخرت، غاية ما عندك إنك تشبه بالثغور، وكفاك سوءة أن تشبه بعظام أهل القبور، ولكن أنا المصبوغ بدم القلوب، الشارب دمع الغمام المسكوب

عن مهجتي تتحدث الزهرات ∴ وإلى احمراري تنسب الوجنات
فانظر إلى المحمر ثم تأمل ∴ المسود فيه كأنه خالات(1)

فنهضت له زهرة بدوية الأنساب، لا تهوى في غالب أمرها الإسكان القباب، فقالت: هلا وقفت مكانك، وميزت بين غير شانك، فعلمت مازينك وشانك، ألست الضعيف البنية، القريب المنية، تأتي والربيع يختال في حلل الإعجاب، فتأذن لعمره بالانتضاب، لكن أنا الذي ناسبت السماء بزرقتي، وأرجت الأرض بطيب عبقتي، لزمت أهل الوبر، أنفة من أهل المدر.

وإذا ما استطيب ريح زكي ∴ شبهوه(2) بريحتي تعظيما
أنا صبح الأزهار حقًا وما دو ∴ نى تراه العيون ليلاً بهيما

فاندلق البنفسج خنق الأوداج، وانقض انقضاض الكوكب الوهاج، وقال أيتها الساكنة مساكن الشيح والقيصوم، التي لا يعلم لها مقام في المفاخرة حتى يقال ومامنا إلا له مقام معلوم، هل أنت إلا ريحانة المشققي الكعاب، البوالين على الأعقاب، وتنشق عنك البيدا، لترعاك الظبية الصيدا، فقد حرمت ريف العراق وطيب نسيمه، ومنعت مقارنة الحضر ونضرة نعيمه، فلا يضحى إلى مباهلة الرياحين ذا أمل متطاول (3) وأين الثريا من يد المتناول، ولكن أنا حبيب النفوس، وتاج الروس، والعطر الموجود في الجيوب، واللون الذي يشبه عذار المحبوب.

فأقبل الورد في جنوده، خافقاً ألسنة عذباته وبنوده، محمر الوجنات من سوء الأدب فجال في ميدان المفاخرة وصال، وهتف بالبنفسج وقال:

---

(1) خالات = شاه مات في هـ.
(2) شهوة في أ، شبوه في ب.
(3) أصل في جـ.

أعليّ يفتخر البنفسج جاهلاً ∴ وإلى يعزى كل فضل يبهر
وأنا المحبب للقلوب زمانه ∴ وبمقدمي أهل المسرة تفخر

كيف أطعت هوى نفسك الأمارة، حتى افتخرت بحضرة الإمارة، ألست صاحب الاسم المعجم، والبرد الذى ليس بمعلم، بينا ترى ناضراً إذ ترى الطرف عنك نافراً، وهل لك فخر إلا أن تشبه بالعذار إذا بقل، وبالكبريت إذا اشتعل، ولم تحظ من هذين الوصفين إلا بالصيت المذموم، لأن هذا إحراق النار وهذا تسويد الخد الملثوم، على إن بعض البلغاء ذكر تشبيهك بالعذار، ونزع عنك خلعة هذا الثوب المعار

ومهفهف لما بدا فى خدّه ∴ شبه البنفسج وانطفى توريده
غم البنفسج حين شوه خلقه ∴ وعلا على مبيضه[1] تسويده

لكن أنا أيامى أيام الأفراح، ومراوح[2] الأرواح، لا يشرق الربيع إلا بورودى، ولا تشبه خدود إلا بخدودى، ولا تطرب النفوس إلا بمجاورتى ولا تطيب الكؤوس إلا بمحاورنى،

فمن ذا يضاهينى بوصف فضيلة ∴ وفضلى على كل الرياحين ظاهر
زمانى على الأزمان بى متشرف ∴ وفخرى لمن يبغى التفاخر قاهر

ولم أزل من الأزهار فى سؤال وجواب، وأنا منصت إنصات المتعجب لمفاخرات الإعجاب، حتى سمعت صوت هاتفة ورقاء على بانة خضراء، بلسان فصيح وقلب بفرقة الأحباب جريح وقد أوفت على غصنها الرطيب ومالت وأعلنت بما أسرته من وجد وقالت:

اذكرونا مثل ذكرانا لكم[3] ∴ رب ذكرى قربّت من ترحا
وارحموا صبًا إذا غنى بكم ∴ شرب الدمع وعاف القدحا

لقد جزتم حد الأذكار، ولم ينج أحد منكم من سقطات العثار، هب أنكم نزهة العيون، وزينة الأفنان والفنون، فهل أنتم إلا أعشاش أفراخنا، ومواضع أوساخنا، وأعواد خطبائنا، وأرائك أمرائنا، ومهود أبنائنا، وستور نسائنا، روسكم محط أرجلنا، وهاماتكم نعال أرجلنا، ونحن المسبحون بحمد ربنا، بالألسن الناطقة، والأفواه الرائقة.

---

(١) تبييضه فى جـ.
(٢) مرواح فى أ.
(٣) عهدكم فى أ، هـ.

فلما سمعت كلام الحمائم هممت بالانصراف من حيث أتيت، لأخبر بما سمعت وما رأيت، إذ أقبلت غمامة تمشى لثقلها مشى الرواح، ويكاد يلمسها من قام بالراح، وما أظلمت إلا أضاء البرق فى جوانبها فتمثلت ليلاً فى صباح، فلم يزل البرق يأخذ فى إذهاب ردائها، والرعد ينذر بأندائها، وهى تلقى على الأرض ما حملت فى أحشائها، وتنشى بها خلقاً أخراً من إنشائها، ثم قالت:

يا ذوات البكا والنوح، المفتخرات على الأيك والدوح، ألستم الباكين بغير جوى، الشاكرين بغير هوى، قلوبكم خاشعة، وعيونكم غير دامعة، منكم عرف اختلاف الباطن والظاهر، وقد أعرب عن ذلك قول الشاعر:

وهاتفة فى البان تملى غرامها ∴ فتتلو علينا من صبابتها صحفا
ولو صدقت فيما تقول من الأسى ∴ لما لبست طوقًا ولا خضبت كفا

لكن أنا مخرج الأرض من موتها إلى نشورها، ومظر ما فى بطونها إلى ظهورها، وقد نطق بحإلى الكتاب العزيز النهيج «وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج».

فبينما الغمامة تطلق لسانها، وتذكر إحسانها، إذ عارضتها الشمس فخرجت من أثوابها، وبرزت من حجابها، وقالت: هذ منة على الأرض أنا أولى بها وشيمتك أيتها الغمامة البكا من غير حزن، والحنين من غير فراق إلف ولا سكن، لكن أنا عروس الفلك الدوار، ومزينة الأزهار والثمار، ومصلحة ما أفسدته تتابع الأمطار.

فلما رأيت النزاع بينهم لا ينقطع مجاذبة حبله، وإن كلا منهم لا يسلم لصاحبه ما يدعيه من فضله، قلت لهم: إن الله عند لسان كل قائل، والرجوع إلى الحق أولى من التمادى على الباطل.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم واعلموا أن قد جاءكم مخلص كريم، ألم تعلموا أنه جامع هذه الأوصاف كلها مولانا السلطان الملك الأشرف مظفر الدين موسى الذى سعيه مشتق من لقبه، وسبقه إلى المعإلى سبق المنتمى إليه من نسبه، فهو الممدوح بكل لسان، الذى حظى بشبيبة العمر وشبيبة السلطان.

تلوح فى غـــرة الأيام دولتـــه ∴ كـــأنهـــا ملّة الإســـلام فى الملل

فاعترف الربيع بنضارة أخلاقه، والنسيم بطيب أعراقه، والغمام بجود يمينه، والشمس بضوء جبينه، وأقرت الأطيار له بالثنا، وقالت لا أتغنى إلا بمدحه وأطيب المدح، ما أشبهه بالغناء.

فلما أعترف الجميع لأنفسهم بالنقص وله بالمزيد، وقالوا إذا جاء نهر معقل بطل نهر يزيد، تمثلت عند ذلك بقول القائل:

ليس على الله بمستنكر ∴ أن يجمع العالم في واحد

ثم لما خرجت عن الروضة نادتنى الثمار من أشجارها، والسحابة من أقطارها، والشمس بأنوارها، وقال كل منهم نراك محباً لهذا الملك الذى أصبحت محبته إجماعاً، وأجبته أنت عياناً وأجبناه نحن سماعاً، ونحن نقسم عليك بمناقبه التى كثرت على وجه السما وعدد النجوم، وجرت من المعالى مجرى الأرواح فى الجسوم، إلا ما جمعت فينا ما قاله الأدباء فى مجموع مختصر، لم نقف فيه على أثر، فقلت: أجبت هذا القسم الكريم وإنه لقسم لو تعلمون عظيم.

مقامة الرياحين

أنشأ مصنف الكتاب الإمام الحافظ المجتهد جلال الدين السيوطى الشافعى رحمه الله برحمته تعالى والمسلمين، بسم الله، وصلى الله على سيدنا محمد وآل وصحبه وسلم

[المقامة الوردية فى الرياحين والزهور]

حدثنا * عن أبى الريحان * عن بلبل الأغصان * عن ناظر الإنسان * عن كوكب البستان * عن وابل الهتان * قال مررت يوما على حديقة * خضرة نضرة انيقة * طلولها وديقة * وأغصانها وريقة * وكوكبها أبدى بريقة * ذات ألوان * وأفنان * وأكمام وأكنان * وإذا بها أزرار الأزهار مجتمعه، وأنوار الأنوار ملتمعة * وعلى منابر الأغصان أكابر الأزاهر * والصبا تضرب رؤسها من الأوراق الخضر بالمزاهر * فقلت لبعض من عبر * ألا تحدثونى ماالخبر * فقال إن عساكر الرياحين قد حضرت * وأزاهر البساتين قد نظرت لما به نضرت * واتفقت على عقد مجلس حافل * لاختيار من هو بالملك أحق وكافل * وها أكابر الأزاهر قد صعدت المنابر * ليبدى كل حجته للناظر * ويناظر بين أهل المناظر * فى أنه أحق أن يلحظ بالنواظر * من بين سائر الرياحين النواضر * وأولى بأن يتأمر على البوادى منها والحواضر* فجلست لأحضر فصل الخطاب * واستمع إلى ما يأتى بع كل من فنون الحديث المستطاب* فهجم الورد بشوكته * ونجم من بين الرياحين معجبا بإشراق صورته وإفراق صولته * وقال بسم الله المعين * وبه نستعين * أنا الورد ملك الرياحين * والوارد منعشا للأرواح ومتاعا لها إلى حين * ونديم الخلفاء والسلاطين * والمرفوع أبدا على الأسرة لا أجلس على ترب ولا طين * والظاهر لونى الأحمر على أزهار البساتين * والأشرف من كل ريحان فخرا * بإنى خلقت من عرق المصطفى وجبريل والبراق ليلة الاسراء والمظفر بقوة الشوكة والصولة * والمنصور على من ناوأنى لأنى صاحب الدولة * والعزيز عند الناس * والمودود بين الجلاس للإيناس * والعادل فى المزاج * والصالح فى العلاج * أسكن حرارة الصفراء * وأقوى الباطن من الأعضاء * وأطيب رائحة البدن * ومن شم مائى وبه غشى أو صداع حار سكن * وأقوى المعد * وأفتح من الكبد السدد * وأبرد انواع اللهيب الكائنة فى الرأس * وربما استخرجها منه العطاس * وانبت اللحم فى القروح العميقة * واقطع التآليل كلها إذا استعملت أزرارى سحيقة * وأنفع من القلاع والقروح * وأنا بعطريتى ملائم لجوهر الروح * وشمى نافع من البخار * مسكن للصداع الحار * وبزرى نافع للثة الفم * وأقماعى تقطع الإسهال ونفث الدم * ومائى يسكن على المعدة حرا * وينفع من التهاب المرة الصفرا * وشرابى يطلق الطبيعة القوية * وينفع من الحميات الصفراوية * واذا

ـرب مائى بالسكر الطبرزد قطع العطش من المادة * ونفع أصحاب الحمى الحادة * وإذا
ـمدت العين بورقى الطرى نفع من انصباب المواد * ومطبوخى طريا ويابسا ينفع من الرمد
ضـماد * ومطبوخ يابسى صالح لغلظ الجفون * ومسحوقه إذا ذر فى فراش المجدور
لحصوب نفع من العفون * ومن تجرع من مائى يسيرا * نفعه من الغشى والخفقان كثيرا *
ـهنى شديد النفع للخراجات * وفيه مآرب كثيرة لذوى الحاجات * وأنا مع ذلك جلد صبار
أجرى مع الأقدار * إذا صليت بالنار * وكفى رفعة على الأقران * أن لفظى مذكور فى
ـرآن * فى سورة الرحمن * فى قوله تعالى فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان * وقد
ـمانى أمير المؤمنين المتوكل كما حمى الشقائق النعمان * وهذا تقليد من الخلاق بالملك على
ـثر الريحان، ولى من بينهم من يخلفنى فى الحكم إذا غبت طول الزمان * فلهذا رفعت من
ـصانى الأشائر * ودقت من داراتى البشائر * واعلمت لى المشاعر * وقال فىّ الشاعر*

للورد عندى محل ∴ لأنه لا يمل
كل الرياحين جند ∴ وهو الأمير الأجل
إن جاء عزوا وتاهوا ∴ حتى إذا غاب ذلوا

﴿وقال الآخر﴾

مليك الورد أقبل فى جيوش ∴ من الأزهار فى حلل بهية
فوافته الأزهار طائعات ∴ لأن الورد شوكته قوية

فقام النرجس على ساق * ورمى الورد منه بالأحداق * وقال لقد تجاوزت الحد يا ورد *
ـعمت أنك جمع فى فرد * ان اعتقدت أن لك بحمرتك فخرة * فإنها منك فجره * قال النبى
ـلى الله عليه وسلم إن الشيطان يحب الحمرة فإياكم والحمرة * وكل ثوب ذى شهره * وإن
ـن إنك النافع فى العلاج * فكم لك فى منهاج الطب من هاج * ألت الضار للمزكوم *
ـطس للمحرور الدماغ عند المشموم * المضعف للباه * النائم بلا انتباه * أتغتر ببردك القشيب،
ـانت الجالب للمشيب * فاحفظ بالصمت حرمتك * وإلا أكسر بقائم سيفى شوكتك *
ـكفيك * قول ابن الرومى فيك *

يا مادح الورد لا ينفك من غلطه ∴ ألست تبصره فى كف ملتقطه
كأنه سرم بغل حين سكرجه ∴ عند البراز وباقى الروث فى وسطه

ولكن أنا القائم لله فى الدياجى على ساقى * الساهر طول الليل فى عبادة ربى فلا تطرف أحداقى * وأنا مع ذلك المعد للحروب * المدعو عند تزاحم الكروب * ألا ترى وسطى لا يزال مشددا * وسيفى لا يبرح مجردا * وأنا فريد الزمان * فى المحاسن والإحسان * ولهذا قال فى كسرى أنو شروان * النرجس ياقوت أصفر * بين در أبيض على زمرد أخضر * وأنا المشبه به عيون الملاح * والمعروف فى مهمات الأدواء بالصلاح * أنفع غاية النفع * من داء الثعلب والصرع * وقد روى فىّ حديث رواية غير مقل ولا مفلس * شموا النرجس فإن فى القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها إلا شم النرجس * وفى أصلى قوة تلحم الجراحات العظمية * وتنفع ذكر العنين وتجيد تقويه * وشمى ينفع من وجع الرأس والزكام البارد * وفىّ تحليل قوى لمن هو له قاصد * ودهنى نافع لأ وجاع العصب والأرحام * وأوجاع المثانة والأذن والصلب من الأورام * ولولا اشتهارى بالنفع من الجوى * ما أكثر النحاة التمثيل بقولهم نرجس الدواء * ومن الدليل على صلاحى * إن أبانواس غفر له بابيات قالها فى امتداحى *

تأمل فى رياض الأرض وانظر ∴ إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين ناظرات ∴ بأحداق كما الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ∴ بأن الله ليس له شريك

ولقد أحسن ابن الرومى حيث قال * مبينا فضلى عليك بكل حال *

أيها المحتج للورد بزور ومحال
ذهب النرجس بالفضل فانصف فى المقال
لا تقاس الأعين النجل بأسرام البغال

فقام ﴿الياسمين﴾ * وقال آمنت برب العالمين * لقد تجبست يا جبس * وأكثرك رجس نجس * وأنت قليل الحرمة * واسمك مشمول بالعجمة * وكيف تطلب الملك وأنت بعد قائم مشدود الوسط فى الخدمة * رأسك لا يزال منكوس * وانت المهيج للقىء المصدع من المحرورين للرؤس * تسقط الجنين * ولا ترثى للحنين * أصفر من غير عله * مكسو أحقر حله * ويكفيك * قول بعض واصفيك *

أرى النرجس الغض الذكى مشمرا ∴ على ساقه فى خدمة الورد قائم
وقد ذل حتى أن من فوق رأسه ∴ عمائم فيها لليهود علائم

ولكن أنا زين الرياض * والموسوم فى الوجه بالبياض * والبياض شطر الحسن كما ورد * وأنا ألطف ورد جاء ورد * جاء ذكرى فى حديث فاح بنشره * أن قارىء القرآن يؤتى بياسمين الجنة فى قبره * فحديثى أصدق من حديثك سندا * ونشرى أعبق من نشرك صباحا وندا * فأنا أحق بالملك منك منصورا ومؤيدا * وأنا النافع من أمراض العصب الباردة * والملطف للرطوبات الجامدة * والصالح للمشايخ القاعدة * أنفع من اللقوة والشقيقة والزكام * ومن وجع الرأس البلغمى والسوداوى وأقطع نزف الأرحام * ودهنى نافع من الفالج ووجع المفاصل، ويحلل الإعياء ويجلب العرق الفاضل * يقول لى لسان الحال لست الهزيل مقاما ياسمين * ويشهد لى لسان الألثغ بأنى الدر الغالى إذا قال ياثمين.

أنا الياسمين الذى ∴ لطفت فنلت المنى
فريحى لمن قد نأى ∴ وعينى إلى من دنا
وقد شرفت حضرتى ∴ بصبرى على من جنى

فقام ﴿البان﴾ * وأبدى غاية الغضب وأبان * وقال لقد تعديت يا ياسمين طورك * وأبعدت فى المدى غورك * وكونك أضعف الكون * وكثرة شمك تصفر اللون * وإذا سحق منك إليابس ورض * وذر على الشعر الأسود أبيض * وإذا قسم اسمك قسمين * صار ما بين يأس ومين * وإن ذكرت نفعك * فأنت كما قيل لا تساوى جمعك * ولقد صدق القائل * من الاوائل *

لا مرحبا بالياسمين وإن غدا فى الروض زينا
صحفته فوجدته متقابلا يأسا ومينا

ولكن أنا ذو الاسمين * والظافر من الأصل والفرع بالقسمين * والقريب من الباز * والمضروب بقدى المثل فى الاهتزاز * أزهارى عالية * وأدهانى غالية * وقد ألبست خلعة السنجاب * واتفق على فضلى الأنجاب * أنفع بالشم من مزاجه حار * وارطب دماغه واسكن صداعه الكائن عن البخار * ودهنى نافع لموضع كل وجع بارد * وتحت ذلك صور كثيرة الموارد * من الرأس والأذن والضرس وفقار المفلوج والمجدور * والمعدة والكبد والطحال وكل عصب بالصلابة مقصور * ويكفى فى وردى * قول ابن الوردى *

تجـــادلـنا أمـــاء الـزهر أذكـى ∴ أم الخـــــلاف أم ورد الـقـطـاف
وعـــقـبى ذلك الجـدل اصطلـحنا ∴ وقــد وقع الـوفـاق عـلى الخـلاف

فقام ﴿النسرين﴾ بين القائمين * منتصرا لأخيه إلياسمين * وقال أتتعدى يابان على شقيقى * وأين الفرا من المذهب والدبيقى * وكيف يفاخر البلور * من هو مشبه بذنب السنور * ألم يعرفك الحال * قول من قال.

لله بســـتـــان حللنا دوحـــه ∴ فى جنة قـــد فـــتـــحت أبـوابهـــا
والبـــان تحـســبـه سـنانيـرا رأت ∴ بعـض الكلاب فنفـــشن أذنـابهـــا

ولكن أنا زين البستان * وفيّ من الفضة والذهب لونان * أنفع من أورام الحلق واللوزتين ووجع الأسنان * ومن برد العصب والدوى والطنين فى الآذان * وأفتح ما يسد به المنخران * وأقتل الديدان * وأسكن القيء والفواق * وأأوى القلب والدماغ على الإطلاق * وأحلل الرياح من الصدر والرأس * وأخرجها منه بالعطاس * وينتفع بى أصحاب المرة السوداء غاية الانتفاع * والبرى منى إذا لطخ به الجبهة سكن الصداع * وإذا تدلك فى الحمام بما منى انسحق * طيب رائحة البشرة والعرق * وإذا شرب من مجففى نصف مثقال * منع إسراع الشيب على التوال * ودهنى يحلل أوجاع الأرحام الكائنة عن داء * وينفع من الشوصة العارضة من سوء المزاج والبلغم والمرة السوداء * ويكفيك من المعانى * قول من عنانى *

مـــا أحـسـن النسـرين عندى ومـا ∴ أملـحـــه مـــذ كـــان فى عـيـنى
وهو إذا مـــا أنا صـــحــفـــتـــه ∴ وجـــدته بشـــري ويســـريـن
فـقـــام البنفـسج وقــد الـتـهب * ولاحت عـليـه زرقـــة الـغـــضب

وقال أيها النسرين * لست عندنا من المعدودين * ولا فى العلاج من المحمودين * لأنك حار يابس إنما توافق المبرودين * ولا تصلح إلا للمشايخ المبلغمين * وأنت كثير الإذاعة فلست على حفظ الأسرار بأمين * ويعجبنى ما قاله فيك بعض المتقدمين *

ولم أنس قـــول الورد لا تركـنوا إلى ∴ مـــعـــاهدة الـنـســريـن فـــهـــو يمين
ألا تنظـروا منه بنانـا مــخـضـبـا ∴ وليس لمخـــضـــوب الـبنان يمين

ولكن أنا اللطيف الذات * البديع الصفات * المشبه بزرق اليواقيت * وأعناق الفواخيت *

ومزاجى رطب بارد * ومنافعى كثيرة الموارد * أولد دما فى غاية الاعتدال * وانفع الحار من الرمد والسعال * وأسكن الصداع الصفراوى والدموى إن شم أو ضمد * وألين الصدر وأنفع من التهاب المعد * وأنفع من ورم العين وكل ورم حار* ومن نتو المقعدة إذا تضمد بى على التكرار * وشرابى لذات الجنب والرئة والكلى * وللسعال والشوصة ويدر البول محللا * ويابسى يستعمل للصفراء فيسهل غاية الاسهال * والمربى منى بالسكر يلين الحلق والبطن وينفع السعال * وورقى طلاء جيد للجرب الصفراوى والدموى * وزهرى ينفع من النزلات الصدرية والزكام القوى * وإذا شرب بالماء نفع من أم الصبيان وهو الخناق * أو سفه من به إطلاق صفراوى لذاع أحدر بقية الخلط وقطع الإطلاق * وكفانى شرفا بين الإخوان ماروى عن سيد ولد عدنان * ان دهنى سيد الأدهان * بارد فى الصيف حار فى الشتاء فهو صالح فى كل الأزمان * وذلك لأنه يسكن القلق * وينوم أصحاب الأرق * وينفع مع المصطكى من الورم الصفراوى بين أصابع الأسنان * ويجذب الصداع من الرأس اذا دهن به الرجلان * ويلين صلابة المفاصل والعصب وهو طلاء جيد للجرب * ويعدل الحرارة التى لم تتعدل * ويسهل حركة المفاصل فتتسهل * وينفع سعوطا من الصداع الحار * ويحفظ طلاء صحة الأظفار وينفع من الحرارة والحرقة التى تكون فى الجسد * ويصلح من الشعر المنتثر دهنا ما فسد * وإذا قطر فى الإحليل سكن حرقته وحرقة المثانة * وينفع من يبس الخياشيم فجل الخالق البارى سبحانه * وإذا تحسى منه فى الحمام وزن درهمين * نفع من ضيق النفس على الريق بلا مين * وإذا دخل فيه شمع مقصور أبيض ودهن به صدور الأطفال * نفعهم منفعة قوية من السعال * وروى ابن أبى حاتم وغيره عن الإمام الشافعى صاحب المذهب * أنه قال لم أر للوباء أنفع من البنفسج يدهن به ويشرب * ومنافعى لا تحصى * وما أودعه خالقى فى لا يستقصى * وبى تعطر الجيوب * ويشبه عذار المحبوب * وأنا مع ذلك حسن الفال * بديع الجمال * من رآنى آذن بالانشراح * وتفاءل بالانفساح * أما سمعت قول من باح وصاح*

يا مهديا لى بنفسجا أرجا ∴ يرتاح صدرى له وينشرح
بشرنى عاجلا مصحفه ∴ بأن ضيق الأمور ينفسح

فقام «النيلوفر» على ساق * وحشد الجيوش وساق * وأنشد بعد إطراق *

بنفسج الروض تاه عجبا ∴ وقال طيبى للجو ضمخ
فأقبل الزهر فى احتفال ∴ والبان من غيظه تنفخ

ثم قال أيها البنفسج بأى شيء تدعى الإمارة * وتطاوع نفسك والنفس أمارة * وأكثر ما عندك أنك تشبه بالعذار وبالنار فى الكبريت * وحاصل هذين يرجع إلى أشنع صيت * وما من نفع ذكرته عنك إلا وأنا أفعل مثله وأكثر * وأنا أحرى بسلامة العاقبة منك وأجدر * من شرب إليابس منك ولّده قبضا على القلب * وربا فى معدته وأمعائه وأحدث له الكرب * وانحلالك بطيء المادة * لاسيما لمن به حمى حادة * ومرباك يسقط الشهوة ، ويرخى المعدة عن القوة وقد كفانا الورد مؤونة الرد عليك * وحذرنا من القرب منك والإصغاء إليك * فقال

أعليّ يفتخر البنفسج جاهلا ∴ وإلى يعزى كل فضل يبهر
وأنا المحبب للقلوب زمانه ∴ وبمقدمى أهل المسرة تفخر

وقال الحاكى * عن الورد الباكى

عاينت ورد الروض يلطم خده ∴ ويقول وهو على البنفسج محنق
لا تقربوه وإن تضوع نشره ∴ ما بينكم فهو العدو الأزرق

ولكن أنا اللطيف الغواص * الكثير الخواص * أسكن الصداع الحار * وأذهب بالأرق والأسهار * وشرابى شديد الإطفاء * بعيد عن الاستحالة إلى الصفراء * صالح لأصحاب الحميات الحادة * نافع من السعال والشوصة وييس المادة * ويشرب للأحلام لمن اراد إسكانه * وبزرى وأصلى نافعان لوجع المثانة * وأنا أشد من البنفسج ترطيبا * وأبعد عن ضرره بالمعدة وأدنى إليها طيبا * وما احسن ما قال فيّ * بعض واصفيّ *

يرتاح للنيلوفر القلب الذى ∴ لا يستفيق من الغرام وجهده
والورد أصبح فى الروائح عبده ∴ والنرجس المسكى خادم عبده
يا حسنه فى بركة قد أصبحت ∴ محشوة مسكا تشاب بنده

ومنى صنف يقال له «البشنين» يشابهنى فى التكوين لا فى التلوين * يحدث عند إطباق النيل * وله فى منافع الطب تنويل * دهنه المحمود فى البرسام * إذا تسعط به ذوو الأسقام * وأصله «البيارون» يزيد فى الباء الكثير * ويسخن المعدة ويقويها ويقطع الزحير * وقد أنشد فيه * من أراد أن يوصله حقه فى التشبيه*

وبركـة بغـدير الماء قـد طفـحت ∴ بها عيـون من البـشنين قـد فـتحت
كـأنـهـا وهى تزهو فـى جـوانبـهـا ∴ مـثل السـمـاء وفـيـهـا أنجم سبـحت

فقام ﴿الآس﴾ وقد استعد * وقال لقد تجاوزت يانيلو فر الحد * ألست المضعف للباه، الجالب للإنسان صفة الشيخوخة فى صباه * ترخى الذكر وتجمد المنى * وتنغص على المتزوجين عيشهم الهنى * ولقد عرفك * من قال حين وصفك *

ونـيلـوفــــر أبـدى لنـا بـاطن لـه ∴ مع الظـاهر المخـضـر حـمـرة عندم
فـشـبـهـتـه لما قـصـدت هـجـاءه ∴ بكاســات حـجـام بهـا لـوثة الدم

ولكن أنا أحق بالملك بالحجة المبينة * فقد أخرج ابن أبى حاتم وابن السنى عن ابن عباس أول شىء غرس نوح الآس حين خرج من السفينة * وهذه حجة على الاستحقاق قوية * لأن للأولية نوعا من الأولوية * ثم يعتضد هذا القياس * بما أخرج ابن السنى وأبونعيم عن ابن عباس * قال اهبط آدم من الجنة بسيد ريحان الدينا الآس * وهذا نص من المراد قاطع للإلتباس * وانا المقوى للأبدان * الحابس للإسهال والعرق وكل سيلان * المنشف للرطوبات المانع من الصنان * المسكن للأورام والحمرة والشرى والصداع والسعال والخفقان * إذا دق ورقى الغض وضرب بالخل ووضع على الرأس قطع الرعاف * وحبى يقطع العطش والقىء وينفع إذا تدخنت به المرأة من الانزاف * ورمادى يدخل فى أدوية الظفرة * ودهنى لحرق النار وشقاق المعدة والبثرة * وليس فى الأشربة ما يعقل وينفع السعال والرئة غير شرابى * وإذا اتخذ من قضبانى حلقة وأدخل فيها الخنصر سكنت ورم الأرابى * وأنا الباقى على طول الزمان * وقد قال فى بعض الأعيان *

الآس ســـيــــد أنـوار الريـاحين ∴ فى كـل وقت وحين فى البـســاتين
يبـقى على الدهـر لا تبلى نضـارته ∴ من المـصـيـف ولا مـن برد كـــانون

﴿وقال آخر﴾ .

للآس فـــضل بقـــائه ووفـــائه ∴ ودوام مـنـظـره على الأوقــــات
قـــامت على أغـــصـانه ورقـــاته ∴ كنصـول نبـل جـثن مـــؤتلفـــات

فقام ﴿الريحان﴾ وقال يا آس * لأجرحنك جرحا ما له من آس * ألم يرد فيك من طرق الأئمة الأعلام * عن النبى عليه افضل الصلاة والسلام، أنه نهى عن التخلل بك والإستياك لأنك تسقى وتحرك عروق الجذام *

إذا قالت حذام فصدقوها ∴ فإن القول ما قالت حذام

وأنا الوارد فىّ «عليكم بالمرزنجوش فشموه فانه جيد للخشام» * والمؤذن لأصحاب الأرق بالنيام * والنافع من الماليخوليا واللقوة وسيلان اللعاب وبرد الأحشاء * ومن عسر البول والمغص وابتداء الاستسقاء * ومن الأوجاع العارضة من البرد والرطوبة وأجفف رطوبة المعدة والأمعاء * وأحلل النفخ وأفتح السدد * وأدر الطمث وأنفع من لسعة العقرب لمن بالخل ضمد * ودهنى لما يعرض فى الرحم من الاختناق والانضمام و'لانقلاب * ويدخل فى ضمادات الفالج الذى يعرض فيه ميل الرقبة إلى خلف وفى تشنج الأعصاب * ويسكن وجع الظهر والأربيه * ويخرج المشيمة وناهيك بها تبرئة * ومع هذا فأنا المنوه باسمى فى القرآن * فى قوله تعالى «فروح وريحان» * وإن كان الجنس فى الآية هو المراد * فقد قصر هذا الاسم علىّ العرف قصر إفراد * وقد ورد فى الصحيحين عن سيد بنى كنانه * «مثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة» * وحسبك منى فى التشبيه * قول من قال على البديه *

أما ترى الريحان أهدى لنا ∴ حماحما منه فأحيانا
تحسبه فى طله والندا ∴ زمردا يحمل مرجانا

فعطف عليه الآس وقال يا ريحان أتريد أن تسود * وأنت مشبه بهامات العبيد السود * ألم يغنك عن مقصورى * قول الشهاب المنصورى *

أهلا وسهلا برياحيننا ∴ كأنها هامات تكرورى

﴿وقول الآخر﴾

وريحان تميس به غصون ∴ بطيب بشمه لثم الكؤوس
كسودان لبسن ثياب خز ∴ وقد قاموا مكاشيف الرءوس

﴿قال الراوى﴾ فلما أبدى كل ما لديه * وقال وردّ عليه * اتفق رأى الناظرين * وأهل الحل والعقد من الحاضرين * على أن يجعلوا بينهم حكما عادلا * يكون لقطع النزاع بينهم فاصلا *

فقصدوا رجلا عالما بالأصول والفروع * حافظا للآثار الموقوف منها والمرفوع، عارفا الأنساب * مميزا بين الأسماء والألقاب * والأتباع والأصحاب * مديد الباع * بسيط إليدين فى معرفة الخلاف والإجماع * خبيراً بمباحث الجدل * بصيرا باستخراج مسالك العلل * متبحراً فى علوم اللغة والإعراب * متضلعا بعلوم البلاغة والخطاب * محيطا بفنون البديع * حافظا للشواهد الشعرية التى هى أبهى من زهر الربيع * سديد الرمية شديد الإصابة * إذا فوق لفنى الشعر والكتابة * الشعر والنظم صوغ بياته * والنثر والإنشاء طوع بنانه * والتاريخ الذى هو فضيلة غيره فضلة ديوانه * فلما مثلوا بين يديه * ووقعت عينهم عليه * قالوا يا فريد الأرض * يا عالم البسيطة ما بين طولها والعرض * إنا أخصام بغى بعضنا على بعض * فانظر فى حالنا ليكون ذلك ذخيرة لك يوم العرض * واحكم بيننا بالحق * واقض لأينا بالملك أحق * فقال أيها الأزهار إنى لست كالذى تحاكم إليه العنب والرطب * ولا الذى تقاضى إليه المشمس والتوت ولا التين والعنب * إنى لا أقبل الرشا * ولا أطوى على الغل الحشا * ولا أميل مع صاحب رشوة * ولا أستحل من مال المسلمين حسوه * إنما أحكم بما ثبت فى السنة * ولا أسلك إلا طريقا موصلا إلى الجنة * فقصوا على الخبر * لأعرف من فجر منكم وبر * فلما قص عليه كل قوله * وأبدى هينه وهوله * قال ليس أحد منكم مستحقا عندى للملك * ولا صالحا للانخراط فى هذا السلك * ولكن الملك الأكبر * والسيد الأبر * وصاحب المنبر * ذو البشر الأعطر * والقدر الأخطر * السيد الآيد * الصالح الجيد * من شاع فضله وانتشر * وكان أحب الرياحين إلى سيد البشر * واشتمل على مافى الرياحين من الحسنى وزيادة * وحكم له النبى ﷺ بالسيادة * وشهد له بها وناهيك منه بالشهادة * فقالوا أيها الإمام * أوضح لنا هذا الكلام * وارو لنا ما ورد عن النبى عليه السلام * لنبلغ من اتباعه غاية المرام * ونقطع الملام * فقال روى الطبرانى والبيهقى وابن السنى وأبو نعيم وغيرهم بالأسانيد العالية * من حديث بريدة عن النبى ﷺ صلاة متتالية * أنه قال سيد الرياحين فى الدنيا والآخرة الفاغية * وروى الطبرانى من حديث عبد الله ابن عمرو مرفوعا * سيد ريحان أهل الجنة الفاغية وكفى بذلك سطوعا * وروى البيهقى فى شعب الإيمان عن أنس بن مالك * قال كان أحب الرياحين إلى رسول الله ﷺ الفاغية وناهيك بذلك وهذا وفيه منافع للمعالج، من أوجاع العصب والتمدد والفالج * ومن الصداع وأوجاع الجنب والطحال * وإذا جعل فى ثياب الصوف منع السوس من فسادها بكل حال * ودهنه يلين العصب * ويحلل الإعياء والنصب * ويوافق الخناق وكسر العظام * والشوصة وأوجاع الأرحام * وما يعرض فى الأربية من حار الأورام * ويقوى الشعور ويزينها * ويكسبها خمرة طيبا ويحسنها * وحناؤه المسحوق، ينفع من الأورام الحارة والبلغم ويفتح أفواه العروق * وينفع من القروح والقلاع ومواضع حرق النار، ونقعه من ابتداء الجذام إذا أدمنه

بالأدهان * وإذا خضب بها رجل المجدور حصل لها منه الأمان، واذا ضمد بها الجبهة والصدغ منع انصباب المواد إلى العين * وقد روى الترمذى وأبو نعيم عن سلمى قالت ما كان برسول الله ﷺ قرحة ولا نكتة إلا أمرنى ان اضع عليها الحناء * وروى البزار وابن السنى عن ابى هريرة قال كان رسول الله ﷺ إذا نزل عليه الوحى صدع فيغلف رأسه بالحناء * وروى البزار حديث اختضبوا بالحناء فإنه يزيد فى شبابكم ونكاحكم يعنى الوقاع * وروى ابن السنى حديث عليكم بسيد الخضاب الحناء يطيب البشرة ويزيد فى الجماع * والأحاديث فى الحث على صبغ الشعر به كثيرة * وعلى خضاب ايدى النساء به شهيرة * وأنا القائل فيه * لأوصله حقه وأوفيه *

كأنما دوحة الحناء إذا فتحت ∴ أنوارها وبدت فى عين مرتقب
عروس حسن تجلت فى غلائلها ∴ خضرا وقد حليت باللؤلؤ الرطب

قال فلما سمعت الرياحين هذه الأحاديث فى فضله أطرقوا رؤسهم خاشعين * وظلت أعناقهم لها خاضعين ودخلوا تحت أمره سامعين طائعين ومدوا أيديهم له مبايعين بالإمرة ومتابعين * وقالوا لقد كنا قبل فى غفلة من هذا إنا كنا ظالمين * وتواصوا على إشاعة ما فضله الله به وقالوا لانكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين * وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين*

• ذكر فوائد متعلقة بصيد السمك •

قال مجير الدين بن تميم فى صياد السمك :

ولرب صـيـاد غـذتنى كـفـه ∴ سـمكا يظل الطرف منه حـائرا
يلقـى إلى قـعـر الخليج بـدرعـه ∴ فـيـعـود مـلآن العـيـون حناجـرا

وقال ابن بابك ملغزا فى شبكة الصياد والسمك أورده الصفدى فى كتاب فض الختام :

وعـيـون نـاظـرات ∴ فى جـفـون سـاهـيـات
حـبـست مـثـل أشكـال ∴ الـدروع الـسـابغـات
أسـبـت بـالـذل طوعـا ∴ ولـهـا ذل الـفـتـاة
لـعـبـت بالـرخ حـتـى ∴ وقـعـت فـى الشـاه مـات

وقال الشهاب أحمد بن محمد الحاجبى المصرى أورده الصلاح الصفدى فى تذكرته :

قـعـدت اصطاد بنيل مـصـرنا ∴ يوم وفـاءه وهو مـحـمـر الـصـفـا
نـشـلـت مـنـه راية قـلـت لـه ∴ ذى الراية الـبـيـضـاء عليك الوفـا

قال سراج الدين المحار :

أنظر إلـى الـنهـر فـى تطرده ∴ وصـفـوه قـد مـشى عـلى السـمك
توهـم الريح صـيـدهـا فـغـدا ∴ ينسج[1] متن الـغـدير كـالـسـمك

وقال البدر البشتكى قلت أصف لهو وصيد سمك على شاطىء النيل سنة ٧٧٣هـ :

أجل لذة الدنيـا وحـقك فى مـصـر ∴ وفى نيلهـا الـزاكى وأكنافـهـا الخـضـر
وإخـوان صـدق كـالنجـوم هداية ∴ تلوح عليـهـم بهـجـة الفـضـل كـالـبـدر
إذا أخـذوا فـى وصف دينار وجـنة ∴ ودرهم ثغـر كـان جـابر فى كـسـر

---

(١) فقد اتنسج في أ.

قطعت بهم أوقات لهو بنيلها ∴ وصيد وأفراح تجل عن الحصر
وأعجب شيء أن أسماك صيدنا ∴ إذا وصلت تقلى سريعا على الأثر
تصعد أسماك اللجين ونقلها ∴ ببوطقة المقلى فتخرج من تبر
فهذا هو العيش الهنى لواصل ∴ فدع عنك تكسير المعادن والعشر

وكتب الصاحب فخر الدين بن مكانس إلى البدر البشتكى وقد اصطاد حوتا عظيما بالروضة.

بلغنى رفع الله قدرك على السماك، وأعلى محلك وأسماك، وأجرى بسعدك وأمرك فى نهر السما وبحور الأرض الأفلاك، ولازال همم نظمك البديهة ونثرك يعلو على النثرة، وفتكات عزائمك الملكية تسمو وصيد نسر السماء من وكره وحوتها من المجرة، ولا برحت تصرف حروف المحاسن فيخدمك من كل بحر عين ومن كل حاجب نون، ولا فتئت تجمع شمل المعانى إلى أن يفترق الفرقدان ويجتمع الضب والنون.

ويغدو سهيل فى السما ∴ بنادق الثريا ويسر الحوت

هو إن مولانا مع جماله خلافاً للمعنى [(١)] أقلق السابح فى لجه، وراع كل حوت حتى حوت الأرض فى تخومه وحوت الماء فى برجه، وجاور دواب البحر فكان لهم بئس الجار بطعمه الذى أقامه عليهم فى الحبلة مقام ينجه، وإنه شد وسطه للصيد وكان من الحزم، وأرسل آية صيده إلى الأحمر والأسود من أم البحر فعادت عود أولى العزم، ثم قعد مولانا بعد ذلك للصيد بالمرصاد، وأطاعته حروف النص فكلما تلا لسان البحر نون تلا لسان العزم صاد فمن ذلك صيد الحوت الذى قدم من أقصى النيل فياله من سفر بعيد، وورد مع التيار السريع فى البحر المديد، فأومى إلى الشط طالباً غداه إذ لقى فى سفره هذا نصبا، وركن إلى البر فليته وثقه واتخذ سبيله فى البحر سربا، ولم يعلم أن لسيدنا وضع الحبل وجعله لصيده معنى وصورة وسببا، فاخترته يد المنية باعوجاج الصنارة التى نصبها [(٢)] لدواب البحر فخا للقهر، والضعيفة التى تعامل أقوياء الأسماك فى أعظم البحور السايلة للنهر، وكان هذا المسكين بين صالح الأسماك التى أفنى الأيام سبحا طويلا فساح، وأتى يقبل جداراً حل فيه قدم مولانا وبركته فجازاه مجازاة التمساح، أو كأنه لجأ إلى البر هربا من عوارض الأمواج، وأمن لمجاورته فأخذ

---

(١) للمعرى فى الأصل.
(٢) الذى جعلها فى هـ.

من هامته وخاب أمله من لاج، فسبح بعد بحار الأرض من بحار المنون فى لجج، وقالت له الحيتان إذا أعماك القضا عن رشدك حدث عن البحر ولا حرج، وكان ظنه أن عوجه فى الشط ينجيه فكان حتفه فى ذلك العوم، وعلى الجملة فقد آن أجله ولو أوى إلى جبل لقيل له لا عاصم اليوم، فأتت به حوتا يلوح بياضه بين هضاب الموج كالبدر من سجف الغمام، وتبدو عليه مهابه تشعر أنه من نسل حوت يونس عليه السلام، فأعيذ هذا الحوت بالنون، وصائده الكاتب الأديب بالقلم وما يسطرون، فلو ظفر بما لا ظفر به الحواريون فى شباكهم المتشبكة[1]، ووقع له ما وقع لابن صياد لتطاول عجبا وانفتح حتى ملأ الشبكة، وحصل به للجماعة من السرور مالا يحصل بوفاء النيل وشاهدوا من جز له العظيمة كل خير جزيل، ومنحوا من سنه وعظمه بالجوهر النقى وأنياب الفيل، وأرخصوه للقرى بعد أن كان فى القدور يغلى، وقلوه فطاب مأكلا وإن كان مالا يقلى ونوعوه محلى وحامضا فالمحلى نقلا على الكؤوس حين تجلى، وفازوا على رأى ابن حزم وإن لم يكن من أصحاب الرأى المجلى والمحلى، والحامض قطعوا عند أكله بالذوق إن ذلك الحوت من لا محالة، وقال آخرون بل هو هالة تناسب البدر والهالة، وجملوا به الموائد، وحكموا لصائده بالتقدم على الضفدع الأديب فى مصائد الشوارد، وقدموه على ماعندهم من طرى وبايت، وأكلوه من ساعته كى لايندموا على فايت، قائلين لا تؤخروه فإن للتأخير آفات، ولا تنسوه فكل ما بات فات، لعلمهم إن أطيب ما يؤكل من السمك والبوارى الطرى، واستطابوه ضرورة ولا خلاف إن صائد الحوت أكثر تلذذا بأكله من المشترى، هذا وأما الأسماك فقد نادى مناد لهم فى ذلك الشط بالرحيل، وقال أديبهم النبيه مصحفا يا بثينة ليس المقام هنا جميل، وكم من فرح حول وكره من هناك ومال[2] وكم من سمكة صرخت قاف وواو وقطعت الحبال، وكم طائفة تخلفت عن رشادها مرت إلى البرور الخالية من العباد، وكم طائفة تخلفت ووقعت فى الشباك فقيل ضلت عن سبيل الرشاد، وكم طائفة أسرعت إلى رؤوس الجبال الحركة، وكذلك العروضيين فى قولهم لم أر على رأس جبل سمكة، وكم سمكة قالت لفراخها اهجروا ماءكم ومأواكم كما هجرت مأواى، واخلوا هذه الديار وإن أعشبت واتبعوا صائب الرأى، ومنهم من عمد إلى عمق البحر لجاه، وسارت به سفينة عزمه فى موج كجبال وكان سبب النجاة، وتواصوا لما رأوا طغيان الماء أن لا يأووا إلى البرور وتحققوا أنه الطوفان لما فار على أخيهم المضار، وكم قائل الحمد لله الذى قطع عنا أثر هذا النون العظيم وأزال عينه، وقائلة سبحان من أراح ضعف السمك من هذا الجبار، وفرق بينهم

(١) الشبكة بالنهر فى أ، جـ.

(٢)وشال فى ب.

وبينه ، فشكرا إذ غدا مولانا شيخ البحر والبر ، وأضحى فى نسكه ابن السماك وفى صدق حديثه أباذر ، أحياه الله بدر يشرق فى سماء المعإلى ، ويحيى أجياد الفصاحة من بحوز نظمه ونثره بالجواهر واللآلى ، وجمل به السما كما جمل به الأرض ، ولا جعله كأدباء هذا الزمان الذين هم كالأسماك يأكل بعضهم بالغيبة لحم بعض . . انتهى .

• ذكر السباحة•

قد ألفت فيها جزءاً لطيفا سميته «الباحة فى السباحة» وهو هذا «بسم الله الرحمن الرحيم» الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، هذا جزء فى السباحة يسمى الباحة، قال البيهقى فى شعب الإيمان: إخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضى. حدثنا أبو جعفر محمد بن على بن دجيم الشيبانى. أنبأنا أحمد بن عبيد العطار منكر الحديث وقال أيضاً حدثنا أبو القاسم عبدالرحمن بن محمد السراج. أنبأنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبدوس الطرائفى. حدثنا ابن سعيد. حديثنا يزيد بن عبد ربه حدثنا نقيه عن عيسى بن إبراهيم عن الزهرى عن أبى سليمان مولى أبى رافع عن أبى رافع قال: قلت يا رسول الله أللولد علينا حق كحقنا عليهم؟ قال «نعم حق الولد على الوالد أن يعلمه الكتابة والسباحة والرمى وأن يورثه طيبا». قال البيهقى عيسى[1] بن إبراهيم يروى ما لا يتابع عليه.

وقال البزار فى مسنده. حدثنا ابراهيم بن عبدالله الرقى. حدثنا محمد بن وهب. حدثنا أبو عبدالرحيم خالد بن أبى يزيد عن عبدالوهاب المكى عن عطا قال: رأيت جابر بن عبد الله وجابر بن عمير فقال أحدهما لصاحبه أما سمعت رسول الله ﷺ يقول «كل شئ ليس فيه ذكر الله فهو سهو ولغو إلا أربع مشى الرجل من العرضين [2] وتأديبه فرسه وتعليمه السباحة وملاعبته أهله». قال البزار فى معجمع الكبير وإسناده صحيح.

وأخرج ابن منده فى معرفة الصحابة عن بكر بن عبد الله بن الربيع الأنصارى قال: قال رسول الله ﷺ: «خير لهو المؤمن السباحة وخير لهو المرأة الغزل».

وقال الحافظ أبو يعقوب العراب القراب فى كتاب فضل الرمى. أخبرنا محمد بن الحسن بن سليمان. أنبأنا محمد بن عبد الله البخارى. أنبأنا أحمد بن سعيد الهمدانى. أنبأنا ابن وهب السرى بن يحيى عن سليمان التيمى قال: كان رسول الله (ص) يعجبه أن يكون الرجل سابحاً رامياً.

وقال: أنبأنا أبو حاتم محمد بن يعقوب. أنبأنا الحسين بن إدريس. حدثنا سويد بن نصر. حدثنا عبد الله بن المبارك عن أسامة بن زيد. حدثنى مكحول الدمشقى أن عمر بن الخطاب كتب إلى أهل الشام. أن علموا أولادكم السباحة والرمى والفروسية.

---

(١) عينيه فى ب، د.

(٢) القرصير فى ب، د.

وقال ابن جرير فى تفسيره. حدثنا بشر حدثنا يزيد. حدثنا سعيد عن قتادة. قال: ذكر لنا أن نبى الله (ص) كان يضرب مثلاً للمؤمن والمنافق والكافر كمثل رهط ثلاثة دفعوا إلى نهر فوقع المؤمن فقطع ثم وقع المنافق حتى إذا كاد يصل إلى المؤمن ناداه الكافر أن هلم إلى فإنى أخشى عليك وناداه المؤمن أن هلم إلى فإن عندى وعندى ـ يحصى له ما عنده ـ فما زال المنافق يتردد بينهما حتى أتى عليه الماء فغرقه.

وقد سئل بعض الأشياخ بحضرتى هل عام النبى (ص) فقال: الظاهر لا لأنه لم يثبت أنه سافر فى بحر ولا بالحرمين بحر، وقد رأيت أنا أنه عام.

فأخرج ابن سعد فى الطبقات عن ابن عباس وعن الزهرى وعن عاصم بن عمر عن قتادة حدث حديث بعضهم فى بعض قالوا: لما بلغ رسول الله (ص) ست سنين خرجت به أمه إلى أخواله بنى عدى بن النجار بالمدينة يزورهم ومعه أم أيمن فنزلت به فى دار النابغة فأقامت به عندهم. شهرا فكان النبى (ص) يذكر أموراً كان فى مقامه ذلك ونظر إلى الدار فقال ههنا نزلت بى أمى وأحسنت العوم فى بئر بنى عدى بن النجار.

وقال أبو القاسم البغوى: حدثنا داوود بن عمرو. حدثنا عبدالجبار بن الورد عن ابن أبى مليكة قال: دخل رسول الله (ص) وأصحابه غديراً فقال ليسبح كل رجل إلى صاحبه فسبح كل رجل منهم إلى صاحبه حتى بقى رسول الله (ص) وأبو بكر فسبح رسول الله (ص) إلى أبى بكر حتى اعتنقه وقال لو كنت متخذاً خليلاً حتى ألقى الله لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكنه صاحبى. تابعه وكيع عن عبدالجبار بن الورد. أخرجه ابن عساكر وعبدالجبار ثقة وشيخه إمام إلا أنه مرسل فقد ورد موصلاً.

قال ابن شاهين فى السنة: حدثنا عبدالله بن سليمان. حدثنا محمد بن عثمان. حدثنا عبد الله بن مروان بن معاوية. حدثنا أبى. حدثنا سليمان بن حدير عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان النبى (ص) والصحابة يسبحون فى غدير فقال النبى (ص) لأصحابه ليسبح كل رجل منكم الى صاحبه فسبح كل رجل إلى صاحبه وبقى النبى (ص) وأبو بكر ثم سبح النبى (ص) إلى أبى بكر حتى عانقه وقال أنا وصاحبى أنا وصاحبى.

وقال ابن سعد فى الطبقات: كان أسيد بن الحضير يكتب بالعربية فى الجاهلية وكانت الكتابة فى العرب قليلة وكان يحسن العوم والرمى وكان يسمى من كانت له هذه الخصال فى الجاهلية وأول الإسلام الكامل، وكانت قد اجتمعت فى أسيد. وقال فى ترجمة سعد بن عبادة مثل ذلك

إنه كان يحسن الثلاثة وكان يسمى الكامل، وفى ترجمة رافع بن مالك بن العجلان وأوس بن الحونى [1] مثل ذلك.

ورأيت فى تذكرة الشهاب ابن فضل الله قال سلم بن قتيبة وقيل ابن الحجاج لمعلم ولده: علم ولدى السباحة قبل الكتابة فإنهم يصيبون من يكتب عنهم ولا يصيبون من يسبح عنهم.

وقال الحافظ: رأيت أبا هاشم الصوفى مقبلاً من جهة النهر فقلت له فى أى كنت [2] اليوم هنا. قال: فى تعلم ما لا ينسى وليس لشئ من الحيوان عنه غنى. قلت: وما ذاك قال: السباحة. وقال الشاب محمود فى ذلك:

ورأيته يسبح فى الماء مرة ∴ والشعر قد وفت ليه ضلاله
فظننت أن البدر قابل وجهه ∴ وجه الغدير فلاح فيه خياله [3]

وقال الصلاح الصفدى فى تذكرته قلت فى مليح يعوم فى النيل:

ومليح رأيته عائما [4] قد سبا النعمر
فغدا البحر كالسما ∴ ومحياه كالقمر

وقال ابن أبى حجلة:

سبح الحبيب فقلت عنه لصاحبى ∴ هذا الذى قد عام مالك روحى
ذو صورة قمرية شمسية ∴ تستنطق الأفواه بالتسبيح

وقال النواجى مخاطباً لبعض الرؤساء وقد تعلم ولده العوم:

هنيت بالنجل السعيد الذى ∴ فاق البرايا فى علا واحتشام
خاض بحار الفضل [5] حتى غدا ∴ فى لجها يسبح شهراً وعام

---

(١) الحولى فى أ، خولة فى د.
(٢) كتب فى هـ.
(٣) ظلاله فى ب، قباله فى هـ.
(٤) عالما فى الأصل.
(٥) الأرض فى ب، د.

• ذكر قصة غريبة لها تعلق بذلك •

حكى الشيخ عبدالقادر[1] القوصى فى كتابه «الوحيد فى علم التوحيد» عن شيخ الشيوخ بن سكينة ببغداد أن خادمه أخذ سجادات الفقراء وخرج يوم الجمعة ليفرشها لهم فنزل ليتطهر فى دجلة فطلع بمصر فوجد رجلاً صباغاً وكان[2] يدرى صعة الصباغة فاستعمله فيها مدة وزوجه بابنته وأقام معها سبع سنين فولد له منها أولاد ثم نزل فى يوم جمعة ليغتسل فى بحر النيل فطلع ببغداد ووجد السجادات فى المكان الذى تركها فيها فأخذها وفرشها لهم وصلوا صلاة الجمعة فقال له الشيخ: أبطأت فى هذه المرة فقال له: يا سيدى جرى لى كذا وكذا وقص عليه القصة فقال له الشيخ: هل كنت تفكرت فى شىء. فقال: تفكرت فى قوله تعالى «فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» فقال له: يا ولدى إن الله يبسط الزمان فى حق قوم ويقبضه فى حق آخرين وقد أراك الله تعالى ذلك ثم أرسل الشيخ إلى مصر وأحضر أولاده إلى بغداد.

• حكاية لطيفة فيها تأديب وإرشاد •

قال البيهقى فى شعب الإيمان: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ. أنبأنا أبو بكر بن بندار الزنجانى ببغداد. حدثنا أبو عبد الله الفضل بن عبدالله ابن الفضل الهاشمى. حدثنا أحمد بن جعفر السامرى. حدثنا إبراهيم بن الأطروش قال: كان معروف الكرخى على الدجلة ونحن معه إذ مر بنا أقوام أحداث فى زورق يغنون ويضربون بالدف. فقلنا له: يا أبا محفوظ. أما ترى هؤلاء فى هذا البحر يعصون الله، أدع الله عليهم. قال: فرفع يده إلى السماء فقال: إلهى إنى أسألك أن تفرحهم فى الآخرة كما أفرحتهم فى الدنيا. فقال له أصحابه إنا سألناك أن تدعو عليهم ولم نسألك أن تدعو لهم. قال: إذا فرحهم فى الآخرة تاب عليهم فى الدنيا ولم يضرهم شىء.

• ذكر المراكب والسفن •

قال الله تعالى: ﴿وآية لهم إنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾. وقال تعالى: ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾.

---

(١) عبدالغفار فى أ.

(٢) وكاد فى جـ.

أخرج ابن أبى حاتم من ابن عباس قال: لم يعلم نوح كيف يصنع الفلك فأوحى الله إليه أن يصنعها على مثل جو الطائر.

وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى مالك فى قوله تعالى: ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون﴾ قال: سفينة نوح، و ﴿خلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ قال: السفن التى فى البحر والأنهار التى يركب الناس فيها.

وأخرج ابن أبى حاتم من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس: أتدرون ما خلقنا لهم من مثله ما يركبون. قلنا: لا. قال: هى السفن التى فى البحر جعلت من بعد سفينة نوح على مثالها.

وأخرج ابن أبى حاتم من السدى فى قوله ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ قال: من القراقير والسفن الصغار التى تجرى فى الماء العذب. وأخرج المنذر عن أبى صالح فى قوله تعالى: ﴿حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون﴾ قال: سفينة نوح. «وخلقنا لهم من مثله ما يركبون» قال: هذه السفن مثل خشبها وصفتها.

وأخرج بن أبى شيبة وبن المنذر عن الحسن قال: السفن الصغار، وأخرج بن أبى حاتم عن طريق عطية العوفى عن بن عباس فى قوله ﴿وخلقنا لهم من مثله ما يركبون﴾ قال: يعنى الإبل خلقها الله كما رأيت فهى سفن البر يحملون عليها ويركبون.

وأرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن مجاهد وعبد الله بن شداد مثله.

وقال عبد بن حميد فى تفسيره. حدثنا عبدالله بن يزيد. حدثنا عبدالله بن يزيد. حدثنا موسى بن على. حدثنى خالد بن أبى عمران قال: سألت القاسم بن محمد فذكرت له ركوبنا فى نيل مصر فى السفن ودعة ذلك وسألت عن الصيام فى السفر فى شهر رمضان فقال: أفطر ثم أعدت عليه فقال: أفطر أفطر.

وأخرج عبد بن حميد فى تفسيره عن عبيد بن جبير قال: ركبت مع أبى بصرة الغفارى صاحب رسول الله ﷺ فى سفينة من الفسطاط فى شهر رمضان فدفع ثم قرب غذاه ثم قال: اقترب فقلت: ألست ترى بيوت. فقال أبو بصرة: أرغبت عن سنة رسول الله ﷺ.

وقال الإمام أحمد فى مسنده: حدثنا أبو معاوية. حدثنا الأعمش عن الشعبى عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والمبرهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فى البحر فأصاب بعضهم أسفلها وأصاب بعضهم أعلاها فكان الذى فى أسفلها يصعدون فيستقون الماء يصيبون على الذين فى أعلاها فقال الذين فى أعلاها لاندعكم تصعدون فتؤذوننا. فقال الذين فى أسفلها فإننا نثقبها من أسفلها فنسقى الماء فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهن نجوا جميعا وإن تركهوهم هلكوا».

قال الصلاح الصفدى ملغزا فى السفينة :

وجـــارية حنى لـى وطئـــهــــا ∴ ولـم يـكـن فـى ذاك مـــــــا يمنع
ويا عـــجـــبـــا مـــا أنت ربعـــة ∴ وألـزمــــهـــــا [1]إنهـــا تـقلـع

وقال مجير الدين بن تميم :

أنـظـر إلـى قـلـع المراكـب زيـنـت ∴ والمـاء يعـلـو حـــولـهـــا ويـدور
مـثـل الســحـاب لا يفـرق بينـهـمـا ∴ نـظـر وكـل بـالـريـاح يســـيـــر

وقال أيضاً[2] :

عـــجبت بالبـحـر لمـا أن رأيت بـه ∴ تلك الصوارى وقـد أوفت على الحبك
أظنـهـــا لم تـطل إلا وقـــد وليـت ∴ حـــمل الرســـائـل بين الفلك والـفلك

وقال أيضاً:

ولما ركـبنا الفلك والبحـر قـد طمـا ∴ وهاج عـلينـا مـــوجـــه المتـــلاطم
تمشـت بنا فـى لجـــة ببطـونهـــا[3] ∴ كـمـا تتـمـشى فـى الصـعيـد الأراقم

وقال البدر بن الصاحب ملغزا فى سفينة :

وجـــارية تـأتى بكل عـــجـــيـــبـــة ∴ عـــجـائب أســـفـــار ببشـــر وتفـــريح
وكم سبـقت فى الجرى خيلا كثـيرة ∴ ومـــــا عـلـقت[4] إلا وتقـنع بـالـريـح
صـبـية حـسن مـا تملت من الصـبـا ∴ قـصـيرة عـمـر تحـفظ العـهـد من نوح

وأرسل بعض الأدباء ملغزا فى مركب إلى صاحبنا الشهاب المنصورى :

يا لـوزعــــيــــا قـــــد حــوى ∴ ســــيـــوف فـــهم مـــاضــيـــة
أبِنْ لـنـا جـــــامـــــــدة ∴ تـرى كـــــعين جـــــارية
وهـــى الـــتـــى لـــم تـــدر إذ ∴ تبـــدو لنا فـــمـــا[5] هيـــه

---

(١) هكذا فى الأصل وربما الصحيح «وألذ منها».
(٢) وقال ابن نباتة فى هـ.
(٣) من بطونها فى ب، د.
(٤) غلقت فى أ.
(٥) فيما فى أ، ب، جـ.

فأجاب:

أيا كـيـمـيـا صـيـده ∴ أسـد البـديع الضـارية
سـألت عن جـارية ∴ عـن اللبـاس عـارية
عين رأت بـقـلعـهـا ∴ كـل الجـهـات دانيـة
تصـحـيـفـهـا سـفـينة ∴ بكرم أقـليـهـا ليـه
أضـحى السـمـاك فـوقـهـا ∴ وهى عليـه عـاليـة
فـى القـتل لا يلزمـهـا ∴ قـود ولا ديـه
فـأعـجب لـهـا جـامـده ∴ سـائلـة فى الماهيـه

وقال بعضهم:

ولا وصل إلا أن أروح مـلحـجـا ∴ على أدهـم من فـوق أخـضـر مـزبد
سـوابل أذناب مـخـيل إنهـا ∴ عـقـارب دبت فـوق صـرح ممرد

وقال مظفر الضرير يصف الشوانى:

مولاى هـذى الشوانى فى مـلاعبـها ∴ مـثل الـشـواهين بين السـهـل والجـبل
كـشـفـوا مـخـازنهـا مـاء وتنقـضـه ∴ نقض العـقـاب جناحـيـهـا من البلل

ومن قول العرب فى ذلك قال ابن دريد فى أماليه: أنشدنا عبدالرحمن عن عمه الأصمعى. قال: ركب أعرابى سفينة فقال:

لما رأيت حـبـاب المـاء يرفـعـني ∴ علـي مـقـيّـرة عـوج الخـراطيم
سليت نفسى عن الإصعاد وانقطعت ∴ عنا وسـائـل لمجـد غـيـر مـذمـوم

وقال الشهاب محمود:

قلت لـقـوم ركـبـوا مـركـبـا ∴ بـيـنـهـم بـدر يـضـئ الحـلـك
يا أنجـمـا حلت ببـدر الـدجى ∴ مـا أنتم فى الفـلك بل فـى الفـلك

• ذكر ما قيل فى الخرطوم وهو طرف آخر الروضة•

قال ابن أبى حجلة :

سقى أكناف مصر بحر دمعي ∴ إذا ما أعوزت صوب الغمامه
فكم أم الحب بها خليجا ∴ يبل به على ظمأ أوامه
وكم ميت بها فى الحى أحيا ∴ رميم وصال من نهوى عظامه
وكم ثبتت به أوتاد حب ∴ إذا ضرب الحبيب بها خيامه
وخص البحر منها كل خص ∴ وعم بروضها الزاهى أكامه
فقلت وقد سقى الخرطوم علا ∴ أخرطوم بدا لى[1] أم مدامه
فتنت[2] بلثم من أهواه فيها ∴ ولا سيما إذا أبدى لثامه
ومذ أمسيت رهن الحب فيها ∴ رهنت الطيلسان مع العمامه

• ذكر ما قيل فى المنيل وهو مكان معروف بالروضة•

قال ابن نباتة : [3]

سكنت بالمنيل لو لم يكن ∴ جيرانه لم يك بالشافى
كفاك جيرانك نيل الأذى ∴ فحبذا المنيل بالكافى

• ذكر ما قيل فى السراطين•

قال الغسولى فى حزبه المشهور . حدثنى العباس بن هاشم . حدثنا إبراهيم بن الحكم عن أبيه الحكم بن أبان عن ابن عباس قال : هذه السراطين التى على ساحل البحر وكلها الله بالموج لا تعدو الساحل .

انتهى والله أعلم

---

(١) بدانى فى د .
(٢) فنيت فى ب .
(٣) لعلم فى أ .

• ذكر ما قيل فى ذباب الروضة •

قال ابن دريد فى الجمهرة الخازباز ذباب العشب، وقال ابن سيدة فى المحكم. الذباب الذى يكون فى الروض يسمى الخازباز وذباب صغير ذات قوائم تطير على الماء يقال الزحارف [1].

قال أوس بن حجر:

تذكر عينا من عماد وماؤها ∴ له حدب تستن فيه الزحارف

قال: والقمص أيضا ذباب يطير فوق الماء واحدته قمصة. وفى القاموس استفرد [2] الروض الذباب إلى أن يفرد، قال ابن الرومى:

وأذكى نسيم الروض ريعان ظله ∴ وغنى مغنى الطير فيه فرجعا
وغرد ربعى الذباب خلاله كما ∴ احتجت الندمان صبحا مشرعا
فكانت أراتين الذباب هناكم ∴ على شدوات الطير ضربا موقعا

وقال ابن عبدون:

ساروا ومسك الدرحاجي [3] غير منهوب ∴ وطره [4] الشرق عقلى [5] دون تذهيب
على ربى لم يزل شادى الذباب بها ∴ بما يلهى بأنق ملفوظ ومضروب

وقال أبو بكر بن سعيد البطلوسى:

كأن أهازيج الذباب أساقف ∴ لها من أزاهير الرياض محاريب

وقال الصلاح الصفدى: الأصل فى هذا كله قول عنترة العبسى فى الذباب «هرجا [6] يحك ذراعه بذرعه» وقال: ولم يجسر أحد على هذا المعنى قبل عنترة. قال الجاحظ: وجدنا المعانى تقلب ويؤخذ بعضها من بعض إلا قول عنترة فى الذباب وقول أبى نواس فى تصاوير الكاس حيث قال « قرارتها كسرى الأبيات» وقال الباخرزى يمدح كسرى أنوشروان.

---

(١) الزخارف فى ب، والرخارف فى د.
(٢) استغفر فى هـ.
(٣) الدياجى فى أ.
(٤) طهره فى ب.
(٥) غفلى فى ب.
(٦) هو جاء فى أ.

ومـــا زاده عـــز الولاية رفـــعـــة ∴ وقـد كـــان مـرفـوع الدعـائـم قـبل أن
وليس به عـيـب سـوى إن ضـيـفـه ∴ يعـاب بنسـيـان الأحـبـة والوطن
ولم ينسـهم عن حـفـره غـيـر أنه ∴ أناخ المطـايـا إذا رأى دمـث الـعـطـن
فـألـقى عـصـاه فى ظلال حـديـقـة ∴ تغنى ذبـاب الخـصب فى أيكهـا وطن

• ذكر ما قيل فى الناموس والسويكته

أنشد القالى فى أماليه :

مـــثل الســـفلـة دائم طنينهـــا ∴ فى خـــرطومـــهـــا سكـيـتـــهـــا

وقال بعضهم :

رقـصت براغيـث الشتـاء فـأجابهـا ∴ الـنـامـــــوس مـنـه بـالـغـنـاء المـعـلـم
وتواجـد البق الكثـيف بطيـفـه[1] ∴ طربـا على شـــرب المدامـــة مـن دمى

وقلت :
تبـــا لـنامـــوس يحـــاكى لـســـعـــه ∴ شـــوك العـضَـــاة وصـوتـه الناقـوســـا
يـتـجـسس الفرجـات[2] عند هبـوبه ∴ فـاعـجـبْ لنامـوس غـدا جـاسـوسـا

وجه التعجب إن المقرر فى اللغة إن الناموس صاحب سر الخير والجاسوس صاحب سر الشر.

وأنشدنى شاعر العصر شهاب الدين المنصورى لنفسه :

وليل طويـل بات همى مـجـمـعـا ∴ به ومـنامى فـى دجـــاه تشـــتـــتـــا
إذا شـرب الناموس خـمر دمى شـدا ∴ وإن دخل الـبـرغـــوث أذى زغـــرتا

وأنشدنى الشهاب المنصورى أيضاً لنفسه :

وليـل تغـــوص برغـــيـــشـــه ∴ بلحـــمى ونـامـسوســـه أغـــوص
إذا شـــربوا مـن حـــمـــيـــا دمى ∴ تـــرى ذا يـغـــنـــى وذا يـرقـــص

---

(١) بطبعه فى أ، يطبعه فى د، طربات طربا فى هـ.
(٢) الفرحات فى د.

وأنشدنا أيضاً الشهاب المنصورى لنفسه يذكر الجناب العالى سيدى خضر بن سمان ومنزله بالمشتهى ويعرض برجل فى خدمته يعرف بالبدرى:

سيدنا خضر له مسكن ∴ فى مشتهى الروضة والبحر
يقعدنى عند عجيبان مع ∴ محبى[1] فى سيدى خضر
سويكتان كلمتنا به ∴ وكونه أظلم بالبدرى

وقال ابن نباتة فى البراغيث مضمناً أبياتاً:

إذا البراغيث قد باتت نسيبى ∴ بت أحيى الدجى نسكا وإعيانا
فلو رأيتهم يستخرجون دمى ∴ رأيت أكثر خلق الله عدوانا
ضجوا باسمط عنوان[2] السجود به ∴ يقطع الليل تسبيحا وقرآنا

وقال النواجى[3]:

من ترى ينقذنى ∴ يا قوم أو يأخذ حقى
من ذباب وبراغيث ∴ وناموس وبق
كلما قلبت جنبى ∴ إلى غرب وشرق
ليسو نى من جهاتى ∴ أخذ كل بحلقى[4]
وتساقوا من دمى ∴ كاسا أداروها بنزق
مزقوا إن عربدوا ∴ ثوب اصطبارى أى مزق
ومشوا لما انتشوا ∴ ما بين أكتافى وعنقى
فالبراغيث لها ∴ رقص ولكن بنزق
وكذا الناموس يحكى ∴ صوته مزمار زق
ونهارى مع ذباب ∴ فى آذاى لا يبقى
يترامى نحو عينى ∴ وإلى أنفى وشدقى

---

(١) فجبر فى د.
(٢) باسمط = باشمط، عنوان = عدوان فى د.
(٣) البزاعى فى ب.
(٤) آخذ كل خلقى فى آ، أحد كل بلقى فى د.

وإذا رمت طعـــامـــا ∴ ســـابقـــونى أى ســـبق
ثم قـــاســـوا عـــرضـــه كم ∴ فـــيـــه من عـــرض وعـــمق
أتـــوقـــــــاهـــم ولـكـــن ∴ ليس يجـــدينـى التـــوقـى
ليـت أنى قـــبـــل هـذا ∴ مـــت أو لـم يــك خـــلـــقـى
كـــيـــف أحـــتـــال وكل ∴ مـــنـهـــم طـــالـــب رزقـــى
وسع الله عـــلـيـــهـــم ∴ فى الـذى ضـــيـــق خـلـقـى

• ذكر ما قيل فى دار النحاس •

قال البدر البشتكى أحجية فى دار النحاس :

أيهـــــا المـولـى الـذى ∴ فى الأحـــــاجى هـو فـنـه
قل لـنا مـــا مـــثل تـصـحـيف ∴ الـفـــتـى ســـاك سنه

وقال ابن نباتة :

لقـــد قـــرّ طرف مـــصل بمصـــر ∴ بمســـجـــد هذا الكريم المجـــذب
ودار النحـــاس به غـــيـــرّت ∴ فـــصـــارت لعـــمـــرى دار الـذهب

وهذا آخر ما أردت إيراده فى هذا الكتاب وقد خلت فيه :

كـــتـــابى الكـوكب المندى(١) ∴ رقت(٢) فـــيـــه مـــعـــان غـــزيرة(٣)
ألفـــاظه المشـــتـــهـــاه تحكى ∴ من حـــسـنهـــا روضـــة وجـــزيرة(٤)

قال مؤلفه : فرغت من تأليفه فى جمادى الآخر سنة خمس وتسعين وثمانمائة أحسن الله خاتمتها .

تم بحمد الله

---

(١) المفدى فى (ب)، المندرى فى (جـ). (٢) دقت فى (أ).
(٣) عزيزه فى (ب)، (د). (٤) جيزة فى (ب).

الفهارس

١ ـ فهرس الأعلام

٢ ـ فهرس الشعراء والأدباء والكتاب

٣ ـ فهرس الخلفاء والملوك والسلاطين والولاة

٤ـ فهرس الجماعات والأقوام والطوائف

٥ـ فهرس الأماكن والمعالم والبلدان

٦ ـ فهرس الأنهــــار

٧ـ فهرس الكتب الواردة بالمخطوط

٨ـ فهرس الآيات القرآنيـــة

٩ـ فهرس الأحاديث النبوية

قال رسول الله ﷺ «ثلاث يجلين البصر، النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن» ٦، ٧.

قال رسول الله ﷺ «ثلاث يزدن في قوة البصر، النظر إلى الخضرة وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن» ٦.

قال رسول الله ﷺ «النظر إلى الخضرة يزيد في البصر والنظر في الماء يزيد في البصر والنظر إلى الوجه الحسن» ٧.

قال رسول الله ﷺ «النظر في وجه المرأة الحسناء والخضرة يزيدان في البصر» ٨.

سمع رسول الله ﷺ رجلا يقول: ياخضرة، فقال: لبيك، أخذنا فالك من فيك ٨.

كان رسول الله ﷺ يعجبه أن ينظر إلى الخضرة ٩.

كان النبي ﷺ يستحب الصلاة في الحيطان. قال أبو داود: يعني في البساتين ٩.

عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ مر بأرض تسمى عذره فسماها خضرة ٩.

عن نافع بن عمر: أن رسول الله ﷺ كان يأتي قباء ما شياو راكبا» ١٠.

قال رسول الله ﷺ: روحوا القلوب ساعة فساعة ١١.

«إن منبرى هذا على ترعة من ترع الجنة» ١٤.

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: الخيل لثلاثة؛ لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر؛ فأما الذى له أجر فرجل ربطها فى سبيل الله فأطال لها فى مرج أو روضة فما أصابت فى طيلها ذلك من المرج أو الروضة كانت له حسنات ١٩.

قال رسول الله ﷺ مابين بيتى ومنبرى، وفى لفظ: ما بين قبرى ومنبرى، روضة من رياض الجنة ٢٠.

في حديث جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «ارتعوا فى رياض الجنة. قلنا: وأين رياض الجنة؟ قال: هى مجالس الذكر» ٢٠.

قال رسول الله ﷺ: «إنما القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار» ٢١.

في معجم الطبراني حديث: «إن القبر ليتحول على المؤمن خضراً ٢١.

«إن المؤمن يوسع له في قبره ويجعل منزله أخضر» ٢١.

عن النبي ﷺ قال: «الجيزة روضة من رياض الجنة ومصر خزائن الله في أرضه» ٢١.

روى أن رسول الله ﷺ قال: «الجمعة على من أواه الليل» ١٠٨.

وفي الترمذي حديث «أمرنا النبي ﷺ أن نشهد الجمعة من قباء» ١٠٨.

«وأعوذ بك أن أموت غريقا» ١١١.

«إن سبحان وجيحان والنيل والفرات كل من أنهار الجنة» ١١٥ .

قال رسول الله ﷺ «أربعة أنهار من الجنة، النيل والفرات وسيحان وجيحان» ١١٥ .

«ثم رفعت إلى سدرة المنتهى وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: أما الباطنان فنهران فى الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات» ١١٥ .

عن النبي ﷺ قال: «أنزل الله من الجنة إلى الأرض خمسة أنهار: سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجله والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل فاستودعها الجبال وأجراها فى الأرض، وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم فذلك قوله تعالى ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدَر فأسكناه فى الأرض﴾ فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الأرض القرآن والفهم كله والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم الخليل وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة، فيرفع كل ذلك إلى السماء، فذلك قوله ﴿وإنا على ذهابه لقادرون﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد أرضها خيرها» ١١٥ .

قال رسول الله ﷺ «يوشك أن تطلبوا في قراكم هذه طستا من ماء فلا تجدونه» ١١٥ .

في غريب الحديث لابن قتيبة في حديثه عليه الصلاة والسلام «نهران مؤمنان ونهران كافران، أما المؤمنان فالنيل والفرات وأما الكافران فدجلة ونهر بلخ» ١١٦ .

قال رسول الله ﷺ : «لما أسرى بى فانطلق بى الملك فانتهى بى إلى نهر الخمر فإذا عليه إبراهيم عليه السلام فقلت للملك: أى نهر هذا؟ قال: هذا نهر دجلة. فقلت: إنه ماء. فقال: إنه ماء فى الدنيا يسقى الله به من يشاء وهى فى الآخرة خمر لأهل الجنة. قال: ثم انطلقت مع الملك إلى نهر الرب فقلت للملك: أى نهر هذا؟ قال: هذا جيحون وهو الماء غير آسن وهو فى الدنيا ماء يسقى به من يشاء وهو فى الآخرة ماء غير آسن ثم انطلق فأبلغنى نهر اللبن الذى يلى القبلة فقلت للملك: أى نهر هذا؟ فقال: هذا نهر الفرات. فقلت: هو ماء. فقال: هو ماء يسقى الله به من يشاء فى الدنيا وهو لبن فى الآخرة لذرية المؤمنين الذين رضى الله عنهم وعن آبائهم. ثم انطلق بى الملك فابلغنى نهر العسل الذى يخرج من جانب المدينة فقلت للملك الذى أرسل معى: أى نهر هذا؟ قال: هذا نهر مصر. قلت: ما هو؟ قال: هو ماء يسقى الله به من يشاء فى الدنيا وهو فى الآخرة عسل لأهل الجنة» ١١٦ .

«خراب مصر من جفاف النيل» ١١٦ .

أو التمستم النيل لوجدت من ورق الجنة» ١١٦ .

قال رسول الله ﷺ «إن النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يخرج لوجدتم فيها من ورقها» ١١٦ ، ١٢٥ .

في الحديث «من أعان على قتل مسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينه آيس من رحمة الله» ٢٥٧ .
في الحديث «من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا» ٢٥٧ .
وفي الحديث الحسن «مدمن الخمر كعابد وثن» ٢٥٧ .
عن عبد الله ابن مغفل أن النبي ﷺ قال: «من حفر بئرا فله أربعون ذراعا عطنا لماشيته» ٤٠٠ .
وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: حريم البئر مد رشاتها ٤٠٠ .
عن ابن عمر رضي الله عنهما. قال: قال رسول الله ﷺ: حريم النخلة مد جريدها ٤٠٠ .
«اتقوا الملاعن الثالث، البراز في الموارد، وقارعة الطريق والظل» ٤٠١ .
قال عليه الصلاة والسلام «من أخذ شبرا من أرض ظلما طوقه يوم القيامة إلى سبع أرضين» ٤٠١، ٤٠٨ .
«حريم العين خمسمائة ذراع وحريم بئر العطن أربعون ذراعا وحريم بئر الناضح ستون ذراعا» ٤٠٦ .
* ذكر الأحاديث الواردة في ذكر من ظلم شيئا من الأرض وطريق المسلمين أخرج البخارى عن سعيد بن زيد قال: سمعت رسول الله (ص) يقول: «من أخذ شبرا من الأرض ظلما فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين».
وأخرج البخارى ومسلم عن أبى سلمة بن عبدالرحمن أنه كانت بينه وبين أناس خصومة فى أرض فدخل على عائشة فذكر لها ذاك فقالت يا أبا سلمة اجتنب الارض فإن رسول الله (ص) قال: «من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين».
وأخرج البخارى عن ابى عمر قال: قال النبى (ص) «من أخذ شيئاً من الأرض بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين».
وأخرج مسلم عن أبى هريرة قال: قال رسول الله (ص) «لا يأخذ أحد شبراً من الأرض بغير حقه إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة».
وأخرج البزار فى مسنده عن ابن عمر: قال رسول الله (ص): «ملعون من تولى غير مواليه، ملعون من ادعى إلى غير أبيه، ملعون من غير علام الأرض».
وأخرج البخارى فى الأدب المفرد والحاكم فى المستدرك عن على بن أبى طالب قال: هذا ما سمعت من رسول الله (ص) «لعن الله من ذبح لغير الله ومن تولى غير مواليه ولعن الله العاق لوالديه، ولعن الله منتقص مصار (٢) الأرض».
وأخرج ابن أبى الدنيا فى ذم الملاهى والبيهقى فى شعب الايمان عن ابن عباس أن رسول الله (ص) قال «لعن الله من تولى غير مواليه ولعن الله من غير تخوم الأرض».
وأخرج البيهقى عن أبى هريرة عن النبى (ص) قال: «ملعون من غير حدود الأرض وملعون من تولى غير مواليه».
وأخرج البزار فى مسنده عن أبى رافع قال: وجدنا صحيفة فى قراب (٣) رسول

الله(ص) بعد وفاته فيها مكتوب «بسم الله الرحمن الرحيم فرقوا بين مضاجع الغلمان والجوارى والأخوة والأخوات لسبع سنين، واضربوا أبناءكم على الصلاة إذا بلغوا تسعا، ملعون من ادعى إلى غير قومه أو إلى غير مواليه، ملعون من اقتطع شيئا من تخوم الأرض يعنى بذلك طريق المسلمين».

وأخرج أحمد وابن حبان والطبرانى عن يعلى بن مرة قال: سمعت النبى (ص) يقول: «أيما رجل أظلم شبراً من الأرض كلفه الله أن يحفره حتى يبلغ به سبع أرضين ثم يطوقه يوم القيامة حتى يقضى بين الناس».

وفى لفظ لأحمد: «من أخذ أرضا بغير حقها كلف أن يحمل ترابها إلى الحشر».

وفى رواية الطبرانى «من ظلم من الأرض شبراً كلف أن يحمل ترابها إلى الحشر».

وفى رواية الطبرانى «من ظلم من الأرض شبراً كلف أن يحفره حتى يبلغ الماء ثم يحمله إلى الحشر».

وأخرج أحمد والطبرانى عن سعد بن أبى وقاص قال: قال رسول الله (ص): «من أخذ شيئا من الأرض بغير حقه طوقه من سبع أرضين لا يقبل منه صرف ولا عدل».

وأخرج بن سعد فى الطبقات والطبرانى عن الحاكم بن الحارث السلمى قال: قال رسول الله (ص): «من أخذ من طريق المسلمين شبراً جاء به يوم القيامة يحمله من سبع أرضين».

وأخرج أحمد والطبرانى عن بن مسعود قال: قلت يا رسول الله أى الظلم أظلم: فقال: «ذراع من الأرض ينتقصها المرء المسلم من حق أخيه فليس حصاة من الأرض يأخذها إلا طوقها يوم القيامة إلى قعر الأرض ولا يعلم قعرها إلا الله الذى خلقها».

وأخرج أحمد والطبرانى عن أبى مالك الأشعرى عن النبى (ص) «أعظم الغلول عند الله ذراع من الأرض إذا إقتطعه طوقه من سبع أرضين».

أن رسول الله ﷺ قال: ليس بمؤمن من لم يأمن جاره بوائقه. أتدرى ماحق الجار؟ إذا استعانك أعنته وإذا استقرضك أقرضته وإذا افتقر عدت عليه وإذا مرض عدته وإذا أصابه خير هنأته وإذا أصابته مصيبة عزيته وإذا مات اتبعت جنازته وألا تستطيل عليه بالبناء تحجب عنه الريح إلا بإذنه ولا تؤذيه بقتار قدرك إلا أن تفرق له منها وإن اشتريت فاكهة فاهد له منها فإن لم تفعل فادخلها سرا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده. أتدرون ما حق الجار والذى نفسى بيده مابلغ حق الجار إلا قليل ممن رحم الله» فما زال يوصيهم بالجار حتى ظنوا أنه سيورثه.

ثم قال رسول الله ﷺ: «الجيران ثلاثة، منهم من له ثلاثة حقوق ومنهم له حقان ومنهم من له حق، فأما الذى له ثلاثة حقوق فالجار المسلم القريب له حق الجوار وحق الإسلام وحق القرابة، وأما الذى له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الإسلام، وأما الذى له حق واحد فالجار الكافر له حق الجوار. قلنا يا رسول الله: نطعمهم من نسكنا. قال: لا تطعموا المشركين شيئا من النسك». أخرجه البيهقى وقال: سويد بن

عبدالعزيز بن عثمان بن عطا، وأبوه ضعفا غير أنهم متهمين بالوضع والله أعلم. قال رسول الله ﷺ «سيد الرياحين في الدنيا والآخرة الفاغية» ٤١٧.

قال ﷺ «نحن معاشر الأنبياء أشد بلاءا الأمثل فالأمثل» ٤٣٢.

عن النبي ﷺ قال: «مثل المومن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب» ٤٥٣.

«ليس منا من لم يوقر الكبير ويرحم الصغير» ٤٧٢.

«إن مثل المؤمن كمثل الشجرة لا تسقط لها أنملة أتدرون ماهي؟ قالوا: لا، قال: هي النخلة لا تسقط لها أنملة ولا تسقط لمؤمن دعوة» ٤٧٣.

قال رسول الله ﷺ: مثل المؤمن مثل النخلة ما أتاك منها نفعك ٤٧٣.

قال رسول الله ﷺ: «أكرموا عمتكم النخلة فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم عليه السلام وليس من الشجر شيء يلقح غيرها» ٤٧٤.

قال رسول الله ﷺ «أطعموا نساءكم الولد الرطب فإن لم يكن رطب فتمر وليس من الشجر شجرة أكرم على الله من شجرة نزلت تحتها مريم بنت عمران» ٤٧٤.

«كل شيء ليس فيه ذكر الله فهو سهو ولغو إلا أربع مشى الرجل من العرضين وتأديبه فرسه وتعليمه السباحة وملاعبته أهله» ٥٢٧.

«خير لهو المؤمن السباحة وخير لهو المرأة الغزل» ٥٢٧.

قال رسول الله ﷺ «مثل القائم على حدود الله والمبرهن فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فى البحر فأصاب بعضهم أسفلها وأصاب بعضهم أعلاها فكان الذى فى أسفلها يصعدون فيستقون الماء يصيبون على الذين فى أعلاها فقال الذين فى أعلاها لاندعكم تصعدون فتؤذوننا. فقال الذين فى أسفلها فإننا نقبها من أسفلها فنسقى الماء فإن أخذوا على أيديهم فمنعوهن نجوا جميعا وإن تركهوهم هلكوا» ٥٣١.

١٠ ـ فهرس الأمثـــال

١١ـ فهرس المصطلحات

فهرس الأشعار

قافية الألف

قافية الباء

قافية الثاء

قافية الجيم

قافية الحاء

قافية الخاء

قافية الدال

قافية الزاء

قافية السين

قافية الشين

قافية الصاد

قافية الضاد

قافية الطاء

قافية العين

قافية الغين

قافية الفاء

قافية الكاف

قافية اللام

قافية الميم

قافية النون

قافية الهاء

قافية الــواو

قافية اليــاء

الفهـرس

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

